فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء

للعلامة الاديب
والفهامة الاريب الشيخ احمد بن محمد
ابن عربشاه الحنفي تغمده
الله تعالى برحمته
ولطفه الخفي
آمين

(وبهامشه كتاب كليلة ودمنة تأليف بيدبا الفيلسوف
الهندي وترجمة عبد الله بن المقفع الكاتب من
اللغة الفهلوية الى اللغة العربية)

(على ذمة مكتبتي ملتزميه)
(حضرتي حسين افندي شرف ومصطفى افندي فهمي)
(قريبا من الجامع الازهر بمصر)

(طبع)
(بالمطبعة العامرة الشرفية بمصر المحمية)
سنة ١٣١٥
هجرية

ما شاء الله كان

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله) الذي شهدت الكائنات بوجوده وشمل الموجودات عميم كرمه وجوده ونطقت الجمادات بقدرته واعربت العجماوات عن حكمته وتخاطبت الحيوانات بلطف صنعته وتناغت الاطيار بتوحيده وتلاغت وحوش القفار بتفريده كل باذل جهده وان من شيء الا يسبح بحمده بل المكان ومن فيه والزمان وما يحوي به من نام وجامد وشهود وشاهد تشهد بانه الواحد منزه عن الشريك والمعاند مقدس عن الزوجة والولد والوالد مبرأ عن المانع والمنادد مسبح باصناف العابد (أحمده) حمدا تنطق به الشعور والجوارح واشكره شكرا يستديم نعمه عند المسبح بالجوارح (واشهد) ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ربا اودع اسرار ربوبيته في بريته واظهر انوار قدسيته في جوانب جبروتيته فبعض يعرب بلسان قاله وبعض يعرب بلسان حاله وتسبحه السموات باطباقها والارض بنطاقها والابحر بخريرها والاسد بزئيرها والحمام بهديرها والطير بتغريدها والرياح بهبوبها والبهائم بهبيبها والهوام بكشيشها والقدور بنشيشها والخيل بضبحها والكلاب بنبحها والاقلام بصريرها والنيران بزفيرها والرعود بعجيجها والبغل بشحيجها والانعام برغائها والذباب بطنينها والقسي برنينها والنياق بحنينها كل قد علم صلاته وتسبيحه ولازم في ذلك غبوقه وصبوحه وعمروا بذلك اجسادهم وارواحهم ولكن لا تفقهون تسبيحهم (واشهد) ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي من صدقه سموله افضل من بعث بالرسالة وسلمت عليه الغزالة وكلمه الحجر وآمن به المدر وانشق له القمر واتت بدعوته الشجر واستجار به الجمل وشكا اليه شدة العمل وحن اليه الجذع ودعا له يابس الضرع وسبحت في كفه الحصباء ونبع من بين اصابعه الماء وصدقه ضب البرية وخاطبته الشاة المصلية صلى الله عليه صلاة تنطق بالاخلاص وتسوق قائلها بالخلاص وعلى آله اسود المعارك واصحابه شموس المسالك وسلم تسليما وزاده شرفا وتعظيما (اما بعد) فان الله المقدس في ذاته المنزه عن سمات النقص في صفاته قد اودع في كل ذرة من مخلوقاته من بديع صنعه ولطيف آياته ومن الحكم والعبر ما لا يدركه البصر ولا تكاد تهتدي اليه الفكر ولا يصل اليه فهم ذوي الفطر ولكن بعض ذلك للبصر بالرصد ظاهر يدركه كل احد قال الله تعالى وجل ثناؤه

جلاله

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي خلق الانسان في احسن تقويم وخصه دون المخلوقات بشرف التكريم ووهبه عقلا يتدبر به ما في السموات والارض من آيات ايسلك بارشاده اوضح المحجات ويجلو بنوره ظلمات الريب والالتباس قال سبحانه وتلك الامثال نضربها للناس والصلاة والسلام على من بين معالم العرفان المختص بجوامع الكلم في غاية البيان سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه اجمعين (اما بعد) فان اشرف العوارف والطف المعارف علم يتوصل به الى صدق الفراسة ويستنبط منه حسن السياسة واحسن ما لاح على صفحات ذلك الوجه وجه كتاب كامله ودقيقه من الكتب التي ترجمت في صدر الدولة العباسية من اللغة الاعجمية الى اللغة العربية لانه في ضروب السياسة اكبر آية وفي جوامع الحكم والآداب ابلغ آية حري بان يكتب بسواد المسك على بياض الكافور ويحقق بان يلحق بخطوط النور على نحور الحور ولذلك عكف على الاعتناء به اصناف الناس فترجموه من

جلاله وفي الارض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون وقال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وقال عز
من قائل في كلامه الطائل ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر
بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف
الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون وقال الشاعر

ففي كل شئ له آية * تدل على أنه واحد

لكن لما كثرت هذه الآيات والحكم وانتشرت أزهار رياضها في وهاد العقول والاكم وترادف ما فيها
من العجائب والعبر وتكرر ورود مراسيمها على رعايا السمع والبصر وعادتها النفوس ولم يكترث بوقوعها
القلب الشموس ولم يستحسن من وجودها ولم يلتفت الا لجديدها فكثر في ذلك أقوال الحكماء وتكررت
مقالات العلماء فلم تصغ الاسماع اليها ولا عولت الافكار عليها فقيض طائفة من الاذكياء وجماعة من
حكماء العلماء ممن يعلم طرق المسالك ابراز شئ من ذلك على ألسنة الوحوش وسكان الجبال والعروش وما
هو غير مألوف الطباع من البهائم والسباع وأصناف الاطيار وحيتان البحار وسائر الهوام فيسندون اليها
الكلام لتميل لسماعه الاسماع وترغب في مطالعته الطباع لان الوحوش والبهائم والهوام والسوائم غير
معتادة لشئ من الحكمة ولا يسند اليها أدب ولا فطنة بل ولا معرفة ولا تمييز ولا قول ولا فعل ولا تكليف
لان طبعها الشماس والاذى والافتراس والافساد والنفور والعدوان والشرور والكسر والتفريق
والنهش والتمزيق فاذا أسند اليها مكارم الاخلاق وأخبر بأنها تعاملت فيما بينها بحسب العقل والوفاق
وسلكت وهي مجبولة على الخيانة سبل الوفاء ولازمت وهي مطبوعة على الكدورة طرق الصفاء أصغت
الآذان الى استماع أخبارها ومالت الطباع الى استكشاف آثارها وتلقتها القلوب بالقبول والصدور
بالانشراح والبصائر بالاستبصار والارواح بالارتياح لكونها أخبارا منسوجة على منوال عجيب وآثارا
أسديت لحمتها في صنع بديع غريب لاسيما الملوك والامراء وأرباب العدل والرؤساء والسادة والكبراء
وابناء الترفه والنعم وذوو المكارم والكرم اذا قرع سمعهم قول القائل صار الفيل قاضيا والقرطة الاعاصيا
والقرد رئيس الممالك والثعلب وزير الذلك والدب مؤرخا أديبا والحمار منجما طبيبا والكلب كريما
والجمل نديما والغراب دليلا والعقاب خليلا والحدأة صاحبة الامانة والفأرة كاتبة الخزانة والحية راقية
والبومة ساقية وضحك القرد متواضعا وغدا الاسد لارشاد الذئب سامعا ورقص الغزال في عرس القنفذ
وغنى الجدي فطرب الجعد وتصادق القط والجرذان وصار السرحان راعي الضان وعانق الليث الجمل
والذئب الحمل ورفع العاشق الحمامة على رقبته وحمل ارتاحت لذلك نفوسهم وزال عبوسهم وانشرحت
خواطرهم وطربت سرائرهم وأصغت اليها أسماعهم ومالت اليها طباعهم وأدى طيشهم الى أن طاب
عيشهم ولكن أهل السعادة وأرباب السيادة ومن هو متصد لفصل الحكومات والذي رفعه الله
الدرجات فانتصب لاغاثة الملهوفين وخلاص المظلومين من الظالمين والمتنبهون بتوفيق الله تعالى
لدقائق الامور وحقائق ما تجري به الدهور اذا تأملوا في لطائف الحكم والفوائد التي أودعت في هذه
الكلم ثم تفكروا في نكت العبر وصفات العدل والسير والاخلاق الحسنة والقضايا المستحسنة المسندة
الى ما لا يعقل ولا يفهم وهم من أهل القول الذي يشرف به الانسان ويكرم يزدادون مع ذلك بصيرة
ويسلكون بها الطرق المنيرة فتتوفر مسراتهم وتتضاعف لذاتهم ويرعوي عن تماديهم فكرهم وانتصحت بهم
في أنفسهم أمرهم ان مثل هذه الحيوانات مع كونها عجماوات اذا اتصفت بهذه الصفة وهي غير مكلفة
وصدر منها مثل هذه الامور الغريبة والقضايا الحسنة العجيبة فنحن أولى بذلك فيسلكون تلك المسالك
وقد ضرب الله ذو الجلال في كلامه العزيز الامثال فقال مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت
اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون وقال سبحانه بعد ذلك وتلك الامثال نضربها
للناس وما يعقلها الا العالمون وقال سبحانه ما أعظم شأنه يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين

العربية الى لغتهم من
سائر الاجناس ثم اقتالت
نسخه بالعربية أيدي
الدهور والاعصار وطار
بها من رياح الحوادث
اعصار فقيض الله صاحب
الفتوحات السنية والهمة
العلية العلوية حامي ذمار
المسلمين والاسلام ماد
سرادق العدل على كافة
الانام قاهر الطغاة
والجبابرة ومرغم أنوف
المتمردة الفاجرة أمير
امراء المؤمنين وسيف الله
المسلول على أعناق
المعتدين الحاج محمد على
باشا لازالت بذبابة سيفه
مهج العدا تلاشى ولا
برحت الويته بالنصر
منشورة وعساكره في
كل وجهة مظفرة منصورة
فأمر في خدمة الشريعة
الغراء وسلوك المحجة
الواضحة البيضاء كلا من
حد السيف وسنان القلم
حتى تفجرت من الصنائع
والصحائف ينابيع النعم
والحكم وتصدى لاحياء
رميم المكرمات الدوارس
وانتصب لاعادة دارس
العلوم بانشاء المدارس
جامعا بين دافي الشرفا
وقاصديه حقيقا بما تلت
فيه
ماذا أقول وكيف القول
في ملك
قد فاق ملوك الاعصر
الاول

تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب وقال تعالى ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها وقال تعالى وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون وقال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا وقال تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين أسند سبحانه وتعالى الافعال والاقوال الى الجمادات بعدما وجه الخطاب اليها وقال تعالى ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم وكل ما جاء في هذه الطريقة فانه بالنسبة اليه تعالى حقيقة لانه قادر على كل شئ وسواء عنده الميت والحي ولا فرق في كمال قدرته بالنظر الى قدرته ومشيئته وتمام كمال عظمته وهيبته بين الناطق والصامت والنامي والجامد والشاهد والغائب والآتي والذاهب كما لا فرق في هذا الكمال بين الماضي والاستقبال وقال تعالى فما بكت عليهم السماء والارض وقال فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض وقال تعالى قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وقال في الهدهد فقال أحطت بما لم تحط به وقال الشاعر * ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب * وقالت العرب في أمثالها قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني قال لمن ورائي يتركني ورائي وقالوا أكرم من الاسد ومن أشهر أمثالهم قالوا ان الارنب التقطت تمرة فاختلسها الثعلب فأكلها فانطلقا الى الضب فقالت الارنب يا أبا الحسين قال سميعا دعوت قالت أتيناك لنختصم اليك قال عادلا حكمتما قالت اخرج الينا قال في بيته يؤتى الحكم قالت اني وجدت تمرة قال حلوة فكليها قالت فاختلسها مني الثعلب قال لنفسه بغى الخير قالت فلطمته قال بحقك أخذت قالت فلطمني قال حر انتصر لنفسه قالت فاقض بيننا قال قد قضيت فذهبت هذه الاقوال كلها أمثالا وقالوا احكمت العقرب بالافعى وقال الشاعر

قام الحمام الى البازي يهدده * واستصرخت باسود البر اضبعه

وهذا أمر مستفيض مشهور معروف بين الانام غير منكور والحصر في هذا المعنى يتعسر والاستقصاء يتعذر وانما الاوفق التمثيل والنظير والاستدلال بالقليل على الكثير فيتفكه السامع تارة ويتفكر أخرى وينتقل في ذلك من الاخفى الى الاجلى ويتوصل بالتأمل في معانيه من الادنى الى الاعلى ومن جملة ما صنف في ذلك واشتهر فيما هنالك وفاق على نظائره بخبره ومنظره وحاز فنون الفطنة كامله ودمنه والممثل بحكمة الطباع كتاب سلوان المطاع والمقيم بنظمه العجيب كل شاعر وأديب معجز الضراغم الصادح والباغم وفي غير لسان العرب ممن يتعاطى فن الادب جماعة وضعوا أفاويقه وسلكوا من هذا النمط طريقه لكن تقادم عصرهم واشتهر أمرهم وتكرر ذكرهم وصارت مصنفاتهم مطروقه وعتاق خيلها في ميدان التأمل عتيقه فهاأنت من دهري فاته وعملت بموجب لكل جديد لذه وسيرت فارس الافكار في ميدان هذا المضمار وقصدت من الفائدة ما قصدوه ومن العائدة في الدارين ما رصدوه وجعلت ما يلقى عن نقلة الاخبار وحملة الآثار ورواة الاسفار على لسان شيخ الطائف ومنبع المعارف وامام الطوائف وجامع العوارف ذي الفضل والاحسان أبي المحاسن حسان ووضعت هذا الكتاب نزهة لبني الآداب وعمدة لاولي الالباب من الملوك والنواب والامراء والحجاب وجعلته عشرة أبواب ومن الله استمد الصواب وأستغفره من انطلاق الجواب انه رحيم تواب كريم وهاب (وسميته فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء) شعر

فان يفض بحر علمي تهدمنه علي * در يثير عيون العقل في الصدف

البسته من خلاعات النهى خلعا * وربما ازدان عقد الدر بالطرف

بهذا أنت ان أهملك مهملا
وان طلبت لك العلياء انت على
بدا عجز البلغاء الس منقبة
عنها وروا من صدق القول والعمل
أعلى الممالك ما يبنى على الاسل
والطعن عند محبيهن كالقبل
وما تقر سيوف في ممالكها
حتى تقلقل دهرا قبل في القلل
مثل المليك بغى امرا فقربه
طول الرماح وأيدى الخيل والابل
وعزمة بعثتها همة زحل
من تحتها بمكان الترب من زحل
على الفرات أعاصير وفي حلب
توحش لاقى النصر مقتبل
تتلو سنته الكتب التي نفذت
ويجعل الخيل أبدالا من الرسل
يا في الملوك فلا باقى سوى عز
وما اعدوا فلا باقي سوى ثقل
الفاعل الفعل لم يفعل اشداته
والقائل القول لم يترك ولم يقل
والباعث الجيش قد غالت عجاجته
ضوء النهار فصار الظهر كالطفل

والفضل يحتاج فى ترويج سلعته * الى الطرافة والمعقول للظرف

فاعبر الى البحر تجن الدر منه ولا * يلهيك عن دره اضحوكة الصدف

(الباب الاول) فى ذكر ملك العرب الذى كان لوضع هذا الكتاب السبب (الباب الثانى) فى وصايا ملك العجم المتميز من اقرانه بالفضل والحكم (الباب الثالث) فى حكم ملك الاتراك مع ختنه الزاهد شيخ النساك (الباب الرابع) فى مباحث عالم الانسان مع العفريت جان الجان (الباب الخامس) فى نوادر ملك السباع وندعه أمير الثعالب وكبير الضباع (الباب السادس) فى نوادر التيس المشرق والكلب الافرق (الباب السابع) فى ذكر القتال بين أبى الابطال الريبال وأبى دغفل سلطان الافيال (الباب الثامن) فى حكم الاسد الزاهد وأمثال الجمل الشارد (الباب التاسع) فى ذكر ملك الطير العقاب والحجلتين الناجيتين من العقاب (الباب العاشر) فى معاملة الاعداء والاصحاب وسياسة الرعايا والاحباب ونكت وأخبار وتواريخ اخيار وأشرار

(الباب الاول فى ذكر ملك العرب الذى كان لوضع هذا الكتاب السبب)

(قال) الشيخ ابو المحاسن بلغنى من ذى فضل خبير أنه كان فيما غبر من الزمان قيل من الاقيال غزير الافضال عزيز الامثال وارث المعارف حائز الفضائل واللطائف وافر السيادة كامل السعادة ذو حكم مطاع وجند وأتباع وممالك واسعة ذات أطراف شاسعة تحت أوامره ملوك عده ذو سطوات ونجده وله من الاولاد الذكور خمسة أنفار كل بالسيادة مذكور وبالعلم والحلم والحكم مشهور ومشكور متوشح للسلطنة متول من والده مكانا من الامكنة وكان أسعدهم عند أبيه وهو متميز على اخوته وذويه شمس المنظر ابا مى المخبر ذا فهم مصيب واسم فى فضله حسيب قد حصل أنواعا من العلوم وأدركها من طريق المنطوق والمفهوم وكان لهذا الفضل الجسيم يدعى بين الصغير والكبير الحكيم فلما دعا اباهم داعى الرحيل وعكم الى دار البقاء أجال التحويل استولى على السرير أكبر اولاده وأطاعه اخوته ورؤس امرائه وأجناده وصار السعد رفيقه والملك بلسان الحال يخاطبه شعر

نجوم سماء كلما انقض كوكب * بدا كوكب تأوى اليه كواكب

واستمر اخوته فى خدمته مقتفين أيادى طاعته رافلين فى خلع محبته ومودته ومضى على ذلك برهة وهم فى أرغد عيش ونزهة ثم انه حصل فى خواطر الاخوة ما خطر فى خواطر الاولاد من البنوة وقلوب الحساد من الحسد والنبوة فداخلتهم النفاسة وطلبوا كالخيم الرياسة فقلبوا لاخيهم ظهر المجن وأظهروا كل ما كمن وقال فيه ما أجن وأراد شق العصا وان يشهر عنه انه عصى غير أن أخاهم الحكيم تفكر فى هذا الامر الوخيم وأمعن فيه النظر وساورته الوساوس والفكر فانه وان كان أعزهم ذكاء وأوفرهم وفاء فهو أصغرهم عمرا وأحقرهم قدرا لا طاقة له على الاستبداد ولا أن ينحاز الى أحد من ذوى العناد اذ الانحياز الى أحدهم ترجيح بلا مرجح وتصحيح لاحد التأويلين بلا مصحح فأداه اجتهاده الى الانخذال وتقلد مذهب الاعتزال والقول بوجوب رعاية الاصلح ومن أمكنه العزلة خصوصا فى زمن الفتنة فقد أفلح فأخذ يفكر فى تعاطى أسباب الخلاص وكيفية التقصى من عهدة هذا الاقتصاص واستنهض الفكرة الطائرة لتظفر به من سور هذه الدائرة وتأخذ به على جهة واحدة الى أن ينجلى غبار هذه المناكدة ثم انبسط الكتاب فى مشاورة الاصحاب فاستشار ثقة من أهل الثقة وعرض عليه العزلة وكيف يتمكن من هذه النعمة الجزلة فقال له بعد أن استصوب رأيه طريق التوصل الى الانفراد بأذا الدراية أن تستأذن فى تأليف تصنيف وترصيف تأليف يشتمل على فنون من الحكمة وأنواع من دقائق الادب والفطنة ولطائف التهذيب وأخلاق العباد ويكون عونا على اكتساب مصالح المعاش والمعاد وتتوفر به مكارم الاخلاق والشيم وعوالى تهذيب النفس وطرائف الفضل والحكم فيظهر بذلك غزارة علمك ويشتهر بين الخاص والعام نباهة فضلك وحلمك ولا يقف أحد فى طريقك ولا يقدر أحد أن يتصدى لتعويقك وتحصل بذلك فوائد جمة أدناها الخلاص من ورطة هذه الغمه الى أن ينجلى دجاها وتتجلى شمس الاستقامة وضحاها فاستقر رأى

الجو أضيق ما لاقاه ساطعها
ومطلع الشمس فيه أحسن الحلل
ينال أبعدها وهى ناظرة
فما تقارعه الاعلى وجل
قد عرض السيف دون النازلات به
وظاهر الحزم بين النفس والغيل
ووكل الظن بالاسرار فانكشفت
له ضمائر أهل السهل والجبل
هو الشجاع يعد البخل من جبن
وهو الجواد يعد الجبن من بخل
يعود من كل فتح غير مفتخر
وقد أغد اليه غير محتفل
ولا يجير عليه الدهر بغيته
ولا تحصن درع مهجة البطل
اذا خلعت على عرض له حللا
وجدتها منه فى أبهى من الحلل
بذى الغباوة من انشادها ضرر
كما تضر رياح الورد بالجعل
لقد رأت كل عين منه مالئها
وجربت خير سيف خيرة الدول
فما تكشفك الاعداء عن ملل
من الحروب ولا الآراء عن زلل
وكم رجال بلا أرض لكثرتهم

الحكيم حسب على العمل بهذا الرأي المصيب ثم توكل على الله واعتمده وتوجه الى ما قصده ودخل غير مرتبك على الملك وقبل الارض ووقف في مقام العرض وذكر ما عزم عليه أو توجه قصده اليه بعبارة رقيقة وألفاظ رشيقة فتأمل الملك في خطابه وتوقف في جوابه وكان للملك وزير ذو فضل غزير في غاية الفصاحة والمعرفة والظرافة ان لطف كان رأفة وان كثف كان آفة بعيد الغور ان رفع أبلغ الى الثريا وان وضع أنزل الى الثور بينه وبين الحكيم من سالف العهد القديم عداوة تؤكده وشدة تؤيده وتحاسد الاكفاء غل قلب وعداوة النظراء جرح لا يندمل فلما انتهى الحكيم الى مسامع الملك الكريم فتصدى للمعارضة وتهيأ للمعاكسة والمناقضة وأقبل يرفل في ثوب المكر وقد شد دهاء الختل وانتظر حتى وقف في مقامه واستطرد الى قضية الحكيم في كلامه فأجرى الملك كلامه اخيه واستشار الوزير فيه فاغتنم الفرصة وأراد القاءه في غصة بايراد مثل قصد به ايذاءه وقصمه ثم قال أما ما قصده الحكيم من العزلة فهو رأي قويم وفكر مستقيم لأن الاعداء اذا تفرقوا انشقوا ومتى قلوا ذلوا وقد قيل

وما الكثير الاقل وصاحب * وان عدوا واحد الكثير

واذا قهر من أعداء الملك واحد سيما مثل الاثيم حسب الحكيم فهي نعمة طائلة وسعادة واصلة ودولة مستقيمة وكافل نعمة غير مترقبة ويتوصل من ذلك الى تشتيت أمرهم الهالك وتصارم أقوالهم وتخالف أحوالهم واضطراب رأيهم وأفعالهم وقد قيل

وتشتت الاعداء في آرائهم * سبب لجمع خواطر الاصحاب

وأما قصده وضع الكتاب فانه خطأ الاصواب وتعبيره بان فيه فوائد وحكما وأقوال العلماء والحكما وأن يرفع به العلم علما فانه مكر وخديعة من سوء السريرة وخبث الطبيعة يريد ان يستر جهله وان يظهر على فضل الملك فضله ويشتهر بذلك الوسواس على قلوب الناس فتنصرف الوجوه اليه وتقبل الرعايا عليه ولكن يا مولانا الملك لا تغتر بذلك المتهمك وأجبه الى ما سأل وطالبه بما بذل وألزمه بالانفراد ودعه وما أراد فان عدم اجتماعه بالناس لانه أمن من الباس فيشتغل حينئذ بنفسه ويتقلب في طرده وعكسه وأسأل مولانا السلطان ذا الايادي والاحسان قبل الاذن له وشروعه في المسئلة أن يجمع بيني وبينه لأبين شينه وزينه وأظهر لمولانا السلطان زوره ومينه فيحقق دسائسه وما بنى عليه وساوسه وأدى اليه فكره ووصل اليه خداعه ومكره فعند ذلك يصدر أمره الشريف بما يقتضيه رأيه المنيف فأجابه الى سؤاله وأمر طائفة من رجاله فسيرهم الى الآفاق بمراسيم جمعها الاتفاق الى رؤساء مملكته وكبراء دولته فاستدعى العلماء وذوي الفضل والحكماء وأولي الآراء والعقلاء ومن يشار اليه بالفضائل ويتسم بسمة من الفواضل وكل أديب أريب من بعيد وقريب وقاطن وغريب وبين لهم مكانا يجتمعون اليه وزمانا لا يتأخرون عنه ولا يتقدمون عليه فاجتمع القوم في ذلك اليوم حسبما برز المرسوم في المكان المعلوم وجلس الملك في مجلس عام وحضر الخاص والعام واستدعى أخاه الحكيم وقابله بالاحترام والتكريم وأنواع الاحسان والتعظيم ثم قال أيها الاخ الكريم والفاضل الحكيم كان تقدم منك الالتماس بالاذن في تصنيف كتاب ينفع الناس مشتمل على الفوائد وفنون الحكم الفرائد يكسب الثواب الجزيل ويخلد الذكر الجميل فأحببت أن يكون ذلك بحضرة العلماء وجميع الاكابر والفضلاء واتفاق آراء الحكماء وأرباب الدولة والمناصب وذوي الوظائف والمراتب وأهل الحل والعقد المتصرفين في الحكم والامثال والنقد ليأخذ كل منهم حظه ويشنف سمعه ويزين لفظه ولحظه فتتم الفائدة وتشمل العائدة ويتحقق كل سامع وقائل ما لك من الفضائل والفواضل وتقدمك على أقرانك ورؤساء زمانك ويبلغ الاطراف وسائر الاكناف ما لديك للناس من اسعاف وما قصدت لهم من احسان والطاف فيتوفر لك الدعاء ويكثر لك الشكر والثناء لعظم فضلك وحسن آدابك في نقلك وقد أذنا لك في الكلام وسلمنا اليك بد تصريفك فيه الزمام لعلمنا أنك فارس ميدانه وفي بيان معانيك بديع بيانه ولسان

توسمت جمهم أرضا لارحل
مازال طرفك يجري في دمائهم
حتى مشى بك مشي الشارب الثمل
يا من يسير وحكم الناظرين له
فيما يراه وحكم القلب في الجذل
ان السعادة فيما أنت فاعله
وفقت مرتحلا أو غير مرتحل
أجز الجياد على ما كنت تجريها
وخذ بنفسك في أخلاقك الاول
ينظرن من مقل أدمى أحجتها
قرع الفوارس بالعسالة الذبل
فلا هجمت بها الا على ظفر
ولا وصلت بها الا الى أمل
(ومن جملة) ما جدده للدين والدولة زينة وعيدا ولأرباب الطروب والمحاربين مجهاسعيدا دار الطباعة التي انشأها به ولاق حيث لم يكن مثلها في سائر الاقطار والآفاق لان الكتب تطبع فيها من سائر العلوم بكل لغة وبكل رسم مع تلون المداد كما هو معلوم فصادف سعده المقترن من الله بالمنة وجود نسخة مطبوعة بالعربي في غير بلاد العرب من كتاب كليلة ودمنة وهي التي ترجمها عبد الله بن المقفع الكاتب المشهور في أيام أمير المؤمنين أبي جعفر

فصاحتك يدحرج كرة البلاغة كيف شاء بصولجانه فقال ما بدا لك أحسن الله حالك فنهض الحكيم من
مكانه وحسر طرف لثامه وبادر الى الارض بالتثامه وقال حيث أذن مولانا السلطان وتصدق بالاذن في
حسن البيان فلابد من اتمام الاحسان وذلك بالاصغاء وحسن الرعاية والارعاء فان حسن الاستماع هو
طريق الانتفاع وهو الدرجة الثانية وهي مرتبة سامية فان حسن الاداء هي المرتبة الاولى وتليها أيها
الملك المطاع مرتبة حسن الاستماع ثم تليها في الزيادة مرتبة الاستفادة والمرتبة الرابعة وهي الجامعة
النافعة درجة العمل وبها الفضل اكمل وأما الغاية القصوى والدرجة العليا والمرتبة الفاخرة فهي
الاخلاص في العمل وطلب الآخرة واتباع رضا المولى بترك السمعة والرياء ثم اضبط العلوم الوضعية أن
النصيحة من حيث هي نصيحة تمييز القلوب بنظامها وتنفر النفس عنها لان النفس مائلة الى الفساد
والنصيحة داعية الى الرشاد والنصيحة محض خير وبر والنفس مطبوعة على الاذى والشر فبينهما تنافر
من أصل الخلقة وتباين من نفس الفطرة والنفس تميل الى ما جبلت عليه والنصيحة تجذب الى ما تدعو اليه
قال العزيز الجبار حكاية عن الكفار ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني
لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار فالسعيد من تأمل في معاني الحكم
وسلك السبيل الاقوم وتدبر في عواقب الامور بالافتكار وتلقى الاشياء من طرق الاعتبار وقد قيل

اذا لم يعن قول النصيح بقبول ❁ فان معاريض الكلام فضول

ثم عش واسلم وتيقن واعلم يا ملك الزمان ان أفضل شئ حل في وجود الانسان وأحسن جوهرة تزين بها
عقد تركيبه العقل الداعي الى كيفية تهذيبه في أساليبه وأفضل درة ترصع بها تاج العقل في تزيينه
وترتيبه الخلق الحسن الذي فضل الله به خير خلقه في تعليمه وتأديبه وخاطب بذلك نبيه الكريم فقال
وانك لعلى خلق عظيم وبالخلق الحسن ينال شرف الذكر في الدارين ولا يضع الله الخلق الحسن الا فيمن
اصطفاه من الثقلين وأفضل جنس الانسان بعد الرسول الرفيع الشان الملك الذي يحيي أحكام شريعته
ويمشي على سنته وطريقته واذا كان الملك حسن الخلق والفعال فهو في الدرجة العليا من الكمال قال
الرسول النجيب صاحب التاج والقضيب محمد المصطفى الحبيب صلى الله عليه وسلم صلاة تسلك باذيالها
الطيب وتترنح لنسمات قبولها الغصن الرطيب الا أخبركم عمن تحرم النار على كل هين لين سهل
قريب وروي ان ذلك السيد السديد الكامل المكمل الرشيد أتي برجل فكلمه فارعد فقال هون عليك
فاني لست بملك ولا جبار وأنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد ومن جملة حسن اخلاق العدل
والشفقة على الرعية والفضل واذا حسن خلق الملوك العلية صلحت بالضرورة الرعية طائعة أو كارهة
وسعت في ميدان الطاعة فارهة فان الناس على دين ملوكهم وسالكون طرائق سلوكهم وارذل عادة
الملوك الطيش والخفة وان يكون ميزان عقله خالي الكفة وان عدم الثبات والوقار من عادة الاطفال
والصغار والرجل الخفيف العقل الخسيس لا يقدر على تدبير الامور الجليلة ولا بابه يحصل ولا طاقة
للدخول في الاشغال الشاقة ولا يستطيع أن يتحمل ثقل الرياسة ويتعاطى الايالة والسياسة ولا قدرة له
على فصل الحكومات المشكلة والقضايا العريضة المعضلة ولا الوصول الى اثبات السعادة ولا الدخول
في أبواب السعادة فان تدبير الممالك وسلوك هذه المسالك يحتاج الى رجل كالجبل في السكون والوقار
اوان الثبات وكالبحر الهائج والسيل الهامر اوان الحركات واعلم يا ذا العلا والممالك المال والدما انه يجب
على الملك الكبير اجتناب الاسراف والتبذير فانه حافظ دماء الناس وأموالهم مراقب مصالحهم في
معاني حالهم وما لهم والمال الذي في خزائنه قد اجتمع من وجوه مكاسبه ومن خراج مملكته ومن
اعدائه ومعادنه اغنائه والرعية انما هي بعض الناس ويصرفه في مصالحهم وما يحدث من حوائجهم
وحوادثهم فهو في يده امانة وصرفه في غير وجهه خيانة فكما لا ينبغي أن يتصرف في مال نفسه بالتبذير
كذلك لا يتصرف في أموالهم بالاسراف والتقتير ومصداق هذا المقال قول ذي الجلال كلا ما وعز

المشهور وكانت ترجمتها
من اللغة الفهلوية الى
العربية واتفق الناس على
صحة تلك النسخة لشهرة
مصححها بالامانة حيث
قال في ديباجتها اجتمع
عندي من كتاب كليله
ودمنه نسخ شتى متفقة
السياق والانتظام مختلفة
العبارة والالفاظ وكان
من جملتها نسخة قديمة
العهد مجيدة الخط غير انه
كان يوجد فيها مع
جودتها بعض الغلطات
وقد ذهب منها أيضا
بتصريف الشهور والايام
اوراق جعلت عوضا عنها
اوراق غيرها بخطوط
العهد رديئة الخط ليست
على هيئة الباقي والنسخة
المذكورة هي التي اخترتها
حتى تكون هي الاصل
المعتمد عليه في طبع
هذا الكتاب غير انني
كلما عثرت فيها على غلطة
أو ما اشتبه على القارئ
فهمه قابلتها بما عندي
من النسخ غيرها واثبت
ما رأيت لفظه أفصح
ومعناه أوضح انتهى
كلامه ثم ان تلك النسخة
المطبوعة عرضت هي
وغيرها على شيخ مشايخ
الاسلام وقدوة علماء الانام
مولانا الشيخ حسن
العطار أدام الله عموم
فضله ما دام الليل والنهار
فقال يصح أن لا يوجد
لها في الصحة مثال لشهرة

مقاما والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فينبغي للملك بل يجب ان لا يستتر عن الرعية ولا يحتجب وان لا يبادر برسوم الا بعد تحقيق المعلوم ولا يبرز مرسومه ما لم يتحقق فيه معلومه وذلك بعد التأمل والتدبر وتدبر عورة القضية والتفكر وهذا لان مرسوم السلطان على فم ابناء الزمان وهو بمنزلة القضاء النازل من السماء واذا نزل القضاء وفتحت له أبواب السماء فلا يرد ولا يصد ولا يعوقه عن مضيه عائد ولا عاد ولا حيلة في منعه لاحد وامر أولي الامر على زيد وعمرو كالسهم الخارج من الوتر بل شبيه القضاء والقدر تعجز عن ادراك سره قوى البشر فكما انه اذا نفذ سهم القضاء والقدر لا يمنعه ترس حيلة ولا يصده درع حذر فكذلك أمر السلطان لا يثبت لرده حيوان ولا يمكن تلقيه الا بالامضاء والاذعان فاذا لم يتدبر قبل ابرازه في عواقب ما له وانجازه ربما أدى الى الندم والتأسف حيث زلت القدم ولا يفيد التلافي بعد التلاف ولا يرد السهم الى القوس وقد خرج الشغاف وكما ان الملك سلطان الانام كذلك كلامه سلطان الكلام وكل ما ينسب اليه فهو سلطان جنسه فيجب عليه حفظ كلامه كحفظ نفسه

(وحسبك يا ملك الزمان لطيفة للملك أنوشروان) فبرزت المراسيم الشريفة ببيان تلك اللطيفة فقال الحكيم ذكر اهل السير ونقلة الاثر أن الملك أنوشروان كان راكبا في السيران فجمح به فرسه وقوى عليه نفسه فاستخف شانه وجذب عنانه فهمزه واركزه وضربه ووخزه فزاد جموحا وما دجوحا فتمادى بالعنان فانقطع وكاد أنوشروان أن يقع فلاطف الفرس فاستكان وتمادى الى ان كاد يدخل في خبر كان فلما وصل الى محل ولايته واستقر راجف قلبه من مخافته دعا سائس المركوب فلبى دعوته وهو مرعوب فلعنه وشتمه وأراد أن يقطع يده وقدمه وقال تلم هذه الداهية بلجام سيور واهية فانقطعت في عنفي وكاد الفعل برمتي ثم دعا بالمقارع وبالجلاد ليقطع منه الاكارع فقال السائس المسكين ايها الملك المكين وصاحب العدل والتمكين اسألك بالله الذي رفعك الى هذا المقام أن تسمع لي هذا الكلام فقال قل ولا تطل قال كأن هذا العنان يقول وكلامه فصل لا فضول ومقوله قريب من المعقول الملك أنوشروان سلطان الانس وفرسه سلطان هذا الجنس وقد تجاذبني قوة سلطانين فأين لي طاقة هذا الثبات لهما ومن اين لا جرم ذهب مني الحيل فتمزقت بين سلطان الانس وملك الخيل فأعجب أنوشروان من السائس هذا البيان فانعم عليه واطلقه ومن رق عقابه وعذابه اعتقه وانما اوردت هذا البيان ليتحقق مولانا السلطان ان حركاته ملكة الحركات وصفاته سلطانة الصفات وكلامه ملك الكلام فلا يصرفه في كل مقام وليصنه بالتأمل قبل القول وليحتط لبروزه ويحفظه بالصدق والطول واذا أمر بأمر فلا يرجع فيه بل يستمر على ما أمر به لئلا يقال سفيه ثم اعلم يا ملك الرقاب أن كلا من الثواب والعقاب له حد معلوم ومقدار مفهوم ينبغي للملك أن لا يتعدى لذلك حدا وعلى الملك أن يدني للنصيحة من مودته صحيحة وقد جرب منه الصدق وعلم منه الاخلاص في النطق لا سيما اذا كان ذا عقل صحيح وود صريح ولا ينفر من خشونة النصيحة ومرارتها فبرودة الخاطر وسلامة القلب برقة حرارتها فان الناصح المشفق كالطبيب الحاذق فان المريض الكئيب اذا شكا الى الطبيب شدة ألمه من مرارة فيه يصف له دواء مرا فيزيد حرارته حرا فلا يجد بدا من شربه وان كان في الحال ينهض بكربه لعلمه بصدق الطبيب وانه في الرأي مصيب وما قصده بالدواء المر زيادة الضر وانما قصد بألمه عود الحلاوة الى فيه ولا يستحقر النصيحة ان كانت صادقة صحيحة ولا الناصح خصوصا الرجل الصالح فان سليمان وهو من أجل الانبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام واحد من ملك الدنيا وحكم على الجن والانس والطير والوحش والهوام استشار غلة حقيرة فنجح في امره وخالف وزيره آصف بن برخيا فابتلي بفقره وسلب من جميع ما ملك وصار كاقل اجير الصياد السمك ثم قال الحكيم حسيب ايها الملك المهيب وانا لما رأيت أمور المملكة قد اختلت ومباشري مصالح الرعية قلوبهم اعتلت واعتبروا بالثقيل والخفيف واستطال القوي منهم على الضعيف ومدوا أيديهم الى الاموال بالباطل واظهروا الحالي في حلية العاطل وخرجوا عن دائرة العدل واطرحوا اهل العلم والدين والفضل

محتجة بالفضيلة وممة الاطلاع على الاقوال وحيث اتفقت الآراء على أن يكون المؤلف لهذا الكتاب عليها ومن اختلاف النسخ ووفاقها اليها فبادرت اشارة الامر بصريح الامتثال وسرحت في رياض تلك النسخ سائم الطرف والبال فوجدت المطبوعة أفصحها عبارة وأوضحها اشارة وأوضحها معنى وأحكمها مبنى غير ان فيها الغفلات عادت من سنن العربية وبعض معان ما انتبه الركاكة من أن يقوم بطريقة مرضية فقربت اضعاف المعاني باي لفظ تشتهيه وصاحب البيت أدرى بالذي فيه خصوصا مع وجود المواد التي تكشف عن وجوه الصحة نقاب الاشتباه ومن كان ذا مكنة فلينفق مما آتاه الله فحصلتها على ذلك بما لدي من النسخ التي يخط القلم مع الاعتناء من علم الانسان ما لم يعلم حتى أقررت اشاعة ذلك الكتاب مع غاية التحرير حسب رقة تلك المطبوعة المشرقة بطوالع التنوير على يد مصحح ما بها من الكتب العربية المستمد من مولاه الاعانة والمعونة راجي من الفضل يوفي عبده الرحمن الصيفي

غفر الله ذنوبه وستر في الدارين عيوبه مع سائر المسلمين بحرمة طه ويس عليه الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه الكرام

(باب مقدمة الكتاب) قدمها بهنود بن سحوان ويعرف بعلي بن الشاه الفارسي ذكر فيها السبب الذي من أجله عمل بيدبا

الفيلسوف الهندي رأس البراهمة لدبشليم ملك الهند كتابه الذي سماه كليلة ودمنة وجعله على ألسن البهائم والطير صيانة لغرضه فيه من العوام وضنا بما ضمنه عن الطغام وتنزيها للحكمة وفنونها ومحاسنها وعيونها اذ هي للفيلسوف مندوحة ولخاطره مفتوحة ولمحبيها تثقيف ولطالبيها تشريف وذكر السبب الذي من أجله انفذ كسرى أنوشروان ابن قباذ بن فيروز ملك الفرس برزويه رأس الاطباء الى بلاد الهند لأجل كتاب كليلة ودمنة وما كان من تلطف برزويه عند دخوله الى الهند حتى حضر اليه الرجل الذي استنسخه له سرا من خزانة الملك ليلا مع ما وجد من كتب علماء الهند وقد ذكر الذي كان من بعثه برزويه الى مملكة الهند لأجل نقل هذا الكتاب وذكر فيها ما لزم مطالعه من اتقان قراءته والقيام بدراسته والنظر الى باطن كلامه وانه ان لم يكن كذلك لم يحصل على الغاية منه وذكر فيها حفظه وبرزويه وقراءة الكتاب جهرا

﴿ ٣ ـ فائدة ﴾ وقد ذكر السبب الذي من أجله وضع بزرجمهر بابا مفردا يسمى باب برزويه الطبيب ذكر فيه شأن برزويه من أول أمره وآن مولده الى أن بلغ التأديب وأحب الحكمة واعتبر في أقسامها وجعله قبل باب الأسد والثور الذي هو أول الكتاب (قال)

وتولى المناصب غير أهلها ونزلت المراتب الى غير محلها وحرم المستحقون وابطل المحقون الى أن وقع الاختلال وعم الفساد والضلال وقويت أعضاد الظلمة على العباد وسائر القرى والبلاد وهذا لا يليق بشرف مولانا الملك ولا بأصله ولا يجوز في شرع المروآت يكون الظلم طراز عدله اذ قدره العلي وأصله الزكي أعظم مقاما من ذلك ولا يحسن أن ينتشر الاصيت رأفته في الممالك وعلى الحسير منه بساطه الاكرام وانطوى على ما ترهم صحائف الايام وقد قيل

فان الظلم من كل قبيح * وأقبح ما يكون من النبيه

وقيل

ولم أر في عيوب الناس شيأ * كنقص القادرين على التمام

ما وسعني الا الانحياز الى العزلة والتعلق بذيل الانفراد والوحدة وما أمكنني ان أعمل شيأ ولا أقطع دون العرض على الآراء الشريفة وامتثال ما تبرزه مراسيمها المنيفة فقد قال الناصح في بعض النصائح لا تخاطب الملوك فيما لم يسألوك ولا تقدم على ما لم يأمروك فلما أذن في الكلام في هذا المقام فقلت قطرة من بحور وذرة من طيور ورأيت ذلك واجبا علي ونفعه عائدا الي وذكرت بعض ما وجب على سائر الناصحين ولزم ذكره جميع المسلمين من طريق واحدة ولزمني أنا من طرق متعددة أدناها طريق المروة وأعلاها بل أغلاها وثيق الاخوة التي هي أقوى الاسباب وأعظم الوصلات في هذا الباب فان لحمة القرابة هي السبب الذي لا يقطعه سيف الحدثان والبنيان الذي لا يهدمه معول الزمان وأساس الاخوة عنوان الفتوة قال الله تعالى وعز جلالا وتقدس كمالا سنشد عضدك بأخيك وقال القائل

أخاك أخاك ان من لا أخا له * كساع الى الهيجا بغير سلاح

(وناهيك بازين الملك بقصة الواهي مع الضحاك) قال أخبرنا الحكيم بذلك الحديث القديم قال الحكيم بالنقل عن التاريخ الباذخ الشماريخ أن الضحاك كان من أحسن الناس سيرة وأصفاهم سريرة قد فاق الناس فضلا وبلغ ذكره الآفاق عدلا فتزيا ابليس في صورة الدهاء والتلبيس فزعم ذلك الطباخ انه طباخ وصار كل يوم يهيئ له من أطيب الاطعمة وألذ الاغذية ما يعجز به غيره ولا يقدر أحد أن يسير سيره ولم يأخذ على ذلك جراية فبلغت مرتبته عنده النهاية واستمر على ذلك مدة مديدة وأياما عديدة والناس تكره أن تخدم بغير أجرة خصوصا في هذا الزمان رؤساء الاعيان فقال له الامام في بعض الايام لقد أوجبت علينا يدا وشكرا وما سألتنا على ذلك أجرا فاقترح ما تختار أكافئك بإيثار فقال غنيت عليك أن أقبل بين كتفيك فأذن له بذلك أن يقبل بين كتفي الضحاك فأعجبه ذلك وأجابه وحسر عن بدنه ثيابه وأدار ظهره اليه فقبل ما بين كتفيه ثم غاب عن عينيه ولم يقف على أثره ولا عينه فحين برد ما لثمه ومس فيه جسمه أخذته حكة وشكه وموضع لثمه شكة ثم خرج من موضع فيه سلعة تلذعه شر لذعة وتلسعه أعظم لسعة ثم صارا حيتين أشبتا كيتين فصار يستغيث ولا مغيث فطلب الاطباء فعالجوا هذا الداء فلم يقر له قرار ولم يأخذه سكون ولا اصطبار الا بدماغ الانسان دون سائر الحيوان فديدا القتل ولأجل الأدمغة استعمل السفك فضجر الناس لهذا البأس وساحوا وناحوا وغدوا مستغيثين وراحوا فوقع الاتفاق بعد الشقاق على الاقتراع لدفع النزاع فمن خرجت قرعته كسرت قرعته وأخذ دماغه وحصل لغيره فراغه فعالجوا به الحيتين وغذوا به الحيتين فيبرد الألم ويخف السقم ففي بعض الأدوار خرجت القرعة على ثلاثة أنفار فربطوا بالأغلال ودفعوا الى النكال ليجري عليهم ما جرى على الأمثال فبينما هم في الحبس بين طالع نحس وطرد وعكس وقف للضحاك امرأة وشبه واستغاثت به في هذه القضية فأدناها وسأل مادهاها فقالت ثلاثة أنفار من دار لا صبر لي عنهم ولا قرار وحاشى عدل السلطان أن يرضى بهذا العدوان ولدي كبدي وأخي عضدي وزوجي معتمدي وكل مسحوب يسقى كاس المنون فرقانا

الضحاك وقال لا يهمهم الهلاك فاذهبي بامرأة ثلاثة واختاري واحدا من الثلاثة وجهزها الى الحبس ليقع اختيارها على من يدفع البأس فتصدت لها الزوج وتمنى الخلاص من ذلك الزوج فتذكرت ما مضى من عيشها معه وانقضى واستحضرت طيب اللذات والاوقات المستلذات فأنت اليه ومالت عليه فتحركت الانفس الانسانية والشهوة الحيوانية فهمت بطلبه وتعلقت بسببه فوقع بصرها على ولدها فلذة كبدها فرأت صباحة خده ورشاقة قده فتذكرت طفوليته وصباه وتربيتها اياه وحمله وارضاعه وتناغيه وأوضاعه فعطفت عليه جوارحها ومالت اليه جوانحها فقصدت ان تختاره وتريح أفكاره فلمحت أخاها باكيا مطرقا عانيا قد أيس من نفسه وتيقن الاقامة بحبسه لانه يعلم انها لا تترك زوجها وابنها ولا تختاره عليهما ولا تميل الا اليهما فافكرت طويلا واستعملت الرأي الصائب دليلا ثم أداها الفكر الدقيق وأرشدها التوفيق وقالت أختار أخي الشقيق فبلغ الضحاك ما كان من أمرها واختيارها الاخ بعد تفكرها فدعاها وسألها عن سبب اختيارها أخاها وقال ان أتيت بجواب صواب وهبتهم اياك مع زيادة الثواب وان لم تأت بفائدة قاطعة وعائدة في الجواب نافعة كانت في قتلهم الرابعة فقالت اعلم واسلم أني ذكرت زوجي وطيب عشرته وأوقات معانقته ولذته وما مضى معه من حسن العيش وانقضى من خفة الاحلام والطيش فملت اليه وعولت في الطلب عليه ثم أبصرت ابني فتذكرت مقامه في بطني وما مضى عليه من عاطفة وشفقة عامة في الايام السالفة فهيجني حبه القديم وشكله القويم فملت الى اختياره وخلاصه من بواره ثم لمحت أخي المتقدم عليهما فقست مقامه بالنظر اليهما فقلت اني امرأة مرغوبة فتية عاقلة مطلوبة ان راح زوجي فمنه بدل وان حصل الزوج جاء الولد وحصل فنعم الارض وجد عنهما العوض وأما الاخ الشقيق فما عنه عوض في التحقيق لان أبوينا ماتا وفاتا وصارا تحت الارض رفاتا فهذا الذي أدى اليه افتكاري ووقع عليه اختياري وأنشد لسان الحال فيما قال (شعر)

وكم أبصرت من حسن ولكن * عليك من الورى وقع اختياري

قال فاستحسن الضحاك هذا الكلام ووهبها جماعتها مع زيادة الانعام (قال الحكيم) وانما أوردت هذا المثل لمولانا الملك الاجل وعرضته على الحضار ومسامع النظار ليعلم ان لي عن كل شئ بدلا وأما عن مولانا السلطان فلا كما قال من أجاد في المقال

وقد تعوضت عن كل بمشبهه * فما وجدت لايام الصبا عوضا

وليس لي عوض الا في بقاء ذاتك المحروسة ودوام حياتك العزيزة المأنوسة ثم اني أخاف والعياذ بالله تعالى ان هذه الفتن التي قد أقبلت والحركات الداهية التي وجوه الخلاص منها قد أشكلت تستأصل شأفة اسلافنا الكرام وتقرض شرف أجدادنا الملوك العظام فاخترت العزلة لذلك فانها أسلم الطرق والمسالك (قال الملك) لقد صدقت اذ نطقت وتحريت الصواب في الخطاب وأنا أتحقق حسن نيتك وخلوص طويتك وحسن وفائك ويمن آرائك فانك أخ شفيق وصدوق صديق ولكن نعلم ان هذا الوزير رجل خطير ورأيه مستنير وفضله غزير وهو من أصل كبير وله علينا حق كثير وأريد أن يقع ما عزمت عليه وفوضت فكرك الصيب اليه مع محاورته ومناظرته ومشاورته فان كلا منكما ناصح مشفق وحكيم مدقق وعالم محقق وفي مثل هذه الاشياء اذا اتفقت الآراء وطال النفس تكاشف نور القبس وطال البحث وتمكن التحنث وصح الحق ووضح الصدق لاسيما اذا كان الكلام بين عالمين والسؤال والجواب من فاضلين كاملين (قال الحكيم) أيها الملك العظيم اذا قام الانسان في صدد المعارضة وتصدى في البحث الى المباكتة والمناقضة لاسيما ان كان من أهل الفصاحة واللسن وساعده في ذلك الادراك الحسن لا يعجز ان يقابل الايجاب بالسلب والاستقامة بالقلب والعكس بالطرد والقبول بالرد ويكفي في جواب

المتكلم

على بن الشاه الفارسي كان السبب الذي من أجله وضع بيدبا الفيلسوف لدبشليم ملك الهند كتاب كليلة ودمنة أن الاسكندر ذا القرنين الرومي لما فرغ من أمر الملوك الذين كانوا بناحية المغرب سار يريد ملوك المشرق من الفرس وغيرهم فلم يزل يحارب من نازعه ويواقع من واقعه ويسالم من وادعه من ملوك الفرس وهم الطبقة الاولى حتى ظهر عليهم وقهر من ناواه وتغلب على من حاربه فتفرقوا طرائق وتمزقوا خرائق فتوجه بالجنود نحو بلاد الصين فبدأ في طريقه بملك الهند ليدعوه الى طاعته والدخول في ملته وولايته وكان على الهند في ذلك الزمان ملك ذو سطوة وبأس وقوة ومراس يقال له (فور) فلما بلغه اقبال ذي القرنين نحوه تأهب لمحاربته واستعد لمجاذبته وضم اليه أطرافه وجد في التألب عليه وجمع له العدة في أسرع مدة من الفيلة المعدة للحروب والسباع المضراة للوثوب مع الخيول المسرجة والسيوف القواطع والحراب اللوامع فلما قرب ذو القرنين من فور الهند وبلغه ما قد أعد له من الخيل التي كأنها قطع الليل مما لم يلقه بمثله أحد من الملوك الذين كانوا في الاقاليم تخوف ذو القرنين من تقصير يقع به ان عجل المبارزة وكان ذو القرنين رجلا ذا حيل ومكايد مع حسن تدبير وتجربة فرأى اعمال الحيلة والتمهل واحتفر خندقا على عسكره وأقام بمكانه لاستنباط الحيلة والتدبير لامره وكيف ينبغي له أن يقدم على الايقاع به فاستدعى بالمنجمين وأمرهم بالاختيار ليوم موافق تكون له فيه سعادة لمحاربة ملك الهند

المتكلم اذا اورد مسئلة لا تسلم وقد قيل فى الاقاويل لا تنفع الشفاعة باللجاج ولا النصيحة بالاحتجاج اما انا فقد بذلت جهدى وأديت فى النصيحة ما عندى وكشفت عن مخدرات التحقيق استار السبك وكررت على محك التصديق آثار الملك فان وعيتم كلامى بسمعى فقد تبين الرشد من الغى وان أعرضتم عن عين اليقين فلا اكراه فى الدين فتصدى الوزير الكلام وحسر عن ثغر بيانه اللثام وبرز فى ملابس الابنة والخداع وسلك بخبث الطباع طرق الملاطفة والاصطناع ودس السم فى الشهد ونزل من اليفاع الى الوهد وقال الحمد لله الكريم الذى من على مولانا الملك بهذا الاخ الحكيم الفاضل العالم الكامل العالم الناظر فى العواقب ذى الرأى المصيب والفكر الثاقب فلقد بالغ فى النصيحة بعباراته الصحيحة واشاراته المليحة وكل شئ ابداه الى المسامع وأنهاه هو الذى يرتضيه العقل ويرضيه العدل ويقبله الطبع القويم اذ هو المنهج المستقيم يترتب عليه الذكر الجميل ويحصل به الثواب الجزيل لكن الذى نعرفه فى حفظ الرياسة واقامة ناموس السياسة هو الذى عليه القوم فى هذا اليوم وجرت عليه عادات الاكابر وانخرط فى سلكه الاصاغر فان الزمان فسد والفضل فيه كسد وزاد فيه الحقد والحسد وتشرب المكر والاذى الروح والجسد وكل فى الروغان ثعلب وفى العدوان أسد وصار هذا مقتضى الحال والمحمود من الخصال والمطلوب من الرجال والناس يدورون بزمانهم بقدر مكانهم وامكانهم وقد قيل الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم وبعض السياسات عند أهل الرياسات يقتضى العقوبة بالتغريم وأخذ المال بالترسيم ولولا عفو الملك عن المجرم ما طمع كل مؤذ ومجرم ومن الحماقة والبله معاقبة من لا ذنب له فان وضع الاشياء فى محالها وزمام الامور والمناصب فى يد أهلها هو أحد قوانين الشرع والسياسة ومقتضى العقل والكياسة والعدل والرياسة والعقل والفراسة والفضل والنفاسة وناهيك ايها الحكيم الفاضل قول القائل

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه ۞ يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وما قيل

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى ۞ حتى يراق على جوانبه الدم

ومن مقالات الملك أتابك أردشير بن بابك رب اراقة دم تمنع من اراقة دم وفى أمثال العرب القتل أنفى للقتل وقيل

لعل عتبك محمود عواقبه ۞ وربما صحت الاجساد بالعلل

وهذا كله مصداق قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة (وناهيك بذا القدر انظر قصة قابوس بن وشكمير) قال الحكيم للوزير أخبرنى أيها الدستور الكبير بكيفية ما أنت اليه مشير قال الوزير ذكر ان قابوس بن وشكمير ذلك الاسد الكبير قبض على جماعة كانوا جبذوا أيديهم من الطاعة من أركان دولته وبنيان صولته ثم قيدوه وحبسوه واقاموا ولده مقامه واجلسوه ثم انهم لم يأمنوا غوائله وافكار المائلة فتآمروا ان يسكوه ويعمد والى دمه فيسفكوه فارسلوا اليه قاتلا فوثب اليه سائلا وقال له ما سبب قتلى وما بالهم من أجلى مع كثرة احسانى اليهم وانسيال ذيل اكرامى وانعامى عليهم وتربيتى اياهم كالاولاد وفلذ الاكباد وصونى اياهم عن آذاهم فقال كثرة اراقة الدماء اهاجت عليك الغرماء وأكثرت لك الخصماء لما تغيرت خواطرهم عليك خافوا وقبل أن تحيف عليهم حافوا فقال قابوس والله ما سبب هذا التحكد والبوس واثارة هؤلاء الخصماء الا قلة اراقتى للدماء ولو أراق دماء القائمين على لما وصل هذا المكروه الىّ فلما أبقيت عليهم أفنونى وحين تركت آذاهم آذونى وانما أوردت هذا النظير لتقف على ان تدبير امور الرياسة وقواعد السياسة كانت تقتضى السبك وأحرى بالعفو والترك وأما الآن فذلك الحكم قد انفسخ والفساد فى قلوب العباد رسخ وقد قيل

تلجى الضرورات فى الامور الى ۞ سلوك ما لا يليق بالادب

ومزاج الزمان قد تغير والمعروف منه قد تنكر وقد أعرضوا عن طاعة السلطان واتبعوا خطوات الشيطان

والنصرة عليه فاشتغلوا بذلك وكان ذو القرنين لا يمر بمدينة الا أخذ الصناع المشهورين من صناعها الحذق من كل صنف فانبعثت له همته ودلته فطنته أن يقدم الى الصناع الذين معه أن يصنعوا فيلا من نحاس مجوفة عليها ۞ تماثيل من الرجال على بكرة تجرى اذا دفعت مرت سراعا وأمر اذا فرغوا منها أن تحشى أجوافها بالنفط والكبريت وتلبس وتقدم امام الصف فى القلب ووقت ما يلتقى الجمعان تضرم فيها النيران فان الفيلة اذا افترشت خراطيمها على الفرسان وهى حامية ولت هاربة وأوعز الى الصناع بالتشمير والانكماش والفراغ منها فجدوا فى ذلك وعجلوا وقرب أيضا وقت التقاء الجيشين فعاد ذو القرنين رسله الى فور يدعوه اليه من طاعته والاذعان لمواقعه فاجاب جوابا مصرا على مخالفته مقدما على محاربته فلما رأى ذو القرنين عزيمته سار اليه باهبته وقدم (فور) الفيلة أمامه ودفعت الرجال تلك الفيل وتماثيل الفرسان فاقبلت الفيلة نحوها وافترشت خراطيمها عليها فلما أحست بالحرارة ألقت من كان عليها وداست تحت أرجلها ومضت مهزومة هاربة لا تلوى على شئ ولا تمر بأحد الا وطئته وتقطع (فور) وجمعه وتبعهم أصحاب الاسكندر وأثخنوا فيهم الجراح وصاح الاسكندر يا ملك الهند ابرز الينا وابق على عدتك وعيالك ولا تحملهم على الفناء فانه ليس من المروءة ان يرمى الملك بعدته فى المهالك المتلفة والمواضع المجحفة بل يقيهم بماله ويدفع عنهم بنفسه فبرز اليه ودع الجند فاسفا فهو وصاحبه فهو الاسد فلما سمع فور من ذى القرنين ذلك الكلام دعته نفسه

وكل منهم قد شرخ وباض الشيطان في دماغه وفرخ وتصورنيل الآلة الفاسده وهي الآلة الكاسده انه بما يكيد يبلغ ما يريد وهيهات وشتان

لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

وهذا كما قال الله تعالى يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا وما شعروا ان الملوك والسلاطين ممن اختاره الله تعالى والبسه من خلع جبروته كمالا وجلالا وجعلهم بأموره قائمين وامين عنايته محوطين وكما ان الرسل والانبياء والسادة الاعلام الاصفياء هم صفوة الله من خليقته ومختاروه من خير بريته من غير كد ولا جهد ولا سعي منهم ولا بعد ما ربطوا على النبوة والرسالة ولا رشوا على نيل هذه الكرامة والنبالة فانما هو محض فضل من الله تعالى وعناياته والله اعلم حيث يجعل رسالاته كذلك الملوك والسلاطين والقائمون باقامة شعائر الدين هم ممن اختاره الله على خلقه واجرى على يديهم مجاري كرمه ورزقه والسلطان ظل الله في ارضه يجري بين عباده شريعة نفله وفرضه قال من له الخلق والامر اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر وقد غفل اهل هذه الممالك عن السلوك في هذه المسالك وعن درك هذه الحقائق واعرضوا عن الدخول في احسن الطرائق وهي طريق المعاشرة والصفح والمكارمة وعدوا المكر من احسن الرياسة والعقل والكياسة والحيل لاكل اموال الناس من الدهاء ومظالم العباد من خلال الصدق والصفاء وتلقوهم الملوك والسلاطين من اسباب الوصول الى الاغراض مع تحسين الظواهر وفي البواطن امراض فظواهرهم ظواهر الانس تشتمل على المودة والانس وما فيهم تحت الثياب الا كلاب وذئاب ولاجل هذا سلط الله عليهم ومد يد بطشنا اليهم فعاملهم بالفراسة ونعمل بما تقتضيه الكياسة وتصويبه الآراء السلطانية من قواعد السياسة قال الحكيم حسيب بعدما ادرك ما في هذا الكلام من نكر غير مصيب اعلم ايها الوزير النافع الناصح والدستور الشفيق المصالح ان الرعية بمنزلة السراج والملك بمنزلة الشمس في الابراج واذا تلالا على صفحات الاكوان وانار في وجه الزمان والمكان اشعة نور الشمس الوهاج فاي شعاع ووجود يبقى للسراج وان انوار قلوب الرعايا وما يحصل لها من اشراق ومزايا انما هي من فيض اشعة ملوكهم وان الرعية تتبع الملوك في سلوكهم فاذا صفت مرآة قلب السلطان اشرقت بالطاعة قلوب الرعايا والاعوان بل الزمان والمكان تابعان لما يضمره وينويه السلطان وقد قيل اذا تغير السلطان تغير الزمان (وهل اتاك ايها الدستور واقعة الرئيس مع بهرام جور) قال الوزير اخبرنا ياباقعة كيف كانت تلك الواقعة قال الحكيم اخبرني شيخ عليم بالفضل مشهور ان بهرام جور وكان ذا ايد عزم على الصيد فخرج في عسكر جرار واستوى في الصحاري والقفار وبينما هم قد تفرقوا في تلك الاقطار الا وقد تحركت ريح الشمال غربال المطر ثم تراكم من السحاب على وجه عروس السماء النقاب وانهل الغمام المدرار وصارت الدنيا حفات تجري من تحتها الانهار واقبلت سوابق السيول تجري في مضمار الخيول فتشتت العساكر وتشوشت الخواطر فقصد بهرام جور كفرا من الكفور وطلب القرى من تلك القرى منفردا عن عسكره مخفيا من خبره فنزل بيت الرئيس وهو رجل خسيس فلم يقم من حقه بالواجب لانه لم يعلم ذلك الراكب فتشوش خاطره وتكدرت ضمائره وتغيرت عليهم نيته وان لم تتغير بشريته فلما اقبل الليل جاء الراعي وهو يدعو بالويل ويشكو كثرة المحن من قلة اللبن وذكر ان المواشي لم تدر ضروعها مع ان رعيتها كانت احسن مرعى ولا وقف لذلك على سبب ولا ادرى كيف حال حالها وانقلب وكان للرئيس بنت تخجل الاقمار بخدها وتقصف الاغصان على قدها فلما سمعت كلام الراعي قالت والله انا اعرف السبب والداعي وهو ان السلطان الذي نيته حفظ اوطاننا تغيرت نيته علينا وتقدم ضميره بالسوء الينا فظهر النقص في ماشيتنا وسيتعدى ذلك الى انفسنا وحاشيتنا وقد قيل اذا هم الحاكم بالجور على الرعايا ادخل الله النقص في اموالهم حتى الزروع والضروع قال ابوها فاذا

الاقاليم باصنافه وظن ذلك فرصة فجهز اليه الاسكندر فقتلوا ولا على ظهري فرسيهما ساعات من النهار ليس يلقى احدهما من صاحبه فرصة ولم يزالا يتعاركان فلما اعيا الاسكندر امره ولم يجد له فرصة ولا حيلة اوقع ذو القرنين في عسكره صيحة عظيمة ارتجت لها الارض والعساكر فالتفت فور عند ما سمع الزعقة وظنها مكيدة في عسكره فعاجله ذو القرنين بضربة امالته عن سرجه وتبعها باخرى فوقع الى الارض فلما رأت الهند ما نزل بهم وما صار اليه ملكهم حملوا على الاسكندر فقاتلوه قتالا صبروا فيه الموت فوعدهم من نفسه الاحسان ومنحهم الله اكتافهم فاستولى على بلادهم وملك عليهم رجلا من ثقاته واقام بالهند حتى استوثق له ما اراد من امرهم واتفاق كلمتهم ثم انصرف عن الهند وخلف ذلك الرجل عليهم ومضى متوجها نحو ما قصد له فلما بعد ذو القرنين عن الهند بجيوشه تغيرت الهند عما كانوا عليه من طاعة الرجل الذي خلفه عليهم وقالوا ليس يصلح للسياسة ولا ترضى الخاصة والعامة ان يملكوا عليهم رجلا ليس هو منهم ولا من اهل بيوتهم فانه لا يزال يستذلهم ويستقلهم واجتمعوا يملكون عليهم رجلا من اولاد ملوكهم فملكوا عليهم ملكا يقال له دبشليم وخلعوا الرجل الذي كان خلفه عليهم الاسكندر فلما استوثق له الامر واستقر له الملك طغى وبغى وتجبر وتكبر وجعل يغزو من حوله من الملوك وكان مع ذلك مؤيدا مظفرا منصورا فهابته الرعية فلما رأى ما هو عليه من الملك والسطوة عبث بالرعية واستصغر امرهم

وأساء السيرة فيهم وكان لا يرتقي حاله الا ازداد تمردا وأكب على ذلك برهة من دهره وكان في زمانه رجل فيلسوف من البراهمة فاضل حكيم
يعرف بفضله ويرجع في الامور الى قوله يقال له بيدبا فلما رأى الملك وما هو عليه من الظلم للرعية فكر في وجه الحيلة في صرفه

كان الامر كذلك فلا مقام لنا في هذه المهالك فالاولى ان نتحول عن هذا المكان الى مقام لا يصل فيه سوء
رعيته السلطان ونستريح في ظل حاكم ونرتعي في مسارح مكارمه كل هذا وبهرام يصغي الى هذا الكلام
فقالت البنت ان كان ولابد من الانتقال واقتضاه مطية الارتحال فنصنع بهذه الاثقال والازواد الثقال
نقدم لهذا الضيف منها ما يحصل التخفيف عنها ويقع بذلك فائدتان احداهما حسن الضيف وثانيتهما
التخفيف فامتثل أبوها أمر بنته ونقل الى الضيف ما حواه بيته من طعام وشراب ونقل وكباب وبسط
بساط النشاط وأخذ في دواعي الانبساط وانتقل من المفاتحة الى المكالمة والمنادمة وعمل بموجب ما قيل

وما بقيت من اللذات الا ❊ أحاديث الكرام على المدام

فلما هجم جيش السكر وهزم جند العقل والفكر تذكر بهرام مجالسه ومؤانسته فيها ومحادثته وما فيها من
منازلة الغزلان وأصوات الاغاني والقيان فأبانت حشمة السلطنة عن مضمرها وتفوه بما يلوح بجوهرها
وشاقت نفسه الى معتادها فأعرب بلطفها عن مرادها وقال الرئيس أيها النديم الكيس لو كان لنا من
يطارحنا بصوته ويبهجنا بصورته ولو انه وصيفة أو ذو صورة لطيفة ولا نطلب زيادة عن النظر وحسن
المفاكهة والسمر والمنادمة الى السحر لزالت وحشة الاغتراب ودهشة حدة الشراب فانه قيل الشراب بغير
نغم غم وبغير دسم سم وان مذهبنا ما قيل

اتأذنون لصب في زيارتكم ❊ فانكم في محل السمع والبصر
لا يضمر السوء ان طال الجلوس به ❊ عف الضمير ولكن فاسق النظر

فنهض الرئيس وترك مذهب التلبيس واستعمل المروة وسلك سبيل الفتوة وأنشد بقوله

وكل قيادة لاخ وخل ❊ بلا جعل فتلك من المروأة

وأخطر البال ما نظمه الشاعر وقال

يا ناظم الشعر في مقام فتى ❊ يقود فاسمع مقالة الظرفا الف هذا صروفه صحت ❊ ممة هذا فألف الظرفا

ومن مذهب المجوس اباحة فرج العروس فدخل في بيته وذكر ما جرى بينه وبين ضيفه لابنته وقال أي
ربيبة الحسن والاحسان أظن أن ضيفنا من أكابر الاعيان ومعروف في حضرة السلطان وقد التمس مني
ما يزيد سروره ويفيد حضوره حبوره ويلهيه بمفاكهته وحسن منادمته وما عندنا من يصلح لذلك أي
مادة السرور سواك وأنا أعرف بعفتك ونزاهتك وحسن محاضرتك ومفاكهتك وصيانة رأيك ورزانة
عقلك وذكائك فان رأيت أن تتنعمي بالنظر الى جمالك وتتفكهي بفضلك ودلالك ولو بلحظه أو بلفظه ثم
تعودي الى كناسك بين أهلك وناسك فقالت الامر منك واليك وما اريد أن أشق عليك وليس في ذلك
عار ولا في خدمة الضيف واكرامه شنار فأجابت اباها وكان ذلك عن رضاها بل حل قصدها ومناها
فأقبلت الى خدمة الضيف ولعبت معه من لطائفها وقدها بالرمح والسيف الى أن صادت بلحظها المكسور
فأمسى قلبه وهو في يدها مأسور وكان قد خرج للصيد فصيد وصار مع سلطانه لها من جملة العبيد ثم انه
أنشد بقول

أرى ماء وبي عطش شديد ❊ ولكن لا سبيل الى الورود

ثم قرر في ضميره انه اذا وصل الى سريره يطلب هذا الرئيس ويصاهره ويقدمه في هذه القرية ويباشره ويجعل
نفقة يخونه ويسلم الى أبيها حسنه فما استتم هذا الخاطر الا وظهر سحق بها ثم الراعي المقتير وقال ان الغنم التي
ما رضعت بقطرة ولا درت بدرة وقد امتلأت ضروعها اللبن الحاملة فهي دارة حافلة فقد صارت كالسيول على
السابلة فلم يبق وعاء الا امتلأ وقد روى من الجيران الملأ وهاهي تخضب وتسيل وفاضت فأروت الحقير
والجليل وأغنت الجيران وكانوا غدران فقالت بنت الرئيس قد أراد التقديس الذي اصطفينه سلطاننا
حتى استقر رنا في أوطاننا وعاد علينا ما سلبناه ورجع الينا ما طلبناه فعجب بهرام من جودة هذه الامور

عما هو عليه ورده الى
العدل والانصاف فجمع
لذلك تلامذته وقال
أتعلمون ما أريد أن
أشاوركم فيه اعلموا أني
أطلت الفكرة في دبشليم
وما هو عليه من الخروج
عن العدل ولزوم الشر
ورداءة السيرة وسوء العشرة
مع الرعية ونحن ما نروض
أنفسنا لمثل هذه الامور اذا
ظهرت من الملوك الا
لنردهم الى فعل الخير
ولزوم العدل ومتى أغفلنا
ذلك وأهملناه لزم وقوع
المكروه بنا وبلوغ
المحذورات الينا اذا كنا
في أنفس الجهال أجهل
منهم وفي العيون عندهم
أقل منهم وليس الرأي
عندي الجلاء عن الوطن
ولا يسعنا في حكمتنا
ابقاؤه على ما هو عليه
من سوء السيرة وقبح
الطريقة ولا يمكننا
مجاهدته بغير السنتنا ولو
ذهبنا الى أن نستعين
بغيرنا لم تتهيأ لنا معاندته
وان أحس منا بمخالفته
وانكارنا سوء سيرته
كان في ذلك بوارنا وقد
تعلمون ان مجاورة السبع
والكلب والحية والثور
على طيب الوطن ونضارة
العيش لغدر بالنفس
وان الفيلسوف لحقيق

أن تكون همته مصروفة الى ما يحصن به نفسه من نوازل المكاره ولواحق المحذور ويدفع المخوف لاستجلاب المحبوب ولقد كنت أسمع
أن فيلسوفا كتب لتلميذه يقول ان مجاور رجال السوء ومصاحبهم كراكب البحر ان سلم من الغرق لم يسلم من المخاوف فاذا هو أورد نفسه

موارد الهلكات ومصادر الخوفات هذه من الحيرة التي لا نفس لها الا انها من ذوات البهيمة قد شمت في طباعها أمها معرفة ما تكتسب به
النفع وتتوقى به المكروه وذلك ان المزرعة تورد انفسها موردا فيه هلكتها وانها متى أشرفت على مورده ملك لها ماتت بطباعها التي

ولما أصبح الصباح وركب فرسه وراح استقر في ولايته الزاهرة وأمضى ما كان نواه من المصاهرة وأسبل عليه ذيل الانعام وزاده من الاكرام ما انتظم به أمره واستقام وانما أوردت هذا الخبر لتعلموا أن الزمان في الجور والمور مطيع لما أضمر السلطان وما أظهر وما أسلفه في أمر رعيته وما أمر وقد قيل عدل السلطان خير من خصب الزمان واذا لم يكن الملك برعيته شفيقا ولا بارا ولا رفيقا ولم يتجاوز عن مسيئهم متلهفا لدعائهم مشفوقا بجبرهم محسنا لمحسنهم فانما يحفظ ما عنهم فالاولى بهم أن يهاجروا عن مملكته ويخرجوا عن اقليم ولايته قال رب العالمين لنبيه وحبيبه سيد المرسلين ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فينبغي للحاكم ان لا يؤاخذ احدا بجريرة أحد أبدا قال الله جل ذكرا ولا تزر وازرة وزر أخرى ولو طالب أحد بجريرة أحد ولحق البريء بسبب المذنب عقوبة لكد افسدت المملكة وانتشرت المهلكة واضطربت الرعية وانخرمت القواعد العلية ولو فعل ذلك المتقدم من الملوك لهلك الصعلوك وانسد الطريق المسلوك وانخرمت القاعدة على المالك والمملوك ولم يبق للتاجر شيء ولا لاهل وجه الارض حي ويجب على من باشر عند الملوك أمرا من الامور أو حكما على الجمهور ان يكون في دينه متينا وعلى الناس امينا سديد الفكر قويم النظر صدوق النطق ظاهر الصدق دائر مع الحق يقظان مراقب في خواتيم امره والعواقب عادلا بين الاخصام شفيقا على الخاص والعام ثابتا في النوازل معدودا في العوازل مشغولا بتهذيب نفسه متذكرا يومه في غده وأمسه متميزا بالشمائل المرضية على ابناء جنسه واضعا الاشياء في محلها منفصلا بنفسه عن جدالها وقالها مقيما كل أحد في مقام لا يتعداه ومنصب معلوم لا يتخطاه حتى تستقيم بذلك أمور المملكة وتصان من الوقوع في مهاوي التهلكة ويطمئن خاطر مخدومه ويركن اليه في منطوق قوله ومفهومه فيقبل قوله وفعله ويعرف فضله وفضله وكذلك يجب ان يكون الملك كريم الاعراق لطيف الاخلاق شريف الاخلاق وان يكون في جميع احواله متمسكا بل افضاله مراعيا سيرة اجداده من الملوك سالكا طريقة الملوك من حسن السلوك لان من لا يشيد اركان اسلافه ولا يقوي بنيان اشرافه يصيبه مثل ما أصاب الذئب مع الجدي الفتى المصيب فسأل الملك من اخيه أن يذكر ذلك المثل ويبينه فقال الفتى يا ملك الاراضي انه كان في بعض الغياض لذئب وجار اهل وجار فخرج يوما لطلب الصيد ونصب لذلك شباك الكيد وصار يجول ويصول ولا يقع على محصول فأثر فيه الجوع واللغوب وآذنت الشمس بالغروب فصادف بعض الرعيان يسوق قطيعا من الضان وفيها بعض جديان فهم عليها لشدة الجوع بالهجوم ثم ادركه من خوف الراعي الوجوم لانه كان متيقظا وعلى ماشيته متحفظا فجعل يراقبه من بعد والحرص والشره يزيد والراعي سائق والذئب عائق فتخلف جدي غبي فغفل عنه الراعي الذكي فأدركه الذئب النشيط واقتطعه بأمل بسيط وبشر نفسه بالظفر وطار بالفرح واستبشر فلما رأى الجدي الذئب علم انه أصيب بيوم عصيب وظفر منه بأوفر نصيب فتدارك نفسه بنفسه واستحضر حيلته وحدسه وتكره بما أضمره في نفسه وعلم انه لا ينجيه من هذه الورطة الوبيلة الا مغيث الخداع والحيلة واذكر الخاطر ما قال الشاعر

واكن اخو الحزم الذي ليس نازلا * به الخطب الا وهو بالقصد يبصر

فتقدم بجاش طامن وقبل الارض بين يدي الذئب وقال حياك الراعي جناب داعي يسلم عليك وقد ارسلني اليك بشكر صداقتك وشفقتك وصحبتك ومرافقتك ويقول قد تركت بحسن آدابك عادة اجدادك وآبائك فلم تتعرض لمواشيه وحفظت بنظرك حواشيه وقد حصل اضعافها الشبع وامست بجوارك آمنة من الجوع والفزع وحصل لها الامن من الجزع فالله يجعل جوارك وغياضك احسن مجتمع لان عجاف ماشيته شبعت ورويت وانتعشت وقويت فأراد مكافأتك وتطلب مصافاتك ومصادقتك فأرسلني اليك انا كافي وأوصاني أن أطربك بالغنى فاني حسن الصوت في الغناء وصوتي يزيد في شهوة الغذاء فان

ركبت فيها بانفسها وصيانتها الى النفور والتباعد عنه وقد جئتكم لهذا الامر لانكم أسرتي ومكان سري وموضع معرفتي وبكم أعتضد وعليكم أعتمد فان الوحيد في نفسه والمنفرد برأيه حيث كان فهو ضائع ولا ناصر له على ان العاقل قد يبلغ بحيلته ما لا يبلغ بالخيل والجنود والمثل في ذلك ان قنبرة اتخذت ادحيتها وباضت فيها على طريق الفيل وكان للفيل مشرب يتردد اليه فمر ذات يوم على عادته ليرد مورده فوطئ عش القنبرة وهشم بيضها وقتل فراخها فلما نظرت ما ساءها علمت ان الذي نالها من الفيل لا من غيره فطارت فوقعت على رأسه باكية ثم قالت أيها الملك لم هشمت بيضي وقتلت فراخي وأنا في جوارك أفعلت هذا استصغارا منك لامري واحتقارا لشأني قال هو الذي حملني على ذلك فتركته وانصرفت الى جماعة الطير فشكت اليها ما نالها من الفيل فقلن لها وما عسى ان نبلغ منه ونحن طيور
فقالت للعقاعق والغربان أحب منكن ان تسرن معي اليه فتفقأن عينيه فاني احتال له بعد ذلك بحيلة

اقتضى

أخرى فأجابوها الى ذلك وذهبوا الى الفيل فلم يزالوا ينقرون عينيه حتى ذهبوا بهما وبقي لا يهتدي الى طريق مطعمه ومشربه الا ما يقممه من

اقتضى رأيك الاسعد غنيت لك غناء ينسي أبا اسحق ومعبد وهو شئ لم يظفر به آباؤك ولا أجدادك ولا ينااله أعقابك واولادك يقوى كرمك وشهوتك وقرمك ويطيب ما كلك ويسوغ ما ملك وان صوتي للذيذ الذ للجائع من جدي حنيذ بخبز سميذ وللعطشان من قدح نبيذ ورأيك أعلى وامتثالك أولى فقال الذئب لا بأس قد أجبت سؤالك فغن ما بدالك فرفع الجدي عقيرته ورأى في الصياح خيرته وملأ الدنيا عياطا وأعقبه ضراطا وأنشد

وعصفور الهوى يهوى جراده * كما عشق الخروف أبا جعاده

فاهتز الذئب طربا وتمايل عجبا وتعجبا وقال أحسنت يا زين الغنم ولكن هذا الصوت من ألم فارفع صوتك في الزير فقد أعجبت البلابل والزرازير وزدني يا مغني قولي أقرهذا الزمان عيني * بالجمع بين الاني وبيني ولكن يا سيدي المغني هذا من أوج الحسيني فاغتنم الجدي الفرصه وأزاح بعياطه الغصه وصرخ صرخة أخرى اذ كره الطامة الكبرى ورفع الصوت كمن عاين الموت وخرج من دائرة الحجاز الى العراق وكاد يحصل له من ذلك الانفتاق وقال

قفوا ثم انظروا حالي * أبو مذقة آكالي

فسمعه الراعي يشدو فأقبل بالطراق يعدو فلم يشعر الذئب الذاهل وهو لحسن السماع غافل الا والراعي بالعصا على قفاه نازل فرأى الغنيمة في النجاه وأخذ في طريق النجاه وترك الجدي وأفلت ونجا من سيف الموت المصلت وصعد الى تل يتلمظ بعدما انفلت فأقبل يأكل يديه ندامة ويخاطب نفسه بالملامة وقال أيها الغافل الذاهل والاحمق الجاهل متى كان على سماط السرحان الغناء والاوزان وأي جد لاسلافي وأب مفسد جاني كان لا يأكل الا بالاغاني وعلى صوت المثالث والمثاني فلولا أنك ما عدلت عن طريقة آبائك ما فاتك لذيذ غذائك ولا أمسيت جائعا تتلوى وبجمر فوات الفرصة تتكوى وبات يحرك ضرسه ونابه ويخاطب نفسه لما نابه ويقول

وعاجز الرأي مضياع لفرصته * حتى اذا فات أمر عاتب القدرا

وانما أوردت هذا النظير لمولانا الملك والوزير ليعلم أن العدول عن طرائق الاصول ليس الا داعية الفضول ولا يساعده معقول ولا منقول وأمور ذميمة وعاقبة وخيمة وناهيك ما هو كالعلم ومن يشابه أبه فما ظلم ويؤخذ من مفهوم هذه الحكم أن من لم يشابه أبه فقد ظلم خصوصا الملوك والسلاطين الذين اختارهم رب العالمين وذلك لئلا يدخل على قواعد ممالكه من حركات الاختلال والاختلاف حركه ولله يا ذا الاحسان ما قيل في شأن الملك أنوشروان

لله در أنوشروان من رجل * ما كان أعرفه بالوغد والسفل

نهاهم أن يمسوا عنده قلما * وأن يذل بنو الاحرار بالعمل

وكل هذا من عدم التدبر والتأمل في العواقب والتذكر ومن ترك التأمل والافتكار أصابه ما أصاب ابن آوى مع الحمار فقال الملك أفدنا أيها المختار كيفية هذه الاخبار (قال الحكيم) كان في جوار بستان مأوى لابن آوى وكان ذلك البستان كأنه قطعة من الجنان غفل عنها رضوان كثير الفواكه والرطب خصوصا التين والعنب وكان ابن آوى يدخل البستان من مجرى الماء ويأكل الثمار كيفما أحب واختار ويتصرف ذلك الخبيث ويأخذ في الفساد ويعيث كأنه ذميم ترك الذمام أو لئيم من بني اللئام فتضرر البستاني من اضرار ذلك الجاني وعجز عن صيده ودفع كيده فراقب دخوله ليختله ويغوله الى أن رآه يوما دخل وفي البستان حصل وبأكل العنب اشتغل فبادر الى نقرة الماء فسدها وسد الطرق التي أعدها ودخل الى الباغي وحصل ذلك الطاغي وحصره وأوهنه وضربه الى أن أثخنه فذهبت قواه وشلت يداه ورجلاه فتصور أنه مات لما سكنت منه الحركات فأخذه بذنبه ورماه وعلى العظام الرفات ألقاه فاستمر لا يفيق ملقى على الطريق الى أن تراجعت اليه نفسه وقوي جأشه وحسه فتحرك وهو هشيم وتنفس وهو سقيم

موضعه فلما علمت ذلك منه جاءت الى غدير فيه ضفادع كثيرة فشكت اليها ما نالها من الفيل قالت الضفادع ما حملتنا نحن في عظم الفيل وأين نبلغ منه قالت أحب منكن أن تسرن معي الى وهدة قريبة منه فتنققوا فيها وتضجوا فانه اذا سمع أصواتكن لم يشك في الماء فيهوي فيها فأجابوها الى ذلك واجتمعوا في الوهدة فسمع الفيل نقيق الضفادع وقد أجهده العطش فاقبل حتى وقع في الوهدة فاضطجع فيها وجاءت القنبرة ترفرف على رأسه وقالت أيها الطاغي المغتر بقوته المحتقر لامري كيف رأيت عظم حيلتي مع صغر جثتي عند عظم جثتك وصغر همتك فليشر كل واحد منكم بما يسنح له من الرأي قالوا بأجمعهم أيها الفيلسوف الفاضل والحكيم العادل أنت المقدم فينا والفاضل علينا وما عسى أن يكون مبلغ رأينا عند رأيك وفهمنا عند فهمك غير أننا قد علمنا أن السباحة في الماء مع التمساح تغرير والذنب فيه لمن دخل عليه في موضعه والذي يستخرج السم من ناب الحية فيبتلعه ليجربه على نفسه فليس الذنب للحية ومن دخل على الاسد في غابته لم يأمن من وثبته وهذا الملك لم تفزعه النوائب ولم تؤدبه التجارب ولسنا نأمن عليك ولا على أنفسنا سطوته وانا نخاف عليك من سورته ومبادرته بسوء اذا لقيته بغير ما يحب فقال الحكيم بيدبا لعمري لقد قلتم فاحسنتم لكن ذو الرأي الحازم لا يدع أن يشاور من هو دونه أو فوقه في المنزلة والرأي الفرد لا يكتفى به في الخاصة ولا ينتفع به في العامة وقد صحت عزيمتي على لقاء دبشليم وقد سمعت مقالتكم وتبينا

ثم تدحرج الى منزله وقد أحاط بسوء عمله الى أن صح فهمه وقوى جسمه فافتكر فيما جرى من الجار القديم عليه من العذاب الاليم فقال اذا كان جار السمر وقرين الدهر قصد دمارى ولم يرع لى حق جوارى لاجل قوت فضل عن أقواته واثبت أجره فى ديوان حسناته وشد لحنق على ساق مسد الطنب ولم يعمل بقوله تعالى والجار الجنب بل لو رمق فى بدنى أدنى رمق أو أقل حركة لما تركه فلا خير لى فى جواره ولا قرب داره فان سلمت هذه المرة فما كل مرة تسلم الجرة والاليق بالحال الترحال وطلب الرزق بالتوكل والرفق والذى شق الاشداق تكفل لها بالارزاق وان الله الخلق لم يعذب بقطع الرزق ثم انه افتكر فى جهة السفر وأين يكون المستقر وكان لابيه القديم ذئب وهو صاحب قديم ساكن فى بعض الغياض المجاورة للدوح والرياض فتوجه اليه وترامى عليه وتوسل بصحابة أبيه لديه وقال صداقة فى الآباء قرابة فى الابناء وذكر له حاله وما جرى له وأن جاره خانه ولم يرع حقه ومكانه فقصد أن يكون تحت ظله نازلا فى محله ليفوز بمجالسته ويحظى بمؤانسته ويقضى باقى عمره فى خدمته ولا يفارق وفاه حتى يحصل فى حفرته فتلقاه بالقبول والاقبال والفضل والافضال والبشر والبشاشه واليسر والهشاشه وبسط له فراشه وأزال قبضه وانكماشه ودهشته واستيحاشه والبسه رياشه وتذكر والده وجدد معاهده وأسدى اليه من احسانه ما انساه ذكر أوطانه خصوصا جاره وبستانه وأنشده بديها

فاهلا بمحبوب قديم وداده ❊ وسهلا بمن قد كان والده الى
تحكم على مالى وروحى ومسكنى ❊ واهلى وأولادى وجاهى ومنصبى

ولم يكن عند الذئب ما يطعمه ضيفه ويشبع جوفه فاستعد للكباد وعزم على الاصطياد فقال ابن آوى اين تريد وتتركنى وانا وحيد فقال امنت خوفك فاريد ان اشبع جوفك ومن المعلوم ان عدم الضيافة لوم فقال لا تتعب فانا اذهب فلى صاحب حمار كانه تيس مستعار يصغى الى قولى ويعتمد على قوتى وحولى فانى اخدعه والى دارك أشيعه فاوثقه حبالك وافعل معه ما بدا لك فيصير لنا طعاما فانه يكفينا اياما فاستصوب الذيب راى ذلك المريب وتوجه ذلك الغدار ليأتيه بالحمار وصعد تلا ينظره ويرتقب ما يكون خبره ولما توجه ابن آوى لطالب الزبون انتهى فى سيره الى طاحون واذا بحمار قد اوثقوه حبلا وأوسعوه ذلا وعلى ظهره حمل قد قصم ظهره وادمى دبره فطرحوا حمله واطلقوا حبله وتركوه يسعى وفى المرج يرعى فتقدم ابن آوى اليه وسلم سلام معرفة عليه وأظهر له المحبة والوداد وسأله عن أهله والاولاد فقال له أى اهل وولد وأنا فى هذا البؤس والنكد ما بين حمل ثقيل وجوع طويل وركوب وسفر ومصائب أخر هذا يركب وهذا يضرب وهذا يسحب وهذا يحمل حمله وهذا يخس بالمسله وهذا يحبس على الجوع والذله وهذا يقود بحبله وهذا يردد بثقله وهذا يجود ولكن بكلام ثقيل فكانى فى مشاق كما قيل

ولا يقيم على ضيم يراد به ❊ الا الاذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته ❊ وذا يشج فلا يرثى له احد

فتفجع ابن آوى وتوجع وحوقل واسترجع والتهب واضطرم واظهر الحرق لما رآه من الالم وأخذ يلومه على صحابة بنى آدم والمصابرة على ما يلجئه الى الندم من ايذائهم وجفائهم وتحمل الاثم وعدم وفائهم وقال له حتام هذا الذل والتطوق بهذا الغل وتحمل أنواع الهوان من البعض والكل والام هذا العطش والجوع وعدم القرار والهجوع وارض الله واسعة الفضاء شاسعة الارجاء وحتام تذوب من الاتعاب تحت هذا الحمل الثقيل والجور والمرض الطويل فقال لو وجدت ملجأ أو مسرح أو مدخلا أو مطرح أو مغارات أو مفسح لوليت اليه وأنا اجمح وتخلصت من هذا البلاء العظيم والشقاء الجسيم ولو رأيت أحدا شفيقا أو مصافيا صديقا يهدى الى الخلاص طريقا لا متثلت باراءه ولا استشفيت لدائى بدوائه قال ابن آوى

لى نصيحتكم والاشفاق على وعليكم غير انى قد رأيت رأيا وعزمت عزما وستعرفون حديثى عند الملك وبعاونى اياه فاذا اتصل بكم خروجى من عنده فاجتمعوا الى وصرفهم وهم يدعون له بالسلامة ثم ان بيدبا اختار يوما للدخول على الملك حتى اذا كان ذلك الوقت ألقى عليه مسوحه وهى لباس البراهمة وقصد باب الملك وسأل عن صاحب اذنه فارشد اليه وسلم عليه وأعلمه وقال له انى رجل قصدت الملك فى نصيحة فدخل الآذن على الملك فى وقته وقال بالباب رجل من البراهمة يقال له بيدبا ذكر ان معه للملك نصيحة فاذن له فدخل ووقف بين يديه وكفر وسجد له واستوى قائما وسكت وفكر دبشليم فى سكوته وقال ان هذا لم يقصدنا الا لامرين اما ان يلتمس منا شيأ يصلح به حاله او لامر لحقه فلم يكن له به طاقة ثم قال ان كان للملوك فضل فى مملكتها فان للحكماء فضلا فى حكمتها أعظم لان الحكماء أغنياء عن الملوك بالعلم وليس الملوك باغنياء عن الحكماء بالمال وقد وجدت العلم والحياء الفين متآلفين لا يفترقان متى فقد احدهما لم يوجد الآخر كالمتصافيين ان عدم منهما احد لم يطب صاحبه نفسا بالبقاء بعده وتأسفا عليه ومن لم يستحى من الحكماء ويكرمهم ويعرف فضلهم على غيرهم ويصونهم عن المواقف الواهنة وينزههم عن المواطن الرذلة كان ممن حرم عقله وخسر دنياه وظلم الحكماء حقوقهم وعد من الجهال ثم رفع رأسه الى بيدبا وقال له نظرت اليك يا بيدبا ساكتا لا تعرض حاجتك

يا ملك انى أعرف بالقرب اجمة أزهارها فائحة وأنوارها لائحة وأنهارها بالصفاء غادية ورائحة غياضها نضرة ورياضها خضرة ورباها حصينة وذراها أمينة وأنا ساكن فيها آمن فى ضواحيها ونواحيها فان اقتضى رأيك ذهبت بك اليها لتقف عليها فان أعجبتك سكنتها ووقيت النوائب وأمنتها فانها بمعزل عن السباع الجوائر والضباع الكواسر والجوارح النواسر لا يطرقها انسان ولا يدخلها حيوان وسترى من خير جار وحسن الجوار وستحمد عاقبة مقالى وماتراه من أفعالى وتخلص من جفاء بنى آدم وتبقى فى نعيم منعم وتعيش معنا فى عيش رغيد وعمر هنى سعيد وتحصل المؤانسة وحسن المعاشرة والمجالسة وأما أنا فلا أحد رفيقا مثلك وليس لى الى صديق غيرك مسلك فلما سمع الحمار هذا الحوار رغب فى الخلاص من الاقتناص والبلاء الذى هو فيه والشقاء الذى يؤلمه ويؤذيه فسلم قياده الى ابن آوى وقال سر بنا الى ماذكرت من مأوى فلا برانا صيد أو يشعر بنا أحد ثم انطلاقا فى السير وأشبها فى سيرهما الطير فتقدم الحمار سابقا وأعقبه ابن آوى لاحقا فخدع وغالط وخلط وبالط ونادى الحمار الى ان كنت تعبت فاركب على فقال الحمار بل أنت اركب ولا تتعب فطفر ابن آوى على الحمار وصار لا يقر له قرار وابن آوى يحدوه الطريق وهو فى نهيق وشهيق فلما قربا من الاجمة فتح عينه ذلك الاكمه ورفع آذانه وبصره فرأى الذئب قاعدا منتظره فعرف ان ذلك مكيدة نصبها ابن آوى لصيده فقال وتأتى الخطوب وأنت عنها نائم ثم استحضر عقله المفقود واستعمل عقله الموجود وعرف انه غفل عن نفسه وقد سعى برجله الى رمسه وانتقل من المرض الذى هرب منه الى نكسه ومن خموله وذله الى تعسه ونكسه فتردد متفكرا وأقام متحيرا فقال له ابن آوى مالك اسرع فقد أحسن الله حالك وأمن فكرك وانعش بالك وحصل لك ما فيه النذير مالك الا لا يدركنا أحد أو يلحقنا ضرر ونكد فقال الحمار يا أخى شاهدت قدود أغصان رشيقة وتشققت روائح رياحين عبقة وسمعت خرير الانهار وأصوات البلابل والهزار فتذكرت بيتا لم أقطع علائقى وأودع جارى ومرافقى وأبت مالى من التعلقات وأنا الان وجدت هذه الغيضة ورعيت مروج هذه الروضة ورأيت ما فيها من المنتزهات ألهتنى عما لى من تعلقات فتنسيم أذيال هذا المصطفى وتذهب عنه تيرانى ودائى وفخرى ولا أقدر على مفارقة هذا المقام النزه ومجاورة مثلك أيها الجار الفكه وقد عزمت على الرجوع لاصحب مالى من مال وأثاث مجموع وابيع وقاتى مطمئن وخاطرى عن الالتفات مستكن قال ابن آوى اترك مالك ولا تؤخر أوقات السرور وساعات الفراغ والحبور وماخلفته فهو لك وتلافيه أمر مقدور لك ولا بأس ان تدخل هذا المكان وتدور فى هذا البستان وتتعاهده ولو مرة وتشاهده ولو نظرة ثم تعود وتفعل ماتريد وبالجملة فتأخير أوقات السرور غير محمود ولا مشكور فقال الحمار الامر كذلك وقاك الله شر المهالك ولكن أقوى الدواعى فى هذه القضية والحامل على الرجوع وان كان بطيه وصية من أبى كانت عندى خفية كنت أعمل بها وأمشى فى دربها ولا أفارقها فى نومى ولا يقظتى وكنت جعلتها حرزا أعلقه فى رقبتى واذا لم تكن معى فى مسيرى ومضجعى لا يقر لى قرار ولا يأخذنى اصطبار ويعترينى شبه الاوهام وأرى خيالات فاسدة فى المنام وتغلب على دماغى فنون السوداء ولا أجد منها دواء لذلك الداء وفيما أوصانى به نفسه لروح العقل بمنزلة الاعضاء الرئيسة فاذا حصلت على تلك الوصية المعينة فقضيتها ماسواها هينة ثم أرى رأيها لا سامعا لابن آوى ولا طائعا فافتكر ابن آوى انه اذا ترك الحمار ومضى فوته قصده وخيب الله كده وأبطل حيله وجهده فرأى لنفسه المنفعة أن يرجع معه فرعا جميع سمعه وسابق من الحمار وعيه فقال يا أخى شوقنى بهذه القضية الى الاطلاع على تلك الوصية لاستفيد منها وآخذ حظى من الفضل عنها فلا بد من مصاحبتك والذهاب معك ومرافقتك فقال الحمار لا دافع ولا مشاق ولا مانع أن تكون لى مرافق فقال ابن آوى فول فسعفالك منهاى فان كان قائقه الى افتناء اكر

ولا تذكر بفتك فقلت ان الذى اسكنه هيبة وسورة أو حيرة أدركته وتأملت عند ذلك من طول وقوفك وقلت لم يكن ليبدأ ان يطرقنا على غير عادة الا لامر حركه لذلك فانه من أفضل أهل زمانه فهلا نسأله عن سبب شوله فان يكن من ضيم ناله كنت أولى من أخذ بيده وسارع فى تشريفه وتقدم فى البلوغ الى مراده واعزازه وان كانت بغيته غرضا من أغراض الدنيا أمرت بارضائه من ذلك فيما أحب وان يكن من أمر الملك ومما لا ينبغى للملوك ان يبذلوه من أنفسهم ولا ينقادوا اليه نظرت فى قدر عقوبته على ان مثله لم يكن ليجترئ على ادخال نفسه فى باب مسئلة الملوك وان كان شيأ من أمور الرعية يقصد فيه الى أصرف عنايتى اليهم نظرت ماهو فان الحكماء لا يشيرون الا بالخير والجهال يشيرون بضده وأنا قد فسحت لك فى الكلام فلما سمع بيدبا ذلك من الملك افرج عنه روعه وسرى عنه ما كان وقع فى نفسه من خوفه وكفر له وسجد ثم قام بين يديه وقال أول ما أقول أسأل الله تعالى بقاء الملك على الابد ودوام ملكه على الامد لانه قد منحنى الملك فى مقامى هذا محلا جعله شرفا لى على جميع من بعدى من العلماء وذكرا باقيا على الدهر عند الحكماء ثم أقبل على الملك بوجهه مستبشرا به فرحا بما بدا له منه وقال قد عطف الملك على بكرمه واحسانه والامر الذى دعانى الى الدخول على الملك وحملنى على المخاطرة بالكلام والاقدام عليه نصيحة اختصصته بها دون غيره وسيعلم من يتصل به ذلك انى لم أقصر عن غاية فيما يجب للاول على

فى الطريق ولا يؤثر فينا التعب والضيق فقال نصيحة واحدة هى بصدقى شاهده وهى كالجملة فوائدها فيها مجملة وهى ان ابى قال لى اياك ان تفارق هذه الوصيه فان فارقتها وقعت فى بليه وسأخبرك بسائرها فى المسير اذا تذكرت ايها البصير ثم سار قليلا وافكر طويلا وقال وهذه اخرى سنحها ذكرى وارتضاها فكرى وهى اذا وقعت فى شدة ورمت الخلاص منها عده فتصور اصعب منها يحصل لك التفصى عنها وتهون عليك وتعد دعانيه اسديت اليك فتشتغل بشكرها وتستأنس بذكرها فقال ابن آوى احسنت يا حمار وهذا مقام الاخيار والصالحين والابرار ثم سار مسيرة راثه وقال والله هذه نصيحة ثالثه فقال قل واسلم وطل فقال لا تحسب ان الصديق الجاهل خير من العدو العاقل فان عدو العاقل خير لك من جهل الصديق الجاهل فقال ابن آوى ما احلى كلامك واعلى فى الالطف مقامك وانزه منادمتك واذكى مكالمتك بالله شنف المسامع فانى لك بقلبى وجوارحى سامع فقال مهلا حتى اتذكرها واتصورها كما ينبغى واتفكرها وانتهى امر ابن آوى على تعسه وساقه القضاء الى رمسه فوصل الى الضيعه وقد وقع ابن آوى فى ضيعه فالح على الحمار فقال اخبرنى فما بقى لى اصطبار فقال قال لى ابى بكلام فصيح عربى لا تجعل مقامك ومقيلك بمكان يكون فيه ابن آوى دليلك والذئب فيه جارك وخليلك وان جعلت لك فى مثل هذا المكان ساحه فانى يكون لك فيه من الراحه وان اردت ان تخلص من هذا المكان فانصب الآذان وارفع ذكر الله بالاذان فانه ينجيك من الضيق ثم رفع عقيرته بالنهيق فسمعه ممارفه من الكلاب فسارت اليه مستبشرة بحسن الاياب وسارعت اليه واجتمعت حواليه فاشعر ابن آوى الا وهو متورط فى البلوى فطفر للهرب فادركه من الكلاب الطلب فاحتوشته واتوشته واختطفته واقتطفته ووزعته ومزعته ومرشته وقرشته فلم تبق منه عينا ولا اثرا وذهب دمه فى تدبيره هدرا وانما اوردت هذا المثال وعرضته على الرأى العال ليعلم ان الاغترار بالكلام محال والاصغاء الى الحكايات والقول البطال من غير تنقل من الفاظها الى معانيها وتامل فى مآل مقاصدها وفحاويها والاعتماد على القضايا المزخرفة والركون الى الامور المسفسفة لا يفيد سوى الندم وزلة القدم والاصل فى الولايات والمناصب التفكر فى الخواتيم والتامل فى العواقب والافلاس فى ذلك سوى اضاعة العمر والمصير الى المهالك وقلت شعرا

واسعد من يكسى الولاية من اذا ۞ تضافر بها يكسى الثناء المطرزا

فلما انتهى الكلام الى هذا المقام ورأى الوزير برأيه المنير ما فى هذه الفصول من الفضل دون الفضول اعترف للملك حسيب بالفضل الحسيب والرأى المصيب وحسن النصيحة والبيان وصحة الدليل والبرهان فاذعن للحق واناب الى الصدق وقال لقد اتيت النصيحة من بابها واوصلتها الى طلابها وكل كلام قررته وبيان حررته اغاه وشكرا احرزته وطريق سداد بينتها وسبيل رشاد اوضحتها وباب صواب فتحته وميزان احسان ارجحته وعلى كل عاقل ومستمع وناقل ان يقتدى بهذه النصائح ويوصلها الى السائح والسابح ويغتنم فوائدها وعوائدها وموائدها ويعمل بموجبها ولا يخرج عن مذهبها ثم ان الملك لما اصغى الى هذا الفصل وفهم ما تضمنه من حكمة وفضل افرغ على اخيه واهله وذويه لباس الانعام ووفاه مزيد الاكرام وقال لقد دققت ايها الاخ الشقيق فى تدقيق الفهم بالتحقيق وحللت المشكل وجلوت الطريق واديت حق الفتوة وواجب المروأة وشرائط الاخوة والآن قد حكمناك فى ولايتنا وولّيناك على حكامنا وقضاتنا وبسطنا يدك فى الاقاليم واطلقنا لسانك فى التعاليم فتحكم فى الرؤس والاطراف واحكم فى الآفاق والاكناف واشرع فيما انت بصدده ولا تتقيد بالمخالف ولدده وكن منشرح الصدر قوى الظهر قرير العين مبسوط اليدين مبارك الطلعة حسن السيرة صبيح الوجه طيب القلب والسريره طويل العضد والساعد محموطا عند الغائب والشاهد خلى البال هنى الحال فانك من بطن

الحكماء فان فهم فى كلامى ووعاه عمل فيه وتحقق بذلك ومارآه وان هو الغاه فقد رابه ما يرضى وخرج ممن لم يلقى قال الملك بايبد بالكلام بما شئت فانى مصغ اليك ومقبل عليك وسامع منك حتى استفرغ ما عندك الى آخره واجازيك على ذلك بما انت اهله قال بيدبا انى وجدت الامور التى اختص بها الانسان من بين سائر الحيوان اربعة اشياء وهى جماع ما فى العالم وهى الحكمة والعفة والعقل والعدل والعلم والادب والروية داخلة فى باب الحكمة والحلم والصبر والوقار داخلة فى باب العقل والحياء والكرم والصيانة والانفة داخلة فى باب العفة والصدق والاحسان والمراقبة وحسن الخلق داخلة فى باب العدل وهذه هى المحاسن واضدادها هى المساوى فمتى كملت هذه فى واحد لم تخرجه الزيادة فى نعمة الى سوء الحظ من دنياه ولا الى نقص ولم يتاسف على ما لم يعن التوفيق ببقائه ولم يحزنه ما يجرى به المقادير فى ملكه ولم يدهش عند مكروه فالحكمة كنز لا يفنى على انفاق وذخيرة لا يضرب لها بالاملاق وحلة لا تخلق جدتها ولذة لا تصرم مدتها ولئن كنت عند مقامى بين يدى الملك امسكت عن ابتدائه بالكلام فان ذلك لم يكن منى الا لهيبته والاجلال له ولعمرى ان الملوك لاهل ان يهابوا لاسيما من هو فى المنزلة التى جل فيها الملك عن منازل الملوك قبله

وقد قالت العلماء الزم السكوت فان فيه سلامة وتجنب الكلام الفارغ فان عاقبته الندامة وحكى ان اربعة من العلماء ضمهم مجلس ملك

كريم

كريم ونفذ على الطاعة مستقيم وفي الفضائل ذو قدم وصدق وفي الصناعة ذو صنع وحذق فلا تتوان فيما عزمت عليه وقصدت اليه من النصائح الموكده والفصول العلميه والعمليه وأتحفنا بتلك الحكم السنيه والخصال البهيه والشمائل المرضيه فانها لذة الاشباح وغذاء الارواح والطراز المضيء على خلع المساء والصباح فنهض الحكيم من مجلسه وقبل ثغر الارض بثغر جبينه وفمه وامتثل المراسيم الشريفه واشتغل بتأليف هذه الحكم الظريفه وترتيب العبارات اللطيفه واستطرد في تأليف هذه الحكم من حكايات ملك العرب الى وصايا ملك العجم والله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله على كرمه الاتم واحسانه الاعم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

(الباب الثاني في وصايا ملك العجم المتميز على أقرانه بالفضل والحكم)

(وقال الراوي) حسان معدن الظرافة والاحسان فترجمة الحكيم حسيب الاديب الاريب الى ايراد الاخبار عن الهداة الاخيار يحكى أنه كان من ملوك الامصار وسلاطين العجم ملك يدعى شوربار كان من العجم وكان في الحكم والجود واللطف والكرم أمة من الامم ملكه عظيم وفضله جسيم ولا يتفق أحسن اقليم حسن السياسة وافر الكياسة ثناؤه عاطر وعطاؤه ماطر ووابل الحشمة من سحائب هيبته قاطر وله من الاولاد وفلذ الاكباد ستة رجال الى المجد والكرم ميال وكل له في الفضل والافضال أوسع مجال مشهور بالزعامه مخبور بالشهامه كفه سخي وكنفه أريحي ذو شجاعة باسله وبراعة كامله وحشمة وافره وهمة زاخره ومفاخرها بالمكارم زاخره مع رفق ولين للصعلوك المسكين وصلابة في الدين وكان الاكبر سنا منهم متميزا في هذه الشيم عنهم وأعظم طيبا وأوفر نسيبا فكأنه في شأنه قيل

هذا الذي دانت الدنيا لطلعته * والدين والملك والايام والامم

فلما دنت شمس عمر ابيهم للافول وقارب غصن عيشه الذبول وعزم فراش الاجل على طي بساط حياته وأورد بريد الفناء منشور تسليمه الى متولي وفاته أحضر بنيه وأكابر ذويه وقال اعلموا يا بني اني استوفيت نصيبي من الدنيا وارتقيت من لذاتها الى الدرجة العليا وذقت حلوها ومرها وعاينت سرها وقسرها وعرفت خيرها وشرها ومع ارتقائي فيها الى المنازل الفاخره عملت بمقتضى وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخره وتزودت بما وصلت اليه اليد وما أخرت عمل اليوم الى الغد ولم تلوني الغفلة ولا ارتخاء الملة عن الاستعداد لساعة الرحلة بل لم أزل للرحيل مستوفزا وللتحول والانتقال متجهزا وأنا اليوم عنكم راحل وسفينة عمري أرست بالساحل وهذا سفر لا رجعة فيه ولا عود فاستفر كم الحكم تلقيه وهذا أمر محتوم وقدر معلوم وقضاء قدره في الازل رب لا يزال ولم يزل سلطان ملكه لا يبيد وكل الملوك تحت أمره عبيد لا راد لما قضاه ولا مانع لما أمضاه ولا هاد لما أبقاه ولا ضار لما سواه حكم بالموت على مخلوقاته وساقه لا باب قوة في رده ولا طاقه وقد خلف من بعدي أن لي مثلكم بعدي وانكم خلفي وسوابقي وفيكم من يقوم مقامي ولا يمحو أيامي ولا يدرس آثاري ولا يطفئ نار أنواري وها أنا عنكم داع واستخلف الله عليكم وان كنتم الى الوصية غير محتاجين ولكن الذكرى تنفع المؤمنين واعلموا ان أزكى زهرة تنور به أبصار العقل في رياض العبودية ورد الشكر وأزكى عطر تتعطر به مشام العقل في غياض البرية ورد الفكر وان الشكر قيد النعم وسبب لازدياد الفضل والكرم قال الله تعالى وجل جلاله لئن شكرتم لازيدنكم وقد قيل من شكر القليل استحق الجزيل وان الفكر يعلي المقامات ويعطي الكرامات واعملوا الذي تأمنوا ولا تهنوا ولا تحزنوا ولا تقلوا والجود والكرم في التبذير والبخل والتقتير من جملة التدبير فقد نصب للاعلام أعلاما من قال عز مقاما وكلاما والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال جل ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما

فقال لهم ليتكلم كل بكلام يكون أصلا للأدب فقال أحدهم أفضل خلة اهل السكوت وقال الثاني ان من أنفع الاشياء للانسان ان يعرف قدره ومنزلته من عقله وقال الثالث أنفع الاشياء للانسان أن لا يتكلم بما لا يعنيه وقال الرابع أروح الامور على الانسان التسليم للقادر واجتمع في بعض الزمان ملوك الاقاليم من الصين والهند وفارس والروم وقالوا ينبغي ان يتكلم كل واحد منا بكلمة تدون عنه على غابر الدهر قال ملك الصين أنا على ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت قال ملك الهند عجبت لمن يتكلم بالكلمة فان كانت له لم تنفعه وان كانت عليه أوبقته قال ملك فارس أنا اذا تكلمت بالكلمة ملكتني واذا لم أتكلم بها ملكتها قال ملك الروم ما ندمت على ما لم أتكلم به قط ولقد ندمت على ما تكلمت به كثيرا والسكوت عند الملوك أحسن من الهذر الذي لا يرجع منه الى نفع وأفضل ما استظل به الانسان لسانه غير ان الملك أطال الله مدته لما فسح لي في الكلام وأوسع لي فيه كان أولى ما ابدأ به من الامور التي هي غرضي أن يكون ثمرة ذلك له دوني وان اختصه بالفائدة قبلي على ان العقبى هي ما أقصد في كلامي له واغانمه وشرفه راجع اليه واكون انا قد قضيت فرضا وجب علي فأقول أيها الملك انك في منازل آبائك وأجدادك من الجبابرة الذين أسسوا الملك قبلك وشيدوه دونك وبنوا القلاع والحصون ومهدوا البلاد وقادوا الجيوش واستجاشوا العدة وطالت لهم المدة واستكثروا من السلاح والكراع وعاشوا الدهور في الغبطة والسرور فلم يمنعهم ذلك من اكتساب

محصورا واتبعوا الاقوال الافعال فلا خير في قول ليس بفعال ولا تشوهوا محاسن شيمكم بزخارف الكذب فان الصدق أول ماينبغي وأعظم مايجب وسمع كلمة واحدة بالكذب ناطقه لا ينقيه ألف كلمة صادقه ومن تعود الكذب في نطقه لا يعتمد على صدقه وداروا الاعداء مداراة الادواء يزد تصديقكم ويكثر رفقكم ويجل ودودكم ويقل عدوكم وحسودكم وعليكم بملازمة الاخيار واياكم وصحبة الاشرار ولا تطلبوا الرغبة في صحبة الاشرار سبيلا ولا تقيموا على ذلك أبدا دليلا فمن غالط نفسه في مجالسة الاشرار وطاب وفاء من جبل على طبيعة الفجار فقد أوجع نفسه بأقوى كيه واصابه ما أصاب الفلاح مع الحيه فسأل الاولاد والدهم الملك على كيفية ذلك فقال ذكروا ان واحدا من الاكياس طلب العزلة عن الناس ولازم الانقطاع وانقطع عن الجمعة والجماعه واشتغل لاقامة أوده بالزراعه وانعزل في ذيل جبل وصاحب حيه كانت تأنس اليه بكلامه وتأكل من فضلات طعامه فنرقت بينهما المعاهده الى ان بلغت الى المعاقده بان تكون صادقه خالصة عن المماذقه ولا تكون كصحبة ابناء الزمان تكرع من الغدر في غدران ولا مشوبة بنفاق ولا مدخولة برياء وشقاق وان تنعقد بينهما المودة والاخاء في حالتي الشدة والرخاء فراعى هذا مده وكل حافظ عهده مراع صحبته ووده وكان الرجل اذا عنت له قضيه عرضها على الحيه واستشارها واخذ اخبارها وتخرج الحيه وتتراءى على رجليه ففي بعض الايام وعام من الاعوام وقع برد شديد وثلج وجليد فرأى الحيه وقد سقطت قواها وخمدت اعضاها ووقعت في شر حال وبرد ووبال فحملته الشفقة والصداقه والعهد الذي أحكم وثاقه على أن آواها وحملها في مخلاة حماره وادناها ووضع المخلاة في راس البهيم وتوجه لضرورة ذلك اليوم فحست الحية بنفس ابي زياد وتحرك عرق العدوان القديم وعاد وفعل خبثها خاصيتها المألوفه واصبحت على عادتها المعروفه فقبلا حدثته حوام على النفس الخبيثه ان تخرج من الدنيا حتى تؤذي من أحسن اليها فعضت الحمار الرقيقه عضة صب لاق في خلوة شيقه وبرد مكانه من حرها وهربت الحية الى جحرها وانما أوردت هذا المثال اشعارا لذوي الافضال أن من صحب الاشرار ورغب في مودة الفجار لا يأمن العثار ولا يسلم من الانكاد والبوار وقد قيل ان صحبة الاخيار كبيرة النضار بطيئة الانكسار سريعة الانجبار وصحبة الاشرار كبيرة الفخار سريعة الانكسار بطيئة الانجبار وبالجملة فما في صحبة الناس فائده ولا في مخالطة الناس كبير عائده وقد قيل

ولم تر من بني الدنيا سلاما * فان تره فلا تقه سلامي

وينبغي أن تكون غيبتكم وحضوركم واحوالكم وأموركم واجتماعكم وفراقكم وصلحكم وشقاقكم في حالتي السراء والضراء والبؤس والرخاء على وتيرة واحده وهي الخالية عن الاغراض الفاسده أعني اذا رضيتم فبالحق واذا غضبتم فللحق واذا توجهتم فللحق ولا تبطروا في حالة النعم ولا تضجروا في حالة النقم وعلى كل حال فلا يقع بينكم اختلال وذلك بتفرق الكلمة واختلافها وتضادها وعدم ائتلافها فانه قيل

ان الذليل الذي ليست له عضد * مثل الوحيد بلا مال ولا عدد

(وقيل أيضا)

كونوا جميعا يابني اذا اعترى * خطب ولا تتفرقوا أحادا
تأبى القداح اذا جمعن تكسرا * واذا افترقن تكسرت أفرادا

ولا تتقوا بأحد من الكبار والصغار الا بعد الاختبار في الشدة والضعف والرفق والعنف والبؤس والرخاء والخوف والرجاء ولا تقدموا على قديم الاصحاب أحدا ولا على الموثوق بهم من لا جربتموه أبدا وقد قيل في المثل المشهور القديم المعروف خير من الجديد المنكور وقيل أيضا خير الاشياء جديدها وخير الاصحاب قديمها واسسوا قواعد اخراكم في دنياكم واغتنموا السعادة الباقيه من الدار الفانيه وعاملوا تجدوا وازرعوا تحصدوا وتفكروا من اول يومكم أحوال غدكم ومن أوائل عمركم أواخر دهركم

بجميل الذكر ولاقطعهم عن ارتكاب الشكر ولا استعمال الاحسان الى من خولوه والارفاق بمن ولوه وحسن السيرة فيما تقلدوه مع عظم ما كانوا فيه من غزرة الملك وكثرة الاقتدار وانك أيها الملك السعيد جده الطالع كوكب سعده قد ورثت أرضهم وديارهم وأموالهم ومنازلهم التي كانت عدتهم وقت فيما خولت من الملك وورثت من الاموال والجنود فلم تقم في ذلك بحق ما يجب عليك بل طغيت وبغيت وعتوت وعلوت على الرعية واسأت السيرة وعظمت منك البلية وكان الاولى والاشبه بك ان تسلك سبل أسلافك وتتبع آثار الملوك قبلك وتقفو محاسن ما أتوه وتقلع عما عاره لازم لك وشينه واقع بك وتحسن النظر برعيتك وتسن لهم سنن الخير الذي يبقى بعدك ذكره ويعقبك الجميل فخره ويكون ذلك أبقى على السلامة وأدوم على الاستقامة فان الجاهل المغتر من استعمل في اموره البطر والامنية والحازم اللبيب من ساس الملك بالمداراة والرفق فانظر أيها الملك ما ألقيت اليك ولا يثقلن ذلك عليك فلم أتكلم بهذا ابتغاء غرض تجاز يني به ولا التماس معروف تكافئني فيه ولكني أتيتك ناصحا مشفقا عليك فلما فرغ بيدبا من مقالته وقضى مناصحته ارعب قال الملك فاغلظ له في الجواب استصغارا لامره وقال لقد تكلمت بكلام ما كنت اظن ان احدا من اهل مملكتي يستقبلني ومن مثله ولا يقدم على ما اقدمت عليه فكيف انت مع صغر شأنك وضعف منتك وعجز قوتك ولقد كثرت اعجابي من اقدامك علي وتساولك

بلسانك فيما جاوزت فيه حدك وما بدر منك في تأديب غيرك أليق من التنكيل بك فذلك عبرة وموعظة لمن عساه أن يأتي ويروم ما رمته
أنت من الملوك اذا أوسعوا الهم في مجالسهم ثم أمر به أن يقتل ويصلب فلما عفوا به فيما أمر فيكم فيما أمر به فاعتم عنه

ومن ليلة الهلال بدر اشتهر كم فكل من له صدق قدم يتفكر وهو موجود حالة العدم ومن زمان شبابه حالة الهرم كما فعل التاجر المراقب وما آل اليه في العواقب فقبل الارض الاولاد وقالوا مولانا السلطان أعظم من أفاد لو تصدق على عبيده الطائعه ببيان تلك الواقعه (قال الملك) ذكر الحكماء وذوو الفضل من العلماء انه كان في بعض الامصار تاجر من أعيان التجار ذو مال جزيل وجاه عريض طويل ونعمة وافرة وحشم وخدم متكاثرة من جملتهم غلام مخايل السعادة من جبينه لائحه وروائح النجابة من اذيال شمائله فائحه قد أفنى عمره في خدمة مولاه ولم يقصر لحظة في طلب رضاه فقال له سيده في بعض الايام لك علي حق يا غلام وأنا أريد مكافاتك وأطلب موافاتك فتوجه هذه المرة في هذه السفرة فهما ربحت فهو لك بعد أن أعتقك من قيد رق اشغالك ثم أوسق مركبا وفسح له في السير شرقا ومغربا ووصاه باشياء امتثل مرسومها والتزم منطوقها ومفهومها فقال له مولاه سأرفعك على اضرابك وأفضلك من أمثالك وأصحابك وأجعلك كأكبر من في الدنيا وأجمع رفقتك بمنزلة المولى ثم أخذ في تعبية البضائع وأوسق مركبه المتاجر والمنافع وسلمه الى الهواء والماء بعد أن توكل على رب السماء فسار بعض أيام وهو في أهنى مرام وأطيب عيش ومقام الماء رائق والهواء موافق والنكد مفارق والسرور مرافق حتى كأنه نوح وخضره الملاح وهو وفتاه حافظا الالواح وبينهما السفينه من نسف المواصف آمنه تجاري السهم والطير وتباري الدهم في السير فاذا بالرياح هاجت والامواج ماجت وأشباح البحر تصادمت وأطواد الامواج على المرفاء تلاطمت فعجز ذلك الملاح والحافظ وتشرد هيبته أولو الحفظ وترك هيبة الوقار والسكينه ورقم نقش الحروف في ألواح السفينه فشاهدوا من ذلك الهواء الاهوال وغدا أمواج البحر كالجبال وصار ذلك الغراب بمن فيه من الاصحاب كأحوال الدنيا بين صعود وهبوط وقيام وسقوط طورا يسامتون الافلاك ويناجون الاملاك ويرون أخبار ظلمات صاحب الحوت الى السماك وطورا يهبطون الثور ويتطلعون قرن الثور ويعاينون قوافيه من تحت الزور فلم يزالوا حائرين حيارى سكارى وما هم بسكارى يتناشدون

وفلك ركبناه البحر ذو هيـ ... ـوله فثار وحار ومارا
فطورا علونا السماء وطورا ... رمتنا الرياح صخر القفارا

وآخر الامر نفخت السفينة الرياح وألقت كاتب الحاصب الى كل حرف من حروف الجبال الى من الالواح وأوعز الله سبيلها وخرقها فأغرقها وأهلها وذهب البحر بأموالها وأرواحها وتعلق الغلام بلوح من ألواحها واستمرت تقذفه الامواج وتصدمه أثباج البحر المواج الى أن وصل الى ساحل فخرج وهو كشبح ناحل وصل الى جزيرة هو وأكوها خرير وصفوا الشيب ليس بها داع ولا مجيب فصل يمشي في جنباتها الى أن أداه التوفيق الى فم طريق فسار في تلك البلاده وهداية الله له هاده فانتهى به المسير الى أن تراءى له سواد كبير وباغ عمارة عظيم وولاية جسيمه ورأى على بعد مدينة معمورة حصينه فعمد الى ذلك البلد وتوجه نحوها وقصده فاستقبله طائفة من الرجال نساء ورجال يتقدمهم جنود بخيله وطواشيه وحشمه مع طبول تضرب وفوارس تلعب ونفور تزعق والسنة بالثناء تنطق حتى اذا وصلوا اليه ترامى عليه وأكبوا بين يديه يقبلون يديه ورجليه مستبشرين برؤيته متبركين بطلعته ثم البسوه الخلع السنيه وقدموا له فرسا عليه بكنفوش ذهب وسرج مذهب ورفع صوال القماش على المفرق وهو واقف الخدم بين يديه وأطلعوا في الموكب يجرر له به يتنادون حاشاك والملك سلطان الناس قادم علينا حتى وصلوا الى المدينه ودخلوا ولحقه المدينه فرشوا له فوق الحرير ونثروا النثار الكثير وأجلسوه على السرير وأطلقوا بشائر النفد والعبير ووقف في خدمته الصغير والكبير والمأمور والامير والدستور والوزير وأنشدوه

قدمت قدوم البدر بيت سعوده ... وأمرك فينا ماض كصعوده

ثم أمر بحبسه وتقييده فلما حبس أنفذ في طلب تلامذته ومن كان يجتمع اليه فهربوا في البلاد واعتصموا بحرز الجبال فكتب اليه بالتحبس أيا ما لا يسأل الملك عنه ولا يلتفت اليه ولا يجسر أحد أن يذكره عنده حتى اذا كان ليلة من الليالي سهر الملك سهرا شديدا فطال سهره ومد الى الفلك بصره وتفكر في تلك الفلك وحركات الكواكب فاغرق الفكر فيه فسأل به الى استنباط شيء عرض له من أمور الفلك والمسئلة عنه فذكر عند ذلك بيدبا وتفكر فيما كلمه به فارعوى لذلك وقال في نفسه لقد أسأت فيما صنعت بهذا الفيلسوف وضيعت واجب حقه وحملني على ذلك سرعة الغضب وقد قالت العلماء أربعة لا ينبغي أن تكون في الملوك الغضب فانه أجدر الاشياء مقتا والبخل فان صاحبه ليس معذورا مع ذات يده والكذب فانه ليس لاحد أن يجاوره وعدم الرفق في المجاورة فان السفه ليس من شأنها واني أتى الي رجل نصح لي ولم يكن بالاغا فعاملته

بضد ما يستحق وكافأته بخلاف ما يستوجب وما كان هذا جزاؤه مني بل كان الواجب أن أسمع كلامه وانقاد لما يشير به ثم أنفذ في ساعته من يأتيه به فلما مثل بين يديه قال له يا بيدبا ألست الذي قصدت الى تقصير همتي وتعجيز رأيي في سيرتي بما تكلمت به آنفا قال له بيدبا

أيها الملك الناصح الشفيق والصادق الرفيق انما نبأتك بما فيه صلاح لك ولرعيتك ودوام مملكتك قال له الملك يا بيدبا أعد علي كلامك
كله ولا تدع منه حرفا الا جئت به فجعل بيدبا ينثر كلامه والملك مصغ اليه وجعل دبشليم كلما سمع منه شيئا ينكت الارض
بشيء كان في يده ثم رفع طرفه الى بيدبا وأمره بالجلوس وقال له يا بيدبا اني قد استعذبت كلامك وحسن موقعه من قلبي وأنا ناظر في الذي أشرت به وعامل بما أمرت ثم أمر بقيوده ففكت وألقى عليه من لباسه وتلقاه بالقبول فقال بيدبا أيها الملك ان في دون ما كلمتك به نهاية لمثلك قال صدقت أيها الحكيم الفاضل وقد وليتك من مجلسي هذا الى جميع أقاصي مملكتي فقال له أيها الملك اعفني من هذا الامر فاني غير مضطلع بتقويمه الا بك فأعفاه من ذلك فلما انصرف علم ان الذي فعله ليس برأي فبعث فرده وقال اني فكرت في اعفائك فيما عرضته عليك فوجدته لا يقوم الا بك ولا ينهض به غيرك ولا يضطلع به سواك فلا تخالفني فيه فأجابه بيدبا الى ذلك وكان عادة ملوك ذلك الزمان اذا استوزروا وزيرا ان يعقدوا على رأسه تاجا ويركب في أهل المملكة ويطاف به في المدينة فامر الملك أن يفعل ببيدبا ذلك فوضع التاج على رأسه وركب في المدينة ورجع فجلس بمجلس
العدل والانصاف يأخذ للدني من الشريف ويساوي بين القوي والضعيف ورد المظالم ووضع سنن العدل وأكثر وهذا
من العطاء والبذل وأتاه بالخبر بلا اذنه فبلغ أقصى كل مكان فيمن تبعه ... عبد الله له من جديد برأي الشفيق بيدبا وشكره والله تعالى أعلم

وقالوا اعلم يا مولانا انك صرت لنا سلطانا ونحن كلنا عبيدك وتابع مرادك ومريدك فافعل ما تختار وتحكم في الكبار منا والصغار وأمر ما تشاء من مرسوم فامتثاله علينا محتوم وما منا الا له مقام معلوم فجعل يتفكر في أمره ومبداه ويتأمل ما صار اليه ويتدبر في منتهاه فقال ان هذا الامر لا بد له من سبب ولا بد له من آخر ومنقلب فانه لم يصدر في عالم الكون سدى وان لهذا اليوم من غير شك غدا وان الصانع القديم القادر الحكيم السميع العليم البصير الحي المريد الكريم لم يقدر هذه الافعال على سبيل الاهمال ولم يحدث حدثا لعبا ولا عبثا وجعل يلازم هذه الافكار آناء الليل وأطراف النهار وهو مع ذلك قائم بشكر النعمة ملازم باب مولاه بالطاعة والخدمة واضع الاشياء في محالها والمناصب في أهلها ملتفت الى أحوال الرعية عامل بينهم بالعدل والسوية متعهد أمور الكبار والصغار بأنواع الاحسان وأصناف المبار مؤسس قواعد المملكة والسلطنة على أركان العقل والعدل مهما أمكنه متفحص عن مصالح المملكة سالك مع كل من أرباب الوظائف ما يقتضي مسلكه ثم وقع اختياره من بين أولئك الجماعة على شاب طويل البراعة له في سوق الفضل والوفاء أوفر بضاعة متصف بأنواع الكمال متحل بزينة الادب والجمال فاتخذه وزيرا وفي أموره ناصحا ومشيرا فجعل يلاطفه ويرضيه ويكرمه ويدنيه ويفيض عليه من ملابس الانعام وخلع الافضال والاكرام ما ملك به حبة قلبه واستصفى خالص وده ولبه وسكن في سويدائه وتمكن به من ضمير احشائه الى ان اخذ لبه وتلطف في خطابه واستنصحه في جوابه وسأله عن امارته وهو سبب رفعته وسلطنته من غير معرفة لرفاق ولا أهلية ولا استحقاق ولا هو من بيت الملك ولا في جوهر السلطنة له فلك ولا معه مال ولا خيل يهديها ولا رجال ولا معرفة يدل بها ولا شجاعة وفضيلة يهتدي بنهجها فقال ذلك الشاب في الجواب اعلم أيها الملك الاعظم ان هذه البلدة وعسكرها وجنده قد اخترعوا أمرا واصطلحوا على عادة أخرى سألوا الرحمن ان يقيض لهم في كل أوان شخصا من جنس الانسان يكون عليهم ذا سلطان فأجابهم الى ذلك فسلكوا في أمره هذه المسالك وذلك أنهم في اليوم الذي قدمت عليهم يرسل الله تعالى رجلا من عالم الغيب اليهم فيستقبلونه كما استقبلوك ويسلكون معه طريقة الملوك من غير نقص ولا زيادة وقد صارت هذه لهم عادة فيستمر عليهم سنة في هذه المرتبة الحسنة فاذا انقضى الاجل المعدود وجاء ذلك اليوم الموعود عمدوا الى ذلك السلطان وقد صار فيهم ذا امكان ومكان وعلقة ونشب واخاء ونسب ونتجت له أولاد وصار له أهل وأولاد وجردوه مما له من التخت وسلبوه ثوب العزة والرخت وألبسوه ثوب الذل والنكال وأوثقوه بالسلاسل والاغلال وحملوه الاهل والاقارب واتوا به الى بحر قريب فوضعوه في قارب وساروا به الى موكلين ليوصلوه الى ذلك الجانب فيوصلونه الى ذلك البر وهو قفر اغبر ليس به انيس ولا رفيق ولا جليس ولا صديق ولا زاد ولا ماء ولا نشوء ولا غذاء ولا مغيث ولا معين ولا قريب ولا قرين ولا قدرة ولا امكان على الوصول الى العمران ولا ظل ولا ظليل ولا الى الخلاص سبيل ولا الى طريق النجاة دليل فيستقر هنالك عريانا وحيدا فريدا طريدا الى ان يهلك عطشا وجوعا لا يملك اقامة ولا يستطيع رجوعا ثم يستأنف أهل هذه البلاد ما لهم من فعل معتاد فيخرجون بالاهبة الكاملة الى تلك الطريق السابلة فيقيض الله تعالى لهم رجلا فيفعلون معه مثل ما فعلوا مع غيره قولا وفعلا وهذا دأبهم ودينهم وقد ظهر لك ظاهرهم وباطنهم فقال ذلك الغلام الاملح لذلك الوزير الاصلح فهل اطلع أحد ممن تقدم على عاقبة هذا المأتم قال قد عرف ذلك وتحقق أنه عن قريب هالك ولكن غرور السلطنة ألهاه وسرور التحكم والتسلط بطغيانه وعماه وراء اللذة الحاصلة أمر العاقبة ينسيه ولا يفيق من غفلته ولا يستيقظ من رقدته الا وعامه قد مضى والاجل المضروب قد انقضى وقد أحاطت به نوازل البلاء وهجم عليه نوازل القضاء فيستغيث ولا مغيث وينادي بالخلاص ولات حين مناص فلما سمع الغلام هذا الكلام أطرق مفكرا وبقي متحيرا وعلم أنه لابد للايام أن تقضي

وهذا الاجل المضروب ينقضي وانه ان لم يتدارك امره ويتلافى خيره وشره ويتدبر حاله ومصيره ومآله هلك هلاك الابد ولم يشعر به احد فأخذ يفكر في هذا الخلاص والتفصي من شرك الاقتناص ثم قال للوزير الناصح الخبير ايها الرفيق الشفيق والناصح الصديق جزاك الله خيرا وكفاك ضيما وضيرا اني قد فكرت في شيء ينفع نفسي ويحييها ويدفع شر هذه البلية التي وقعت فيها واريد معاونتك واطلب مساعدتك فاني رأيتك في الفضل متميزا بين أقرانك فاتفاق شعاعي الشمس على اصالتك وانارتك فقال افعل يا ذا الزعامة والملك والكرامة قال اعلم ايها الصاحب الاعظم ان الرجوع الى هذا المكان الذي كنت فيه خارج عن الامكان والاقامة في هذا الملك المعهود انما هي الى اجل محدود ووقت معدود وانقضاؤه على البتات وكل ما هو آت آت وكيفية الخروج قد عرفت وطريقها تقررت ووصفت ولهذا اقول يا ذا الفضل الجزيل دخلنا مضطرين وأقمنا مقهورين ونخرج مكرهين ولم يتجه الخلاص من هذا القفص الا طريق واحد وسبيل غير متعاهد وهو ان تأخذ طائفة من البنائين وجماعة من المهندسين والنجارين وتذهب بهم ايها الوزير الى مكان المنفى فتأمرهم ان يبنوا هناك مدينة ويشيدوا فيها اماكن مكينة ومخازن وحواصل وغرفا من الزاد المتواصل من المأكول الطيبة والاطعمة والاشربة اللذيذة المستعذبة ولا تغفل عن الارسال ولا تعتر الاهمال والامهال في الظهيرة والاسحار والغدو والآصال اذ اوقاتنا معدودة وانفاسنا محدودة وساعة تمضي منها غير مردودة واذا فات شيء من ذلك الوقت فلا نعوض عنه الا الندامة والمقت فننقل هنالك ما يكفينا على حسب قوتنا ومقدار قدرتنا واستطاعتنا فاذا تزودنا منها ورحلنا عنها بحيث اذا نقلنا من هذه الديار وطرحنا في تلك المهامه والقفار وجفانا الاصحاب وتخلى الاخلاء عنا والاحباب وانكرنا المعارف والاوداء واستوحشنا في تلك البيداء فنون الداء نجد ما نستعين به على اقامة الاود مدة اقامتنا في ذلك البلد فأجاب بالسمع والطاعة واختار من المعمارية جماعة واحضر المراكب وقطع البحر الى ذلك الجانب وجعل الملك عندهم من الآلات والادوات على عدد الانفاس ومدى الساعات الى ان انهى المعمارية العمارة واكملوا مواصل الملك وداره واجروا فيها الانهار وغرسوا فيها الاشجار فصارت تأوي اليها الطيور بالليل والنهار ويترنم فيها البلابل والهزار بأنواع التسبيح والاذكار وغدت من احسن الامصار وبنوا حواليها الضياع والقرى وزرعوا منها الوهاد والثرى ثم ارسل اليها ما كان عنده من الخزائن ونفائس الجواهر والمعادن وارسل من ظرائف التحف اليها ومن حاجاته المعول عليها بحيث لو اقام بها سنين قامت بكفايته وفضلت خزائنها عن حاجته واكثر من ارسال ما يلزم من الادوات والاشربة والمطعومات وجهز الخدم والحشم وصنوف الاستعدادات من النعم فلما انقضت مدة ملكه ودنت اوقات هلكه الا ونفسه الى مدينته تاقت وروحه الى مشاهدتها اشتاقت وهو متوفز للرحيل ورابض للنهوض والتحويل فلما تكامل له في الملك العام لم يشعر الا وقد احاط به الخاص والعام ممن كان يفديه بروحه من خادمه ونديمه ومن كان سامعا لكلمته من اعيان خدمه وحشمته وقد جردوه من السرير ونزعوا ما عليه من لباس الحرير ومشوا على عادتهم القديمة وسلبوه الشوكة الجسيمة والمملكة العظيمة وزالت الحشمة والكلمة والحرمة وشدوا وثاقه وذهبوا به الى الحراقة ووضعوه وقد ربطوه في المركب الذي هيؤه واوصلوه الى ذلك البر من البحر فلما وصل اليه الا وقد اقبلت خدمه عليه وتلقته طوائف الحشم والناس لديه ودقت البشائر لقدومه وحل في سروره المقيم ونعيمه واستغرق اتم سرور واستقر في اوفر حبور ثم قال الملك للاولاد وفلذ الاكباد وانما اوردت هذا المثال على سبيل المثل فاصغوا الى حسن التمثيل حتى ابين لكم التفسير وعوه أقول بآذان القبول وتأملوا موارده ومعاني هذه الالفاظ التي نظمت الشافي ثم تفكروا وتبصروا وبعد التذكر والتبصر تدبروا اما ذلك العام المعهود فانه الولد في اول الوجود واما

توفيق بيدبا في ازالة دبشليم عما كان عليه من سوء السيرة واتخذ ذلك اليوم عيدا يعيدون فيه فهو الى اليوم عيد عندهم في بلادالهند ثم ان بيدبا لما أخلى فكره من اشتغال دبشليم تفرغ لوضع كتب السياسة ونشط لها فعمل كتبا كثيرة فيها دقائق الحيل ومضى الملك على ما رسم له بيدبا من حسن السيرة والعدل في الرعية فرغبت اليه الملوك الذين كانوا في نواحيه وانقادت له الامور على استوائها وفرحت به رعيته وأهل مملكته ثم ان بيدبا جمع تلامذته فأحسن صلتهم ووعدهم وعدا جميلا وقال لهم لست اشك انه وقع في نفوسكم وقت دخولي على الملك انكم قلتم ان بيدبا قد ضاعت حكمته وبطلت فكرته اذ عزم على الدخول على هذا الجبار الطاغي فقد علمتم نتيجة رأيي وصحة فكري واني لم آته جهلا به لاني كنت اسمع من الحكماء قبلي تقول ان الملوك لها سكرة كسكرة الشباب فالملوك لا تفيق من السكرة الا بمواعظ العلماء وآداب الحكماء والواجب على الملوك ان يتعظوا بمواعظ العلماء والواجب على العلماء تقويم الملوك بألسنتها وتأديبها بحكمتها واظهار الحجة البينة اللازمة لهم ليرتدعوا عما هم عليه من الاعوجاج والخروج عن العدل فوجدت ما قالت العلماء فرضا واجبا على الحكماء لملوكهم ليوقظوهم من سنة سكرتهم كالطبيب الذي يجب عليه في صناعته حفظ الاجساد على صحتها او ردها الى الصحة فكرهت ان يموت او اموت وما يبقى على الارض الا من يقول انه كان بيدبا الفيلسوف في زمان دبشليم الطاغي فلم يرده عما كان عليه فان قال قائل انه لم يمكنه كلامه خوفا على نفسه

قالوا كان الهرب منه ومن جواره أولى به والانزعاج من الوطن شديد فرأيت ان اجود بحياتي فاكون قد أتيت فيما بيني وبين الحكماء بعدي
عذرا واستسلمت على التغرير والظفر بما أريده وكان من ذلك ما انتم معاينوه فانه يقال في بعض الامثال انه لم يبلغ أحد مرتبة
الا باحدى ثلاث اما مشقة تناله في نفسه واما بوضيعة في ماله او وكس في دينه ومن لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب وان الملك دبشليم قد بسط لساني في ان اضع كتابا فيه ضروب الحكمة فليضع كل واحد منكم في اي فن شاء وليعرضه علي لانظر مقدار عقله واين مبلغ من الحكمة فهما قالوا ايها الحكيم الفاضل واللبيب العاقل والذي وهب لك ما وهب لك من الحكمة والعقل والادب والفضيلة ما خطر هذا بقلوبنا ساعة قط وانت رئيسنا وفاضلنا وبك شرفنا وعلى يدك انتعاشنا ولكن سنجهد انفسنا فيما امرت ومكث الملك على ذلك من حسن السيرة زمانا يتولى ذلك له بيدبا ويقوم به ثم ان الملك دبشليم لما استقر له الملك وسقط عنه النظر في امور الاعداء بما قد كفاه ذلك بيدبا صرف همته الى النظر في الكتب التي وضعتها فلاسفة الهند لآبائه واجداده فوقع في نفسه ان يكون له أيضا كتاب مشروح ينسب اليه تذكر فيه ايامه كما ذكر آباؤه
وأجداده من قبله فلما عزم على ذلك علم انه لا يقوم بذلك الا بيدبا فدعاه وخلا به وقال له يا بيدبا انك حكيم الهند ما
وفيلسوفها واني فكرت ونظرت في خزائن الحكمة التي كانت للملوك قبلي فلم ار فيهم احدا الا وقد وضع له كتاب يذكر فيه ايامه وسيرته

المركب الذي اودعه فهو بطن أمه الذي استودعه وانكسار السفينة هو انشقاق المشيمة والجزيرة التي خرج اليها فهي الدنيا التي دخل عليها والناس الذين استقبلوه فأقاربه وذووه وأهله يربونه بالملاطفة والدلال ويعاملونه بالاكرام والافضال وذلك الشاب الذي هو وزيره فهو عقله ومن اعانه نوره والسنة المضروبة أجله المحتوم وعمره المعدود المعلوم ونزوله عن سريره عبارة عن آخرته ومصيره وخروجه من الدنيا بالاكراه وشروعه في دخوله الى أخراه والبحر الثاني الذي طرح فيه هو أهوال ما يعاينه عند الموت ويعانيه والبر القفر اللحد والقبر فالسعيد يتفكر في كيفية أموره وأحواله ومبدأ أمره وما له ثم يتدبر في قلة هذا وجله ويستعد لما خلق من أجله ويتحقق ان الاقامة في الدنيا يسيرة وهي بالنسبة الى الاقامة بدار البقاء قصيرة وانه اذا جاء وقته المحتم لا يتأخر عنه ساعة ولا يتقدم فيأخذ في الازدياد ويهيأ ما أمكن ليوم المعاد ويعد نفسه كالمسافر الذي أتى بعض الحاضر فلا يقيم اكثر من يوم وقد رحل عن القوم كما قيل

الا انما الدنيا كمنزل راكب * اناخ عشيا وهو بالصبح راحل

الى سفر طويل زاده قليل قفاره يابسه وطرقه دامسه لا أنيس فيه ولا رفيق ولا مصاحب ولا صديق ولا دليل ولا خليل ولا مغيث ولا مقيل ولا ماء ولا معين ولا مصاحب ولا معين فيهيئ لهذا السفر بقدر الامكان ما قدر من الزاد والماء والمركب والكلا ونور الطريق والمسافر والرفيق والخادم والانيس والنادم والجليس ويعد المضجع للبيت والمقيل ويهيئ الموضع في النزول والرحيل وبالجملة لا يترك من أفعال الخير شيأ الا فعله ولا عجلا الا فصله ولا متأخرا الا قدمه ولا متساملا في مبايعة الا اسلفه وأسلمه ويعلم أن كل ذلك محتاج اليه ومصروف لديه اذا نقل الى دار البقاء واقبل عليه فاذا جاء وقت الرحيل ونادى منادي الانتقال والتحويل وجد ما كان في عمله حاضرا وكل ما قدمه الى رياض الحبر نزهها ناضرا كما قال ذو الجلال وأخبر به الصادق في الوعد والمقال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون معنى أن لا تخافوا الا خوف عليكم فيما هو امامكم ولا تحزنوا على ما سلفتم وراءكم فاذا دخل في قبره وجده روضة من رياض الجنة يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وأما الشقي الغافل الغبي الذي أهمل أمره ونسي الله وذكره وأهمل ما خلق لاجله وتاه في بيداء الضلال وسبله فقد اغتر بهذه اللذة اليسيرة في تلك المدة القصيرة واستمر سكران في ميدان العصيان من خمرة الطغيان وتردى لباس الردى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فانهدمت عمارتهم وما ربحت تجارتهم حتى اذا جاء الوقت المعلوم ونزل به الاجل المحتوم ونظر امام وتراءت له الاعلام فاما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم نزل من دار الغرور الى دار الشرور فندم ولا ينفعه الندم وقد زلت به القدم خاب مآبا وقال يا ليتني كنت ترابا فانظروا يا أولادي وعدتي وعتادي حال الفريقين وتأملوا الطائفتين فقد بدأت في النصيحة بعدي واستخلف الله عليكم من بعدي فقال أكبر ولده ووارث ملكه سنهم واسطة عقدهم جزى الله مولانا عن شفقته خيرا وأولاه على حسن النصيحة أجرا وذخرا فلقد أسمعت قلوبنا زواهر حكمك وشنفت أسماعنا بجواهر كلامك ولكن الاخوة وان كانوا من أولي العلم وأرباب النباهة والحلم والعقل الغزير والفضل الجم الكثير والرأي المصيب المنير غير أن حدة الشباب عليهم غالبه ودواعي النفس بشهواتها مطالبه لا سيما ان صدوا على ذلك معرض وكرهوا من البانه المحض والخض فان اتفق مع ذلك موافق منافق أو صاحب مارق أو صديق خدوع أو بطان مكار لوع أضلهم عن سواء السبيل وصار الى طريق المخالفة أوضح دليل فتحولت صداقتنا عداوة وتبدل فيها بالمرارة الحلاوة فينتزع الرضا وينزع الاخاء ويبغي بعضنا على بعض وتعود الاخوة على موضعها بالنقض ويتولد من ذلك الفتن ويظهر من العداوة

مادمان فالرأى عندى انه مادام زمام التصرف فى يد الامكان يتصرف مولانا السلطان على مقدار جهده فى مصلحة عبده بحيث لا أكون مضغة للماضغ ومثلة للمثكل قلب فارغ ولا يسلمنى لاسباب الحوادث ومخالب الدهر الكوارث فانه بذلك يكفينى من نوائب الزمان ما يدهمنى والعياذ بالله المنان من مفارقة مولانا السلطان جعلنى الله تعالى فداءه ولا أرانى فيه يوما ساءه فلا أخذ بيدى من هذه الورطه وأنا يرحنى من شر هذه الخطه فانه قد قيل من لا يقيل المستقيل ولا يغيث المستغيث ولا يتفقد عن هذا الحديث ولا يدفع غصة هذه القصه ويفوت عند الامكان الفرصه يصيبه من حوادث الزمان ما أصاب بعض الجرذان الذى لم يخلص الغزاله الواقعة فى شرك الحباله قال السلطان قل لى كيف كانت قصته وما كانت قضيته (فقال) ذكر أن بعض الصيادين الحتالين الكيادين نصب حباله لصيد غزاله فعلق بها مهاة من المها وطلبت مجالا واضطربت يمينا وشمالا فوقعت عيناها على جرذ من الجرذان عتيد يتفرج عليها من بعيد فنادته بلسان ذلق وأثنت عليه بلسان طلق وقالت يا فارس ميدان المروة والنجدة والفتوه والموصوف بالشطارة والقوه هذا وقت الكرم وأوان استعمال مكارم الشيم وفعل المعروف واغاثة الملهوف وصرف الهمه الى كشف الغمه نعم وان كانت طرائق الصداقة بيننا معدومه ونقوش التعارف على صحف خواطرنا مرقومه ونقود المعرفة والاخاء فى جيب التباين غير مبذوله ومرآة التوافق فيما بيننا غير مصقوله لكن فى الشدائد يعرف الاخاء والاخوان كثير وفى الرخاء كما قيل

دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة * بل فى الشدائد تعرف الاخوان

وقد قصدتك فى الخلاص وقرض شرك الاقتناص وخلاصى من سكين القناص فاقرض هذه الشبكة بأسنانك الحداد وافتح بينى وبينك باب الوداد فانى أصلح لك صديقا وأنا أكون لك عتيقا وأعرف لك الجميلة فأصير عبدا لك الى الممات وادركنى قبل الوفاة والفوات ومع هذا باذا الجاه لا يكن عملك الا لله فقد

قيل من يفعل الخير لا يعدم جوائزه * لا يذهب العرف بين الله والناس

فتهققه الجرذ وقهقر واستبادله وتعثر وتزعزع يمينا وشمالا وتقصف طربا ودلالا وسخر بالغزالة وكلامها وبادر الى غذائها وملامها وتبرد بحرارتها وتشفى بمرارتها وقال شهوتك الرديه وحرص نفسك الشقيه رمياك فى هذه البليه وحركت بهيمة الذميمه وطبيعته الشوهه وأضرط بها ورقرق وطفر وصفق وقال عصب الرأس الصحيح من الحبل الصريح والتعرض لموارد الفناء من دلائل البلاهة والعناء ولو تعرضت لشبكة الصياد حكمت على عقلى بالفساد وحاشى فكرى المصيب ورأيى النجيح النجيب أن أجلب لنفسى مرضا وأصير لسهم الصياد غرضا ولو فعلت ذلك لتصديت للهلاك وتصدى لى الصياد فعادانى وترصد لى وآذانى وحفر بالمعول وكرى وأوقد النيران فى جحرى فسلبنى قرارى وبغيتى ومسارى وأقل الاقسام أن يجلينى عن ديارى ان خلصت من الموت بسلام ولا استطيع بعدها المقام وقد قيل لا تسلك غير طريق بقلبك ولا تصاحب سوى رفيقك وأما أنا فمالى بصداقتك حاجه فدعى عنك الطمع واللجاجه ثم هز عطفه ونظر الى كتفيه وتبختر فى مشيته وتمايل فى غشيته وولى فى تيهه وكبره يريد الدخول فى جحره وقد ترك الظبى آيسا فى حبائل فكره وضره وحبائل شدائده وشره فقيض الله له بعدما أيس خلاصه ونادت بيد فى الهواء عنايته وأما الظبى فلما أيس من الجرذ واعانته توجه الى الرحمن بكليته وقطع آماله عن كل أحد ورفع ضرورته الى الواحد الصمد وأخلص نية الصادقه وقطع من الخلائق علائقه ثم جاء الصياد فاوثقه وقصد به البلد فصادفه شخص فاشتراه منه وأعتقه ولم أورد هذه اللطيفه الى المسامع الشريفه الا لاعلمان التوانى عن فك العانى واغاثة الملهوف أمر مخوف لا يرغب فيه ذو عقل وباغاثة الملهوف وأخذ يد الجار ورد النقل ولا بد من تأمل اعقاب القضايا قبل نزولها وطلب طريقة رفعها قبل حلولها والخلاص من ورطتها قبل

في يثني عن أدبه وأهل مملكته فيه ما وضعه الملوك لانفسها وذلك افضل حكمة فيها ومنه ما وضعته حكماؤها وأخاف أن يلحقنى ما لحق أوائلك مما لا حيلة لى فيه ولا يوجد فى خزائنى كتاب أذكر به بعدى وانسب اليه كما ذكر من كان قبلى بكتبهم وقد أحببت أن تضع لى كتابا بليغا تستفرغ فيه عقلك يكون ظاهره سياسة العامة وتأديبها وباطنه أخلاق الملوك وسياستها الرعية على طاعة الملك وخدمته فيسقط بذلك عنى وعنهم كثير مما نحتاج اليه فى معاناة الملك وأريد أن يبقى لى هذا الكتاب بعدى ذكرا على غابر الدهور فلما سمع بيدبا كلامه خر له ساجدا ورفع رأسه وقال أيها الملك السعيد جدك علا نجمك وغاب نحسك ودامت أيامك ان الذى قد طبع عليه الملك من جودة القريحة ووفور العقل حركه الى الامور وسمت به نفسه وهمته الى أشرف المراتب منزلة وأبعدها غاية وأدام الله سعادة الملك وأعانه على ما عزم من ذلك وأعاننى على بلوغ مراده فليأمر الملك بما شاء من ذلك فانى صائر الى غرضه مجتهد فيه برأيى قال له الملك يا بيدبا لم تزل موصوفا بحسن الرأى وطاعة الملوك فى أمورهم وقد اختبرت منك ذلك واخترت أن تضع هذا الكتاب وتعمل فيه فكرك وتجهد فيه نفسك بغاية ما تجد اليه السبيل وليكن مشتملا على الجد والهزل واللهو والحكمة والفلسفة فكفر له بيدبا وسجد وقال قد أجبت الملك أدام الله أيامه الى ما أمرنى به وجعلت بينى وبينك أجلا قال وكم هو الاجل قال سنة قال قد أجلتك وأمر له بجائزة سنية تعينه على عمل الكتاب فبقى بيدبا مفكرا فى الاخذ فيه وفى

بفتنتها وأسأل من صدقات مولانا الذي بالاحسان أولانا الارشاد الى عمل طريقة لطيفة نظيفة نقية خفيفة تكون عدتي في شدتي مبقية لودي بيني وبين اخوتي (قال الملك) نعم ما قلت وجئت في ميدان الصواب جائت فاعلم أن في مملكتي ملوكا كبراء وأساطين أمراء ورجالا وجنودا وأبطالا وأسودا أنا انشأتهم وانصرة مثلك أعددتهم كل منهم ذو وفاء ومودة وصفاء وباطنه خال من المكر والجفاء يقومون معك بادنى اشاره ويحفظون جانبك من النهب والغاره وخصوصا فلان أمير ممالك خراسان فانه أفصحهم خطابا وأمنعهم جنابا وأوسعهم في العقل رحابا وأشدهم محبه واقربهم مودة وقربه وأوفاهم عهدا واصفاهم ودا سيجدك في حال اضطرارك اليه فلا يكون اعتمادك بعد الله الا عليه مع اني ساعلمهم بجمعهم وآمرهم بايصال نفعهم واوكد عليهم في ذلك فلا يخطر شئ من الفكد ببالك فقبل ولده الارض ووقف في مقام العرض وقال أيها الملك الجناب ان محبة غالب الاصحاب وصداقة أكثر الاحباب ومن يدعي خلوص الموده ويبذل ظاهرا في ذلك جهده انما هي لاغراض وناشئة عن اعراض وأمراض فاذا حصل ذلك الغرض وزال العرض والمرض بردت عن المحبة قلوبهم وفرغت من نقد المودة جيوبهم وظهر بالجفاء وعدم الوفاء عيوبهم ومن جملة ذلك الحسد الذي لم يخل منه حسد على نيل مرتبه أو البلوغ الى منقبه وتمني زوال نعمة المحسود وعدم الرضا بقضاء المعبود فاذا لم يحصل المراد تبدل القرب بالبعاد والمحبة بالبغضه والصحة بالمرضه كما جرى لنديم الملك الظاهر مع صديقه السافر قال الملك لولده أخبرني بكيفية نكده وما تولد من قضية حسده (قال الولد) اخبرني المملوك انه كان عند بعض الملوك جماعة من العلماء وطائفة كثيرة من الندماء كل منهم لطيف المحاوره نظيف المعاشره خفيف المكاثره ظريف الحركة كثير البركه وبينهم شخص قد ساواهم بهذه الصفات وفاقهم في علو الدرجات أظرفهم لهجه وألطفهم بهجه وأشرفهم نهجه عذب الكلام حلو المنادمة تقبل الفصاحة ثغر الفاظه في خطابه ويتهالك عميد البلاغة لاشراق جواهر جوابه اسمه رشيق وهو لكل عشيق وللملك أكرم نديم وأقدر خديم وصديق قديم يقبل عليه ويميل دون الكل اليه ففي بعض الايام قدم على الرشيق بعض الاعجام وكان من بغداد من ذوي الفسق منهم والفساد رجل من الشطار عيار مكار خوان غدار ممقوت الرجم ليس في السماء نجم غير انه متظاهر بجميل الخصال وانه خدم أهل الفضل والافضال فعلق بطبعه من شمائلهم وتلبس ظاهرا بفضائلهم فتلقاه الرشيق بما يقتضيه كرمه ويليق وبالغ في اكرامه وتقدم في احترامه وأكرم نزله وأفاض عليه نعما جزله ومال اليه بكليته وجعله من خواص جماعته فصار كل يوم يبدي فضلا ويفتح بابا من الكلام وفصلا الى أن غلب على ذلك الزنديق حسد النديم المسمى برشيق لكونه من خواص الحضرة السلطانيه وقصاص الخدمة الملكيه وكبير الندماء وخطير القدماء فالتمس من النديم ذلك الوغد الذميم أن يوصله الى الحضرة الشريفه ويسبل عليه ظلال نعمه الوريفه فافكر الرشيق الفكر الدقيق في عقبى هذه القضيه وما يحدث عنها من البليه فانه قد كان أدرك من ذلك الشيطان سوء أفعاله من أقواله ووخيم عزماته من شمائل حركاته وشؤم سكناته وتحقق ذلك من عذبات لسانه وفلتاته وكل شئ تزرعه يفعلك الا ابن آدم اذا زرعته يقلعك ومن أكرم ذا حسد ورأى من أمره عكسه فلا يلوم الا نفسه فصار يسوّفه ويدافعه ويمانعه ويصانعه ويداري الوقت خوفا من المقت الى أن أيس منه وقطع الرجاء عنه فالتهب قيظ قضيبه واشتعل شواظ لهيبه فما رأى ابرد لهذه الغصه الا كتابة قصه يعرضها ذلك المنومك على آراء الملك يضع فيها الشاه حسده من الرشيق ويفت من عضده ويفتري ذلك المجتري عليه ما هو عنه بري فراقب الفرصه وكتب القصه وذكر له مساوي قبائح من جملة مساويها انه يجد الرشيق من الداء العتيق ما أعجز الاطباء وأعيا الحكماء الالباء وان ذلك الداء يعدي وفصل الالزام يتعدى فيردي وان كثيرا من الناس الاخيار ممن اطلع على دائه ومعضل بلائه

أي صورة يتلقى بها فيه وفي وضعه ثمان بعد باجمع تلامذته وقال لهم ان الملك قد ندبني لامر فيه نظري ونظركم وفكري وفكركم وقد جمعتكم لهذا الامر ثم وصف لهم ما سأل الملك من أمر الكتاب والغرض الذي قصد فيه فلم يقع لهم الفكر فيه فلما لم يجد عندهم ما يريد فكر بفضل حكمته وعلم أن ذلك أمر لا يغلب الا باستفراغ العقل واعمال الفكر وقال أرى السفينة لا تجري في البحر الا بالملاحين لانهم يعدلونها وانما تسلك اللجة بمدبرها الذي تفرد بامرتها ومتى شحنت بالركاب الكثيرين وكثر ملاحوها لم يؤمن عليها من الغرق ولم يزل يفكر فيما يعمله في باب الكتاب حتى وضعه على الانفراد بنفسه مع رجل من تلامذته كان يثق به فخلا به منفردا معه بعد ان أعد من الورق الذي كانت تكتب فيه الهند شيئا ومن القوت ما يقوم به وتلميذه تلك المدة وجلسا في مقصورة وردا عليهما الباب ثم بدأ في نظام الكتاب وتصنيفه ولم يزل هو يملي وتلميذه يكتب ويرجع هو فيه حتى استقر الكتاب على غاية الاتقان والاحكام ورتب فيه أربعة عشر بابا كل باب منها قائم بنفسه وفي كل باب مسئلة والجواب عنها ليكون لمن نظر فيه حظ وضمن تلك الابواب كتابا واحدا وسماه كتاب كليلة ودمنة ثم جعل كلامه على ألسن البهائم والسباع والطير ليكون ظاهره لهوا للخواص والعوام وباطنه رياضة لعقول الخاصة وضمنه أيضا ما يحتاج اليه الانسان من سياسة نفسه وأهله وخاصته وجميع ما يحتاج اليه من أمر دينه ودنياه وآخرته وأولاه ويحضه على حسن طاعته للملوك ويجنبه ما تكون

يقعا مون

يخدمون بمحبته ويحبون قربه ومؤاكلته وان هذه نصيحة عرضها وعلى نفسه فرضها اذ القيام باداثها واجب عليه وانهاؤها الى المسامع الشريفة مندوب اليه فلما وقف الملك على مضمون ما أنهاه ذلك الخبيث فيما ادعاه تذكر ما قاله ابو النعمان عن وزيره العبسي فيما مضى من الزمان وهو

نحن بنو ام البنين الاربعه * ونحن خير عامر بن صعصعه * الملك جاوزنا بلا دامسعه
تخبر عن هذا خبيرا فاسمعه * مهلا ابيت اللعن لا تأكل معه * ان استه من برص ملمعه
وانه يدخل فيها اصبعه * يدخلها حتى يوارى اشجعه * كأنما يطلب شيئا ضيعه

فاشمأزت من الرشيق نفسه وزوى في رياض مصاحبته غرسه فامر الحجاب والبوابين ان يكونوا دون دخوله على الملك آبين فلما ان جاء الرشيق وقصد الدخول بجأش وثيق منعوه من الدخول فرجع خائبا خاسرا وبقي حائرا بائرا ولم يشك ان هذا الضرب سهم غريب لانه لم يعلم السبب فقضى من الزمان العجب فشرع يتفحص عن سبب البعاد ويتردد بين اغوار وانجاد ويذهب برائد فكره كل مذهب ويعزم على قوابه ليقفوا على موانع الطالب الى ان وقف على السبب المضمر وعلم انه الاحسان الى ذلك المجرم وظهر لذلك الجهر البر من قوله الاحسان الى اللئيم سلف في الشر فاجتمع بجماعة من اصحابه وطائفة من خلص اصحابه وعرض عليهم قصته واستدفع بآرائهم غصته ثم تعرى من لباسه عند الخواص من أناسه لينظروا الى جسده وباسه فراوا بدنا كسبائك الفضة واطرافا كأنها غضة وأعضاء تحسبها من الحور غوانيها مسلمة لا شية فيها فاجمعوا على سلامتها وذكروا للملك سلامتها وشهدوا بحسن صفاتها ورونق بهائها وانها سليمة من الادواء بريئة من كل داء وكأنه في شأنه قيل

وأعجب ما شاهدت في وصله وقد * نزعنا غلالات وثوب حياء
تلألؤ نور في ترقرق مائه * وصورة روح في مثال هواء

وانما الشقا الحسد صاحب ذلك الجسد فقال الملك صدقتم وبالحق نطقتم ولكن كيف وقد قيل

قد قيل ذلك ان صدقا وان كذبا * فما اعتذارك في شيء وقد قيلا

ثم قال الملك لجماعته المنتظمين في سلك طاعته الذي يدور في معلومي ويبرز به مرسومي ان لا يدخل الرشيق علي ولا يصوب انظاره الي فاني اذا نظرته تذكرت ما قيل واحضرته فتشمئز النفس والخاطر ويتكدر الباطن والظاهر ويتشوش صفو العيش الناضر ثم أمر له بمال جزيل واقطاع عظيم جليل ومنعه من المثول بين يديه والدخول عليه وانما اوردت هذه الحكاية المتضمنة لهذه النكاية لتعلم العلوم الشريفة والآراء المنيفة ان بعض المدعين للصداقة واحكامها باحكام الوثاقة لا يعتمد على دعواهم ولا يركن الى مضمون فحواهم فربما تكون صداقتهم من هذا القبيل فتؤدى الى داء ثقيل وغم عريض طويل فلا يمكن علاجه ولا يسلك منهاجه وأعظم ما في ذلك ما يؤدي الى المهالك وهو عداوة الاقرباء من الابناء والآباء وذوي نهاية الانتماء فان ذلك غل قل وجرح لا يندمل ومرض لا يبرا ويفضي بصاحبه الى قعر الثرى وان عداوة الاجانب أسهل من مخاشنة القرائب وان القرائب انما يرجون لدفع الداء فاذا كانوا هم الاعداء فقد أعضل الداء (ومن شواهدها) أيها الملك الفاضل ما جرى لابن سلطان بابل مع عمه الظالم الخاذل الخائن القاتل فقال الملك الكبير الآمر الناهي صور قتال ذلك أيها الخبير (قال) ذكر اهل التاريخ أيها العالي الشماريخ أنه كان في مملكة بابل ملك عظيم فاضل كريم الشمائل عدله مذكور وفضله مشهور همته عالية وجيد ممالكه بعقود فوائده حاليه وأفواه ممالكه كثغور الغواني بشنب العدل والامان زاهيه وله ولد صاحب حسن وجمال وفضل وافضال وملاحة ودلال وصباحة وكمال غير انه صغير السن لم تجربه التجارب ولم يبل أحوال الاباعد والاقارب

شهامته خير اله ثم جعل له باطنا وظاهرا كما رسم سائر الكتب التي ترسم الحكمة فصار الحيوان لهوا وما ينطق به حكما وأدبا فلما ابتدأ أسلوبا بذلك جعل أول الكتاب وصف الصديق وكيف يكون صديقا وكيف تقطع المودة الثابتة بينهما بحيل ذي النميمة وأمر تلميذه ان يكتب على لسان بيدبا مثل ما كان الملك شرطه في ان جعله لهوا وحكمة فذكر بيدبا ان الحكمة متى دخلها كلام الغفلة أفسدها واستجهل حكمتها فلم يزل هو وتلميذه يعملان الفكر فيما سأله الملك حتى لهما العقل أن يكون كلامهما على لسان بهيمتين فوقع لهما موضع اللهو والهزل بكلام البهائم وكانت الحكمة ما نطقا به فاصغت الحكماء الى الحكمة وتركوا البهائم واللهو وعلموا انها السبب في الذي وضع لهم ومالت الجهال اليها عجبا من محاورة بهيمتين ولم يشكوا في ذلك واتخذوه لهوا وتركوا معنى الكلام ان يفهموه ولم يعلموا الغرض الذي وضع له لان الفيلسوف انما كان غرضه في الباب الاول ان يخبر عن تواصل الاخوان كيف تتأكد المودة بينهم على التحفظ من أهل السعاية والتحرز ممن يوقع العداوة بين المتحابين ليجر بذلك نفعا الى نفسه فلم يزل بيدبا وتلميذه في المقصورة حتى استتم عمل الكتاب في مدة سنة فلما تم الحول أنفذ اليه الملك ان قد جاء الوعد فماذا صنعت فانفذ اليه بيدبا اني على ما وعدت الملك فليأمرني بحمله بعد ان يجمع أهل المملكة لتكون قراءتي هذا الكتاب بحضرتهم فلما رجع الرسول الى الملك سر بذلك ووعده يوما يجمع فيه أهل المملكة ثم نادى في أقاصي البلاد الوفاد

لا مارس الانام ولا ساس الايام ولا سبر العدو والصديق ولا خبر الحريق والرحيق ولا فرق بين المرافق
والمنافق والصادم والمصادق والمصارم والملاصق فلما دنت وفاة ابيه جمع اخصاءه وذويه واراد ان
يعهد الى ولده ويرقيه الى سنده ومسنده ثم دبر في اموره واحواله وتفكر في مصيره ومآله وخشي انه
ربما اخل بشيء من القواعد فابعد الادنى وادنى الاباعد او وضع شيئا في غير محله او ولى منصبا غير اهله
وذلك لعدم تدبر او فساد تصور او نشوز رفيق او فقد مرشد وشفيق او لغرض فاسد من كاشح او حاسد
فيختل نظامه ويعوج قوامه ويفسد امره فيخون زيده وعمره وكان للملك اخ بل انه فخ يدعي الثقة
ويظهر انه ثقة وله حنو وشفقة فعهد اليه واعتمد عليه وسلمه ولده وجعله وصيه ومسنده واجلسه
مكانه واشهد عليه من رؤساء المملكة اركانه انه اذا توشح ولده بالولاية وآنس منه رشده بالرعية والرعاية
يجلسه على السرير ويسلمه الكبير من جنده والصغير ويكون هو له احسن وزير وامين مشير ونظام
ملكه ورأس فلكه وعضد ساعده وساعد مساعده واتابك عساكره وعماد الامر واوامره فان
نفس ولده في حسن جولها تكون عونا من اعوان رعونة الصبا في حزنها وسهلها ويؤدي اليه ملكه
مقتضى قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها فقبل اخوه ذلك منه بقبول حسن وتكفل
له انه يأسو جراح الملك على وجه مستحسن واظهر الود والترفق والتملق والترقرق والتلهف والتارق
والتأسف والتحرق وبكى وتأوه وشكا وتذلل وتمسكن حتى تمكن فلما قضى الملك نحبه واجلس ربه
صعد على السرير وتمكن من الجليل والحقير وتشربت اضلاعه وعمرت محبة الحكومة والتسلط في دور
طمعه رباعه وابن اخيه في كفالته والممالك في ايالته واستمر الصغير تحت نظره لا يفارقه في سفره ولا
حضره يكتسب كل يوم مخايل السعادة ويطرح من حركاته شمائل السيادة ويظهر على اعطافه الملوكية
يوما فيوما آثار الحسنى وزيادة الى ان ارتفع قدرا وصار في الكمال هلالا وبدرا فشم عمه من رياض همته
عرف الطلب وقوي في ذلك ما كان تقدم من سبب وعرف انه لا بد له في ذلك من تسريحه فلو منعه
اقام كل الخلق باستهجانه وتقبيحه فتحل عقوده وتنحل جنوده ويختل عن عسكره بنوده وتنفي
صورته وسيرته وينقض من حبل عمره مريرته فلا يحصل من الملك الاعلى الهلك فاعمل الكيد وخرج
الى الصيد فتفرقت العساكر وانفرد الملك العاكر ومعه ابن اخيه فاختلى به في تيه فوثب عليه وبخه
بكريته والقاه في البرية الى ثعالب المنية وتركه وحيدا اعمى لا يجد دليلا ولا يهتدي سبيلا ولا يعرف
مقرا ولا مقيلا ثم اجتمع بعسكره ظانا انه فاز بظفره ومحا اثر وفاته وتعمية خبره ففرغ باله واصلح رجاله
واطمأن خاطره واستقرت اموره واستقامت صدوره فلما هجم جيش الليل اقبلت السباع من الوادي
كانها السيل وقصدت الوحوش والهوام ما لها من مأوى ومقام وعوت الذئاب وزأرت الاسود وهمرت
النمور والنسور والفهود فساورت ابن الملك الهموم واورثته اصناف الغموم واحتوشته المخاوف
والوجوم فلجأ الى جناب الحي القيوم جناب لا يخيب قاصده ولا يصدر الا بنيل الامل وارده وصار
يحسس بيديه ويصغي الى الحيوان باذنيه ويتمشى الى كل جانب ويهوي بيديه الى الاطراف والجوانب
ويتعلق بحبال الهواء كالغريق الغاطس في الماء فوقعت يده على شجرة فعلق فيها بيديه واظافره وصعد
عليها واوى اليها وتوجه بقلبه الى خالقه وموجده ورازقه وقطع عما سواه اسباب علائقه واشتغل بالذكر
والتسبيح وفوض امره الى الله سبحانه وتعالى بامل فسيح واستمر في هذا الويل برهة من الليل وكان طائفة
من الجان المهرة كل ليلة تأوي الى هذه الشجرة فيتذاكرون ما جرى في العالم وما صدر في عالم الكون والفساد
من اعمال بني آدم ويعيبون افراحهم ويتعاطون انشراحهم فلما اجتمعوا تلك الليلة ذكر كل قوله
وما جرى من الحوادث ومن الفرحات والكربات وما وقع من العجائب واتفق من واقعات الغرائب فقال

ابيه حضروا قراءة الكتاب فلما كان ذلك اليوم امر الملك ان ينصب لبيدبا سرير مثل سريره وكراسي لابناء الملوك والعلماء وانفذ فاحضره فلما
جاءه الرسول قام فلبس الثياب التي كان يلبسها اذا دخل على الملوك وهي المسوح السود وحمل الكتاب تلميذه فلما دخل
على الملك وثب الخلائق
باجمعهم وقام الملك شاكرا
فلما قرب من الملك كفر
له وسجد ولم يرفع راسه
فقال له الملك يا بيدبا ارفع
راسك فان هذا يوم هناء
وفرح وسرور وامره الملك
ان يجلس حين جلس
لقراءة الكتاب سأله الملك
عن معنى كل باب من
ابواب الكتاب والى اي
شيء قصد فيه فاخبره
بغرضه فيه وفي كل باب
فازداد الملك منه تعجبا
وسرورا وقال له يا بيدبا
ما عدوت الذي في نفسي
وهذا الذي كنت اطلب
فاطلب ما شئت وتحكم
فدعا له بيدبا بالسعادة
وطول البقاء وقال ايها
الملك اما المال فلا حاجة
لي فيه واما الكسوة فلا
اختار على لباسي هذا شيئا
ولست اخلي الملك من
حاجة قال الملك يا بيدبا
ما حاجتك فكل حاجة
لك قبلنا مقضية قال يأمر
الملك ان يدون كتابي
هذا كما دون آباؤه
واجداده كتبهم ويأمر
بالمحافظة عليه فاني
اخاف ان يخرج من بلاد
الهند فيتناوله اهل فارس
اذا علموا به فالملك يأمر ان
لا يخرج من بيت الحكمة
ثم دعا الملك بتلامذته
واحسن لهم الجوائز ثم انه لما ملك كسرى انوشروان وكان مستبشرا بالكتب والعلم والادب والنظر   واعطى
في اخبار الاوائل وقع له خبر الكتاب فلم يقر قراره حتى بعث برزويه الطبيب وتلطف حتى اخرجه من بلاد الهند فاقره في خزائن فارس

واحد من القوم ومن أعجب ما وقع اليوم من الامر المكر به ما فعله ملك بابل بابن أخيه وذكر لهم القصه
وما تضمنته من بليه وجعل يتأرق ويتحرق ويتبرم ويتضرم ويحرق الارم ويتعجب من عدم وفاء بنى آدم
فقال رئيس الجان وهذا غير بديع من طبع الانسان فانه مجبول على الغدر مطبوع على الدهاء والمكر
الم تسمع قول قائلهم فى وصف قضاياهم وقبيح شمائلهم مما انخرط فى سلك الفضل بدون منع ولا عجز اذا
كان الغدر طباعا فالثقة بكل احد عجز ثم قال الرئيس اعلم يا نفيس انى أعلم ما يزيل هذا الالم ويطفى
هذا الضرم ويشفى هذا السقم وهو ان هذه الشجرة الغريبه لها خاصية عجيبه اسمها شجرة النور وفضلها
فى ذلك مشهور اذا أخذ من عصارة ورقها ووضع فى الاعمى على حدقتها انجلى عماها بقدرة ربه وبراها
وذاقها فسواها ورد اليه بصرها وزاد نظرها ثم ان الخرابة الفلانيه فيها جحر حية خبيثه وهى تابعة ملك
بابل الفاعل هذا الفعل السافل وحياته متعلقة بحياتها وموته موقوف على مماتها لان طالعه على
طالعها وطبعه الاثيم مطبوع على طابعها فبمجرد ما تموت الحية يموت وينتقل من درج الملك الى درج
الملكوت كل ذلك وابن الملك يسمع هذا القول فلجأ الى ذى القوة والحول حتى من عليه بانقشاع الغياهب
بهذا الطول وجعل ينادى ويبتهل ويقول متى يبين الصبح لى وينشد

الا أيها الليل الطويل الا انجلى ✽ بصبح وما الاصباح منك بأمثل

فلما أصبح الصباح ونادى مؤذن السعد حى على الفلاح تيمم ابن الملك وصلى وحمد الله على النهار اذا تجلى
ورض بين حجرين من ورق الشجره واكتحل بمائه فرد الله عليه بصره ثم وجه ذهابه الى تلك الخرابه
ورصد خروج تلك الحية الاثيمه وضربها ضربة بغير خاطئه فاحاط بها نازل الهلاك ووقع الملك خر الملك
ميتا على سرير الملك وبينما العزاء عليه قائم واذا بصاحب السرير عليهم قادم وقد قصد ملك أبيه وتمكن
من ملكه وذويه وتصرف فيه كما شاء والسلطنة لله يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء
وانما أوردت هذا التمثيل خوفا أن يكون صاحب مولانا الملك الجليل الذى جعل اساسه من هذا القبيل فتبدل
المحبة بالبغض وترجع على موضوعها بالنقض ثم ان بعض الاصحاب والاخوان يفعل ما يفعله من الخير
والاحسان على سبيل المكافاه لا على طريق المروءة والمصافاه فاذا كافأ بالاحسان عاد الى ما كان عليه من
العدوان فأسأل الحضرة الشريفه والمراحم المنيفه ذات الفضل المشهور والاحسان المأثور التأمل فى
عواقب هذه الامور لئلا يصيبنا ما أصاب المسافر ضيف الحداد الغادر من العقوبة التى فى الغافر فقال
أخبرنى أيها الولد الحبيب عن ذلك الامر العجيب وقاك الله الشر الرهيب (قال) بلغنى من رواة الاخبار أن
شخصا من الاخيار لازم الاسفار وقطع القفار وجاب مشارق الارض ومغاربها وبلغ أكنافها وجوانبها
وشاهد عجائبها وغرائبها وقاسى حر الزمان وقره وذاق حلوه ومره وعانى خيره وشره فأداه بعض السير الى
بلد كبير فرأى فى بعض نواحيه وطرف من بعض ضواحيه طائفة من الصبيان قد اجتمعوا فى مكان
فوصل اليهم ذلك الفقير فوجدهم واقفين على حفير يرمون فيه بالاحجار وهم يستغيثون بالستار من العدو
المكار والخبيث الغدار والحسود القديم والكافر اللئيم والشيطان الرجيم فسألهم ما هذا العمل فقالوا
عفريت وقع فى هذه البئر المعطل وهو عدو قديم نريد أن نقتله فقال افسحوا حتى انظر اليه وأساعدكم
عليه ففسحوا عن ذلك الهاوى فنظر فى قعر الركى فرأى فى جانب منها حفيرا متقززا وقد هشموه وكسروه
وسحطوه وكاد يهلك مما جرحوه فعندما نظر اليه رق له وعطف عليه وقال أفضل المعروف اغاثة الملهوف
وان لم يكن بيننا سابقة صداقه ولا شبهة صحبة ولا علاقه بل عداوة ناجمه ومباينة لازمه لكن فعل
الخير لا يبور ولله عاقبة الامور واذا قصد الانسان فعل الخير فلا عليه ان فعل مع أهله أو الغير وقد قيل للتمثيل
ايها الانسان قد عدا الذم افعل الخير والقه فى اليم ثم منع عنه الكبير والصغير وساعده على الخروج من

(أما بعد) فان الله تعالى خلق الخلق برحمته ومن على عباده بفضله وكرمه ورزقهم ما يقدرون
به على اصلاح معايشهم فى الدنيا ويدركون به استنقاذ ارواحهم من العذاب فى الآخرة وأفضل ما رزقهم الله تعالى ومن
به عليهم العقل الذى هو الدعامة لجميع الاشياء فلا يقدر احد فى الدنيا على اصلاح معيشته ولا احراز نفع ولا دفع ضرر الا به وكذلك طالب الآخرة المجتهد فى العمل المنجى به روحه لا يقدر على اتمام عمله واكماله الا بالعقل الذى هو سبب كل خير ومفتاح كل سعادة فليس لاحد غنى عن العقل والعقل مكتسب بالتجارب والادب وله غريزة مكنونة فى الانسان كامنة كالنار فى الحجر لا تظهر ولا يرى ضوءها حتى يقدحها قادح من الناس فاذا قدحت ظهرت طبيعتها وكذلك العقل كامن فى الانسان لا يظهر حتى يظهره الادب وتقويه التجارب ومن رزق العقل ومن به عليه واعين على صدق قريحته بالادب حرص على طلب سعد جده وادرك فى الدنيا أمله وحاز فى الآخرة ثواب الصالحين وقد رزق الله الملك السعيد انوشروان من العقل أفضله ومن العلم أجزله ومن المعرفة بالامور أصوبها ومن الافعال أسدها ومن البحث على الاصول
والفروع أنفعه وبلغه من فنون اختلاف العلم وبلوغ منزلة الفلسفة ما لم يبلغه ملك قط من الملوك قبله حتى كان فيما طلب وبحث عنه
من العلم أن بلغه عن كتاب بالهند علم انه اصل كل أدب ورأس كل علم والدليل على كل منفعة ومفتاح عمل الآخرة وعلمها ومعرفة النجاة

البير واستنقذه من أيديهم وأطلقه فكان كمن اشتراه وأعتقه فلما رأى العفريت هذا الاحسان من ذلك الانسان من غير سابقة ولا عرفان قبل يده ورجله وشكر له هذه الفعلة وقال اني عاجز عن مكافأتك بالاحسان في هذا الاوان وأنا اسمي فلان فان وقعت في ضيق أو ضللت في طريق فنادني باسمي أحضر اليك بجسمي وانفعك في ضيقك وارشدك الى طريقك وأكافئك أيها الاوحدي بما فعلته معي ثم ودع كل صاحبه وطاف في السياحة جانبه فوصل السائح الى بلدة من البلاد له فيها صديق حداد فنزل عنده فأكرمه ورحب به وخدمه وكان لتلك البلدة عادة مستمرة انهم في يوم معين في كل سنة يقربون من يقدم عليهم فيه ولا يسالون أنطفل هو أم نبيه فان لم يقدم عليهم غريب في ذلك اليوم اقترع فيما بينهم القوم فمن خرجت قرعته ذبحوه وكسروا قرعته وقربوه فوافق ذلك اليوم قدوم السائح ولم يدروا به من غادر ورائح ولا شعر به أحد من أهل تلك البلدة فأخذوا في القرعة بالاجتهاد فطرقت القرعة قرعة الحداد فقبضوا عليه وعزموا على تقريبه فقال عندي غريب لم يكن أحد يدري به فلم يدر السائح الا وقد أحاطت به الشوائح فهجموا عليه وربطوا عنقه ويديه ثم سحبوه وحبسوه وفي أضيق مكان أجلسوه وأشهروا النداء انه حصل للحداد الفداء فعلم السائح القضية وتحقق أنه تورط في بلية فذكر اسم العفريت وقد علقه الهم علوق النار بالكبريت فحضر ساعته ووقته فرأى السائح في هوله ومقته واطلع على جلية الشان فقال لا تخش يا ذا الاحسان اعلم ان أمير هذه البلدة له ولد هو واحد أبويه واني الآن أصرعه بين يديه ثم أنادي في النادي ان رمتم شفاء هذا العليل فهو بدعاء ذلك الرجل الجليل السيد الصالح الزاهد السائح ضيف الحداد الذي بسببه حصلت هذه الانكاد فاطلقوه والتمسوا دعاءه فان فعلتم ذلك تم شفاؤه ولا تطلبوا من غيره دواءه فاذا طلبوك وأعزوك وارغبوك وأكرموك واحترموك فادع بأن يرفع نكدهم فاني اذ ذاك أترك ولدهم فاذا رأوا أمثال هذه الكرامة بالغوا وسألوك الزعامة وخيروك بين الرحيل والاقامة وأقل ما يفعل معك السلامة ثم ذهب الى ابن الملك وخبطه وحل في أعضائه وربطه فتخبط الصبي وتخبل وتكسل وتخبل وكادت روحه تخرج ويدرج مع من يدرج فاشتغلوا بشأنه عن أمر قربانهم فطلبوا الاطباء فأعياهم علاج هذا الداء ولم يقدروا على علاجه وتعديل مزاجه وتقويم اعوجاجه واشتغلت الخواطر وتنكد البادي والحاضر فعند ذلك نادى العفريت من ذلك البيت يسمعون كلامه ولا ينظرون مقامه ان زوال هذا العارض ومنع هذا الداء المعارض عند رجل قدوة مستجاب الدعوة رجل صالح زاهد سائح عالم عامل كامل فاضل هو بركة البلاد والعباد مادة الصلاح وقاطع الفساد وهو ضيف الحداد الذي فرط منكم في حقه سوء الادب فادركوه بالطلب واسرعوا نحوه والتمسوا منه دعوه والا فولدكم هالك عنوه وبادروا باللحوق لئلا يخرج السهم من فوق فان سهم هذا المصاب بسبب ذلك أصاب فركب الملك بنفسه وسارع الى باب حبسه ودخل عليه وأكب على رجليه وطلب دعاءه ورام لولده شفاءه فتوضأ وصلى وأعرض عنهم وولى وتوجه ودعا فحصل للولد الشفا ونهض في الحال كأنما نشط من عقال ثم ان العفريت جاء الى الرجل السائح وقال لا تحسب اني اذا كافيتك صادقتك أو صافيتك كيف وعداوة قديمة مغروزة وغروس التباغض في حدائق ذواتنا مركوزة أنا من نار وأنت من تراب شيمتك الترابية وشيمتي الاحراق والتراب وهل استقام اعوجاج قوام أو وجد بين المتباينين التئام وانما كان هذا الوفاء لئلا ينسب الى الجفاء ونحن على الكدر دون الصفاء وعلى ما نحن عليه من العدوان وان لم يصر بيننا مرافقة ولا كان ثم صار شملنا هبا وترك السائح وذهب (ثم قال ابن الملك) ومن أنواع المحبة والصداقة وما تأكد فيها من العلاقة نوع محبة تتوفر فيه الرغبة ينشأ من فرط الشهوة ويركب من صاحبه على الصبوة وتميل اليه النفس والطبيعة ولكن تكون استحالته سريعة فيزول بأدنى سبب ويشبه شواظ اللهب يلتهب ساعة

من هو لها فأمر الملك وزيره بزرجمهر ان يبحث له عن رجل أديب عاقل من أهل مملكته بصير بلسان الفارسية ماهر في كلام الهند ويكون بليغا باللسانين جميعا حريصا على طلب العلم مجتهدا في استعمال الادب مبادرا في طلب العلم والبحث عن كتب الفلاسفة فأتاه برجل أديب كامل العقل والادب معروف بصناعة الطب ماهر في الفارسية والهندية يقال له برزويه فلما دخل عليه كفر له وسجد بين يديه فقال له الملك يا برزويه اني قد اخترتك لما بلغني من فضلك وعلمك وعقلك وحرصك على طلب العلم حيث كان وقد بلغني عن كتاب بالهند مخزون في خزائنهم وقص عليه ما بلغه عنه وقال له تجهز فاني مرحلك الى أرض الهند فتلطف بعقلك وحسن أدبك وناقد رأيك لاستخراج هذا الكتاب من خزائنهم ومن قبل علمائهم فتستفيد بذلك وتفيدنا وما قدرت عليه من كتب الهند مما ليس في خزائننا منه شيء فاحمل معك وخذ معك من المال ما تحتاج اليه وعجل ذلك ولا تقصر في طلب العلوم وان أكثرت قيمة النفقة فان جميع ما في خزائني مبذول لك في طلب العلوم وأمر باحضار المنجمين فاختاروا له يوما يسير فيه وساعة صالحة يخرج فيها وحمل معه من المال عشرين جرابا في كل جراب فيه عشرة آلاف دينار فلما قدم برزويه بلاد الهند طاف بباب الملك ومجالس السوقة وسأل عن خواص الملك والاشراف والعلماء والفلاسفة فجعل يغشاهم في منازلهم ويتلقاهم بالتحية ويخبرهم بأنه رجل غريب قدم بلادهم لطلب العلوم

وقد

وقد ذهب وربما أدى الى الهلاك والعطب كما فعل بالبطة الثعلب حيث كانت محبتها غير صادقة ومودتها بالشهوة ممازجة وشتان ما بين المحبة الخالصة والمحبة المنافقة لا جرم أدت الى عكسها وازهاق نفسها قال الملك أخبرنى أيها الحبر كيف هو هذا النظير (قال ابن الملك) ذكر أن زوجا من البط كان له مأوى على شط جار بين رياض ومروج وغياض أزاهيرها عطرة ورياحينها نضرة وقريب من وكر البطتين مأوى لابى الحصين فحصل لذلك الثعلب المرض المسمى بداء الثعلب فسقط وبره وتمعط صوفه وشعره وذاب جسمه وتهرى جلده وقارب التلف واللحاق بمن سلف وصار كما قيل

أصبح فى امراضه يذهب * كخرقة بال على الثعلب

فلما انحله السقم وأضناه قالت له سلفاه لما زاد به المرض واشتد دواء دائك كبد البط فان أكلت كبد بطة نصلت من هذه البلاء البتة فقال ومن لى بهذا الدواء اذ ليس لى حوالك والبط فى الهواء فشفاء هذا الداء العضال من باب التعلق بالمحال وكأن الشاعر عنانى اذ سمع أنينى ورأى سكونى تحت احمال شجونى بقوله

فقال قم قلت رجلى لا تطاوعنى * فقال خذ قلت كفى لا تواتينى

ثم استنهض همته واستنجى نهمته وصمم عزيمته واستعمل فكره واستوى مكره وقال لنفسه لا يخلصك من هذا الاشكال الا التشبث بذيل المحال لعل الله واهب العطية يظفرنى بهذه الامنية ثم ترك جسمه وهو يتشحط الى صوب البط وصار يتغافل فى جنبات الشط الى ان لاح له احد الاثنين أنثى هاتين البطتين فتغفل الى ان قاربها ثم واثبها فساعدته القوة فهوى فى هوة فما وسعه الا ان تغافل وأظهر المودة وخالط وعبرت عيناه وباط وارى من نفسه ان تلك الوثبة اغماء من داعية المحبة ونهضة الاشتياق الى الاحبة ثم بادر وقال مرحبا بالجارة الصالحة ومن نورتها مسالك المعرفة فائحة وأخذ لاقوا غانية ببشر النظير رائحة المخدرة الحميدة الجيبة النجيبة حياك الله من قرينة رضية جميلة الاوصاف بهية فما أكثر احسانك وفضائلك وأوفر امتنانك وفواضلك لقد عممت باحسانك جميع معارفك وجيرانك وأطعمت زوجك وعيالك ويحقق كل احد حسن الشيم خلالك وما زال ينفق عليها من حواصل هذه الزعبلات ويفهم أردان عقلها من معادن هذه التمويهات حتى سكنت بعض السكون وركنت اليه أدنى ركون ثم أخذ فى الايناس وتمهيد قواعد الاساس حتى اطمأنت واستكانت واستمكنت ثم قال انا لله ولا حول ولا قوة الا بالله ترين ما رأى فيك زوجك من الخلل ولاح له من عيب حتى فعل ما فعل قالت وما فعل ذلك البعل قال لولا ان الخبر يقبح به والنميمة مشؤمة ونقل المجالس قبيحة وان كانت وقائعها صحيحة أمر مذموم وهذا معلوم لكنت أفصحت وأشبعت القول ونصحت ولكن الصبر على الضرائر فعل الحرائر والورد لا يخلو عن شوك ولا الشماس عن نوع نوك فلما سمعت هذه الفحوى حملتها المحبة الممزوجة بالشهوة ان ألحت عليه وسألت ايضاح ما لديه وأقسمت عليه بحق الجوار الا ما اطلعها على هذه الاسرار فقال لولا ان الجوار ذمة لما فهت بكلمة خصوصا وقد ألححت بالقسم وتشفعت بالجوار والذمم وأيضا الود وفور الشفقة وعظم المحبة والمقة واعتمادى عليك انك ثقة وان صدرك مخزن الاسرار وانك سيدة الاحرار ما اطلعتك على شئ مما كان وصار اعلمى ان زوجك المشتط قد خطب بنت ملك البط ولى فى هذه المكيدة مدة مديدة آخرها اليوم كان قد أرسل الى القوم الماشطة والخاطبة أن يهيؤا أسبابه فلما سمعت هذا الكلام ساورها من الغيرة الضرام ولا تشك فى انه صادق وذهلت عن التبين فى خبر الفاسق وجميع الاخبار عن الازواج يتوقف فيها النساء الا خبر الزواج ثم انها ما سكتت وأرت تجلدا وتماسكت وقالت أصلح الله من الازواج ما طاب له لا حيلة الا الانقياد وترك المراد وموافقة السنة والجماعة والدخول تحت الامر بالسمع والطاعة وماذا يفيد التدله والحيرة ان الدلال جدع أنف الغيرة قال والامر كما ذكرت

والادب وانه محتاج الى معاونتهم فى ذلك فلم يزل كذلك زمانا ما وهو لا يتأدب عن علماء الهند بما هو عالم بجميعه وكأنه لا يسلم منه شئ أو هو فيما بين ذلك يسترشدهم وحاجته واتخذ فى تلك المدة التى طال مقامه أصدقاء كثيرة من الاشراف والعلماء والفلاسفة والسوقة ومن أهل كل طبقة وصناعة وكان قد اتخذ من بين أصدقائه رجلا واحدا قد اتخذه لسره وما يجب مشاورته فيه الذى ظهر له من فضله وأدبه واستبان له من صحة اخائه وكان يشاوره فى الامور ويرتاح اليه فى جميع ما أهمه الا انه كان يكتم هذا الامر الذى قدم من أجله لكى يبلوه ويخبره وينظر هل هو أهل ان يطلعه على سره فقال له يوما وهما جالسان يا أخى ما أريد ان أكتمك من أمرى فوق الذى كتمتك اعلم انى لامر قدمت وهو غير الذى يظهر منى والعاقل يكتفى من الرجل بالعلامات من نظره حتى يعلم سر نفسه وما ينطوى قلبه عليه قال له الهندى انى وان لم أكن بدأتك وأخبرتك بما جئت له واياه تريد وانك تكتم أمرا تطلبه وتظهر غيره فما خفى على ذلك منك ولكنى لرغبتى فى اخائك كرهت ان أواجهك به وانه قد استبان ما تخفيه منى فأما اذ قد أظهرته ذلك وأفصحت به بالكلام فانى مخبرك عن نفسك ومظهر لك سريرتك ومعلمك حالك التى قدمت لها فانك قدمت بلادنا لتسلبنا كنوزنا النفيسة فتذهب بها الى بلادك وتسر بها ملكك وكان قدومك بالمكر والخديعة ولكنى لما رأيت صبرك ومراقبتك على طلب حاجتك والتحفظ من ان يسقط منك الكلام مع طول مكثك عندنا اشتهيت ان أبين لك سريرتك وأعورتك

وما أحسن ما افتكرت وصبرت وما عكّن الطعن في الحلال ولكن هذا دليل الملال وكل من ادعى هواك وتخال في طريق سواك ولو بخلال من سواك فلا شك أنه قلاك وبنار الهجر والجفا سلاك وليس هذا ساعة وتمضي ولا حادثة تقع ثم تنقضي انما هو أمر دائم ونزاع أبد الدهر قائم وأنا ما أخشى الا عليك مما يصل من النكد اليك فان حقك ثابت علي وضررك عائد الي فانك جارة قديمة معروفة بحسن الشيم لم أر منك الا الاحسان وعدم التعرض الى ايذاء الجيران وكل منا قد اعتاد بالآخر وباهى بصحبته وجواره وفاخر وأخاف ان يتجدد لي في الجوار من يتصدى لي بالاضرار ويؤذي ولا يعرف حق الجار لا يعرفني ولا أعرفه ولا ينصفني ولا أنصفه فيتكدر لي الوقت ولا أخلو من نكد ومقت لا سيما وأنا ضعيف مبتلى نحيف فلا يستقيم الحال ولا أقدر على الارتحال ولا أزال بسبب المضارب ويقتل منها في الذر وقع العقارب حتى أترقب اسمه ونتذف سويداها من مكر سمه فاسترشدته الى وجه الحيلة في هذه النازلة الوبيلة فقال الرأي السديد والفكر الرشيد أنه اذا أوصل قوله بفعله واتبع في اذاه فرضه بنفله واختار غيرك عليك طلقيه والف زوجا لديك وأرض الله واسعة وهو المعتدي في القطيعة وأنا أكون السفير في زوج يخجل البدر المنير يعمر دارك ويعرف مقدارك ويخدم كيلك ويحب جارك ويملأ وكرك خيرا ويطنك طيرا ودارك شعيرا وبرا مع كونه وافر الحشمة مسموع الكلمة قد جمع بين طرفي الاصالة والمرمة فقالت هذا الذي تقول أمر معقول والى الآن ما وقع وعلى تقدير ان يقع أن يحصل الشقاق والنفاق وترجيح الانذال المستجدة على الكرام العتاق فيكون بيننا هذا الاتفاق وان وقعت بيننا المعادلة ولم يحصل في حقي منه مساهلة ولا القدرة على مفاضلة كيف أشاققه وعلى فعل مباح أضايقه فضلا عن أني أفارقه وكيف أخرب داري وأضر بحبي وجاري وأشمت بي الأعداء ويتعاطى بي من كل جهة البلاء ولكن الرأي المحمود عندي يا ودود الصبر في كل حال على الأمر المكدود وتجرع الغصص لئلا يشمت الحسود كما قيل في المثل ما بي دخول جهنم ولكن بي شماتة اليهود فلما رأى الخبيث انه لم يفده هذا الحديث ولم تتم له الحيلة وأفكاره الوبيلة قال أقول الحق الذي يخصص ولا عنه محيد ولا مخاص ان زوجك قد نقل اليه انك اخترت غيره عليه وانك عاشقه وعيبتك له مخادعة ومماذقة وثبت ذلك لديه وعقد اعتقاده عليه وعزمه على الزواج انما هو تعلل واحتياج لفتح باب الشر وتعاطي أسباب النكد والضر وقد ثبت عندي ان ذلك الأفاك الأثيم السفاك يريد أن يجرعك كأس الهلاك فتيقظي لنفسك وتداركي غدك في أمسك قبل حلولك في رمسك واستفتي قبل عكسك وأنا منذ سمعت هذه الاخبار لم يقر لي قرار وذلك لوفور الشفقة وحسن الجوار وقد زدت ضعفا على ضعفي وكدت لهذا الغم أسقى كأس حتفي وأنت بأغراض الحاسد تعلمين ان ليس لي غرض فاسد وهذا بديهي التصور لا يحتاج الى تدبر ولا تفكر وانما غرت عليك والامر في هذا كله منك واليك فتكدر خاطرها وتشوشت ضمائرها وضاقت بها الحيل وانقطع منها العلم والعمل ومن سمع بخل وصالت أفكارها وجالت وبدر منها ان قالت والله لو أمكنني لقتلته ولو وجدت فرصة لاغتلته واسترحت من نكد الدهر المغير وهذا العيش الوحش المكدر فالتقط الثعلب هذه الكلمة من فيها وعلم ان سهم ختله نفذ فيها لان عقود المحبة انحلت وصورة المودة القديمة زالت واضمحلت وتلاشت الصداقة بالكلية واغتنمت شهواتها بأدنى جزئية فقال لا تهتمي لذلك يا ضرة هند فعندي عقار من عقاقير الهند أحلى في المذاق من ساعة التلاق وامضى من السيف في حكم الفراق اسمه اكسير الموت وتدبير الفوت وسم ساعة وتفريق الجماعة لو أكل منه ذرة أو شم منه نشره لقتل في الحال وفرق الأوصال من غير امهال فان اقتضى رأيك الأسد ان تتخلصي من هذا النكد ناولتك منه شذره تكفيك ذرة منه أمره فان شئت أطعمته وان شئت أشممته ولولا انك عزيزة علي لم أفعل من

ازددت رغبة في امثالك وثقة بمقالك فأجبت مودتك فاني لم أر في الرجال رجلا هو أرصن منك عقلا ولا أحسن أدبا ولا أصبر على طلب العلم ولا أكتم لسره منك ولا سيما في بلاد غربة ومملكة غير مملكتك وعند قوم لا تعرف سنتهم وان عقل الرجل ليبين في ثمان خصال الاولى منها الرفق والثانية ان يعرف الرجل نفسه فيحفظها والثالثة طاعة الملوك والتحري لما يرضيهم والرابعة معرفة الرجل موضع سره وكيف ينبغي أن يطلع عليه صديقه والخامسة أن يكون على أبواب الملوك أديبا ملق اللسان والسادسة ان يكون لسره وسر غيره حافظا والسابعة ان يكون على لسانه قادرا فلا يتكلم الا بما يأمن تبعته والثامنة ان كان بالمحفل لا يتكلم الا بما يسأل عنه فمن اجتمعت فيه هذه الخصال كان هو الداعي الخير الى نفسه وهذه الخصال كلها قد اجتمعت فيك وبانت لي منك فالله تعالى يحفظك ويعينك على ما قدمت له فساعدتك اياي وان كانت لتسليني كنوزي وذخائري وعلمي فانك أهل لان تسعف بحاجتك وتشفع بطلبتك وتعطى سؤالك فقال له برزويه اني قد كنت هيأت كلاما كثيرا وشعبت له شعوبا وأنشأت له أصولا وطرقا فلما انتهيت الى ما بدأتني به من اطلاعك على أمري والذي قدمت له وألقيته على من ذات نفسك ورغبتك فيما ألقيت من القول اكتفيت باليسير من الخطاب معك وعرفت الكثير من أموري بالصغير من هذه الكلام واقتصرت به معك على الايجاز ورأيت من اسعافك اياي بحاجتي ما دلني على كرمك وحسن وفائك فان الكلام اذا ألقي الى

هذه الامور بشئ ولقد فضلتك على روحي فاكتمي هذا السر ولا تبوحي فتحملت منه جميلته وعرفت قدرته وفضيلته وطلبت منه الدوا اتذهب به عن قلبها الجوا وتقتل زوجها المسكين وتسلم من نكده وتستكين وزالت تلك المحبة القديمة ونسيت الصحبة والصداقة القويمة ووعدها الثعلب أن يأتيها بالعقار وفارقها على هذا القرار ثم انها انتظرته ليفي بوعدها واحترق صبرها من نار وجدها ووقدها وتقاعد الثعلب عنها ينتظر ما يتأتى منها فحملها مثير الوجد اليه وساقها الاجل المحتوم الى ان قدمت عليه فدخلت وكره وقبلت يده وصدره فتمكن منها ذلك الغادر ومزقها كما يريد فصارت كالامس الغابر وانما أوردت هذا التمثيل لئلا يكون أصحاب مولانا السلطان من هذا القبيل فيكون المعتمد عليهم والمستند اليهم كالنائم على تيار الانهار والمؤسس بنيانه على شفا جرف هار قال الملك معاذ الله يا ولدي وقرة عيني وكبدي أن يكون صاحبي ومعتمدي من هذا النمط وشبيها بالعفريت والثعلب والبط بل كل من أصحابي وسائر أوليائي وأحبابي ما منهم الا الصديق المهذب والرفيق المؤدب والشفيق المدرب والعتيق المجرب وقد جربته في المودة والاخاء والشدة والرخاء والمروأة والصفاء كما جرى ذلك للتاجر المجرب صديقه في الشدة والارتخاء قال الولد ينعم مولانا الامام بتقرير هذا الكلام (قال الملك) بلغني أن بعض التجار الاكرمين الاخيار والكرماء الابرار كان له مال جزيل وولد صالح جليل سعيد الطالع سديد المطالع عالي الهمه متوالي الحشمه ميمون الحركات جميل الصفات حسن الصوره مشكور السيره طاهر السريره وكان أبوه قد تخيل فيه مخايل السعاده وتفرس فيه آثار النجابة والاجاده فكان لا يصبر عن تأديبه وارشاده الى سبيل الخير وتهذيبه وتربيته بمكارم الاخلاق وترتيبه فقال له يا بني ان الانسان يحتاج الى كل شئ وأعظم ما يحتاج اليه ويعول في التحصيل عليه الصاحب الصافي والصديق المصافي والرفيق المساعد في وقت الشدائد فان المال ميال والذهب ذاهب والفضة منفضة والملبوس يبوس والمأكول متأكل والخيل خيال والفواضل شواغل والدهر قاسي والعمر عاصي والاقارب عقارب والرال معاند والولد كمد والأخ فخ والعم غم والخال خيال والدنيا وما عليها لا يركن اليها وما ثم الا رفيق ذو وفاء مجبول على الصدق والصفاء ان غبت ذكرك وان حضرت شكرك مأمون على نفسك ومالك وأهلك وعيالك في حالك ومآلك ان غاب صانك وان حضر زانك فهو أفضل موجود يقتنى وأحسن مودود يصطفى فان ظفرت به فتشبث بسببه ثم قال له يا بني قد أقمت في الحضر وانقضى لك فيه ما ذقت من الامور فلا بأس أن تحيط علما بأحوال السفر فان السفر محك الرجال وجالبة الاموال ومكسبة التجارب ومرآة العجائب والغرائب فاعزم على بركة الله تعالى وتوكل عليه واصحب معك فيه ما تحتاج اليه ثم أفاض عليه المال وأضاف اليه صالحي الرجال وحين ودعه ووصاه واستودعه قال يا بني لا تجعل دابك وطلبك واكتسابك الا استجلاب الصاحب النافع دون سائر المنافع فانه أوفر بضاعة وأربح تجارة وليس على الصديق الصدوق أبدا خساره واجعله في سفرك نصب عينك واشتره بنفسك ومالك ونقدك ودينك وقد قيل

أخاك أخاك ان من لا أخا له * كساع الى الهيجا بغير سلاح

والمراد به الصديق واعلم ان الاخ الصلبي ربما يضرك وأما الصديق الصالح فانه أبدا يسرك والصاحب الشفيق خير من الاخ الشقيق وقد قيل رب أخ لم تلده أمك فقبل الشاب وصية أبيه ثم توجه في وجهه وذويه بتحصيل ومال جزيل فمكث غير بعيد ثم عاد وهو سعيد فقال له أبوه جئت وما أسرع ما جئت قل لي أين ذهبت وماذا اكتسبت فقال يا أبت امتثلت مرسومك الكريم واكتسبت بالمال كل ولي حميم وقد جمعتهم زمرا وعدتهم خمسون نفرا كل منهم صديق صادق ورفيق موافق في الفضل بارع والى الخير مسارع وفي الرخاء صادق الاخاء وفي الشده أوفى عده قال أبوه يا بني كيف

الفيلسوف والسر اذا استودع الى اللبيب الحافظ فقد حصن وبلغ به نهاية أمل صاحبه كما يحصن الشئ النفيس في القلاع الحصينة قال له الهندي لا شئ أفضل من المودة ومن خلصت مودته كان أهلا أن يخالطه الرجل بنفسه ولا يدخر عنه شيأ ولا يكتمه سرا فان حفظ السر رأس الادب فاذا كان السر عند الامين الكتوم فقد استرزمن التضييع مع انه خليق أن لا يتكلم به ولا يتم سر بين اثنين قد علماه وتفاوضاه فاذا تكلم بالسر اثنان فلا بد من ثالث من جهة أحدهما أو من جهة الآخر فاذا صار الى الثلاثة فقد شاع وذاع حتى لا يستطيع صاحبه أن يجحده ويكابر عنه كالغيم اذا كان متقطعا في السماء فقال قائل هذا غيم متقطع لا يقدر أحد على تكذيبه وأنا فقد بدا خلني من مودتك ومخالطتك سرور لا يعدله شئ وهذا الامر الذي تطلبه مني اعلم انه من الاسرار التي لا تكتم فلا بد أن يفشو ويظهر حتى يتحدث به الناس فاذا فشا فقد سعيت في هلاكي هلاكا لا أقدر على الفداء منه بالمال وان كثر لان ملكنا فظ غليظ يعاقب على الذنب الصغير أشد العقاب فكيف بمثل هذا الذنب العظيم واذا حملتني المودة التي بيني وبينك فاسعفتك بحاجتك لم يرد عقابه عني شئ قال برزويه ان العلماء قد مدحت الصديق اذا كتم سر صديقه وأعانه على الفوز وهذا الامر الذي قدمت لك انك ذخرته ولك أرجو بلوغه وأنا واثق بكرم أخلاقك ووفور عقلك واعلم انك لا تخشى مني ولا تخاف ان أبديه بل تخشى أهل بيتك الذين بلغوا الملك أن يسعوا بك وأنا أرجو أن لا يشيع

تصفهم بهذه الصفة وتعرفهم بهذه المعرفة ولم تجربهم في قضية ولا واقعة صعبة أو رخيصة وقد قيل

لا تحمدن امرأ حتى تجربه * ولا تذمنه من غير تجريب

وقد قيل أيضا

اذا رمت أن تصفي لنفسك صاحبا * فمن قبل أن تصفي له الود أغضبه

فان كان في وقت التغاضب راضيا * والا فقد جربته فتجنبه

(وقيل أيضا)

الناس أكيس من أن يحمدوا رجلا * ما لم يروا عنده آثار احسان

واعلم يا ذا اللطائف اني نخائف أن يكون أصحابك وأصدقاؤك وأحبابك مثل أصحاب الرئيس المدبر الخامل النفيس الذين رعوه في روض وفره وتركوه في قفر فقره قال ابنه يا أبت كيف ورد ذلك وثبت قال التاجر ذكر رواة الاخبار أنه كان في بعض الامصار رجل رئيس كبير نفيس له أموال وافرة وجهات متكاثرة وأماكن عامرة وضياع ومزدرعات وبساتين واقطاعات وعقار له ارتفاعات فكان ولده يمد يده الى كل معصية ومفسدة ويجتري ذلك السفيه على كل ما يلوح له من جهات أبيه والتف عليه جماعة من عبيد البطن والجماعة كأنهم طير قرلي ان رأى خيرا تدلى وان رأى شرا تعلى ومد يد الاسراف في التبذير والاتلاف وصار أبوه ينصحه ويردعه عن جوره ويكبحه وقال له يا بني استعمل الارتفاق في الانفاق واستخلص من الرفاق ذوي الاشفاق واعلم أن هذا المال مولاك مدخر وانصرافك فيه منتظر وانما أنا لك خازن والله تعالى مجازيك على فعالك من مساو ومحاسن وتيقن أن المال هو عزك في الدنيا وزادك الى الاخرى وأن له وجوها ومصارف ومواضع ومعارف فاذا صرف في غير محله ودفع الى غير أهله كان اثما ووبالا وفي الآخرة عذابا ونكالا وأحق الناس المستحق لنزول الباس من اكتسب المال حلالا وبذره في الفساد عنادا وضلالا وادخر به اثما وخبالا فصرفه الى من لا يحمده وعليه حسابه ونكاله وأنت اذا صرفت مالك ووزعته وفي غير مواضعه زرعته وانفقته على من لا يعرف فضائلك ولا يحمل جمائلك ولا يشكر صنائعك ولا يقصد نفعك ولا يجلب لك خيرا ولا يكشف عنك ضيرا خرجت من عز الدنيا وفوت زاد الاخرى وهؤلاء الذين قبالك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين ثمرة صحبتهم الندامة وعاقبة أمرهم الخيبة والملامة والبعد عنهم غنيمة وسلامة واذا كان الامر كذلك فاياك يا ولدي ثم اياك من صحبة هؤلاء الاحداث والتلوث بقربهم فانهم أخباث واحتفظ بصون مالك ولا تنفقه الا على نفسك وعيالك وفيما يبقى ماء وجهك في حالك ومآلك ولا زال أبوه قابض عنانه بقدر طاقته وامكانه يذكره هذه الوصية بكرة وعشية حتى أدركته المنية وخلف ذلك المال العريض لذلك الولد المريض فمد يده كما كان الى كل مفسدة ونسي يومه وغده وشرع في مناهي الملاهي وقرر حديث من كتاب فقه الزهو باب الاخواس وسجود السهو واجتمع عليه قرناء السوء وحضروا وخلاه ولهم الجو فباضوا في الفساد وصفروا وغابوا عن الرشاد وما حضروا وصاروا يعظمونه ويكرمونه ويحترمونه فاذا كذب صدقوه واذا ضرط شمتوه وشمتوه واذا نهق طربوا واذا أخطأ صوبوا واذا قعد قاموا واذا قام ناموا يفدونه بالمهج والارواح ويلازمون خدمته في المساء والصباح وكان له أم مدبرة عاقلة مفكرة فقالت له يا بني لا تكن صبي وتذكر وصايا أبيك واياك ومن يليك وتأمل ما لديك واحفظ مالك وما عليك ودبر معاشك وصن ماء وجهك ورياشك واعلم أن أصحابك وعشراءك وأحبابك وندماءك ورفقاءك وأخصاءك وأصدقاءك كلهم عبيد البطن ولو رقأت بذي شيق أو سعن لا خير عندهم ولا مير وجميعهم كسير وعوير فاياك اياك وصحبة من لا يتولاك لا تركن الى صداقتهم ولا تعتمد على موافقتهم فانهم في الرخاء يأكلونك وفي البلاء يتركونك والى مخالب القضاء يسلمونك رأس مال محبتهم ما في يديك وأساس بنيان مودتهم ما يرونه من النعماء عليك فان فاتت والعياذ بالله فلوا وخلوك في عقد النوائب مربوطا واشغلوا وأقل الاقسام يا ذا الاحتشام ان تجرب أصحابك وتختبر من يلازم

شيء من هذا الامر لاني أنا ظاعن وأنت مقيم وما أوقت فلا ناثت بيننا فتعاهدا على هذا جميعه فاجابه الهندي الى ذلك الكتاب والى غيره من الكتب فاكب على تفسيره ونقله من اللسان الهندي الى اللسان الفارسي وأتعب نفسه وأنصب بدنه ليلا ونهارا وهو مع ذلك وجل وفزع من ملك الهند خائف على نفسه من أن يذكر الملك الكتاب في وقت ولا يصادفه في خزانته فلما فرغ من انتساخ الكتاب وغيره مما أراد من سائر الكتب كتب الى أنوشروان يعلمه بذلك فلما وصل اليه الكتاب سر بذلك سرورا شديدا ثم تخوف معاجلة المقادير أن تنغص عليه فرحه فكتب الى برزويه يأمره بتعجيل القدوم فسار برزويه متوجها نحو كسرى فلما رأى الملك ما قد مسه من الشحوب والتعب والنصب قال له أيها العبد الناصح الذي يأكل ثمرة ما قد غرس أبشر وقر عينا فاني مشرفك ومبلغك أفضل درجة وأمره أن يريح بدنه سبعة أيام فلما كان اليوم السابع أمر الملك أن يجتمع اليه الامراء والعلماء فلما اجتمعوا أمر برزويه بالحضور فحضر ومعه الكتب ففتحها وقرأها على من حضر من أهل المملكة فلما سمعوا ما فيها من العلم فرحوا فرحا شديدا وشكروا الله على ما رزقهم ومدحوا برزويه وأثنوا عليه وأمر الملك أن تفتح لبرزويه خزائن اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة وأمره أن يأخذ من الخزائن ما شاء من مال أو كسوة وقال يا برزويه اني قد بالك أمرت أن تجلس على مثل سريري هذا وتلبس تاجا وتترأس على جميع الاشراف فسجد برزويه للملك ودعا له وطلب من الله وقال أكرم الله

بابك ويقبل بشفاه المودة اعتابك في شيء نابك اعجزعن حمله نابك من حوادث القضاء اوفي حالة من احوال الغضب والرضاء اوالسعة والضيق اوالتكذيب والتصديق فمن وجدته ناصحا صادقا او مطاوعا مصادقا وفي كل الاحوال موافقا وفي الرخاء والشدة مرافقا يوثق به في الغيبة والحضور وحالتي السرور والشرور يؤدي الامانه ويجتنب الخيانه ويغار على دينك وعرضك ويساعدك على اداء سنتك وفرضك فاركن اليه واعتمد في امورك عليه ومن وجدته منافقا وفي اخلاصه مازقا يفتح شقة الوداد بوجهين ويتكلم كمناقض المداد بلسانين فلا تقربه ولا تصحبه فان بعده غنيمه والخلاص منه نعمة جسيمه وانظر بعين الثبات ما في هذه الابيات من حسن الصفات فمن كان بها متصفا فتمسك باذياله فانه من اهل الصفا وهي هذه

وقد قيل قول المرء يكشف عقله * ويبدي خفاياه وما كان يكتم * فهذا كلامي مظهر ما اكنه
وأكثر هذا الخلق من عيبهم عموا * فمن شيمتي اني مطيع لصاحبي * واصفح عن خصمي وان كنت اخصم
وأرضى لنفسي دون ما هو حقها * والزمها للفضل ما ليس يلزم * اذا قال اصغي للمقال واني
لاعلم منه بالمقال وافهم * ولم اشك من خل لشكلا علي * ومن لي بخل لا يمل ويسأم
واقطع في بحثي وان كنت غالبا * واسكت حتى قيل ذا ليس يعلم * لابقي وداد الناس لي لا اضيمه
ومن لا يداري الناس يرمى ويرغم * وفي كل ذا تقوى الاله شعائري * ولا بد من لا يتقي الله يندم
ولا نقص في عقلي واسباب نعمتي * واني واني بالكمال مكرم * ولي همة يسمو الى الاوج قدرها
ولكن خمول المرء للدين اسلم * ووجه اعتقادي مثل عرضي ابيض * وديني متين واعتمادي مقوم
وحسبي من دنياي قوت وخرقة * بها في آثار من قد تقدموا
فهذي غرر زانت لدي واني * لاحوالي هذي الخصال واعزم

فاثر هذا الكلام فيه وتامل ما تضمنته فحاويه ثم اراد ان يجرب ملازميه ومن يرومه ويحسده بقديه فقال يوما من الايام وقد اجتمعوا على منادمة المدام اتفق امر عجيب وشان غريب وهو انه كان عندنا هاون في زاوية مخزون زنته ربع قنطار اتى الفار عليه الفار فقرضه واكله وشبع بالاكل وشغله فلم يدرك من ذلك الشأن في مكانه الا ما فضل من برادة اضراسه واسنانه فرشفت ثغورا ذلك ثم منطقه واستحلى كؤسها كل منهم وصدقه وقالوا هذا وقع بغير شك لان الهاون كان فيه ودك والفار اسنانه باضنه واضراسه بين حرافيش بغداد قاطعه فلما راى انهم وافقوه وصوبوا كلامه وصدقوه ازدادت فيهم شبهته وقويت اليهم رغبته حيث شاركوه وحققوا وصدقوا مقاله فاسرع الى امه مسرورا فرحا محبورا منشرحا وقال يا اماه انظري كلام اصحابي واخبري بمقام احبابي ذكرت لهم كلاما باطلا ومن حلية الصدق والامكان عاطلا فصدقوه بالامر به واثبتوا حقيقته من غير فريه وصاغوا له من جواهر التمويه حليه وذكر ما جرى له مع من الهاون والفار والوك فقالت له امه يا ولدي ومهجة كبدي هذا امر يضحك منه الجاهل ويبكي على حالك منه العاقل كما قيل

امور تضحك السفهاء منها * ويخشى من عواقبها اللبيب

اعلم ايها الذاهل الغافل انك لست من اصحابك على طائل وهؤلاء اعداء في صورة اوداء وهم في المثل كما قيل

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

وتيقن ان هؤلاء في النعمة خادعون وفي النقمة خاذلون وانت شاب غرير وبعواقب الامور لست بصير لا مارست الخلق ولا فرقت بين الصادق من ذوي الملق لا اختبرتهم ولا سبرتهم ولا دخلت مداخلهم ولا ميزت مخارجهم ومداخلهم ان الصديق الصادق والرفيق الموافق من يصدقك عيوبك ويغفر لك بعد نصيحتك

تعالى الملك كرامة الدنيا والآخرة واحسن في ثوابه وجزائه فاني بحمد الله مستغن عن المال بما رزقني الله على يد الملك السعيد الجد العظيم الملك ولا حاجة لي بالمال لكن لما كلفني ذلك وعلمت انه يسره ان امضي الى الخزائن فآخذ منها طلبا لمرضاته وامتثالا لامره ثم قصد خزانة الثياب فاخذ منها تختا من طرائف خراسان من ملابس الملوك فلما قبض برزويه ما اختاره ورضيه من الثياب قال اكرم الله الملك وصدق في حمده ابد الابدان الانسان اذا اكرم وجب عليه الشكر وان كان قد استوجبه تعبا ومشقة فقد كان فيهما رضا الملك واما انا فقد لقيته من عناء وتعب ومشقة لما اعلم ان لكم فيه الشرف يا اهل هذا البيت فاني لم ازل الى هذا اليوم تابعا رضاكم ارى الصعب فيه يسيرا والشاق هينا والنصب والاذى سرورا ولذة لما اعلم ان لكم فيه رضا وقربة عندكم ولكني اسالك ايها الملك حاجة تسعفني بها وتعطيني فيها سؤلي فان حاجتي يسيرة وفي قضائها فائدة كثيرة قال انوشروان قل فكل حاجة لك قبلنا مقضية فانك عندنا عظيم ولو طلبت مشاركتنا في ملكنا لفعلنا ولم نرد طلبتك فحسبك ما حوت ذلك فقل ولا تحتشم فان الامور كلها مبذولة لك قال برزويه ايها الملك لا تنظر الى عنائي في رضاك وانكماشي في طاعتك فانا انا عبدك يلزمني بذل مهجتي في رضاك ولو لم تجزني لم يكن ذلك عندي عظيما ولا واجبا على الملك ولكن لكرمه وشرف منصبه عمد الى مجازاتي وخصني واهل بيتي بعلو المرتبة ورفع الدرجة حتى لو قدر ان يجمع لنا بين شرف الدنيا والآخرة لفعل فجزاه الله عنا افضل الجزاء قال

أنوشروان اذكر حاجتك فعلي ما يسرك فقال برزويه حاجتي ان يأمر الملك أعلاه الله تعالى وزيره بزرجمهر بن البختكان ويقسم عليه ان
يعمل فكره ويجمع رأيه ويجهد طاقته ٣٦ ويفرغ قلبه في نظم تأليف كلام متقن محكم ويجعله بابا يذكر فيه أمري ويصف

ذنوبك واطلعك على حقائق الاشياء ونبهك على ما خفي من امور الدنيا وارشدك الى ما يزينك ويصلح به دنياك ودينك وابكاك اذا نصحك لا من أضحكك وفضحك وأما الذي يداهن ويلبس ويوسوس ويدلس ويروج الباطل ويحلي العاطل فذلك ابليس يصادق على التحقيق واغناه وعدو فلا يكن لك معه قرار ولا هدو فلم يلتفت الشاب الى هذا الخطاب حيث كان مصادما لغرضه غير شاف لدائه ومرضه وقال صدق من نطق وفاه بالكلام الحق من قال افشاء السر الى النساء فعل الاحمق ثم تركه ما ترغو واستمر هو مع اقرانه باللهو وداوم على تلك الحال حتى اذا دنت لنفادها الاموال وبيع الرخيص والغال فاستفاق من سكرته واستيقظ من رقدته الا والاموال قد ذهبت والديون قد ركبت وهو ينشد والى مذهبه يرشد

ابن ذهبوا في ملامي أيما ذهبوا * في الخمر لا فضة تبقى ولا ذهب

الى ان ذهبت السكره وجاءت الفكره ونفقت البيضاء والصفراء في الحمراء والخضراء وأصبح ملقى على الارض السوداء وأتعس من فوق الغبراء وأفلس من تحت الزرقاء وتراجع عنه الاصحاب وعاداه الاصدقاء والاحباب ورجعوا عنه بعدما سئموا منه وصار ناديه يناديه

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وصارت صحبتهم له تكلفا ورؤيتهم اياه تأسفا فاتفق له في بعض الايام ان قال في أثناء الكلام لذلك الجمع بعينه الذين كانوا أجمعوا على صدق يمينه الفار الغدار أكل لنا في الدار البارحة رغيفا كاملا فأتى على أكله شاملا فما أبقى منه لبابه ولا غادر من غير وجوده صبابه فتنادوا للمحال بالمحال والكذب في الاقوال الفار الضعيف كيف يأكل كل الرغيف وهو جاهر خفيف وتناولوه بالطعن وتناوشوه بألسنة السب واللعن وزيفوا اقواله وسفهوا أفعاله وانما ذكرت هذا الكلام يا أعز غلام وأحسن من البدر التمام لتعلم ان أكثر من يدعي صدق الصحابه من ذوي المعارف والقرابه انما دعواه كذابه كسحاب صيف لا يديم انسكابه وان الشخص مع الناس الاوغاد والاكياس بمنزلة كوز الفقاع ان رأوا فيه حلاوة الانتفاع استلموه وبالايدي رفعوه وقبلوه ورشفوه واذا مصوا حاصوله وفرغوه رموه وتركوه وتحت الاقدام طرحوه ثم قال التاجر لولده راحة روحه وجسده وان كان من صحبتهم وفي سفرك كتبتهم مثل هؤلاء الاصحاب فاياك ان تفتح لهم الباب وترفع بينك وبينهم الحجاب (فقال الولد) معاذ الله الواحد الاحد يا أبت عندي ثبت انهم بدور كرام وصدور عظام يقومون لقيامي وينصتون لكلامي ويجيبون ندائي ويؤمنون على دعائي وهم أخلاء في السراء والضراء (فقال أبوه) اعلم يا ابني وقرة عيني اني عمرت سبعين سنه وعاينت من الامور الخشنة والحسنه وبلوت الاصحاب وتلوت الاعداء والاحباب ورأيت الدنيا وأهلها وقلبت وعرها وسهلها ولم أترك من جنس بني آدم في أكناف الآفاق واطراف العالم من أمم العرب والعجم نوعا لم أخبره وصنفا لم أسبره فلم يحصل لي على التحقيق غير صديق ونصف صديق فأنت يا بني العزيز الغالي كيف قدرت بالتوالي في هذه المدة اليسيرة على جمع هذه الطائفة الكثيرة وها أنا يا امام أريك مصداق هذا الكلام واطلعك من بين الاصحاب على ما لهم من مقام ثم عمد الى شاة فذبحها وبدموا في ثياب طرحها ثم ادرجها وفي كفن ادمجها وقال لابنه قم بأذا الارتقاء أرني هؤلاء الاصدقاء واحدا بعد واحد لتحقق غيب غيبهم بالشاهد وتعرف طرائقهم وتتبين حقائقهم ثم وضع الشاة في عدل وأخفى كل هذا الفعل وحمل العدل على ظهر غلام وخرج ليلا والناس نيام وقصد أحد الاصحاب وطرق عليه الباب فخرج مسرعا اليه وتراءى متواضعا بين يديه وظهر البشر والسرور والابتهاج والحبور وبالغ في الاحتشام والاكرام والاحترام وشكر مساعي الاقدام ثم بادر الى دعوته للدخول وتعاطى انجاح ماله من سؤل ومأمول فقال له الشاب يا زين الاصحاب وعين الاحباب دع الكلام اضيق المقام فقد دهتني دهيه وعرتني بليه وأعظم بها من قضيه

حالي ولا يدع من المبالغة في ذلك أقصى ما يقدر عليه ويأمره اذا استتم أن يجعله أول الابواب التي تقرأ قبل باب الاسد والثور فان الملك اذا فعل ذلك فقد بلغ بي وبأهلي غاية الشرف وأعلى المراتب وأبقى لنا ما لا يزال ذكره باقيا على الابد حيثما قرئ هذا الكتاب فلما سمع كسرى أنوشروان والعظماء مقالته وما سمت اليه نفسه من محبة ابقاء الذكر واستحسنوا طلبته واختياره قال كسرى حبا وكرامة لك يا برزويه انك لاهل أن تسعف بحاجتك فما أول ما قنعت به وأيسره عندنا وان كان خطره عندك عظيما ثم أقبل أنوشروان على وزيره بزرجمهر فقال له قد عرفت مناصحة برزويه لنا وتجشمه المخاوف والمهالك فيما يقربه منا واتعابه بدنه فيما يسرنا وما أتى به الينا من المعروف وما أفادنا الله على يديه من الحكمة والادب الباقي لنا فخره وما عرضنا عليه من خزائننا لنجزيه بذلك على ما كان منه فلم تمل نفسه الى شيء من ذلك وكان بغيته وطلبته منا
أمرا يسيرا رآه هو الثواب منا ولا كرامة الجليلة عنده فاني أحب ان تتكلم في ذلك وتسعفه ببغيته وطلبته وبا
واعلم ان ذلك مما يسرني ولا تدع شيئا من الاجتهاد والمبالغة الا بلغته وان نالك فيه مشقة وهو ان تكتب بابا مضارعا لتلك الابواب التي في

ويا الهامن رزيه فقال ماهي وقيت الدواهي فقال كان بيني وبين واحد من أهل الشقاوه خصومة قديمه
وأسباب عداوه اسمه معروف وذكره موصوف شخص مفقود لم يكن له حقيقة في الوجود وهو من أكابر
الزمان وأحد الرؤساء والاعيان فتلاقينا في خلوه وتداعينا ما بيننا من جفوه وتناقشنا الاسباب وتناوشنا
باللعن والسباب وتناولنا في الشقاق شق الاعراق وتأذت القلوب من الاغراض بالامراض وتنقلنا من
المكالمة الى المشاتمه ومن المواصمة الى اللكمه وترقينا من الكفاح الى الجراح فثارت النفس المشؤومه الى
ايقاع حركة ذميمه فضربته ضربة جرحته وقتيلا طرحته ولم يشعر بنا أحد من أهل البادية والبلد وندمت غاية
الندم وأني يفيد وقد زلت القدم وجرى قلم القضاء بما حكم ثم أفكرت بمن أستعين على هذا الامر المبين وأدرت
في خاطري كل مساعد ومعين فلم يمل القلب الا اليك ولا استقر انحدار في ركونه الا عليك وقد قصدت
جنابك ويممت بابك اذ أنت أعز مخدوم والسر عندك مكتوم وها هو مقتول لا أتمكن بمجهول فاحفر لهذه
الجثة حفيره واخفني عندك أياما يسيره الى أن نطفئ هذه النائره وتسكن الفتنة الثائره وهذا وقت المروه
وزمان الفتوه والقيام بحق الصداقة والاخوه فلما سمع الصاحب الحق هذا الكلام القلق تغير وتضرر
وتنكد وتنور وقال يا أخي بيتي ضيق ومرافقه حرج ضيق لا يسع أولادي ولا زادي وعتادي واذا ضاق عن
الاحياء فكيف بالاموات وهذه بلية من أوحش البليات وأظنها لا تخفى على الناس ويدركها أولوا الفراسة
والاغبياء فضلا عن الاكياس لان قضاياكم قبل اليوم مشهوره وبلغني ان عداوتكم قديمة مذكوره وفي
التواريخ وصدور الكتب مسطوره ولكم وقعات ونوازل وله أيتام كأنهم الزغب الحواصل وأما أنا فلا يمكنني
الدخول فيها ولا أتعاطى بوجه من الوجوه ولا نلافيها فاكفني شرها واذهب بي الى غيرها وانا اكتم سرها
فلا تفضحني من جهتي شرها فألح عليه فما أفاد ورده غير ظافر بما أراد فلما أيس منه تركه وانتقل عنه ودار
على سائر أصحابه وذكر لهم مثل الاول وخطابه فكان جواب الجميع مثل جوابه الى أن أتى على الجميع
واستوفى شريفهم والوضيع ورأى ما هم عليه من طبع بديع كأنهم كانوا متواردين على شرب هذا
الصنيع فعاد الى دار أبيه ورجع الى صحبان النبيه فقال له عبد الملك أصدقت صدق ما قلت لك
وتبينت ماهية أصدقائك وحقيقة أوليائك وانهم نقش حيطان ورقش غيطان وغمام بلا مطر وأكمام
بلا زهر وأجام بلا ثمر (ثم قال) قم يا زين الاحباب أريك ما قلت لك من حقيقة الاصحاب ثم دخلا الطريق
وقصدا نصف الصديق وطرقا الباب فخرج وتلقاهما بالترحاب فقال له ذلك المقال وقصده ونيته انه لا يحب
من ذلك المقال فقال حبا وكرامه حللتما منزل السلامه انا لكم نشيط وأحلكم في بسيط غير اني أعلمكم
ان منزلي غير فسيح حتى ادفن فيه هذا الذبيح ولا يمكن حفره ولا تضييع ولا يمكن في مطاويه ولا مسيغ
وأخاف ان أمركم لا يختفي وبهذا المقدار أمركم لا تكتفي ويدي لا تعمل غيره وقد وقعت بهذا المسعى [?]
سيره وبالجملة والتفصيل أنا أكفيكما شر هذا القتيل فقالا لا نقنع بذلك ولكن [?] هذا المسالك فقال
توجها حيث شئتما فلا أنا ممن ولا انتما قلتما فتوجها الى الصديق الكامل وذكر الامر الهائل
وقصدا بتلاقيه كرمه الشامل فقال لهما أوثق غير ذلك وتوقا كفاكما الله شر المهالك فقالا لا ادفن هذا المقتول
واخفاء هذا الامر المهول وان نكون تحت أذيالك السائره حتى تسكن هذه الفتنة الثائره فان أهله
يطالبونا فان وجدونا يسلبونا ولا يرضون الا بالدمار وخراب الديار ولا يقنعون بالمال والعقار وهذه قضية
عظيمه وداهية جسيمه فان كنت تهتم باطفائها وتحمل أعبائها وتسعى في اخفائها فقد قصدناك ودون
الاصحاب أردناك فان عجزت عن سدها فلا عتب عليك في ردها ولا تتكلف فوق طاقتك ولا تقحم
لاجلنا غير استطاعتك فقال سبحان الله واسوأتاه هذا يوم البر وأوقات الوفاء وتذكر وسائل اخوان الصفاء
فلكم الفضل اذ قصدتموني والمنة التامة حيث أردتموني أما والله لو كان الفضيل لواريته وكل ما كان

الكتاب وتذكر فيه فضل برزويه وكيف كان ابتداء أمره وشأنه ونسبته اليه والى حسبه وصناعته وتذكر فيه بعثته الى بلاد الهند في حاجتنا
وما أفادنا على يديه من هذا الملك وشرفنا به وفضلنا على غيرنا وكيف كان حال برزويه وقدومه من بلاد الهند فقل ما تقدر
عليه من التقرير البليغ
والاطناب في مدحه
وبالغ في ذلك أفضل
المبالغة واجتهد في ذلك
اجتهادا يسر برزويه وأهل
المملكة وان برزويه أهل
لذلك مني ومن جميع
أهل المملكة ومنك
أيضا لمكانك العلوم
واجهد أن يكون غرض
هذا الكتاب الذي ينسبه
الى برزويه أفضل من
أغراض تلك الابواب
عند الخاص والعام وأشد
مشاكلة بحال هذا العلم
فانك أسعد الناس كلهم
بذلك لانفرادك بوضع هذا
الكتاب واجعله أول
الابواب فاذا انتهيت به
ووضعته في موضعه
اقرأه لأجمع أهل
المملكة وتقرأه عليهم
فيظهر فضلك واجتهادك
في خدمة الملك ويكون لك
بذلك ذكر فلما سمع
بزرجمهر مقالة الملك خر له
ساجدا وقال أدام الله لك
أيها الملك البقاء وبلغك
أفضل منازل الصالحين
في الآخرة والاولى لقد
شرفتني بذلك شرفا باقيا
الى الابد ثم خرج بزرجمهر
من عند الملك فوصف
برزويه من أول يوم
دفعه أبواه الى المعلم ومضيه
الى بلاد الهند في طلب
العقاقير والادويه وكيف تعلم خطوطهم ولغتهم والى ان بعثه انوشروان الى الهند في طلب الكتاب ولم يدع من فضائل برزويه وحكمته
شيئا الا ذكره ووضعه به امر الادويه وأتى به بأجود ما يكون من الشرح ثم أعلم الملك بفراغه منه فجمع أنوشروان أشراف قومه وأهل مملكته

وأدخلهم اليه وأمر بزرجمهر بقراءة الكتاب وبرزويه قائم الى جانب بزرجمهر وابتدأ بوصف برزويه حتى انتهى الى آخره وفرح الملك
بما أتى به بزرجمهر من الحكمة والعلم ثم أثنى الملك وجميع من حضره على بزرجمهر وشكروه ومدحوه وأمر له الملك بمال
جزيل وكسوة وحلى
وأوان فلم يقبل من ذلك
شيأ غير كسوة كانت من
ثياب الملوك ثم شكر له
ذلك برزويه وقبل رأسه
ويده وأقبل برزويه على
الملك وقال أدام الله لك
الملك والسعادة فقد بلغت
بي وبأهلي غاية الشرف
بما أمرت بزرجمهر من
صنعة الكتاب في أمري
وابقاء ذكري

(باب عرض الكتاب)

(ترجمة عبد الله بن المقفع)

هذا كتاب كليلة ودمنة
وهو مما وضعته علماء
الهند من الامثال
والاحاديث التي ألهموا
ان يدخلوا فيها ابلغ
ما وجدوا من القول في
النحو الذي أرادوا ولم تزل
العلماء من أهل كل ملة
يلتمسون ان يعقل عنهم
ويحتالون في ذلك بصنوف
الحيل ويبتغون اخراج
ما عندهم من العلل حتى
كان من تلك العلل وضع
هذا الكتاب على أفواه
البهائم والطير فاجتمع لهم
بذلك خلال أما هم
فوجدوا متصرفا في القول
وشعوبا يأخذون منها
وأما الكتاب فجمع حكمة
ولهوا فاختاره الحكماء
لحكمته والسفهاء للهوه
والمتعلم من الاحداث
ناشط في حفظ ما صار اليه من أمر يربط في صدره ولا يدري ما هو بل عرف انه قد ظفر من ذلك بمكتوب مرقوم وكان
كالرجل الذي لما استكمل الرجولية وجد أبويه قد كنزا له كنوزا وعقدا له عقودا استغنى بها عن الكدح فيما يعمله من أمر معيشته فأغناه
اقول

من أمر غيره جار به وداريته لا يسمع أبدا خبره ولا ترى عينه ولا أثره وأما أنتما فافديكما بروحي وأولادي وطريفي وتلادي وعندي ديار أنزه من جنان الابرار وأفيح من كل دار فادخلوها بسلام آمنين فانها تشرح كل قلب حزين ولو أقمتم بها سنين ما شعر بكم أحد من العالمين فيها أرغب نديم وأقرب خديم وأحسن جليس وأمن أنيس فان تحولوا مقامها ولا تعدموا اكرامها فانتم عندي من لا يمل أبدا انزله ولكم في ذلك الفضل والجميل له قال التاجر شكر الله سعيك وحفظ على أمثالك مودتك ورعيك ثم ودعه وانصرف وقد عرف الوالد من حقيقة الامر ما عرف (ثم) قال لولده يا بني وأعز عندي من كل شيء ان اتخذت الصديق فليكن صديقك على هذا الطريق والا فالانفراد أحسن والعزلة أوفق ان أمكن كما قيل

فاق حبي كل الملاح كمالا ❊ هكذا هكذا والا فلالا

ولقد أرشد من أنشد حيث قال هذا المقال

ما في زمانك من ترجو مودته ❊ ولا صديق اذا جار الزمان يفي
فعش فريدا ولا تركن الى أحد ❊ اني نصحتك فيما قد جرى وكفي

(ثم ان الملك) قال لاولاده يا ذوي الافضال ان غالب أصحابي من الامراء والرؤساء الكبراء خصوصا فلان أمير ملك خراسان هم من هذا القبيل وأنا عودتهم هذا الجميل فكونوا في الحقيقة متمسكين باسباب هذه الطريقة (فلما) أكمل وصيته أولاده هيأ أسفره عتاده وذكر الله وزاده ثم ودعهم من دار الشرور وانتقل الى دار الحبور والسرور وقد عهد الى أكبر أولاده واستودعهم الله وهو القاهر فوق عباده من لا تضيع الودائع لديه ولا يخيب من توكل عليه فسمعوا الوصية وأطاعوا وتعلقوا بأذيال أهدابها فما أضاعوا واستمروا تحت أمر أخيهم كما كانوا في حياة أبيهم كأن أباهم ما مات ولم يقع بينهم شتات فدام لهم السرور وانحسمت عنهم مواد الشرور وأشرقت بهم ممالكهم وأملاكهم ودارت بالسعود أفلاكهم ثم ان الحكيم حسيبا انتقل من كلامه العجيب بعد فراغه من حكم ملك الاعجام الى فوائد ملك الاتراك الهمام فشنف المسامع وشرف كل راء وسامع وشرع في المقال والقيل وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(الباب الثالث في حكم ملك الاتراك مع ختنه الزاهد شيخ النساك)

(قال) الشيخ أبو المحاسن حسان صاحب الحسن والمحاسن والاحسان ثم نهض الحكيم حسيب الاديب الاريب ووقف في مقام حمده وقبل موطئ أخمصه شاهنشاه وقال لقد بلغني أيها السلطان ان في قديم زمان كان في الترك ملك يسمى خاقان من الملوك العادلين والسلاطين الفاضلين بوسم العدل معروف وبقصم الجور موصوف كسر الاكاسره وقصر الاقاصره وشمر الجبابره وتفرقم القياصره (؟) أباد الغالبين ملك بلاد اقاتن والخطا واستولى على ممالك المغل والختا وأطاع أوامره الترك والتتار واستسلم لرأيه سكان الدست والقفار وكان يأبوج من جملة خدمه ومأجوج من بعض عبيده وحشمه كأنه وارث ذو القرنين في أخذ الملك من ممالك الصين وأخذ الى أطراف الشمال باليمين ولم يكن له من البنين والبنات مع كثرة السراري والزوجات سوى بنت واحدة لعالمها الاقمار شاهدة

شمس ولا كالشمس عند زوالها ❊ بدر ولا كالبدر في نقصانه

بل بهرت الشمس جمالا والبدر كمالا وفاقت ملاح الدنيا شمائل وخصالا وهي عزيزة في قلب أبيها كريمة على خواصها وذويها فصارت ملوك الاطراف يخطبونها ومن أبيها يطلبونها فكان أبوها يفوض الامر اليها ويعتمد في تزويجها عليها وهي لا ترغب في طالب ولا تصغي لخطبة خاطب الى ان عنست وخطابها أيست وكان أبوها كاذكر فطنا بالفه وهيبة دامغة نخشى حوادث الزمان واختلى بها في مكان وقال اعلمي يا معدن اللطائف ان البنت في منزل أبيها كالماء الواقف ان مكث يأسن وان لم يستعمل انتن ولا

ما اشرف عليه من الحكمة عن الحاجة الى غيرها من وجوه الادب وينبغي لمن قرأ هذا الكتاب ان يعرف الوجوه التي وضعت له والى أي
غاية يجري مؤلفه فيه عند ما نسبه الى البهائم واضافه الى غير مفصح وغير ذلك من الاوضاع التي جعلها امثالا فان قارئه

أقول ذلك مللا ولا عجزا ولا استقلالا بل لابد للمرأة من زوج يلمها فيسترها ويضمها ونعم الختن القبر واهلي
من البنت الصبر فان رأيت الرغبة في الزواج طلبت لك كفؤا من الازواج وكان ذلك استرا لعرضك وأدنى
لاقامة سنتك وفرضك وافرغ لخاطر بالك واشرح لخدمك وذويك فقالت أحسن الله الرحمن الى مولانا
الخاقان وكفاه كل جان من الانس والجان ان البنين من جملة النعم والبنات من اعداد النقم ونعم الدنيا
عليها الحساب ونقمها سبب الاجر والثواب قال رب الارباب فيما انزله من الخطاب في محكم الكتاب المال
والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا وقد جاء في بعض التفاسير ان
الباقيات الصالحات هي البنات فمولانا الملك يعد وجودي نقمة عليه من معبودي واسأل الصدقات
الملوكيه والمراحم الوالديه ان لا يعجل في أمر تزويجي وان لا يبادر كيفما اتفق الى تزويجي فان التأمل في
ذلك أولى وثناء في الدنيا وثواب في الاخرى وذلك لان الكفاءة في الزواج معتبره وقد قرر ذلك الفقهاء البرره
وان لم يكن الزوج للمرأة كفؤا فزواجها به يقع معرة وهزؤا ولا يفيد سوى الغرامه والفضيحة والندامه
فقال الملك لا أزوجك الا بكفء كريم يكون لك أدنى خديم وفي الناس أعلى مقام عظيم قالت يا مولانا الملك
وقاك الله شر المهلك لا تحمل اعتراضي على الاساءه وانما اسأل عن كيفية الكفاءه فان كانت بالملك والمال
فان ذلك في معرض الزوال وان كانت بانساب الانساب فان ذلك خطأ لا صواب قال منزل الكتاب العزيز
الوهاب فاذا نفخ في الصور فلا انساب وقال من لا يجوز عليه كذبه من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه وانما
الفقهاء حكموا بالظاهر والله يتولى السرائر ونحن في قيد الانقياد ولا يسعنا الا ما امر به الشرع وأراد وأما
انا فكفئي الكريم انما هو الكامل الحليم الفاضل الرحيم قال الملك بارك الله في رأيك وعقلك انا لا ازوجك
الا بملك مثلك أو ابن ملك مثل أبيك يرعاك ويكرم خدمك وذويك يعدل بالسويه ويحكم على سائر الرعيه
قالت أيها الملك الكبير صاحب التاج والسرير انا ما أعرف الملك الا من يعرف على الحاكم على نفسه في سيره
ويكون متمكنا من الحكم على غيره فيحق ان يقال في ملكه ذي الجلال خلد الله سلطانه وشيد
أركان ملكه وبنيانه قال الملك ومن هو ذلك بارك الله فيك وهداك قالت أما الحاكم على نفسه فهو المالك
الزمام جوارحه وحسه قد جعل خزائن القلب والسمع معادن لجواهر العقل والشرع فما اقتضاه العقل
مضاه وعمل بمقتضاه وما ارتضاه الشرع وقضاه كان في انقياده ورضاه قد تحلى بعقود مكارم الاخلاق ولو
كان في اسمال اخلاق وشغل نفسه بتهذيبها واجتهد في خلاصها من شرك عيوبها واهتم بعيوبه عن عيوب بعيده
وقريبه وبغيضه وحبيبه فذلك الحاكم على نفسه المبرز على ابناء جنسه واما حكمه على غيره فهو ان يكون في
سلوكه وسيره معتزلا عن الناس فيزويا البأس لا يسأل عن احوالهم وعيوبهم ولا ينظر الى ما في
ايديهم وجيوبهم مالكا زمام العزله متنعما بهذه النعمة الجزله قد اتخذ التقوى والقناعة احسن حرفة
وأربح بضاعه قد سلم الناس من يده ولسانه لا يدري بشانهم ولا يدرون بشانه فذلك الحاكم على غيره الذي
من ملك الدارين بخيره فهو الذي خلد ملكه وسلطانه واتضح للعالمين برهانه فان وجد بهذه الصفات موافق
فانه لي كفء مكافي وانه كالبدر يجلي نقي الصدر لله ولي فاذا انعم الزمان بمثل هذا والا فنعم نعم والا فلا
فجعل الملك الخاتون يطلب مثل هذا الختن وأرسل القصاد الى اطراف البلاد يسألون سكان الاكناف وقطان
الاطراف عن موصوف بهذه الاوصاف واستمروا على ذلك مده كل باذل جهده حتى أرشدوا بعد زمان
ان الملك الفلاني فيه فلان رجل أعرض عن العرض فلم يكن له في الدنيا غرض وهو بحسن الصفات
موصوف وفي كرم العبادة والاجتهاد معروف جامع لهذه الصفات ليس له الى الدنيا وأهلها التفات مشغول
باكتساب الآخره وطلب نعمتها الفاخره وهو من نسل الملوك وقد ترك وراءه رسم السلوك وسلك في العلم
والعمل السبيل الاقوم حتى كانه محمد بن الحسن أو ابراهيم بن ادهم واشد قناعة ولنفسه مجاهدة من الناس

متى لم يفعل ذلك لم يدر ما أريد بتلك المعاني ولاي ثمرة يجتني منها ولاي نتيجة تحصل له من مقدمات ما تضمنه هذا الكتاب وانه وان كان غايته استتمام قراءته الى آخره دون معرفة ما يقرأ منه لم يعد عليه شيء يرجع اليه نفعه ومن استكثر من جمع العلوم وقراءة الكتب من غير اعمال الروية فيها يقصر وكان خليقا ان لا يصيبه الا ما أصاب الرجل الذي زعمت العلماء انه اجتاز ببعض المفاوز فظهر له موضع آثار الكنوز فجعل يحفر ويطلب فوقع على شيء من عين وورق فقال في نفسه ان انا اخذت في نقل هذا المال قليلا قليلا طال علي وقطعني الاشتغال بنقله واحرازه عن اللذة بما اصبت منه ولكن سأستأجر اقواما يحملونه الى منزلي واكون انا آخرهم ولا يكون بقي ورائي شيء يشغل فكري بنقله واكون قد استظهرت لنفسي في اراحة بدني عن الكد بيسير اجرة اعطيهم اياها ثم جاء بالحمالين فجعل يحمل كل واحد منهم ما يطيق فينطلق به الى منزله فيفوز
به حتى اذا لم يبق من الكنز شيء انطلق خلفهم الى منزله فلم يجد فيه من المال شيئا لا قليلا ولا كثيرا واذا كل واحد من الحمالين قد فاز بما حمله
لنفسه ولم يكن له من ذلك الا العناء والتعب لانه لم يفكر في آخر امره وكذلك من قرأ هذا الكتاب ولم يفهم ما فيه ولم يعلم غرضه ظاهرا وباطنا

الملك الزاهد فاجمع الخاقان على مصاهرته وجعل التقرب اليه قربة لآخرته فاخبر ابنته به وكان جل مطلوبها ومطلوبه وعقد بينهم النكاح وحصل الفلاح والصلاح فوافق شن طبقه وصار العين مرامها كالحدقه ومضى على ذلك برهه وهما في طيب عيش ونزهه فاشتاق الخاقان في بعض الازمان الى رؤية ابنته وسرور مهجته فقام لدارها بقصد مزارها لينظر حالها وما عليها ومالها فوجدها في عيش هني وأمر سني فسألها عن احوال زوجها الزاهد وكيف صبرها على حاله الجاهد فاثنت خيرا وكفت ضرا وضيرا وقالت جميع ما يبرزه ويأتيه على حسب ما اريده وارتضيه وارتفاعات اعمال البلاد عادة مولانا في دفاتر الامين منضبطه وعقود حياتنا بين صدقاته في بحور الرفاهية غير منفرطه غير ان بيتنا واحد وبسبب ذلك يتضرر هذا العابد فيه نبيت وفيه نقيل ويحوي انيه ما للناس من خفيف وثقيل وقوت ونقود وخادم ومولود فلا يتفرغ من الغوغاء للعباده لانها تستدعي عزلة العابد وانفراده وتخليه لمناجاة معبوده لينظر من حلاوة الطاعة مقصوده فاسأل مولانا الخاقان ذا الفضل والاحسان بيتا يتخلى فيه للعباده ومكانا يضع فيه خرثي البيت وعتاده فقال حبا وكرامه وقربا وسلامه (ثم) اجتمع الملك بصهره الذي به فاخر وذكر له انه اعطاه بيتا آخر احدهما يكون لخلوته ومبيته والآخر يضع فيه ما يحتاجه من عتاده وقوته فقال الزاهد ايها الملك الماجد فعلت ذلك انقسم خاطري وتوزع فكري ومرائري ولا طاقة لي أن اتعلق بمكانين وما جعل الله لرجل من قلبين وانما الزاهد من همه في الدنيا واحد فانه على عدد التعلقات يتوزع القلب الشتات واذا تعددت الاماكن يحتاج كل منها الى ساكن او حافظ او ضابط او حارس او رابط وانا لا اعتماد لي بحفظ نفسي ايها الولي فكيف يكون لي اقتدار على حفظ الاغيار واذا انقسمت افكاري وفسد بالي فكيف اقدر على صلاح حالي واني يصلح مع فسادي امور معاشي ومعادي ثم اني اذا وزعت نفسي فقد نبهت راقد حرصي والحرص افعي قاتل واسد صائل يقتل بسمه بل بمجرد شمه فقال الملك الكبير لا تهتم لذلك ايها الزاهد الخطير فان لي اماكن عديده وقصورا مشيده وحواصل مصونه وخزائن مكنونه الكل تحت تصرفك واختيارك لا منازع لك فيه ولا مشارك فاجعل لكل جنس من قماشك واثاثك ورياشك وما يقوم باودك ومعاشك مكانا على حده وناحية بحفظ منفرده واتخذ لنفسك مقاما خاصا بك لا عاما وانا اقيم على كل مكان حارسا ان شئت راجلا وان شئت فارسا فمتى احتجت الى شيء أتاك هنا ميسرا من غير كد ولا سعي وتفرغ انت لعبادتك واشتغالك بامور آخرتك (قال) الزاهد ايها الملك الجاهد الاغترار بالقصور من جملة القصور والاعتماد على الحصون من دواعي الجنون واذا ورد من الملك الغفور طلب على يد القبور فماذا تجدي الدور والقصور وماذا تنفع الحصون او يدفع كل مكان مصون واذا آذن بالحلول ذلك الخطب المهول تود النفس لو كانت القصور المهده والبروج المشيده اذل من اخفوص قطاه واقل من عطش بزاه وقد قيل

قميص من القطن او حله * وشربة ماء قراح وقوت
ينال بها المرء ما يرتجي * وهذا كثير على من يموت

واعلم ايها الخاقان ان النفس لها خادمان مطيعان محبان ولما تأمر به مجيبان وهما الشهوة والحرص الشديد الدعوه اما الشهوة فرائدها الاكل الكثير والشرب واما الحرص فرائد الرعونة والعجب وقد قيل

فهذا يقود الى طمعه * وهذا يسوق الى ريبه

فهما ليلا ونهارا وسرا وجهارا يزينان لها ما تطمع اليه ويجذبانها الى ما تميل اليه ويقتضيانها حقوقهما ويطالبانها مستحقهما ولا بد للمخدوم من اقامة اوده خادمه واسترضاء انيسه ومنادمه وقد قال من اتقن المقال

ان الحبيب انما الحبيب هو الذي * مع تيهه يحنو على عشاقه
وكذا الرئيس وانت اكبر جنسه * من فاض في الخدام من ارزاقه
يهتم ان حضروا له بنواله * يهتم ان غابوا على اشواقه

لم ينتفع بما بذله من خطه ونقشه كالوارث لسيف الاقدم لمجوز صحيح لم ينتفع به الآن بكسره وكان ايضا كالرجل الذي طلب علم الفصيح من كلام الناس فأتى صديقا له من العلماء له علم بالفصاحة فاعلمه حاجته الى علم الفصيح فرسم له صديقه في صحيفة صفراء فصيح الكلام وتصاريفه ووجوهه فانصرف المتعلم الى منزله فجعل يكثر قراءتها ولا يقف على معانيها ثم انه جلس ذات يوم في محفل من اهل العلم والادب فاخذ في محاورتهم فجرت له كلمة اخطأ فيها فقال له بعض الجماعة انك قد اخطأت والوجه غير ما تكلمت به فقال كيف اخطئ وقد قرأت الصحيفة الصفراء وهي في منزلي فكانت مقالته لهم اوجب للحجة عليه وزاده ذلك قربا من الجهل وبعدا من الادب ثم ان العاقل اذا فهم هذا الكتاب وبلغ نهاية علمه فيه ينبغي له ان يعمل بما علم منه لينتفع به ويجعله مثالا لا يحيد عنه فاذا لم يفعل ذلك كان مثله كالرجل الذي زعم ان سارقا تسور عليه وهو نائم في منزله فعلم به فقال والله لاسكتن حتى انظر ماذا يصنع ولا اذعره ولا اعلمه اني قد علمت به فاذا بلغ مراده وثبت اليه فنغصت ذلك عليه ثم انه امسك عنه وجعل السارق يتردد وطال تردده في جمعه ما يجده فغلب الرجل النعاس فنام وفرغ اللص مما اراد وامكنه الذهاب واستيقظ الرجل فوجد اللص قد اخذ المتاع وفاز به فاقبل على نفسه يلومها وعرف انه لم ينتفع بعلمه باللص اذ لم يستعمل في امره ما يجب وقد يقال ان العلم لا يتم الا بالعمل وان العلم كالشجرة والعمل به كالثمرة وانما صاحب العلم يقوم بالعمل

مع

مع ان حشمته وفائض علمه ✱ ترق بكل منتهى استحقاقه

ولكن رضا هذين الخادمين غاية لا تدرك وفقد مقصود بهما نهاية حقيقة المسالك وقد قال سيد الانام عليه الصلاة والسلام يوما وهو بين الاصحاب كالشمس ليس دونها حجاب والبدر لا يحجبه سحاب لا يملأ جوف ابن آدم الا التراب والحرص مهلك والشهوة قاتلة وكل منهما في الدمار والبوار علة كاملة وناهيك بأذخر الحق وعماده أخبار اللصوص الثلاثة فطلب الملك من الزاهد ايضاح هذا الشاهد (فقال) ذكر اهل الرواية أن لصوصا ثلاثة كانوا على سبيل الاشتراك متعاطين أسباب الجرم والهلاك واستمروا على ذلك مدة حتى استولوا من الاموال على عدة ففي بعض الليالي ظفروا بجملة من الاموال ودخلوا الى مكان داثر خال بنية الاقتسام وكانوا محتاجين الى الطعام فوجدوا في ذلك المكان الداثر صندوقا مملوا من الجواهر ففرحوا وانشرحوا وتصوروا واشك انهم قد ربحوا فقالوا ان اشتغلنا بقسمة هذا المجموع كلبنا واهلكنا كلب الجوع فاولى طلب الطعام قبل الاقتسام ولو بادنى التمام وبيسير القيام ثم ارسلوا منهم احدهم الى المدينة ورفقهم ليأتيهم بما يسد رمقهم فلما انفصل عن مكانهما وغاب عن أعينهما تحركت نفسه الخبيثة بشهوة أججت تاريثه وقواها الحرص المشؤوم لشدة الشره الملوم ودعاه داعي الفساد الى الاستيلاء على المال بالانفراد فعزم على ختلهما فوضع في الطعام سما ليقتلهما وأما هما فعلى قتله عزما واستعدا لذلك بعدما جزما ليصير المال بينهما نصفين ويصيرا في ذلك كالاخوين الالفين ويكون ذلك كانه وراثة لان شر الرفقاء ثلاثة ولم يدعهما الى ذلك غير داعي الشهوة وأكد ذلك داعي الحرص واقتضى بهما من دعوه فلما فصل ذلك بالاكل بادرا اليه بالقتل ثم بعدما قتلاه عمدا الى الطعام فأكلاه فبرداق الهلال وتركا ذلك المال ولحقا بصاحبهما التالف وسيان لهما المال والطارف وانما أوردت هذه الموعظة لانها على أحوال الدهر موقظة وان كان مولانا الخاقان في أموره يقظان لكن قد قال رب العالمين وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين واعلم يا مولانا الخاقان كفاك الله مكايد الشيطان وأنجح مقاصدك على عمر الزمان أن الدرجة العلية والمرتبة السنية لا تنال بقوة ولا عزمة ولا شجاعة ولا همة وانما هي عناية ربانية وأسرار رحمانية لاقوام سبقت لهم من الله الحسنى وزيادة وانتظموا في سلك أهل السعادة فهم أهل الفضل والسيادة أسبغ الله عليهم سوابغ الانوار وقطعهم عن قواطع الاشرار فهم السادة الاخيار والقادة الابرار قاموا بأداء ما وجب عليهم وتركوا ما خلفهم واستبشروا بما لديهم فأنوارهم ساطعة وأسرارهم بجميع الاوهام قاطعة تركوا زخارف هذه الدار وأرادوا دار القرار وجوار الملك الغفار فهم الهداة الى الله الدالون على الله لا يعتريهم كدر الاوهام ولا يشتغلون عن خدمة خالقهم مدى الايام هم العباد المكرمون العباد المقربون قال الله تعالى وهو أصدق القائلين في كتابه المكنون الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون واعلم أن اعدى عدوك بين جنبيك وهي نفسك التي قط ما ركنت اليك فاعص هواها ولا تعطها مناها فان في اتباعها الندم عاجلا والحسرة آجلا لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع ولا تظن أنها اذا أعطيت مناها شكرت أو اذا ذكرتها من برأها ذكرت بل متى أمنتها كفرت أو آنستها نفرت أو ارخيت عنانها طارت وأشرت وان نالت مطلبا أو تناولت مأربا انتقلت عنه وطلبت أعلى منه فليس لها دواء الا القمع عن دواعي الهوى كما قيل

النفس راغبة اذا رغبتها ✱ واذا ترد الى قليل تقنع

وكما قيل أيضا

وما النفس الا حيث يجعلها الفتى ✱ فان أطمعت تاقت والا تسلت

وكما قيل أيضا

قنع النفس بالقليل والا ✱ طلبت منك فوق ما يرضيها

واياك وطول الامل فانه مفسدة العلم والعمل قال الحكماء وعقلاء العلماء الامل شبكة الشيطان

لينتفع به وان لم يستعمل ما يعلم فليس يسمى عالما ولو ان رجلا كان عالما بطريق مخوف ثم سلكه على علم به سمي جاهلا ولعله ان يكون قد حاسب نفسه وجدها قد ركبت أهواء هجمت بها فيما هو أعرف بضررها فيه واذا أمن ذلك السالك في الطريق المخوف الذي قد عرفه ومن ركب هواه ورفض ما ينبغي ان يعمل بما جربه هو او أعلمه به غيره كان كالمريض السالم بردىء الطعام والشراب وبعده وخفيفه وثقيله ثم حمله الشره على أكل رديئه وترك ما هو أقرب الى النجاة والتخلص من علته وأقل الناس عذرا في اجتناب محمود الافعال وارتكاب مذمومها من أبصر ذلك وميزه وعرف فضل بعضه على بعض كما ان لو ان رجلين أحدهما بصير والآخر اعمى ساقهما الاجل الى حفرة فوقعا فيها كانا اذا صارا في قعرها بمنزلة واحدة غير ان البصير اقل عذرا عند الناس من الضرير اذ كانت له عينان يبصر بهما وذلك بما صار اليه جاهل غير عارف وعلى العالم ان يبدأ بنفسه ويؤدبها بعلمه ولا تكون غايته اقتناءه العلم لمعاونة غيره ويكون كالعين التي يشرب الناس ماءها وليس لها في ذلك شيء من المنفعة وكالدودة القزالتي تحكم صنعته ولا تنتفع به فينبغي ان طالب العلم ان يبدأ بعظة نفسه ثم عليه بعد ذلك ان يقبسه فان خلالا ينبغي لصاحب

(٦ – فاكهه) الدنيا ان يقتنيها ويقتبسها منها العلم والمال ومنها اتخاذ المعروف وليس للعالم ان يعيب امرا بشيء فيه مثله ويكون كالاعمى الذي يعير الاعمى بعماه وينبغي ان طالب امر ان يكون له فيه غاية ونهاية يعمل بها ويقف عندها ولا يتمادى في الطلب فانه يقال

وهو جب الحرمان فاجهد ما دام لك على النفس ملكه أن تخلص نفسك من هذه الشبكه ولا تهتم للاقوات فكل ما قسم ما فيه فوات وكل ما هو آت آت وكل ما رقمه القلم في القدم وأثبته قضاء الله تعالى عليك وانت في العدم سواء كان خيرا أم شرا نفعا أم ضرا فانت ملاقيه وعلى كل حال موافيه فاقطع دواعي الطمع عمن لا يضر ولا ينفع لا عمن ان شاء ضر وان شاء نفع ولا تجتمع الاعشالك في الجماعات والجمع ولا تتعب لجوع وعري وا كتساء وشبع فقد قيل اذا شبعت فلا تهتم للجوع فكم من شبعان مات قبل أن يجوع واذا اكتسيت فلا تهتم للعريه فكم من مكتس مات وثيابه جديدة مطويه واعلم أن طبع الدنيا بالمخالفه كانها على المخالفة مخالفه فاذا صممت عنها بدلك المك أقبلت عليك وجاءت تهوى تحت قدميك واذا طلبتها هربت منك وكلما ارتبطت اليها انفلتت عنك وقد قيل أيها الملك الجليل

مثل الرزق الذي تطلبه ❊ مثل الظل الذي يمشي معك أنت لا تدركه مستعجلا ❊ واذا وليت عنه تبعك

ثم اعلم أيها الخاقان انك وان كنت ذا التصرف والسلطان وان هذه الخلائق رعيتك نافذة فيها مراسيمها منك الا انك في الحقيقة واحد منهم لا تزيد بشيء في الذات والصفات عنهم ولكن الله القديم العالم الحكيم سلطان السلاطين بل خالق الاولين والآخرين رفعك عليهم وتقدم بأمره أن يطيعوك اليوم فقال من له الخلق والامر أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر فهم قد أذعنوا لك وأطاعوك فراعهم كما هم راعوك واطلب لهم اسنى المراعي وأبهاها وأوردهم أعذب المشارب وأصفاها فان الملك الذي سلمهم اليك سوف يتقدم بالسؤال عنهم اليك وقد قال من أنت خليفته على أمته كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته فكن لهم كما تريد أن يكونوا لك ودن لهم كما تحب أن يدينوا لك واعلم أيها الملك الودود أن هذه النقود ان لم تصرف في مصارفها وترفل في وجوه الطاعة في مطارفها فانها جمر يضرم في نار جهنم كما قال من يقول للشيء كن فيكون يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون فاسمع أيها الملك الصالح نصيحة مشفق ناصح ولا تغتر بالدنيا وزهرتها ولا تنظر الى حلاوتها وخضرتها واياك والميل الى نزهتها ونضرتها فانك ان ملت اليها أسرتك أو جبرتها على الركون اليها كسرتك وحسبك من كلام الرب الغفور ومن بيده مقاليد الامور ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور (قال) الراوي لهذه الحكم والفتاوى فلما وعى ما قال الخلق هذه النصائح الصادقة من الخاتن أمر بها فسطرت ثم نشرت وشهرت وعلى المنابر قرئت وعلى رؤس الاشهاد ذكرت وأبانها ابانه وقررها مقدار وجهاء مكانه وملت عن الدنيا ورغبته فقالت هذا الذي كنت أردته وعلى مسامع مولانا الخاقان سردته ثم انها أقبلت على طاعة ربها وبعلها واصلاح أحوالها في قولها وفعلها وقضيا عمرهما في أنواع العباده واكتسبا بطاعتهما في الدارين الحسنى وزياده ثم اقتدى بهما الملك وعسكره حتى انتشر في آفاق المملكة بالعدل والصلاح خبره الى ان اندرج الى رحمة الله تعالى ذلك الرعيل وبقي ذكرهما خالدا على صفحات الايام جيلا بعد جيل وقد قيل في ذلك من أحسن القيل

كانوا شموسا تضيء الدهر طلعتهم ❊ وفي طريق المعالي يقتدى بهم

غابت فلولا سناهم كالبدور اضا ❊ من بعدهم تاه أهل الفضل في الظلم

هكذا يكون طالب السعادة الابديه والكرامة السرمديه اذا ملكه الله زمام الرعيه يحسن سيره في الدنيا ويتيقظ لتحصيل السعادة الكبرى ويشتغل بما يرضي عنه المولى وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (تمت بحمد الله تعالى) نوادر ملوك العرب والعجم والاتراك ويلي ذلك مباحث زاهد الانس العالم مع شيطان الجن الآثم الافاك ونسأل الله المسؤل أن يحقق لنا من كرمه واحسانه المأمول

من سار الى غير غاية فيوشك ان تنقطع به مطيته وانه كان حقيقا ان لا يعني نفسه على طلب ما لا حد له وما لم ينله أحد قبله ولا يتأسف عليه ولا يكون لدنياه مؤثرا على آخرته فان من لم يعلق قلبه بالفانيات قلت حسرته عند مفارقتها وقد يقال في أمرين انهما يجملان بكل أحد أحدهما النسك والآخر المال وقد يقال في أمرين انهما لا يجملان بكل أحد الملك ان يشارك في ملكه والرجل ان يشارك في زوجته فالخلتان الاوليان مثلهما مثل النار التي تحرق كل حطب يقذف فيها والخلتان الأخريان كالماء والنار اللذين لا يمكن اجتماعهما وليس ينبغي للعاقل ان يقنط أحدا ساق الله اليه صنعا وقد كان مرتقبا منه غير ذلك (ومن أمثال هذا) ان رجلا كان به فاقة وجوع وعري فألجأه ذلك الى ان سأل أقاربه وأصدقاءه فلم يكن عند أحد منهم فضل يعود به عليه فبينما هو ذات ليلة في منزله اذ بصر بسارق في منزله فقال والله ما في منزلي شيء أخاف عليه فليجهد السارق جهده فبينما السارق يجول اذ وقعت يده على خابية فيها حنطة فقال السارق والله ما احب أن يكون عنائي الليلة باطلا ولعلي لا أصل الى موضع آخر ولكن سأحمل هذه الحنطة ثم بسط قميصه ليصب عليه الحنطة فقال الرجل أيذهب هذا بالحنطة وليس ورائي سواها فيجتمع علي مع العري ذهاب ما كنت أقتات به وما تجتمعان والله هاتان الخلتان و يعمنا على أحد الا أهلكتاه ثم صاح بالسارق وأخذ هراوة كانت عند رأسه فلم يكن للسارق حيلة الا الهرب منه وترك قميصه ونجا بنفسه وغدا الرجل

ويعمنا بفضله من عثرات الفضول والصلاة والسلام على أعظم نبي وأكرم رسول وعلى آله وأصحابه وأكرم بالصديق والفاروق وذي النورين وزوج البتول واخوانه من الانبياء والمرسلين صلاة وسلاما يشملان العفو عنا والقبول ويمن بالكرم والفضل على قطوعنا بالوصول آمين والحمد لله رب العالمين

(الباب الرابع في مباحثة عالم الانسان مع العفريت جان الجان)

(قال) الشيخ أبو المحاسن من ماء ينابيع علمه في مجاري بدن الفضل غير آسن فلما انتهى الحكيم حسيب ذو الفضل النسيب حكاية ما طرزه مما نسجه وحاكه وفصله مما خاط تقديره على قامة المجد من خلع حكم العرب والعجم والاتراك شكره أخوه الفيل على هذا القيل وأثنى عليه من نيل نواله جزيل الفضل وأدرك من ذلك الانموذج علو عقله وسمو محله وجميل حكمه وجليل حكمه ثم قال يا أستاذ بلغني أن بغداد خرج منها خارج من نار من مارج وهبط الى مدارك الثرى عن المعارج وأصل ذلك المشوم من عفريت خلق من نار السموم وان شخص ذلك الشيطان جبل من حمام الدخان فلهذا ركب وجهه السواد وتركيب سائر جسده من الرماد فهو جني ذميم وشيطان رجيم وقد شرع ذلك الخناس في الافساد والوسواس وتعاطى ايذاء أكابر الناس وانه في هذه الايام نزل الى بلاد الشام فلم يوافقه ذلك المقام لانه مهاجر الانبياء الكرام وهذا مجبول على خطايا الآثام وطباع أهل الفساد والاجرام فاقام فيها بالاضطرار والاضطرام مدة أشهر وعدة أعوام وأخذ في الاضلال والتضليل فاضل خلقا كثيرا عن سواء السبيل وتستر ذلك الجان بحجاب الانتساب الى جنس الانسان ولبس بشق العصائب العصيان فكمن كمون الشوك تحت ورق الورد والريحان واستعمل في سعي الشقاق والنفاق شقائق النعمان والحق انه من نسل العفاريت وكان عند الجن مقيله والمبيت ومن الجن له غذاء وتربيت فقال له الملك هذا حديث ووقت فان يكن عندك من ذلك شيء فشنف من جواهر حكمه أذني فانك حكيم الجن والانس وكريم النوع والجنس (قال الحكيم) نعم أيها الملك المعظم أنا جهينة الاخبار ومزينة الاخبار وحكم الحكم ولي في البيان أعلى علم أما هذا الشخص المذكور فانه بالفسق والفساد مشهور ورقشره في البلاد منشور وكتاب عناده بين العباد مسطور وبيت حسده لنعم الله تعالى على خلص أوليائه بالفجور معمور وله صفات ذميمة وأخلاق خبيثة تأنف مردة الشياطين منها وتستنكف العفاريت عنها وكم له من دواهي شرها غير متناهي لا يليق بذكرها هذا الخطاب ولا يسع سردها هذا الكتاب بل ولا يقوم بذلك دفتر ولا حساب ولكن العبرة تدل على الخبير فقس من هذا القدر الكثير على اليسير وقد كان أراد نشر الفساد ببلاد العراق وبغداد فما كسه القدر وأباد فنفي من تلك البلاد فوصل ارم ذات العماد وتعاطى أسباب ما هو عليه من الزندقة والالحاد فاثار أصناف الفتن وأنواع العناد وابتدع من الشر والبدع ما يخرج عن حصر التعداد وهو على ما هو عليه من المناكدة والمجاهدة وقصده الاعوج من تعديل أقوال الرافضة والاعداء وسيوضع لذلك منتقى متسع على حده ولقد بلغني أيها الملك الهمام انه حصل له في ذلك المقام مع عالم من علمائها الاعلام قضايا كشفت على خبثه ومخبثه وأظهر بها ذلك العالم دسائس خبثه وشومه مثل ما اتفق لعالم الانسان مع شيطان العفاريت وجان الجان في غابر الدهر وماضي الزمان فقال الفيل المعظم أخبرنا بذلك أيها الطبيب الكريم فقال ذكر أن في الازمان الغابرة كانت صنوف الجن للانس ظاهرة تتراءى بأشكال مختلفة وتتزيا بأمثال غير مؤتلفة وتظهر لهم الخيالات العجيبة والصور المموهة الغريبة فتضلهم ضلالا بينا وتأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم ثم لا تدعهم وتخاطبهم مشافهة وتوافقهم مواجهة ففي بعض الايام ظهر ببلاد الشام مهبط الوحي ومهاجر الانبياء الكرام وشيخ رجال الرجال من أهل الفضل والافضال رجل من العباد وأفراد الزهاد فاق الاقران بالصلاح وساد أهل الزمان بالورع والفلاح وحاز طرف العلم والعمل فكمل

به كاسبا وليس ينبغي ان يركن الى مثل هذا ويدع ما يجب عليه من الحذر والعمل في مثل هذا لصلاح معاشه ولا ينتظر الى من تواتيه المقادير وتساعده على غير التماس منه لان أولئك في الناس قليل والجمهور منهم من أتعب نفسه في الكد والسعي فيما يصلح أمره وينال به ما أراد وينبغي أن يكون حرصه على ما طاب كسبه وحسن نفعه ولا يتعرض لما يجلب عليه العناء والشقاء فيكون كالحمامة التي تفرخ الفراخ فتؤخذ وتذبح ثم لا يمنعها ذلك ان تعود فتفرخ موضعها وتقيم مكانها فتؤخذ الثانية من فراخها فتذبح وقد يقال ان الله تعالى قد جعل لكل شيء حدا يوقف عليه ومن تجاوز في الاشياء حدها أوشك أن يلحقه التقصير عن بلوغها ويقال من كان سعيه لآخرته ودنياه فحياته له وعليه ومن كان سعيه لدنياه خاصة فحياته عليه ويقال في ثلاثة أشياء يجب على صاحب الدنيا اصلاحها وبذل جهده فيها منها أمر معيشته ومنها ما بينه وبين الناس ومنها ما يكسبه الذكر الجميل بعده وقد قيل في أمور من كن فيه لم يستقم له عمل منها التواني ومنها تضييع الفرص ومنها التصديق لكل مخبر ورب مخبر بشيء عقله ولا يعرف استقامته فيصدقه وينبغي للعاقل أن يكون لهواه متهما ولا يقبل من كل أحد حديثا ولا يتمادى في الخطأ اذا التبس عليه أمره حتى يتبين له الصواب وتستوضح له الحقيقة ولا يكون كالرجل الذي يحيد عن الطريق فيستمر على الضلال فلا يزداد في السير الا جهدا وعن القصد الا بعدا وكالرجل الذي تقذى عينه فلا يزال يحكها حتى ربما كان ذلك

كثيرا منهم بعد ما كل واستمر يدعو الخلق الى خالقهم ويحثهم في الانابة والتوكل على رازقهم ويرضونه ويرضيهم في الطاعة واتباع السنة والجماعة ويقبح الدنيا في أعينهم ويحذرهم غدرا تهافي مكمنها عند مأمنهم وكان انفسه المباركة نقوش في النفوس يجذبها الى ما يريد جذب الحديد المغناطيس في مدة يسيرة تبعه طوائف كثيرة وانتشر صيته الى الآفاق وصفا العباد وقت الطاعة وراق وضربت اليه أكباد الابل وامتلأت به الدنيا من العلم والعمل واضطرب أمر المردة والشياطين العتدة وتعطلت أسواق الفسوق وخرج عرق المعاصي من العروق وتخملت العفاريت وتنكست أعلام الجن العصاليت وضل سبيل الضلال كل مارد خريت وبطلت زخارفهم وتمويهاتهم وعطلت وساوسهم وتشويهاتهم وأهانهم الناس وكسد الوسواس وفسد فعل الخناس فلما طال عليهم وكاد يقع نعيهم اجتمع العفاريت العتاة والشياطين الطغاة والمردة العصاة الى ابليسهم العنيد وهو شيطان مريد صورته من أقبح الصور له أظلاف كأظلاف البقر ووجه كالتمساح وشكل كالرماح وخرطوم طويل ورأس كالفيل وعيون مشقوقة بالطول وأنياب كأنياب الغول وشعر كالشيهم وجلد كالارقم وهو يلهث كالكلاب ومن ورائه عدة ذئاب فشكوا اليه حالهم وأطالوا في الشكوى قالهم وقالوا يا شيخ التلبيس وابن عم ابليس لقد عربت المدارس وبطلت منها الوساوس وتعمرت المساجد بكل راكع وساجد وقائم وقاعد وقارئ وعابد فطرد كل شيطان مارد وتمشى سنن الدلال فوقف منا الاحتيال وأمر بالمعروف فوقعنا على الامر المخوف وكثرت الحجاج فتقطعت منا الاوداج وأديت الزكوات والحقوق فطرد منا كل عقوق وقام الحق فنام الفسق وعبد الله في المغارات والكهوف واستعملنا السبيل فعلى من نطوف ولم يبق لنا على بني آدم سلطة وصرنا في بحارهم أقل من نقطة وعند جهرهم بأذكارهم أذل من ضرطة لا وساوسنا تؤثر في أفكارهم ولا حبالنا تعطل من أذكارهم ولا تخيلاتنا تتراءى لابصار أسرارهم فان استمر الحال على هذا المنوال لا يبقى لنا في الدنيا مقام ولا بين الجن والانس كلام (فلما وعى) العفريت فحوى هذه الشكوى وتأمل ما في مطاويها من نازلة أحاطت بهم وبلوى اشتعلت نيران غضبه وتأججت شواظات لهبه ثم قال أمهلوني أتلوى واتركوني ألوم وأتروى وأفتكر في هذه البلية وأكشفها عن جليه فان الامور لا تنتج لطالبها ما لم يتأمل من فراغها في جوانبها ونواحيها ويحقق المسائل اغلوطة من محكمها ومتكلمها وكان هذا العفريت العاتي المارد الغير المواتي تحت يده وأمره من مقتبسي تلبيسه ومكره والشياطين المردة والغوال العفاريت العتدة طوائف شتى وأمم لا تحصى ومن فاقهم في المكر والمراء أربعة أشخاص كبراء وزراء كل منهم في الشيطنة والوسوسة ومعرفة طرق الوسوسة كأبي علي بن سينا في علم الهندسة غاية لا تدرك ونهاية لا تستدرك فاجتمع هذا الغول بوزرائه ورؤساء أشياعه وكبرائه ثم قال لهم أفتوني في أمري وساعدوني على فكري ومكري ووجه الخطاب لكبيرهم الذي علمهم السحر المشار اليه في الدهاء والمكر وقال له ما رأيك في هذه القضية والمواقف الردية والداهية الدهية فقال الوزير يا مولانا الامير وصاحب المكر والتدبير ان العقلاء وذوي التجارب من الحكماء تفرسوا بأمر قاطع من الوقائع القواطع فقالوا شيئان لا بقاء لهما الروح في الجسد والسعد في الطالع وهذا هو الصواب ولكل أجل كتاب وما دام الاجل باقيا والسعد راقيا ومنادم السلامة ساقيا وحافظ العوارض واقيا لا ينفع الجد ولا يدفع الجد ولا يرفع الجهد ما أثبت السعد فاذا تم الاجل وبطل من السعد العمل انتكس السعد وانقلب وفارقت الروح بلا سبب واذا كان كذلك فهذا الرجل الناسك سعده عال وطالعه في اقبال فكل سهم مكر فوقناه الى نحو حمايته يعود علينا وكل رمح فكر هو بناسنانه الينا شاكة بقائه يرجع الينا فالرأي عندي ان نتربص حتى تدور به الدوائر ولا نهتم باغتيال محتال ولا مكر ماكر الى أن تنقضي مدته ويسقط من سعد طالعه قوته فعند ذلك يفيد سعينا ولا يضيع كدنا (فقال) العفريت

ابتلت ببه الذهاب او يجب على العاقل أن يصدق بالقضاء والقدر ويأخذ بالحزم ويحب للناس ما يحب لنفسه ولا يلتمس صلاح نفسه بفساد غيره فانه من فعل ذلك كان خليقا أن يصيبه ما أصاب التاجر من رفيقه (قالوا) وكيف كان ذلك (قال) يقال انه كان رجل تاجر وكان له شريك فاستأجرا حانوتا وجعلا متاعهما فيه وكان أحدهما قريب المنزل من الحانوت فأضمر في نفسه أن يسرق عدلا من أعدال رفيقه ومكر الحيلة في ذلك وقال ان أتيت بالليل آمن ان أحمل عدلا من أعدالي أو رزمة من رزمي ولا أعرفها فيذهب عنائي وتعبي باطلا فأخذ رداءه وألقاه على العدل الذي أضمر أخذه ثم انصرف الى منزله وجاء رفيقه بعد ذلك ليصلح أعداله فوجد رداء شريكه على بعض أعداله فقال والله هذا رداء صاحبي ولا أحسبه الا قد نسيه وما الرأي أن أدعه ههنا ولكن أجعله على رزمه فلعله يسبقني الى الحانوت فيجده حيث يحب ثم أخذ الرداء فألقاه على عدل من أعدال رفيقه وقفل الحانوت ومضى الى منزله فلما جاء الليل أتى رفيقه ومعه رجل قد واطأه على ما عزم عليه وضمن له جعلا على حمله فصار الى الحانوت فالتمس الازار في الظلمة فوجده على العدل فاحتمل ذلك العدل وأخرجه هو والرجل وجعلا يتراوحان على حمله حتى أتى منزله ورمى نفسه تعبا فلما أصبح افتقده فاذا هو بعض أعداله فندم أشد الندامة ثم انطلق نحو الحانوت فوجد شريكه قد سبقه اليه ففتح الحانوت وفقد العدل فاغتم لذلك غما شديدا وقال واسوأتاه من رفيق صالح قد

للوزير الثاني يا فضل جاني أنت ماذا تقول وكيف تشير أن نصول في ميدان هذا الامر ونجول فقال رأى مولانا الوزير سديد وكل ما أشار به فهو أمر حميد ولكن كيف يهمل أمر العدو ويركن معه وجوده الى قرار وهدو واذا كان طالعه في قوة فاهماله يزيد في قوته والتهاون في أمره مساعدة في معاونته ومعاونة في مساعدته وهذا من علامات العجز والانكسار ومن أقوى الادلة في الانحطاط والصغار وان رب الارباب وضع عالم الكون والفساد على الاسباب فلابد من تعاطيها في هذا الباب وبذل المجهود في معاملات الاعداء والاحباب ولم يقتصر الشارع على التقدير والطالع اذ فيه حسم مادة الشرائع والتعرض لابطال حكم الصانع فعندي أن نبذل الجهد في حسم مادتهم وتعاطي كسر شوكتهم وبذل الجهد والجد بما نصل اليه اليد وثبات الاقدام في اثبات الاقدام كما قال الشاعر وهو سلم الخاسر في بيت الجاسر

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

وهذا الشاعر المعنى أخذه من أخيه بشار الاعمى من انشاد بجوده أنس وهو شيطان الانس حيث يقول ذلك القول

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فاعزموا على هدم ما يبنون وصدم ما يعنون والاخذ في تمزيق جماعتهم وتفريق كلمتهم اذ لا اطلاع لنا على مساعدة الطالع ولا على ابقاء الاجل فضلا عن أن نقول هذا المدجاج أو مانع وهذا الرأي عندي اولى ورايك يا رئيس التابيس أعلى ودونك يا غول هذا القول

اذا كانت الاعداء غلافا تهم * اذا لم تطأهم أصبحوا مثل ثعبان

ومن هذا المقال يا با الاغوال والامر ليس له دليل سائر * فهو الذي يبقى كنوم الحارس

(والاصل) في هذا كله حسم مادتهم وردع جادتهم وذلك باهلاك مرشدهم وافساد زاهدهم فان قدرنا على اهلاكه وتمزيق حبائله واشراكه تشتت شملهم وتمزقت جلهم وقلهم (فقال) العفريت للوزير الثالث وكان أخفس عابث قل لي أيها الوزير ما سنح لك من التدبير في هذا الامر المبير والخطب الخطير وماذا ترى فيه وتشير فقال لاشك أن الطباع تميل الى ما تسمعه وما يلقي الى النفس لابد أن يؤثر موقعه وما أشار به ودبره الوزيران وهما نعم المشيران فهو لا يخلو عن فوائد بل هو متصل بعقود الفرائد واني لاعلم انه أثر في الخواطر كما يؤثر في الرياض السحب المواطر وبالجملة فالكلام تأثيره في النفس كما تظهر آثاره في الحس ولهذا ترى رقيق الشعر يفعل ما لا يفعله دقيق السحر وجليل العبارة فيه من الاثارة ما يشجع الجبان ويقعد الكسلان ويسخي البخيل ويغني الذليل ويسحر الارواح ويسخر الاشباح ويعطف القلوب ويؤلف بين المحب والمحبوب ويصير العدو صديقا ويجذب الاحرار رقيقا وتأمل بانيه ما قيل في المعنى حديث اذا نادمت دهري به انقضى * وكف عن الايذا وعاد الى الانا * اذ كرأخلاق مالكه الذي تعلم منه الحسن والحلم والسنا * أنال به ما لا ينال بقسوة * وأرواح أشباح أتت بعد شدة

وهذه قضية تحتاج الى اعمال الرأي وامعان النظر وتدقيق الفكر وعندي الرأي السديد والفكر المديد ان التعرض الى هذا الرجل الدين الداعي الى طريق الحق المبين ليس بمحمود ولا ذا التعرض قاصده بمحمود فانه على الحق متشبث بأذيال الصدق ومن قصد مصادمة الحق استعلم وقف مهاوي الهلاك ارتطم وقد كان في بني اسرائيل رجل من أهل التبجيل عاملا بالتوراة والانجيل مشغولا بالعبادة باذلا في اقامة الحق اجتهاده فتعرض له جماعة من أهل الفسق والخلاعة فتعاطوا اهلاكه وقصدوا انساكه فقتلوه بغير حق ففارق الدين ورق فاخبرني من لا يتهم بكذبه انه قتل بسبعمائة ألف نفس بسببه فذهب بسبب ذلك الصالح من بني اسرائيل الصالح بالطالح ومن كان مع الحق هاديا الى الصدق فان الله تعالى معه ومن كان الله معه فمن ذا يضره ومن تصدى لضياع ما حفظ الله وعزم على ابتذال من اعزه مولاه وكلاه

استأمنني على ماله وخانني فيه فماذا يكون حالي عنده وانت أشك في تهمة اياي ولكن قد وطنت نفسي على غرامته ثم ان صاحبه قد جاء منهما فسأل عن حاله فقال اني قد افتقدت الاعدال وفقدت عدلا من أعدالك ولا أعلم بسببه واني لاشك في تهمتك اياي واني قد وطنت نفسي على غرامته فقال له يا أخي لا تغتم فان الخيانة شر ما عمله الانسان والمكر والخديعة لا يؤديان الى خير وصاحبهما مغرور ابدا وما عاد وبال البغي الا على صاحبه وأنا احد من مكر وخدع واحتال فقال له صاحبه وكيف كان ذلك فاخبره بخبره وقص عليه قصته فقال له رفيقه ما مثلك الا مثل اللص والتاجر فقال له وكيف كان ذلك (قال) زعموا ان تاجرا كان له في منزله خابيتان احداهما مملوءة حنطة والاخرى مملوءة ذهبا فترقبه بعض اللصوص زمانا حتى اذا كان بعض الايام تشاغل التاجر عن المنزل فاستغفله اللص ودخل المنزل وكمن في بعض نواحيه فلما هم باخذ الخابية التي فيها الدنانير اخذ التي فيها الحنطة وظنها التي فيها الذهب ولم يزل في كد وتعب حتى اتى بها منزله فلما فتحها وعلم ما فيها ندم فقال له الخائن ما ابعدت المثل ولا تجاوزت القياس وقد اعترفت بذنبي وخطاي عليك وعزيز علي ان يكون هذا كهذا غير ان النفس الرديئة تأمر بالفحشاء فقبل الرجل معذرته واضرب عن توبيخه وعن الثقة به وندم هو عند ما عاين من سوء فعله وتقدم جهله وقد ينبغي للناظر في كتابنا هذا أن لا تكون غايته التصفح بل يقرأ على ما يتضمن من الامثال حتى يأتي الى آخره ويقف عند كل مثل وكلمة

فقد قصد خراب عمره وعمارته وباع رأس مال تجارته ورضي بخسارته وجنى بيده على نفسه وهو فريد تدبيره وهواه رمسه واسمع بانهم العون ما جرى لمؤمن آل فرعون حيث كان على السداد داعيا الى سبيل الرشاد وقصد اهلاكه اهل الفساد فقال وأفوض أمري الى الله ان الله بصير بالعباد فغلبوا هنالك وانكسروا ووقاه الله سيئات ما مكروا وايضا لو قتلنا هذا الرجل وكان على أيدينا له سهام الاجل فلا شك انه يقوم مقامه من يلم عظامه ويرم زمامه ويحيي بعده أيامه فيقيم شعاره ويكتب ما قدم وآثاره فان تلامذته كثيره وطوائف جماعاته غزيره فينتظم لهم بعده الامر ولا يضرم انما من كيدنا الجمر واذا علموا ان ذلك منا واشتهر ذلك الكيد عنا أخذوا منا حذرهم وصوبوا الينا عداوتهم ومكرهم ثم عملوا على استئصالنا واستعدوا لقتالنا لانا اهلكنا مقتداهم وهدمنا عمادهم ومعتمدهم ولا يمكننا بعد ذلك طلب السلامة والسلامه وتستمر العداوة بيننا وبينهم الى يوم القيامه مع ان عداوته ناقدعه وبالجملة فعاقبة من عادى أولياء الله وخيمه اذا تقرر هذا القول وثبت طريق المعقول فاعلم ايها الغول والشيطان المهول ان الرأي الصواب في هذا الباب ان نبادر الى هذا الرجل وجماعته بافساد طاعتهم وطاعته وحيث لا يتيسر لنا المواجهه ولا الخطاب والمشافهه ولا الاضلال في الظاهر بصورة المجاهر فنزين لهم حب الدنيا وشهواتها والميل الى زينتها ولذاتها والركون اليها والاعتماد عليها ونلقي اليهم طول الامل وبعد الاجل فنثبطهم بذلك عن العمل وندعوهم الى التهاون والكسل ثم بعد ذلك نجلو خدود عرائس الحرص على ابصار افكارهم وقدوده واثس الشح وحب المال على أعين خيالاتهم وبصائر اسرارهم فاذا ذاقت السنة عقولهم حب الدنيا وتمكنت في أدمغة سويدائهم الرغبة في الآباء والابناء ابواحلاوة الطاعه وتفرقت منهم الجماعه وزاغوا عن الطريق الاقوم وراغوا عن السبيل الأمم فنتوصل اذ ذاك منهم الى مقاصدنا ونوقعهم كيفما اخترنا في مصايد مراصدنا لانهم هبطوا من سماء المنازعة الى الارض واهلكوا بايديهم انفسهم اذ بغى بعضهم على بعض فتحاسدوا وتحاشدوا وتدابروا وتفاخروا وتكالبوا وتضاربوا وتواثبوا وتجاذبوا وتناهبوا وتسالبوا وتلاسبوا وتقابلوا وتقاتلوا وتفرقوا وتمزقوا وتحرقوا وغرقوا وانحاز كل منهم الى ناحيه واعجب كل برأيه فلا تعرف منهم الفرقة الناجيه اذ تفرقت أهواؤهم وتصادمت آراؤهم وجذبتهم اغراضهم الى الاهواء وجلبتهم أمراضهم مع الاهواء ومال كل منهم الى صوب وليس منهم الى الصواب الاوب وتعدد الخلق الذميم وابس كل لصاحبه جلد النمر ثم بعد ذلك زلوا وأزلوا وضلوا وأضلوا فتمكنا فيهم كما نريد وتصرفنا فيهم تصرف السادات في العبيد وسلطنا عليهم دواعي الغضب والشره والعناد وشوقناهم بحب العصيان بالكره فنصوب لهم اقوالهم ونزخرف لهم أفعالهم كما قال من خلقهم وأحوالهم وزين لهم الشيطان أعمالهم ولا نقصد بذلك الا كبراءهم وفضلاءهم وعلماءهم وزهادهم ورؤساءهم وحكامهم وحكماءهم ولا نفترعن مكايدتهم ولا نغفل عن مكايدتهم ونجري في عروقهم ونسكن في فروقهم ونحركهم في رعودهم وبروقهم فان تحركوا الى خير سكناهم وان سكنوا عن شر حركناهم وان عزموا على الآخرة صددناهم وان جزموا الى مراد ان رددناهم وان امروا بمعصية قدناهم او همو الى معصية سقناهم ولابد لهذا العمل الكثير من تأثير ولابد ان يجد في المسير ان يصير وبالجملة فنبذل في كل حالة جهدنا وجدنا ولا غضاضة في ذلك علينا لانه صنعة آبائنا وجدنا وقد أخبر بذلك جدنا اللعين لسائحا في رب العالمين كما اخبر في الكتاب المبين في قوله فبعزتك لاغوينهم أجمعين فاذا رأوا منهم النائس وقع بينهم الباس حصل لهم منهم اليأس وتراجعوا عنهم وهربوا منهم وفسد اعتقادهم فيهم بل قتلوهم بايديهم فاذا ظهر فسوقهم وكسد سوقهم فان شئنا ارقفنا حالهم وان رمنا الى الهلاك نسوقهم وأوثق ما يتصل به اليهم من الاسباب هي حالة الانفراد والاعجاب وحالة الاجتماع للكذاب فان الاعجاب يهوي في النار والكذب يخرب الديار وناهيك قضية

فيسار وبنيه ويكون مثل الاخوة الثلاثة الذين خلف لهم ابوهم المال الكثير فتنازعوه بينهم فاما الاثنان الكبيران فانهما اسرفا في اتلافه وانفاقه في غير وجهه واما الصغير فانه عندما نظر ما صار اليه اخواه من اسرافهم وتخليهما من المال اقبل على نفسه يشاورها وقال يا نفسي انما المال يطلبه صاحبه ويجمعه من كل وجه لبقاء حاله وصلاح معاشه ودنياه وشرف منزلته في أعين الناس واستغنائه عما في أيديهم وصرفه في وجهه من صلة الرحم والانفاق على الولد والافضال على الاخوان فمن كان له مال ولا ينفقه في حقوقه كان كالذي يعد فقيرا وان كان موسرا وان هو احسن امساكه والقيام عليه لم يعدم الامرين جميعا من دنيا تبقى عليه وحمد يضاف اليه ومتى قصد انفاقه على غير الوجوه التي عددت لم يلبث أن يتلفه ويبقى على حسرة وندامة ولكن الرأي ان أمسك هذا المال فاني أرجو ان ينفعني الله به ويغني اخوي على يدي فانما هو مال أبي ومال أبيهما وان أولى الانفاق على صلة الرحم وان بعدت فكيف باخوي فانفذ فاحضرهما وشاطرهما في ماله وكذلك يجب على قارئ هذا الكتاب ان يديم النظر فيه من غير ضجر ويلتمس جواهر معانيه ولا يظن ان نتيجته الاخبار عن حيلة بهيمتين او محاورة سبع لثور فينصرف بذلك عن الغرض المقصود ويكون مثله مثل الصياد الذي كان في بعض الخلجان يصيد فيه السمك في زورق فرأى ذات يوم في أرض الماء صدفة تتلالأ حسنا فتوهمها جوهرا له قيمة وكان

القاجر

التاجر مع عبده الكذاب الفاجر فسأله شيخ الجن عن بلية ذلك القن (فقال) ورد في الخبر عن شخص معتبر قال كان بمكان تاجر ذو مال وزوجة ذات جمال كل يهوى صاحبه ويرعى جانبه ويفديه بروحه ويترشف رضابه في غبوقه وصبوحه كأنهما زوج حمام وفي بعض الايام قال أحدهما لرفيقه وهو يرشف من كأس عقيقه شهد رضابه بخمرة ريقه لو كان لنا عبد يتعاطى ما لنا من حاجة ويخلصنا من جملة عمرو وزيد فذهب التاجر الى سوق الرقيق فوجد مع النخاس عبدا ذا قد رشيق ينادي عليه أبيعه بكذا على ما فيه من أذى فقال وما عيبه قال كذبه لا على الدوام وانما هو مرة في كل عام فقال عيب هين وغبن بين فاشتراه وأتى به الى داره وارتضاه فاستغرق خدمة سيده حتى أتى عليه سنة ونسي سيده عيبه وأمن ريبه وجرب بالامانة يده وبالطهارة جيبه فلما مضى عليه عام كان سيده في الحمام فأتى البيت في بعض الدواهي في صورة الجل الواهي شاهقا باشر اصابعا ثائرا صارخا واويلاه واسيداه وامولاه فسئل ما لك لا أحسن الله حالك ولا أنعم بالك فقال ريح الهبل شديدة فقالك أن تهالك وسلم الروح لقابضها وقال لوارثه تسلم مالك فأقيم العزاء والعتام وتركهم وأتى للحمام وهو يبكي وينوح ويصرخ ويصيح فسأله مولاه ما دهاه فقال وقع البيت على كل من أويت ولم يبق في الدار نافخ نار فهلك الكبير والصغير ونهب ما فيها من جليل وحقير فخرج وهو يستغيث من حديث ذلك الخبيث فوجد أهل البيت سالمين ورأوه من الناعين فعزم على خبالة فذكره ما سلف من اشتراطه ثم انه استقام ونسي هذا الكلام ومضى عليه عام فاستأنف ذلك الخبيث أمر العبث وقال لامرأة مولاه يا هنتاه ان كنت ناعسة فاستيقظي وخذي حذرك وتيقظي واعلمي ان سيدك صاحبك أن يأتي بسرية على غاربك لانه قد عشق عليك وتبدل حالك البلك وتعلق قلبه ببنت رجل كبير ولا ينبغي لك مثل خبير وقد هالني على نفسك الشفقة وما أسديت الي من احسان وصدقة فبادري قبل حلول الباس ونزول الفاس في الرأس فأثر فيها هذا الحديث فاستشارت ما تفعل في ذلك الخبيث فقال لو تلفت شيء من شعره لكفيتك مؤنة مكره وفكره فان لي صاحبا يفهم أوستاذا معلما برقي الشعور ويجعلها في البخور واذا وجد الى شخص معه ساغه ودخل البخور دماغه صار عبدا لك على الدوام وحظيت عنده بالمراد والمرام وارتقيت الى أعلى مقام ولكن ينبغي أن يكون من شعر لحيته النابت على ترقوته قالت وأنى لي أصل الى ذلك وقال الخير أذلك فقال اذا نام وغرق في المنام فاحلقي منه بموسى اشكو الضرر والبوسي وأنا آتيك بموسى يحلق الشعور فاعملي ذلك من غير أن يكون له شعور فاتفقا على ذلك الاتفاق وأتاها بموسى حلاق ثم توجه الى مولاه وقد أضمر له ما دهاه وقال أشعرت بأن الفضائل ان زوجتك الدعة الشمائل تغير خاطرها عليك وتقدمت بالاساءة اليك ولولا انك شفيق علي وعزيز ومكرم لدي ما أنبأتك من اخبارها بشيء فاني أريد أن يكون ما أنبأتك مكتوما الى أن يصير عندك محققا معلوما وقد أرسل اليها من يخطبها وأما لها هنالك عما يرغبها واتفق معها انها تقتلك وتستريح وتتبع في فراشك وأنت ذبيح وذلك يقوم بديتك وقد أرسل اليها من الجواهر والأموال أضعاف قيمتك فان أردت مصداق هذا الكلام فتناقل عندها في المنام لزوال الشك باليقين وتتحقق اني من الصادقين فأثر هذا الكلام فيه وخاف من مكر النساء ودواهيه فلما أقبل العشاء وأحضر العشاء تناول من ذلك الطعام ونهض الى الفراش لينام وأظهر بين القوم انه غرق في النوم وغمض عينه وأغط وسال لعابه وغط فنهضت الزوجة اليه وفقت الموسى ودخلت عليه ومدت يدها الى لحيته ووضعتها على ترقوته ففتح عينه فرأى آلة الموت متوجهة اليه فقاما الاثنان ووثب عليها وجثم اليها وخرج زمام تفكره عن يد تأمله وتدبره وخطف الموسى من كفها وسقاها كأس حتفها فلما رأى فوران الدم أدركه لاحق الندم وقد تبدل الوجود بالعدم ووقع القال والقيل واشتهر أمر القتيل وعلق في شر الاقتناص وعومل في صاحبه بالقصاص *

قد أتى شبكته في البحر فاشتملت على سمكة كانت قوت يومه فخلاها وقذف نفسه في الماء ليأخذ الصدفة فلما أخرجها وجدها فارغة لا شيء فيها مما ظن فندم على ترك ما في يده للطمع وتأسف على ما فاته فلما كان في اليوم الثاني تقصى عن ذلك المكان وأتى شبكته فأصاب حوتا صغيرا ورأى أيضا صدفة فلم يلتفت اليها واستخف بها فتركها فاجتاز بها بعض الصيادين فأخذها فوجد فيها درة تساوي أموالا وكذلك الجهال على اغفال أمر التفكر والاغترار في أمر هذا الكتاب وترك الوقوف على أسراره ومعانيه والأخذ بظاهره دون الأخذ بباطنه ومن صرف همته الى النظر في أبواب الهزل كرجل أصاب أرضا طيبة حرة وحبا صحيحا فزرعها وسقاها حتى اذا قرب خيرها وأينعت تشاغل عنها بجمع ما فيها من الزهر وقطع الشوك فأهلك بتشاغله ما كان أحسن فائدة وأجمل عائدة (وينبغي) للناظر في هذا الكتاب أن يعلم انه ينقسم على أربعة أغراض أحدها ما قصد فيه الى وضعه على ألسنة البهائم غير الناطقة ليسارع الى قراءته أهل الهزل من الشبان فتستمال به قلوبهم لان الغرض بالنوادر من حيل الحيوانات (والثاني) اظهار خيالات الحيوانات بصنوف الاصباغ والالوان ليكون انسا لقلوب الملوك ويكون حرصهم عليه أشد للنزهة في تلك الصور والثالث أن يكون على هذه الصفة فيتخذه الملوك والسوقة فيكثر بذلك انتساخه ولا يبطل فيخلق على مرور الايام ولينتفع بذلك المصور والناسخ أبدا (والغرض الرابع) الأقصى وذلك

مخصوص بالفيلسوف خاصة انقضى باب عرض الكتاب (باب برزويه ترجمة بزرجمهر بن البختكان) (قال برزويه) رأس أطباء فارس
وهو الذي تولى انتساخ هذا الكتاب وترجمه من كتب الهند وقد مضى ذكر ذلك من قبل فيما مضى ان أبي كان من

وانما أوردت هذا الكلام لتعلم أن ما أهلك الانام وأوقعهم في شرك الآثام والكفر والفسوق والحرام مثل
الكذب في الكلام وهو لنا أوثق زمام وبجذبهم الى ما قصدناه من المرام أحكم خطام وأعظم حزام
فاستحسن العفريت هذا الرأي واستصوبه وأعجبه ما تضمنه من معان واستغرب به ثم قال رأيت بأصحاب
من الرأي الصواب ان اجتمع بهذا العالم الزاهد العامل العابد في محافل غاصه وأسأله عن مسائل عامة وخاصه
وعن أسرار دقيقه أطالبه فيها بإعجازها والحقيقه وأنا أعرف أنه يفهم عن جوابي ويلجم عند أول خطابي فاذا
عجز عن جواب المسائل في تلك الجموع والمحافل تحقق الحاضرون جهله فنبذوه من أول وهله واعترفوا
لنا بالفضل الوافر والعلم الغزير المتكاثر فصاروا لنا أوداء والفضل ما شهدت به الاعداء ورجعوا عن
اعتقاده ونفضوا أيديهم من محبته ووداده وربما سعوا في دماره وخراب دياره فيكفونا أمره ويزيحون
عنا شره وأقل الاقسام ان جماعة ذلك الامام اذا رأوا ما لنا في الفضل من تجاره وعلموا ان رأس مال امامهم
الخساره اتهموه بالسهو وسموه باللهو وانفضوا عنه وتركوه وهذا ان لم يكونوا سفكوه وسكبوه كما فعل
صاحب البستان بأربعة من الغدر واتخذهم غرمائه الاربعه فسأل الوزراء عن غدر ذلك الغدر كيف
جرى (قال العفريت) كان من تكريت رجل مسكين ينظر البساتين في بعض السنين قدم قرية منين
وسكن في بستان كأنه قطعة من الجنان فاكهة ونخل ورمان في بعض الاعوام أقبلت الفواكه
بالانعام ونثرت للثمار ملابس الاشجار من الاذيال والاكمام فالجأت الضرورة ذلك الانسان أن خرج من
البستان ثم رجع في الحال فرأى فيه أربعة رجال أحدهم جندي والآخر شريف والثالث فقيه والرابع
تاجر ظريف قد أكلوا وسقوا وناموا واتقوا وتصرفوا في ذلك تصرف الملاك وأفسدوا افسادا فاحشا خادشا
ومارشا وناوشوا وكشا فاضر ذلك بحاله ورأى العجز في أفعاله اذ هو وحيد وهم أربعة وكل عتيد فسارع
الى التأخير وعزم على التدبير فابتدأ بالترحيب والبشاشه والاكرام والهشاشه وأحضر لهم من أطايب
الفاكهه وطايبهم بالفاكهه وسامح بالممازحه ومازح بالمسامحه الى أن اطمأنوا واستكانوا واستكنوا
ودخلوا في اللعب ولاعبوه بما يجب فقال في أثناء الكلام أيها السادة الكرام لقد حزتم أطراف المعارف
والطرف فأي شيء تعانون من الحرف فقال أحدهم أنا جندي وقال الآخر وأنا رسول الله جدي
وقال الثالث أنا فقيه وقال الرابع أنا تاجر نبيه فقال والله است بنبيه ولكن تاجر سفيه وقبيح الشكل
كريه أما الجندي فانه مالك رقابنا وحارس جنابنا يحفظنا بصولته ويصون أنفسنا وأموالنا وأولادنا
بسعيد دولته ويجعل نفسه لنا وقاية ويبكي في أعدائنا أشد نكاية فلو مد يده الى كل ما نرزقه فهو
بعض استحقاقه ودون حقه وأما الشريف فان جده مدانا ومن النار انجانا وقد أمرنا كرامة وحبا لقوله
تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى وقد تشرف به اليوم مكاني وحلت به البركة علي
وعلى بستاني وأما سيدنا العالم فهو مرشد العالم وهو سراج ديننا الهادي الى يقيننا فاذا شرفونا باقدامهم
ورضوا أن نكون من خدامهم فلهم الفضل علينا والمنة الواصلة الينا وأما أنت يا رابعهم وشر جان
تابعهم بأي طريق تدخل الى بستاني وتتناول سفرجلي ورماني هل بايعتني بساعة وتركت لي ارابعه
أولك علي دين أو عاملتني نسيئة دون عين ألك علي جميله وهل بيني وبينك وسيله تقتضي تناول مالي
والهجوم على ملكي ومنالي ثم مد يده اليه فلم يعترض من رفقائه أحد عليه لانه أرضاهم بالكلام
واعتذر عما يتطرق اليه من ملام فأوثقه وثاقا محكما وتركه مغرما ثم مكث ساعه ومن على الله الاعقم
الطماعه وغامز الجندي والشريف على الفقيه الظريف فقال يا أيها العالم الفقيه والفاضل النبيه أنت
مفتي المسلمين وعالم منهاج الدين على فتواك مدار الاسلام وكلامك الفارقة بين الحلال والحرام بفتواك
تستباح الدماء والفروج فمن أفتاك بالدخول في هذا والخروج أفتني يا عالم الزمان محمد بن ادريس أفتاك
بهذا أم النعمان أم أحمد بن حنبل أم مالك فسح لك بذلك أما سمعت قول معز العلماء ومجاهلها ومذل الجهلاء

المقاتلة وكانت أمي من
عظماء بيوت الزمازمة
وكان منشئي في نعمة
كاملة وكنت أكرم ولد
أبوي عليهما وكانا بي أشد
احتفاظا من دون اخوتي
حتى اذا بلغت سبع سنين
أسلماني الى المؤدب فلما
حذقت في الكتابة
شكرت أبوي ونظرت
في العلم فكان أول
ما ابتدأت به وحرصت
عليه علم الطب لأني كنت
عرفت فضله وكلما
ازددت منه علما ازددت
فيه حرصا وله اتباعا فلما
همت نفسي بمداواة
المرضى وعزمت على
ذلك آمرت نفسي ثم خيرتها
بين الامور الاربعة التي
يطلبها الناس وفيها
يرغبون ولها يسعون
فقلت أي هذه الخلال
ابتغي في علمي وأيها
أحرى بي فأدرك منه
حاجتي المال أم اللذات
أم الاكرام أم الآخرة
وكنت وجدت في كتب
الطب ان أفضل الاطباء
من واظب على طبه
لا يبتغي الا الآخرة
فرأيت ان أطلب
الاشتغال بالطب ابتغاء
الآخرة لئلا أكون
كالتاجر الذي باع ياقوتة
ثمينة بخرزة لا تساوي شيئا
مع اني قد وجدت في كتب الاولين ان الطبيب الذي يبتغي بطبه أجر الآخرة لا ينقصه ذلك حظه من الدنيا لجهلها
وان مثل الزارع الذي يعمر أرضه ابتغاء الزرع لا ابتغاء العشب ثم هي لا محالة نابت فيها ألوان العشب مع يانع الزرع فأقبلت على مداواة

بجهلها يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها واذا ارتكب مثلك هذا المحظور وتعاطى العلماء والمفتون اقبح الامور فلا عتب على الاجناد والاشراف ولا على الجهلاء الاجلاف ثم مد يده الى جلابيبه واوثقه بتلابيبه فأحكمه وثاقا وآلمه رباطا فاستغاث بصاحبه الى جانبه فما انجداه ولا رفداه ثم جلس يلاهى الجندي الساهي وغامزه على الشريف ذي النسب الظريف ثم قال أيها السيد الاصيل الحسيب النسيب لا تعتب على كلامي ولا تستثقل ملامي اما الامير فانه رجل كبير ذو قدر خطير له الجملة التامة والفضيلة اللازمة وانت يا ذا النسب الطاهر والاصل الباهر والفضل الزاهر سلفك الطيب أذن لك في الدخول الى ما لا يحل لك أم جدك الرسول افتى باستباحة الاموال أم زوج البتول انبأك ان اموال الآل البيت حلال واذا كنت يا طاهر الاسلاف لا تتبع سنة آبائك الاشراف من الزهد والعفاف فلا عتب على الاوباش والاطراف ثم وثب اليه وكتف يديه ولم يعطف الجندي عليه ولم يبق الا الجندي وهو وحيد فانتصف منه البستاني كما يريد واوثقه رباطا وزاد لنفسه احتياطا ثم اوجعهم ضربا واشبعهم امتهانا وسبا وجمع عليهم الجيران واستعان بالجلاوزة واصحاب الديوان وسلمهم برباطهم وعلقهم تحت آباطهم الى باب الوالي واخذ منهم ثمن ما اخذوه من رخيص وغالي وانما اوردت ما جرى لتعلموا ايها الوزرا أن التحرز بين الاعداء بالتأخير أمر من السهام في تنفيذ الاحكام واحكام التنفيذ وهذا قبل تعاطي أسباب المباينة وفتح أبواب الوسوسة فانه يقال في الامثال عقدة تحل باللسان لا تؤخر حلها الى الاسنان ونعم ما ارشد من أنشد

فكم عقدة أغنى اللسان حلالها * تراخت وقد أعيت تواجذ اسنان

(ثم قال العفريت) للوزير الرابع ما ترى في هذا الامر الواقع فقال حيث تردد الامر بين آراء مختلفة واقوال متفاوتة غير مؤتلفة واقيم على كل قيل برهان ودليل فتعدد النقل وتبلد العقل وعميت وجوه الترجيح ودرست طرق التصحيح فلا يمكن القول باحدها ولا الميل الى مفردها فان ذلك ترجيح بلا مرجح وتصحيح بلا مصحح فربما يتصور الشيء خيرا وتكون عقباه شرا ويتوهم ضرا فتظهر قد ارادت خيرا وقد قال منزل الفرقان على اشرف جنس الانسان وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيأ وهو شر لكم وكم من قضية يتصورها الفكر صوابا ويذهل عما تتضمنه من خطائها كتابا وكذلك النفس تتصور شيأ بصفة وهو بالعكس ولذلك شاهد من وقائع الحس فليس على ذلك معول وشاهد قضية الضيف مع ولده الاحول فقال العفريت وكيف ذلك أيها النحرير (قال الوزير) اخبرني شخص فاضل انه كان رجل كامل كريم الشمائل محبوب الخصائل مرغوب الفضائل غزير الثراء محب الفقراء عذب الموارد مترصد للصادر والوارد لا يسأل الضيف من اين ولا كيف وهو كافل للضيف والسيف ورحلة الرجال في الشتاء والصيف فنزل في بعض الايام ضيف من اصحابه الكرام فزاد في اكرامه واحضر ما طاب من طعامه فلما رفع السماط ووضع للبسط بساط قال لضيفه الصديق عندنا قارورة من الشراب العتيق كنت ادخرته لمثلك واعددته لاجلك وما عندي سواها فان رأيت احضرناها وتعاطينا الراح لطلب الانشراح فانها مادة الافراح كما قيل

وما بقيت من اللذات الا * أحاديث الكرام على المدام

فسمع الضيف مقاله وتحمل جميله ودعاه واجاب سؤاله فأشار المضيف الفضيل الى ولده الاحول وقال اذهب الى المقصورة فان هناك قارورة واياك ان تتكسر فان صدع الزجاج لا يجبر وما بقي عندنا غيرها ولكن ما عندنا غيرها فتوجه الى ذلك المكان فتراءى له قارورتان فرجع من وقته ونادى لمقته أيها الاب الفقيد هناك قارورتان فأيهما تريد فخجل من ضيفه وغضب لئلا ينسب الى الاثم والكذب فقال لا نريد يا ابن الفاعلة اكسر احداهما وهات الاخرى فاخذ العصا وعبر وضرب احداهما كان تراءى للبصر فلم يكن غير وجاه واحد وقد انكسر فخرج الى ابيه وهو من الفكر في تيه وقال امتثلت ما امرت واخذت العصا وضربت فانكسرت

المرضى ابتغاء الاجر الآخرة فلم ادع مريضا ازوره الا برؤة او آخر لا ارحوله ذلك الا اني اطمع ان يخفف عنه بعض المرض الا بالغت في مداواته ما أمكنني القيام عليه بنفسي ومن لم اقدر على القيام عليه وصفت له ما يصلح واعطيته من الدواء ما يعالج به ولم اردممن فعلت معه ذلك جزاء ولا مكافأة ولم اغبط احدا من نظرائي الذين هم دوني في العلم وفوقي في الجاه والمال وغيرهما مما لا يعود بصلاح ولا حسن سيرة قولا ولا عملا ولما تاقت نفسي الى غشيانهم وتمنت منازلهم اثبت لها الخصومة فقلت لها يا نفس اما تعرفين نفعك من ضرك الا تنتهين عن تمني ما لا يناله احد الا قل انتفاعه به وكثر عناؤه فيه واشتدت المؤونة عليه وعظمت المشقة لديه بعد فراقه يا نفس اما تذكرين ما بعد هذه الدار فينسيك ما تشرهين اليه منها لا تستحين من مشاركة الفجار في هذه العاجلة الفانية التي من كان في يده شيء منها فليس له وليس بباق عليه فلا يألفها الا المغترون الجاهلون يا نفس انظري في امرك وانصرفي عن هذا السفه واقبلي بقوتك وسعيك على تقديم الخير واياك والشر واذكري ان هذا الجسد موجود لآفات وانه مملوء اخلاطا فاسدة قذرة تعقدها الحياة الحياة والحياة الى نفاد كالصنم المفصل اعضاؤه اذا ركبت ووضعت يجمعها مسمار واحد يشد بعضه ببعض فاذا اخذ ذلك المسمار تساقطت الاوصال يا نفس لا تغتري بصحبة احبائك واصحابك ولا تحرصي على ذلك كل الحرص فان صحبتهم على ما فيها من السرور كثيرة المؤونة وعاقبتها ذلك

الفراق ومثلها مثل المرفة التي تستعمل في جمع دهنها المعفونة المرق فاذا انكسرت صارت وقودا يانفس لا يحملنك املك واقاربك على جمع ماتهالكين فيه ارادة صداقتهم فاذا انت كالدخنة

الارجة التي تحترق ويذهب آخرون بريحها يانفس لا يبعد عليك أمر

احدى القارورتين ولا ادري الاخرى ذهبت الى اين فقال يابني ان انطأمنك والبك والخطأ في ذلك كان من نظر عينيك وانما أوردت هذا المقول لتعلم أيها القول المقول ان أقوى طرق العلم العين واذا حصل في ادراكها الخلل والشين تراءى الصدق بصورة المين والشيء الواحد بشكل اثنين وهذا أمر محسوس لا تنكره النفوس فكيف ترى تكون عين الفكر المصون وهي بأنواع الحجب محجوبة وبتخيلات الوهم وقضاياه مشوبة ومرآتها الغاهي المعاني دون المحسوسة المشاهدة المباني (فعلى هذا) ينبغي التأمل في عقبى هذه الحوادث والتدبر في قصارى هذه الامور الكوارث ثم الاخذ في تعاطيها والشروع في أسباب تلافيها انما يكون بعد امعان الانظار واتمام التدبر والافكار (ثم اعلم) أيها الرئيس الداهي النفيس شيخ المكر والتلبيس والبلسة والتدليس ان الله القديم القادر الحكيم لم يخلق في الموجودات ولم يوجد في المخلوقات أعز جوهرا من الانسان فانه فضله على جنسي الملك والجان واختصه بدقيق النظر وعميق الفكر وسرعة الادراك فهو مع عدم الحراك يحكم وهو ساكن على ما تحت الثرى وفوق الافلاك وشمله بعوائده وعوّده بفوائده والطف به في مصادره وموارده فهو أرحم به من والدته المشفقة ووالده ووكل بحفظه الكرام الكاتبين وملائكته المقربين ورباه في حجر نعمته على موائد الطافه وكرمه ورحمته كما تربي الوالدة الشفيقة والظئر الرقيقة الرفيقة وألهمهم العلم الغزير والقدر الخطير والرأي والتدبير وأطلعهم على غامض الاسرار ودقائق الافكار وان علمنا بالنسبة الى علمهم وحلمنا في القياس الى ثباتهم وحلمهم كنسبة علم الفلاح المغتر الى علم الطبيب المعبر بحسن النظر قال العفريت أخبرني بذلك ياشيخ الصالبت (قال الوزير) أخبرني شيخ كبير انه رأى في منامه فلاح كأنه خرج من بطنه مفتاح فلما أصبح الصباح جاء الى رجل من أهل الصلاح يعبر المنامات وكان ذا كرامات فقص عليه رؤياه وطلب منه تعبير ما رآه فقال له يارئيس هذا منام نفيس لاأذكر ما فيه من تعبير الا بدينار كبير فحصل له بشاره فناوله ديناره فقال يولد لك ولد ذكر يكون سببا للفتوح والظفر وكان له زوجة حامل بقي لها ايام قلائل فولدت ابن غلام بعد ثلاثة أيام فاستبشر الفلاح بالظفر والنجاح ثم بعد مدة حصل للفلاح شدة من مرض آلمه وأصاب قدمه فجاء الى معبر المنام وشكا اليه الآلام وقال ألي في قدمي ضاعف همي وأضعف همي فقال له الطبيب لا بأس ياحبيب هذا داء هين وعلاجه بين أعطني دينارا ثانيا أصف لك دواء شافيا فأعطاه ما اشتهى واستوصفه الدوا فقال ضمده بجبة بيض كثيرة الابزار وضع عليه عسلا مسخنا على النار ففعل ذلك فبرئت قدمه وزال بالكلية ألمه ففكر الفلاح في فعل المعبر الطبيب وقوله المصيب وأمره العجيب فانه بأدنى عبارة عبر المنام وبأوهى اشارة أزال الآلام فرأى الراحة في ترك الفلاحة والاشتغال بعلم الطب والتعبير فانه أمر هين يسير وبأدنى أمر حقير يحصل المال الكثير فباع آلات الزراعة وعزم على تعاطي مافي الطب والتعبير من صناعة وجمع كتبا ودفاتر وكراريس مخرمة منثورة ووسع أكمامه ووضع على رأسه عمامة كعمامه وجمع عقاقير وأوراق وبسط بسطه في بعض الاسواق وأشار على لسان مخبر أن الكان الفلاني فيه طبيب معبر وهو أستاذ الزمان وعلامة الاوان وتلامذته في الطب حكماء اليونان وفي التعبير ابن سيرين وكرمان وتصدر كالجاز يلي وساسان عاملا بما قاله شيخ البيان وهو

الطب أهون علم يستفاد فطر * بين الانام به طبير الزنابير * واجمع لذاك كرار يساميرة
وجملة من حشيش من عقاقير * وضع على الرأس مقدار القوصرة * كقبة النسر في وزن القناطير
واجمع معاجين من رب تخلطها * واسحق سفوفا واكحال المواوير * وسم ماشئت من أسماء مغربة
كالسند والهند والمرجان والتنور * وقل من الهند جاه ذا ومن عدن * هذا وهذا التي من ملك فغفور
وذا من البحر بحر الصين معدنه * وذا من البر بر العود بربور * فان رأيت بالاستسقاء ذا ورم

الآخرة فتميلي الى العاجلة في استعجال القليل وبيع الكثير باليسير كالتاجر الذي كان له مل‌ء بيت من الصندل فقال ان بعته وزنا طال علي فباعه جزافا بأبخس الثمن وقد وجدت آراء الناس مختلفة وأهواءهم متباينة وكل على كل راد وله عدو ومغتاب وأقواله تخالف فلما رأيت ذلك لم أجد الى متابعة أحد منهم سبيلا وعرفت اني ان صدقت أحدا منهم لا علم لي بحاله كنت في ذلك كالمصدق المخدوع الذي زعموا في شأنه ان سارقا علا ظهر بيت رجل من الاغنياء وكان معه جماعة من أصحابه فاستيقظ صاحب المنزل من وطئهم فعرف امرأته ذلك فقال لها رويدا اني لاحسب اللصوص علوا على البيت فأيقظيني بصوت يسمعه اللصوص وقولي الا تخبرني أيها الرجل عن أموالك هذه الكثيرة وكنوزك العظيمة فاذا نهيتك عن السؤال فألحي علي بالسؤال ففعلت المرأة ذلك وسألته كما أمرها وأنصت اللصوص الى سماع قولهما فقال لها الرجل أيتها المرأة قد ساقك القدر الى رزق واسع كثير فكلي واسكتي ولا تسألي عن أمر ان أخبرتك به لم آمن ان يسمعه أحد فيكون في ذلك ما أكره وتكرهين ثم قالت المرأة اخبرني أيها الرجل فلعمري ما بقرب منا أحد يسمع كلامنا فقال لها فاني أخبرك اني لم أجمع هذه

فقل تورم من اسع الزنابير * ان اشعر فقل بردعراه وان * يحم قل حر وهيج التنانير
وان أتاك مريض لاتخف وأشر * بما ترى من دواء دونه الورى * فان يعش قل دوائي كان منعشه
وان عت قل أتاكم مقدور * كذلك الرمل والتنجيم شذه على * هذا المثال وشخص في علم تعبير
فان أصبت فقل علمي ومعرفتي * وفي الخلاف قل ضد المقادير * وان رأيت فقيها فرمنه ولا
تناطق يخطئك في فسق وتكفير * وأنت تحتاج في هذا وذاك الى * ذوق ومعرفة مع حسن تدبير

فاتفق أن زمام خليفة الانام رأى في المنام شيأ هاله وغيرحاله فحصل له في رأسه صداع وفي فؤاده أوجاع فسمع بهذا الربيع الجديد وانه أستاذ مفيد فأرسل اليه وعرض ما رآه عليه فقال هذا منام يدل على خير وانعام ويقاه ذكر الزمام على الدهر والاعوام ولكن لا أعبر هذه الاحلام الا بدينار تام فناوله دينارا واظهر لذلك استبشارا فقال له يولد لك غلام بعد ثلاثة أيام فتعجب الزمام من هذا الكلام وقال ياامام انا رئيس الخدام طواشي بلاشي لا زوجة ولا سرية ولا آلة ولا شهوة فمن أين لي هذه السعادة ولا فرحت بحسن الحسنى فاني تحصل هذه الزيادة فلا تسخر مني وكف كلامك عني واخبرني بتعبير هذا المنام ودع عنك الملام فقال حقا أقول وأنا جربت هذا القول وقد عبرت لك هذا التعبير ولا يقبلك مثل خبير فقال الزمام ياأخي دع هذا المقال فان وجود الولد مني محال وأنا حصل لي وجع وما بقي في متسع فقال وماذا تشكو وألمك في أي مكان هو فقال في فؤادي أوجاع وفي رأسي صداع فقال يا زين من فاخر اعطني دينارا آخر أصف لك أيسر دواء يحصل لك منه العافية والشفاء فدفع اليه الدينار وطلب منه دواء الدوار وما بفؤاده من ألم أورثه الوهج والضرم فقال ياأبا الفيض ضمد رسالك بقة بيض مقالة الياعمل مشتار ولكن ذلك مسخنا بالنار فاستشاط الطواشي غضبا وكاد النار شواظا ولهبا وعرف انه جاهل وعن طريق العلم غافل فأدبه التأديب البالغ ورده الى ما كان عليه من منادمة السالغ واستمر على كلاحته بعد رجوعه الى فلاحته (والقاوردت) هذا المثال ياغول الاغوال لتعلم انا اذا اشتغلنا بمناظرتهم اشتغلنا بمحاورتهم لانه في دقيق الاسرار وعميق الافكار وتحقيق الانظار لا يقاوم أحد جنس الانسان فكيف يستطيع الجان معارضة من أيده الله تعالى برفيع المعاني وبديع البيان فاذا ناظرناهم في المباحث بالمعارضة تعود مسألتنا علينا بالمناقضة فلما رأى العفريت نحو ذلك العفريت وانه نكل عن المقاومة ونكص عن المصادمة خاف أن تكون آراء الوزراء اتبعا لرأيه في عدم القائه ونلهم مستحسنين لدعائه مستصوبين لآرائه فارخى عنان الكلام ليقف على ما عندهم من مرام وكان غرضه المباحثة والمنافثة والمباعثة والتصدي للاقدام والقاء المسائل بحضرة الخاص والعام لكن مشى مع امام الوزراء ليرى ما هم عليه من الآراء (فقال للوزير) نعم ما قلت أيها الوزير والرأي ما أشرت من الرأي والتدبير فان الله تعالى خلقنا من النار وطبعه الاهلاك والدمار واحراق كل رطب ويابس وبارد وحار والاظلام والاسفار والافناء والابطال والبوار وطلب الرفعة وعدم القرار وافساد ما تجده من غير فرق بين نافع وضرار وخلقهم من تراب والماء الاباب وطبعه الحلم والسكون والترابية والركون والحلم والعدل والاحسان والفضل ومع هذا فلو خرجوا عن مادة ما جبلوا عليه وتابسوا بغير ما فطروا اليه ولو ادخلنا الروح ووعوا لما البارح من مروح لتمسكنا فيهم كالغبار وللعبنا بهم كما يلعب بالكرة الصغار ونحن اذا خرجنا عن دائرة طبعنا وتخلقنا أوصاف أصلنا وفرعنا ونقلنا الى دائرة البشر عن مادة الشر اقدام صنعنا لا يتم لنا منهم صيد ولا يؤثر لنا فيهم سيف كيد فاذا عجزنا عن الايذاء في الظاهر لم يبق الا الاغواء من باطن الضمائر والتعلق باسباب ما يميل اليه من الميل البواطن والظواهر فقد قال الحكماء وأهل التجارب ومن ابتلى من مكايد الدهر بالنوائب ومنى من ذلك بالعجائب والغرائب اذا تصدى الانسان وقصد غيره وتحرز عن مقاومته في المكروه

الاموال الامن السرقة قالت وكيف كان ذلك وما كنت تصنع قال ذلك لم أصبه في السرقة وكان الامر على يسيرا وأنا آمن من ان يتوهمني
أحد أو يرتاب فيّ قالت فاذكر لي ذلك قال كنت اذهب في الليلة المقمرة أنا واصحابي حتى أعلو دار بعض الاغنياء مثلنا
فانتهى الى الكوة التي يدخل منها الضوء فارقي بهذه الرقية وهي شولم شولم سبع مرات واعتنق الضوء فلا يحس بوقوعي أحد فلا أدع مالا ولا متاعا الا أخذته ثم ارقى بتلك الرقية سبع مرات واعتنق الضوء فيجذبني فاصعد الى أصحابي فنمضي سالمين آمنين فلما سمع اللصوص ذلك قالوا قد ظفرنا الليلة بما نريد من المال ثم انهم أطالوا المكث حتى ظنوا ان صاحب الدار وزوجته قد هجعا فقام قائدهم الى مدخل الضوء وقال شولم شولم سبع مرات ثم اعتنق الضوء لينزل الى أرض المنزل فوقع على أم رأسه منكسا فوثب اليه الرجل بهراوته وقال له من أنت قال أنا المصدق المخدوع المغتر بما لا يكون أبدا وهذه ثمرة رقيتك * فلما تعززت من تصديق ما لا يكون ولم آمن ان صدقته ان يرقيني في مهالكه دعوت الى طلب الاديان والتماس العدل منها فلم أجد عند أحد ممن كلمته جوابا فيما سألته عنه فيها ولم أرفيما كلموني به شيأ يحق لي في عقلي أن أصدق به ولا
أن اتبعه فقلت لما لم أجد ثقة آخذ منه فالرأي أن الزم دين آبائي وأجدادي الذي وجدتهم عليه فلما ذهبت ألتمس العذر لنفسي في لزوم دين
الآباء والاجداد لم أجد لها على الثبوت على دين الآباء طاقة بل وجدتها تريد أن تتفرغ للبحث عن الاديان والمسألة عنها والنظر فيها

فتمش في قلبي وخطر على بالي قرب الاجل وسرعة انقطاع الدنيا واغتباط أهلها وتصرم الدهر حياتهم ففكرت في ذلك وقلت اما أنا
فكأ في الرجل الذي زعم وانه عاق بامرأة ذات بعل وان تلك المرأة حفرت له سربا من بيتها الى الطريق وجعلت باب ذلك

والاصوصه فعليهم بهدم ذلك الجبل بمغناطيس الخداع ومعاول الحيل ويستعين في ذلك باهل النجده وذوي البطش الشديد والشده فيتوصل بهم الى حسم ذلك الداء ولو كانوا اعداء غير اوداء فتسليط بعض الاعداء على بعض من أعين سنة بل من أحسن فرض وافد احسن من قال

تفرقت غنمي يوما فقلت لها * يارب سلط عليها الذئب والضبعا

ولا يوجد في هذا الباب لجمع شمل الاعداء أوثق من تفريق الاحباب ومصداقه قوله تعالى لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا وماقويت أعضاد الاسلام الا باجتماع كلمة الانصار والالتئام ولهذا قصد من نافقوا لما ترافق الانصار وتوافقوا أن يتشاققوا ويتفارقوا فأنزل عليهم واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وهذا الفن يحتاج الى فكر عميق ومكر دقيق وعقل كبير وفعل كثير ومصيب رأي وتدبير وسلوك في طريق اصطناع كما فعلت الفأرة من الخداع فقال الوزير ينعم مولانا الملك بتحقيق هذه الواقعه (فقال) سمعت ان بعض التجار كان له بستان في دار والى جانبه حاصل فيه الغل المتواصل وفي ذلك الحاصل وكر اشاطر من شطار الفار له عدة منافذ والى الجهات طرق وما تخذ أحدها الى جهة البستان والبستان كانه جنة رضوان فكانت الفاره ذات الشطارة والمهاره تأخذ من الغلات وأطايب الطعامات مايكفيها غداء وعشاء صيفا وشتاء وفي وقت الصيف تخرج من ذلك المنزل اللطيف الى جهة البستان فتتمشى بين الغدران وترقى الى أعلى الاغصان وتمرغ في المروج والرياض وتتخترق ظلال الدوح والغياض ثم تعود الى وكرها وتأرز الى جحرها وكان عيشها هنيا وامرها رضيا ومضى على ذلك دهرها وانقضى في ارغد عيش امرها ففي بعض الاحيان خرجت على العادة للتنزه في البستان فرسكنها الغيران فرأى مكانا مكينا وسكنا حصينا بالاطعمة محفوفا وبطيب الاغذية مكنوفا فدخله واستوطنه وترك ماسواه من الامكنه فلما رجعت الفارة الى مكانها المألوف وجدت به العدو الظالم المعسوف فأحاط بها من الامر المخوف مايحصل من الذئب اذا عاين الخروف فاسرعت الى أمها وشكت اليها نوائب غمها وماد همها من نوازل همها فقالت أمها الاشك انك ظلمت احدا أو وضعت على مالمس لك يدا أو تعديت الحدود أو عاملت مغرما بالصدود فجوزيت باخراجك من وطنك وابعادك عن مقرك وسكنك ومن ظلم ضعيفا عاجزا سلط الله عليه قويا لا كزا وقد رأيت بانسي في حديث قدسي اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيري فلا تطيلي الكلام ولا تتصوري أنك ترجعين الى مالك من مقام ولا طاقة لك على مقاومة الثعبان فدعي تعب الخاطر واطلبي لك مأوى غير هذا المكان فتوجهت الى ملك الفار والجرذان وشكت مابها من ذلك الشيطان وقالت أنا في خدمتك ومعدودة من رعيتك عمري على ذلك مضى وزماني في اخلاص العبودية انقضى وأبي كان في خدمة أبيك وجدي عبدا لجدك وذويك لم نزل في رق الطاعه متمسكين بحبل سنة الولاء مع الجماعه كل ذلك لامر يدهم أو نازلة تقدم فنستدفع ذلك الخطب بخطابكم ونستكفي هول ذلك النازل بجنابكم والآن لقد وقعت حادثه بالباب عابثه وبالافكار عائثه وللارواح كارثه وذلك اني خرجت من مسكني الطيب قوتي ثم رجعت الى بيتي فوجدت ظالما قد استحوذ عليه وغاصبا قد دخل اليه وهو ثعبان مالي به يدان وقد تراميت على جنابك أستدفع هذا البلا بك فقال ملك الفار ياسائبة الاشفار من ترك ماله سائبا فقد جعله ذاهبا وقال ذوو الاعتبار وأولو الابصار ينبغي بل يجب على الدزدار وحافظ القلعة والحصار أن تكون رجله ذات عرج وانكسار لئلا يكون ديناره وجوده خارج الدار وأنت أيتها الفاره فرطت في أمرك والمفرط أولى بالخسارة وقد خاب منك السعي لانهم قالوا أظلم من أفعى ومن ظلم الافعوان انه لا يكد نفسه في حفر مكان وتهيئة مبان ومغان ولكنه حيث وجد مسكنا اتخذه لنفسه مقاما ووطنا وهذا قد عرف مكانك النزه وهو جبار شره فلا يزايله ولا يقابله ومن أين يلتقي مثل هذا المأوى وفي المثل عرف الكلب بيت العصا فالاولى ان تتركي

السرب عند جب الماء وقالت ذلك خوفا من بعلها أو غيره من مخافة فتكون اذا ارتابت من أحد تخرج الرجل من ذلك السرب فاتفق ذات يوم ان الرجل كان عندها وبلغها أن زوجها بالباب فقالت للرجل على عجل منها وخيفة بادر اخرج من السرب الذي عند جب الماء فانطلق الرجل الى ذلك المكان فلم يجد جب الماء فرجع اليها وقال لها ان الجب الذي ذكرت لي ان السرب عنده ليس هناك فقالت ايها المائق وما تصنع بالجب أنا دللتك به لتعرف السرب فقد عرفته فاذهب عاجلا فقال لها لم ذكرت الجب وليس هو هناك فقالت له أيها الاحمق انج ودع عنك الحمق والتردد فقال لها كيف أمضي وقد خلطت علي وذكرت الجب وليس هناك فلم يزل على مثل هذه الحال حتى دخل رب البيت فأخذه وأوجعه ضربا ورفعه الى السلطان (فلما) خفت من التردد والتهول رأيت ان لا اتعرض لما أتخوف منه المكروه وأن اقتصر على عمل تشهد النفس انه يوافق كل الاديان

وكففت فكري عن القتل والضرب وطرحت نفسي عن المكروه والغضب والسرقة والنميمة والكذب الث
والبهتان والغيبة وأضمرت في نفسي أن لا أبغي على أحد ولا أكذب بالبعث ولا القيامة ولا الثواب ولا العقاب وزالت الاشرار بقلبي

لك موضعا فتتخذيه مقاما ومرتعا فقالت الفارة وقد تأثرت لهذه العبارة يا أيها السلطان وملك الفار والجرذان فما فائدة خدمتي وانقيادي وطاعة تجدي الكبير الابي واذا كنتم في الدنيا لا تنفعوننا وفي الآخرة لا تشفعون لنا ولا تدفعون في الاولى صدمات الدواهي والبلا ولا تحمون الاوداء عن مواطئ اقدام الاعداء ولا تدفعون في الاخرى نوائب الطامة الكبرى ولا تحلوننا بكم من الاستعلاء غرف الدرجات العلى فأي فائدة لكم علينا ونعمة منكم تسدى الينا وهل أنتم الا كما قيل في الاقاويل

اذا لم يكن لي منك عز ولا غنى * ولا عندما يغتالني الدهر موئل

فكل التفات لي اليك تكرم * وكل سلام لي عليك تفضل

فقال ملك الفار يا قليلة الاستبصار العديمة العقل والافتكار اذا اجتهدنا في ردك الى مكانك وكنا على الثعبان كجندك واعوانك فهل تسكنين يا مسكينة و بنت مسكين في أن الافعى اتتوجه الى سلطانها وتخبره بشأنها وانها اخرجت من مكانها وتستنصر باعوانه وتنتصر على سلطاننا بقوة سلطانه وتستجيش وتستغيث وتغري علينا ذلك الخبيث كما فعل الرافضي العادي العلقمي البغدادي حين دعا التتار الطغام لخراب مدينة السلام ومن بعده النصير نابذة الامام وقصد دمار ديار الشام ولا طاقة لنا بهما كراهات ونحن في اجمائهم كعساكر الاموات فتذهب الاموال والارواح وتعدم القلوب والاشباح ومع هذا الامر المعلوم حصول القصد والظفر موهوم فبالله اتركيني واذهبي واطلبي لك مسكنا غيره ولا تتعبي فقالت هذا منزلي القديم ومرباي عن سلفي الكريم وأين أذهب وفيمن ارغب ان لم تنفي هاهنا سكت وانذهلت وانتهت فقال لا تطيلي القول فلا قوة لنا ولا حول فلما أيست الفارة المكارة الغدارة تركت سلطانها وذهبت وسلكت طريقها وانقلبت وانشدت فارشدت

أيهن مفتقر الى الملك نظرتي * فافتقرتي وقد فتني من حالق

ليست الملوم انا الملوم لانني * أنزلت آمالي بغير الخالق

ثم غاصت في بحر الفكر وتشبثت باذيال المكر واستعرضت على مرآة افكارها وجوه الحيل واستورت من زناد آرائها شرار النفار في الجدل واخذت تطوف في اكناف البستان فعثرت في دورانها على ذلك الاقحوان نائما تحت ورده متطوقا في اهنى رقده فرقت غصنا من الاغصان فلاح لها الباغبان فدق البستان وهو تعبان متكئا في الرياض على مسكبة ريحان فاغتنمت الفرصة ونزلت اليه وقربت منه ودارت حواليه ثم وثبت على وجهه وكان نائما فانتفض مرعوبا قائما فذهبت واختفت وبذا القدر اكتفت فرجع ونام وغرق في المنام فدخلت في قصده ورقدت فاستيقظ منجعما منزعجا فرآها فهربت وتنكست ثم عاد واتكا بعدما غضب واشتكى فوثبت على وجهه وادخلت ذنبها في أنفه فنهض مستيقظا مجدا فرآها واقفة لا تتعدى فقصدها فهربت ثم رجع نائما بعد ما أتت فنام في مسقاه فقربت منه وعضته في يده فالمته وآلمته واوجعته بالعضة فطفر من رقده واخذ مسحاته وقصدها وقد ذاق نكدها فهربت غير بعيد فراى وجهها من جديد فتبعها فمشت ثم وقفت وارتعشت تطمعه في صيدها وهو غافل عن كيدها فتبعها وهي قائدة حتى انتهت به الى المكامنة الراقدة فعندما رأى الثعبان نسي افعال بنت الجرذان فقتل تلك الافعى ولم يخب للفارة مسعى (وانما اوردت) هذه الحكاية لتقفوا منها على طريق النكاية وليعلم الضعيف اذا كان له اعداء كيف يوقعهم في مصايد الردى واذا استعمل اللبيب العقل المصيب والفكر الغيب وساعده في ذلك قضاء وقدر نال ما امل وامن ما حذر وافلح ونجح فكره وهذا اذا كان الضعيف مظلوما والقوي ظالما غشوما كما انتم عليه مما توجهتم اليه من معاداة شيخ الشام المستحق للتبجيل والاكرام والتعظيم والاحترام فانه على الحق وانتم ظالمون وقاصد الصدق وانتم

وصاولت الجلوس مع الاخيار بجهدي ورأيت الصلاح ليس كمثله صاحب ولا قرين وو جدت مكسبه اذ وفق الله واعان يسيرا وو جدته يدل على الخير ويشير بالنصح فعل الصديق بالصديق وو جدته لا ينقص على الانفاق منه بل يزداد جدة وحسنا وو جدته لا خوف عليه من السلطان ان يغصبه ولا من الماء أن يغرقه ولا من النار أن تحرقه ولا من اللصوص أن تسرقه ولا من السباع وجوارح الطير أن تمزقه وو جدت الرجل الساهي اللاهي المؤثر اليسير يناله في يومه ويعدمه في غده على الكثير الباقي تصيبه مصيبة ما اصاب التاجر الذي زعموا انه كان له جوهر نفيس فاستأجر لثقبه رجلا في اليوم بمائة دينار وانطلق به الى منزله ليعمل واذا في ناحية البيت صنج موضوع فقال التاجر للصانع هل تحسن ان تلعب بالصنج قال نعم وكان بلعبه ماهرا فقال التاجر دونك والصنج فاسمعنا ضربك به فاخذه الرجل الصنج ولم يزل يسمع التاجر الضرب الصحيح والصوت الرفيع والتاجر يشير بيده ورأسه طربا حتى امسى فلما حان الغروب قال الرجل للتاجر أؤمر لي بالاجرة فقال له التاجر وهل عملت شيئا تستحق به الاجرة فقال له عملت ما امرتني به وانا اجيرك وما استعملتني عملت ولم يزل به حتى استوفى منه مائة دينار وبقي جوهره غير مثقوب فلم ازدد في الدنيا وشهواتها نظرا الا ازددت فيها زهادة ومنها هربا وو جدت النسك هو الذي يمهد للمعاد كما يمهد الوالد لولده وو جدته هو الباب المفتوح الى النعيم المقيم وو جدت الناسك قد تدبر فعلته بالسكينة فشكر وتواضع وقنع فاستغنى ورضي

ولم يهتم وخلع الدنيا فنجا من الشرور ورفض الشهوات فصار طاهرا واطرح الحسد فوجبت له المحبة وسخت نفسه بكل شيء واستعمل العقل وابصر العاقبة فأمن الندامة ولم يخف الناس ولم يدب اليهم فسلم منهم فلم أزدد في أمر النسك نظرا الا ازددت فيه رغبة حتى همت أن أكون من أهله ثم تخوفت ان لا أصبر على عيش الناسك ولم آمن ان تركت الدنيا وأخذت في النسك أن أضعف عن ذلك ورفضت أعمالا كنت أرجو عائدتها وقد كنت أعملها فأنتفع بها في الدنيا فيكون مثلي في ذلك مثل الكلب الذي مر بنهر وفي فيه ضلع فرأى ظله في الماء فهوى ليأخذه فأتلف ما كان معه ولم يجد في الماء شيأ فهبت النسك مهابة شديدة وخفت من الضجر وقلة الصبر وأردت الثبوت على حالي التي كنت عليها ثم بدا لي أن أصبر على ما أخاف أن لا أصبر عليه من الأذى والضيق والخشونة في النسك وما يصيب صاحب الدنيا من البلاء وكان عندي أنه ليس شيء من شهوات الدنيا ولذاتها الا وهو متحول الى الأذى ومولد الحزن فالدنيا كالماء الملح الذي لا يزداد شاربه شربا الا ازداد عطشا وهي كالعظم الذي يصيبه الكلب فيجد فيه ريح اللحم فلا يزال يطلب ذلك اللحم حتى يدمي فاه وكالحدأة التي تظفر بقطعة من اللحم فيجتمع عليها الطير فلا تزال تدور وتدأب حتى تعيا وتعطب فاذا تعبت ألقت ما معها وكالكوز من العسل الذي في أسفله السم الذي يذاق منه حلاوة عاجلة وآخره موت ذعاف وكأحلام النائم التي يفرح بها الانسان في نومه فاذا استيقظ ذهب الفرح

كاذبون يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون فهذا أمر مشكل وداء معضل فأنى تصح أبدانكم وقلوبكم مرضى ومن يحبكم وأنتم محسوبون من البغضاء وكيف تفتنون وأنتم على الباطل وفي أي ذوق يحلو ما منكم من عاطل وأنا أخاف أي إخلاف أن تسفر هذه القضايا بعد ارتكاب البلايا وتحمل المشاق والتعب باقتحام موارد الهلاك والنصب عما هو أشد وأنكى وأحزنكم وأبكى كما أصاب مضيف العراق من زوجته زبيدة ذات النطاق حين بدا منها الزنبور على حافة التنور فقال الوزير العفريت أفدنا هذا الصوت بإذا الصيت (قال) نزل في بعض الرستاق من بلاد العراق فقير ضيف على مسكين ضعيف وكان بعض أيام الخريف والبرد الشديد يقطع الحديد فبعدما طبخوا وتعشوا سجروا النار ليتدفوا فبقي كل من الحضور يتدفأ على جانب التنور فقعد الضيف مقابل زوجة المضيف فظهر من تحت نطاقها وجه ذلك الحر الظريف ولاح من تحت السجف كأنه قرص أو رغيف أو قند عسلي نظيف أو خد جندي نظيف أو القمر شق نصفين أو بدر لاح من تحت ذيل سحاب فلما أحس بحرارة النار وظهر على وجهه الاحمرار صار يتلمظ ويتحلى ولسانه من الحر والدفء تدلى فلمحه الضيف وهو يتثاءب فتمطى قائم رمحه ونحوه قام وتصاوب وقد قيل في الأقاويل عضوان متعاونان وهما اليدان وعضوان مختلفان وهما الرجلان وعضوان متحابان وهما العينان وعضوان متصاحبان وهما اليد والفم وعضوان متباغضان وهما الاست والأنف وعضوان متوافقان وهما العين والاير وكان الضيف يسارقه النظر ويترشف شفاهه بلسان الفكر ويود في مطالعة جبينه لو أتبع العين بالأثر وجعل يتقي ويترنم ويهيم بما يتكلم

ليس في العاشقين أقنع مني * أنا أرضى بنظرة من بعيد

فتنبه إمام هواه الساجد وجعل يقوم ويقع وهو راكع ساجد ويسلم على محرابها أحسن التحيات ويتشهد رافعا أصبعه بالسلام والصلوات ثم غلبته الحيرة فأخذ يجالد عميره فنظر صاحب البيت فرأى الضيف غارقا في فيت وذيت مشغولا بكيت وكيت متأملا معنى هذا البيت

وعند التقى انكشف المغطى * تشابه كسها وأيري قطى

فأراد أن يشعر به البيدار على هذا المشار استرسالها وتغطي ما لها بطريقة لا تؤبه لها ولا يقف ضيفها عليها فقد يده الى سفود وحركه به الفارذات الوقود فعلق من النار به في الطرف وما شعر بذلك أحد وما عرف ثم أصبر ساعة بذلك العود وأوصل في خفية طرفه الى ذلك الشق المعهود لتنفظ فتحفظ فشوطها وأحرها وأحرق رأس السفود بظرها فالتأمت وانضبطت واحترقت واختبطت وتحركت بزعجة فضرطت فزادت فضيحة العين فضيحة الأنف والأذن ولم يحصل من تلك الحركة الا الخجالة والغبن (وإنما أوردت) هذه الحكايات لتتأملوا في الغايات والنهايات فإن من لا يراقب ما يأتي في العواقب ما الدهر له بصاحب وهذا الرجل الصالح القيم الراجح ما فاق أقرانه وساد أصحابه وإخوانه الا بشيء تقدم به عليهم وتحقق موجب تقدمه لديهم وذلك درجات العلم والعمل فبذلك ساد الرجل وكمل وقال منزل الآيات وخالق البريات يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وقد برع في أنواع العلوم واطلع على حقيقتها من طريق المنطوق والمفهوم وأنتم عن طريقه غافلون وعن حقيقة ما هو عليه ذاهلون واعلموا أن طريقه واحدة وهي الحق وطرقكم متعددة وكلها فسق وأتباعه على اتباعه متآلفون وأنتم في طرائقكم القدد متخالفون فقد قال الله تعالى في محكم تنزيله وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقال بعض أهل الفضل وكلامه في بيان الحق فصل ما ناظرت ذا فنون الا غلبته وما ناظرني ذو فن الا غلبني وإنما أخشى ان ناظرت هذا الرجل الكامل الفاضل أن لا أحصل منه على طائل ويظهر فضله قصوري فيتهدم بنيان قصوري فقال الوزراء بعد أن اتفقت الآراء كلها واحدة

مقتفة

متفقة متعاضدة نعم ما رأى مولانا الرئيس صاحب التدليس واسناد التلبيس وأنجب أولاد ابليس ونحن أيضا نأباه ونخشى عاقبة هذه الواقعة ولقد جرى مثل هذا المجرى بين بزرجمهر ومخدومه كسرى في قضية فاق فيها الوزير مخدومه الكبير فسأل العفريت وزراءه عن بيان ذلك الشان كيف كان (فقالوا) بلغنا أيها الخناس الملقي الوسواس في صدور الناس أن بزرجمهر الوزير كان ذا علم غزير ورأي وتدبير وبديهة جواب تفحم المكد والتفكير وكان حكيم زمانه وعليم أوانه وممن فاق في الفضل والحكم سائر أترابه وأقرانه وكان مقربا عند مخدومه يزيد في كل وقت في تكريمه وتعظيمه وتوقيره وتفخيمه ويصغي الى نصائحه ويعد قربه من أعظم مناقبه ويصبر على كلامه الصادع ووعظه القارع ونصحه الفادح لما فيه من الفوائد والمنافع والحكم والبدائع وقد قيل من أحبك نهاك ومن أبغضك أغواك فكان الوزير يبادر قبل سائر الخدم في وظائف الخدم ويعجل من الليل والظلم حتى كأنه يوافق النجم أو يسابقه في الرجم ومع ذلك كل يوم يجد مخدومه راقدا في النوم فيقرعه بالعذل وينقم عليه هذا الفعل ويعلن بالندا وينادي في الملا فيقول أفق يا محجوب وتيقظ حتى تظفر بالمطلوب فمن باكر نجح ومن غلس المطلوب أفلح ومن تخلف في النوم سبقه الى المنزل القوم وفاته المطلوب ولا يدرك المحبوب واترك لذة الكرى فعند الصباح يحمد القوم السرى وكان كسرى يجد لهذا الكلام أنواعا من الآلام لانه كان يطيل السهر الى وقت السحر عاكفا على المدام وسماع الانغام ومغازلة الغزلان ومعاقرة الندمان واصطحاب الحسان عريان فاذا نام واستراح امتد نومه الى الصباح فلا يوقظه الا عياط الوزير وصراخ ذلك الصائح النذير فلما طال عليه المطال وشاب عليه من ذلك الملال ارصد للوزير في الطريق من منعه عن التبكير بالتعويق فتصدى له الرصد واعروا رأسه والجسد واخذوا قماشه وسلبوا رياشه فرجع الى بيته مكرها ولبس ثيابا غيرها فأبطأ في ذلك اليوم وتخلف في الخدمة عن القوم ولم يجئ الا وقد استيقظ كسرى من النوم وهو جالس في صدر الايوان وحواليه مباشر والديوان وسائر الوزراء والاركان وعامة الجند والاعوان كل في مقامه ضابط زمامه فأدى بزرجمهر وظائف الخدمة على عادته ووقف في مكانه مع جماعته فقال كسرى ما دعا مولانا الوزير في هذا اليوم المنير الى التخلف والتأخير وترك التبكير وانشاده بالتبكير قول الشاعر الكبير

بكرا صاحبي قبل الهجير * ان ذاك النجاح في التبكير

فقال ان الحرامي عارضني امامي وقصدني في ظلامي فأخذ قماشي وسلب قماشي ورياشي فرجعت الى كناسي وجددت زيي ولباسي فهذا سبب تأخري وعدم تبكيري وموجب شغلي عن وظيفتي وتذكيري فقال كسرى ما افادك التذكير الا الغرامة في التبكير ولولاه ما سلب القماش ولا ذهب الرياش ولا قام الحرامي بالمعاش فاين الفلاح في القيام قبل الصباح فقال بزرجمهر في الحال وقد أصاب في الجواب ليس ذلك كذلك يا امامي وانما بكر قبلي الحرامي ولو أبا كرا نا بالنسبة اليه فرجع فائدة تبكيره هي عليه فبهت كسرى من خطابه وسرعة بديهته في جوابه (وانما أوردت) هذا القول بين يدي امامنا الغول وشيخ المردة الهول ليعلم ان كسرى وان كان عالما وفاضلا وحاكما اذعن لكلام وزيره واتبع رأي مشيره وانصف من نفسه اذ أدرك الوزير بفهمه ما لم يدركه هو بحسه فاسترسل هموم العفريت فيما هم عليه والتفت عند ذلك الى وقال فبأي الحبائل نصطادهم وعماذا نكيدهم فقال احد الوزراء بالنساء فانهن زمارة الجن وطبل الدف والطبل لا يضرب تحت الكساء فهن أعظم وسائلنا واحكم أوهاقنا وحبائلنا وناهيك ما قاله العزيز العليم الذي جبلهن على غير تقويم وفطرهن على الكيدان كيدكن عظيم وجعل كيدنا بالنسبة الى كيدهن ضعيفا فقال ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال سيد السادات ورئيس الرؤساء ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء وقال الولي ومن قدره الرفيع على

فلما فكرت في هذه الامور بحثت الى طلب النسك وهزني الاشتياق اليه ثم نازعتني نفسي اذ هي في شرورها سارحة وقد لا تثبت على أمر تعزم عليه كقاض سمع من خصم واحد فحكم له فلما استحضر الخادم الثاني عاد الى الاول وقضى عليه ثم نظرت في الذي أكابده من احتمال النسك وضيقه فقلت ما أصغر هذه المشقة في جانب روح الابد وراحته ثم تفكرت فيما تشره اليه النفس من لذة الدنيا فقلت ما أمر هذا وأوجعه وهو يدفع الى عذاب الابد وأهواله وكيف لا يستحلي الرجل مرارة قليلة تعقبها حلاوة طويلة وكيف لا تمر عليه حلاوة قليلة تعقبها مرارة دائمة وقلت لو ان رجلا عرض عليه ان يعيش مائة سنة لا يأتي عليه يوم واحد الا بضع منه بضعة ثم أعيد عليه من الغد غير انه يشرط له اذا استوفى السنين المائة نجا من كل ألم وأذى وصار الى الامن والسرور كان حقيقا ان لا يرى تلك السنين ولا شيئا منها وكيف يأبى الصبر على أيام قلائل يعيشها في النسك واذى تلك الايام قليل يعقب خيرا كثيرا فلنعلم ان الدنيا كلها بلاء وعذاب أوليس الانسان انما يتقلب في عذاب الدنيا من حيث يكون جنينا الى ان يستوفي ايام حياته فانا نجد في كتب الطب ان الماء الذي يقدر منه الولد السوي اذا وقع في رحم المرأة يختلط بدمها ومائها فيثخن ويغلظ ثم تمخض الريح ذلك الماء والدم حتى تتركه كالمخيض ثم كالرائب الثخين الغليظ ثم تقسم فيه اعضاء الولد لايامه ولادته فان كانت انثى فوجهها قبل وجه أمها وان كان ذكرا فوجهه قبل ظهر أمه ويداه على وجنتيه وذقنه على ركبتيه وهو منقبض في المشيمة

ان النساء شياطين خلقن لنا * نعوذ بالله من شر الشياطين

وقال من أجاد في المقال وشنف المسامع بالاقوال حيث قال

وما جر أعناق الرجال سوى النسا * وأي بلاء جاء ليس له أهلا

فكم نار شر أحرقت كبد الورى * ولم يلك الامكر هن لها أصلا

وانهن أشراك الاشراك وأوهاق الازهاق وأسواق الفساق ومصايد المصائب ومراصد النوائب وحسبك يا ذا الدها ما روى ذلك الحكيم حين سها وأذعن لزوجة الرئيس اذ نبهته على ما عنه لها فسأل المفريت عن تلك الحالة وبيان ما فيها من المقالة (فقال) ذكر أن حكيما من العلماء وعالما من الحكماء أولع بضبط مكر النساء وشرع في تدوينه صباحا ومساء وصار يجول البلدان ويطالع لذلك كل ديوان ويكتب ما يكون وما كان ويحرر من ذلك الاوزان بالمكيال والميزان فنزل في بعض الآناء على حي من الاحياء فصادف ذلك التعريس بنت الرئيس فتلقته امرأة ظريفة ذات شمائل لطيفة وحركات رشيقة خفيفة وقابلته بالترحاب وفتحت للدخول الباب فاقبل عليها وترامى لديها فأنزلته في صدر البيت وأخذت معه في كيت وكيت كأنها معرفة قديمة وصديقة كريمة وكان زوجها غائبا قد قصد جانبا فشرعت في نزل الضيف لئلا تنسب الى بخل وحيف فأخذ يطالع في ديوانه ويسرح سوائم طرفه في ظرف بستانه يشغل أوقاته ويتفكر مافاته ليتعاطى اثباته فقالت له ضرة الرئيم ما هذا الكتاب المعظم أيها الفاضل الحكيم فقال شيء صنعته وكتاب ألفته وهو في الغربة أنيسي وفي الوحدة جليسي فقالت يا ذا الحكم والحلم ما فيه من فنون العلم فقال سر مصون وأمر مخزون ودر مكنون لا يجوز ابداؤه ولا يحل افشاؤه فقالت يا ذا الشكل الظريف والوصف اللطيف والعلم المنيف هذا التعريف لا يليق بالتصنيف فان فائدة التصنيف الاشتهار وثمرة العلم الانتشار ودونك ما قاله الكئيب في مخاطبة الحبيب

أذقني من رضابك يا حبيبي * فما الشهد دون الذوق لذه

وما أخذ الله على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا فقال الامر كذلك يا زين الامور ولكن هذا علم يصان عن ربات الخدور فقالت ان الله الجليل الذات الجميل الصفات ذكر المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات وما منع نساء الانسان الخيرات الاطهار أن يسألن المصطفى المختار عليه أفضل الصلاة والسلام عن غسل المرأة في الاحتلام ولان يلجن معه الخاضه في السؤال عن الحائض والمستحاضه بجمع في ميدان الامتناع وأصر على المماتنة والدفاع وقال يا حصان هذا سر يصان لا سيما عن في دينه وعقله نقصان فأغراها هذا المقال على الالحاح في السؤال وزادت في اللجاج ومارت في الاحتجاج وترامت لديه وأقسمت بدلالة الدال عليه فقال هذا علم لم أسبق اليه جمعت فيه مكر النساء ومن أجاد منهن ومن أساء ومن تعاطت لطائف الحيل وخفي الفعل وخفيف العمل ومن دعت بدعاها حتى بلغت مناها ومن وقعت في الشدائد فاحتالت بدقيق فكرها لتلك المكايد وتخلصت من شرك المصايد فلما سمعت ما قال وعت صكت وجهها وأعربت تهتهتها وتمايلت تمايل القضيب وقالت سر غريب وأمر عجيب وضيعة عمر حاصل فيه الاضحة طائل وشغل سربال في جمع أمر محال لقد ركبت المشاق وكلفت نفسك ما لا يطاق ونسفت الرمل بالكربال وغرفت البحر بالغربال ووزنت الطود بالمثقال وتحملت الدر بالاثقال فارجع عن هذا الغلط ولا ترم ذلك الشطط فان مكر ربات الخدور لا يدخل ضبطه تحت سفر مقدور فقال اما أنت فنبيه وعن هذا الكلام غنيه وان كنت فاضلة ذكيه اناقد بلغت في ذلك الغايه وأحطت به بداية ونهايه ووقفت على مجمله ومفصله فلم يشذ عني شيء من آخره وأوله فسلمت وما تكلمت وغالطت وما باطلت وسارت وما مارت وفوضت اليه هذا التحقيق وسلكت معه غير هذا الطريق

كأنها صرة مصرورة وهو يتنفس من متنفس ضيق شاق عليه وليس من عضو الا وهو مقمط بقماط فوقه حوالبطن وثقله وتحته ما تحته من الظلمة والضيق وهو منوط بحبل من سرته الى سرة أمه ومن تلك الى عص و يقتبس الطعام فهو بهذه المنزلة في الظلمة والضيق الى يوم ولادته واذا كان ابان المخاض والولادة سلطت ريح على رحم المرأة فتهب للجنين قوة يقدر بها على الحركة فيضرب برأسه قبل المخرج من ضيقه وحرجه فاذا وقع الى الارض فاصابته ريح أولمسته يد وجد لذلك من الالم ما يجده الانسان اذا سلخ جلده ثم هو في أنواع العذاب ان جاع فليس به استطعام أو عطش فليس به استسقاء أو وجع فليس به استغاثة مع ما يلقى من الوضع والحمل واللف والدهن والمسح ان أنيم على ظهره لم يستطع تقلبا ثم يلقى أصناف العذاب مادام رضيعا فاذا أفلت من عذاب الرضاع أخذ بعذاب الادب فاذيق منه ألوانا من عنف المعلم وضجر الدرس وسآمة الكتابة ثم له من الدواء والحمية والاسقام والاوجاع أوفى حظ فاذا أدرك كانت همته في جمع المال وتربية الولد ومخاطرة الطلب والسعي والكد والتعب وهو مع ذلك يتقلب مع أعدائه الباطنين اللازمين له وهي الصفراء والسوداء والريح والبلغم والدم والسم المميت والحية اللادغة مع الخوف من السباع والهوام مع صرف الحر والبرد والمطر والرياح ثم أنواع عذاب الهرم ان بلغه فلو لم يخف من هذه الامور شيأ وكان قد أمن ووثق بالسلامة منها فلم يكفه فيها الوصب

حتى

حتى كان هذا الكلام في هذا المقام شيأ فريا ونسيا منسيا ثم نزلت من برج المنازله وأخذت تلك الغزالة في المغازله وانتهى بها المقال الى هذا السؤال فقالت أيها اللبيب الماهر ما معنى قول الشاعر

يهددني بالرمح ظبي مهفهف * لعوب بألباب البرية عابث
ولو كان رمحا واحدا لاتقيته * ولكنه رمح وثان وثالث

فالرمح الواحد قامته والرمح الثاني ما حوته راحته وقل لي يا أبا الحرث ما هو الرمح الثالث فقال ذلك النبيه قبل ما يظهر من تنبيه فان هز لين أعطافه وسرعة انعطافه تراه العينان كأنه رمحان وقيل ما يظهر من ذلك المهفهف عند هزه الرمح المثقف فانه يتراءى للعين الشكل الواحد اثنين ولهذا نظير في اليوم الماطر وأحسن مثال عند رشق النبال وفي تدوير الحسن وفتل الصولجان عند سرعة الدوران وقيل كان معه رمحان فعده واحدا وهما اثنان وعندي يا دمية القصر انه ليس المراد الحصر وانما المراد التكثير يا نضرة البدر المنير لان عطفه كلما انهز هزه حصل في صدر المتيم وخزه ورمح قامته يتثنى ويتقصف فتارة يميل وأخرى يتثقف وطعن العشاق يخطر ويتهفهف فالمتيم لا يبرح من قده في طعنات كما لم يزل من سهام جفنه في غمزات ووخزات وهو من المجاز المرسل اذ المراد الطعن من ذلك الاصل وكان قصده أن يسرد الاعداد لا الى غاية ويبلغ بها الى ما لا نهاية فيقول ثان وثالث ورابع وخامس وسادس وسابع فلم تسع القافيه يا من هي بوصالها شافيه ورضابها عافيه ونظير هذا قوله ان تستغفر لهم سبعين مرة وليس المراد الحصر يا رقيقة الخصر ويا عين العين في السبعين حتى لو زاد على هذا العدد لغفر لهم الواحد الصمد بل المراد انه لا يغفر لهم ولو زاد فقالت يا صاحب البيان وربه انما عنى بالرمح الواحد زبه فافصحت له بالكلام عما لها من مرام كأنها الثقيفات هيام تخيلت عن الرجل واستقت لما افصحت عن مقصودها واوضحت فقالت حييت وحييت لا تستح واصنع ما شئت فحركت بهذا الكلام العابث من الشيخ الحكيم الرمح الثالث فدا لها ابدا الفاجر العابث وذهب لب ذلك الرجل الحازم وراودها مراودة العازم الجازم وصارت تلك اللاعبه بين الاطماع والمناعه تتثنى وتتقصف فتارة تتثقف وأخرى تتعسف وبيناهما في المجاذبه والملاعبة والمطايبه وهي تنزوي وتلين وتصعب وتستكين اذ تراءى لها زوجها من بعيد فقالت جاء زوجي وهو عنيف عنيد فسلب القرار وطلب الفرار ووقع ذلك الحكيم النبيه في فتنة فيها الحليم سفيه ودهمه ما هو أهم مما هو فيه من دواهي العشق ودواعيه ونسي العشق والعشيق وطلب الخلاص من المضيق وأظهر صورة حاله ما عناه الشاعر في قاله

سألت محبرا طبا عليما * خبيرا بالوقائع مستفادا * وقلت الشهد أحلى أم رضاب
أم النيك الذي للروح حادي * فقال وحق ربي النفس أولى * اذا جاء الجزاء هذا وهذا

واشتغل الحكيم بنفسه وضاق حلول رمسه وكان في طرف البيت صندوق مقفل عليه ستر مسبل ففتحت له الصندوق ورمت له باخفائه عن زوجها المعشوق وأمرته بولوجه لكي من زوجها الشرس ونجا فشكر لها صنعها وامتثل وانسل الى ذلك الصندوق ودخل فأقفلت عليه أغلاقه وأحكمت وثاقه ثم تلقت زوجها بالترحاب ودخلت معه في الاطعمة من كل باب وقدمت له ما أكل وانبسطت له فركب وكل ثم قالت أخبرك يا حبيب بوقوع أمر غريب وحادث بديع عجيب وهو انه قدم حكيم فاضل حليم عالم عظيم فأكرمت نزله وبوأته منزله وكان معه كتاب فيه أعجب العجاب فسألته عما حوى فقال مكر النسا فقلت له هذا شئ لا يحصى ولا يحصر ولا يجمعه ديوان ولا دفتر فلم يسلم الي ولم يعول علي وذكر انه أنهاه ولم يدع من مكر النساء الا أودعه اياه فراودني الى غاراته وداعبته وغازلته فطمع من ان يعاورني في حسن مزاور في وطلب مني ذلك الفسوق ما هو أعز من بيض الانوق ويغانمني في العيش الرغيد واذا بك

فليه أن يعتبر بالساعة التي يحضره فيها الموت فيفارق الدنيا ويتذكر ما هو نازل به في تلك الساعة من فراق الاحبة والاهل والاقارب وكل مفتونين به من الدنيا والاشراف على الهول العظيم بعد الموت فلو لم يفعل ذلك لكان حقيقا أن يعد عاجزا مفرطا ضعيفا للديانة مستحقا للوم فان ذا الذي يعلم ولا يحتال لخلاصه بهذه الحيلة ويرفض ما يشغله ويلهيه من شهوات الدنيا وغرورها ولا سيما في هذا الزمان الشبيه بالصافي وهو كدر فانه وان كان الملك حازما عظيم القدرة رفيع الهمة بليغ الفحص عدلا مرجوا صدوقا شكورا رحب الذراع مفتقدا مواظبا مستمرا عالما بالناس والامور محبا للعلم والخير والاخيار شديدا على الظلمة غير جبان ولا خفيف القياد رفيقا بالتوسع على الرعية فيما يحبون والدفع لما يكرهون فانا قد نرى الزمان مدبرا بكل مكان فكأن أمور الصدق قد نزعت من الناس فأصبح ما كان عزيزا فقده مفقودا وما كان ضائرا وجوده موجودا وكأن الخير أصبح ذابلا والشر ناضرا وكأن الفهم أصبح قد زالت سبله وكأن الحق ولى كسيرا وأقبل الباطل تابعه وكأن اتباع الهوى واضاعة الحكم أصبح بالحكام موكلا وأصبح المظلوم بالحيف مقرا والظالم لنفسه مستطيلا وكأن الحرص أصبح فاغرا فاه من كل جهة

(٨ – فاكهة) يتلقف ما قرب منه وما بعد وكأن الرضا أصبح مجهولا وكأن الاشرار يقصدون السماء صعودا وكأن الاخيار يريدون بطن الارض وأصبحت المروءة مقذوفة من أعلى شرف الى أسفل درك وأصبحت الدناءة مكرمة ممكنة وأصبح السلطان منتقلا عن أهل الفضل

اقبلت من بعد كل ذلك والحكيم يسمع قولها وما تخبر به بعلها فلما سمع الزوج هذا الكلام اضطرب وزمجر واصطخب وقال واين هذا الفاسق الفاجر المنافق والله لاذيقنه كأس التلف ولالحقنه بمن سلف فلم يبق في الحكيم مفصل الا ارتجف فقالت ها هو في الصندوق مختفي فخذ ثارك منه واشتفي فنهض وصاح هات المفتاح فعلم الحكيم أن عمره ذهب وراح وكان سبق من زمان بين الزوجين عقد رهان انه من فتح منهما الصندوق غاب وأقام لصاحبه عاطاب فلما ذكرت له حكاية الحكيم تذكر عقد الرهن القديم وذهل لشدة الغيره وفوران الحميه وتوجه الى الصندوق فبمجرد ما فتح القفل المغلوق صاحت عليه غلبتك يا معشوق فادما ثبت لي عليك من الحقوق فتذكر عقد المراهنه ولم يشك أن كلامها كان مداهنه فضحك بعدما كان عبس والقى المفتاح من يده وجلس وامنها ومكرها ولعبها وفكرها ثم اصطلحا وانشرحا وزادا نشاطا ومرحا ثم خرج في فور ورائه وتوجه الى حاجاته فاقبلت تلك العروس الى الحكيم المحبوس واخرجته من الاعتقال وذكرت له هذه المناقلة والانتقال وقالت أيها الحكيم العظيم هل كتبت هذه المناقلة في كتابك الكريم فقال لا والله الرحمن الرحيم واني قد سلمت اليك وتبت الى الله على يديك (وانما أوردت) هذا المثال لاعرض على شيخ الثعالي وامام الاغوال ان النساء في هذه المعركه أعظم منشبث واقوى شبكه ومن اسلب اللب من الرجال أضعاف فتنة المسيح الدجال خلقهن أعوج وخلقهن أعوج ورأيهن غير سديد والرجال لهن أذل عبيد وان كن ناقصات عقل ودين فهن الكاملات في سلب العقل المتين والفكر الرزين واذهب للب الرجل الحازم والعقل السديد الجازم وهل أخرج آدم من جنة المأوى الا قصة صدرت من قبل حوا وما قتل هابيل قابيل الا بفتنة الزوجة كما قيل وكذلك قصة من أوتي الآيات فانسلخ منها وقد عرف كل ذلك ابتداء وانتهاء وغالب من عصى الله وأساء انما كان بسبب كفره واغوائه النسا فلا تعترضوا على هذا الرأي المتين ولا تتعرضوا لهذا الرجل فانه على الحق المبين ولا تقصدوا المعارضة وسؤاله فربما يكون مجالكم أضيق من مجاله وانا لا نقدر على مناقشته ويظهر جهلنا وعجزنا عند مباحثته فقال سائر الوزراء هذا الرأي أصوب الآراء فانا الى الآن ما بارزناهم بالمناقشة وانما كنا نأتيهم بالمخادعة والمحاسنه فنزين لهم الباطل ونحلي لهم العاطل ونشوه وجه الحق ونسود طلعة الصدق الى ان ظهر هذا الرجل ونحن على ذلك فوقف في طريقنا وأراهم الدرب السالك وعلا شأنه ووضح برهانه ونحن على ما نحن عليه من الاغواء والقائهم في مهاوي الاهواء والحرب بيننا وبينهم سجال فلو كاشفناهم بسوء الفعال انكشف لهم زيف نقدنا وبطل ما كنا نسوله بجهدنا فاذا ظهر الحق من الباطل وتميز الحالي من العاطل أخذوا حذرهم وضبطوا أمرهم وداروا بالمداواه ومروا بالمواجهة بعد الحلاوه ثم ظفرنا بهم موهوم ونصرنا عليهم غير معلوم فما نظفر الا بالندامه ونرضى اذ ذاك بغنيمة السلامه ويستمر هذا العار علينا الى يوم القيامه وقد قيل

لا تسع في الامر حتى تستعد له * سعي بلا عدة قوس بلا وتر

فعند ذلك استشاط العفريت غضبا وطار شرار الغضب اشتعالا ولهبا وقال لقد عظمتم من شأن الانسان وأوهنتم بل أهنتم جانب اخوانكم الجان وضيعتم حقوق الاخوان وأطلتم حكاية الثعالي والغيلان ونسيتم فتن جدكم الاعلى الباقية على مر الزمان ونحن أدق حيله وأجل جماعة وقبيله وأوسع ذكرا وأسرع مكرا وأقدم وجودا وأعظم جنودا وأغزر علما وادراكا وفهما ولا أرى لكم همة صادقة ولا عزيمة موافقة وأنا ما قلت لكم ما تقدم من القول الا لأخبر ما في فرائض عقلكم من الرد والعول فلا أقوالكم سديده ولا أفعالكم رشيده ولقد حل بكم الصغار وسطا بكم من الانس الصغار وأما أنا فلا بد لي من المباحثه والمناقشة والمنابذه والالقاء للمسائل والابحاث في الرسائل من غير وسائط ولا وسائل ليهلك من هلك

الى أهل النقص وكان الدنيا جزاؤه مسرورة تقول قد غيبت الخيرات واظهرت السيئات فلما فكرت في الدنيا وأمورها وان الانسان هو أشرف الخلق فيها وأفضله ثم هو لا يتقلب الا في الشرور والهموم عرفت انه ليس انسان ذو عقل الا وقد أغفل هذا ولم يعمل لنفسه ويحتال لنجاتها فتعجبت من ذلك كل العجب ثم نظرت فاذا الانسان لا يمنعه من الاحتيال لنفسه الا لذة صغيرة حقيرة غير كبيرة من الشم والذوق والنظر والسمع واللمس لعله ان يصيب منها الطفيف أو يقتني منها اليسير فاذا ذلك يشغله ويذهب به عن الاهتمام لنفسه وطلب النجاة لها فالتمست للانسان مثلا فاذا مثله مثل رجل نجا من خوف فيل هائج الى بئر فتدلى فيها وتعلق بغصنين كانا على سمائها فوقعت رجلاه على شيء في طي البئر فاذا حيات اربع قد أخرجن رؤسهن من أجحارهن ثم نظر فاذا في قعر البئر تنين فاتح فاه منتظر له ليقع فيأخذه فرفع بصره الى الغصنين فاذا في أصلهما جرذان أسود وأبيض وهما يقرضان الغصنين دائبين لا يفتران فبينما هو في النظر لامره والاهتمام لنفسه اذ أبصر قريبا منه كوارة فيها عسل نحل فذاق العسل فشغلته حلاوته وألهته لذته عن الفكرة في شيء من أمره وان يلتمس الخلاص لنفسه ولم يذكر ان رجليه على حيات أربع لا يدري متى يقع عليهن ولم يذكر ان الجرذين دائبان في قطع الغصنين ومتى انقطع هن
وقع على التنين فلم يزل لاهيا غافلا مشغولا بتلك الحلاوة حتى سقط في فم التنين فهلك فشبهت البئر بالدنيا المملوءة آفات وشرور ومخافات

عن يده ويحميها من حيّ عن يمينه فاعلموا ذلك وحققوه ثم أمعنوا النظر فيه ودققوه وهذا هو الرأي الذي صممت عليه فليتوجه كل منكم بقلبه وقالبه اليه ويقل في ذلك غثه وسمينه ويلق هجانه قوله وهجينه ولا يدخر شيأ من آرائه فلا بد لي من القائه واعلموا أن الوالي المدرار الذي هو الى جهة جار لو اتفقت الآراء على صرف جريانه الى جهة أخرى وان يسد عن هذه الجهة المجرى فانهم لو قصدوا ذلك من أسفل الوادي لسخر منهم الحاضر والبادي ولا يتم الفاعل ما يقصده حتى يسد طريق الماء من أعلاه وأنتم ان قصدتم معالي الامور واهلاك رؤس الجمهور ثم تعمدتم الاراذل وتبدلتم الاكابر بالاوغاد والاسافل فانكم اذا اغمار وقد ضيعتم في غير حاصل الاعمار وقد قيل

اذا كنت لا بد مستتربا * فمن أعظم النل فاستترب

وما الهين كالرصاص والجروح قصاص ولا يكافأ الرئيس الا بالرئيس ولا يقابل النفيس بالخسيس وأي فخر للملوك اذا نازلوا السوقة والصعلوك وقد قيل

ألم تر أن السيف يزري بقدره * اذا قلت هذا السيف أمضى من العصا

وما اكتفى صناديد قريش يوم بدر بدون أكفائهم في النسب والقدر وماذا تفيد بلابسكم وتجدي شيطنتكم ووسوستكم وأنتم أولو الزعارة وذوو الشطارة والدعارة اذا قهرتم من الانس وهلا كم أضعف جنس وهم أقصر أعمارا ونحن أطول أطوارا لم نزل نصادم الجبال ونقتحم الاهوال ونظهر كاشتقاق باب الانفعال ومن قبل جدنا اللعين جادل رب العالمين فقال في حق جدهم أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وقال لأغوينهم أجمعين وقال ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين وهم يموتون وهو من المنظرين وعلى كل حال نحن أقوى منهم وأجرأ وأعرف بطريق الخبث والمكر وأدرى وبالجملة الحكم على الشئ فرع عن تصوره والشخص لا يحكم على شئ الا بعد تصوره وتقرره وهذا الانسان الى الآن لا سبرناه ولا خبرناه ولا عرفناه فكيف تقطعون له بالغلبة وتفضلون علينا سيره ومنقلبه وان لم تفصحوا بالعبارة فقد دللتم على ذلك بالاشارة وكنيتم عنه بالتلميح والكناية أبلغ من التصريح هذا ونحن كم قد أضللنا من حكيم وأذللنا من عليم وأفسدنا من عقائد وعقدنا من فسائد ونصبنا لهم من مصايد وأرصدنا لهم من مراصد وأبطلنا من طاعات وعطلنا من خيرات وأخللنا من صلوات وأحبطنا من زكوات ومنعنا من حجات وصدقات وضيعنا من ميراث ونفقات وأسقطنا من أعمال صالحات وكم لنا في الشر من سوق ومن سوق الى فسوق والقاء في حرام وتسربل بمظالم وآثام وكم لنا من أحكام أحكام على القضاة والحكام يستحلون بها السحت والحرام ويأكلون بها أموال الايتام ويستبيحون بها الدماء والفروج وكم دخلنا فيهم فأخرجنا منهم الاسلام أخفى خروج وكم لنا فيهم من مصائب لمصائب وحواصب مناصب وكتائب نوائب وعجائب نوائب وغرائب نوادب نسلبهم بوادينهم ونغصهم اعتقادهم الحق ويقينهم وكم لنا في سكونهم الى الطاعات من حركات وفي ركونهم الى الخيرات من سقطات وكم لهم الى الطاعات من هم فرددناه وسلبناه فضل منها في اجتنائهم الضرر وفي وجودي خيرهم العدم وفي صحة أبدانهم السقم وفي شبابهم يدبّ فيهم الهرم وفي سكوت أمانيهم الضربات والالم وفي دائرة ضلالهم الحرام والمحرم وكم وكم وكم وكم ونحن الآن على ما كنا عليه وهو الذي طبعنا عليه ونسبنا اليه دأبنا عن الحق اضلالهم وعن الصراط المستقيم ازلالهم والى الباطل دلالتهم وادلالهم تزين لملوكهم الاستبداد ولكبرائهم الاقتراء ولرؤسائهم الازدراء ولعلمائهم المراء ولزهادهم الرياء ولقضاتهم الربا ولامرائهم سفك الدما ولفساقهم اللواطة والزنا ولذوي صومهم الغيبة والنميمة ولعوامهم الخوض في كل جريمة وللشايخ قول الزور ولنسائهم الوقاحة والفجور وهذا دأبنا ودأبهم ولم نزل أوهاقا ورقابهم فان قلنا انه ليس هذا الواصل فان هذا تحصيل الحاصل وان قلنا انه أتى علينا جديدا فانا لم نترك في ذلك ما يبقى مزيدا وقد

وقاهات وشبهت الحيات الاربع بالاخلاط الاربعة التي في البدن فانها متى هاجت أو أحدها كانت كحمة الافاعي والسم المميت وشبه الجرذان الاسود والابيض بالليل والنهار اللذين هما دائبان في افناء الاجل وشبه التنين بالمصير الذي لا بد منه وشبه العسل بهذه الحلاوة القليلة التي ينال منها الانسان فيطعم ويسمع ويشم ويلمس ويتشاغل عن نفسه ويلهو عن شأنه ويصد عن سبيل قصده * فحينئذ صار أمري الى الرضا بحالي واصلاح ما استطعت اصلاحه من عملي لعلي أن أصادف باقي أيامي زمانا أصيب فيه دليلا على هداي وسلطانا على نفسي وقواما على أمري فأقمت على هذه الحال وانتسخت كتبا كثيرة وانصرفت من بلاد الهند وقد نسخت هذا الكتاب * انتهى باب برزويه المتطبب

(باب الاسد والثور وهو أول الكتاب)

(قال دبشليم الملك) لبيدبا الفيلسوف وهو رأس البراهمة اضرب لي مثلا المتحابين يقطع بينهما الكذوب المحتال حتى يحملهما على العداوة والبغضاء قال بيدبا اذا ابتلي المتحابان بأن يدخل بينهما الكذوب المحتال لم يلبثا أن يتقاطعا ويتدابرا (ومن أمثال ذلك) أنه كان بأرض دستاوند رجل شيخ وكان له ثلاثة بنين فلما بلغوا أشدهم أسرفوا في مال أبيهم ولم يكونوا احترفوا حرفة يكسبون لانفسهم بها خيرا فلامهم أبوهم ووعظهم على سوء فعلهم وكان من قوله لهم يا بني ان صاحب الدنيا يطلب ثلاثة أمور لن يدركها الا بأربعة أشياء أما الثلاثة التي يطلب فالسعة في الرزق والمنزلة في الناس والزاد للآخرة وأما الاربعة التي يحتاج اليها في

واتفاق ذلك كله الغاية وها نحن ملابسون منه مالبس وراءه نهاية ولم يبق الا المقابلة في المقاتلة والمباشرة بالمكاثرة والمفاتحة في المقاتحة والمكالمة في المناكحة فلما سمع الوزراء هذا الكلام عرفوا ان أسباب دولتهم آذنت بانصرام غير أنهم لم يقدروا على المخالفة فاوسعهم الا المطاوعة والمؤالفة لئلا ينسبهم الى غرض فيصيبهم منه عرض أو مرض فحسنوا له رأى المصادمة ومباحثة العالم والمقاومة واتفقت الآراء ان يرسلوا للعالم أولا وانتخبوا من يصلح أن يكون مرسلا فيحمله العفريت في الرسالة ما تتضمنه من الحماسة والبسالة حسبما يراه رأيه التعيس وفكره المدبر الخسيس وكان في شياطينه المردة وغيلانه العتاة العندة عفريت من الجن مارد حسن اسمه حسن بن محسن قد أضل عقائد وأزل قواعد وأشرب بغض بني آدم وغمس طائفة منهم في نار جهنم بما غطسهم من المعاصي فيهم لا يتمعوجون عن الهجوم ولا يخاف الرجوم من النجوم طالما أطال البوائق في المغارب والمشارق وأضرم نيران الافساد بين الخلائق وملأ ما بين الخافقين من مواقع الصواعق وفوق نبالة الوساوس وفساد الطرباء في المجالس وانقض للشر والفتن على كل قائم وجالس فكم له توفيق بين المحرامين وتفريق بين المتلائين وسفك دماء بين الاخوين والقاء البغضة بين المحبين والعداوة بين الالفين والعربدة بين السكارى والحروب بين المسلمين والنصارى وبالجملة فقد أوتي من الوسوسة والتلبيس صنوفا كثيرة فاق بها على ذرية ابليس فانتدبه العفريت الملم الى هذا الامر المهم وامهله الى ان انسلخ اهاب الضوء ثم طار في عنان الجو حتى وصلا الى سفح الجبل متعبد ذلك العالم البطل الذي ملأ الدنيا بالعلم والعمل ثم كمن العفريت في مغاره وأرسل رسوله بالسفاره يقول أبلغ عالم الانس صاحب الكرامات والانس ومقرب حظيرة القدس عن شيخ العفاريت الطغاة المصاليت أني من قديم الزمان وبعد العدنان أضللت كثيرا من الناس بالمكر والخداع والوسواس وفي أمثالي نزلت قل أعوذ برب الناس وابن عمي هو الوسواس الخناس وكان من جنس بني آدم كذا كذا ألف عالم خداعي وهو يقتدي ويتبع منهم رؤس الزهاد وعلماء العباد وعلى مخبتي مضوا وباتباع أوامري قضوا فأنا فتنة العالم وأعدى أعداء بني آدم الشيطان الرجيم وابليس الذميم اسم ذاتي ووصف صفاتي أنا مقتدى الشياطين ورأس العفاريت المتمردين ومحل غضب رب العالمين خلقت من مارج من نار وطبعت على القاء البوار والدمار رجوم النجوم انما اعدت لاجلي وعتاة الغواة لا تصل رؤسها الى مواطئ رجلي الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب آية محققة وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم طراز خلعتي السعداء ان خلقت طينا مقام مقالي لاحتنكن ذريته الا قليلا حال جدالي لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا منشور رقي القديم يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا مرسوم الكريم الشياطين تستمد من زواخر مكري والاعور اللعين يقتبس من قمطر فكري لم تمر قضية في الزمان الغابر الاولى الشركة فيها ولا حدثت محنة لنبي ولا ولي الا وأنا متعاطيها جدي ابليس نهض لجدي التلبيس والى محو آدم هوى فعصى ربه فغوى وأنا قضيت بالتسويل حتى قتل قابيل هابيل وحملت قوم نوح عن النصوح وأرشدت المجوس الى عبادة النار ووضعت الناقوس وأضللت عادا وثمود وشدادا ونمرود وبعثت على عبادة الاصنام في البيت الحرام وعلى كيفية القاء ابراهيم في نار الجحيم وهديت قوم لوط الى الخوض في اللواط وسعافر القلوط وسولت لأولاد يعقوب وحاولت في قضية أيوب وتصديت لام اسماعيل وعارضت ابنها وهو مع الخليل وانسيت يوشع قصة الحوت وساعدت على صاحب الحوت وجلست بالعصيان على تخت سليمان وحضرت وقعة طالوت وساعدت عليه جالوت وأنا كنت العون لهامان وفرعون وحسنت ضبطي قتل موسى القبطي وأنا فتنت داود وأغويت قارون اليهود وسلطتهم على الوالدة والمولود ودللت على نشر زكريا وذبح يحيى وجرأت على قتل الانبياء والاولياء وتوصلت بتزيين الوسواس لقاتلي الذين يأمرون بالقسط من الناس ودعوت على عبادة

العجل

ذلك هذه الثلاثة فاكتساب المال من أحسن وجه يكون ثم حسن القيام فيما اكتسب منه ثم استثماره ثم انفاقه فيما يصلح المعيشة ويرضي الاهل والاخوان فيعود عليه نفعه في الآخرة فمن ضيع شيئا من هذه الاحوال لم يدرك ما أراده من حاجته لانه ان لم يكتسب لم يكن له مال يعيش به وان هو كان ذا مال واكتساب ثم لم يكن يحسن القيام به أوشك المال ان يفنى ويبقى معدما وان هو وضعه ولم يستثمره لم تمنعه قلة الانفاق من سرعة الذهاب كالكحل الذي لا يؤخذ منه الا غبار الميل ثم هو مع ذلك سريع فناؤه وان انفقه في غير وجهه ووضعه في غير موضعه واخطأ به مواضع استحقاقه صار بمنزلة الفقير الذي لا مال له ثم لم يمنع ذلك ماله من التلف بالحوادث والعلل التي تجري عليه كمحبس الماء الذي لا تزال المياه تنصب فيه فان لم يكن له مخرج ومفاض ومتنفس يخرج الماء منه بقدر ما ينبغي خرب وسال ونز من نواح كثيرة وربما انبثق البثق العظيم فذهب الماء ضياعا * ثم ان بني الشيخ اتعظوا بقول أبيهم وأخذوا به وعلموا ان فيه الخير وعولوا عليه فانطلق أكبرهم نحو أرض يقال لها ميون فأتى في طريقه على مكان فيه وحل كثير وكان معه عجلة يجرها ثوران يقال لاحدهما شتربه والآخر بندبه فوحل شتربه في ذلك المكان فعالجه الرجل واصحابه حتى بلغ منهم الجهد فلم يقدروا على اخراجه فذهب التاجر وخلف عنده رجلا يشارفه لعل الوحل ينشف فيتبعه بالثور فلما بات الرجل بذلك المكان تبرم به واستوحش فترك الثور والتحق بالتاجر فأخبره

الجهل قوم موسى وساعدت في التفريق والاضلال بين أمة عيسى وكم أغويت من رهبان وما زخرفت من صلبان وقد بلغني من جميع مسترقي السمع وطن على أذني ووعاه خاطري ووقر في ذهني وأنا الشارف القحوم وأسارق النجوم وأسابق الرجوم ان لي أسماء تذكر في السماء منها الفائط الرقبه وشيخ نجد وازب العقبه والمقيم في الدست البيضه والغوي على نقض عهد بني قريظه والمحرض على أحد وبدر من الصناديد كل جليل القدر والمشهور في أحد بالندا والملقي العرب بالردة الى الردى وأنا المتسبب في قتل عمر وعثمان والهلاك على أمير الشجعان والغوي في وقعتي الجمل وصفين والملقي الفتن بين جنود المسلمين وان شري سري الى يزيد وفاض للحجاج والوليد وبي تكثر البدع بين الجماعات والجمع ويظهر من الفتن ما بطن ويغلب من التتار وأهل البوار والدمار أنواع الشرور والجدال الى حين يظهر الدجال وتستمر هذه الامور الى يوم البعث والنشور وبالجملة والتفصيل أنا شيخ التكفير والتضليل وتلك صنعتي من الابتداء وحرفتي الى الانتهاء ثم انك نبغت في هذا الزمان وظهرت في هذا المكان تريد أن تهدم ما بنيته وتموج بصلاحك ما بفسادي سويته وترد كلامي وتعاكسني في مرامي وأنا كنت في قديم الزمان من قبل ان توجد أنت في هذا المكان ناديت بين بنيه وشهرت في ذويه قولي

كلوا واشربوا وازنوا ولوطوا وقامروا * وهيا اسرقوا سرا وخونوا الذما جهرا
ولا تتركوا شيأ من الفسق مهملا * مصيركم عندي الى الجنة الحمرا

وكانوا قد سمعوا وأجابوا وأطاعوا وأنابوا وشملهم منتظم وأمري بتفريق كلمتهم ملتئم وأسهم مرامي الشوم نافذة في المشارق والمغارب وسيوف مناشير الشوم قاطعة في الاعاجم والاعارب كم لي في الاطراف والآفاق والاكناف من قاض ونائب ومانع من الخير وحاجب وأمير وصاحب ووزير وكاتب ومشير وحاسب وجليس ونديم وتابع وخديم وناظر وعامل وناقد وكامل وكم لي من جاني جنود بتفريق قلوبهم وجمع سويداتها الي بابي وكم لي في المدارس ذو وساوس وفي الجوامع والبيع والصوامع من مذكر وواعظ وامام وحافظ ومقرئ وعابد وشيخ وزاهد وكم لي في الزوايا من خبايا وفي أصحاب الروايات من درايات وفقيه في النادي فاق الحاضر والبادي بما لي في الشيطنة أولادي وفي السياسة حفدتي وأجنادي وأما سائر الفساق في الآفاق وسكان الاسواق وقطان الجبال والرساتيق ورجال الصحارى والاوراق فكلهم لي عشاق والى ديني مشتاق وسل عني أرباب الحانات وسكان الخانات وبالجملة غالب الطوائف وأرباب الوظائف على باب خدمتي واقف وعلى طاعتي مراسمي ليلا ونهارا عاكف مناي مناهم ورضاي رضاهم وان خالف بعض من بري نجواهم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وأنت الآن جئت برايك وسالوسك وطامتك وناموسك تبدد عني عساكري وتشرد من بني الانس عشائري وتشتت جموعي وتخلي من الفسق والفساق ربوعي من غير أن تشاورني ولا تخبرني ولا تحاورني ولا تحتشمني ولا تناظرني وها أنا قد جئت اليك وتراءيت كالقضاء المبرم عليك أريد أن أناظرك في أنواع من العلوم وأسألك عن حقائقها من طريق المنطوق والمفهوم بحضرة من الجن والانس وسائر نوع الحيوان والجنس فنظر اذ ذاك جدالك فينبذك قومك وأهلك ويتركك معتقدوك ويتراجع عنك مريدوك وأفسد بين العالم مبنيك وأتلفه فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه * فلما وصل رسول العفريت الكافر العفريت الى الشيخ العابد والعالم الزاهد المجاهد المجاهد فعندما وقع نظر الشيخ عليه ووصلت سهام لحظاته اليه كاد أن يذوب كالملح وان لا يقوم الفساد للصلح فبهت الذي كفر وأخذته الدهشة والخور وغلب عليه الانبهار وكاد يحترق من الانوار واستولى عليه الرجيف وسقط من الرعشه فما أبدى ولا أعاد ولا قام للصلاح ذلك الفساد فقال له الشيخ ما لك وما بالك وغير حالك وما هو سبب ذلك على وأنت غير

ان الثور قد مات وقال له ان الانسان اذا انقضت مدته وحانت منيته فهو وان اجتهد في التوقي من الامور التي يخاف فيها على نفسه الهلاك لم يغن ذلك عنه شيأ وربما عاد اجتهاده في توقيه وحذره وبالا عليه (كالذي) قيل ان رجلا سلك مفازة فيها خوف من السباع وكان الرجل خبيرا بوعث تلك الارض وخوفها فلما سار غير بعيد اعترض له ذئب من أحد الذئاب وأضراها فلما رأى الرجل أن الذئب قاصد نحوه خاف منه ونظر يمينا وشمالا ليجد موضعا يتحرز فيه من الذئب فلم ير الا قرية خلف واد فذهب مسرعا نحو القرية فلما أتى الوادي لم ير عليه قنطرة ورأى الذئب قد أدركه فألقى نفسه في الماء وهو لا يحسن السباحة وكاد أن يغرق الا أنه بصر به قوم من أهل القرية فتواقعوا لاخراجه فأخرجوه وقد أشرف على الهلاك فلما حصل الرجل عندهم وأمن على نفسه من غائلة الذئب رأى على شط الوادي بيتا مفردا فقال أدخل هذا البيت فأستريح فيه فلما دخله وجد جماعة من اللصوص قد قطعوا الطريق على رجل من التجار وهم يقتسمون ماله ويريدون قتله فلما رأى الرجل ذلك خاف على نفسه ومضى نحو القرية فأسند ظهره الى حائط من حيطانها ليستريح مما حل به من الهول والاعياء اذ سقط الحائط عليه فمات قال التاجر صدقت وقد بلغني هذا الحديث * وأما الثور فانه خلص من مكانه وانبعث فلم يزل في مرج خصب كثير الماء والكلأ فلما سمن وأمن جعل يخور ويرفع صوته بالخوار يطلب البقرات وكان قريبا منه أجمة فيها أسد عظيم وهو ملك تلك

منسوب الي فقال كف عني أنوارك واطوعني أسرارك حتى أقول فاني رسول فمالي طاقة برؤيتك ولا سواغ وما على الرسول الا البلاغ فقال رسول أي طمين وشيطان امين فقال أنا رسول محلك العفريت المشفوق المتوافر الواسع المناخر المسلوب المفاخر أبي السعالي الكافر العالي قد أقبل اليك في جمع كثير وعدد من الجن غزير ومعه رؤس العفاريت والعتاة المصاليت والطغاة المغاليت وقد حملني اليك رسالة تتضمن من الخبث شجاعة وبسالة ان شئت أديتها وان أبيت رددتها فقال قل ما تريد وأبلغ ما حملك عن ذلك العنيد وأوجز ما تقول والله المرسل والرسول فأبلغ الرسالة وأداها وأسال في أوديتها مؤداها فقال الزاهد وكان بالاحوال خبيرا واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا والله ما لكم شبه في هذا الكيد الا الحارق الوحل والحمام في شبكة الصيد قل لمرسلك أرى قدمك أراق دمك وهواك أهواك وأفعالك أفعى لك وسوالك أسوالك وخيالك أخبى لك فأولى لك أولى لك والمن الله أولى لك لا شك أن الله تعالى أراد دماركم وان يمحو آثاركم ويخلي دياركم فتستريح البلاد من فسادكم والعباد من عنادكم أما أنا فأذل الخلق وأحقر الداعين الى الحق ولكن بعون الله وقدرته والهامه وقوته لي من العلم والفضل ما احميه ويقتل من نحوفه ويحميه وسيظهر في الجمع على رؤس الاشهاد عويله ونحيبه وسيبين الله في سنن الخلق فروضه ويكشف صحيح الحق ومريضه واذا ادعى بدعاوى طويلة عريضة فان الله تعالى قتل نمروذ العاتي ببعوضة يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون أما سمع ذلك الملعون وعلم الشقي المغبون انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون فتى أراد يحضر ويسير نفسه وشيعته ويحضر ويصحب معه من يريد من كل جني عنيد وشيطان مريد فان الحق يحق فيبطل الباطل ويتميز في حلبة السباق العاطل من العاطل فرد هذا الجواب الرسول وكشف عن حقيقة المقول ثم ان العفريت المخذول سأل الرسول عن أوضاع الشيخ الزاهد وأحواله في المساجد والمشاهد وما شاهده من أموره وحكاياته وحركاته وسكناته وأخلاقه ومعاملاته وكيفية هيئته وصورته وما شاع عنه في قومه من سيرته فقال رأيت رجلا سعيد الحركات كامل البركات صورته جميلة وأوصافه نبيلة وهمته جليلة بفضل وفضله عريض طويل وكلامه الصادع في أمثالنا ثقيل قاطع فقذف الله في قلبه الفزع وأخذته نوافض الرعب والهلع فقال أما والله ان هذه الاوصاف اصيبة الاعراق والاعراف وستطرحنا وراء جبل قاف وانها أسبة الصلاح وعلامة الفوز والنجاح وانهم هم المنصورون وحزب الله الغالبون ولقد ندمت على مراسلته وكان الاولى سلوك طريق مجاملته ولكن الشروع ملزم ولابد أن أتم ما عليه أعزم فواعده الى وقت معلوم ثم انه حضر وأحضر معه من جنده كل جني ظلوم وعفريت غشوم ومريد مشوم ومخلوق من قبل من نار السموم واجتمع من بني آدم عند الشيخ تلامذته وأصحابه الصالحون وجماعته وكانوا الجم الغفير والجمع الغزير واشترطوا بعد ما خلطوا واختلطوا وحلوا وارتبطوا أنه ان أجاب الشيخ سؤالات العفريت وسرى في نارهم سريان النار في الكبريت لا يظهر بعد ذلك اليوم لبني آدم أحد من أولئك القوم بل يكونون عن الابصار مختفين وتحت الارض في الجزائر والخرائب كزنادقة بغداد مختفين وان عجز الشيخ عن جواب سؤاله يهلكه العفريت مع خيله ورجاله ثم شرع العفريت في الرسائل والقاء المسائل فقال العالم على كم قسم بالعرض والجسم وهل للعالم موجد وهل هو واحد أو متعدد فقال الزاهد الامام العالم على ثلاثة أقسام (الاول) مفردات العناصر كالتراب والماء والنار والهواء وتسمى الاستقصات وأصول الكائنات والمركبات من هذه الاجزاء المفردة لا تستقر على حالة واحدة ولا تخلو من حركة وانتقال ودأبها التغير من حال الى حال (الثاني) الاجرام العلوية كالسموات وكواكبها المضيئة وهي متحركة بالبروج ولحركتها دائرة

الناحية ومعه سباع كثيرة وذئاب وبنو آوى وثعالب وفهود ونمور وكان هذا الاسد منفردا برأيه غير آخذ برأي أحد من أصحابه فلما سمع خوار الثور ولم يكن رأى ثورا قط ولا سمع خواره لانه كان مقيما مكانه ولا يبرح ولا ينشط بل يؤتى برزقه كل يوم على يد جنده وكان

فيمن معه من السباع ابنا آوى يقال لاحدهما كليلة والآخر دمنة وكانا ذوي دهاء وعلم وأدب فقال دمنة لاخيه كليلة يا أخي ما شأن الاسد مقيما مكانه لا يبرح ولا ينشط قال له كليلة ما شأنك أنت والمسألة عن هذا نحن على باب ملكنا آخذين بما أحب وتاركين ما يكره ولسنا من أهل المرتبة التي يتناول أهلها كلام الملوك والنظر في أمورهم فامسك عن هذا واعلم انه من تكلف من القول والفعل ما ليس من شأنه أصابه ما أصاب القرد من النجار قال دمنة وكيف كان ذلك (قال كليلة) زعموا ان قردا رأى نجارا يشق خشبة بين وتدين وهو راكب عليها فأعجبه ذلك ثم ان النجار ذهب لبعض شأنه فقام القرد وتكلف ما ليس من شغله فركب الخشبة وجعل ظهره قبل الوتد ووجهه قبل الخشبة فتدلت خصيتاه في الشق ونزع الوتد فلزم الشق عليهما فخر مغشيا عليه ثم ان النجار وافاه فرآه موضعه فأقبل عليه يضربه فكان ما لقي من النجار من الضرب أشد مما أصابه من الخشبة (قال دمنة) قد سمعت ما ذكرت ولكن اعلم ان كل من يدنو من الملوك ليس ما لها يدنو منهم لبطنه وانما يدنو منهم ليسر الصديق ويكبت العدو وان في الناس من لا مروءة له وهم الذين يفرحون بالقليل ويرضون بالدون

ما لها من مركزها خروج فهي متحركة من بعض الجهات ساكنة كالفصوص في المرصعات وتوصف في حركتها بالصعود والهبوط والارتفاع والسقوط والرجوع والاقبال واستقامة الحال والاحتراق والانصراف والانحطاط الى الحضيض والاشراف ويحكم عليها بالافتراق والاقتران والتربيع والتثليث والتسديس في السيران والمقابلة في الرجعة وبطء السير والسرعة وينسب اليها ما يحدث في العالم السفلي من جزئي الوقائع والكلي ومن نحوسة وسعادة ونقص وزيادة وخير وشر ونفع وضر وتأثر وتأثير وقليل وكثير وانحراف واعتدال وحدوث وزوال وصحة وسقم وسكون وألم ووجود وعدم فبعض من لم يعرف الطريقة يسند هذه الاشياء على الحقيقة وذلك لقصور فهمه وقلة العقل كقول الجاهل أنبت الربيع البقل وبعض من لم يمكن له ادراك يزعم أن هذا اشراك ولا يسند هذه الحوادث اليها ولا يعول في ذلك أبدا عليها لا بالحقيقة ولا بالمجاز ولا يسلك في ذلك الى طريقة المجاز والمحققون من العلماء والراسخون في العلم من حكماء الفقهاء يسندون هذه الحوادث والتأثير الى قدرة اللطيف الخبير الصانع القدير الفاعل المختار الذي يخلق ما يشاء ويختار فاذا نسبوا هذه الافعال الى غير ذي الجلال فانما يجعلونها في ذلك الباب كالآلات والاسباب كتأثير الخبز في الاشباع والنار في الاحراق والايجاع وكفعل الماء في الارواء والدواء في الادواء وانما ذلك كله بتقدير صانعها وما أودعه فيها من خواص بذاتها وصفات ودائعها كخاصية الاسهال المودعة في السقمونيا وخواص التصبير وغيره الكامنة في الوميا والاسكار في الخمر والاحراق في الجمر وقد رأينا القوة النامية عقيب الامطار الهامية والشمس طالعة تهيج وتنمو وتموج وتزكو وهذا الصنيع البديع اذا حلت الشمس في برج الحمل وقت الربيع واذا انتقلت الى برج الاسد احترق ذلك الجسد وعند نقلها الى الميزان ينقلب هذا الزمان وكذا اذا تحولت الغزالة الى برج الجدي فكأنه بلغ الى شكل الجدي فتموت اذ ذاك قوة الزمان ويضعف لذلك غالب الحيوان وهذا كله مشاهد محسوس لا يمكن أن تنكره النفوس خواص وضعها خالق الكون يستفاد منها من الطعم والريح واللون وبعضها لا يدرك ما أودع فيه الا بارشاد خالقه ومنشيه هكذا جرت سنة العزيز الوهاب أن الاحكام والوقائع تناط بالاسباب وقد يتخلف منها الاثر عن المؤثر ليعلم من ذلك وجود القاهر المدبر وانها مقهورة تحت الامر ومقصورة قصر العقل مع الخمر ولولا ان ذلك من سر جسيم لما تخلفت النار عن احراق ابراهيم ولما ولدت مريم عيسى ولا أغرق البحر القبط وأنجى بني اسرائيل وموسى وكم من آكل وهو جيعان وشارب وهو عطشان ومتدثر يتدفأ بالنار وهو بردان والافلاك الاعظام محيطة بهذه الاجرام ونسبتها اليه كنقطة لعبر الدائم متأثرة بتأثيره دائرة بتدويره يتصرف فيها على حسب ما شاءه باريها وصرفه فيها منشيها فاطر السموات والارض جامع الخلائق ليوم العرض وكما هي محيطة بالدائرة الفوقانية كذلك هي محيطة بالكرة التحتانية (القسم الثالث) العقول والنفوس الملكية وهي أشرف من الاجرام العلوية ومقام هذه العقول في مقام عزيز الوصول يسمى أعلى عليين وجواهرها لا توصف بتحريك ولا تسكين ولا بهذه البساطة والتركيب وأمرها بديع وشأنها عجيب وأما العرض فما لا يقوم بذاته وهو في العالم كالالوان والطعوم واصواته والروائح والقدر وارادته وأما الجسم فما تركب من جوهرين فأكثر وما قام بنفسه يسمى الجوهر (واما) الموجد للعالم فهو واحد لا يفنى واحد لا يتجزأ ولو لم يكن للعالم صانع لكان العالم أضيع ضائع وهل رأيت مصنوعا بلا صانع ومقهورا فوقا بلا رافع وهل نفي الصانع الا مكابرة وما يجحده الا النفوس الكافرة فقال العفريت فما الدليل على وجود الصانع العقل والنقل أم أحدهما متبوع والآخر تابع فقال العالم الزاهد قد أطبقت العقلاء وأجمعت الحكماء أن العقل دليل على وجود الصانع وبه الدلالة والشرع له تابع وكما هو الدليل على وجود الذات كذلك هو الدليل المستقل على اثبات الصفات وهي صفات الكمال ونعوت الجلال فقال العفريت فما

كالكلب الذي يصيب عظما يابسا فيفرح به وأما أهل الفضل والمروأة فلا يقنعهم القليل ولا يرضون به دون أن تسمو به نفوسهم الى ما هم أهل له وهو أيضا لهم أهل كالاسد الذي يفترس الارنب فاذا رأى البعير تركها وطلب البعير الا ترى ان الكلب يبصبص بذنبه حتى ترمى له الكسرة وان الفيل المعترف بفضله وقوته اذا قدم اليه علفه لا يعتلفه حتى يمسح ويتملق فمن عاش ذا مال وكان ذا فضل وافضال على أهله واخوانه فهو وان قل عمره طويل العمر ومن كان في عيشه ضيق وقلة وامساك على نفسه وذويه فالمقبور احيا منه ومن عمل لبطنه وقنع وترك ما سوى ذلك عد من البهائم (قال كليله) قد فهمت ما قلت فراجع عقلك واعلم أن لكل انسان منزلة وقدرا فان كان في منزلته التي هو فيها متماسكا كان حقيقا أن يقنع وليس لنا من المنزلة ما يحط حالنا التي نحن عليها (قال دمنه) ان المنازل متنازعة مشتركة على قدر المروأة فالمرء ترفعه مروأته من المنزلة الوضيعة الى المنزلة الرفيعة ومن لا مروأة له يحط نفسه من المنزلة الرفيعة الى المنزلة الوضيعة وان الارتفاع الى المنزلة الشريفة شديد والانحطاط منها هين كالحجر الثقيل رفعه من الارض الى العاتق عسر ووضعه الى الارض هين فنحن أحق أن نروم ما فوقنا من المنازل وان نلتمس ذلك بمروأتنا ثم كيف نقنع بما ونحن نستطيع التحويل عنها (قال كليله) فما الذي اجتمع عليه رأيك (قال دمنه) أريد ان أتعرض للاسد عند هذه الفرصة فان الاسد ضعيف الرأي ولعلي على هذه الحال أدنو منه فأصيب عنده منزلة ومكانة (قال)

كليله ومايدريك ان الاسد قد التبس عليه أمره (قال) دمنه بالحس والرأى اعلم ذلك منه فان الرجل ذا الرأى يعرف حال صاحبه و باطن أمره بما يظهر له من دله وشكله (قال كليله) فكيف ترجو المنزلة عند الاسد ولست بصاحب السلطان ولا لك علم بخدمة السلاطين (قال دمنه) الرجل الشديد القوى لا يعجزه الحمل الثقيل وان لم تكن عادته الحمل والرجل الضعيف لا يستقل به وان كان ذلك من صناعته (قال كليله) فان السلطان لا يتوخى بكرامته فضلاء من بحضرته ولكنه يؤثر الادنى ومن قرب منه ويقال ان مثل السلطان فى ذلك مثل شجر الكرم الذى لا يعلق الا باكرم الشجر وكيف ترجو المنزلة عند الاسد ولست تدنو منه (قال دمنه) قد فهمت كلامك جميعه وماذكرت وانت صادق لكن اعلم ان الذى هو قريب من السلطان ولا ذلك موضعه ولا تلك منزلته ليس كمن دنا منه بعد البعد وله حق وحرمة وانا ملتمس بلوغ مكانهم بجهدى وقد قيل لا يواظب على باب السلطان الا من يطرح الانفة ويحمل الاذى ويكظم الغيظ ويرفق بالناس فاذا وصل الى ذلك فقد بلغ مراده (قال كليله) هبك وصلت الى الاسد فما توفيقك عنده الذى ترجو ان تنال به المنزلة عنده والحظوة لديه (قال دمنه) لو دنوت منه وعرفت أخلاقه فرفقت فى متابعته وقلة الخلاف له واذا اراد أمرا هو فى نفسه صواب زينته وصبرته عليه وعرفته بما فيه من النفع والخير وشجعته عليه وعلى الوصول اليه حتى يزداد به سرورا واذا اراد أمرا يخاف عليه ضره وشينه بصرته بما فيه من الضر والشين

الدليل على وحدانيته فقال الزاهد كل من العقل والشرع كاف فى دلالته قال العفريت فما المراد من عالم الكون والفساد فقال العالم معرفة أمور المبدا والمعاد قال العفريت فما أفضل العقل ام النقل فقال العالم كل منهما حجة الله قد اسندله من عباده من يراه وذلك ان الله لما أرشدنا الى الدين القويم وثبت اقدام توحيدنا على الصراط المستقيم نبهنا الى أن المقصود من الدخول فى دائرة الوجود معرفته وعبادته المعبود كما قال من يقول للشئ كن فيكون وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون ثم طلب مراضيه بما تبرز به أوامره وتقتضيه وذلك هو الرشاد باذا المكر والعناد الى المعارف الالهية وما به نظام المعاش ونجاة المعاد وليس لنا دليل فى العلم والتعريف سوى طريقتين مرشدتين الى التوقيف على أمور المبدا والمعاد وما بينهما فى دار التكليف احداهما ما جبلنا عليه وما اكتسبناه من العقل وثانيتهما ما بلغنا من الاخبار الصحيحة والنقل فالعقل لا يدخل فى اثبات المعارف الالهية ولا فى هذا الباب المقدم من الامور المعاشية والمعادية وهو حجة الله القاطعة البالغة واصل براهينه الساطعة الدامغة وبواسطته استعبد عباده الكمله والى من خصه به أرسل رسله ثم العقل جوز ارسال الرسل ولا يرد ما تقوى به لتوضيح السبل والنقل لا يأتى بما يناقض العقل وانما يرد بما يزكى قضاياه ويصقل مرائى أحكامه أحسن صقل ونظير ما حصل للعقل بالشرع من الاستئناس ما حصل للكتاب من معاضدة السنة والاجماع والقياس ولو ورد المنقول بما يناقض المعقول لاشبه فرعا يجد ماله من أصول اذا اقبلت مواكب الاوامر الالهية على لسان الرسول خضعت جماجم العقول منقادة بزمام الانقياد والقبول سامعة لما يرد منها مطيعة لما يصدر عنها فتارة يظهر للعقل ما للاوامر الشرعية من الحكم كنار على علم وتارة يعجز عن الاطلاع على ما تضمنته الاحكام النقلية من الحكم فاذا ورد الشرع بحكم وكان للعقل فى حكمته ادراك آثره وأكده واستمسك به فى تصرفاته أقوى استمساك وان لم يكن له فى ادراكه مدخل نادى بلسان العجز والتسليم سبحان من لا يسئل عما يفعل والحاصل أن سلطان العقول فى ممالك خليفة الشرع وولايته معزول ومن جملة ما ورد على لسان السمع على لسان عدول صاحب الشرع الصادق فى المقال مما ليس للعقل فيه مجال أحوال المعاد ومبدؤها ما يطرأ على العباد فى حد هذا الكون من الفساد فقال العفريت أخبرنى ياذا الانسان مخلوق مماذا وما الآدمية والنفس الانسانية وهل هى واحدة أو متعددة ومآلها الى أين بعد وقوع البين فقال العالم الانسان مخلوق باصغاء من هذه العناصر الاربعة التى مر ذكرها وتعين أمرها التراب والماء والنار والهواء فاذا تمازجت واعتدلت اذا تزاوجت حصل لها من التركيب أمزجة ثمانية لا على الترتيب والآدمية عبارة عن القوة المميزة بين الحسن والقبيح والفاسد والصحيح والحق والباطل والحالى والعاطل والخير والشر والنفع والضر والمميزة لهذه الاشياء الفارقة يقال لها النفس الناطقة وهى ثلاثة أنواع باخارج الطباع أحدها الروح الطبيعية القائمة بالكبد وهى من الاغذية تستمد الثانية الروح الحيوانية ومقامها القلب أى كلب وللابدان منها حركات واستمدادها من حركات الافلاك الثالثة الروح النفسانية ومقامها فى الدماغ ومنها الحركات الذهنية والقوة النامية القوية تطلب غذاءها من الروح الطبيعية والقوة المميزة تطلب ما يسعدها فى الدارين من الروح النفسانية ويبعدها فى المقامين عن الاسباب الشقية واستعدادها وقوتها من الاجرام العلوية وأعلى مقامات هذه النفس الحكمة والحكمة أوفى منحة وأوفر نعمة وقد قال تعالى يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب ومصير هذه الارواح الى عالم الغيب لاجل الثواب والعقاب وقيل حقيقة نفس الانسان أيها المارد الشيطان لطيفة روحانية ودقيقة ربانية لها تعلق ربانى بقلبه وقالبه الجسمانى وهى المدركة العالمة العارفة الفاهمة بها يتكلم الانسان وتبصر العينان وتسمع الاذنان

الاذنان وتبطش اليدان وتمشي الرجلان وهي المخاطبة والمعاتبة والمثابة والمعاقبة والمطلوبة والمطالبة ويطلق عليها لفظ القلب تارة ولفظ الروح أخرى ويقال لها النفس مرة ولفظ العقل أيضا وابن آدم هو المخصوص بهذه الكرامات وبهذه النفس دون سائر الحيوانات وان كان يطلق على الجميع ان لها نفسا بالاشتراك لكن هذه النفس الناطقة والنطق هو الادراك واختلف أيضا وتحيرت الالباب في صنع رب الارباب وتاهت الافكار والفطن في كيفية تعلقها بالبدن ولا يحصل لاحد على هذا وقوف الا بطريق الولاية والكشف وهذه النفس لما كثرت صفاتها وتضادت نعوتها تخالفت أوصافها وازداد في صفاتها اختلافها حتى قسموها فقالوا أنواعها ثلاث ناطقة وشهوانية وغضبية رضيه فالناطقة مسكنها الدماغ ولها فيه مساغ والكبد مسكن الشهوانيه والقلب مسكن الغضبية الرضيه فأية نفس غلبت أختيها جذبت أحوالها وصفاتها اليها وهذه بالنفس زوجيه كالعناصر الاربعة فانها اذا فسد مزاجها وعدل عن الاعتدال ازدواجها سرع علاجها واستحال الى المطلوب الطالب وعجز عن المعالجة الطالب ففسد البنيان وانهدمت الاركان وقيل هما روح ونفس بغير لبس وهما ضدان بل ندان لا يجتمعان ولا يرتفعان وطبع النفس بالشيم طبع الشيطان الرجيم كالنار في جوهرها وخاصة عنصرها تنسب اليها الصفات الذميمة والخلال غير المستقيمة كالجهل والغضب والحدة والعجب والاثم والسفه والطيش والشره والحدة والشهوة والقسوة والجفوة والحسد واللجاج والحقد والاحتجاج والحرص والبخل والتواني والكسل والحمق والخيانة والفجور وعدم الامانة والترفع والرياء والخاصمة والمراء وسائر الاخلاق الذميمة والاوصاف المشؤمة اللومه والملكات الخبيثة الرديه والحركات الشيطانيه فهي كالنار في احراقها وحدتها واستشاطتها وشدتها ودخانها ولهيبها واهلاكها وتقريبها واقدامها في اعدامها وأكل ما تجده وما تصل اليه تفسده وطلب العلو والغلبة والغلو وطبع الروح بالنفس ممزوج طبع الماء في النشو والنماء ينسب اليه كل خلق كريم وطبع سليم صافي الجوهر ما لامسه تطهر شيمته الحياء والعلم والصدق والحلم والتفويض والتوكل والتسليم والتحمل والاحتمال والاناة والصبر والاناه والتودد والاسداء والسكون والاعطاء والركون والبذل والرضا والفضل والحياء والعدل والتواضع والعفه وعدم الترفع والنظافة والسلامة والسهولة وسرعة الانقياد واللين والوداد والرقة والصفاء والكرم وعدم الجفاء الى سائر الاخلاق المحموده والاوصاف المطلوبة المودوده وأيهما قويت غلبت وجذبت الاخرى اليها وسلبت وسيرتها على طبعها واستخدمتها على رغمها فكم من شيطان يرى في صورة انسان ومن انسان غلبت عليه أخلاق الجان ومن جان في صور انسان ونظير هذا الروح والبدن يدرك ذو العقل والفطن فان الروح من عالم نوراني لطيف سماوي والبدن من عالم ظلماني كثيف أرضي فأيهما غلب على صاحبه جذبه الى مركزه في جانبه قال الله تعالى وعز كمالا وجل جلالا يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وقال بل علما ورفعناه مكانا عليا وقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض فالانبياء عليهم السلام صارت أجسادهم أرواحا والكفار مثلك صارت أنفسهم ظلمانية أشباحا وقيل بل أربعة الانفس أربعة امارة وهي أنفس مثلك الكفار الطغاة ولوامة وهي أنفس العصاة وملهمة وهي أنفس الغافلين ومطمئنة وهي أنفس الانبياء والمقربين والتحقيق ان النفس واحدة ماهي الانفس واحده لكن لما تجلت في ملابس الصفات وتكثرت لها الاخلاق والسمات نوعوها وبمقتضى التنويع فرعوها تنزيلا للتنويع بالصفات منزلة التنويع في الذات فقال كانت نفس شيطانيه فتابت فصارت رحمانيه وكانت نفس ذلك أبيه فصارت دنيه قال من براها ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها قال العفريت أخبرني أيها الناصح كيف تركيب هذه

وأوقفته على ما في تركه من النفع والزين بحسب ما أسداه اليه السبيل وأنا أرجو ان ازداد بذلك عند الاسد مكانة ويرى مني ما لا يراه من غيري فان الرجل الاديب الرفيق لو شاء أن يبطل حقا أو يحق باطلا لفعل كالمصور الماهر الذي يصور في الحيطان صورا كأنها خارجة وليست بخارجة وأخرى كأنها داخلة وليست بداخلة (قال كليله) اما ان قلت هذا أو قلت هذا فاني أتخوف عليك من السلطان فان صحبته خطارة وقد قالت العلماء ان أمورا ثلاثة لا يجترئ عليهن الا أهوج ولا يسلم منهن الا القليل وهي صحبة السلطان وائتمان النساء على الاسرار وشرب السم للتجربة وانما شبه العلماء السلطان بالجبل الصعب المرتقى الذي فيه الثمار الطيبة والجواهر النفيسة والادوية النافعة وهو مع ذلك معدن السباع والنمور والذئاب وكل ضار مخوف فالارتقاء اليه شديد والمقام فيه أشد (قال دمنه) صدقت فيما ذكرت غير انه من لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب ومن ترك الامر الذي لعله يبلغ فيه حاجته هيبة ومخافة لما لعله أن يتوقاه فليس ببالغ جسيما وقد قيل ان خصالا ثلاثا لن يستطيعها أحد الا بمعونة من علو همة وعظيم خطر منها عمل السلطان وتجارة البحر ومناجزة العدو وقد قالت العلماء في الرجل الفاضل الرشيد ان لا يرى الا في مكانين ولا يليق به غيرهما الا مع الملوك مكرما أو مع النساك متعبدا كالفيل انما جماله وبهاؤه في مكانين اما أن تراه وحشيا أو مركبا للملوك (قال كليله) خار الله لك فيما عزمت عليه ثم ان دمنه انطلق حتى دخل على الاسد فسلم عليه فقال الاسد لبعض من

العناصر فقال الزاهد بحسب الخفة واللطافة والثقل والكثافة ولما كان عنصر التراب أثقل كان أركد من غيره وانزل ومن فوقه عنصر الماء وفوق الماء عنصر الهواء ومن فوق هذه الثلاثة عناصر عنصر النار وهو بها محيط دائر وكذلك كل عنصر محيط بما تحته وقد حققت هذا وعلمته قال العفريت أخبرني عن أقرب الاشياء اليك قال العالم الاجل أقرب الاشياء الاجل قال أخبرني عن أبعد الاشياء عنك قال العالم الاكبر ما لم يقسم ولم يقدر قال أخبرني عن الشيء الممكن عوده قال الدولة ان زالت وتغيرت واستحالت يمكن ردها ولا يستحيل عودها قال أخبرني عن الشيء المستحيل عوده قال الشباب بغير شك ولا ارتياب قال أخبرني عما لا يمكن بالاكتساب ولا ينال الا بتوفيق الوهاب قال العقل الغريزي فانه وهبي غريزي قال أخبرني عما لا يمكن ضبطه ولا ينضبط ربطه قال الدهر اذا ولى والسعد اذا تخلى قال أخبرني يا ذا الجد عن الهزل الذي يراد به الجد قال ابراز حكم الامثال والآيات على لسان الحيوانات والجمادات قال أخبرني عما لا يمكن الاحاطة به ولا الوقوف على معرفة كنهه قال عظمة صانع الكائنات وخالق الموجودات تعالى ان يحاط به علما وتقدس أن تدرك عظمته معرفة ووهما ولهذا قال سيد المرسلين وحبيب رب العالمين لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقال سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وهذا مصداق قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره * فلما طالت المقاولة وانتهت الى هذا الكلام المجادلة أقبل الليل وحل بالعفريت وجنده الويل وتصدع المجلس وقام العفريت وهو مبلس وتواعدوا الى الصباح عند قول حي على الفلاح أن تجتمع الوجوه الصباح لردع أبواب الشياطين القباح فتفرقوا وقد أحاط بالعفريت الوهم ونفذ في أحشائه من سهام الذل أقطع سهم وبات لا يقر له قرار ولا يأخذه اصطبار وساوره الافتكار وثاوره الهم والدمار والغم والبوار

الى ان أضاء الصبح كالحق مقبلا * وولى ظلام الليل كالجهل مدبرا

فاجتمع من كان بالامس حاضرا ومن سمع بحضورهم ولم يكن ناظرا من جموع الانس والجن وطوائف الجن والبن وأخذ كل مقامه وابتدأ العفريت كلامه وقال ما منبع الصفات الحميدة والشمائل السعيدة المار ذكرها القار أمرها وهي يا هذا نتيجة ماذا فقال العالم المحقق العامل المدقق هي ثمرة العقل القويم الهادي الى الصراط المستقيم ويكفي العقل الشريف انه مناط التكليف له الله يخاطب وبه يثيب ويعاقب وبه يأخذ وبه يعطي وتابعه يصيب ولا يخطي وكلما كان العقل أتم كانت محاسن الاخلاق أعم وكلما كان رأي العقل أصوب كان في اقتناء مكارم الاخلاق أرغب قال العفريت فهل هو نوع متحد أو طريقه متعدد قال الشيخ العقل نوعان وحكمه واحد لا يختلف فيه اثنان أحدهما العقل الغريزي اللطيف وهو مناط التكليف يخلقه الرحمن ويندرج الى بلوغ الانسان فيكمل اما بالسن أو الاحتلام ويجري عليه اذ ذاك قلم الاحكام ويدخل في حيز المخاطبين من ذوي الاحلام ويترتب عليه الحساب والعقاب من الحلال والحرام والثاني يحصل بالاكتساب والتجربة في كل باب ولهذا يقال ان الشيوخ أكمل عقلا من الشباب وقيل من بعثت الحوادث سوابقه وأخلقت التجارب لباس جدته وأرضعه الدهر من وقائع الايام اخلاف درته وأراه الله تعالى لكثرة ممارسته تصاريف أقداره وأقضيته كان جديرا برزانة العقل ورجاحته فهو في قومه بمنزلة النبي في أمته قال بعض الحكماء كفى بالتجارب تأدبا وبتقلب الايام عظة وقالوا التجربة مرآة العقل وقال

ألم تر ان العقل زين لاهله * ولكن تمام العقل طول التجارب

(قال) العفريت ما فائدة العقل (قال العالم) فائدته الارشاد في بيداء الجهالة الى جادة الرشاد والاعانة في الشدائد والوقوع في مصايد المكايد وحصول الخلاص من شرك الاقتناص واجابة الاغاثة عند

الاستعانة

حاسا انه من هذا فقال فلان بن فلان قال قد كنت أعرف أباه ثم سال أين تسكون قال لم أزل مرابطا الباب الملك رجاء ان يحضر امر فاهين الملك فيه بنفسي ورأيي فان أبواب الملوك تكثر فيها الامور التي ربما يحتاج فيها الى الذي لا يؤبه به وليس أحد يصغر أمره الا وقد يكون عنده بعض الغناء والمنافع على قدره حتى العود الملقى في الارض ربما نفع فيأخذه الرجل فيكون عدته عند الحاجة اليه فلما سمع الاسد قول دمنة أعجبه وظن ان عنده نصيحة ورأيا فاقبل على من حضر فقال ان الرجل ذا العلم والمروأة يكون خامل الذكر خافض المنزلة فتأبى منزلته الا ان تشب وترتفع كالشعلة من النار يضربها صاحبها وتأبى الا ارتفاعا فلما عرف دمنة ان الاسد قد عجب منه قال ان رعية الملك تحضر باب الملك رجاء أن يعرف ما عندها من علم وافر وقد يقال ان الفضل في أمرين فضل المقاتل على المقاتل والعالم على العالم وان كثرة الاعوان اذا لم يكونوا مختبرين ربما تكون مضرة على العمل فان العمل ليس رجاؤه بكثرة الاعوان ولكن بصالحي الاعوان ومثل ذلك مثل الرجل الذي يحمل الحجر الثقيل فيقتل به نفسه ولا يجد له ثمنا والرجل الذي يحتاج الى الجذوع لا يجزئه القصب وان كثر فانت الآن أيها الملك حقيق ان لا تحقر مروأة وأنت تجدها عند رجل صغير المنزلة فان الصغير ربما عظم كالعصب يؤخذ من الميتة فاذا عمل منه القوس أكرم فتقبض عليه الملوك ويحتاج اليه في البأس واللهو وأحب دمنة أن يرى القوم ان ما ناله من كرامة الملك انما هو لرأيه

الاستعانة والاستغاثة وعدم المعونة اذا انكسرت من الجبل السفينة في بحر الامة والخلاص الى بر السلامة والاغناء من كنز السعادة والصبر عند استيلاء نوائب الفقر قال فمن العاقل في العالم ومن يطلق عليه هذا الاسم من بني آدم قال العالم العاقل من يحتمل اذا ضيم ومن هو في الغضب حليم فاذا أعطي شكر واذا منع صبر ويعفو اذا قدر ويستهين بأمور الدنيا ولا يغفل عن امور الاخرى (قال العفريت) ما الفائدة في حب الدنيا والرغبة الى ما فيها من الاشيا ولاي معنى غلب الحرص والهوى والرغبة فيها على أهلها وبنيها (قال العالم) لاجل قيام العالم وانتظامه على المنهج الاقوم وبقائه المطلوب الى الاجل المضروب الذي قدره موجده القديم الذي أنشأه أول مرة وهو بكل خلق عليم ولا بد من أن تتم كلمته وتنفذ مشيئته ولولا الحرص والامل لبطل العلم والعمل فانهما حجاب الغفلة يغشيان أعين البصائر ويغطيان طرق الاستدلال والضمائر فلذلك ذهلت العقول عن التأمل في العواقب واشتغلت بالتهائها عما يجب عليها ان تراقب ولولا طول الامل لما رجي العمل ولما انتظم أمر المعاش ولا اهتم لادخار قوت ورياش ولا افتكر صاحب اليوم في أحوال غد ولا ارتفعت المعاملات وما دان احد لاحد ولا زرع زارع ولا غرس غارس ولا بنى بان ولا انتصر بائس ولا نقرض اذا لانتظم العالم وبانقراضه تنقرض أمور بني آدم (قال العفريت) أخبرني عن أصل الانسان وهم جوهره وجوهر الملك والجان (قال) الشيخ أما جوهر الملك فمن العقل المحض براه رب السموات والارض ولذلك لا يصدر من الملائكة الا الشيم المباركة من الطاعات لمولاهم والانقياد لاوامر من أنشاهم وامتثال ما امر من أمر مروم وما منا الا له مقام معلوم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون واما جوهر الجان وأصلك يا أخس شيطان فمن الاخلاق الذميمة والصفات المشؤمة فلهذا لا يوجد منكم الا المكر والحيلة والشيطنة والوسوسة وأخس صفاتكم من صفة ولم يكن بينكم وبين الحق معرفة فانتم بالخسيس تفيض وأخس فيض مع الملائكة في طرفي نقيض وأما جوهر الانسان فما اشتملت عليه صفات الملك والجان فمن غلب عقله شهوته ألبس من مكارم الشيم خلعته واستعملت ظلمات نفسه في أنواع الطاعة وتحلت صفات ذاته من سنن الابرار بجماعة وخط رسم اسمه اقلام الكرام الكاتبين كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون فهو وان كان جسمانيه مع الانس له صفة نورانية لكن يسرح في عالم الملكوت بحضرة القدس فهو بصفاته المباركة أشرف من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله واستولت على قلبه حجب الغفلة فانغمس في بحر الشهوات واستحوذتم أنتم عليه بذميم الصفات وأشقاه القدر السابق ولم يمكنكم عن التصرف فيه عائق فهو بالنهار ساه وبالليل لاه استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون فهو أخس من أرذل الحيوانات وادنى من أدنى الجمادات فقد خاب ما جنا وتمنى انقلابا ويقول يوم القيامة يا ليتني كنت ترابا (قال الراوي) فلما انتهى الكلام الى هذا المقام أمسك العفريت عنانه وأخرس الله لسانه وظهر فضل الزاهد وعلمه ووفور حكمه وحكمه وفهمه وانه أصاب في الجواب ولزم العفريت ومن معه من الجن والعفاريت وطوائف المردة والشياطين والعفاريت المفردين وذوي الابلاس والوسواس الخناس ما شرطوه على أنفسهم من التفرق وعدم الظهور والتفرق في الخرائب والكفور فتفرقوا واختفوا وهم على وجوههم انتفوا وسكنوا الخرائب والطامات والفلوات والفلاة فلم يظهر واحد لذلك الانس وحصل منهم لذلك الانس الانس واستراحوا من مشاهدة ظلم التجهم واستمرت الى يوم القيامة من تلك القبائح مستترة جهة وهذا آخر الباب والله أعلم بالصواب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

(الباب الخامس في نوادر ملك السباع وندمه أمير الثعالب وزير السباع)

(قال) الشيخ أبو المحاسن المرتوي من بحار الحكمة بماء غير آسن فلما انتهى الكلام هذا الباب المنظم عن

ومروأته وعقله لانهم عرفوا قبل ذلك ان ذلك لمعرفته اباه فقال ان السلطان لا يقرب الرجال لقرب آبائهم ولا يبعدهم لبعدهم ولكن ينبغي ان ينظر الى كل رجل بما عنده لانه لاشئ أقرب الى الرجل من جسده ومن جسده ما يدوى حتى يؤذيه ولا يدفع ذلك عنه الا بالدواء الذي يأتيه من بعد فلما فرغ دمنة من مقالته هذه أعجب الملك به اعجابا شديدا وأحسن الرد عليه وزاد في كرامته ثم قال لجلسائه ينبغي للسلطان أن لا يلج في تضييع حق ذوي الحقوق والناس في ذلك رجلان رجل طبعه الشراسة فهو كالحية ان وطئها الواطئ فلم تلدغه لم يكن جديرا ان يغره ذلك منها فيعود الى وطئها ثانيا فتلدغه ورجل أصل طباعه السهولة فهو كالصندل البارد الذي اذا أفرط في حكه صار حارا مؤذيا ثم ان دمنة استأنس بالاسد وخلا به فقال له يوما أرى الملك قد أقام في مكان واحد لا يبرح منه فما سبب ذلك فبينما هما في هذا الحديث اذ خار شتربة خوارا شديدا فهيج الاسد وكره ان يخبر دمنة بما ناله وعلم دمنة ان ذلك الصوت قد دخل على الاسد ريبة وهيبة فسأله هل راب الملك سماع هذا الصوت قال لم يربني شئ سوى ذلك (قال دمنة) ليس الملك بحقيق ان يدع مكانه لاجل صوت فقد قالت العلماء انه ليس من كل الاصوات تجب الهيبة قال الاسد وما مثل ذلك (قال دمنة) زعموا ان ثعلبا اتى أجمة فيها طبل معلق على شجرة وكلما هبت الريح على قضبان تلك الشجرة حركتها فضربت الطبل فسمع له صوت عظيم باهر فتوجه الثعلب نحوه لاجل ما سمع من عظيم صوته فلما أتاه وجده ضخما فأيقن في نفسه

عالم الانس والشيطان الرجيم تنبه الملك لغزارة حكمه فافرغ عليه خلع احسانه وكرمه وغمسه في غدير فضله ونعمه ثم امران يقوى الطباع ويذكر نوادر الوحوش والسباع لتنبسط النفس وترتاض وتتحلى بعقود عقيد هذه الاحماض فقبل أرض العبودية بشفاه الادب وانتهض لاداء ما عليه من المراسيم وجب وقال كان في بعض الغياض أسد رابض عظيم الصورة كريم السريرة والسيرة وافر الحشمة عالي الهمة كثير الاسماء والالقاب عزيز الاصحاب كبير بين الامراء والحجاب والوزراء والنواب يدعى في جوانب مملكته واطراف ولايته بحيدرة وبيهس وضيغم والدوكس والغضنفر والضرغام والعنبس والطيثار والهندس الغضنفر والهرماس والغضبات وأبي العباس الى سائر الاسماء والالقاب والكنى وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى وهو مطاع في ممالكه وولاياته وأقاليمه مترشف ثغور الامتثال بشفاه امثلته ومراسيمه وكان له من خواص الندماء وكبراء الجلساء نديمان كندماني جذيمة بالازمان حضرته وبطانه حريمه أحدهما ثعلب يدعى ابا نوفل والآخر ضبع يسمى اخانهشل طيبهما ظريف وشكلهما لطيف ومحاضرتهما مرغوبة ومصاحبتهما مطلوبة وكان في خدمته دب هو وزيره ومعتمده ومشيره كافل أمور مملكته ومدبر مصالح رعيته والملك مفوض أمور الرعية اليه ومعتمد لما يعلم من كفايته عليه ومشغول ليلا ونهارا بمعاشرة نديميه فاستشعر خبال الوزير وأخذ في مجال التفكير الى النديمين لكونهما أصحبين قديمين وربما يصدر منهما عند الملك ما يحط منزلته ويفسدان الجسد الذي لم يخل منه حسد صولته واستحوذ عليه هذا الخيال واتسع في ميدانه المجال فكان خائفا على وظيفته ومنصبه مترقبا منهما ما يكون عزله بسببه فنشأ من ذلك في خاطره جساوة أورثته قساوة وجذبته الى عداوة ووقر في قلبه ذلك وتأكد وطال عليه من الدهر الامد فكان يترقب لهما الفرص ليوقعهما من الغصص في قفص ويسابقهما قبل انتباه ويتغدى بهما قبل أن يتعشيا به ويقول لابد من تنظيف الطريق قبل حصول التعويق وقد أحسن من قال واتقن في المقال

ومن لم يزح عن دربه الشوك قبل أن * يطأه فلا يعتب اذا الشوك جاءه

وأقل الاقسام أن يبعدهما عن حضرة الملك الهمام فاتفق أن في بعض الاسحار تجاذب الملك ونديماه اطراف الاسمار فاشرفهم السمر لطيب السهر في ضوء القمر وحلاوة ما جنوا منه من ثمر فأنشد أبو نوفل

متى ما أصادف من أحب بخلوة * أصرح بما أرجوه من متكتم
يقول فاصغي أو أبث فينثني * ليسمع قولي كالمشوق المتيم
أسامره لا ان أمل حديثه * وآمره كل الامور سوى نم

فانتبذت الملك عيناه فاستند الى متكاه فاخذ من طرفه وكاه فلم ير الملك أبو نوفل الا ضحك لما غشت زمارة الملك فتنبه من ضحكه وتعجب من جراءته وفتكه ثم استمر متناوما لينظر ما يصدر منهما فابتدره اخو نهشل وزجره فقال ويلك ماذا رأيت وأي عجب فهمت ووعيت حتى ترنيك في الضحك اما قرأت وفهمت وسمعت وعلمت أن الضحك بلا سبب من قلة الادب وان الخدم وسائر الحشم ومن نادم الملوك وجالسهم يحترم أمورهم ويعظم مجالسهم سواء غابوا او حضروا ناموا او سهروا قاموا او قعدوا استيقظوا او رقدوا وقد قيل رفع قلم الحساب والضبط والعتاب عن الصبي والمجنون والعاشق والمفتون وكذلك السكران والنائم لاسيما السهران وعذر النائم بامسكين أعظم من عذر الباقين فان النوم اخو الموت وقيل ما ليس في غيره من الفوت وقد قال صاحب الشرع الذي زكا منه الاصل والفرع حفظه الله بجنود الصلاة والسلام وحرسه يتذرعن النائم الحين وكاء السه وقال ذو الصدق والتصديق رفع قلم التكليف عن النائم حتى يفيق وانما اعتبر الشرع احوال النيام وساواهم باليقظى صونا لبعض الاحكام في نحو من خمس وعشرين مسئلة ضبطها من الفقهاء الكملة ولقد طالعت في كتاب الاخلاق ان الله الكريم الخلاق حيث جعل جنسا من الامم في طبائع

وصفات

بكثرة الشحم واللحم فعالجه حتى شقه فلما رآه اجوف لا شيء فيه قال لا أدري لعل أفشل الاشياء أجهرها صوتا وأعظمها جثة وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن هذا الصوت الذي راعنا لو وصلنا اليه لوجدناه أيسر مما في أنفسنا فان شاء الملك بعثني وأقام بمكانه حتى آتيه ببيان هذا الصوت فوافق الاسد قوله فاذن له بالذهاب نحو الصوت فانطلق دمنة الى المكان الذي فيه شتربه فلما فصل دمنة من عند الاسد فكر الاسد في أمره وندم على ارسال دمنة حيث أرسله وقال في نفسه ما أصبت في ائتماني دمنة وقد كان ببابي مطروحا فان الرجل اذا كان يحضر باب الملك وقد أطالت حقوقه من غير جرم كان منه او كان مبغيا عليه عند سلطانه او كان عنده معروفا بالشره والحرص او كان قد أصابه ضر وضيق فلم ينعشه او كان قد اجترم جرما فهو يخاف العقوبة منه او كان يرجو شيئا يضر الملك وله منه نفع او يخاف من شيء مما ينفعه ضرا او كان لعدو الملك مسالما ولمسالمه محاربا فليس السلطان بحقيق أن يعجل بالاسترسال الى هؤلاء والثقة بهم والائتمان لهم فان دمنة داهية أديب وقد كان ببابي مطروحا مجفوا ولعله قد احتمل على بذلك ضغنا ولعل ذلك يحمله على خيانتي واعانة عدوي ونقيصتي عنده ولعله صادف صاحب الصوت أقوى سلطانا مني فرغب فيه عني ومال معه علي ثم قام من مكانه فمشى غير بعيد فبصر بدمنة مقبلا نحوه فطابت نفسه بذلك ورجع الى مكانه ودخل دمنة على الاسد فقال له ماذا صنعت وماذا رأيت قال رأيت ثورا هو صاحب

الخوار والصوت الذي سمعته قال فما قوته قال لا شوكة له وقد دنوت منه وحاورته محاورة الاكفاء فلم يستطع لي شيأ قال الاسد لا يغرنك
ذلك منه ولا يصغرن عندك أمره فان الريح الشديد لا تعبأ بضعيف الحشيش لكنها تحطم طوال النخل وعظيم الشجر

(قال دمنة) لا تهابن أيها الملك منه شيأ ولا يكبرن عليك أمره فانا آتيك به ليكون لك عبدا سامعا مطيعا قال الاسد دونك وما بدا لك فانطلق دمنة الى الثور فقال له غير هائب ولا مكترث ان الاسد ارسلني اليك لآتيه بك وامرني ان انت عجلت اليه طائعا ان أؤمنك على ما سلف من ذنبك في التأخر عنه وتركك لقاءه وان انت تأخرت عنه واحجمت ان اعجل الرجعة اليه فاخبره قال له شتربة ومن هو هذا الاسد الذي ارسلك الي واين هو وما حاله (قال دمنة) هو ملك السباع وهو بمكان كذا وكذا ومعه جند كثير من جنسه فرعب شتربة من ذكر الاسد والسباع وقال ان انت جعلت لي الامان على نفسي اقبلت معك اليه فاعطاه دمنة من الامان ما وثق به ثم اقبل والثور معه حتى دخلا على الاسد فاحسن الاسد الى الثور وقربه وقال له متى قدمت هذه البلاد وما اقدمك اياها فقص شتربة عليه قصته فقال له الاسد اصحبني والزمني فاني مكرمك فقبل ذلك

الثور واثنى عليه ثم ان الاسد قرب شتربة واكرمه وانس به وائتمنه على اسراره وشاوره في امره ولم تزده الايام الا عجبا به ورغبة فيه وتقريبا
منه حتى صار اخص اصحابه عنده منزلة فلما رأى دمنة ان الثور قد اختص بالاسد دونه ودون اصحابه وانه قد صار صاحب رأيه وخلواته وار

وصفات متساوي القدم فلا يعتب احدا احدا ولا يزدريه ولا ينقم عليه عيبا هو فيه وعلى الخصوص اذا صدر من الملوك شيء يعاب فلا يحمل ذلك منهم الا على الافضل والصواب وكل ما كان في غير الملوك معيبا فانه اذا صدر من الملوك يعد منقبة ويجب على من يجالس الملوك وكان له في خدمتهم سلوك واختص بمعاشرتهم واستعد لمناظرتهم ان لا يبصر منهم الا المحاسن ولا يخبر عنهم الا بالاحاسن وقد قيل من جالس الملوك بغير ادب خاطر بنفسه فانه خاطر بروحه وعرض للبلاء نفسه وقال الله الاعظم في كتابه المحكم لنبيه صلى الله عليه وسلم فاستقم كما امرت ولهذا قال عليه السلام شيبتني هود واخواتها وما ساد العجم والعرب الا سلوك طريق الادب وقال عليه الصلاة والسلام ادبني ربي فاحسن تأديبي فقال المغفل ابو نوفل اذا طهر القلب من الخيانة وعافت اليد بالامانة وتنقى العرض من العيوب وكان اللسان غير كذوب وزكت النفس بالعلم وعريت عن الجهل بلباس العلم يصلح لها ان تحضر بكل احد وتفخر على اكبر من يكون ولو انه الاسد وانا اذا اطار بهذه الصفات طيري فلا علي اذا ضحكت على غيري فقال اخو نهشل لا تقل ذلك لا واستعذ بالله من الجهل والخبل واعلم يا ذا الكرامات ان الجاهل يعرف بثلاث علامات احداها العجب وهو ان يرى نفسه عارية عن العيوب الثانية يا رفيق الخير ان يرى نفسه اعلم من الغير الثالثة ان يرى انه انتهى في فنون العلم والادب وبلغ اعلى المراتب وهذا اكبر المعايب وقالت الحكماء اذا رأيت نفسك عارية عن العيوب وتصديت لتتبع عثرات الناس بالغيوب وفتشت عن عيوبهم الخبوب فانت حينئذ غارق في بحر العيوب وبالذي انت طالبه مطلوب وانظر يا ذا السكينة ماذا قال الامام مالك رضي الله تعالى عنه بحر المدينة ليكن حل مطلوبك حرصك على تفقد عيوبك وقم بذلك عن نفسك وذاتك مقام حسادك ورقبائك وعداتك وقال ذو هدى وما قال سدى

اكل فتى غريب من العيب عقله * على كتفه منه ومن اهل دهره

فعين عيوب الناس نصب عيونه * وعين عيوب النفس من خلف ظهره

فقال ابو نوفل صدقت ونصحت اذا نطقت جزاك الله عني خيرا ووقاك شرا وضيرا ولكن باخي وقعت هفوة على سبيل السهو وحصلت زلة على غفلة والغفلة من غير نظر كالسهم اذا رمى عن الوتر لا يمكن رده ولا وقوفه وصده كما قيل

القول كالدر المطلوب ليس له * رد وكيف يرد الحالب اللبنا

ولكن الذنب والاجترا اذا لم يشتهرا لا يتوجه عليهما العتاب ولا يستحق مرتكبهما العقاب اذا استغفر واناب وانا وان وقع مني الخطا آمن بحمد الله من شر الجزا ومن المؤاخذة بالجريمة وان كانت عاقبتها وخيمة لانها بينك وبيني وانت عز لروحي وعيني ورفيقي وصاحبي ومرآة حدقي وجناني فسري عندك مصون وامري عن الاشاعة محزون وقد قال الحكماء ذو والتجارب لا تودع السر الا عند صاحب صدوق صديق وصاحب شفيق وانت هو ذاك الموثوق فاطرحه من سويداء قلبك في اسفل الصندوق فان استقر عندك ساكنا صرت من وبال امره آمنا ولا يبعد ذلك من شفقتك وسابق صداقتك ووفائك بالمروة وقيامك بحقوق الاخوة واسأل احسانك ان تجعل اساس ذلك القديم مرعيه قال اخو نهشل اعجب لاني نوفل كيف يغفل اما سمعت يا عاقل قول القائل من علامات الجاهل ان يشرع في ما له بالخلق ثم يتلفاه بالغفلة والعنف وان يودع سره ويخفيا به وامره عند من يحتاج ان يتضرع اليه ويتسمح في اخفائه واكتتامه عليه ثم يحلفه ان لا يبديه ولا يذكره لاحد ولا ينهيه وقد قالت الحكماء لا تودع احدا سرا فان فعلت فاتك السر لان كتمانه قد هم وعناه وابداءه كيد هلاك وبلاء وقد قيل

وكل سر جاوز الاثنين شاع * وكل علم ليس في القرطاس ضاع

ولم يقصد بالاثنين الا الشفتين وقال الشاعر

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذي يستودع السر اضيق

نفسه فبينما هذا اغتنمه او بالغ منه فيفعله كل مبالغ فشكا ذلك الى اخيه كليله وقال له الا تعجب يا أخي من عجز رأيي وصنعي بنفسي ونظري فيما

(وقال أيضا) لا تودعن ولا الجماد سريرة * فمن الحجارة ما يسر وينطق
واذا الملك أضاع سرا خله * وهو الجماد فمن به يستوثق
(وقال أيضا) صن السر عن كل مستخبر * وحاذر فما الحزم الا الحذر
أسيرك سرك ان صنته * وأنت أسير له ان ظهر

وكل ما تحرك به اللسان انتشر في الكون والمكان وناهيك يا تامرقضية الحرامي مع الطامر قال أبو نوفل كيف ذلك يا أخا نهشل (قال) بلغني ان رجلا من الحرامية واللصوص الكرار به كانت نفسه ذات الحيانه تحرضه على الدخول من حواصل الملك الى الخزانه وانها رؤية الخزانة مشتاقه واعانقة فاسق الهرم عشاقه وكان جاهدا في أن يعطيها من مناها ما يرضيها ولكن كانت نجوم الحراس بالرصد ولرجوع ذلك الشيطان كل يعد وكتم ذلك السر عن الاخوان ومضى عليه برهة من الزمان وهو يكابد كتمانه ويخاف من السوء ختامه والقدر كائن والكائن حائن الى ان طفح عليه ما قصد وغلا جمر سره في قلبه وقذف بالزبد فطالب صاحبه بالتلفظ به اليه ويعتذر في كتمان سره عليه واختلاف تحريه فقرصه برغوث في حضرته فدبيه اليه وأفشى سره معتمدا عليه وقال في خاطره عند افشاء سرائره لاهذا لسان يقدر على البيان وعلى تقدير ان لو كان فهو مثل ولدي تربى من دم كبدي ولحم جسدي واطلع على عورتي فلا يقصد عثرتي ولا يكشف سري ولا يهتك ستري ثم أدناه فاه حتى واقاه وقال يا أبا طامر وكاتم السر في السرائر اني عزمت كالمنهمك على الدخول الى خزائن الملك لاستصفيها وآخذ ما فيها فاكتم هذا السر عني وامصص ما شئت من الدم مني ثم طرحه في سراويله واستمر في نيته على أباطيله ثم قصد في بعض الليالي ما كان يخلوبه على التوالي ويرصده في المكامن من الدخول الى الخزائن فلاحت له فرصة فانتهزها واستعمل دقائق صنعه وابرزها وانتقل من ذلك الى البيت واطئ تحت سرير الملك كالعفريت والملك نائم فوق السرير على فراش الحرير معانق الظبي الغرير وخرزة التاج عند رأسه تتقد كانها سراج متقد فقصد اللص أخذها واقتطاعها وانفاذها فامهل القوم الى ان استغرقوا في النوم وبينما هو متفكر في فواته اذ خرج البرغوث من ثيابه ودخل الى جسد السلطان وقص عليه بلسان القرص كل ما كان من شأن اللص فنهض الملك من مرقده فرأى نقطة على جسده فطلب النور لينظر الامور فرأى برغوثا طار ونزل تحت السرير فقصوا أثره في المسير فوجدوا الحرامي الكسير فربطوه كالاسير ووقع في الامر العسير بالامر اليسير فصار كما قيل
مشى برجله عمدا لحومصرعه * ليقضي الله أمرا كان مفعولا

(وانما أوردت هذا المثل) لتعلم يا أبا نوفل أن سر الفؤاد لا يؤمن عليه الجماد فضلا عن متحرك من حيوان ونعوذ بالله ان كان من جنس الانسان وقد قيل للحيطان آذان ومن امثال العجم الاوباش للديوان أكواش فلما انقضى هذا الكلام وكان الاسد قد استوفاه على التمام وقد أثار في احشائه لهيبا نهض من مرقده مغتاظا غضبا واستشاط وتحرك وأمر بأبي نوفل فقبضوا عليه ووضعوا الغل في رقبته والسلاسل في يديه ورجليه وأمر الى السجن برفعه بعد التنكيل به وصفعه فتشوش خاطر صديقه وجليسه ورفيقه ثم انفض المجلس النظيم ودخل الملك الى الحريم فتوجه أخو نهشل الى السجن المقفل ولام صاحبه أبا نوفل وزاد في التعنيف وقال أيها الاخ الظريف ألم تعلم أن الشخص اذا تكلم ينضبط كلامه عليه ويعود محصول ما يلفظ به اليه وقد قال الرب المجيد ما يلفظ من قول الالديه رقيب عتيد وان كثرة الكلام تضر بالنفس أكثر مما يضر بالبدن الطعام وكل هذا المصاب انما جاء من قبل الاعجاب وكثرة الكلام والغرور وعدم التأمل في عواقب الامور قال الشاعر
ما ان ندمت على سكوتي مرة * ولقد ندمت على الكلام مرارا

قال دمنه وكيف كان ذلك (قال كليله) زعموا ان ناسكا أصاب من بعض الملوك كسوة فاخرة فبصر به سارق فطمع في الثياب فأتى الناسك وقال له اني أريد أن أصحبك فأتعلم منك وآخذ عنك فأذن له الناسك في صحبته فصحبه متشبها به ورفق له في خدمته حتى اذا ظفر به أخذ تلك الثياب فذهب بها فلما فقد الناسك ثيابه علم أن صاحبه قد أخذها فتوجه في طلبه نحو مدينة من المدن فمر في طريقه بوعلين يتناطحان حتى قد سالت دماؤهما فجاء ثعلب يلغ في تلك الدماء فبينما هو في ولوغه في تلك الدماء اذ أقبل عليه الوعلان بنطاحهما فقتلاه ومضى الناسك حتى دخل تلك المدينة فلم يجد فيها مأوى الا بيت امرأة فنزل بها واستضاف عندها وكانت للمرأة جارية تؤاجرها وكانت الجارية قد علقت رجلا وهي له مريدة وقد اضر ذلك بمولاتها فاحتالت لقتل الرجل في تلك الليلة التي استضاف بها الناسك ثم ان الرجل وافى فاسقته من الخمرة حتى سكر ونام ونامت الجارية الى جانبه فلما استثقلا نوما عمدت الى سم كانت قد أعدته في قصبة لتنفخه في دبر الرجل فلما أرادت ذلك بدرت من دبر الرجل ريح فعكست السم الى حلق المرأة فوقعت ميتة وكل ذلك بعين الناسك وسمعه فلما رأى ذلك
قال

قال حكماء الهند وفضلاء السند مادام الكلام في الفؤاد ولم يبد منه على اللسان باد ولم يصب منه سائل سوف في صدفة الآذان أو وعاء الطرف فهو كالبنت البكر المشهورة الذكر كل أحد يخطبها ويميل اليها ويطلبها ويتمنى أن يراها ويترشف لماها فان ألقى الى المسامع ووطئه كل ناظر وسامع فهو كالعجوز الشوها اذا سلموها وقلوها وهي تلازم صباحا ومساء ويفر منها الرجال والنساء ويحيد كل أحد عنها فاذا تكلمت أسكتت واذا سلمت أعرض عنها وقال بعض الحكماء اللسان أسد وهو حارس الرأس والجسد ان حبسته حرسك وان أطلقته حبسك وان سلطته افترسك وقالوا الكلام أسيرك مالم تبده فان تكلمت به فأنت أسيره قال بعض الحكماء انا على مالم أقل أقدر مني على ما قلت وقال عيسى صلوات الله عليه العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت الا عن ذكر الله وواحد منها في ترك مجالسة السفهاء وقال نبي المرسلين وامام الثقلين صلوات الله وسلامه عليه الصمت حكمة وقال عليه الصلاة والسلام البلاء موكل بالمنطق وقال الحكماء السكوت يستر عيب الجهل ويعظم حرمة الملوك ولقد آذيت نفسك وتسببت فيما أوجب حبسك وأقلقت ودودك وأشمت حسودك ولقد كانت حسرتي من بلائك وعنادها في من شدة عنائك أعظم من كل محنة وقصتي في ذلك أعجب من كل قصة اذ أنت رفيقي وزميلي وفي حضرة الملك ومنادمته عديلي نشأنا على ذلك وسلكنا في الموافقة والمرافقة أقوم المسالك وكنت المرجو لحاجاتي وأيابي في مطافي ومشتكى حزني ومشتفى شجني ومخزن أسراري وأعظم أستاري وراوية أخباري في اخباري وراوية أسفاري في أسفاري ومن أين ألقى مثلك رفيقا أو أجد صديقا شفيقا وأنت صاحب السراء ومصاحب الضراء وأنشد ومن أين ألقى بعد سبعين حجة * رفيقا كأن أرضعته ثدي والدها

أديبا أريبا لم أمل مقامه * ولا ملني يوما وكنا مهذبا

ويعز علي ويعظم لدي ان أراك في هذه الحالة ثم أجرى سحائب دموعه الهطالة وقال

وما على المرء يكنى أن يرى حزنا * في مقعد ضاق عنه ادونه الحيل

ولقد تحيرت في هذا الامر المهول وما أدري قصاراه الى ماذا يؤول وليت ليل الغم المدلهم عماذا يسفر صبحها الصباح فأبكي لذلك أبو نوفل وبكى وتضرع الى الله وشكا وقال يا أعز الاصحاب وأحب الاحباب لقد أثر عندي ما قلت من الكلام أكثر مما أصابني من الآلام كيف يفتقر لاحد الباهلين ويطلق أحد المقيدين واني يعتذر بالقضاء والقدر لاحدى القصتين وهل شيء في عالم الكون والفساد جاء بخلاف ما قدره الله وأراد وكنا في هذا سويه والعبد مقهور مع أمنيه ولكن الجد اذا أقبل ولاحظ بسعده وتفضل فكل حركة تصدر من الغبي العاجز يعجز عن مقاومتها البطل البارز وكل قول يتفوه به الجاهل يدع دليل معانيه أدلة العقلاء في مجاهل ومناهل ودعا من ذوي الآراء المنضبطة المناهل تلقى من يتنقل الدائرة في مجاهلها ومناهلها فيصير كل وجه اليها مائل وكل انسان بها قائل وقوام كل سعد وقبول اليها قابل كما قيل

واذا السعادة لاحظتك عيونها * نم فالمخاوف كلهن أمان

واصطد بها العنقاء فهي حبائل * واقتد بها الجوزاء فهي عنان

ونعوذ بالله من ليل السعد اذا أدبر وصبح الخول اذا أسفر فان اللبيب اذ ذاك يخطئ ما كان يصيب ويفعل العاقل ما لا يرتضيه باقل فيكون جهد النفس زيادة في العكس

واذا أراد الجد سعاية ذي الذكي * فرأيه قبل الزوال مراما

وانقلاب الدهر وانعكاس الزمان شيمة معهوده وخصلة معدوده كما قيل

ومن ذا الذي ما غره صرف دهره * فأدركه يوما ولم يبكه سنه

وانا كنت غافلا وان لم أكن جاهلا وقد يكون الشخص عاقلة ذاهلا وذلك لما كان عودني الزمان

خرج يبتغي منزلا غيره فاستضاف عند رجل اسكاف فأتى به امرأته وقال لها انظري الى هذا الناسك وأكرمي مثواه وقومي بخدمته فقد دعاني بعض أصدقائي للشرب عنده ثم انطلق ذاهبا وكان للمرأة خليل والسفير بينهما امرأة حجام فأرسلت امرأة الاسكاف الى امرأة الحجام تأمرها بالمسير اليها وتعرف خليلها بالخلو وجودها وقالت ان زوجي قد ذهب ليشرب عند بعض أصدقائه وان يعود الا سكران فقولي له يسرع الكرة ثم ان خليل المرأة جاء فقعد على الباب ينتظر الاذن وجاء الاسكاف سكران فرأى الرجل وارتاب به ودخل مغضبا الى امرأته فأوجعها ضربا ثم أوثقها في اسطوانة في المنزل وذهب فنام لا يعقل وجاءت امرأة الحجام تعلمها ان الرجل قد أطال الجلوس فماذا تأمرين فقالت لها ان شئت فأحسنت الي وحللتني وربطتك مكاني حتى انطلق الى خليلي وأعجل العودة فأجابتها امرأة الحجام الى ذلك وحلتها وانطلقت الى خليلها وأوثقت هي نفسها مكانها فاستيقظ الاسكاف قبل ان تعود ونادى امرأته باسمها فلم تجبه امرأة الحجام وخافت من الفضيحة ان ينكر صوتها ثم دعاها ثانيا فلم تجبه فامتلأ غيظا وحنقا وقام اليها بالشفرة فجدع انفها وقال خذي هذا فتحفي به صديقك وهو لا يشك في انها امرأته ثم جاءت امرأة الاسكاف فرأت صنع زوجها بامرأة الحجام فساءها ذلك وأكبرته وحلت وثاقها فانطلقت الى منزلها مجدوعة الانف وكل ذلك بعين الناسك وسمعه ثم ان امرأة الاسكاف جعلت تبتهل وتدعو على زوجها الذي ظلمها وأثم رفعه صوتها ونادت

زوجها أيها الفاجر الظالم قم فانظر كيف صنعت بي وصنع الله بي كيف ردني ورد أنفي صحيحا كما كان فقام وأوقد المصباح ونظر فاذا أنف زوجته صحيح فاستغفر الله وتاب من ذنبه واستغفر الى ربه وأما امرأة الحجام فانها لما وصلت الى منزلها تفكرت في طلب العذر

والفته من سالف الدوران وارتخاء العنان ونيل الاماني والامان واسبال ذيل النعم والاحسان الدائم والكرم فشيت على ما كنت أعهده وفي نفسي أجده وأيضا كانت لذة عشرتك ونعيم صحبتك وحسن موافقتك وعز مرافقتك أنساني كل بليه وأمنت بذلك كل رزيه فالهاني عن التنكد ودهتني غفلة عن التوزع والتبدد مثل ما أصاب ذلك الهدهد قال أخو نهشل أسرد ذلك المثل (فقال) ذكروا ان الله يجري الخير على بعض عبيده الصلحاء منطق الطير فصاحب منها هدهدا وازداد ما بينهما توددا ففي بعض الايام مر بالهدهد ذلك الامام وهو في مكان عال ملتفت الى ناحية الشمال وهو مشغول بالتسبيح يسبح الله بلسانه الفصيح فناداه يا صاحب التاج والقباء والديباج لا تقعد في هذا المكان فانه طريق كل فتان ومطروق كل صائد شيطان ومقعد أرباب البنادق ومرصد أصحاب الجلاهق فقال الهدهد اني عرفت ذلك وانه مسلك المهالك قال فلاي شيء عزمت على القعود فيه مع علمك بما فيه من دواهيه قال أرى صبيا وأظنه غويا نصب لي فخا يروم لي فيه رزخا وقد وقفت على مكايده ومناصب مصايده وعرفت مكيدته أين هي والى ماذا انتهى وأنا أتفرج عليه وأتقدم للضحك اليه وأتعجب من تضييع أوقاته وتعطيل ساعاته فيما لا يعود عليه منه نفع ولا يفيده في قفاه سوى الصفع وأسخر من حركاته وأنبه من غير على خزعبلاته فتركه الرجل وذهب وقضى حاجاته وانقلب فرأى الهدهد في يد الصبي يلعب به لعب النالي بالشعبي ولسان حاله يلهج بمقاله

كعصفورة في يد طفل يهينها * تقاسي حياض الموت والطفل يلعب

فلا الطفل ذو عقل يرق لما بها * ولا الطير مطلوق الجناح فيهرب

فناداه وقال يا أبا عباد كيف وقعت في شرك الصياد وقلت لي انك وعيت ورأيت ما رأيت فقال أما سمعت ان الهدهد اذا نقر الارض يعرف مسافة ما بينه وبين الماء ولا يبصر شعرة الفخ وذلك لينفذ ما كتبه الله تعالى وقدره من قضائه وقدره وناهيك في قضية القضاء والقدر قضية آدم أبي البشر مع موسى الكليم عليهما الصلاة والتسليم لما جرت عليه أحكام القضاء والقدر فتمت مشيئة الله تعالى السابقة في علمه وجرى ما لم تدركه عقول الفحول في ميدان ارادته من سوابق حكمه وحكمه وأنشد الهدهد

يا سائلي عما جرى * والعين مبصرة القدر أوما سمعت بأن اذا * جاء القضاء عمي البصر

(وقال أيضا) ان كنت أخطأت فما أخطا القدر * ان القضاء ان أتى يعمي البصر

واسمع أيها العاقل قول القائل اذا أراد الله أمرا لامرئ * وكان ذا عقل وسمع وبصر

وحيلة يفعلها في دفع ما * يأتي به محتوم أسباب القدر * أصم اذنيه وأعمى قلبه

وسل منه عقله سل الشعر * فلا تقل فيما جرى كيف جرى * فكل شيء بقضاء وقدر

وأنا لما اغتررت بحدة بصري ذهلت عما يجول في فكري فتغطت حدة استبصاري فوقعت في فخ اغتراري أما سمعت بالهمام قول الامام اذا حلت المقادير ضلت التدابير ثم قال أبو نوفل وقد أثر فيه كلام أخي نهشل دع عنك لومي فان اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء

وانما أوردت هذه الحكاية لتخفف عني ما في تقريعك وتوبيخك من نكايه وتعلم ان الامور كلها جلها وقلها جارية على وفق ما قضاه الله تعالى وقدره وأثبته في سابق علمه في اللوح المحفوظ وسطره وان كانت الاحكام في هذا الباب تضاف الى العلل والاسباب ولا شك في هذا ولا ارتياب فقد مر ان الذهول شغلني عن الفضل بالفضول وان العذر غير مقبول فان الجدل لا يكون معه ولا مخلص الا بالاسواء الحسنه وقد طال الكلام والحق بيدك والسلام وأما الآن فل المقصود من الطافك المعهود وبذل المجهود وتذكر سابق العهود وقديم الصداقه وأكيد المحبة والعلاقة لعطف الخواطر المالكيه ورجوعها على ما كانت

عند زوجها وأهلها في جدع أنفها ورفع الالتباس فلما كان عند الاسحار استيقظ الحجام فقال لامرأته هاتي متاعي كله فاني أريد المضي الى بعض الاشراف فأتته بالموسى فقال لها هات الآلة جميعها فلم تأته الا بالموسى فغضب حين أطالت التكرار ورماها بها فألقت نفسها الى الارض وولولت وصاحت أنفي أنفي وجلبت حتى جاء أهلها وأقرباؤها فرأوها على تلك الحال فأخذوا الحجام فانطلقوا به الى القاضي فقال له القاضي ما حملك على جدع أنف امرأتك فلم تكن له حجة يحتج بها فأمر به القاضي أن يقتص منه فلما قدم للقصاص وافى الناسك فتقدم الى القاضي وقال له أيها الحاكم لا يشتبهن عليك هذا الامر فان اللص ليس هو الذي سرقني وان الثعلب ليس الوعلان قتلاه وان البغي ليس السم قتلها وان امرأة الحجام ليس زوجها جدع أنفها وانما نحن فعلنا ذلك بأنفسنا فسأله القاضي عن التفسير فأخبره بالقصة فأمر القاضي باطلاق الحجام

(قال دمنة) قد سمعت هذا المثل وهو شبيه بأمري ولعل ما ضرني أحد سوى نفسي ولكن ما الحيلة (قال كليلة) أخبرني عن رأيك وما تريد أن تعزم عليه في ذلك (قال دمنة) أما أنا فلست اليوم أرجو أن تزداد منزلتي عند الاسد فوق ما كنت عليه

عليه

عليه من الصدقات السنيه والعواطف الملوكيه وأقل الاقسام الخلاص من هذه البليه وعلائق قد اناطها بأوثق مناط الى شخص وحيد بين ملازمي الخدمة فريد لم يكن لي اخ سواه وانت مشتكاي وانا مشتكاك وهذا أوان الفتوه وزمان المروّه وعدم التخلي عن الاخوان والانبعاث بالهمة الثابتة الاركان والسعي في خلاص الصاحب القديم من هذا البلاء العظيم وأسألك بسالف الخدمه والمودة ذات القدمه ان لا تذكر ما سلف من التقصير الموجب للتلف فاني معترف أني الذنب مقترف وأنشد

جاوزت في اللوم حداً قد أضربه * من حيث قدرت أن اللوم ينفعه

واني اذا تفكرت وتصورت ما وقع اذا تذكرت وان كان قد مضى يضيق بي الفضا وأغرق في عرق الحيا وتسود في عيني الدنيا فكأنه في هذا القبيل عني قيل

كان فؤادي في مخالب طائر * اذا ما ذكرت الحب يشتد قبضنا

وهذا القدر من الاعلان يكفي واني أستقل اذا مر بخاطري شخص حتفي ثم قال زفيره وشهيقه وبدا من لهيب قلبه بريقه ومن وادي دمعه عقيقه حتى خيف عليه غريقه وحريقه ورق له عدوه وصديقه وبكى لبكائه رفيقه قال أخو نهشل اعلم أيها الاخ المفضل اني لم اقل ذلك الكلام للعدوان واللام فخلاص من ايحاش قلب وايلام ولكن لما تألم جناني أجرى الله ذلك على لساني ولم يكن لذلك الحديث باعث ولا قصد عابث أو عائث ولكن صفو المحبة ووفور الصدق أوجبا التلفظ بذلك النطق وكيف لا أدرك دقائق المعاني وأنا الهامن ثمار فضائلك جاني وأما بذل الاجتهاد من أهل الوداد فهل يخطر ببالك غير ذلك ويأبى الله والاخلاق الكريمه وما علمته من همة وشيمه وفواضل فضائل من مواهب حماك اقتبستها ومطارف معارف على منوال حمايتك نسجتها ان أتخلف عن التعلق بأهدابها وأغلق أبواب مقاصدها في وجوه طلابها وأنا ان لم أبذل مجهودي وأصرف موجودي في مساعدة خلي وصديقي وصاحبي ورفيقي بما تقتضيه المروأة والفتوه والصداقة القديمة والاخوه والاكفاء فائدة وجودي لوالدي ومولودي وطارفي وتالدي وصديقي وودودي وقد قيل أربعة أشياء فرض عين في شريعة المروأة على المحبين وكذلك الاخوان وسائر الاصحاب والخلان الاول المشاركة في النوائب وتعاطي دفعها من كل جانب الثاني اذا ضل أحدهم عن طريق السداد يردونه الى سبيل الرشاد ولا يتركونه على غير الصواب بل يستلطفونه بألطف خطاب الثالث اذا صدر من أحدهم نوع جفاء يلاقونه بالوفاء والصفاء ولا يتركونه على شفا ولا ينسون الوفاء القديم بالجفاء الحادث فربما يتفرع على ذلك ما يؤكده من الحوادث الرابع لا يؤاخذون المتصرف حال الغضب بل يرجئون عقوبته الى أن يطفأ اللهب فربما يتعدى بواسطة الغضب الحد فيقع بسبب ذلك بين الاصحاب نكد ثم ان ابا نوفل قال لاخي نهشل المبادرة اولى الى التلافي الا بسابق الجود الى تلافي وهذا المصاب اغتاظ عفته واخذ قلوبنا واجماعنا بيته فاستعمل فكرك القويم وتوجه الى التدارك بقلب سليم فقال ها انا أذهب على الفور لهذا المطلب النافع وأقوى العزيمة وأجتهد في دفع الموانع فأول ما ابتدئ بقصد الملك وانظر ما يصدر منه قولا وفعلا في هذا الامر المشتبك فابني على ذلك ما يناسبه وأجاريه فيه ولا أعاديه ولا أجاذبه ثم توجه الى الاسد ودخل عليه فوجد السبع السابق بين يديه وقد بانه قضية القديم وانه حل به العذاب الاليم فاغتنم الفرصه وبادرهم على أبي نوفل الغصه ويتعاطى في امره قصه وحصه فاراد أخو نهشل ان يفتتح الكلام ثم افتكر في انه ربما كسر الصمم في المرام وانه اذا قام في المناقشة لا يمكنه مقاتلته بالمعارضه وان سكت فالسكوت رضا وان وافق فعلى غير مراده مضى فامسك عن الكلام ورأى السكوت مقتضى المقام ثم امعن النظر واجال قداح الفكر فرأى انه ان انفصل المجلس من غير ان يفصح بشيء ويبين ربما يفوت المقصود او سابقه بالما كمتعد او حسود

ولكن التمس ان أعود الى ما كانت حالي عليه فان امور الائمة العاقل جديرة بالنظر فيها والاحتيال لها بجهده ومنها النظر فيما مضى من الضر والنفع أن يحترس من الضرر الذي أصابه فيما سلف الا يعود الى ذلك الضرر ويلتمس النفع الذي مضى ويحتال لمعاودته ومنها النظر فيما هو مقيم فيه من المنافع والمضار والاستيثاق مما ينفع والهرب مما يضر ومنها النظر في مستقبل ما يرجو من قبل النفع وما يخاف من قبل الضر فيستتم ما يرجو ويتوقى ما يخاف بجهده واني لما نظرت في الامر الذي به ارجو ان تعود منزلتي وما غلبت عليه مما كنت فيه لم أجد حيلة ولا وجها الا الاحتيال لآكل العشب حتى أفرق بينه وبين الملك فانه ان فارق الاسد عادت الي منزلتي ولعل ذلك يكون خيرا للاسد فان افراطه في تقريبه الثور خليق ان يشينه ويضره في امره (قال كليلة) ما أرى على الاسد في رأيه في الثور ومكانه منه ومنزلته عنده شينا ولا شرا (قال دمنه) انما يؤتى السلطان ويفسد امره من قبل ستة اشياء الحرمان والفتنة والهوى والفظاظة والزمان والخرق فأما الحرمان فانه يحرم صالح الاعوان والنصحاء والساسة من اهل الرأي والنجدة والامانة وترك التفقد لمن هو كذلك واما الفتنة فهو تحارب الناس ووقوع الحرب بينهم واما الهوى فالاغرام بالنساء والحديث واللهو والشراب والصيد وما أشبه ذلك واما الفظاظة فهي افراط الشدة حتى يجمح اللسان بالشتم واليد بالبطش في غير موضعهما واما الزمان فهو ما يصيب الناس من السنين والموت ونقص الثمرات والغزوات واشباه

ذلك وأما الخرق فاعمال الشدة في موضع اللين واللين في موضع الشدة وان الاسد قد أغرم بالثور اغراما شديدا هو الذي ذكرت لك انه
خليق ان يشينه ويضره في أمره (قال كليله) وكيف تطيق الثور وهو أشد منك وأكرم على الاسد منك وأكثر أعوانا (قال

دمنه) لا تنظر الى صغرى وضعفي فان الامور ليست بالضعف ولا القوة ولا الصغر ولا الكبر في الجثة فرب صغير ضعيف قد بلغ بحيلته ودهائه ورأيه ما يعجز عنه كثير من الاقوياء أو لم يبلغك ان غرابا ضعيفا احتال لاسود حتى قتله (قال كليله) وكيف كان ذلك (قال دمنه) زعموا ان غرابا كان له وكر في شجرة على جبل وكان قريبا منه جحر ثعبان أسود فكان الغراب اذا أفرخ عمد الاسود الى فراخه فأكلها فبلغ ذلك من الغراب وأحزنه فشكا ذلك الى صديق له من بنات آوى وقال له أريد مشاورتك في أمر قد عزمت عليه قال وما هو قال الغراب قد عزمت ان أذهب الى الاسود اذا نام فأنقر عينيه فأفقأهما لعلي أستريح منه قال ابن آوى بئس الحيلة التي احتلت فالتمس أمرا تصيب فيه بغيتك من الاسود من غير ان تغرر بنفسك وتخاطر بها واياك ان يكون مثلك مثل العلجوم الذي أراد قتل السرطان فقتل نفسه قال الغراب وكيف كان ذلك (قال ابن آوى) زعموا ان علجوما عشش في أجمة كثيرة السمك فعاش بها ما عاش ثم هرم فلم منا
يستطع صيدا فأصابه جوع وجهد شديد فجلس حزينا يلتمس الحيلة في أمره فمر به سرطان فرأى حالته وما هو عليه من الكآبة

لاسيما مثل الوزير الرفيع الخطير صاحب الرأي والتدبير وهو عدو قديم وفي طرق الخزي نظيره عديم فاذا بادر الملك بالكلام ربما يقع منه فلتة بمقام كما قيل

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا

فتلقاه الملك بقبول فيصول كما يختار في ميدان الفتك ويجول فتنعقد الامور وتنقصد وتنعقف الاخلاق الاسدية وتتمرد فرأى الاولى المبادرة بالكلام والوقوف في مقام الشفاعة أنسب بالمقام فان عارض أحد عرف أن جوهر كلامه عرض ولا تصدى الا لغرض وكان الملك قد سمع كلامه بعد معرفة سلامته والقائه على أبي نوفل عذله وملامه وكلامه بلا شك مقبول وما الاسد عنه عدول وكان الدب منتظرا خروجه من عند الملك حتى يختلي بالكلام معه وينمك فادرك أخونهشل هذا المرام فوقف في مقام الدعاء وبادر بالكلام ثم قال بعد وظائف الدعاء والقيام بما يجب من مراسم الثناء العلوم الشريفه والآراء المنيفه محيطة ان من عادة الملوك العظام وأخلاق السلاطين الكرام العفو عن الجرائم والاغضاء عن العظائم لاسيما اذا صدر ذلك من أحد المخلصين والعبيد المتخلصين على سبيل السهو والخطا لا على سبيل العمد والاجترا

من ذا الذي ما ساء قط * ومن له الحسنى فقط

وان العبد الاقل أبا نوفل الواقع في الخطر الخطير المعترف بالذنب والتقصير متوقع غفرها من صدقات الحضرة الملوكية ومراحمها وما اعتاده من حلمها الشامل ومكارمها ومحتم على الملوك القيام بقبول الشفاعه دون سائر الخدم والجماعه خصوصا وقد كان رفيقا نديما ومصاحبا قديما ولا يقصد الملوك بذلك الا سوق الحسنات المكتسبه الى دفاتر الصدقات الشريفه وقصد الخير وذهاب الاسى والضير وانتشار صيتها في الآفاق والاطراف بالعلم والحلم والعفو والصفح والفضل والعدل والالطاف فلان الاسد من هذا الخطاب وعرف أن قصد الشافع من هذا انما هو الثواب والصواب فاطرق مليا ولم يحر من الاجوبة شيا فتأثر الدب الخبيث والعدو اللئيم لهذا الحديث وخاف ان يكون السكوت رضا وان هو رضي يفوت منه المنى والاطراق علامة الحلم والسكوت في الحرب دليل السلم ومن فوت الفرصه وقع في غصه ومتى يقع أبو نوفل الختال في مثل هذا القتال وما أظرف مقال من قال

وان رأيت غراب البين في شرك * فاذبح وكل وذر الافراخ في عنق

(وقد قيل) اذا صارت الاعداء لاخوانهم * اذا لم تطأهم أصبحوا مثل ثعبان

وكم ذا يقاسي من أذاه وقرصه * على ضعفه ان صار داخل آذان

فانبرى وانبرم وتصدى للمماكسة ذلك البرم وغطى دسائس لؤمه بنقوش الكرم وقال اعلم أيها النديم القديم ومن هو للملك أوفى خديم أن الواجب على جميع الخدام أن يكونوا في الصدق متساوي الاقدام ولا يقدموا على نصح الملك غرضا ولا يطلبوا سوى رضاه على النصيحة عرضا ولا عوضا فلا يصادقوا الخائن ولا يصدقوا المائن ولا يواطئوا الخاطي ولا المذنب المتعاطي ولو بالكلام الواطي ولا يخفوا الخيانة والجنايه ولا يرعوا في ذلك أدنى الرعايه فساعد السارق سارق ومعاضد المارق مارق والقيام مع الجاني بجنايه واخفاء الخيانة نكايه وفي هذا الكلام كفايه ومن اعتذر من جنايه جان لاسيما ان كانت في حق ملك أو سلطان فهو شريك فيها بل أعظم جرما من متعاطيها لان عظم الجنايه باذا الدرايه انما هو بحسب المجني عليه وان ذلك لهو عائد اليه لا على مقدار الجاني وأنت لا تجهل هذه المعاني ولهذا قال بعض أهل الافضال ان تعاطي الفساد باذا الرشاد ليس فيه صغيره وان كل ما يخالف الامر كبيره وذلك بالنظر الى الجناب الاقدس القاهر تعالى وتقدس فقال أخونهشل كلام مولانا الوزير هو المفضل وما أشار به هو الصواب المعدل ولكن يا مولانا الوزير علمك الخطير خبير باننا كلنا محل الخطا والتقصير ولا يسع الكبير

مناو الصغير الا الحلم العزيز والعفو عن كثير وقل لي من هو البريء عن الهفوة والذي لا يتوقع من مولانا الملك عفوه وان لم تقع الشفاعة في الجاني وذي الطلاحة وخالف سنة الجماعة فالحسن لا يحتاج الى شفاعة ومن لم يجبر المكسور ويأخذ بيد العثور فما يجد عند انكساره جابرا ولا يؤخذ بيده حين يصير عاثرا وقد قيل من مثالك الفضل وصاحب الادب الجزيل

اذا أصبحت في نفاذ اقتدار * وأمرك في رقاب الخلق جاري * أقل واقبل عثارا واعتذارا
فمن يقبل يقل عند العثار * فما زال الصغار تروم عفوا * وغفران الكبائر من كبار

واحسن العفو باذا السلوك عفو السلاطين والملوك لا سيما اذا عظم الجرم وكبر الاثم فان العفو اذ ذاك صادر من ملك ذي سلطان قادر مع قوة الباعث على المؤاخذة والقدرة الشاملة النافذة وغير الملوك من العاجز والصعلوك عفوهم انما هو عجز نشأ او تشبه تغرض مشبه والملوك انما يؤثر عنهم الخلال الحميدة والخصال الشريفة السعيدة والاكابر يعفون والاصاغر يهفون وقد قسم الحكماء والحكام ما يقع من الذنب والآثام أربعة أقسام فاعمر باكبير هفوة وتقصير وخيانة ومكروه وسوء وافك وضبطوه وذكروا لكل جزاء قرروه فجزاء الهفوة العتاب وبه نطق الكتاب وجزاء التقصير الملامة على ما أورث من ندامة وجزاء الخيانة العقوبة فان في ارتكابها العاقل صعوبة والعلم بعقابها مثوبة وما يرتكب المكروه الا الغافل المعتوه وجزاؤه ايضا اجتنابه وهذا على مقتضى العقل وعدله والذي صدر في سابق القدر من الخاص الى نوفل انما هي هفوة بها زل وجزاؤه على هذا الحساب انما هو العتاب وقد استوجب وزيادة وفي هذا لمولانا الملك الارادة فان شاء عاقب على الذنب الصغير وان شاء عفا عن الجرم الكبير والهفوة لا يكاد يسلم منها الخواص فضلا عمن هو في شرك العبودية والاقتناص ولان يؤثر الفضل عن الملك وعلى طريق عفو يسلك الدرب السالك خير من أن يؤثر عنه انفسه الانتقام ويخلد ذلك على صفحات الايام ولا شك ان سيرة العفو والفضل أفضل من القصاص والعدل وذلك هو الالق بالشيمة والاوثق للحرمة والاجدر لناموس السلطنة والابقى على مر الدهور والازمنة وقد قال سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ينادي مناد يوم القيامة من كان له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله ولقد كان جماعة من عقلاء الملوك والاكابر يعفون عن تعاطي الذنوب والاجرام من الاصاغر لا سيما لمن يتعرض للذات الملك ونفسه ويستعين بها واتفق على فساده من أبناء جنسه فاذا قدروا على عدوهم عفوا وتلذذوا بالعفو والاحسان واستعفوا وجعلوا ذلك من ... ومن فعله أغاظ حزبه واقعة ابن سليمان الخلافة على مر الازمان وما تضمنته من مكارم الاخلاق التي تطايرت بها الآفاق فتوجه الاسد المعوان وقال أخبرنا كيف كان هذا المثال (قال) لما انتهت أيام بني أمية وتطارزت ... الايام باعلام الدولة العباسية وأشرق طالعة أبي العباس السفاح فدبر الدهر ابن صباح بأحسن فلاح انقضت نجوم أفلاك بني أمية وكواكب من بقي من تلك الزواهر ... وكان منهم ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك بن مروان وجعل السفاح يتطلبهم ويرغب من يدركهم ويأتيهم اليه فطلب ابن سليمان وكان من أمره ما كان فحكى انه كان بالحيرة مختفيا من ... قال ففي بعض الايام تراءت لي على سطح سواد أعلام فوقع في نفسي وغلب على حدسي انها قاصدة الي وافتقادي فتنكرت في الحال واستخفيت وخرجت من الحيرة والى الكوفة أتيت ... ولم يكن لي فيها من ... ولا صديق أركن اليه ولا صاحب أعول عليه فصرت في تلك البلاد مثل المنشد ببغداد

بغداد دار لاهل المال طيبة * وللمفاليس دار الضنك والضيق
ظللت حيران أمشي في أزقتها * كأنني مصحف في بيت زنديق

والحزن قد نام منه وقال مالي اراك أيها الطائر هكذا حزينا كئيبا قال العلجوم وكيف لا أحزن وقد كنت أعيش من صيد ما ههنا من السمك واني قد رأيت اليوم صيادين قد مروا بهذا المكان فقال أحدهما لصاحبه ان ههنا سمكا كثيرا أفلا نصيده أولا فقال الآخر اني قد رأيت في مكان كذا سمكا أكثر من هذا السمك فلنبدأ بذلك فاذا فرغنا منه جئنا الى ههنا فافنيناه وقد علمت انهما اذا فرغا مما هنالك انتهيا الى هذه الاجمة فاصطادا ما فيها فاذا كان ذلك فهو هلاكي ونفاد مدتي فانطلق السرطان من ساعته الى جماعة السمك فاخبرهن بذلك فاقبلن الى العلجوم فاستشرنه وقلن له انا أتيناك لتشير علينا فان ذا العقل لا يدع مشاورة عدوه قال العلجوم أما مكابرة الصيادين فلا طاقة لي بها ولا أعلم حيلة الا المسير الى غدير قريب من ههنا فيه سمك ومياه عظيمة وقصب فان استطعتن الانتقال اليه كان فيه صلاحكن وخصبكن فقلن له ما من علينا بذلك غيرك فجعل العلجوم يحمل في كل يوم سمكتين حتى ينتهي بهما الى بعض التلال فيأكلهما حتى اذا كان ذات يوم جاء لاخذ السمكتين فجاءه السرطان فقال له اني أيضا قد أشفقت من مكاني هذا واستوحشت منه فاذهب بي الى ذلك الغدير فاحتمله وطار به حتى اذا دنا من التل الذي كان يأكل السمك فيه نظر السرطان فرأى عظام السمك مجموعة هنالك فعلم ان العلجوم هو صاحبها وانه يريد به مثل ذلك فقال في نفسه اذا لقي الرجل عدوه في المواطن التي يعلم انه فيها هالك سواء قاتل أو لم يقاتل كان حقيقا ان يقاتل عن نفسه كرما

وحفاظاتهم أهوى بكلبته على عنق العلجوم فعصره فمات وتخلص السرطان الى جماعة السمك فأخبرهن بذلك * وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم ان بعض الحيلة مهلكة للمحتال ولكني أدلك على أمر ان أنت قدرت عليه كان فيه هلاك الاسود من غير ان تهلك بنفسك وتكون فيه سلامتك قال الغراب وماذاك قال ابن آوى تنطلق فتبصر في طيرانك لعلك ان تظفر بشيء من حلي النساء فتخطفه ولا تزال طائرا واقعا بحيث لا تفوتك العيون حتى تأتي جحر الاسود فترمي بالحلي عنده فاذا رأوا الناس ذلك أخذوا حليهم وأراحوك من الاسود فانطلق الغراب محلقا في السماء فوجد امرأة من بنات العظماء فوق سطح تغتسل وقد وضعت ثيابها وحليها ناحية فانقض واختطف من حليها عقدا وطار به فتبعه الناس ولم يزل طائرا واقعا بحيث يراه كل أحد حتى انتهى الى جحر الاسود فالقى العقد عليه والناس ينظرون اليه فلما أتوه أخذوا العقد وقتلوا الاسود (وانما) ضربت لك هذا المثل لتعلم ان الحيلة تجزي ما لا تجزي القوة (قال كليلة) ان الثور لو لم يجتمع مع شدته رأيه لكان كما تقول ولكن له مع شدته وقوته حسن الرأي والعقل فماذا تستطيع له (قال دمنة) ان الثور لكما ذكرت في قوته ورأيه ولكن مقر لي بالفضل وأنا خليق ان أصرعه كما صرعت الارنب الاسد (قال كليلة) وكيف كان ذلك (قال دمنة) زعموا ان أسدا كان في أرض كثيرة المياه والعشب وكان في تلك الارض من الوحوش في سعة المياه والمرعى شيء كثير الا انه لم يكن ينفعها ذلك

من

فأداني المسير الى باب كبير منظره جليل وداخله دهليز طويل ليس فيه أحد من الحجاب والرصد فدخلت اليه وبه مكان فجلست عليه واذا برجل جسيم جميل الشكل وسيم على فرس جواد مع طائفة من الاجناد فدخل الى دهليز الباب وفي خدمته غلمانه والاصحاب الى ان نزل عن دابته وانفرد عن جماعته فلما رآني في وجيف ووجل قال من الرجل فقلت خلالك الذم مختف على دم واستجرت بجوارك ونزلت في دارك فقال أجارك الله لا تخف من سواه ثم أدخلني حجرة لطيفة تشتمل على أشياء ظريفة قد جعلها مضيفة ينزلها كل من قصده جهله أو عرفه فمكثت عنده حولا أصول فى نعمه صولا ولا يسألني فعلا ولا قولا بل كان يركب من الاسحار وينزل اذا انتصف النهار وذلك كل يوم لا تأخذه عن ذلك سنة ولا نوم فسألته في بعض الايام ونحن في أهنى مقام وقد صرت عيبة سره ومرآة قلبه وصدره عن ركوبه ونزوله وموجب تنقله وحلوله فقال ان ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك بن مروان قتل أبي صبرا وأورثني بذلك نكدا وضرا وأوهج في فؤادي لهبا وجمرا وقد دارت على بني أمية الدوائر وبلغني انه بالكوفة مختف حائر فأنا كل يوم أركب اليه وأفتش عليه لعل الله يوقعني به لاشفي قلبي بقتله من كربه فآخذ بثاري واكشف عني عاري واطفئ لهبي وآخذ ثار أبي قال ابن سليمان فعجبت من قضاء الرحمن وكيف ساقتني أرجلي الى شبكة مقتلي وامشاني القضاء برجلي الى من هو دائر على قتلي فاستحييت منه ومن الله وكرهت عند ذلك الحياة فسألته عن اسم أبيه لاتحقق ما يبديه ويهيه فأخبرني فعرفته وتذكرت اني أنا قتلته فقلت يا هذا وجب على حقك وأنا غريمك ومسترقك وقد قرب الله خطاك وأنالك مناك فقال وماذاك فقلت أنا ابراهيم الذي على طلبه تهيم وأنا قاتل أبيك فافعل بي ما يرضيك وخذ ثارك وأطفئ نارك فقال كأنه طال بك الجفاء وأضر بك الاختفاء فأردت بالموت الخلاص واستندت لدعوى القصاص فقلت لا والله الذي علم السر وأخفى بل قلت الحق ونطقت بالصدق وخلاص الذمة في الاولى أخف من قصاص الاخرى وأولى أنا فعلت بأبيك الذي في يوم كذا ومكان كذا بسبب كذا قال فلما علم ذلك مني وتحقق أنه صدر عني احمرت عيناه وانتفخت شفتاه وقامت عروقه ولمعت بروقه وأزبدت شدوقه وأطرق الى الارض وكاد يأكل بعضه البعض وجعل يرجف ويرعد ويزأر كالاسد ويتململ كريشة تقلبها الريح في قاع البلد واستمر على ذلك زمانا يتأمل فيما يفعله بي اساءة واحسانا الى ان سكنت رعدته وبردت همته فامتشطوته وقهر جدي سورته ثم أقبل علي ورفع رأسه الي وقال أما أنت فستلقى أبي غدا فيقتص له منك جبار السما وأما أنا فلا أخفر ذمتي ولا أضيع جواري وحرمتي ولا يصل اليك مكروه مني ولكن قم واخرج عني فلست آمن نفسي عليك ولا أقدر بعد اليوم أنظر اليك ثم دفع الي ألف دينار وقال استعن بها على ما تختار فلم آخذها ولا نظرت اليها وخرجت من داره ولم أعرج عليها ولم أر أكرم من ذلك الرجل ولا أحلم ولا أعظم مكارم منه ولا أجسم (وانما أوردت) هذه الحكاية وفي الله مولانا الملك شر النكاية ليعلم ان الذنب الكبير يستدعي العفو الكثير ممن قدره عظيم وحلمه جسيم ونسبه كريم كما قيل في محكم الكتاب الحكيم ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم فقال الوزير ناموس السلطنة وحشمتها وهيبة الملك وحرمتها لها شروط كل منها مقرر مضبوط وبالمحافظة عليه منوط ولابد من اقامة أركانها وتشييد بنيانها ويجب الوفاء بها على الملوك والممالك ويفترض القيام بها على سلاطين الممالك والاخلال برعايتها وهن في الولاية فلا غنى عن العمل بها ورعايتها أحسن رعاية فمن ذلك أن لا يسامح جناته ولا يغفل عنهم وعن كيدهم ساعة فساعة ولا يركن اليهم في اقامة ولا سير حيث لا يصدر عنهم للملك ولا للمملكة خير فمنهم من يعزل الانسان عن منصبه من غير وقوف لعزله عن سببه ومنهم من يوالي أعداء الملك وهو ذو اجتراء منهمك ومنهم

تلوذها من الاسد فاجتمعت وأتت الى الاسد فقالت له انك لتصيب منا الدابة بعد الجهد والتعب وقد رأينا لك رأيا فيه صلاح لك وأمن لنا فان
أنت أمنتنا ولم تخفنا فلك علينا في كل يوم دابة نرسل بها اليك في وقت غدائك فرضي الاسد وصالح بذلك الوحوش عليه ووفين له

من يراعي مصلحة نفسه ويقدمها على مصلحة مخدومه في حالتي رخائه وبأسه ومنهم من يفشي سره ولا
يراعي خيره وشره ومنهم من يتعرض لسقطه وغلطه لتغير خاطره وسخطه ومنهم من ينتقص حرمته
وينتهك عظمته وحشمته ومنهم ذو الطبع اللئيم المفسد في الحريم ولا شك ان ابا نوفل المهمل المغفل قد
ارتكب بعض هذه الصفات وهو متلبس بأشنع الحركات وهذا يدل على لؤم اصله وشؤم فعله وسوء
طويته وفساد نيته ومن أكرم اللئيم فهو الملوم وهذا أمر معلوم وقد قيل

اذا انت اكرمت الكريم ملكته * وان انت اكرمت اللئيم تمردا

فقال أخو نهشل الفقير لا تقل ذلك أيها الوزير فان ابا نوفل عبد قديم ومخلص قديم وظريف نديم ومحب
صديق وودود شفيق أمين ثقة ذو وفاء ومقة محب ناصح وجليس صالح لم يعلم مولانا الملك عليه الا الخير
ولم يزل يسير في طريق العبودية أحسن سير ولم يطلع منه على شيء يعيبه ولا يشينه في الدارين ولا يريبه
بل هو ملازم لوظائف عبوديته مباشر لما يجب عليه من شرائط خدمته لم يصدر عنه ابدا غش لمخدومه ولا
خروج عن امتثال اوامر رسومه فان صدرت منه هفوة نادرة او سهوة بادرة او جفوة صادرة فحلم مولانا
الملك لا يقتضي بل ولا يرتضي اطراح هذه الاوصاف المتضاعفة لاجل هذه الزلة الواحدة كما قيل

فان يكن الفعل الذي ساء واحدا * فافعاله اللاتي سررن الوف

مع انه حصل له من كسر الخاطر واحراق القلب واغراق الجفن الماطر ما لا يجبره الا الالطاف السلطانية
والمراحم الشريفة الملوكية ونظرة من الحنو والعطف وذرة من الشفقة واللطف تكفيه من ألم الجفاء
تحييه وبعد شدة الممات تحييه والا فلا نعرف احدا يجبر كسر ذلك الوهن ابدا الا الالطاف السلطانية من
بعد العلو تعالى مقامها الى درجات السمو والعطف والحنو ثم تعطف على الادب وقد صغر لايقاعه الجلب
وقال اما انا مع قلة البضاعة واحتقار مقامي بين الجماعة فقد ألزمت نفسي لما وجب علي في مقام الشفاعة
فلا اقصر فيها ولا ارجع عنها ومن يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها واسأل صدقات مولانا في الالتماس
المساعدة في انجاز هذا الالتماس وان يكون هذا الشر يكافي في احراز هذا الجعل والوصول الى انواع الفضل
من هذا الفضل فانه يردع انافه ومن يشفع شفاعة سيئة وليس من وزير الممالك ان لا يقع منه شفاعة في
ذلك فان من سكن الكرم في ربعه لا يصدر منه الا ما يليق بكريم طبعه واللئيم يتكلف بل يجتهد عليه
ويتأسف اذا شرع في مكارم الاخلاق وتعاطى فيها ما لم يقسمه له مقسم الارزاق ترى وجوه عاشقه
مكارمها تستتر منه بنقاب النشوز وابكار خدودها في قصور رحمانها ان اراد لم يصل الى دونها عجوز فلا
يطاوعه لسانه في طيب المقام الى طيب المقال ولا يسمح جنانه الى مباشرة حسن الفعال فهو كما قيل

يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل

والناس على دين ملوكهم سالكون طريق سلوكهم وحيث كان مولانا الملك مجبولا على الشفقة الكاملة
والمراحم الشاملة فكلنا يجب على ذمتنا ويلزم دائرة همتنا ان نتخلق باخلاقه العلية ونتشبث باهداب
شمائله الرضية ونتعاون جميعا على التزين بلابسة ملابسه البهية ونقتدي به في الاهتداء في اجتياز الماس
بدراري افلاك صفاته الزكية فان السيد في اتباعه تبع لمولاه وان الله جميل يحب الجمال ولا يضيع
أجر من أحسن عملا قال فلما سمع الدب ذو السابقة ما فاه به من المقالة ثم امسكوا عن الكلام وانتظروا
ما يصدر من الضرغام فلم يبد خطابا ولا انتحى جوابا سوى ان قال صدقوا في المقال ولا تبدو ولا تعدوا
ولا تنقصوا في هذه القضية ولا تزيدوا حتى امعن فيها النظر واستشير فيها اشير الفكر فهو المشار اليه
الرأي وارشد الى اتباع الهدى فيما يتعلق بحاله تقدمت اليكم بامثاله فلما انصرفوا توجه اخو نهشل
الى الحبيس وذكر لاخيه ما جرى بينه وبين ذلك الخسيس ثم قال ابشر بالنجاح والفلاح والصلاح فقد رأيت

به ثم ان ارنبا اصابتها
القرعة وصارت غداء
الاسد فقالت للوحوش
ان انتن رفقتن بي فيما
لا يضركن رجوت ان
اريحكن من الاسد فقالت
الوحوش وما الذي
تكلفننا من الامور قالت
تامرن الذي ينطلق بي
الى الاسد ان يمهلني ريثما
ابطئ عليه بعض الابطاء
فقلن لها ذلك لك
فانطلقت الارنب متباطئة
حتى جاوزت الوقت الذي
كان يتغدى فيه الاسد ثم
تقدمت اليه وحدها
رويدا وقد جاع فغضب
وقام من مكانه نحوها
فقال لها من اين اقبلت
قالت انا رسول الوحوش
اليك بعثتني ومعي ارنب
لك فتبعني اسد في بعض
تلك الطريق فاخذها
مني وقال انا اولى بهذه
الارض وما فيها من
الوحوش فقلت ان هذا
غداء الملك ارسلت به
الوحوش اليه فلا
تغصبنه فسبك وشتمك
فاقبلت مسرعة لاخبرك
فقال الاسد انطلقي معي
فاريني موضع هذا
الاسد فانطلقت الارنب
الى جب فيه ماء غامر صاف
فاطلعت فيه وقالت هذا
المكان فاطلع الاسد
فرأى ظله وظل الارنب

في الماء فلم يشك في قولها ووثب اليه ليقاتله فغرق في الجب فانقلبت الارنب الى الوحوش فاعلمتهن صنيعها بالاسد (قال كليلة) ان قدرت
على اهلاك الثور بشيء ليس فيه مضرة للاسد فشأنك فان الثور قد اضر بي وبك وبغيرنا من الجند وان انت لم تقدر على ذلك الا بهلاك الاسد

فلاتقدم عليه فانه أغدر مني ومنك ثم ان دمنه ترك الدخول على الاسد أياما كثيرة ثم أتاه على خلوة منه فقال له الاسد ما حبسك عني منذ زمان لم أرك الا لخير كان انقطاعك قال دمنه خيرا فليكن أيها الملك قال الاسد وهل حدث امر (قال دمنه) حدث ما لم يكن الملك يريده ولا أحد من جنده قال وما ذاك قال كلام فظيع قال أخبرني به (قال دمنه) انه كلام يكرهه سامعه ويشجع عليه قائله وانك أيها الملك لذو فضيلة ورأيك يدلك على ان يوجعني ان اقول ما تكره وأثق بك ان تعرف نصحي وايثاري اياك على نفسي وانه ليعرض لي انك غير مصدق فيما أخبرك به ولكني اذا تذكرت وتفكرت ان نفوسنا معاشر الوحوش متعلقة بك لم أجد بدا من اداء الحق الذي يلزمني وان أنت لم تسألني وخفت ان لا تقبل مني فانه يقال من كتم السلطان نصيحته والاخوان رأيه فقد خان نفسه قال الاسد فما ذاك قال دمنه حدثني الامين الصدوق عندي ان شتربه خلا برؤس جندك وقال قد خبرت الاسد وبلوت رأيه ومكيدته وقوته فاستبان لي ان ذلك يؤول منه الى ضعف وعجز وسيكون لي وله شأن من الشؤن فلما بلغني ذلك علمت ان شتربه خوان غدار وانك أكرمته الكرامة كلها وجعلته نظير نفسك وهو يظن انه مثلك وانك متى زلت عن مكانك صار له ملكك ولا يدع جهدا الا بلغه فيك وقد كان يقال اذا عرف الملك من الرجل انه قد ساواه في المنزلة والحال فليصرعه فان لم يفعل به ذلك كان هو المصروع وشتربه اعلم بالامور وابلغ فيها والعاقل هو الذي يحتال

في جبين الفوز نور صباح ولا شك ان الله الغفور يجري على يدي ولساني من الامور ما يجلب السرور ويذهب الشرور فكن أوثق صبور وان حصل في الطريق عقبة تعويق فلا يكن في صدرك حرج فان وراءها باب الفرج فان الظفر مقرون بالصبر والصبر مشفوع باليسر وقد أجاد صاحب الانشاد

اصبر على ما جرى من سابق قدما * فركب الصبر بالامهال تلحقه

فشكر له جميل سعيه ثم عرض على مشير وعيه فقال كنت أرى ان هذه القضية تؤخر ويرجى السعي في امرها ولا يذكر وسبب ذلك ان الطالع قد أدبر والحظ عن المساعدة قد تأخر واذا تحرك الشخص والسعد ساكن وتبسم الدهر والزهر باك وطلب شكر مسالمته وهو شاك فهو كقاطع البحر بالمراكن والباني على ثبجه أماكن لا يصلح له عمل ولا ينجح له أمل فيشبه اذ ذاك الحمار المعصوب العينين في المدار يقطع بالمسير زمانه ولا يفارق مكانه كذلك من يتعاطى الاعمال والسعد غير عمال فلا يستفيد الا التعويق والتعبد ففي تلك الحال ينبغي الامهال لا الاهمال الى ان يتوجه السعد بالاقبال فعند ذلك امد الشمال وصد السمال فان السعد أتاك والدهر واتاك وناهيك قصة كسرى القديم مع وزيره بزرجمهر الحكيم فسأل أخاه نهشل بيان ما نقل من المثل أخوه أبو نوفل (فقال) بلغني أن كسرى أراد التنزه فثنى الى حديقة عنان التوجه وطلب الحكيم بزرجمهر وجلسا تحت دوحة زهر على بركة ماء أصفى من دموع العشاق وأنقى من قلوب الحكماء ثم طلب طائفة من البط لتلعب قدامه في البركة وتنغط وجعل ينادم وزيره ويتلقف منه حكمه المنيره ويتفرج على البط وهو يلعب ويتأمل في أنواع حكم الصانع القديم ويطرب وصار يعبث بالخاتم في أصبعه ويسرح في رياض الصنع سوائم منظره ومسمعه فسقط الخاتم من أصبعه وهو ساه وشاهد بزرجمهر هذا الامر فما أبداه ولا أبداه فالتقمته بطه وغطست في المغطه وكان فيه فص ثمين وكسرى به من المغرمين فلما سود قلم الاقتدار بياض النهار وأكمل مشقه على قرطاس الاقطار أذن كسرى للوزير بالانصراف وقد أسبغ عليه خلع الانعام والاسعاف ودخل كسرى الى الحرم وافتقد من أصبعه الخاتم فلم يتذكر ما جرى له ولا وقف على كيفية هذه الحاله فارسل يطلب الوزير البارع وسأل منه عن خاتمه الصائع وكان الوزير قد نظر في الطالع فرأى أن الكلام في أمر الخاتم غير نافع فلو تكلم بصورة الواقع ذبح جميع البط وما وجد لان الطالع مانع فكتم أمره وكل به كلام حقيقة الحد جامع مانع ثم انصرف وذهب واستمر كسرى على الطلب ولم يزل بزرجمهر يراقب الاوقات وينظر في أحوال الساعات الى ان استقام الطالع وزال من السعد المانع وتيمن الفال وحسن البال وحال الوبال فتوجه بزرجمهر الى خدمة مخدومه وأخبره بما كان مخفيا من أمر الخاتم في جيب مكتومه وانه سقط من أصبعه وهو على البركة في موضعه فبادرت بطه الى الغطه فاختطفته وابتلعته بعد ما التقمته فاحضروا البط جميعه وذبحوا من عرضه واحده تبديه فوجدوا الخاتم في حشاها ولم يحوج الى ذبح سواها ثم سأل كسرى الحكيم الاديب لم لم يخبره بهذا الامر الغريب في أول وقوعه وصدوره وما موجب تأخيره فقال كان اذ ذاك الجد في انتكاس والسعد في انتكاس والطالع في سقوط والنجم في هبوط وأما الآن فالطالع استقام والسعد كالخادم أقام ونجم السعود قد حال عنه الهبوط والوبال وفي استقامة السعد واقباله من بعد يفعل الشخص ما شاء فالدهر معه جار سواء جاري أو ماشي (وانما أوردت) هذا النظير لتعلم ان معاندة التقدير أمر خطير وخطب عسير فربما يفرغ الانسان جهده في المبالغه ويكون الامر فيه ممانعه ومراوغه فينعكس المرام ولم يحصل سوى اضاعة ايام ولم أذكر هذه المفاوضه الا على سبيل العرض لا المعارضه لما أعلم منك من وفور الفضيله وان مقاصدك على كل حال جميله فقال أخوه نهشل الامر كما زعمت وأشرت به ورسمت ولكن خشيت ان لم أبادر يسبقني عدو غادر أو حسود ماكر أو مبغض مكابر فينهي الى المسامع ما ليس بواقع فلم نشعر

أيها البطال الاوقد ولج قلب الملك أنواع من مكر ودخل فيه كما قيل

أتاني هواها قبل ان أعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا

لاسيما وقد تقرر في الامثال عند غالب الرجال أن الدعوى ان سبق لامن صدق وبالجملة يا ابا هو ولهذا كانت مقاصد الشخص جميلة فان الله تعالى يقضيها ولا يفضحها ويدبرها ولا يدمرها وان كان في الظاهر وعند البادي والحاضر يظهر في بعض القضايا نوع عدم وقم لكن ذلك اسر لم يطلع عليه الامدبر العالم واذا فوض الشخص الامور الى العزيز الغفور الذي هو مدبر الطالع والغارب وفي الحقيقة رب المشارق والمغارب وعلم أن مقاليد الامور بيد تدبيره وان ملوك الارض تحت تصريف تقديره وتسخيره استراح في كل المطالع وأخلص التوكل فحماه الله من كل الوقائع وأوصله الى ما رام من المطامع (وحسبك) قضية الناصح الاستاذ الامين الدمشقي مع الخائن جاسوس بغداد وهي طويلة الذيل في مجلدة كاملة وإتمام المبادرة بمناصحة السلطان في أمرك يا اعز الاخوان الا انك أنسب الى تهاون وتوان وما من شروط المروءة والصداقة والاخوة أن يتخلف الفطن في مثل هذا الموطن عن مساعدة الاصحاب ومعاونة الاحباب لاسيما صديق مثلك وحبيب متسم بفضلك واني لا ادع من أنواع الاجتهاد وما يحسن ببالي في الاصدار والايراد شيأ الا فعلته ولا أمرا الا قدمته ولا فكرا الا استعملته ولو بذلت في ذلك روحي ومالي وخيلي ورجالي واني مباكر باب الملك وملازمه كاحسن من سلك فان رأيته مكرما مقامي مصغيا الى كلامي خاطبته بما يليق وسلكت في الشفاعة وحلو العبارة أوضح طريق وان شاهدت في خلقه شكاسه وفي طبعه شراسه وصعوبة وشماسه سلكت سبيل حسن السياسه وفي الجملة استعمل علم الفراسه وفي كل حكم نظيره وقياسه واستعين بالاقرباء والاوداء وأغالظ المناقض والمعارض من الاعداء واقصد الصحيح وأراقبه وارتقب السعد وأخاطبه وأسلك مع كل أحد ما يناسبه فالعدو أقتله والحسود أخذله والعذول أقتله والحبيب أحتله والمبغض أبتله ومن تصلب في المدافعة أمثله الى أن ينقضي هذا الامر وينطفي منه الجمر ويقبل مبشر الاماني بالامل والزمر ثم انه بات متفكرا وبادر الى الصباح مبكرا وأم أبواب السلطان قبل سائر الخدم والاعوان فوجد الدب قد سبقه وجلس من عين الملك والحدقه وقد فوق سهم الكيد وصوبه الى شاكلة الصيد ولم يبق الا الاطلاقه ليشق من المرمى وثاقه فقبل الندي الارض وأعلن سلامه وقطع على أبي سعيد كلامه وعارض ملامه وناقض مرامه وقال أدام الله أيام السعاده وأعوام الحسنى وزياده المستفادة من بقاء مولانا السلطان وعمر دهره الخالد على تعاقب الزمان واوطأ أنعم الامم مواطئ قدمه وأطاب بطيب حياته عيش عبيده وخدمه كانت المواعيد الشريفه والآراء المنيفه سبقت بالتأمل في أمر عبدها القديم وخدمه القفير الندي وبالجبر سروره أبو نوفل الندي مع ما كان لائحا وعلى صفحات الرضاء واضحا من شمائل الاخلاق الملوكيه ومكارم الشيم السلطانيه ان مراحمها استأنفت بيد العاثر وتقيل عثرته بحسن المآثر بحيث يشرح الخاطر ويريح الناظر والمأمول شمال مراحمها ويرجو مكارمها ان لا تخيب ظنه وان تقبر بتحقيق ظنه وهنه وان تجري مياه كرمها وشيمها على ما عودها من الصدقات قديما وجديدها أنشد والى الرضا أرشد

أرجو أبا العباس ان يروي لنا * عن ثغره العذب الثنايا قبس

فاذا تبسم ضاحكا من قولها * متزلا غيري ولا تقرأ عبس

فتبسم أبو العباس ابتسامه ذل ودقت منها الرضاء علامه فاشتمل الدب من التغيظ وكاد يتمزق من الغيظ وعلم ان عقد أمره انفرط وشيم سعده من فلك السعد سقط وانه لم يكتسب من مكائد الشقاوه الا اهانة العداوه وانكشف عند مالكه ما وطأه من مغطى ووقر اكل احد يديث ذلك الموطأ وغلب عليه الوجد في الحال فخرج عن دائرة الاعتدال وسكر من خمرة العداوة فطفح وعربد وشطح فقال كل من تمرعلى اعدا الملك

الامر قبل تمامه ووقوعه فانك لا تأمن أن يكون ولا تستدركه فانه يقال الرجال ثلاثة حازم واحزم منه وعاجز فاحد الحازمين من اذا نزل به الامر لم يدهش له ولم يذهب قلبه شعاعا ولم تعي به حيلته ومكيدته التي يرجو بها المخرج منه واحزم من هذا المتقدم ذو العدة الذي يعرف الابتلاء قبل وقوعه فيعظمه اعظاما ويحتال له حتى كأنه قد لزمه فيحسم الداء قبل ان يبتلى به ويدفع الامر قبل وقوعه واما العاجز فهو في تردد وتمن وأمان حتى يهلك ومن امثال ذلك مثل السمكات الثلاث قال الاسد وكيف كان ذلك (قال دمنة) زعموا ان غديرا كان فيه ثلاث سمكات كيسة وأكيس منها وعاجزة وكان ذلك الغدير بنجوة من الارض لا يكاد يقربه أحد وبقربه نهر جار فاتفق انه اجتاز بذلك النهر صيادان فابصرا الغدير فتواعدا ان يرجعا اليه بشباكهما فيصيدا ما فيه من السمك فسمع السمكات قولهما فاما أكيسهن لما سمعت قولهما ارتابت بهما وتخوفت منهما فلم تعرج على شيء حتى خرجت من المكان الذي يدخل فيه الماء من النهر الى الغدير واما الكيسة الاخرى فانها مكثت مكانها حتى جاء الصيادان فلما رأتهما وعرفت ما يريدان ذهبت لتخرج من حيث يدخل الماء فاذا بهما قد سدا ذلك المكان فحينئذ قالت فرطت وهذه عاقبة التفريط فكيف الحيلة على هذه الحال وقلما تنجح حيلة العجلة والارهاق غير ان العاقل لا يقنط من منافع الرأي ولا ييأس على حال ولا يدع الرأي والجهد ثم انها تماوتت فطفت على وجه الماء منقلبة على ظهرها تارة وتارة على بطنها فاخذها الصيادان

فوضعاها على الارض بين النهر والغدير فوثبت الى النهر فنجت واما العاجزة فلم تزل في اقبال وادبار حتى صيدت قال الاسد قد فهمت ذلك
ولا أظن الثور يبغي ولا يرسو لي الغوائل وكيف يفعل ذلك ولم ير مني سوأ قط ولم أدع خيرا الا فعلته معه ولا أمنية الا بلغته

اياها (قال دمنة) ان اللئيم لا يزال نافعا ناصحا حتى يرفع الى المنزلة التي ليس لها بأهل فاذا بلغها التمس ما فوقها ولا سيما أهل الخيانة والفجور فان اللئيم الفاجر لا يخدم السلطان ولا ينصح له الا من فرق فاذا استغنى وذهبت الهيبة عاد الى جوهره كذنب الكلب الذي يربط ليستقيم فلا يزال مستويا ما دام مربوطا فاذا حل انحنى وتعوج كما كان واعلم أيها الملك انه من لم يقبل من نصحائه ما يثقل عليه مما ينصحون له لم يحمد رأيه كالمريض الذي يدع ما يبعث له الطبيب ويعمد الى ما يشتهيه وحق على موازر السلطان ان يبالغ في التحضيض له على ما يزيد سلطانه قوة ويزينه والكف عما يضره ويشينه وخير الاخوان والاعوان أقلهم مداهنة في النصيحة وخير الاعمال أحلاها عاقبة وخير النساء الموافقة لبعلها وخير الثناء ما كان على أفواه الاخيار وأشرف السلطان ما لم يخالطه بطر وخير الاخلاق أعونها على الورع وقد قيل لو ان امرأ توسد النار وافترش الحيات كان أحق أن لا يهنئه النوم والرجل اذا أحس من صاحبه بعداوة يريده بها لا يطمئن اليه وأعجز الملوك آخذهم بالهنات
بالهوينا وأقلهم نظرا في مستقبل الامور وأشبههم بالفيل المغتلم الذي لا يلتفت الى شيء فان احزنه أمر تهاون به وان أضاع الامور حمل ذلك

فهو في الخيانة والجناية مشترك وكل من شفع في الجاني فهو في قدر العصيان عاني بل هو أشد من المباشر اذ هو مباشر للتعاطي ومكاثر والابقاء على المعصية شر منها والرضا بالكفر كافر فتنبه لفرعها وما أظنك أيها النديم العارف القديم لمعرفة هذا القدر عديم فان أبيت الا الاصرار ومساعدة الفجار ومعاونة الاشرار فأنت حينئذ مستخف لهيبة ولي نعمتك مستنقص حرمة مالك رقبتك طالب لاذلاله مستهين بمقام جلاله راض بتسلط الانذال والاوغاد الارذال على انتهاك حرمته وابتكاك أستار حشمته ونحن لا نرضى بذا له الندامة ولا كيد للمخالف ولا كرامه فعند ذلك استشاط الغضنفر وتأثر لكلام الوزير وتغير وزأر وهمهم وزفر زفرة وزمجر وكاد أن يثب على أبي جهر ثم انه تماسك وتناسى الغدر وتناسك وقال يا أبا سلمه كبرت كلمه خيانة الاصحاب والنميمة بين الاحباب وساءت حركة وبئست ملكه تناسي الحقوق وتجاسر العقوق واطراح جانب الصديق الصدوق والرفيق الشفوق واضاعة خدمة الخديم لاسيما النديم القديم ولم تزل الاصاغر تستمطر مراحم الرؤساء والاكابر ولم تبرح الملوك تعطف على مساكين الصعلوك أنسيت ما قلت لك في حقيقة من ملك وهو

ليس الملك الذي تشقى رعيته * وانما الملك مولى يحفظ الخدما

وأيضا لم تزل الاصحاب تساعد أصحابها وتستعطف عليها ملوكها وأربابها وترفع بحسن السفارة من ستائر الدهشة حجابها ويشترون بذلك الاجر العظيم والثواب الجسيم والثناء العاجل والجزاء الآجل في صحائف مخاديمهم ويعدون ذلك أربح مساعيهم ويبذلون في ذلك الجهد ويبلغون فيه غاية الكد وذلك مما يجب عليهم ويتقدم بالمحافظة عليه اليهم كما قيل

يستعطفون الاكابر * يستعبدون الاصاغر يحيون رسم الاوائل * يعلمون الاواخر

وأي فائدة واستفادة أيها الوزير أبا قتادة في رعية ملك لا تتفق قلوبهم ولا تستر بينهم عيوبهم ولا تطهر بالصفاء جيوبهم ولا تتجافى عن مضاجع الجفاء جنوبهم ولا تساوى في الوفاء صدورهم وغيوبهم تراهم في الغيبة يغتاب بعضهم بعضا فتراهم يرتعون لحومهم فيأكلونهم لا تقف في مرعاها فتأوي في الصدور تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ثم ان كان أخو نهشل يساعد أخاه أبا نوفل فذا الشيء يجب عليه ويندب اليه فانه صاحبه القديم وجليسه القويم وان تخلى عنه فاذا يرجى منه وجبر النوائب هو محك الاصحاب وحجر المصائب يظهر من تبر الصداقة اللباب وقد قام في هذه النوائب بعدة أشياء كلها عليه واجب أولها القيام بحق أخيه والسعي في خلاصه من هذا الامر الكريه ثانيها استباق الى مساعي الحسنات وقصد لي رفع الدرجات ثالثها طلب رضا خاطري وما يشرح صدري ويسر سرائري رابعها ابعادي عن الآثام وخلاص ذمتي من الوقوع في الحرام فربما يحملني الحقود وانطلاق الشر على التعدي في الحدود خامسها اشتهار اسمي بالفضل وعدم المؤاخذة بالعدل فيشيع في الآفاق عني مكارم الاخلاق سادسها انتشار صيتي بحسن الوفاء والقيام بحقوق الاخوان وعدم الجفاء سابعها انه غرس في قلوب الاماثل محبته وزرع في أرواح الافاضل مودته وان كان صدر من أبي نوفل ما صدر فانه اعترف بالذنب وعنه اعتذر فنعمل معه بالظاهر والله تعالى يتولى السرائر كما قيل

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا * ان بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من أرضاك ظاهره * وقد أجلك من يعصيك مستترا

ولو بلغت هذه الحكاية غاية الشر ونهاية النكاية ما تعدت واقعة الملك الصالح عن عدوه المؤذي المسامح فقبل الذئب الارض وقام في مقام العرض وسأل الملك بيانها ليعلم بحسن التصريف ميزانها ويقيس عليها أوزانها (فقال) ذكر أن بعض السلاطين تصدى له عدو من الشياطين يحرض عليه الاعادي ويفسد عليه الحاضر والبادي ويجتهد في ازالة ملكه عن سريره ويغري به العساكر فيقابله ظاهرا بالنواكر وباطنا بالمواكر وما قصده منه الا بدواعي الحقد والحسد فجعل الملك يسترضيه

على قرنائه قال له الاسد لقد أغلظت في القول وقول الناصح مقبول محمول وان كان شتربة معاديا لي كما تقول فانه لا يستطيع لي ضرا وكيف
يقدر على ذلك وهو آكل عشب وأنا آكل لحم وانما هو لي طعام وليس علي مخافة منه ثم ليس الى الغدر به سبيل بعد الامان

الذي جعلته له وبعد اكرامي له وثنائي عليه وان غيرت ما كان مني وبدلته سفهت رأيي وجهلت نفسي وغدرت بذمتي (قال دمنة) لا يغرنك قولك هو لي طعام وليس علي منه مخافة فان شتربة ان لم يستطعك بنفسه احتال لك من قبل غيره ويقال ان استضافك ضيف ساعة من نهار وأنت لا تعرف أخلاقه فلا تأمنه على نفسك ولا تأمن ان يصلك منه أو بسببه ما أصاب القملة من البرغوث قال الاسد وكيف كان ذلك (قال دمنة) زعموا أن قملة لزمت فراش رجل من الاغنياء دهرا فكانت تصيب من دمه وهو نائم لا يشعر وتدب دبيبا رفيقا فمكثت كذلك حينا حتى استضافها ليلة من الليالي برغوث فقالت له بت الليلة عندنا في دم طيب وفراش لين فأقام البرغوث عندها حتى اذا أوى الرجل الى فراشه وثب عليه البرغوث فلدغه لدغة أيقظته وأطارت النوم عنه فقام الرجل وأمر ان يفتش فراشه فنظر فلم ير الا

بالهبات فلا يرضى ويستدنيه بالصلات فلا تزيده صلاته الا بعدا ونفورا كما قيل

الى كم يداري القلب حاسد نعمة * اذا كان لا يرضيه الا زوالها

فاضطر الملك من أموره واشتغل لايقاعه بنذوره وجعل ينصب له شرك الوقائع ويجتهد في ايقاعه بكل دان وشاسع وذلك الباغي أحذر من الغراب وأسهر من طالع الكلاب والملك لا يقر له قرار ولا يطيب له عيش لا بالليل ولا بالنهار فكان من أحسن الاتفاق ان علق ذلك الباغي ببعض الاوهاق فحمل الى حضرة الملك وهو في قيد الاعتقال فلما رآه في قيد النكال بادر الى الارض فسجد وقال الحمد لله الذي حيث أمكن منك أي خبيث أترى هذا في المنام فهو أضغاث أحلام أم سمح الزمان بأهل العدوان وأنا يقظان ثم شرع في السب والتقريع والتوبيخ والتقريع وأقسم بفالق الاصباح وخالق الارواح والاشباح ليفعلن بذلك النباح من النكال والجراح ما فعل المصطفى عليه الصلاة والسلام مع سراق اللقاح وليذيقنه كأس الباس وليجرعنه من خمر المنية أمر كاس ثم أمر الجلاد ان يأتيه بآلة من النطع والسيف والعتاد فلما علم ذلك الزنديق انه وقع في الضيق وانه لا ينفعه أخ ولا صديق ولا افتداء بشقيق ولا حميم وشفيق فضلا عن مال ومنال أو خيل ورجال فلما غسل يده من العيش استرسل للخفة والطيش فشرع في السباب ودخل في الشتم من كل باب ورفع بفاحش الكلام الصوت وقال ما بعد الموت موت فسأل الملك أحد الوزراء ماذا يقول من الافتراء هذا الظالم المجترئ الباغي المفتري فقال يدعو بدوام البقاء ورفعة مولانا الملك والارتقاء ويقول ما أحسن العفو عند المقدرة واللطف والكرم أيام الميسرة وان لم يكن ثم مجال للمعذرة ولو جعل العفو شكر المقدرة لكان أولى وأعلى مقاما في مكارم الشيم وأحلى كما قيل

ما أحسن العفو من القادر * لا سيما عن غير ذي ناصر

ويترحم على أسلاف مولانا السلطان الذين كان شيمتهم العفو عن ذوي العصيان وكان ذلك منهم سببا لدوام ونهاية أمنيتهم وما أجدر مولانا الملك ان يحيي مكارم سلفه ويجعل العفو كلمة باقية في خلفه ولا زال يقول من هذا القول حتى لان له القلب القاسي ورق له قلب الملك الجاسي فأمر باطلاقه ومن عليه باعتاقه وكان أحد الوزراء وأركان الامراء شخص يعاكس هذا الوزير ويناقضه فيما يراه ويشير وبينهما ترات أسباب عداوة أحلى في مذاق طبعهما من الشهد والحلاوة كل مترصد للآخر زلة متوقع لايقاعه في شبكة البلاء غفلة فحين رأى شقة الحال تسهلت على هذا المنوال وجد فرصة للمقال فتقدم وقال ما أحسن الصدق وأعز كلام الحق خصوصا في حضرة المخدوم وهذا أمر معلوم عند وضيعين وحسودين لم يترك من أنواع العداوة شيئا الا تعاطاه ولا من الافساد والشر صنفا الا عاناه قد أهلك الحرث والنسل وبدل حتى الصلاح من الفساد بضعفا وآل الى ان أمكن الله تعالى منه وحان تفريغ الخواطر الشريفة عنه ثم انه في مثل هذا المقام بين الخواص والعوام يشافه بالاعراض من الامراض ويجهر بالسوء من القول ويصرف في الذي والسب ما له من قوة وحول كيف يحل السكوت عن جرائمه ونقله مساويه بمظالمه فضلا من ان تقلب سيآته في خلع الحسنات وتقلى شوهاء وانشطاء عينه بملابس أحسن الدعوات ومع هذا بالسؤال له التوقع والخلاص والاطلاق من شرك الاقتناص وهو على ما هو عليه من الاساءة المتتوية اليه أما والله يا مولانا الهمام وسلطان الانام ما قال الا كذا وكذا من قبيح الكلام وتناول العرض المصون بالسب والدعاء واللام فتغير خاطر الملك وتعكر وتشوش صافي خاطره وتكدر ثم قال أيها الوزير ذو الصدق في التقرير والله وحقك ان كذب هذا الوزير عندي خير من صدقك فانه بكذبه أرضاني والى طريق الحق هداني وأصفى خاطري من الكدر وأطفأ ما كان التهب في غيظي من شرر وشفاني من دم كنت أريقه ولا يهتدي الى كيفية استقلاله طريقه فاصلح بذلك ذات البين وأصار التمادي بين أحسن حسنين وخلا

القملة فأخذت فقصعت وفر البرغوث وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن صاحب الشر لا يسلم
من شره أعداؤه هو وضعف عن ذلك جاء الشر بسببه وان كنت لا تخاف من شتربة فخف غيره من جندك الذين قد حملهم عليك وعلى

ذكري بجميل الصفات وسلكت بي طريقة أجداد الرفات واما انت فكدرت عيشي وآثرت غشي وطيشي واسمعتني الكلام المر وقد مسني منك الضر واما انا فقد اعتقت هذا واطلقته فلا أرجع في ابدائه وقد اعتقته وقد ثبت لهذا الوزير على حقوق لا ينكرها الا ذو عقوق ولا تسعها الاوراق والرقوق فكذبه عندي خير من صدقك وباطله أحلى على قلبي من حقك ولهذا قال ذو الافضال ما كل ما يعلم يقال (وانما اوردت) هذا الكلام باكرام لتعلم ان السلطان بمنزلة الامام وأركانه له تبيع في القعود والقيام ولا يتم الائتمام الا بالاتفاق بين الرفاق فاذا كان الجماعة مجمعين طائعين لامامهم مستعدين استقام القيام وانتهوا من جميل التحيات الى السلام ولا يقع لهم انتظام مع حط الفتم لحال الامام هذا قائم وهذا قاعد وهذا راكع وهذا ساجد وهذا نائم وهذا ماجد وأيضا السلطان بمنزلة القلب والرأس وبمنزلة الاعضاء رؤساء الناس وباقي الرعية خدم للرأس والاعضاء منتظرين لما تبرز به المراسيم من الزجر والامضاء فاذا اتفقت الاعضاء واصطلحت انتظمت أمور كل من الرأس والرعية وانصلحت واذا وقع اختلاف وتباين في الاعضاء صار كل من الرأس والقلب والرعية مرضى ولقد صدق من قال وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرضى المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وخلاصة هذا الكلام ان قصدي ان تكون أحوال رعيتي على النظام لا يقع بينهم شقاق ولا تنافر ولا نفاق وأما أبو نوفل فيكفيه ما أوهم وشهاته فقد انتهت وتمت عقوبته واخذ حده منه ولا يليق بكرمي ان أرده وهذا الذي ورثته عن اسلافي وهو الحق اللائق بمحاسن شيمي وأوصافي فلما سمع الوزير هذا الكلام وبرح فؤاده نصل هذا الملام ندم غاية الندم وعلم انه قد زلت به القدم وانه لا حاجة قضى ولا على صديقه أبقى ولم يستفد بما أبداه من بغم سوى اظهار معاداة أبي الجهم وانه اذا تخلص من حبسه وكربه ورجع عند الملك الى منادمته وقربه لا بد ان يتصدى لمعاداته وسلبه ولا يفيده بعد ذلك افعاله ولا يسمع في أبي نوفل أقواله فانصرف من عند الملك العليشار لا يدري أين يضع قدمه من الافتكار حتى وصل الى منزله واختلي في فكره بعمله وفرغ لخلاص من هذه الورطة طرقا وتفرقت رواد افكاره في منازل الخلاص فرقا فأدى نسيب الرواد من الآرا ومفيد القصاد من الشورى الى السعي في مصالحة أبي نوفل وازالة ما وقع من التنافر في وجوه الصداقة وتخلل ثم أدى افتكاره وأورى من زند رأيه شراره الى ان الذي وقع منه قد اشتهر وعلم به أصحاب البدو والحضر فاذا طلب من بعده الصلح فذلك في غاية القبح اذ كل من في بحره هز يتحقق ان ذلك خور وعجز فصار يتردد بين هذه الافكار ويتأمل ما فيها من تحقيق الانظار وتدقيق الاسرار فبينما هو في بحر الافتكار يلاطمه الموج ويصدمه التيار دخل عليه صديق له صافي الوداد وهو طبيب اغريدي مبارك الميلاد ذكي الجنان فصيح اللسان دقيق النظر عميق الفكر ذو رأي صواب وشفقة كاملة على الاصحاب فرآه مطرقا الى الارض في فكر ذي طول وعرض فسلم عليه وتقدم بالسؤال اليه عن تشوش باله وتوزع حاله فطلب الوقوف على ما ناله لينظر عاقبة أمره وما آله فاخبره بموجب ذلك وانه قد سدت في وجهه المسالك فقال مبارك الميلاد يا صحيح الوداد أنت قد زعمت ان مولانا السلطان قد ترك أبا نوفل الندمان وطرحه اطراحا لا رجعة فيه وانه بعد اليوم لا يذكره ولا يدنيه وان عثرته لا تقال وغصته لا تزول وقسته لا تزال هيهات هيهات يا أبا الترهات الملوك اذا لم يعرفوا حقوق خدمهم ولم يثبتوا في ديوان احسانهم قدم قدمهم خصوصا هذا الملك المعظم الذي أنفاس شيمه تحيي العظام الرميم ونحن قد زمينا عمرنا في خدمه واذاقنا برد عفوه وحلاوة كرمه وغفا اعاروا حسانا انما هو فوادي حلمه وروائح نعمه مع ان أبا نوفل لم يقع في محذور ومعذل يوجب تناسي ذممه وابتذال حرمته وحرمه وانه استغفر وأناب واعتذر وتاب واعلم ايها الوزير الاكرم ان ذوي النهى والحجر اذا ارادوا الشروع في امر تأملوا في مبداه غايته ومنتهاه وهذا التقرير كالجلوس المقصود من عمل السرير فانما ينبغي

عدوانك فوقع في نفس الاسد كلام دمنة فقال فما الذي ترى اذا وعماذا تشير (قال دمنة) ان الضرس لا يزال ماكولا ولا يزال صاحبه منه في ألم واذى حتى يفارقه والطعام الذي قد عفن في البطن الراحة في قذفه والعدو المخوف دواؤه قتله قال الاسد لقد

تركتني أكره مجاورة شتربه اياي وانا مرسل اليه وذاكر له ما وقع في نفسي منه ثم آمره باللحاق حيث احب فكره دمنة ذلك وعلم ان الاسد متى كلم شتربه في ذلك وسمع منه جوابا عرف باطل ما اتى به واطلع على غدره وكذبه ولم يخف عليه امره فقال للاسد اما ارسالك الى شتربه فلا اراه لك رايا ولا حزما فلينظر الملك في ذلك فان شتربه متى شعر بهذا الامر خفت ان يعاجل الملك بالمكابرة وهو ان قاتلك قاتلك مستعدا وان فارقك فارقك فراقا يلحقك منه النقص ويلزمك منه العار مع ان ذوي الرأي من الملوك لا يعلنون عقوبة من لم يعلن ذنبه ولكن لكل ذنب عندهم عقوبة فلذنب العلانية عقوبة العلانية ولذنب السر عقوبة السر قال الاسد ان الملك اذا عاقب احدا عن ظنة ظنها من غير تيقن بجرمه فلنفسه عاقب واياها ظلم (قال دمنة) اما اذا كان هذا رأي الملك فلا يدخلن عليك شتربه الا وانت مستعد له واياك ان تصيبك منه غرة او غفلة فاني لا احسب الملك حين

يدخل عليه الا سيعرف انه قد هم بعظيمة ومن علامات ذلك انك ترى لونه متغيرا او ترى أوصاله ترعد وتراه ملتفتا يمينا وشمالا وتراه يهز قرنيه فعل الذي هم بالنطاح والقتال قال الاسد سأكون منه على حذر وان رأيت منه خبرا يدل على ما ذكرت علمت

لصفقته

اصغت اليه النفوس اذا علمت بحصول الرفعة عليه من الجلوس كما قيل

فاياك والامر الذي ان توسعت * موارده ضاقت عليك مصادره

اما بلغك يا اخي واكرم مضي حكاية التاجر البلخي قال الوزير اخبرني بكيفية هذا التنظير (قال) مبارك الميلاد بلغني من احد العباد الذين طافوا البلاد انه كان في مدينة بلخ تاجر كثير العروض والمتاجر عريض المال والجاه غزير الضياع والمياه تتكاثر نقود ه الرمال وتباهي خزائنه معادن الجبال وتفاخر جواهره درر البحار وتسامي بضائعه تلال القفار تراجع عنده الحظ وعامله الزمان بعادة طبعه الفظ وادبرت عنه من الدنيا القوابل ونزلت بساحته موجوده بالاعدام النوازل وواثبت وفود معايشه فكادت تقد البلابل فصار كلما عامل معاملة انعكست عليه حتى نفد جميع ما بين يديه فلم ير لنفسه اوفق من التغرب عن وطنه والاقامة في سكن غير سكنه فاخذ بعضا من المال وخرج من بلاد الشرق الى بلاد الشمال وداوم في الارض على الضرب حتى انتهى الى بلاد الغرب فاقام بها دهرا يتعاطى معاملة وتجرا الى ان زاد ماله واثرى وجمع اليه ما ذهب من يديه ثم اشتاق الى بلاده ورؤية زوجته وولده فتجهز اليها وسار حتى نزل عليها واراد الدخول الى داره فاوقفه مشيرا فتكاره الى اعمال النظر في حادث القضاء والقدر وانشده الزمان بلسان البيان

للكون دائرة من قبلنا صنعت * لا لي تضيق ولا من اجلك اتسعت

والسر في حجب غيب الله مكتتم * فلست تدري يد التقدير ما صنعت

فراى ان يدخل متنسيا متنكرا خفيا ويتوصل الى داره ويتجسس احوال كباره وصغاره وما حدث عليهم من الحوادث وتقلبات الزمان العائث فتوجه ليلا الى داره وهو يترنم

بالله قل لي خبرك * فلي زمان لم اراك

الى ان وصل الى الباب وما عليه حاجب ولا بواب فراى الباب مقفلا والقنديل عليه مسبلا وكان يعرف للسطوح دربا خفيا فاستطرق منه وارتقى مكانا عليا واشرف من الكوة فراى ربة البيت المرجوة فوق سرير الامان معانقة فتى من الفتيان كانهما الفرط العناق كانا ميتين من الم الاشتياق نعجتهما قيامة التلاق فتلازما والتفت الساق بالساق ولسان حال كل منهما يروي عنهما

عانقت محبوبي فاي حين والدي * كانني حرف لام عانقت الفا

فتبادر الى وهله اقوى تعقله ان ذلك الشاب الظريف معاشر حريف افسد زوجته في غيبته وانه في تلك الليلة استعمل قوله لا تاق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قواد

فسل السكين وقصد قتل ذلك المسكين وصمم على النزول الى البيت واثارة الفتن كميت وكيت ثم استقاب وهله واستراب عقله واخذ يتفكر ويتامل ويتدبر ويستنبرله والفرينته وانها في الغفة مجبولة من طينته وانه لم يعلم عليها الا الخير وتقدم عملها عن حلاها الى الغير فطالب عقل الفضيحة لزوجته طريقة منقوصة طريقة محمودة فان ملة غيبته طالت وزوجته ان كانت حالها احالت فلابد اولا من الوقوف عليها كيف استحالت ثم كف عن الذبح ونزل من السطح وقصد جاره وداره جاره وطرق بابها واستفتح كلابها فخرجت اليه عجوز كانت الى داره تجوز فسالته من هو وما مراده ومن اين اصداره وايراده فقال اني رجل غريب ليس لي بهذه البلدة خليل ولا قريب وبلادي ارض مكة كنت اتردد الى هذه السكة واعامل التجار وكان لي في هذه المحلة خبير وجار من التجار الكبار كنت آوي اليه وانزل في قدومي عليه اسمه فلان وقد مر على ما زمان وعاقني عنه نوائب الحدثان والآن قدمت الى هذا المكان وقد قصدت داره ولا ادري اي جاد عاره ولم اعرف له خبرا ولا رايت عينا ولا اثرا فهل تعرفين كيف حاله والى ماذا آل مآله فقالت نعم زالت عنه النعم واليأته الحال الى الترحال فرحل منذ سنين وكناف جواره من الآمنين وانقطع عنا

ان ماتي امره شك فلما فرغ دمنه من حمل الاسد على الثور وعرف انه قد وقع في نفسه ما كان التمس وان الاسد سيتهدد الثور ويخيم اله اراد ان ياتي الثور ليغريه بالاسد واحب ان يكون اتيانه من قبل الاسد مخافة ان يبلغه ذلك فيتاذى به فقال ايها الملك الا آتي شتربه فانظر الى حاله وامره واسمع كلامه لعلي ان اطلع على سره فاطلع الملك على ذلك وعلى ما يظهر لي منه فاذن له الاسد في ذلك فانطلق فدخل على شتربه كالكئيب الحزين فلما رآه الثور رحب به وقال ما كان سبب انقطاعك عني فاني لم ارك منذ ايام ولعلك في سلامة (قال دمنه) ومتى كان من اهل السلامة من لا يملك نفسه وامره بيد غيره ممن لا يوثق به ولا ينفك على خطر وخوف حتى ما من ساعة تمر ويامن فيها على نفسه قال شتربه وما الذي حدث (قال دمنه) حدث ما قدر وهو كائن ومن ذا الذي غالب القدر ومن ذا الذي بلغ من الدنيا جسيما من الامور فلم يبطر ومن ذا الذي بلغ مناه فلم يغتر ومن ذا الذي تبع هواه فلم يخسر ومن ذا الذي حادث النساء فلم يصب ومن ذا الذي طلب من اللئام فلم يحرم ومن ذا الذي خالط الاشرار فسلم ومن ذا الذي صحب السلطان فدام له منه الامن والاحسان ولقد صدق الذي قال مثل السلاطين في قلة وفائهم لمن صحبهم وسخاوة انفسهم عمن فقدوا من قربائهم كمثل البغي كلما فقدت واحدا جاءها آخر قال شتربه اني اسمع منك كلاما يدل على انه قد رابك من الاسد ريب وهالك منه امر (قال دمنه) اجل لقد رابني منه ذلك وليس هو في امر نفسي قال شتربه ففي نفس من رابك

(قال دمنة) قد تعلم ما بيني وبينك وأعلم حقك علي وما كنت جعلت لك من العهد والميثاق أيام أرسلني الأسد اليك فلم أجد بدا من حفظك واطلاعك على ما اطلعت عليه مما أخاف عليك منه قال شتربه وما الذي بلغك (قال دمنة) حدثني الخبير الصدوق الذي

لامرية في قوله ان الاسد قال لبعض أصحابه وجلسائه قد أعجبني سمن الثور وليس لي الى حياته حاجة فأنا آكله ومطعم أصحابي من لحمه فلما بلغني هذا القول وعرفت غدره وسوء عهده أقبلت اليك لأقضي حقك وتحتال أنت لأمرك فلما سمع شتربه كلام دمنة وتذكر ما كان دمنة جعل له من العهد والميثاق وفكر في أمر الاسد ظن ان دمنة قد صدقه ونصح له ورأى ان الامر شبيه بما قال دمنة فأهمه ذلك وقال ما كان الاسد ان يغدر بي ولم آت اليه ذنبا ولا الى أحد من جنده منذ صحبته ولا أظن الاسد الا قد حمل علي بالكذب وشبه عليه أمري فان الاسد قد صحبه قوم سوء وجرب منهم الكذب وأمورا هي تصدق عنده ما بلغه من غيرهم فان صحبة الاشرار ربما أورثت صاحبها سوء ظن بالاخيار وحملته تجربته على الخطا كخطا البطة التي زعموا انها رأت في الماء ضوء كوكب فظنته سمكة فحاولت أن تصيدها فلما جربت ذلك مرارا علمت أنه ليس بشيء يصاد فتركته ثم رأت من غد ذلك اليوم سمكة فظنت انها مثل الذي رأته بالامس فتركتها ولم تطلب صيدها فان كان الاسد بلغه عني كذب فصدقه علي وسمعه في فما جرى على غيري يجري علي وان كان لم يبلغه شيء وأراد السوء بي من غير علة فان ذلك لمن أعجب الامور

تقمم

خبره وعن زوجته عينه واثره وطال عليها منتظره فدعتها الضرورة والاعدام الى عرض حالها على الحكام فأذن لها قاضي بلخ في ابطال نكاحها بالفسخ ففسخت نكاحها واعتدت وطلبت نصيبها واستندت ولقد أوحشنا فراقه وآلمنا اشتياقه غير أن زوجته قامت مقامه وأفاضت علينا احسانه وانعامه وهي متشوقة الى رؤيته متشوفة الى مطالع طلعته متلهفة على أيام وصاله متأسفة على ترشف زلاله فلما وقف على صورة الحال حمد شكر الله ذي الجلال وحمد الله على الثبات في مثل هذه النائبات (وانما اوردت) هذا المثال لتعلم فضيلة التأمل في المآل والتفكر في عواقب الاحوال قال الدب دعنا من هذا الكلام والاخذ في الملام واسعدني في التدارك فانك نعم المشارك قبل انفلات العنان وانقلاب الزمان وخروج زمان التلافي من أنامل الامكان وانتقال حل عقدته من اللسان والبنان الى الاسنان فقال مبارك الميلاد الرأي عندي بالاقتصاد المبادرة الى الصلح والاصلاح ليحصل النجح والفلاح والاخذ في المصافاة وسلوك طريق الموافاة والعمل به باطنا وظاهرا والاستمرار عليه أولا وآخرا ومحو آثار العداوة وتناسي أسباب الجفا والقساوة واستئناف المودة الصافية والمحبة الوافية وصرف القلب بجود وسعة الحلة الشافية والكافية حتى يقول من رأى وسمع الحمد لله آلت العاقبة الى العافية ثم اعلم انه لا يصفو لك صاحب وخاطرك عليه التكدر مصاحب ولا يخلص لك صديق واين خلوص محبتك اياه صديق وقاطع بعضك في الطريق وشولك سبيل راكب التعويق والقلوب في المحبة تتجازى ان حقيقة فحقيقة وان مجازا فمجاز وكل شيء بمقدار وميزان وكما تدين تدان وقلما تجد من تحبه ويبغضك وتقربه ويرفضك وتصفو له ويتكدر ولا تتغير عليه ويتغير ودونك يا ذا الكرامات ما قال صاحب المقامات

وكال الخل كما كال لي * على وفاء الكيل أو بخسه

وقال من أحسن المقال

والعين تعرف من عيني محدثها * ان كان من حزبها او من أعاديها

وانما اقول هذا الكلام الا من قول خير الانام عليه افضل التحيات واكمل السلام الارواح اجناد مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وانما يقع التعارف من الجهتين والتناكر من الطرفين ولا تغالط نفسك وتكابر حسك ان يحبك من تكرهه ويزينك من تشوهه ويقربك من تقصيه ويقيمك من ترميه ويرفعك من تضعه ويأخذ بيدك من تدفعه كما قيل في الاقاويل

والناس أكيس من أن يحمدوا رجلا * ما لم يروا عنده آثار احسان

واعلم ان غالب الاخوان في هذا الزمان مسلوب الانسانية وان كان في زي الانسان من أحسنت اليه أسا ومن ترفقت له قسا ومن نفعته ضرك ومن أمنته غرك ومن سكنت أوامه بزلال فضلك جرك وقد أجاد صاحب الانشاد

جزى الله عنا الخير من ليس بيننا * ولا بينه ود ولا نتعارف

فما سامنا خسفا ولا شفنا أذى * من الناس الا من نود ونالف

واذا كان هذا فيمن تحسن اليه وتسبغ ملابس افضالك عليه فكيف يكون حال من تضمر له النكال وتتمنى وقوعه في شرك العقال أي تراه يسفو لك ويتقاضى سؤلك ومأمولك وهو مترقب غيلة غولك متوقع منك أن يصير مقتولك فما عسى ان تبلغ منه سؤالك ومسؤولك أو ترى من محبته ومودته مأمولك ومحصولك (وانما أوردت) هذه المقامات وان كانت من فضلات علمك ورشحات قلمك لتتخذها مقدمات لتعاطي أسباب الصلح أولا في نفسك ثم تستعمل الوسائط فيه من أبناء جنسك فينتج المقصود ويصفو الورد المورود كما قيل

فان القلوب مرائي الصفات * كما السيف مرآة وجه الذوات

قال الدب انا القي الزمام في هذا المقام لنيل هذا المرام الى يد تدبيرك واكتفي في رعي رياضه براقد رأيك وتقديرك فان فكرك نجيب وسهم رأيك مصيب فافعل ما تختار وأذقنا من رائق رأيك المشتار فقال

تقسم أولا باللطيف الخبير أنك أصفيت الضمير من الغش والتكدير وكرعت من وارد الصفاء الزلال النمير ونفضت يد المحبة والإخاء من علاقات البغضاء والشحناء حتى ينجح سعي ولا يخيب سعي وأبذل مجهودي في نيل مقصودي وأبني على أساس وأسلك مع الناس مسالك الأكياس فبادر باليمين إلى اليمين وأشهد عليه الكرام الكاتبين أنه صقل مرآة قلبه عن صدأ المداهنة وجلا طريق مودته من غبار المباينة وأنه يكتفي من غدير الغدر بما جرى ويطوي حديث الشحناء فلا يسمع الواشي بذلك ولا يدري فابتذل مبارك الميلاد جهده في السعي في إصلاح الفساد وعقدا على ذلك العهد وتوجه مبارك الميلاد من بعد وقصد منزل أخي نهشل فرآه في نار همه وغمه مشتعل وقد غرق في بحر الأفكار هائما لا يقر له قرار فسلم عليه وتقدم بالسؤال عن حاله إليه وآنسه بالمحادثة وذكر له الدهر وحوادثه وتذاكرا ما وقع من الحب وكيف أظهر نواقض الحب وبارز بالعداوة وأبرز بأدنى حركة موجبات القساوة ثم أخذ أخو نهشل في العتاب وفتح لمبارك الميلاد من جهة صاحبه وعتابه الباب فاعترف عن صاحبه بأن الظلم في جانبه وأنه كان حصل له من الوهم الكاذب ما أورثه الوقيعة في جانب الصاحب وأنه ندم على ذلك واعترف بأن فعله حالك ولم يسعه إلا الاعتذار وجبر ما وقع لأبي نوفل من الانكسار بالسعي في مساعدته والقيام معه في حاجته والتوجه إلى حضرة المخدوم والتلافي بمرهم التلاف ما سبق من جراحات الكلام والكلوم ثم إذا حصل من الخواطر الشريفة الإغضا وأثمر في رياض العفو لجاني الذنب فواكه الرضا يستأنف شوق المحبة عقود المبايعة ويروج تاجر الصداقة على مشتري الثقة في دكان الرغبات بضائعه إلى أن يتزايد الوداد ويتأكد بين الجميع نظام الاتحاد فانهض يا رئيس الأصحاب وأنيس الأحباب

فالعمر أقصر مدة * من أن يدنس بالعتاب

ثم نهضا جميعا وأتيا أبا نوفل سريعا فوجداه في أبرح مكان وأوجع زمان مشغوفا بالأحزان مكتنفا بالأشجان وما طال من جفاء أحبابه وإقصاء مولاه وصار وجوه غرضه السلطان فلما سلما عليه وجلسا إليه واعتذر مبارك الميلاد بما أظهره باشر الوداد أن موجب تقصيره في السؤال عنه وتأخيره أن قلبه الوامق وطرفه الوادق لم يطاوعاه على رؤيته في تلك الحال ولا سمحت قدمه بالتقدم إليه وهو مشغول البال ثم تفاوضا في أسباب الصلح وقصدا أبواب الفتح فتعاطوا أطراف الطرائف وتفكهوا على موائد التحف واللطائف وما زالوا يشيدون خلع الرفاق ويرقعون فتق الشقاق إلى أن انعقدت أسباب المحبة والوداد وانحلت عقود الحقود والأنكاد وتحقق كل أحد من كبير وصغير ومأمور وأمير وجليل وحقير بحصول خالص المودة بين النديم والوزير

ولما أن تراءى الفجر يحكي * جبين الحب أو رأي الأديب

توجه الوزير ومبارك الميلاد وأخو نهشل ورؤوس الأجناد مع سائر الأمراء والوزراء والأعيان والكبراء حتى أتوا إلى السدة العلية والحضرة الزكية السلطانية فقبلوا الأرض الطاهرة ووقفوا في مواقف الشفاعة ونشروا من الدعاء والثناء ما يليق بجناب الملوك والعظماء وذكروا النديم أبا نوفل بما يستعطف عليه الخاطر المفضل حتى عطفت عليه مراحمه وأخمدت من بريد الانتقام جرائمه وسمح باعتذاره لديه ليسبل ذيل الكرم والعفو عليه ثم شمله ثوب الرضا وخلع العفو والاعتذار فأسرع غصن البشر بالتلاقي من الجماعة مع الوزير ثم وصل القاصد وحواله مراصده فتوجه منشرح البال منبسط الآمال حتى دخل على حضرة ذي الدولة والإقبال وقبل الأعتاب ووقف في موقف الإجلال لا يرفع طرفا ولا ينطق حرفا فترسم بالتشريف والخلع ليرفع عنه التخويف والهلع فتضاعفت الأدعية السلطانية والأثنية الفائقة

ينادي من ذكره قد تمكنت * بطيب ثنائي الزمان وراقته

وقد كان يقال إن من العجب كيف يطلب الرجل رضا صاحبه ولا يرضى وأعجب منه من ذلك أن يلتمس رضاه فيسخط فإذا كانت الموجدة عن علة كان الرضا موجودا والعفو مأمولا وإذا كانت عن غير علة انقطع الرجاء لأن العلة إذا كانت الموجدة في ورودها كان الرضا مأمولا في صدورها وقد نظرت فلا أعلم بيني وبين الأسد جرما ولا صغير ذنب ولا كبيره ولعمري ما يستطيع أحد أطال صحبة صاحبه أن يحترس في كل شيء من أمره ولا أن يتحفظ من أن يكون منه صغيرة أو كبيرة يكرهها صاحبه ولكن الرجل ذا العقل وذا الوفاء إذا أسقط عنده صاحبه سقطة نظر فيها وعرف قدر مبلغ خطئه عمدا كان أو خطأ ثم ينظر هل في الصفح عنه أمر يخاف ضرره وشينه فلا يؤاخذ صاحبه بشيء يجد فيه إلى الصفح عنه سبيلا فإن كان الأسد قد اعتقد علي ذنبا فلست أعلمه إلا أني خالفته في بعض رأيه نظرا مني ونصيحة له فعساه أن يكون قد أنزل أمري على الجراءة عليه والمخالفة له ولا أجد لي في هذا المجلس إثما إلا أني لم أخالفه في شيء إلا ما قد ندر من مخالفة الرشد والمنفعة والدين ولم أجاهر بشيء من ذلك على رؤوس جنده وعند أصحابه ولكني كنت أخلو به وأكلمه سرا كلام الهائب الموقر وعلمت أنه من التمس الرخص من الإخوان عند المشاورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة أخطأ منافع الرأي وازداد فيما وقع فيه من ذلك تورطا وحمل الوزر وإن لم يكن هذا فعسى أن يكون ذلك من بعض سكرات السلطان فإن مصاحبة السلطان خطرة وإن صوحب بالسلامة والثقة والمودة وحسن الصحبة وإن لم يكن هذا فبعض

ما أوتيت من الفضل قد يجعل لي فيه الهلاك وان لم يكن هذا ولا هذا فهو اذا من مواقع القضاء والقدر الذي لا يدفع والقدر هو الذي يسلب الاسد قوته وشدته ويدخله القبر وهو الذي يحمل الرجل الضعيف على ظهر الفيل المغتلم وهو الذي يسلط على الحية ذات الحمة من ينزع حمتها ويلعب بها وهو الذي يحرم العاجز ويثبط الشهم ويوسع على المقتر ويشجع الجبان ويجبن الشجاع عند ماتعتريه المقادير من العلل التي وضعت عليها الاقدار (قال دمنة) ان ارادة الاسد بك ليست من تحميل الاشرار ولا سكرة السلطان ولا غير ذلك ولكنها الغدر والفجور منه فانه فاجر خوان غدار لطعامه حلاوة وآخره سم مميت قال شتربه فأراني قد استلذذت الحلاوة اذ ذقتها وقد انتهيت الى آخرها الذي هو الموت ولولا الحين ماكان مقامي عند الاسد وهو آكل لحم وأنا آكل عشب فأنا في هذه الورطة كالنحلة التي تجلس على ورق النيلوفر اذ تستلذ ريحه وطعمه فتحبسها تلك اللذة فاذا جاء الليل ينضم عليها فترتبك فيه وتموت ومن لم يرض من الدنيا بالكفاف الذي يغنيه وطمحت عينه الى ماسوى ذلك ولم يتخوف عاقبتها كان كالذباب الذي لا يرضى بالشجر والرياحين ولا يقنعه ذلك حتى يطلب الماء الذي يسيل من أذن الفيل فيضربه الفيل بآذانه فيهلكه ومن يبذل وده ونصيحته لمن لا يشكره فهو كمن يبذر في السبخ ومن يشير على المعجب فهو كمن يشاور موضوع
الميت او يسار الاصم (قال دمنة) دع عنك هذا الكلام واحتل لنفسك قال شتربه بأي شئ أحتال لنفسي اذا أراد الاسد أكلي مع ماعرفتني

واقيمت حرمته واستمرت عليه وظيفته ثم ان الملك انتقل من المجلس العام الى مجلس خاص واجتمع بالخواص وعم الخطاب لكل ناص وحدث وقاص فقال ليعلم الوزير والنائب والامير والحاجب والصديق والصاحب والجندي والكاتب والمباشر والحاسب والراجل والراكب والآتي والذاهب وليبلغ الشاهد الغائب ان مقتضى الرياسه في الشرع والسياسه على ماقدره حكماء الملوك وسلكوا عباد الله تعالى أحسن السلوك ان كل واحد من الغني والصعلوك لاسيما من له من الامر شئ أونوع مباشرة على ميت اوحي له مقام معين لايزايله ومكان مبين لايقابله قال الحي القيوم ذو الملك الديموم حكاية عن متصرفي ملك الديموم ومامنا الا له مقام معلوم وعلى هذا جرت سنته وورد كلامه وعلت كلمته وبه امر الشرع والانسان مدني بالطبع فالواجب على كل من أقامه الله في خدمة ملك ولاه أوسلطان علاه ان يلازم مقامه ولايسخط في صف جماعته امامه ويراقب مايصدر عنه فيقل ايالك ومايعتذر منه فاذا رام ان يتكلم بكلام بحضرة الامام أوبحضور احد من الخواص والعوام يسبر كلامه اولا بمسبار التفكر ويعيره بمعيار التأمل والتبصر ثم يسبكه في بوتقة الفصاحه ويسكبه في قالب الاصابه ويصوغه بآلات حسن الانسجام ويرصعه بجواهر مقتضى المقام فاذا صيغ على هذه الصياغه وقعدت على صورة سبكه نقوش البلاغه وأخرج له غواص الفكر من بحر المعاني والبيان فرائد افكار لم تظفر بها أصداف الآذان وخرائد ابكار لم تفترعها فحول الاذهان ازدانت بها من حور جنان الجنان ومقصورات خيام الدهور والازمان آنسات لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فاختلب بها ثمة القلوب والارواح واستلب برواته الاموال والاشباح واستمال الخواطر وسحب الايادي الموافر وصار الدهر من بعض رواته واشتاف مايرويه عنه معلقا بآذان نباته وان وقع والعياذ بالله منه مايورث الندم والحزن وأخرج سهم الكلام من قوس الجهالة لااكتال ولااتزن حصل في سوق ظاهره وباطنه الغبن والغبن وأصابه ما اصاب نديم ففغور الختن فعض الجماعة والارض قبلوا وعن كيفية هذا الخبر سألوا (فقال) الملك ذكر المخبرون وأخبر المذكرون انه في قديم الزمن كان عند ففغور الختن نديم كامل المعاني في البيان ذو نعمة جزيله وصورة جميله وفضائل فضيله مبرز في العلم كامل المودة والحلم محبوب الصوره مشكور السيره طاهر السريره ثقيل الراس خفيف الروح والحواس قد جال وجاب وبلا الاعداء والاصحاب وترشح لمنادمة الملوك والامراء ومجالسة السلاطين والوزراء وهو مخصوص بملك الناس والصين مقبول عند الملوك والسلاطين اتفق له في بعض الليالي انه كان عند جناب مالك المعالي وعنده جماعة من العلماء وطائفة من الاخصاء والندماء وهم يتعاطون كؤس اللطائف ويتواطون على مافي الدنيا من طرف وطرائف ويتذكرون عجائب الاقطار ويشنفون المسامع بخصائص الامصار فقال النديم رأيت في بعض الاقاليم من الاراضي الحاميه والبلاد القاصيه حيوانا كبيرا سريع السير مترددا شكله بين شكلي الجمل والطير يضرب به في البديهة المثل فيتعاطى التعلل في الكسل ان قيل له احمل يقول أنا طير وان قيل له طر يقول أنا جمل وذكر ان اسمه النعام وسائر اوصافه واعضائه على التمام فتعجب الحاضرون من هذه الصفات والاشكال البديعة والهيآت ثم قال واعجب من هذه الصفات ان هذه الدابة تاكل الجمرات وتلتقط الحصيات وتختطف الحديدة المحماة من النار تزدردها ولا يتألم لذلك فوها ولا جسدها وتذيب كل ذلك معدتها ولا يتأثر بها لسانها ولا ترقوتها فأنكر بعض الحاضرين هذا المقال لكونه لم يشاهد هذه الاحوال ولا رأى ولا سمع خبر طير ياكل النار ويبلع الاحجار ونسبوه الى المخارقة في الاخبار فتصدى لاثبات مايقول بطريقي المنقول والمعقول فلم يصادف كلامه القبول على ما ألفته منهم العقول لان الحيوانات بل وسائر الجمادات اذا اتصلت بها النار ظهرت منها الآثار وهذا طير من الاطيار من لحم ودم فكيف لاتحرقه النار فاتفق الجمهور على تكذيب هذه الاخبار وقالوا المثل المشهور انما هو

موضوع على لسان الطيور فيمن تردد بين الامور فيقال هذا الفقير كالنعامة لا يحمل ولا يطير ومثل هذا
المضرب يا شيخ المشرق والمغرب قولهم طارت به عنقاء مغرب فقال النديم الفاضل الحكيم انا رأيت هذا
بالعين فلم يزدهم الا تكذيبا وقالوا قد غلطت ولزمت الغلط فوقع من اعينهم بهذا الكلام اذ قالوا هذا
كذب وسقط فحصل لذلك النديم من الخجالة والندم امر عظيم واستمر في حصر حتى منعه السلطان من
الدخول الى القصر وصار بين الاصحاب يشار اليه بالكذاب فلم يسع ذلك الاستاذ الا السفر من تلك البلاد
والتوجه الى العراق و بغداد واخذ من طير العنقاء عدة واستعمل عليها رجالا مستعدة ونقلها الى الصين
في عدة سنين تارة في البحر واخرى في البر وقاسى انواعا من البؤس والضر وتكلف جملا من الاموال
وتحمل مع المشاق مؤن الرجال فانتهى به السير الا وقد مات غالب تلك الطير فوصل الى حضرة ملك الملك
واشتهر في المملكة ان النديم الفلاني اتى فاجتمع الناس لينظروا وامر الملك الخاص والعام فحضروا واحضروا
النعام في ذلك المحفل العام وطرح لها الحديد المحمى فخطفته وابتلعت المحمى بالتلقف فتعجب الناس لذلك
وسبحوا الله مالك الممالك وعلم الصغار والكبار انه يخلق ما يشاء ويختار فشمله الملك بمزيد الانعام واعتذروا
اليه عما مضى من ملام وزادت رفعته ونفذت كلمته اذ قد اثبت مدعاه وحقق بشاهد الحس معنى ما ادعاه
ففي بعض الاوقات تذاكروا ما فات وانجر بهم الكلام الى ما مر من حديث النعام فقال النديم ايها الملك
الكريم اني تكلفت على هذه الاطيار كذا وكذا الف دينار وقاسيت من المشقة في الاسفار وعاينت من
شدائد الاخطار ما لا اقاسيه عدمان النار واستمريت في هذا العذاب الاليم المهين وفي حصن المشاق بضع
سنين حتى بلغت تحقيق مرامي وتصديق كلامي ولولا عناية مولانا السلطان لما ساعدني على مقصودي
الزمان ولما زال عني اسم الكذاب الى يوم الحساب فتبسم السلطان وقال لقد اتيت بحسن وما قصرت ولكن
كان يحتاج في اثبات تصديقها والخروج عن عهدة تحقيقها الى صرف المال الجزيل وتجشم مشقة السفر
المديد الطويل وتحمل مؤن الرجال وركوب الاخطار والاهوال وازعاج الروح والبدن واضاعة جانب
كبير من العمر والزمن لاي معنى يتفوه به العاقل ولماذا ينطق بما يستبعد او يقال (وانما اوردت) هذا القول
ليعلم ارباب العقول من جلساء الملوك والعظماء ورؤساء الامراء والزعماء خصوصا خواص القدماء وعوام
الندماء ان شيئا يحتاج فيه الى تعب النفس وقيد ونكال وحبس ثم استعمال من جاهه واصحاب يتقدمون
الى الشفاعة لا ينبغي للعاقل ان يحوم حوله ولا يعقد ابدا عليه فعله وقوله فتقدم مبارك الميلاد وبذل في
اداء تلك الدعاء الاجتهاد وقال انما كان عاقبة هذا الامر وللفاعل ثمرة هذا الجهر واداؤه الى انتظام عقود
السعد واشتماله على جميع الخواطر من بعد بيان انوار الشريفة وشرف ملاحظاتهم اللطيفة وتوجه
مساعدتها الى اتمامها وشمول عواطفها على حيدها وحشوها واقبال طالعها السعيد ولولا ذلك لما انتظم لما
شمل ايها العميد فالمتوقع من مكارم الصدقات الشريفة واللطائف منها المنيفة ونظير هذا الشأن ما جرى
للفارس على الملك انوشروان في اثر الملك الطالع عن هذا النزاع (فقال) ذكر اهل التاريخ باعالي التواريخ
ان كسرى انوشروان جاهر بعض الملوك بالعصيان وانتدب لمحاربته ملك من الاعوان فتوجه كسرى
اليه ووثب وثوب الاسد الضاري عليه ورأى التواني في امره والتأخير من جملة الاخلال والتقصير فقابل
قتاله وقتاله قائلا

اذا استقربت ادنى من تعادي * ينالك من يد وندى وطاقه
فما استقربت ان اهملت الا * امورا لوهو داعين الحماقه

فلما توافقا واصطدما وتلاقيا انكسر ذو الطغيان وانتصر انوشروان وقبض على العدو وحصل الامان
والهدو وقص طائره وتفرقت عساكره وحصل وقد سيم خسفا وكسرا الى الملك العادل كسرى فتقدم
بالاحسان اليه وجعل العفو شكر القدرة عليه وبالغ معه في اللطف والاحسان وازال عنه ما صدق في بيتان

من رأى الاسد ونحوه واخلاقه واعلم انه لو لم يرد بي الاخير انما اراد اصحابه بمكرهم وفجورهم فلا كي اقدروا على ذلك فانه اذا اجتمع المكرة الظلمة
على البريء الصحيح كانوا خلقاء ان يهلكوه وان كانوا ضعفاء وهو قوي كما اهلك الذئب والغراب وابن آوى الجمل حين اجتمعوا
عليه بالمكر والخديعة والخيانة (قال دمنة) وكيف كان ذلك قال قال شتربة زعموا ان اسدا كان في اجمة مجاورا الطريق من طرق الناس وكان له اصحاب ثلاثة ذئب وغراب وابن آوى وان رعاة مروا بذلك الطريق ومعهم جمال فتخلف منها جمل فدخل تلك الاجمة حتى انتهى الى الاسد فقال له الاسد من اين اقبلت قال من موضع كذا قال فما حاجتك قال ما يأمرني به الملك قال تقيم عندنا في السعة والامن والخصب فاقام الاسد والجمل معه زمنا طويلا ثم ان الاسد مضى في بعض الايام لطلب الصيد فلقي فيلا عظيما فقاتله قتالا شديدا وافلت منه مثقلا مثخنا بالجراح يسيل منه الدم وقد خدشه الفيل بانيابه فلما وصل الى مكانه وقع لا يستطيع حراكا ولا يقدر على طلب الصيد فلبث الذئب والغراب وابن آوى اياما لا يجدون طعاما لانهم كانوا يأكلون من فضلات الاسد وطعامه فاصابهم جوع شديد وهزال وعرف الاسد ذلك منهم فقال لقد جهدتم واحتجتم الى
ما تأكلون فقالوا لا تهمنا انفسنا لكنا نرى الملك على ما نراه فليتنا نجد ما يأكله ويصلحه قال الاسد ما اشك في نصيحتكم ولكن انتشروا لعلكم
تصيبون صيدا تأتوني به فيصيبني ويصيبكم منه رزق فخرج الذئب والغراب وابن آوى من عند الاسد فتنحوا ناحية وتشاوروا وقالوا بينهم

وقالوا ما لنا وافد الا آكل العشب الذي ليس شانه من شاننا ولا رايه من راينا الا تزين للاسد فياكله ويطعمنا من لحمه قال ابن آوى هذا مما لا نستطيع ذكره للاسد لانه قد أمن الجمل وجعل له من ذمته عهدا قال الغراب انا اكفيكم أمر الاسد ثم انطلق فدخل على الاسد فقال له الاسد هل اصبت شيئا قال الغراب انما يصيب من يسعى ويبصر واما نحن فلا سعي لنا ولا بصر لما بنا من الجوع ولكن قد وفقنا لرأي واجتمعنا عليه ان وافقنا الملك فنحن له مجيبون قال الاسد وما ذاك قال الغراب هذا الجمل آكل العشب المتمرغ بيننا من غير منفعة لنا منه ولا رد عائدة ولا عمل يعقب مصلحة فلما سمع الاسد ذلك غضب وقال ما اخطأ رايك وما اعجز مقالك وما ابعدك من الوفاء والرحمة وما كنت حقيقا ان تجترئ على بهذه المقالة وتستقبلني بهذا الخطاب مع ما علمت من اني قد امنت الجمل وجعلت له من ذمتي اولم يبلغك انه لم يتصدق متصدق بصدقة هي أعظم اجرا من أمن نفسا خائفة وحقن دما مهدرا وقد امنته ولست بغادر به قال الغراب اني لاعرف ما يقول الملك ولكن النفس الواحدة يفتدى بها أهل البيت وأهل البيت تفتدى بهم القبيلة والقبيلة يفتدى بها أهل المصر وأهل المصر فداء الملك وقد نزلت بالملك الحاجة وأنا اجعل له من ذمته مخرجا على ان لا يتكلف الملك ذلك ولا يليه بنفسه ولا يامر به احدا ولكنا نحتال بحيلة لنا وله فيها اصلاح وظفر فسكت الاسد عن جواب الغراب عن هذا الخطاب فلما عرف الغراب اقرار الاسد اتى اصحابه

الحقير

ترتع النزاهة في ميادين رياضه وتكرع الفكاهة من رياحين حياضه وأفاض عليه من خلع الانعام وادرارات الفضل والاكرام ما ازال دهشته وأحال وحشته وأبدى استعداده وأبعد استبعاده فلما حصل انسه وهدأت نفسه أخذ في تدبيره وابلاغه الى مأمنه وتجهيزه فأبى الا الاقامة والتلبث بدار الكرامة وسأل الصدقات وما لها من عميم الشفقات مجاورة محلها والاقامة تحت ظلها واغتنام مشاهدتها والتشرف بما من طلعتها مدة أيام فانها محسوبة من العمر العزيز باعوام فاجابت مسؤله وانجزت مأموله وكان في ذلك البستان نخلة كنخلة مريم قد يبست من الهرم ولما تعاورتها يد القدم فلم تصلح الا للضرم فارسل يسأل الصدقات الجزلة أن تهبه تلك النخلة فاستنزل كسرى عقله واجاب قصده وسؤله ووهبه تلك النخلة فكان كل يوم يتوجه اليها ويستظهره ويعتمد عليها وهو في ارغد حال وأنعم بال فبعد عدة شهور طلب الى التوجه الدستور فاستدعاه واكرم مثواه وأجاب قصده ومتمناه وأسبغ عليه نعمه وفضله وساله عن موجب سؤاله النخلة وسبب طلبه الاقامة ثم سؤاله التوجه بالسلامة فقال أما سبب الاقامة بهذا البلد فلجوار مولانا الملك الامجد والاستسعاد بمشاهدة وجهه الاسعد فان طالعه قوي سعيد ومجاورته للسعادة تفيد ويحصل منها لمجاوره المزيد فاردت أن يكون لي منها نصيب ويلاحظني منها سهم مصيب

فان تلم بقفر عادروضا * وان تمرر بملح صار شهدا

وان يخطر ببالك نحس نجم * يعدف الحال من رباك سعدا

فصيرت شهورا لاعوام من ظلها مغمورا بفائض وابلها وطلها اوما طلي النخلة اليابسة فاني تفاءلت بها من حظي مساعدة ومنافسة فكنت أتردد اليها وأعول في ذلك عليها فادامت في فحول كان جدي وسعدي في فحول الى أن رأيتم قد خضرت وأطلعت واستبكرت فأقبل سعدي وجدي وعاد بعد أن مات حيا وساقطت نخلة سعدي من ثمرات السعادة رطبا جنيا فعلمت أن طالعي الهابط عاد الى الاوج ورسول حظي دخل في دينه ناس الايناس فوجا بعد فوج وأرمل جدي ازدوج بكر الآمال وكان لها أحسن زوج كل ذلك أي أعظم ما الملك بسعد فالك وجوار دار جلالك ومشاهدة أنوار جمالك واستماع كلامك وانتجاع كمالك فمن بعد اسعاد السعد كل سهم امل فوقته وفخوشاكلة قصد أطلقته أصبت الغرض وحزت جوهره بلا عرض فاذا اسعف السعد النفس لا يعتريها معه نحس (وانما أوردت) هذا القول يا ذا الكرامة والطول ليعلم الحضار والسادة النظار أن استقامتنا واقبال سعدنا وانتظام امورنا وجدنا انما هو باتفاقات الخواطر الشريفة وشمول أحوالنا بلاحظتها المنيفة واستدامة بركاتها وما من حركاتها كما قيل في ذا القبيل

تلقى الامان على حياض محمد * ثولاء مخرفة وذئب أطلس

لا ذي تخاف ولا لهذا جرأة * تهدى الرعية ما استقام الريس

وكما أن الرعية لا يستقيم حالها الا بالملك الراعي فانها كالراعية لا ينتظم لها أمر الا بالراعي كما قيل

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لها * ولا سراة اذا جهالهم سادوا

كذلك الملك يا ذا الدرجات العليه لا يصير ملكا الا بالرعيه ولو لم يكن العاشق مشوقا لم يكن المعشوق معشوقا ولو لم يوجد الرامق بالامل مرموقا لم يصر الملك المأمول مرموقا وقد دعي هذا المعنى من فرياض المعاني اعني

واحقر صب فيك يهدي سناؤه * كاعظمهم اذ من هواك تعظما * فلا تحتقره ان تعالت قابه

فلولا الهوى ما كنت ملكا معظما * ففي موقف العشاق منك وظيفة * لكل فلا يبقى لها متقدما

وكل له وجه يليق بحاله * وكل له حال يوافيك مغرما * الم تران الله أوجد حكمة

ذبابا وعقبانا و بقا وضيغما * وكل له نفع وضر مخصص * فسبحان من قد خص كلا وراحما

والله تعالى اكمال قدرته واسبال ذيل رحمته خلق الكبير الاعلى محتاجا لخدمة الصغير الادنى وجعل

الحقير الادنى محتاج الرحمة الكبير الاعلى ولهذا أعظم الخلق من خلق الخلق وأحوج الخلق الى الخلق وهو غني عن الخلق وقيل أيها الملك السني الانسان بطبعه مدني وبمقدار كثرة الرعيه واشتراكهم في الصفات المرضيه وانقيادهم لاوامر ملوكهم السنيه تصير درجة الملك عليه كما كان في زمن نبي الله سليمان صلوات الله عليه وسلامه وتحيته واكرامه ولقد جرى في عصره بين الطيور مفاوضة بين اللقلق والعصفور فسأل ملك الآساد عن تلك المفاوضة مبارك الميلاد (فقال) بلغني يا سلطان الاسود ان نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام كان في سيرانه مع خواص أركانه فمر بذلك الطالب على شجرة داب للقلق فيها عش قد بناه كاحسن عش وقد استوكر في عشه عصفور واحتمى بجواره من مؤذيات ابي مذعور فكانا يتصايحان ويتقاولان ويتواصمان ويتصاولان فوقف النبي الكريم واستوقف الجند العظيم ليسمع ما يقولان وينظر كيف يجولان فسمع اللقلق يقول وهو يجول ويصول ويخاطب العصفور تسمع من الطيور اشكر لي حسن الصنيع حيث أنزلتك في حسني المنيع لا يسترق اليك ولا يبارح ينقض عليك ولولا انك عندي مناخا ما أرقت لك الميتة ذاتا ولا فراخا وانما سلمت بجواري وبقربكم من داري فوثب أبو محرز وتوسط الجمع وهو يحمز وينادي بين الاطيار انسيت يا خديج اي جار وانا في المدار حول هذه الديار آناء الليل وأطراف النهار ألقط النمل الكبار والصغار ولولا أنا حارس مناخك ما ابقى لك النمل أثرا ولا فراخك فكل منا محتاج الى جاره مغتبط بجواره آمن به في سربه ومطاره فارفع من بيننا هذا النكد ولا يمن منا احد على احد فالحقوق ما تصنع بين الجيران كما تراعى بين الاصحاب والاخوان وكاند يرتدان ومع هذا فكانا نسلي على نبي الله سليمان ملك الانس والجان وسلطان الطيور وسائر الحيوان فانه بحسن عدله اعتدل الزمان وبين فضله صلح الكائن والمكان ونحن أيضا كذلك نشكر الله رب الممالك اذ من علينا بهذا السلطان المالك ملك الوحوش الاكابر وكاسر السباع الكواسر المشفق على الضعفاء والاصاغر فلم يغفل من فضله سبع ولا طائر ثم نهضوا فوقفوا ودعوا للملك وانصرفوا هذا آخر الباب والله أعلم بالصواب والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

(الباب السادس في نوادر التيس المشرق والكلب الازرق)

(قال) الشيخ ابو المحاسن من ما معارفه خراسان ومن لمعود أرض الفضل من فضائله رواس وفي مشهون بحر العلم من فواضله مواس فابتهج الملك لهذا الكلام وارتاح لما تضمنه من الحكم والاحكام واستزاد انظامه من عقود هذا النظام فقبل الارض في مقام الخدام وقال بلغني يا ملك الانام ان راعيا كان يرعى ثلة من الاغنام وجملة من المعز الجسام وفي ماشيته تيس مطاع كأنه الاتباع وهو قدمها وقائدها وزعيمها وابو نتاجها ومجونماجها واصله من الشرق لم يكن بينه وبين ابليس في الشيطنة فرق اسمه الزنيم التيس الزنيم وكان بواسطة الفحولة والكبر والتقدم في الحضر والسفر يستطيل ويصول وينطح الكباش والوعول ويكسر اصحاب القرون من الفحول فيجرح ضعيفها ويطارح شريفها ويضرب بخالصه الفيها الى ان اباد اعيانها واعجز رعيانها وطال منه المعوق فذهب به الراعي الى السوق ليبيعه ويستريح ويخلص الماشية من شره ويريح فبينما هو يطوف اذا برجل مهول مخوف طويل القامة كبير الهامه كانه زبني القيامه شثن اليدين ازرق العينين اسود الشفتين بثوب وسخ وطرطور سخ وحطه حزوم بسيربزوم فصادف الراعي وهو في السوق ساعي فديده الى التيس وقال بكم هذا يا ابا الكيس فوقع بينهما الاتفاق ووقع الزنيم في شبكة الرباق فتأمل شكل القصاب وصورته المتضمنة بالعجائب فرأى في حزامه من السلاطين معلقا في وسطه عدة سكاكين فدخله الرعب ورجف من الرهب وأدرك بالفراسه انه سيهلكه ويحذف راسه وقال ظني والظن يخطئ ويصيب اني وقعت مع هذا في يوم عصيب وانه قاصد هلاكي ومقيم على السواكي

فقال لهم قد كانت الاسد في أكلها الجمل على ان نجتمع نحن والجمل عند الاسد فنذكر ما أصابه ونتوجع له اهتماما منا بامره وحرصا على صلاحه و يعرض كل واحد منا نفسه عليه تجملا ليأكله فيرد الآخران عليه ويسفهان رأيه ويبينان الضرر في أكله فاذا فعلنا ذلك سلمنا كلنا ورضي الاسد عنا ففعلوا ذلك وتقدموا الى الاسد فقال الغراب قد احتجت أيها الملك الى ما يقويك ونحن أحق ان نهب أنفسنا لك فانا بك نعيش فاذا هلكت فليس لاحد منا بقاء بعدك ولا لنا في الحياة من خيرة فليأكلني الملك فقد طبت بذلك نفسا فاجابه الذئب وابن آوى ان اسكت فلا خير للملك في أكلك وليس فيك شبع قال ابن آوى لكن انا اشبع الملك فليأكلني فقد رضيت بذلك وطبت عنه نفسا فرد عليه الذئب والغراب بقولهما انك لمنتن قذر قال الذئب اني لست كذلك فليأكلني الملك فقد سمحت بذلك وطبت عنه نفسا فاعترضه الغراب وابن آوى وقالا قد قالت الاطباء من أراد قتل نفسه فليأكل لحم ذئب فظن الجمل انه اذا عرض نفسه على الاكل التمسوا له عذرا كما التمس بعضهم لبعض الاعذار فيسلم ويرضى الاسد عنه بذلك وينجو من المهالك فقال لكن انا في للملك شبع وري ولحمي طيب هني وبطني نظيف فليأكلني الملك ويطعم أصحابه وخدمه فقد رضيت بذلك وطابت نفسي عنه وسمحت به فقال الذئب والغراب وابن آوى لقد صدق الجمل وكرم وقال ما عرف ثم انهم وثبوا عليه فمزقوه وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم انه ان كان أصحاب الاسد

قد اجتمعوا على هلاكي فاني لست أقدر ان امتنع منهم ولا احترس وان كان رأي الاسد لي على غير ما هم عليه من الرأي في فلا ينفعني ذلك
ولا يغني عني شيئا وقد يقال خير السلاطين من عدل في الناس ولو ان الاسد لم يكن في نفسه لي الا الخير والرحمة لغيرته كثرة

الاقاويل فانها اذا كثرت
لم تلبث دون أن تذهب
الرقة والرأفة الا ترى أن
الماء ليس كالقول وان
الحجر أشد من الانسان
فالماء اذا دام انحداره على
الحجر لم يلبث حتى يثقبه
ويؤثر فيه وكذلك القول
في الانسان (قال دمنة)
فماذا تريد أن تصنع
الآن قال شتربة ما أرى
الا الاجتهاد والمجاهدة
بالقتال فانه ليس للمصلي
في صلاته ولا للمتصدق في
صدقته ولا للورع في
ورعه من الاجر ما للمجاهد
عن نفسه اذا كانت
مجاهدته على الحق (قال
دمنة) لا ينبغي لاحد أن
يخاطر بنفسه وهو
يستطيع غير ذلك ولكن
ذا الرأي جاعل القتال
آخر الحيل وبادئ قبل
ذلك بما استطاع من
رفق وتمحل وقد قيل
لا تحقرن العدو الضعيف
المهين ولا سيما اذا كان
ذا حيلة ويقدر على
الاعوان فكيف بالاسد
على جراءته وشدته فان
من احتقر عدوه لضعفه
اصابه ما أصاب وكيل
البحر من الطيطوى قال
شتربة وكيف كان ذلك
(قال دمنة) زعموا ان
طائرا من طيور البحر

يقال له الطيطوى كان وطنه على ساحل البحر ومعه زوجة له فلما جاء أوان تفريخهما قالت الانثى للذكر لو التمسنا
مكانا حريزا نفرخ فيه فاني أخشى من وكيل البحر اذا مد الماء ان يذهب بفراخنا فقال لها الذكر فرخي مكانك فانه موافق لنا والماء والزهر منا

فالاولى الاحتراز والتأهب قبل زمان الجزار فان حصل خير فاف الاحتراز ضير وان وقع على الاهلاك العزم فاتاني سيفه بما أعددته من ترس الحزم فوزن الجزار الثمن وشد الزنيم بالرسن واتى به مطابخ فقطعها الى مسالخ فشم رائحة الزهومة واحس من الجزار نكده وشؤمه فلما دخل المسلخ ورأى القصابين هذا يذبح وهذا يسلخ واللحم شقات على الجدران معلقات وانهر الدماء كدموع العشاق جارية ورؤس الغنم وجلودها واكارعها كل كاشة هذه الكاشة في ناحية وهذه الكاشة في زاوية فرجف قلبه وازداد رعبه والتجأ الى الله تعالى وتاب اليه مما عليه من الذنوب مالا فما واطأ القصاب المصارع ان شد من المشرق الاكارع وجدله على البداله واخرج لذبحه الآله فلما رأى هذه الحالة تحقق ما كان ظنه فاستحضر باله وايقن انه هالك لا محالة فنظر الى القصاب وذكر ما قيل في حق الساب

نظروا الملك باعين شزرة * نظر التيوس الى شفار الجازر

فوجد السكين كالة ليس للذبح بها حيلة فطلب المسن ليحدها ويريح ذبيحته ان حدها فتركه وذهب للمسن وقد تحقق الزنيم ما كان ظن فتنفس له البلاء وارتخى عنه عقد القضاء فتمطى في رباط الاكارع فرقه بحبل قاطع ثم وثب وقصد الهرب وخرج من الباب وصاحوا عليه هراب فلم يلتفت الى الصوت وفر فراره من عاين الموت وطلب الخلاص وطريق الفضاء فادى به الذهاب الى بستان بجوار بيت القصاب فدخل البستان وامتد في الجريان والقصاب وراءه بهيئة المهولة والسكين في يده مسلوله وكان قبل هذا الزمان بين زوجة القصاب وصاحب البستان ما يكون بين الرفقاء والاخدان وكانت كلما وجدت فرصه بحالة البستاني من نفسها خاصه تنزل من بيتها الى بيته وتقتبس سراجها من فتيلة قنديله وزيته فاتفق ان في تلك الحال طلب كل من المحبين الوصال وكان زمان اشتغال اللحام بالمعاملة مع الخاص والعام فلا اشتغال وهله لا يتردد فيه الى اهله فاغتنمت الزوجة غفلة الرقيب ونزلت من بيتها الى بيت الحبيب فكانا آمنين وقد تما انقاطعت وحدة باسمين فاتفق ان الهارب من الموت ودواهيه أخذ على مكان هما فيه والقصاب يتبعه رافعا يده والسكين في يده مجرده فلم تشعر الا وزوجها رافع الصوت واقف على رأسهما وبيده آلة الموت وما شعر بدواهيهما حتى عثر عليهما فقفز كل منهما من مكانهما مفتضحين في مكانهما فاشتغل القصاب بنفسه والتهى بفضيحته عن تيسه وكان الناس تابعيه فوقفوا على ما وقع فيه وقامت الغوغاء وقعدت للمارة من البلاء فتفرس الفرصة من الردى فلم يزل في ميدان الجري ذاهلا عما جرى حتى وصل الى ثغرة خرج منها الى الصحرا فانقطع عن ذلك الجني تابعه ولم يجد من شياطين الانس رائيه وسامعه فانتهى به المسير في تلك الصحارى والقفار الى جبل غاوي فيه الى غار كان ياوي اليه مع المواشي أوان الامطار فامسى فيه تلك الليلة الى وقت الاسفار

فلما رأى الليل الجون صبحه * تبسم فافترت تباشير ثغره

فلما أصبح الصباح خرج الى السراح وهو في نشاط ومراح وجعل يرتاد انيسا ليكون له جليسا أو رفيقا صالحا أو صديقا ناصحا يتأنس به في الغربه ويستريح بانامل مؤانسته ثقل الكرب به وما يحصل على جبين راحته من عرق الغربه وبينما هو يقشر البيداء ويطوي اذ سمع نباح كلب يعوي فترجى الخير وزوال الضير ثم قصد نحوه فرآه مقبلا من نحوه فناداه اهلا بأحسب الاحباب وأعز الاصحاب المفضل على كثير من ابناء الشباب فلما دنا منه بادر الى عناقه وتباكى لالم فراقه فتعانقا تعانق المحبين وتباثا ما بثه من محنة البين ثم قال له اعلم يا لطيف الحركات وكثيف البركات ان كلانا غريب وكل غريب للغريب نسيب وانا قد تفرست فيك وما تكاد فراستي تخطيك انك رفيق صالح وشفيق ناصح وأحسن مليح مصالح وفي طريقة اخوان الصفا قيم ورابح وان كانت الجنسية بيننا مختلفة لكن القلوب بحمد الله تعالى مؤتلفه وكم لك من أياد سابقه وصدقات متناسقه وكم حططنا في المراعي وتقاسمنا الحظ ثم تنابعين وأنت لحظنا

ساعي

راعي غنم سرحنا من الغداة الى الرواح ومن المساء الى الصباح فاخبرني ما شأنك واين مكانك وما اسمك وما صنعتك ورسمك ومجيئك من اين وما حاجتك في البين قال اما اسمي فيسار واما مكاني فبلاد التتار وصنعتي راعي وسبب مجيئي ضياعي ولي صاحب اسمه اقرق من دشت قبجاق بن شقرق كنت في خدمته راعي ماشيته فضللت رعيتي وضيعت حرمتي فانا اطلب ولي نعمتي لا عود من وصمة الجفاء سعيي فهذا شأني وجل بغيتي قال الزنيم انا من حين شاهدت في وجهك الانوار علمت انك يسار وانك معدن الذكاء والالقاب تنزل من السماء واما طلبك لصاحبك ورعيتك فانه دال على كمال مروءتك ولا ينكر لك الوفاء فان بينك وبينه الوفاء مقام الصدق والصفاء ولم يقع بينكما قط عدم ولا جفاء وشهرتك بحمد الله بجميل الصفات التي قلما تجتمع في زكي الذوات ولا تتصف الا الاولياء والبررة المبرزين الاصفياء من المسكنة والقناعة والجراءة والشجاعة وحفظ العهود والوفاء وكسر النفس والصفاء وعدم الحقد والحسد واطراح العجب والنكد والحراسة والسهر وقيام الليل الى السحر والتودد الى الناس حتى قال فيك ابن عباس كلب امين خير من صديق خؤون وعندك من التهذيب وقبول التعلم والتأديب ما يصير صيدك مذكى وسنك كالشفرة زكي وفي شأنك باذل الوفاء والمنعه قال الحرث بن صعصعه

وما زال يرعى ذمتي ويحوطني * ويحفظ عرسي والخليل يخون
فيا عجبا للخل يهتك حرمتي * ويا عجبا للكلب كيف يصون

ومن هذا الضرب ما رواه احمد بن حرب عن ذي العتاب منادم الكلاب ان الكلب يكف عني اذاه ويكفيني اذى سواه ويشكر قليلي ويحفظ مبيتي ومقيلي فهو من بين الحيوان خليلي ثم قال احمد بن حرب تمنيت والله اني اكون مثل هذا الكلب لاحوز هذه الصفات وارقى هذه الدرجات وارجو الله تعالى ان يعطفك علي ويقلب قلبك ودا ويميل بك الى حيث ترغب في صحبتي وتميل الى صداقتي فترى اذ ذاك مني بحمد الله تعالى من الاخوة والصداقة والمروة والرفاقة ما تنسى به كل صديق وتفضل به الصاحب الجديد على العتيق فتترك سائر اصحابك وتتنحى عن اعزائك واحبابك خصوصا بني آدم الذين انت بهم اعلم من اذهبت عمرك في خدمتهم والقيام بحقوقهم وحفظ حرمتهم وحراسة مواشيهم ودورهم وكمال فضلك في حراسة بيوتهم وقصورهم ورعاية رعاياهم وصيانة اهلهم وجيرانهم مع قناعتك منهم بما يفضل عنهم من كسرة خبز شعير او عظم يابس كسير او فضلة مرقة قليل واضاعتهم حقوق خدمتك ونسيانهم موجبات شفقتك حتى لو وصل قلبك الى زادهم او الى شيء من عتادهم رموك بالحطب ورضخوا رأسك بالحجارة والخشب ولو ولغت في انائهم او شربت من مائهم ما قنعوا بتنظيفه وتطهيره وتنظيفه مرة ولا مرتين ولا اكتفوا بازالة ذلك بالماء بل دونوا الغسل بالاسباب وعفروا الوعاء بالتراب ويعدون ذلك من التعبد ولا يرعون ما لك من حق وتردد وانا ارجو ان ترتفع منزلتك وتعلو درجتك وتساعدك رتب العروش حتى تصير سلطان السباع وملك الوحوش واجتهد في هذه القضية الى ان ابلغ هذه الامنية واكون السبب في ذلك الى ان تصير رئيس الممالك فاذا كان على مقاليدها وقد لاحت سعودها طالعنا آمنين في ظل حراستك ورعيتك وسعيت ومكنتنا في كنف حمايتك واستأنسنا بك في الدارين قال الشاعر

يتاول فيها ما الله يعطنا * فنحن باوفى شكرها نتعهدها

قال يسار يا اخي جميع ما قررته مقبول داخل في الفضل خارج عن الفضول ولكن انا من جنس السباع مجبول على ما لهم من الطباع ومع هذا فانا عدوهم وسبب زوال عددهم وانا لم اعادهم الا فيكم ولا واليت الا في ناديكم فاني تربيت بينكم وعرفت مقارنة بينكم وانا اليكم اقرب منهم اليهم ومعولي عليكم دون معولي عليهم وعلى هذا وجدت آبائي واجدادي ونشأت من حين ميلادي ولا رجوع عن طريقه

قريب قالت له يا غافل احسن نظرك فاني اخاف وكيل البحر ان يذهب بفراخنا فقال لها افرخي مكانك فانه لا يفعل ذلك فقالت له ما اشد تعنتك اما تذكر وعيده وتهدده اياك الا تعرف نفسك وقدرك فابى ان يطيعها فلما اكثرت عليه ولم يسمع قولها قالت له ان من لم يسمع قول الناصح يصيبه ما اصاب السلحفاة حين لم تسمع قول البطتين قال الذكر وكيف كان ذلك (قالت) الانثى زعموا ان غديرا كان عنده عشب وكان فيه بطتان وكان في الغدير سلحفاة بينها وبين البطتين مودة وصداقة فاتفق ان غيض ذلك الماء فجاءت البطتان لوداع السلحفاة وقالتا السلام عليك فانا ذاهبتان عن هذا المكان لاجل نقصان الماء عنه فقالت انما يبين نقصان الماء على مثلي التي كأني السفينة لا اقدر على العيش الا بالماء فاما انتما فتقدران على العيش حيث كنتما فاذهبا بي معكما فقالتا لها نعم قالت كيف السبيل الى حملك قالتا نأخذ بطرفي عود وتتعلقين بوسطه ونطير بك في الجو واياك اذا سمعت الناس يتكلمون ان تنطقي ثم اخذتاها فطارتا بها في الجو فقال الناس عجب سلحفاة بين بطتين قد حملتاها فلما سمعت ذلك قالت فقأ الله اعينكم ايها الناس فلما فتحت فاها بالنطق وقعت على الارض فماتت فقال الذكر قد سمعت مقالتك فلا تخافي وكيل البحر فلما مد الماء ذهب بفراخهما فقالت الانثى قد عرفت في بدء الامر ان هذا كائن قال الذكر سوف انتقم منه ثم مضى الى جماعة الطير فقال لهن انكن اخواتي وثقاتي فاعنني قلن ماذا تريد ان تفعل قال تجتمعن وتذهبن معي الى سائر الطير فنشكو اليهن ما

الآباء دليل على العقوق والاباء وهو أمر مذموم وهذا شيء معلوم وقد قال صاحب الشرع الحب يتوارث
والبغض يتوارث ولكن يا سليم الطباع وخصيب الرباع قولك تصير سلطان السباع سخرية مني واستهزاء
ولا أستحق منك هذا الجزاء فان معنى هذا القول أمر مستبعد بل مستحيل ان ابا طاهر نجس العين فاني
من اين وهذا الهوس من اين فان اردت اعانتي على ذلك وتكفلت لي برياسة الممالك فكلانا في هذا
الهوى سواء وان صممنا على ذلك فالجنون ما له دواء وهذا الوسواس من خيالات الافلاس وفي مثل هذا
الحال قال من صدق في المقال * لا خيل عندك تهديها ولا مال * وأنا اعلم انما تتكلم بما يطيب خاطري
ويسر سرائري ويقربك في الحب من ضمائري قال المشرقي لا تقل ذلك يا تقي فانا شاهدت في جبينك
مخايل السياده ومن شمائلك قاطر السعاده وقد قيل بافضيل المرء يطير بهمته كما يطير الطير بجناحه أما
بلغك يا خير عالم ما رواه الشيخ علاء الدين بن غانم ذو الفضل الكثير عن تاج الدين بن الاثير قال يسار
أخبرني بهذه الاخبار (قال) قال ابن الاثير وهو بالرواية خبير محرز ابدي المعاني عن الامير حسام الدين
البركة خاني قال كنت في عصر الشباب اصحب من صالحي الشباب الملك المظفر قطر المعظم وكان
نشداشي وبرؤيته انتعاشي فكنا ونحن صبيان كالنباطين بان غيرانا كنا في قمله فكنت افلي قمله واسرح
رأسه واذهب باسه وتقدمت اليه بالشرط عليه ان يعطيني لكل قملة فلسا او اصفعه صفعة ماسا ففي
بعض الاوقات اخذت عنه قملا كثيرا وصفعته صفعات وقلت في غضون ذلك ونحن في حال حالك اتمنى
على الله عز وعلا ان يعطيني امرة خمسين رجلا فقال لي طب خاطرك وسر سرائرك فاني انا لك سؤالك
واعطيك سؤالك وأجعلك أمير خمسين فارسا فانشر ولا تكن عابسا فصفعته صفعة وقلت ويلك انت
تعطيني امرة ورقه قال نعم واغمرك بالنعم فصفعته أخرى وازددت نكرا فقال لي علام وغمس السله
يا قليل اليقين اتريد شيئا غير امرة خمسين انا والله أعطيك وأعليك على ذويك فقلت ومن اين لك تعطيني
وترضيني فقال املك هذه الديار واكسر التتار وأهل الكفرة والعلوج دار البوار فقلت له يا مفتون
انت مجنون أبقملك وقلك وفقرك وذلك تملك الديار المصريه وتصير سلطان البريه قال نعم ولا تعمل
زعم فاني رأيت في المنام النبي عليه الصلاة والسلام وقال لي أنت تملك الديار المصريه وتكسر التتر ولا شك
فيما يخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من خبر قال فامسكت عنه لاني كنت أعرف الصدق منه ثم تنقلت
به الاحوال وتنقل الى ان بلغ الكمال وملك هذه الديار ثم كسر على عين جالوت التتار واعطاني ما وعدني
به وارضاني (وانما أوردت) هذا المثال لتعلم ان سلطنتك غير محال وانا ارجو الله تعالى ان ييسر لي
القيام بجميع ما قلته لك يا امام وانا اجلسك على السرير واقيم في خدمتك الكبير والصغير وارفع راية
مراسيمك وانفذ أوامرها في ممالكك واقاليمك واجعل جنود الوحش تحت رايتك واقاليم القفار كلها
تحت ولايتك ولكن بشرط ان تتبع ما اراه ولا تخرج عن طوره ولا تتعداه وتعمل بكل ما اشير اليه
ومهما ارشدتك اليه تعول عليه فقال انا طوع يديك وجميع اموري منك واليك فقل فاني سامع
ولامرك طائع فانهض وحاني هذه الاماني عسى يصير هذا الباطل حقا وينقلب هذا الكذب صدقا وقل
ما تقتضيه لاتبعه وارتضيه قال ترجع عما انت عليه من الاخلاق السبعيه والاوصاف الكلبيه من
الحرص والشره والتكالب والنره والنفس المتنمره والطبيعة المذمره وتصوم عن الدماء واللحوم وعن
تمزيق الحيوانات وتفريق الجماعات وتحمل النفس على الاخلاق الجميله والتلبس بالاوصاف الفضيله
من العفة والكرم والعفو عن ظلم والقناعة بالنبات عن لحوم الحيوانات ومعاملة الكبير والصغير
بالفضل الكثير والبذل الغزير وتلافي خاطر الخطير والحقير ليسهل العسير وينقاد لك المأمور منهم والامير
وهذا امر عليك يسير وهذا الان طالما جرحت جوانحهم وكسرت جوارحهم واصطدت سارحهم وابدت

ما لقيت من وكيل البحر ونقول اهن انكن طيره مثلنا فاعننا فقلن له جماعة الطيران العنقاء هي سيدتنا وملكتنا فاذهب بنا اليها حتى نصيح
بها فتظهر لنا فنشكو اليها ما نالك من وكيل البحر ونسألها التي تنتقم لنا منه بقوة ملكها ثم انهن ذهبن اليها مع الطيطوى
فاستغثنها وصحن بها
فتراءت لهن فاخبرنها
بقصتهن وسألنها ان
تسير معهن الى محاربة
وكيل البحر فاجابتهن الى
ذلك فلما علم وكيل البحر
ان العنقاء قد قصدته في
جماعة الطير خاف من
محاربة ملك لا طاقة له به
فرد فراخ الطيطوى
وصالحه فرجعت العنقاء
عنه * وانما حدثتك
بهذا الحديث لتعلم ان
القتال مع الاسد لا اراه
لك رأيا قال شتربه فما انا
بمقاتل الاسد ولا ناصب
له العداوة سرا ولا علانية
ولا متغير له عما كنت عليه
حتى يبدو لي منه
ما اتخوف فاغاظه فكره
دمنة قوله وعلم ان الاسد
ان لم ير من الثور العلامات
التي كان ذكرها اتهمه
وأساء به الظن فقال
دمنة لشتربه اذهب الى
الاسد فستعرف حين
ينظر اليك ما يريد منك
قال شتربه وكيف أعرف
ذلك (قال دمنة) سترى
الاسد حين تدخل عليه
مقعيا على ذنبه رافعا
صدره اليك مادا بصره
نحوك قد صر اذنيه
وفغر فاه واستوى للوثبة
قال شتربه ان رأيت
هذه العلامات من الاسد
عرفت صدقك في قولك ثم ان دمنة لما فرغ من تحميل الاسد على الثور والثور على الاسد توجه الى كليلة
فلما التقيا (قال كليلة) الام انتهى عملك الذي كنت فيه (قال دمنة) قريبا من الفراغ على ما احب وتحب ثم ان كليلة ودمنة انطلقا جميعا

بارحهم

ليحضرا قتال الاسد والثور وينظرا ما يجرى بينهما وينايناما يؤول اليه امرهما وجاء شتربه فدخل على الاسد فرآه مقعيا كما وصفه له دمنه فقال ما صاحب السلطان الا كصاحب الحية التى فى مبيته ومقيله فلا يدرى متى تهيج به ثم ان الاسد نظر الى الثور فرأى الدلالات التى ذكرها له دمنه فلم يشك انه جاء لقتاله فواثبه ونشأ بينهما الحرب واشتد قتال الثور والاسد وطال وسالت بينهما الدماء فلما رأى كليلة ان الاسد قد بلغ منه ما بلغ قال لدمنه انما السلطان باصحابه والصبر بامواجبه وما عقلى وتاديبك اياك الا كما قال الرجل للطائر لا تلتمس تقويم من لا يستقيم ولا تعالج تاديب من لا يتادب (قال دمنه) وكيف كان ذلك (قال كليلة) زعموا ان جماعة من القردة كانوا سكانا فى جبل فالتمسوا فى ليلة باردة ذات رياح وامطار نارا فلم يجدوا فرأوا يراعة تطير كانها شرارة من نار فظنوها نارا وجمعوا حطبا كثيرا فالقوه عليها وجعلوا ينفخون طمعا ان يوقدوا نارا يصطلون بها من البرد وكان قريبا منهم طائر على شجرة ينظرون اليه وينظر اليهم وقد رأى ما صنعوا فجعل يناديهم ويقول لا تتعبوا فان الذى رأيتموه ليس بنار فلما طال ذلك عليه عزم على القرب منهم لينهاهم عما هم فيه فمر به رجل فعرف ما عزم عليه فقال له لا تلتمس تقويم ما لا يستقيم فان الحجر الصلب الذى لا ينقطع لا تجرب عليه السيوف والعود الذى لا ينحنى لا يعمل منه القوس فلا تتعب فابى الطائر ان يطيعه وتقدم الى القردة ليعرفهم ان اليراعة ليست بنار فتناوله بعض القردة فضرب به الارض فمات ＊ فهذا مثلى معك فى

بارحهم فهم منك متخوفون والى الايذاء والضر منك متشوفون واذا رأوا شيئا خلاف العاده وعلموا ان ولايتك فيهم الحسنى وزياده واصابوا الخير من مواقع الخير ورأوا ما امروا به من مواضع الشر والضر تشرب محبتك منهم الكبير والصغير وانهالك ان يراك من الوحوش الصبر والنفير فيتخذك الغريب حبيبا ويصير البعيد منك قريبا فتصيد بالمحبة ارواحهم كما كنت اولا تبيد اشباحهم واذا ضرب صيتك فى الارض وتردده بالطول والعرض وتسامعت بك الوفود وتحققوا انك عدلت عن خلقك المعهود اقبلت اليك منهم الجنود وزان بهم جنودهم من جواهر محبتك عقود وانعقدت بينكم بالمحبة والولاء عقود العهود فتوفرت اذ ذاك جنودك وعلت على رؤس الاقران راياتك وبنودك وحصلوا ادارك ماواهم وصالك مصيفهم ومشتاهم مع ان هيبتك فى قلوبهم مركوزه واسنة مخافتك فى احشائهم من قديم الزمان مغروزه واعلى من فيهم يهابك ويخشاك ويتوقى مكانك ويتحاشاك قال بسار اعلم يا خيرسار ان حبال الآمال ومطامع الخيال ما لم تتعلق بمأمول ولم ترتبط باطراف سول فالنفس ساكنه والروح مطمئنة هادئه والقلب فرح والخاطر منشرح اذ الطمع ذل وشين واليأس احدى الراحتين ومتى تعلقت بذيل المطامع مخاليب الآمال وبلغت الى حصول مأمول الخيال وقامت النفس فى تحصيله وتحركت الجوارح لنيل مأموله وانبعثت الهمة الى ادراكه وتعلق القلب بسيراف لاكه توزعت الافكار وتفرقت وتوزعت الخواطر وتمزقت وركب لذلك كل صعب وذلول وتقاذفت النفس فى كل مخوف ومهول وتقالت بحال قول القائل

اذا لم يكن عون من الله للفتى ＊ فاول ما يجنى عليه اجتهاده

ثم اذا لم يحصل المأمول ولم تبلغ والعياذ بالله النفس السول مع بذل هذا الجهد والمبالغة فى السعى والكد ومقاساة التعب ومعاناة النصب ترادف النكد وتضاعف السهد وصارت النفس لهذا الحد وكان فى جميع حالاتها من فوات المقصود سبل من مسد فلا تزال بين تشويش ضمائر وتقسيم خاطر وفكر غائب وهم حاضر وهذا الامر الذى عزمت عليه وهممت بالترقى الى الوصول اليه الى عدم الحصول اقرب منه الى الوصول وانا اخاف وذا غير خاف ان يثمر لنا الطمع فى هذه الحركه فينتزع من فراغ اوقاتنا البركه ولا يحصل الا على مثل ما حصل للمالك الحزين من السمكه قال الزنبم نبئنى ايها العليم بذلك المثل القويم (قال) بلغنى انه كان فى مكان مكين ماوى المالك الحزين وفى ذلك المكان غياض وغدران تضاهى رياض الجنان

حكى بانها قد البيب تمايلا ＊ غصن وفى هذا الغصون تغننا

فدار عليه النهر وهو مسلسل ＊ فقده اذ قد غصن وتثنيا

وفى مياهه من السمك ما يفوق ساعات السماك فكان ذلك الطير فى دعة ونعيم يزجى الاوقات بطيب الاقوات وكلما تحرك بحركه كان فيها بركه حتى لو غاص فى تلك الانهار والغدران لم يخرج الا وفى منقاره سمكه فاتفق انه فى بعض الآناء تعسر عليه اسباب الغذاء وارتج لفوت قوته ابواب العشاء فكان يطير بين عالم الملك والملكوت يطلب ما يسد الرمق من القوت فلم يقع عليه شئ من اعلى السماك الى اسفل الحوت وامتد هذا الحال عدة ايام وطال نغاص يوما فى الرقراق يطلب شيئا من الارزاق فصادف سمكة صغيرة قد عارضت مصيره فاختطفها ومن بين رجليه التقفها ثم عمد الى ابتلاعها واقصد الى ابتلاعها فادركت زاهق نفسها قبل استقرارها فى رمسها فنادت بعد ان كادت ان تكون بادت ما ايها الغوث وده والعصفور ودعه اسمع يا جار الرضا ومن عمر بالف مونه انقضى لا تعجل فى ابتلاعى ولا تسرع فى ضياعى ففى بقائى فوائد وعوائد عليك عوائد وهو ان ابى قد ملك هذا السمك فالكل عبيده ورعيته وواجب عليهم طاعته ومشيئته ثم انى واحد ابوى واريد منك الابقاء على فان ابى نذر النذور حتى يحصل له بوجودى السرور فما فى ابتلاعى كبير فائده ولا اسد لك رمقا ولا اشغل لك معده فتصبر مع ابى القليل

كما قيل فافقرني فيمن أحب ولا استغني فالاولى ان اقرع سنك واعرف ما بين أبي وبينك فاكون سببا لعقود
المصادقة وفاتحا لاغلاق المحبة والمرافقة ويحصل لك الجميل والمنة التامة والفضيلة واما انا فاطلب منك ان
أعتقتني ومننت واطلقتني ان أتكفل لك كل يوم بعشر سمكات بيض سمان وكانت تأتيك مرفوعة
غير ممنوعة ولا مقطوعة برسلها اليك أبي مكافأة لما فعلت بي من غير نصب منك ولا وصب ولا كد تتحمله
ولا تعب فلما سمع الباشون هذا الحون اغراه الطمع فتابع فيها واوراها ثم قال لها اهدي هذه الرمزه
فبمجرد ما فتح فاه بالهمزه اغاصت السمكة منه بجمزه وغاصت الماء وتخلصت من بين فكي البلاء ولم يحصل
ذلك الطماع الاقطع الاطماع (وانما اوردت) يا ذا الدرايه هذه الحكايه لتتامل عقبى هذا الامر قبل الشروع
فيه وتتدبر فيه منتهى أواخره في مباديه فقد قيل أول الفكر آخر العمل (قال المشرقي) اعلم يا مرتقي ان
مبنى الامور في مجاريها وقواعد ما أسس عليه مبانيها تقدير خالقها وتدبير باريها وما حكمه وقضاه
وأحكمه وأمضاه لكنه كتمه وأخفاه فلا تدركه العيون والابصار بل ولا البصائر والافكار فانه علم غيب
وجهلنا به ليس بعيب لانه تنزه أحداً عينا قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً كما قيل

على المرء أن يسعى ويبذل جهده * وليس عليه ان يساعده الدهر
فان نال بالسعي المنى تم أمره * وان غلب المقدور كان له عذر

وان الله العلي الاعظم قد وضع أساس بنيان العالم على الاسباب وفتح لتعاطي الاسباب الابواب فقال ذو
الجلال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وقال القائل

اذا ما كنت في أمر مروم * فلا تقنع بما دون النجوم
يرى الجبناء أن العجز حزم * وتلك خديعة الطبع اللئيم
فطعم الموت في شئ حقير * كطعم الموت في شئ عظيم

وقال عليه الصلاة والسلام علو الهمة من الايمان والمرء يسعى في تحصيل مرامه ولا يترك شيأ من أسباب
قيامه فان ساعده القدر بقدره انقاد اليه مرامه بشعره وكان معانده مساعده ومقاومه معاضده كما قيل

واذا اراد الله نصرة عبده * كانت له أعداؤه انصارا

فيساعده اذ ذاك الكون والمكان ويمضي سهم أوامره رامي القضاء من قوس الزمان فيقيض له المساعد
ويتمهد له المقارب والمباعد وحسبك يا ذا الصوله ما اتفق من السعد لعماد الدوله فسل به يسار عن سرد
هذه الاخبار (قال) كان رجل صياد له ثلاثة أولاد كانهم حملك وقوتهم السمك تقلبت بهم الاحوال
حتى صاروا برياستهم على الدنيا احمال وانتهوا في الرياسه وساسوا الخلق احسن سياسه وانتشر امرهم
وطاب في الدهر ذكرهم وجاملكوه العراقان والاهواز وفارس وسرتها شيراز اكبرهم أبو الحسن علي بن
بويه الملقب بعماد الدوله وكان في السلطنة ذا جولة وصوله ولما انتهت أيام خموله واتصل بالسعد
أسباب وصوله حل ركابه بشيراز وصعد الى حقيقة الملك من المجاز ووفدت عليه الوفود واطاعته
جموع الجنود وطالبه أهل المراتب بالرواتب والرواملك بالجوامك والرفاق بالانفاق والاجناد
بالارفاد وأرباب الولايات بالخلع والجرايات وأصحاب الاقامات بالنفقات والانعامات ولم يكن في
خزائنه من ظاهر المال وباطنه ولا في ذخائره من ظاهر الرفد وضمائره ما يسد رمقهم ويرد شرقهم
فتراكمت همومه وتصادمت غمومه وتوالت افكاره وتجاذبه من بحر الحيرة دردوره وتياره لان
أمره كان في مباديه ولم يساعد في هواديه وقد قصرت عن طول الطول اياديه واشرف امره على الاختلال
وما له على الاضمحلال ووقع في يوم لا بيع فيه ولا خلال فدخل الى مكان خال وهو مشغول البال
فاستلقى فيه على ظهره وغرق في بحار فكره فبينما هو يلاحظ السقوف وأفكاره بين تردد ووقوف
واذا بحية قد خرجت من السقف من مكان آخر ودخلت في مكان آخر وولجت فوثب واقفا

ذلك ثم قد غلب عليك الخب والفجور وهما خلتا سوء والخب شرهما عاقبة ولهذا مثل * قال دمنة وما ذلك المثل (قال كليلة) زعموا ان خبا
ومغفلا اشتركا في تجارة وسافرا فبينما هما في الطريق اذ تخلف المغفل لبعض حاجته فوجد كيسا فيه ألف دينار فأخذه
فاحس به الخب فرجعا
الى بلدهما حتى اذا دنيا
من المدينة قعدا لاقتسام
المال فقال المغفل خذ
نصفها واعطني نصفها
وكان الخب قد قرر في
نفسه ان يذهب بالالف
جميعها فقال له لا نقتسم
فان الشركة والمفاوضة
أقرب الى الصفاء والمخالطة
ولكن آخذ نفقة وتأخذ
مثلها وندفن الباقي في
أصل هذه الشجرة فهو
مكان حريز فاذا احتجنا
جئنا انا وانت فنأخذ
حاجتنا منه ولا يعلم
موضعنا احد فاخذا منها
يسيرا ودفنا الباقي في
أصل دوحة ودخلا البلد
ثم ان الخب خالف المغفل
الى الدنانير فأخذها
وسوى الارض كما كانت
وجاء المغفل بعد ذلك
بأشهر فقال للخب قد
احتجت الى نفقة فانطلق
بنا نأخذ حاجتنا فقام
الخب معه وذهبا الى
المكان فحفرا فلم يجدا
شيأ فأقبل الخب على
وجهه يلطمه ويقول
لا تغتر بصحبة صاحب
خالفتني الى الدنانير
فأخذتها فجعل المغفل
يحلف ويلعن آخذها ولا
يزداد الخب الا شدة في
اللطم وقال ما اخذها
غيرك وهل شعر بها احد سواك ثم طال ذلك بينهما فترافعا الى القاضي فاقتص القاضي قصتهما فادعى الخب ان

ورقب
المغفل أخذها وجحد المغفل فقال للخب الك على دعواك بينة قال نعم الشجرة التي كانت الدنانير عندها تشهد لي أن المغفل اخذها وكان

ورقب خائفا الا تسقط عليه ويصل أذاها اليه ودعا الفراشين وجماعة فتاشين بمعاول النباشين
وأمرهم بنصب السلم والفحص عن الارقم وتتبع آثارها واطفاء شرارها فصعدوا المهالك
وحفروا ذلك المكان وخرقوا سقفه فانفتحت لهم غرفة كانت خباياها تقدمه وضع فيها دنانيره
ودراهمه وفيها عدة صناديق محكمات التوفيق والغالق فاطلعوه على تلك الخبيه والتموا عن طلب
الحية الخبيه فأمرهم فنقلوها اليه ووضعوها بين يديه فاذا فيها من الذهب النضار خمسمائة الف دينار
فعرف ان ذلك عناية ربانية ومواهب صمدانية فصرف المال في اصلاح حاله وبذره في مزارع
قلوب خدمه ورجاله فثبتت أوتاده واستقامت أعماده وقويت سواعده وأعضاده وكان أمره قد أشرف على
الاختلال وعقد نظامه على الانفراد والانحلال وكان من تمام هذه السعادة وتعقيب هذه الحسنى بالزيادة
ان الملك المذكور بعد هذه الامور وحصول هذا السرور وانتظام مصالح الجمهور أراد تفصيل قماش
وخياطة خلع ورياش فطلب خياطا ثقة لعمل هذه الخلعة فارشد الى خياط ماهر شكله زاهر وفضله
ظاهر وحذقه في صناعته باهر الا انه اطروش حتى كأنه بذي الوقر مدهوش فأوصل ملك الكلام الى سرير
مسامعه الاترجمان وجاووش فدعاه فأجلسه بين يديه وطلب الثياب ليعرضها عليه فتصور الخياط انه
سعي به اليه بسبب وديعة كانت لصاحب الملك لديه وانما طلبه لطالبه بها فما ان يؤديها أو يعاقبه فتقدم
باليمين مثل المصارعين واقسم بالله خالق المخلوق ورازق المرزوق انها اثنا عشر صندوق لم يشعر بها مخلوق
وانه لا يدري ما فيها وانها مختومة بختم معطيها فتعجب عماد الدولة من كلامه وحمد الله شاكرا على انعامه
ثم بعث معه من أتى بها ودخل الى بيوت ما فيها من أبوابها فكان ما فيها من الاموال ونفائس القماش
المال جمل متكاثره واصناف متوافره واستولى على ذلك كله وثبت بواسطة المال في ركاب الملك واطلق
نعله (وانما أوردت) هذا التنظير يا ذا الرأي والتدبير لتعلم أن مسبب الاسباب وميسر الامور الصعاب اذا
دبر مصالح عبده وشمله باحسانه ورفده هون عليه كل عسير ومفر عنده كل كبير وانت بكل هذا بصير
قال يسار صدقت وبصوابا نطقت ولكنني نظرت الى الدنيا ووزنت أحوالها السفلى والعليا ورأيت كلما
زاد الشخص حرصا وطمعا ازداد لنفسه عبودية وتعبا وللدنيا رقا وللآخرة رشقا فصارت قيوده أثقل
وحسابه أشد وأطول وهمومه أتم وغمومه أعم وان الواثق بالدنيا والراكن الى ما فيها من أشيا كالمستظل
له من السحاب صحفا ومن السراب كنا وأي وقاية تحصل من السحاب وأي ارواء يصدر من السراب ومن
تأمل الدنيا بعين التبصر وتفكر في تقلباتها بحسب العقل والتدبر علم جمع اشتاتها ووصل انبتاتها وجنيها
ذهابا وشرابها سرابا واقبالها ادبارا ونسيمها اعصارا وعطاءها انتزاعا وعهودها نقضا وصلتها فراقا ووهبها
نهبا وايجابها سلبا وسرورها طلبا وجودها عدما وكثرتها قلا وعزها ذلا وضحكها بكاء وطلاقتها عبوسا فلم
يكن عنده أحسن من فراقها ولا أرخص من الاقها والقناعة مزايا الكفاف والرضا مزايا العفاف كما سلك
الفلاح صاحب الماشية واستراح فقال الزنيم أخبرني كيف كان ذلك يا حكيم (فقال) ان شندوى الذي
كنت عنده اعطفه ماشيته وعبيده كان ذا ثروة وعقل ومال وأموال كثيفة جمة وكانت ماشيته لا تزيد في
القياس عن الف راس وان حصل من النتاج المعهود ما يزيد على هذا القدر المعدود تصدق به أو باعه
أو وهبه لبعض الجماعه ولو اراد لنماها الوفا وأضعافا مضاعفة وكان في الجيران والاصحاب والاخوان
من هو أقل منه مالا واقصر باعا وأضيق مجالا له الالوف من المواشي وكذلك من الخدم والحواشي
وهم في كل وقت في ازدياد وتضاعف الاعداد من الاصول والاولاد وشندوى لا يقصد الزيادة وان زاد شيء
اباده فقال له الراعي وكان عليها أشفق ساعي يا مخدوم ما الذي يمنعك ان تزيد مواشيك ومواشيك
وتكثر بالرفق والرفد فواشيك وبالورود والاصدار غواشيك فان المواشي تزداد فوائدها وتتوفر عوائدها

الثاني قد أمر أباه ان يذهب فيتوارى في الشجرة بحيث اذا سئلت أجابت فذهب أبو الخب فدخل جوف الشجرة ثم ان القاضي لما سمع ذلك
من الخب أكبره وانطلق هو وأصحابه والخب والمغفل معه حتى وافى الشجرة فسألها عن الخبر فقال الشيخ من جوفها نعم
المغفل أخذها فلما سمع
القاضي ذلك اشتد تعجبه
فدعا بحطب وأمر أن
تحرق الشجرة فأضرمت
حولها النيران فاستغاث
أبو الخب عند ذلك فأخرج
وقد أشرف على الهلاك
فسأله القاضي عن القصة
فأخبره بالخبر فأوقع
بالخب ضربا وبابيه صفعا
وأركبه مشهورا وغرم
الخب الالف دينار فأخذها
وأعطاها المغفل * وانما
ضربت لك هذا المثل
لتعلم ان الخب والخديعة
ربما كان صاحبهما هو
المغبون وانك يا دمنه
جامع للخب والخديعة
والفجور واني أخشى
عليك ثمرة عملك مع انك
لست بناج من العقوبة
لانك ذو لونين ولسانين
وانما عذوبة ماء الانهار
ما لم تبلغ الى البحار وصلاح
أهل البيت ما لم يكن فيهم
المفسد وانه لا شيء أشبه
بك من الحية ذات
اللسانين التي فيها السم
فانه قد يجري من لسانك
كسمها واني لم أزل لذلك
السم من لسانك خائفا
ولما يحل بك متوقعا
والمفسد بين الاخوان
والاصحاب كالحية يربيها
الرجل ويطعمها ويمسحها
ويكرمها ثم لا يكون له
منها غير اللدغ وقد يقال الزم ذا العقل وذا الكرم واسترسل اليهما واياك ومفارقتهما واصحب الصاحب اذا كان عاقلا كريما أو عاقلا غير
كريم فالعاقل الكريم كامل والعاقل غير الكريم اصحبه وان كان غير محمود الخليقة واحذر من سوء أخلاقه وانتفع بعقله والكريم غير

باعتبار زيادة أصولها وادرار منافعها وتحصولها وجيراننا كانوا أقل عددا من هذا المقدار فصاروا بالتوفير أكثر عددا في الاغنام والابقار فزادوا على مواشينا بعد ان كان أوساطهم كمواشينا ولا أعرف انعدام وجها ولا أدرى له سببا غير الاهمال وقصد تضييع المال فقال له مخدومي هذا محيط بمعلومي ولكن أيها الولد اعلم ان أنواع العدد آحاد وعشرات وألوف ومئات فالوف غاية الاعداد اذا اعتبرنا التعداد والشئ اذا جاوز غايته وتعدى نهايته أخذ في النقص واذا بلغ مداه تراجع بالنكص وقد قيل الشئ اذا جاوز حده شاكل ضده ومن لم يقنع بالقليل لم يرض بالجزيل ولقد أحسن المقال وصدق فيما قال من قال

وما الدهر الا سلم فبقدر ما * يكون صعود المرء فيه هبوطه
وهيهات ما فيه نزول وانما * شروط الذى يرقى اليه سقوطه
فمن كان أعلى كان أوفى تهشما * وفاء بما قامت عليه شروطه

وكثيرا ما رأيت وسمعت ووعيت عن أصحاب الالوف القاصدين لازدياد المألوف نزلت ألوفهم الى الواحد من الآحاد فاستولى عليهم لذلك الهموم والانكاد فتكدرت خواطرهم واشتغلت ضمائرهم وأما أنا فلم أعلم ان الى نقص ولا جاري حلبة مداه نكص فاذا عدا غايته الزمته نهايته وكبحت جامح طرفه وكففت طامح طرفه طلبا للراحة ورغبة في الاستراحة

فكم دقت ورقت واسترقت * فضول العيش أعناق الرجال

(وانما) أوردت هذا التمثيل لتعلم بهذا التفصيل انى مادمت له خادما وفى صف الخدمة قائما ولم أتعد طورى وهو مقام الخادمية الى ما ليس لى وهو مقام المخدومية فأنا مستريح وافكرى مريح ونفسى مطمئنة وجوارحى عن طيش السفه مرجحنة وأصحاب أحبابى وأحبابى أصحابى والخواطر صافية والمحبة وافية والصداقة باقية ومياه المودة في رياض الارواح صافية وفي عروق الاشباح واقفة جارية فاذا رمت مع وجود هذه المعنى الزيادة وقصدت التعدى الى ما ليس لى به عادة فأنا بين أمرين متقلب على جمرتين اما عدم الحصول والانقطاع عن الوصول فتتضاعف المكدرات وتترادف المقيمات وبحسبها تتصل الهموم وتحصل الغموم كما مر سالفا وذكر آنفا وأما الظفر بالمراد على حسب ما يراد فبقدر ذلك يقع الصداع ويقوم التحاسد والنزاع وأول ذلك معاداة الاصحاب ومعاناة الاحباب ومقاساة الاتراب وحصول الضغائن وبروز الكامن بواسطة الترفع عليهم وصدور المراسم والتقدم بامتثالها اليهم فالاولى بحالى التفكر في مآلى واللائق بشورى أن لا أتعدى طورى ولا أتورط في هذا البحر العميق والبئر العميق ولا أخرج عن سواء الطريق فتهوى بى طير الهوان في مكان سحيق

وانى يسار خائف أن يردنى * زمانى عما لاقى يسار الكواعب

قال المشرقى أبو زغه ما أحسن هذه الكلمة وأمتن هذا النظر وأرصن هذه الفكر وأدق معانى هذه المبانى ولكن اذا رفعك الله من بين قومك واذا أعطاك من نعمك وقد قال ذو الجلال ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا مانع لما أعطيت

وكل الناس تطلب المعالى * ونفس المرء تأبى أن تضاما

فلما بلغ بهما الكلام الى هذا المقام قال يسار اعلم يا فحل الفحول وامام المعقول والمنقول انى ما بالغت في الامتناع الا اقف على ما فيك من طباع أسبر ثبوت قدمك وثباتك وراء كلك فلقد وجدتك في هذا الامر الخطير فوق ما في الضمير وفي مواطن الاختبار أثبت جنانا من ابن الليث الصفار فانهض لقصدك وحركته على خيرة الله تعالى وبركته فانى وضعت عنان جموح هذا المرام في يد تدبيرك وجعلت واسطة هذا العقد جوهرة تفكيرك وسلك نظامه ونظام قلادته جودة تصويرك فانك أهل لذلك وبرأيك تقتدى

العاقل الزمه ولا تدع مواصلاته وان كنت لا تحمد خلقه واتنفع بكرمه وانفعه بعقلك والفرار كل الفرار من اللئيم الاحمق وانى بالفرار منك لجدير وكيف يرجو اخوانك عندك كرما وودا وقد صنعت بملكك الذى أكرمك وشرفك ما صنعت وان مثلك مثل التاجر الذى قال ان أرضا تأكل جرذانها مائة من حديد ليس بمستنكر أن بزاتها أن تختطف الفيلة (قال دمنة) وكيف كان ذلك (قال كليلة) زعموا انه كان بأرض كذا تاجر فأراد الخروج الى بعض الوجوه لابتغاء الرزق وكان عنده مائة من حديد فأودعها رجلا من اخوانه وذهب في وجهه ثم قدم بعد ذلك بمدة فجاء والتمس الحديد فقال له انه قد أكلته الجرذان فقال قد سمعت أنه لا شئ أقطع من انيابها للحديد ففرح الرجل بتصديقه على ما قال وادعى ثم ان التاجر خرج فلقى ابنا للرجل فأخذه وذهب به الى منزله ثم رجع اليه الرجل من الغد فقال له هل عندك علم بابنى فقال له التاجر انى لما خرجت من عندك بالامس رأيت بازيا قد اختطف صبيا ولعله ابنك فلطم الرجل على رأسه وقال يا قوم هل سمعتم أو رأيتم أن البزاة تختطف الصبيان فقال نعم وان أرضا تأكل جرذانها مائة من حديد ليس بعجب ان تختطف بزاتها الفيلة قال له الرجل أنا أكلت حديدك وهذا ثمنه فاردد على ابنى وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم انك اذا غدرت بصاحبك فأنت لا شك عن سواه أغدر وانه اذا صاحب أحد صاحبا وغدر بمن سواه فقد علم صاحبه انه ليس عنده للودة موضع فلا شئ أضيع من مودة تمنح من لا وفاء له وحباء يصطنع

المسالك

عنده من لاشكر له وادب يحمل الى من لا يتأدب به ولا يسمعه وسر يستودع عند من لا يحفظه فان صحبة الاخيار تورث الخير وصحبة الاشرار
تورث الشر كالريح اذا مرت بالطيب حملت طيبا واذا مرت بالنتن حملت نتنا وقد طال وثقل كلامي عليك فانتهى كليله

الملك فابتهج أبوزغة بهذا المقال ووثب قائما في مقام الخدمة وقال حيث انشرح صدرك لكلامي فسترى في وجهك مجالس قيامي وانا اعلم ان معبودك سيبلغك مرامك ومقصودك ولكن يجب التيقظ وقبل الشروع التحفظ اما التيقظ فلامور يجهلها الملك مقتدي ولا يغفل عنها ابدا كما غفل الملك الظاهر الموفق أبو سعيد جقمق حين اضطربت الاوامر واختلفت العساكر واصطدمت الامور وخرج عليه من عساكره الجمهور وقل المعين وذلك في سنة اثنتين وأربعين فعصى تنكري وتترس في حلب وقام بالراكة الباب واينال الجكمي بالشام وكاتبه الطغام والطغام وهرب بالقاهرة العزيز وازت الشياطين فاشتد الازير وتخبط بالصعيد العربان وفشا في عساكر الاسلام الطربان فسفه الحليم وحار الحكيم وضل كل ذي رأي قويم فثبت الملك الظاهر جاشه وتعرف الى الله تعالى فازال استيحاشه وأصفى سرائره ولم تزل سيرته طاهره فكان الله عونه وناصره فاطفأ بادنى لطفه شواظ تلك الثائره وقد بسطت ذلك في سيرته الظاهره فتبدل الجحيم بالنعيم ورفع الله تعالى عن الاسلام والمسلمين العذاب الاليم كل ذلك بثبات القدم وعلو الهمم ولم تحصل هذه الفعال الزكية الراسخه الا بالطوية الطيبة والنية الصالحه وأما التحفظ فمن مواد شرور يلتبس بها الجمهور منها الحقد والملال والكذب في المقال والحسد والاحتيال فان الحقود وقود والحسود لا يسود والكذوب يذوب والملول لا يطول والمحتال مغتال وباقي النصائح الذكية الروائح تأتيك بالسمع فيما بعد وانا الآن أقدم للبيان واذكر الاهم وما فائدته أعم قبل الشروع أمام المقصود وهو تأكيد مواثيق العهود فانه اذا احتفت بك الجنود وأحاط بك أرباب الرايات والبنود وأنت جالس على السرير وفي خدمتك المأمور والامير والكبير والصغير يعسر على استيفاء الخطاب واستيعاب الجواب ولا يليق بفخامتك ومقام حرمتك اطالة الكلام ولو اقتضاه المقام خصوصا بحضور الخاص والعام ولو كان المتكلم أعز الخدام وأقرب الانام فلا أقدر ان أتبرأ عليك وانهي جميع ما أريده اليك لان قصد الخادم اقامة حرمة مخدومه والمبالغة في حفظ ناموسه وتعظيمه وكثرة الكلام تعنيه عن هذا القصد وتدفعه واما في هذا الوقت فان كثير كلامي لا يورث شيئا من المقت فلا حرج على كلامي كيفما خرج قال يسار بارك الله فيك واحاطك لذويك فما أدق نظرك وأحسن في عواقب الامور فكرك واصوب غوصك على جواهر الانتقاد واقرب وصولك الى زواهر الاعتقاد فقل ما بدا لك مما يزين حالي وحالك فان حرمتي حرمتك وحشمتي حشمة لك فان عظمتني فقد عظمت نفسك وان وفرت مالي فقد زدت كيسك والخادم اذا لم يقدر مخدومه ويعلو ذلك من أكبر همومه ويسعى فيه ساعة فساعة وفي كل مكان وعند كل جماعة والا فيدل ذلك على خساسة مقداره وقصور نظره ولؤم نجاره وركاكة همته وابتذال حرمته فقال أبوزغة أول شروطي يا ذا العظمة ان لا تقرب المؤذين ولا تلتفت الى الاشرار المغتابين ولا تضيع الاوقات في الاصغاء الى القينات ولا تسمع كلام واش وتعد كلامه أقل من لاش ثانيها ان لا تعجل في فصل الحكومات بل تتعاطاها بالتفتيش والالتفات الى ان تتجلى صورتها وتتبين حقيقتها فاذا وضحت لديك وتجلت عذرتها عليك احكم فيها بالصدق واعمل بما يقتضيه الحق ثالثها ان لا تعود لسانك الفحش والبذاءه فان في ذلك على الملك سوء الاساءه فان الكلام يؤثر في القلوب وينفر من قبحه الطالب والمطلوب وقد قيل

جراحات السنان لها التئام * ولا يلتام ما جرح اللسان

وقد قيل ان عيسى عليه السلام مر بجماعة في بعض الايام فسادفوا كالاجرب فقال لهم سلمكم الله اذهب فقال كل من أصحابه مما كان معي في جرابه من الانتقاص والطعن فيه والمناقص وما سلموا الى عيسى حاله بل سالوه عن كلامه وبادعاله فقال اني عودت لساني بيان ما في جناني وهو المقاصد الحسنه وترك الالفاظ والعبارات الخشنه وقيل انه مر في بعض الاوقات ومعه جماعات بكلب من الاموات ملقى

من كلامه الى هذا المكان وقد فرغ الاسد من الثور ثم فكر في قتله بعد ان قتله وذهب عنه الغضب وقال لقد فجعني شتربه بنفسه وقد كان ذا عقل ورأي وخلق كريم ولا أدري لعله كان بريئا او مكذوبا عليه فحزن وندم على ما كان منه وتبين ذلك في وجهه وبصر به دمنة فترك محاورة كليلة وتقدم الى الاسد فقال له ليهنك الظفر اذ أهلك الله اعداءك فماذا يحزنك أيها الملك قال أنا حزين على عقل شتربه ورأيه وادبه قال له دمنة لا ترحمه أيها الملك فان العاقل لا يرحم من يخافه وان الرجل الحازم ربما يبغض الرجل ويكرهه ثم قربه وادناه لما يعلم عنده من الغنى والكفاية فعل الرجل المتكاره على الدواء الشنيع رجاء منفعته وربما احب الرجل وعز عليه فاقصاه واهلكه مخافة ضرره كالذي تلدغه الحية في اصبعه فيقطعها ويتبرأ منها مخافة ان يسري سمها الى بدنه فرضي الاسد بقول دمنة ثم علم بعد ذلك بكذبه وغدره وفجوره فقتله شر قتلة انتهى باب

الاسد والثور (باب الفحص عن امر دمنه) (قال) دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد حدثتني عن الواشي الماهر بالمحال كيف يفسد بالنميمة المودة الثابتة بين المتحابين فحدثني حينئذ بما كان من حال دمنة وما آل أمره اليه بعد قتل شتربه وما كان

على مزبلة فى جملة القاذورات فوضع كل منهم يده على خطمه وتكلم فى رائحته عند شمه فقال عيسى عليه السلام ما أحسن بياض أسنانه فقيل له عما سمع من بيانه فقال عوّدت لسانى بلفظ الخير وان لا يتكلم بما فيه ضير وكما يجب على الملك كف اللسان الفصيح عن الكلام البذى القبيح كذلك يجب عليه ان لا يصغى اليه ويتأمل قول الشاعر

وسمعك صن عن سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به
فانك عند سماع القبيح * شريك لقائله فانتبه

ووجد فى كتاب آداب الصحبة لابى عبد الرحمن السلمى بيت ثالث

وكم أزعج الحرص من طالب * يوافى المنية عن مطلبه

وهذا الامر بالخصوص لكل أحد معلوم على العموم وأما أكابر السلاطين والملوك الاساطين فهم أعلى مقاما أن يكون الفحش لهم كلاما وأن يجرى فى مجالسهم أو يسمع من محادثهم ومجالسهم وكل ملك اعتاد مجلسه فاحش الكلام اختل نظامه ومقته الخاص والعام ونفرت عنه قلوب الرعيه وبحسب رغبة الرعية تكون الممالك راضية مرضيه واذا نفرت قلوب الرعية كرهوه وتوقعوا غيره لقومه ومواهمه وينصروه واذا لم يوجد عقدوا الحقود واستمروا الذلة كالجنود والبغضة كامنه والخسائف باطنه فتقدم العداوة وتتقدم وتتأكد وتتأزم واذا قدمت العداوه ذهبت من الصداقة الحلاوه فلا بد يوما من الايام ان تبرز رأسها من جيب الانتقام واذا وجدوا فرصه وثبوا عليه وقصدوا قصه كما جرى للفريره مع الهريره قال يسار بين لى هذه الاخبار (فقال) ذكر شخص معتبر من رواة الخبر ان فى القديم كان رجل عديم وعنده قط رباه وأحسن مرباه فكان عنده كالولد الاعز وأكرم من ابن الفرات عند ابن المعتز وكان القط قد عرف منه الشفقة والف منه المودة والمقه فكان لا يبرح عن مقيله ولا يسعى لطلب قوته فحصل له هزال وتغير حاله من أمر وحال لا عند صاحبه ما يغذيه ولا هو ذو قوة على الاصطياد تغنيه الى أن عجز عن الصيد فصار يسخر به من أراذل الفيران كل عمرو وزيد وصار كما قيل

خلت الرقاع من الرخا * خ وفرزنت فيها البيادق * وتسابقت عرج الحمير
رفقامت من عدم السوابق * وسطا الغراب على العقا * ب وصاد فرخ البوم باشق
سكتت بلابلة الزما * ن وأصبح الخفاش ناطق

وأيضا

واذا خلا الميدان من أسد * رقص ابن عرس ونوص النمس

وكان فى ذلك المكان مأوى لرئيس الجرذان وفى جواره مخزن لسمان فاختار الجرذان اضعف أبى غزوان وتمكن من نقل ما يحتاج اليه وصار يمر على القط آمنا ويضحك عليه الى ان امتلأ وكره من أنواع الما كل والمطاعم وحصل له الفراغ من المخاوف والمزاحم واستطال على الجيران واستعان بطوائف الفيران على العدوان فافتكر الجرذان يوما فى نفسه فكر أداه الى حلول رمسه وهو أن هذا القط وان كان عدوا قديما ومهلكا عظيما لكنه قد وقع فى الانحلال وضعف عن الاصطياد لقوة الهزال وقوتى انما هى بسبب ضعفه وهذا الفتح انما هو حاصل بحتفه ولكن الدهر الغدار ليس له على حالة استقرار فربما يعود الدهر عليه وترجع صحته وعافيته اليه فان الزمان الكثير الدوران ينهب ويهب ويعطى ما سلب ويرجع فيما وهب كل ذلك من غير موجب ولا سبب واذا عاد القط الى ما كان عليه يتذكر من غير شك اساءتى اليه فيثور قلقه ويفور حنقه ويأخذه لاذاى والانتقام سهره وأرقه فلا يقر لى معه قرار فاحتاج بالاضطرار الى التحول عن هذه الديار والخروج عن الوطن المألوف ومفارقة السكن المعروف أمر صعب مشوم المكسب فلا بد من الاهتمام قبل حلول هذا الغرام والاخذ فى طريقة الاخلاص قبل الوقوع فى شرك الاقتناص ثم انه ضرب أخماسا لاسداس فى كيفية الخلاص من هذا الباس فأداه الفكر الى اصلاح المعاش بينه وبين أبى خراش ليدوم له

من معاذيره عند الاسد واصحابه حين راجع الاسد رأيه فى الثور وتحقق النميمة من دمنة وما كانت حجته التى احتج بها قال الفيلسوف انا وجدت فى حديث دمنة أن الاسد حين قتل شتربه ندم على قتله وذكر قديم صحبته وجسيم خدمته وانه كان أكرم أصحابه عليه وأخصهم منزلة لديه وأقربهم وأدناهم اليه وكان يواصل بالمشورة دون خواصه وكان من أخص أصحابه عنده بعد الثور النمر فاتفق انه أمسى النمر ذات ليلة عند الاسد فخرج من عنده جوف الليل يريد منزله فاجتاز على منزل كليلة ودمنة فلما انتهى الى الباب سمع كليلة يعاتب دمنة على ما كان منه ويلومه على النميمة واستعماله الخديعة وصناع الكذب والبهتان فى حق الخاصة وعرف النمر عصيان دمنة وترك القبول له فوقف يستمع ما يجرى بينهما فكان فيما قال كليلة لدمنة لقد ارتكبت مركبا صعبا ودخلت مدخلا ضيقا وجنيت على نفسك جناية سوء بقوعاقبتها وخيمة وسوف يكون مصرعك شديدا اذا انكشف للاسد أمرك واطلع عليه وعرف غدرك ومحالك وبقيت لا ناصر لك فيجتمع عليك الهوان والقتل مخافة شرك وحذرا من غوائلك فلست بمتخذك بعد اليوم خليلا ولا مفش اليك سرا لان العلماء قد قالوا تباعد عمن لا رغبة فيه وأنا جدير بمباعدتك والتماس الخلاص لى مما وقع فى نفس الاسد من هذا الامر فلما سمع النمر هذا من كلامهما ذهب راجعا فدخل على أم الاسد فاخذ عليها العهود والمواثيق أنها لا تفشى ما يسر اليها فاعطته على ذلك فأخبرها بما هذا

هذا النشاط ويستمر بواسطة الصلح بساط الانبساط فرأى انه لا يفيده ما يريده الا بزرع الجميل من كثير وقليل
ثم وصافى وقت الفاقه فانه أجلب للصداقه وأبقى في الوثاقه ثم بعد ذلك يترتب عليه العهود ويتأكد ما يقع
عليه الاتفاق من العقود وهو أن يلتزم الجرذان أن يقوم لابي غزوان في كل غداة من طيب الغذاء ما يكفيه
لغدائه وعشائه لان الشيخ في الدرس قال خير المال ما وقيت به النفس الى أن يصح جسده ويرد اليه من
عيشه رغده ويكون ذلك سببا لعقود الصداقه وترك العداوة القديمة المساقه وان تشترط دوام المحبه
وازدياد الوداد والصحبه وأن لا يقصد أبو الهيثم أبا راشد بشيء من الاذى والشرور والمفاسد ويعمل هذا
الهر بموجب ما قال الشاعر ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم في المنزل الخشن
ثم ان الجرذان جمع من الاخباز والاجبان واللحم القديد والطعام المزيد ما قدر على حمله ونهضت قوته
بنقله وقصد مقام الهر وسلم عليه سلام مكرم مبر محب قديم وصديق حميم وقدم ما معه اليه وتراءى بكثرة
التودد والاشتياق عليه وقال يعز علي ويعظم لدي أني أراك يا خير جار في هذا الضرر والاضطرار
ولكن العاقبة الى خير وسيقبل السعد بأحسن طير فتقدم أيها الخليل وكل من هذا الأكل فاذا سددت
خلتك كلمتك بشيء أستشير به خدمتك فانه قد قيل

ان الصداقة أولاها السلام ومن * بعد السلام طعام ثم ترحيب * وبعد ذلك كلام في ملاطفه
وفعل خير واحسان وتقريب * وأصل ذلك أن تبقى شمائلها * بين الاحبة تأييد وتأديب
لم تنس غيبا ولم تسأل اذا حضروا * قد زان ذلك تهذيب وترتيب
ان الكرام اذا ما صادقوا صدقوا * لم يثنهم عنه ترغيب وترهيب

فتناول القط من تلك السرقة ما سد رمقه وشكر للجرذان تلك الصدقه ولما أكل قوة استقامت الحدقه ثم
قال له أنشد ما أنت ناشد يا أبا راشد قال ان لي عليك من الحقوق مثل ما للجار الصدوق على الجار الشفوق
وأردت أن يتأكد الجوار بالصداقه وتترقى الى درجة المحبة بأوثق علاقه وان كانت بيننا عداوة قديمه
فنترك من الجانبين تلك الخصلة الذميمه ونستأنف العهود على خلاف اتفاق العهود وتدبير الامور على
مصلحة الجمهور ونبني القاعدة في البين على ما يعود نفعه على الجانبين وأذكر لك أشياء تحملك على ترك
خلقك القديم وتهديك في طريق الاخاء الى الصراط المستقيم وهو أن أكلي مثلا ما يغذي مثلك بدنا فضلا
عن أن يظهر فيك حظوة وسمنا ولكن ان أمنتني مكرك وأعملت نظرك وفكرك ثم رغبت في صحبتي وعاهدتني
على سلوك طريق مودتي وأكدت أي أبا غزوان ذلك بمغلظات الايمان الى أن أستوثق بامتحانك
وأبيت آمنا في مجيئك وذهابك ولو كنت بين مخالبك وأنيابك فاني ألتزم لك في كل يوم اذا استيقظت من
النوم بما يسد خلتك ويبقي مهجتك صباحا ومساء وغداء وعشاء وان قلت ان ذلك شيء مجهول
فأنا أقدره بنظير هذا المأكول فان هذا الغذاء يكفيك عشاء وغداء وما قصدت بذلك الا رعاية حق الجوار
واقتداء بسنتك في تسبيحك بالليل والنهار وانك وذاتي لا يخفى انك تبت الى الله ورجعت من قريب وكففت
من أذى الجيران وعففت عن أكل الفيران ثم اعلم يا أسد الضياون ان لي من هذه المؤنة عشر خزائن
قد أعددتها لك وأنا أقدمها لك وأدخرها لاجلك والقصد أن أكون آمنا من سطواتك ساكنا في
هدمات حركاتك وذلك انما يتم بتأكيد الاخاء وتأييد المحبة والولاء فلما رأى الهر هذا البر أعجبته هذه
النعم وأطربه هذا النغم وأقسم طائعا مختارا ليس اكراها ولا اجبارا أنه لا يسلك مع الجرذان الا طريق
الامان والاحسان وانه لا ينحو اليه بقصد سوء ثم شيدا تأكيد المحبه وتزايد بينهما الصداقة والصحبه
فرجع الجرذان وهو بهذه الحركة جذلان وصار كل يوم يأتي أبا غزوان بما التزم به من الغداء والعشاء
كل صباح وعشاء الى أن صح القط واستوى ومالت خطوات بدنه من الذل والتوى وصارت المحبة تنعقد

ثم من كلام كليلة ودمنة فلما أصبحت دخلت على الاسد فوجدته كئيبا حزينا نادما على ما كان ورد عليه من قتل شتربه فقالت له ما هذا الهم
الذي قد أخذ منك وغلب عليك قال يحزنني قتل شتربه اذا ذكرت صحبته ومواظبته على خدمتي وما كنت أسمع من
نصيحته وأسكن اليه من مشاورته وأقبل من مناصحته قالت أم الاسد ان أشد ما شهد امرؤ على نفسه وبعد ما أخطأ أعظم كيف أقدمت على قتل الثور بلا علم ولا يقين ولولا ما قالت العلماء في اذاعة الاسرار وما فيها من الاثم والشنار لذكرت لك وأخبرتك بما علمت قال الاسد ان أقوال العلماء لها وجوه كثيرة ومعان شتى واني لاعلم صواب ما تقولين وان كان عندك رأي فلا تطويه عني وان كان قد أسر اليك أحد سرا فأخبريني به وأطلعيني عليه وعلى جلية الامر فأخبرته بجميع ما ألقاه اليها النمر من غير أن تخبره باسمه وقالت اني لم أجهل قول العلماء في تعظيم العقوبة وتشديدها وما يدخل على الرجل من العار في اذاعة الاسرار ولكني أحببت أن أخبرك بما فيه المصلحة لك وان من خطره وضرره الى العامة اصرارهم على شفاعة الملك عما لا يدفع الشر عنهم وبه تشجع السفهاء ويستعينون بما يكون من أعمالهم القبيحة وأشد مما رهم أقدامهم
على ذي الحزم فلما قضت أم الاسد هذا الكلام استدعى أصحابه وجنده فأدخلوا عليه فلما وقف دمنة بين يدي الاسد ورأى ما هو عليه من
الحزن والكآبة التفت الى بعض الحاضرين فقال ما الذي حدث وما الذي أحزن الملك فالتفتت أم الاسد اليه وقالت قد أحزن الملك بقاؤك

كل يوم عقدا جديدا ويزداد كل منهما في الآخر رغبة وتوددا وكان هذا القط ديك وهو صاحب قديم وصديق قديم كل منهما يأنس بصاحبه ويحفظ خاطره بمراعاة جانبه فحصل للديك تعويق عن زيارة الصديق فغاب عنه مدة وكل منهما الافراق في شدة ذلم يتفق لهما اللقاء الا وقد حصل للقط الشفاء وزال الشقاء فسأل الديك صاحبه عما اصابت علته ذاهبه وذلك الهزال بأي شيء زال فأخبره بأحوال الجرذ في حوال وانتهى أمره من الاول الى الآخر وبالغ في الشكر في الباطن والظاهر وانه كان سبب حياته ونجاته من مخالب هلكاته وانه لم يكن مثله في الاصحاب وقد صار اعز الاصدقاء والاحباب فغار الديك على الصاحب القديم واخشى أن يفسد ما بينهما الفساد الذميم فضحك مستغربا وصفق بجناحيه متعجبا فقال له مم تضحك فقال من سلامة باطنك وانقيادك لمداهنك وحسن ضنائك مع المنافق مخادعك ومكارم أخلاقك مع ناقض ميثاقك واصغائك لهذا الخبيث حشو الكلام ومموه الحديث ومن يأمن لهذا البرم الواجب القتل في الحل والحرم المفسد الفاسق المؤذي المنافق الذي خدعك حتى أمن على نفسه واستطرق بذلك الى التمكن من أذاه وخصه فتسلط في الاذى كما يختار وانهمك في الشر آمنا منك البوار كل ذلك بسببك ومكتوب في صحائف كتبك مع انك لست بمشكور ولا بالخير مذكور وان الذي شاع وذاع وملأ عنك الاسماع انك سهل عقده وتنكث عهده وتنقض الايمان وتجازي بالسيئة الاحسان وانه لم ير منك ما يسره وهو متوقع منك ما يضره وأعظم من هذا انه آذى وحشر فنادى وبالشر بادى فقال انه أحياك بعد الموت وردك بعد الفوت ولولا فضله عليك وبره الواصل اليك لمت هزالا وجوعا ولما عشت أسبوعا ولكنه أشبع جوعك وجلب هجوعك واستنقذك من مخالب المنية بعد ذهابك رجوعك فشفاك وعافاك وصفا لك وصافاك وكفاك المؤنة وكافاك وانك كافيته مكافأة التمساح وجازيت حسناته بالسيآت القباح ولم يكن لاحسانه اليك ولا الامتنان به عليك سبب ولا علاقة سوى طهارة نفس زكت اخلاقه ولا لاساءتك اليه سبب تنقم به عليه الا ما اسداه من مكارم شيمه الواصلة اليك وفوائد نعمه السابغة عليك وقد أشاع هذا كله في الشوارع والحارات خصوصا في هذه المحلة ثم أقسم عن عطفه عليك وساق فضله اليك وجعلك محتاجا الى نواله واسبل عليك لباس صدقاته وافضاله ليستوفين منك ما صنعه وليحفظن عليك ما علمه ضيعته وليوقعنك في طوى بليه يعجز عن خلاصك منها كل البريه فلم يبق منك جنس الفار وليخلدن ذكر هذه القضية في بطون الاسفار وبالجملة فهل سمعت جرذانا صادق هره أو اتفق بينهما مرافقة في الدنيا ولو مره ومناصحة القط والفار كمصادقة الماء والنار

فأنت كواضع في الماء جمرا * وأنت كمودع الريح الترابا

فلما سمع القط هذا الكلام تألم باطنه بعض ايلام وما صدق ولكن ظن واشتغل خاطره لامر عن وتلهب واشتعل ومن سمع يخل وقال للديك جزاك الله عني خيرا وما اكثر شفقتك طيرا ولكن من قال لك هذا المقال قال أنت محب وعلى مودة الجرذان مكب وقد قال سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم حبك للشيء يعمي ويصم وقال الشاعر

وعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما أن عين السخط تبدي المساويا

وانه غرك بالقيمات من الحرام والسحت المنغمس في الآثام وجعلها بمنزلة حبة الفخ فلا تشعر بها الا وانت في الفخ قد وقعت ولا رفيق ولا شفيق هنالك يعرف تحقيق هذا الكلام ولكن انت الآن راقد مثل النيام والكلام ما يفيد ولابد أن الله تعالى يجري ما يريد وما في اشاعة الكلام طائل وكانك أنت القائل

ظن العذول بان عذلي ينفع * قل ما تشاء فلي اذن لا تسمع

وما قلت لك هذا الكلام الا من فرط الشفقة والغرام ورعاية لما يجب علي من القيام وحفظا للصداقة

ولو طرفة عين وان يدعك بعد اليوم حيا (قال دمنة) ما تركت الاول للاخير شيأ الا انه يقال أشد الناس في توقي الشر يصيبه الشر قبل المستسلم فلا يكون الملك وخاصته وجنوده المثل السعود وقد علمت انه قد قيل من صحب الاشرار وهو يعلم حالهم كان أذاه من نفسه ولذلك انقطعت النساك بأنفسها عن الخلق واختارت الوحدة على المخالطة وحب العمل لله على حب الدنيا واهلها ومن يجزي بالخير خيرا وبالاحسان احسانا الا الله ومن طلب الجزاء على الخير من الناس كان حقيقا أن يحظى بالحرمان اذ يخطئ الصواب في خلوص العمل لغير الله تعالى وطلب الجزاء من الناس وان أحق ما رغب فيه رعية الملك هو محاسن الاخلاق وواقع الصواب وجميل السير وقد قالت العلماء من صدق ما ينبغي أن يكذب وكذب ما ينبغي أن يصدق أصابه ما أصاب المرأة التي بذلت نفسها للعبد حتى فضحها بالقابيس قال الاسد وكيف كان ذلك (قال دمنة) زعموا انه كان في بعض المدن تاجر وكانت له امرأة ذات حسن وجمال وكان بجنب التاجر رجل مصور ماهر وكان هو لامرأة التاجر خليلا فقالت له يوما ان استطعت ان تحتال بحيلة اعلم بها مجيئك من غير نداء ولا ايماء ولا ما يرتاب به من قبلك فعلت قال المصور عندي من الحيلة مما سألت مما يسرك ويقر عينك ان عندي ملاءة فيها من تماثيل الصور وتماثيل الصنعة فأنا ألبسها حين يجيء

القدمه

الليل ومتى رأيتها فيها ثم انا المصور البس الملاءة وتراءى للمرأة فعلمت بمكانه فخرجت اليه وفرحت به وتهيأت له فبصر بهما في تلك الساعة العبد

القديمة والمودة التي سمعا شهادته وأنا لو غششت كل أحد ما خطر لي أن أغشك وأنا الاستشهد على صدقي الا بقيمك الساكن عندك فرجح جانب صدق الديك كفاك الله شر من يؤذيك وقال القطا في خاطره بعد ما أجال قداح ضمائره هذا الديك من حين انفلقت عنه البيضة وسمعت أنا وإياه من الصدقة في روضة ما وقفت له على كذب ولا سمعت عنه أنه لزور مرتكب مع أنه مؤذن أمين بين ظهور المسلمين وهو بالصدق قمين وما حمله على هذا الا المحبة وقديم المودة والصحبة وهو أبعد من أن يكذب ويخدع وأي قصد له في أن يغش ويتصنع وتردد أبو هريرة في تيه الحيرة بين الديك والفريرة ثم قال للديك وقاك الله شر أعاديك فكيف أعرف صدق هذا الخبر وهل للدلالة على سوء طويته علامة تنتظر قال نعم ورب الحرم علامة ذلك أنه اذا دخل عليك ونظر اليك ان يكون منخفض الراس منجمع الانفاس متوقعا حلول نائبة أو نزول مصيبة صائبة أو شمول بلية غائبة ملتفتا يمينا وشمالا منتفخا نكالا ووبالا طالما يترقب خائفا يترقب وذلك لانه خائن والخائن خائف وهذا بائن وبينهما في المحاورة والمناظرة والمشاورة يتجاذبان القيل والقال دخل المفسد أبو جوال وهو غافل عن هذه الاحوال فرأى أبا القيظان يخاطب أبا غزوان فنفس وقفه روشفوفا وتشور وهو غافل عما قضاه الله وقدر فاشمأز رؤية الديك وارال وانتفض واشمل فارتعد الجرذان من شيخ الديكة لما رأى منه هذه الحركة وانتفش وانزوى وتقبض وزوى واشتبه غادبا بلع الدوا ونظر يمينا وشمالا كالطالب لافرجة الا والقط يراقب أحواله ويتميز حركاته وأفعاله فتحقق ما قاله أبو سليمان ونظر الى الجرذان نظر الغضبان وهمز وأكفهر ورقصت شواربه واز بأرفاضطرب الجرذان وطلب الامان فنسي السنور العهود والايمان ونفض عرق العداوة القديمة والعدوان وظفر على الجرذان وأدخله في حيز خبر كان وأخلى منه الزمان والمكان (وانما أوردت) هذا التنظير أيها الصاحب البصير لفائدتين جليلتين عظيمتين احداهما الاعلام بالتحقيق ان العدو والمشفق لا يتأتى منه صديق ثانيتهما الاعلام بان الواجب على الحكام أن لا يعجلوا بالانتقام فربما أورثهم الاستعجال الندامة في المآل في حالة لا يفيد العذل والتفنيد وعند ذلك لا يمكن التدارك بل اذا نقل اليهم وأورد عليهم ما يثير غبار الغضب ويحمي من نار السخط اللهب لا يطلقون زمام التثبت والتفكر من أنامل التأني والتدبر خصوصا السلاطين والملوك الاساطين فان قدرتهم واسعة وأطراف أوامرهم شاسعة وأوهاق انتقامهم طويلة ومراعي المراد لهم مقيلة وآذان الكون لاوامرهم سميعة وعين المكان لمراسيمهم مراقبة مطيعة فمهما أرادوا من النفع أوصلوا ومهما اختاروا من الضر فعلوا وذلك في كل حين عين أو مع حين ولذلك قالوا القاضي لا يحكم حكما الا وهو راض ولا يحكم وهو غضبان وهو مشغول الخاطر ولا غرثان فان وجدوا طريقا الى الخير بادروا اليه واذا قصدوا ايقاع شر توقفوا لديه ولا يعجلوه بل يصبروا ويؤخروه الى ان يقفوا عليه فربما يكون من مداخلة عدو أو حاسد أو متقاول من له غرض فاسد ثم اعلم يا ذا التبصرة والفضل والتذكرة انه من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فلما وعى يسار هذا الحوار قال ما أزهى هذه النصائح وأزكى ما لها من روائح وأنا أقبل عليها وأقبلها ولا أزال مرتشفا معنى مقبلها وعلى ذلك أعاهدك ومهما أستخيره أعاقدك أنه لك عين المحبة وللاتزين ومظهه وأيضا فاشترط ما بدا لك مما يزين حالك ويحسن مالك وما لك قال وأريد أن تكون حرمتي موفرة وكلمتي معتبرة ومنزلتي على أقراني مرتفعة ومكانتي في المملكة متسعة بحيث تكون تميز نى ظاهره ورتبتي لأكفائي باهرة وكلامي في محل الاصغاء والقبول متصلا بالنجح في السؤل والمأمول فان حسن العهد وحفظ الود ورعاية الحقوق القديمة السابقة والخدمة المستمرة المتلاحقة دليل على كمال المروءة والوفاء ونهاية الفتوة والصفاء لا سيما من الملوك والاكابر في حق خدمهم الاصاغر فن الحقيقة فضيلة الخادم وكمال مرتبته من رفعة

لمرآة فعجب من ذلك وتحير وكان هذا العبد لامة المصور خليلا فطلب اللاءة منها وسألها ذلك وقال أريد أن أزور بها صديقا لي لامرة بذلك وأسرع الكرة بردها قبل أن يعلم به مولاك فاعطته أمة المصور اللاءة فلبسها العبد وأتى سيدته على نحو ما كان يأتيها المصور فلما رأته لم تشك في مجيئه ولم ترتب في أنه خليلها فأتت اليه ومكنت له نفسها فقضى حاجته منها وبلغ غرضه ثم رجع باللاءة الى أمة المصور فدفعها اليها فوضعتها موضعها وكان المصور عن بيته غائبا فلما جن الليل عاد الى منزله فلبس اللاءة على عادته وتراءى للمرأة فلما شاهدت ذلك وثبت اليه وقالت لقد أسرعت الكرة ألم تكن عندي وقد قضيت حاجتك فما هذا العود فلما سمع المصور كلامها رجع الى منزله فدعا جاريته فأوعدها بالقتل أو تخبره بالحقيقة فأخبرته بالقصة فأخذ اللاءة فأحرقها (وانما ضربت لك) هذا المثل ارادة أن لا يعجل الملك في أمري بشبهة ولست أقول هذا كراهة للموت فانه وان كان كريها فلا منجا منه وكل حي هالك ولو كانت لي مائة نفس وأعلم ان هوى الملك في اتلافهن طبت له بذلك نفسا فقال بعض الجند لم ينطق بهذا بحبه الملك ولكن لخلاص نفسه والتماس العذر لها فقال له دمنة ويلك وهل علي في التماس العذر لنفسي عيب وهل أحد أقرب الى الانسان من نفسه واذا لم يلتمس لها العذر لمن يلتمسه لقد ظهر منك ما لم تكن تملك كتمانه من الحسد والبغضاء ولقد عرف من سمع منك انك لا تحب لاحد خيرا وانك عدو نفسك فمن سواها بالاولى فمثلك لا يصلح أن يكون مع البهائم فضلا

عن ان يكون مع الملك وان يكون ببابه فلما اجابه دمنه بذلك خرج مكتئبا حزينا مستحيا فقالت أم الاسد لدمنه لقد عجبت منك ايها المحتال
فى قلة حياءك وكثرة وقاحتك وسرعة ١٠٢ جوابك لمن كلمك (قال دمنه) لانك تنظرين الى بعين واحدة وتسمعين منى باذن واحدة
مع ان شقاوة جدى قد زوت عنى كل شئ حتى لقد سعوا الى الملك بالنميمة على ولقد صار من بباب الملك لاستغنائهم به وطول كرامته اياهم وما هم فيه من العيش والنعمة لا يدرون فى أى وقت ينبغى لهم الكلام ولا متى يجب عليهم السكوت قالت الا تنظرون الى هذا الشقى مع عظم ذنبه كيف يجعل نفسه بريئا كمن لا ذنب له (قال دمنه) ان الذين يعملون غير أعمالهم ليسوا على شئ كالذى يضع الرماد موضعا ينبغى أن يضع فيه الرمل ويستعمل فيه السرجين والرجل الذى يلبس لباس المرأة والمرأة التى تلبس لباس الرجل والضيف الذى يقول أنا رب البيت والذى ينطق بين الجماعة بما لا يسئل عنه وانما الشقى من لا يعرف الامور ولا أحوال الناس ولا يقدر على دفع الشر عن نفسه ولا يستطيع ذلك قالت أم الاسد أتظن أيها الغادر المحتال بقولك هذا انك تخدع الملك ولا يسجنك (قال دمنه) الغادر الذى لا يأمن عدوه مكره واذا استمكن من عدوه وقتله على غير ذنب قالت أم الاسد أيها الغادر الكذوب أتظن انك ناج من عاقبة كذبك وان شاء الملك هذا ينفعك لى
مع عظم جرمك (قال دمنه) الكذوب الذى يقول ما لم يكن ويأتى بما لم يقل ولم يفعل وكلامى واضح مبين قالت أم الاسد العلماء منكم هم الذين

مخدومه وعزته وكل من رفع قدر خدمه وحافظ على حفظ حشمه ومنع جانبهم ورعى حاضرهم وغائبهم انما حفظ أطراف حشمته وراعى جانب عظمته وحرمته وكل كبيرا من خدامه وأذل جماعته وقوامه ولم ينزلهم منازلهم ولا عرف فضائلهم وساوى بأواخرهم أوائلهم فانما أضاع مكانة نفسه ولم يفرق فى الفكر بين يومه وغده وأمسه واذا لم يصغ الملك لكلام الوزير واستقل بأوضاع ناصحه والمشير فابتذله وانتهره واستقله واحتقره خصوصا فى المجامع والمحافل بين العساكر والجحافل فأى حرمة تبقى له عند البقية من سائر الخدم والرعية وأى مرسوم وكلام يسمع له عند العوام فيتكدر خاطره وتتغير سرائره فيدعوه ذلك والعياذ بالله الى شق العصا اذ صار على باب مخدومه مطلقا كالدهى وقدره فى المكانة وقوله فى البلاغة صار كالزيف فى الصاغه والفسوق الدباغه وناهيك أيها الخبير ما قالته لامها الزاغه قال يسار أخبرنى بذلك يا جهينة الاخبار (قال) ذكر ان زاغه فى بلد مراغه انتشى لها فرخه انتشر لها بين الطيور صرخه وكانت ذات بهجة لطيفه وصفات ظريفه وتربت يتيمة بالدلال وجمعت بين فنون الكمال فلما بلغت مبلغ الزواج خطبها من صنوف الطير الازواج وترادفت عليها الخطاب ودخلوا على أمها فى ذلك من كل باب فكانت تأبى عليهم ولا تلتفت الى بذلهم ولا اليهم الى أن بلغ خبرها الى بومة كريهة الوجه مشوهه بينها وبين أم الزاغه صداقة قديمه فخطبتها لابنها وابانت للطير مزيد غبنها فاستشارت الام ابنتها وأظهرت فى ابن البومة رغبتها وقالت أى بنية الطير قد رغب فيك أصناف الطير فكنت أدافعهم وأسوفهم وأمانعهم وقد اشتهر صيتك بين الكبراء وخطبك منى الامراء والوزراء وأنا على المطاوله والرد والمقاوله وقد استحييت منهم واختشيت غائلة ما يصدر عنهم ولم أفعل ذلك الا رعاية لحالك وخوفا من زوج ظالم يقدرك غير عالم يستضعف جانبك ويكره أهلك وأقاربك ثم لا تقدرين على مقاومته وتتعب فى مرافقته ومفارقته لا سيما ان صار بينكما معاشقه فيصير نكاحكما كنكاح الدماشقه كل يغمر السوء لصاحبه حالة المعانقه وكل بالحسن طائر معنى بما قال الشاعر رأيت الذى لا كله أنت قادر * عليه ولا عن بعضه أنت صابر ونعوذ بالله من اختلاف الوداد وأن يصير نكاح السنة كنكاح أهل بغداد فان صادفتما فى شكله مثل أبى بكر الربانى ودله أو مثل الفرغانى وعلى أو جارة تشبه عيشة تلى خرجتما من يدى وزدتما نكدى فكنت لهذه الامور أخشى تقلبات الدهور وأرد خطاب الجمهور وقد خطبك يا كريمه ابن صاحبة قديمه وهى البومة الفلانيه وهى صاحبة هذه وأخلاق ابنها رضيه وهو شخص فقير ضعيف الحال حقير نقلبه فى أيدينا كالزبد ونتصرف فيه تصرف الموالى فى العبد لا فى الطير جنس يحميه بل كلهم يكرهه ويسبه ولا له ناصر علينا ولا جارح يدل به الينا فهو تحت طاعتك كالعجين وفى ربقة ارادتك كالزبدين لا كالحمام يتطوق بطوق الفخر ولا كالهدهد يتتوج بتاج الكبر فما رأيك فى هذا الامر فقالت الزويغه مقالة بليغه حفظت شيئا وغابت عنك أشياء ما أصنع بزوج مهين وبعض الاجناس يحقرن مكسور مهجور يتطير منه بين الطيور هذا يخطفه وهذا يلقفه وهذا ينقره وهذا ينتره وهذا يأثره وهذا يكسره واذا لم يكن للزوج حرمه ولا تسمع له كلمه خصوصا عند زوجته وأهل بيته وعترته فأى قدر يكون له عند غيرها وانى ينشر بالسعد جناح طيرها وقد قال رب السموات والارض ومالك الطول والعرض والبسط والقبض والرفع والخفض الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وقال من جعلهم قوامين وذوات تاء منعوته وللرجال عليهن درجة ومقدار المرأة بين جيرانها وأهلها انما يعرف بمقدار حرمة بعلها وأنا كيف يبقى حالى وبالى وما على ومالى بين جيرانى وصواحبى وأهلى وأقاربى اذا كان زوجى ذليلا مهينا محتقرا بين الناس حزينا والله لا يكون لى بزوج ولو بلغ رأسه الى الاوج ولا أمد اليه باعى ولا يرفع له فى مركب الزوجية شراعى (وانما) أوردت هذا المثال يا شبه الغزال لا بين انه اذا لم يكن

يوهمون أمره بفصل الخطاب ثم نهضت نفر بحث فدفع الاسد دمنة الى القاضي فأمر القاضي بحبسه فألقي في عنقه حبل وانطلق به الى
السجن فلما انتصف الليل أخبر كليلة ان دمنة في الحبس فأتاه مستخفيا فلما رآه وما هو عليه من ضيق القيود وحرج
المكان بكى وقال له ما وصلت الى ما وصلت اليه الا باستعمالك الخديعة والمكر واضرابك عن العظة ولكن لابد لي فيما مضى من انذارك والنصيحة لك والمسارعة اليك في خلوص الرغبة فيك فانه لكل مقام مقال ولكل موضع مجال ولو كنت قصرت في عظتك حين كنت في عافية لكنت اليوم شريكك في ذنبك غير ان العجب دخل منك مدخلا قهر رأيك وغلب على عقلك وكنت أضرب الامثال كثيرا واذكرك قول العلماء وقد قالت العلماء ان المحتال يموت قبل أجله (قال دمنة) قد عرفت صدق مقالتك وقد قالت العلماء لا تجزع من العذاب اذا وقفت منك على خطيئة ولان تعذب في الدنيا بجرمك خير من ان تعذب في الآخرة مع الاثم (قال كليلة) قد فهمت كلامك ولكن ذنبك عظيم وعقاب الاسد شديد اليم وكان بقربهما في السجن فهد معتقل يسمع كلامهما ولا يريانه فعرف معاتبة كليلة لدمنة على سوء فعله وبما
كان منه وان دمنة مقر بسوء عمله وعظيم ذنبه فحفظ المحاورة بينهما وكتمها ليشهد بها ان سئل عنها ثم ان كليلة انصرف الى منزله ودخلت أم
الاسد حين أصبحت على الاسد فقالت له يا سيد الوحوش حوشيت ان تنسى ما قلت بالامس وانك أمرت به لوقته وارضيت به رب العباد وقد

لي في دارك عزه ولا يرفع مكاني ومكاني نشاط وهزه فلا يرجو في الصديق الموافق ولا يخاف في العدو
المنافق فيختل أمري ويضيع في غير حاصل عمري واذا ما أهمل مرسومي تعدى الوهم الى مخدومي
قال يسار ابشر أيها الوزير المشفق والكبير المحقق والحكيم الماهر المدقق بالدرجة العالية والمرتبة السنية
والكلمة المقبولة والوظيفة الفاضلة لا المفضولة ولكن أنا أيضا لي عليك شروط تزين عقودها المنفات في
المروط فان لدار السعادة أبواب وللترقي الى درج السيادة أسباب ومثلك لا يدل على صواب وهي أن
تتقلد العمل مبسوط الامل بجميع ما قررته وتتعاطى ملازمة كل ما حررته من اقامة ناموس المملكة
المبجلة ورعاية شرائط السلطنة المفضلة ومحافظة جانب مخدومك والانهاء الى مسامعه جميع ما في
معلومك وتقديم مصالحه على مصالحك ومعاملة رعيته بالجهد في نصائحك وكفه عن المظالم والعدول
به عن طريق المآثم والغيرة على دينه واعتقاده ويقينه أكثر من الغيرة على دنياه وفي الجملة لا يكون
الملك الاالله بحيث لا تكون من قبيل لم تقولون ما لا تفعلون واياك والرشا والبراطيل والدخول لعرض
الدنيا في الاباطيل وترك ظلم الرعية لاغراض الدنية أو الاعراض الدنوية واتق دعوة المظلوم وان
يصل سهامها الى مولانا المخدوم واعلم انك ان بنيت أساس الامور على قواعد الظلم والشرور فنحن من
الخاسرين ومن الذين ظلموا والله لا يحب الظالمين وسيقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين
بل ابن الامور على أساس التقوى فانك بالتقوى تقوى وبراو يتهاتروى فمن قصد في القضايا الباطلة
وتشبث باذيال الامور الباطلة ولم يقصد وجه الله في حركاته وسكناته وادخل شوائب الرياء والسمعة في
أعماله وطاعاته لا يمشي له حال ولا يصلح له مال ولا مآل ويصيبه ما أصاب السائح الذي ادعى اخلاص
العمل الصالح ثم شرع في حركته وأخلص فظهرت آثار براءته فلما قصد الاعراض الدنية فسد
ظاهره بفساد النية فسأل المشرق عن حال ذلك الشيق (قال) كان في أقصى بلاد الصين طوائف غير ذوي
عقل رصين أنبت لهم في بعض الجبال زراع القدرة ذو الجلال في رياض النزاهة والكمال شجرة ذات
بهجة وجمال أساسها في أرض الملاحة ثابت وفرعها في أصل المحاسن نابت وغصنها الى سماء العلى واصل
وورقها كعقود الجمان بالبهاء متواصل لا سموم الصيف يزيل زهرتها ولا عواصف الخريف تذهب
خضرتها ولا صرصر الشتاء يعري أغصانها ولا لواقح الربيع تذري أفنانها فأعجب حسنها أهل تلك الديار
واشربوها اشراب بني اسرائيل عجلا جسدا له خوار ثم تفانوا في حبها وتهالكوا على قربها فعبدوها كما
عبدوه واعتقدوها كما اعتقدوه واستولى على عقولهم الشيطان وصار يخاطبهم من الشجرة واحد من
الجان فزادهم في الاعتقاد وعموم بعبادتها كفرا وعنادا فقدم تلك البلاد فقير من السائحين وهو
من عباد الله الصالحين فلما رأى تلك الحال أفزعه ذلك وهاله وأخذته غيرة الاسلام وغضبة دعته الى
القيام فأخذ فأسا وقصدها ليقطع ساقها وعندها فلما قرب اليها وأراد وضع الفاس عليها سمع منها
صوتا خوفه وعن مراده أوقفه فقال أيها الرجل الصالح والقادم السائح فيم ذي الهمة وعلام هذه
العزمة الهمة وما قصدك بهذه الصدمة فقال غيرة الله أيها المضل الاله شجرة تعبد من دون الرحمن ولا
ينكر هذا الشأن انسان فلاقطعن أيتها الشجرة المضلة ولاجعلنك حطبا ومثله فانك قد أضللت كثيرا
من الناس وفعلت ما لم يفعله الوسواس الخناس وانك لا تنفعين ولا تضرين سوى انك الى النار تجرين
فقالت أيها الرجل الزاهد الصالح العابد انا ما آذيتك ولا ضاررتك وان رأيت نفعك وبررتك وحاشاك
أن تؤذي من لا آذاك وانا اعلم أيها الرجل الكبير انك فقير مسكين وما اقدمك على هذا البأس الا
الغربة والافلاس فكف عن هذا الامر واطف نائرة هذا الجمر وارجع الى منزلك واشتغل بما يعنيك
وعلي أنا أوصلك كل نهار دينارا ذهبا نضارا كاملا وافيا معيارا يأتيك هينا ميسرا كل صباح مبكرا

اذا استيقظت من رقدتك تجده موضوعا تحت وسادتك وهذا هو الاليق بحالك وأفرغ لخاطرك وبالك وأخلص لك من ورطات المهالك واذا أصلحت مع الله سريرتك وطهرت من أدناس الدنيا سرك وسريرتك فاترك الناس ولو كانوا بيرتك أو أهلك وعشيرتك وعليك بخويصة نفسك فاذا أنقذتها من الورطات فأمسك وقد قال منزل القرآن ليحرسكم يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم فلما سمع بالدينار الهاه الطمع والاغترار فبردت همته وضعفت في الله قوته وتركها ورجع وترك القيام وهجع فلما أصبح الصباح وطاز بالصلاة الفلاح بادر الى الفراش وطلب المعاش فوجد الدينار كما ذكره الشيطان وأشار فالتقفه وابتهج وتحقق انه فتوح باب الفرج واستمر على ذلك أسبوعا والذهب عنده مجموعا ثم بعد ذلك قصد الفراش بسرور وانتعاش فلم يجد شيأ من الذهب فتحرق قلبه والتهب فأخذه الحنق والقلق وأخذ الفاس وانطلق فلما قرب من الشجرة نادته بألفاظ منكرة قف مكانك واذكر شانك وقل لي فيماذا جئت فلا حييت ولا بقيت فقال جئت لاقطعك ومن الارض أقلعك غيرة على الدين وقياما بحق رب العالمين فقالت كذبت انما غرت وسببت وقت وقعدت وبرقت ورعدت لفقدك الذهب الذي عندك ذهب وانما كانت الغيرة الصحيحة والقومة المليحة الناجحة النجيحة القومة الاولى فانها كانت والحق قد تجلى فلو قامت الملائق لردك واجتهدوا في منعك وصدك لما ظفروا بك ولا قاموا بحربك وأما الآن فهذه الغضبة غضبة الفاجرة القبيحة التي حصلت بواسطة عدم الدينار فهي التي أثارت منك ما أثار فلو دنوت مني خطوة وتقدمت من مقامك ربوة دققت عنقك وشققت زقك وقد قلت انى لا أضر ولا أنفع ولا أجلب ولا أدفع فاما المنفعة بإصابة بن قلمه فانك رأيتها في الدنانير التي القيتها فتقرر النفع بأمستحقي الصفع وأما المضرة فقسوا على المنفعة بالأمرة فان الذي له قدرة على المبرة ربما يقدر على الايذاء والمضرة وان شئت تقدم وجرب لتعلم واختبر واسبر وانظر كيف أثر منك الراس بهذا الفاس وحقق وصدق ان كتفك مات منفلة فبهت الرجل وتحير وخاف وخار وتقهقر وانقطع حبل رجائه وأقلبت يلتفت الى ورائه (وانما ذكرت) هذا لتعلم أيها الوزير المكرم ان كل أمر لا يقصد به وجه الله فان عقباه الندم وان حسن أولاه وكل قصد ليس لغرض صالح فان ثمرة غراسه لا تثمر الا الفضائح فترك الشروع فيه أولى وخصوصا وقد من لوح الضمير أجلى ومن لم يترك ما لا يعنيه وقع فيما يعنيه وحل به من الفضيحة والايلام ما حل بذلك المفسد في مدينة السلام فسأل الزنيم المشرق البصير الافرق كيف كانت تلك الفضيحة لما أخذ منها النفيسة النصيحة (قال) كان في مدينة بغداد صانع حرير استاذ خبير له جارية الجوار وزوجة تخجل البدر عند الكمال والشمس قبل الزوال وذلك الجار الجاني يدعى ابن الفرغاني في بعض مطاره لمح زوجة جاره فتعلق قلبه بها واشتغل من هواها نار أحشائه بهبوبها فأخذ يلهو بها الى أن أفسدها والى الضلال أرشدها وكان الزوج مغرما بها فوجد على حال علمه منها فصار يراقبها من كثبه ولا يغفل عنها لشدة شغفه ويجتهد في كفها عن الخيانة وان تحفظ الغيب وتؤدي الامانة ففي بعض الاوقات رأى في بعض الطرقات صيادا ومعه طير قد أوثق رجليه بسير فسأله عن طيره والى أين قصده في سيره فقال هذا من الجوارح السوانح لا البوارح يحاكي الصوادح ويباكي النوائح وفيه من عجيب وأمر غريب وهو انه اذا كان في بيت ورأى فيه على صاحبته كيت وكيت أخبر زوجها خبره وقص عجره وبجره وقد رغب فيه رئيس يشتريه فأنا ذاهب به اليه أقدمه لديه وامتن به عليه فرغب فيه الحريري واشتراه وأتى به الى داره وقال لزوجته اكرمي مثواه واحسني مأواه فانه يخبر بكل ما رآه وهو من أحسن صفاته وأعجب أموره وحكاياته ومهما فعلت زوجة الانسان ذكره على وجهه كما كان فقالت نحن بحمد الله في بركه آمنون مما ينقل عنا من حركه فان رأى شيأ يروله لا يكتمه فابل بقوله فتركه الزوج وذهب فدخل الظريف المتهب فرأى المرأة

وحدها

قالت العلماء لا ينبغي للانسان أن يتوانى في الجد للتقوى بل ولا ينبغي أن يدافع عن ذنب الاثم فلما سمع الاسد كلام امه أمر أن يحضر النمر وهو صاحب القضاء فلما حضر قال له والجواش العادل اجلسا في موضع الحكم ونادنا في الجند صغيرهم وكبيرهم ان يحضروا وينظروا في حال دمنة ويبحثوا عن شأنه ويفحصوا عن ذنبه ويثبتوا قوله وعذره في كتب القضاء وارفعه الى ذلك يوما فيوما فلما سمع النمر وجواش العادل وكان هذا الجواش عم الاسد قالا سمعا وطاعة لما أمر الملك وخرجا من عنده فعملا بمقتضى ما امرهما به حتى اذا مضى من اليوم الذي جلسوا فيه ثلاث ساعات أمر القاضي أن يؤتى بدمنة فأتي به فأوقف بين يديه والجماعة حضور فلما استقر به المكان نادى سيد الجمع بأعلى صوته أيها الجمع انكم قد علمتم ان سيد السباع لم يزل منذ قتل شتربه خاسر النفس كثير الهم والحزن يرى أنه قد قتل شتربه بغير ذنب وانه أخذه بكذب دمنة ونميمته وهذا القاضي قد أمر أن يجلس مجلس القضاء ويبحث عن شأن دمنة فمن علم منكم شيأ في أمر دمنة من خير أو شر فليقل ذلك وليتكلم به على رؤس الجمع والاشهاد ليكون القضاء في أمره بحسب ذلك فاذا استوجب القتل فالتثبت في أمره أولى والعجلة من الهوى ومتابعة الاصحاب على الباطل ذل فعند ما قال القاضي أيها الجمع اسمعوا اقول سيد كم ولا تكتموا ما عرفتم من أمره واحذروا في التستر عليه ثلاث خصال أما احداهن وهي أفضلهن أن لا تزدروا فعله ولا تعدوه يسيرا فان أعظم الخطايا قتل البريء

وحدهما والطير عندها فأخذ في المهارشة ومد يده لمناوشة فقالت كف يدك واحفظ الذمام فانه قد حصل علينا رقيب نمام فكف يدك يا حبيب لئلا نصاب ولا نصيب وتفكر في قول الشاعر المصيب

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل * خلوت ولكن قل علي رقيب

فقال وأين الرقيب يا ست الجار والحبيب قالت هذا الطير ليس غير فان له خواص عجيبة وفيه أشياء لطيفة غريبة منها انه نمام ومهما رآه أو سمع من الكلام فانه يفضي عنه الختام ويذكره لصاحب البيت على التمام فتهوقه بصوت عال وسخر منها وقال صدق سيد المرسلين الذي قال النساء ناقصات عقل ودين ثم أقسم بحياتها وحسن ذاتها وصفاتها ليولجن القضيب في الكثيب بمرأى من ذلك الرقيب حتى اذا فرغ من أمره يمسح في منقاره رأس ايره ليعلم اصحة ما أوهمها ثم حاورها وغالبها وساورها وقلبها وحل الصدر بالتكة وتلاقت الحلقة بالسكة وامتزجت الالف العربية بالكاف الكوفية والتم زر الوردة النصيبية شفاه الوردة القمرية واستمر اخذ وعطاء بلا غطاء ولا وطاء كأنهما افواج الحاج أو نباج الامواج في شيل وحط وقبض وبسط وهرج ومرج ودخل وخرج واستمر من نحو هذا التصريف في بحث الرفع والجر ومن علم المطاردة والركوب في صنعة الكر والفر ومن علم الزندقة والالحاد في عالم الحلول والاتحاد الى ان دفق الابريق العتيق في قدح اللبين شراب الرحيق وقد انشد الظريف هذا النظام الظريف وهو

لو تنظر الرقبا وقد عانقته * والشمع مشتعل وبابي مقفل
طورا أشاهده وارشف تارة * واضمه من بعد ما أتامل
واذا انقضى ذيل ثوبي بان لي * من حسنه شئ عليه المقفل

فلما سال الميزان بما جرى وقضى زيد منها وطرا نهض ايرقصه حسبما يرضي وقصه وادنى من منقاره غرموله وكان الطائر مدة لم يتناول ماكوله فتصوره قطعة لحم قدمها اليه طعمه فانشب فيه مخالبه فاستغاث عليه فيه وكادان يغمى عليه واستعان بحبيبة قلبه اليه فأقبلت اليه كالمداه فاشار عليها ان تكشف عن ساقيها وترى الطير بظرها وحرته فربما يلتهي به ويترك آلته فتكشفت وادنته اليه وهوات في خلاص صاحبها عليه فوثب لشدة قرمه وتأثير الجوع واله ليلهم ذلك اللهم فانشب مخالب رجله الاخرى في فلهم ذلك البظر فاشتبكا وفي البلاء اشتركا وبينما هما في تعاني الكلاب واذا بالزوج قد دخل من الباب فرآهما على تلك الحال من الاشتباك والاعتقال ونقل الطير ما قال بالافعال دون الاقوال فصح قوله وفعله وفعل معهما ما يجب فعله (وانما أوردت) هذا البيان لاعلم أشرف جنس الحيوان ان الشروع فيما ليس فيه منفوع يجب الابعاد منه والفرار عنه وعدم الاصغاء اليه والتوجه والاقبال عليه ولهذا قال النبي النبيه صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه قال المشرف ما بقي باقي الا ان ترتق فلقد طال البيان وضاع الزمان (شعر)

فانهض هديت الى مارمته عجلا * فالدهر عات وللانسان آفات

وكانت هذه المحاورة تحت ظل شجرة فيها وكر حمامة وكان اهلها البلد اقامة في برج رجل من أهل الزعامة ثم اختارت العزلة واحتسبت انه عجزله فاختارت هذا المقام ولها فيه عدة أعوام تسمعت جميع ما قالاه من مبدئه الى منتهاه فلما وعت ما اتفقا عليه وتداعيا اليه أخذت تتفرد باعمال الاستماع وتتأمل فيما يحل من عرائس معانيه من القدم الى الراس وتجيل في صور مبانيه قداح النظر وتلاحظ سريرتها وبهلوانح الفكر وتحوز مذاهبه وتروز عواقبه وتقيس مداركه بمعاريجه وتقيس في مداخله ومخارجه فادى قائد فكرها ورائد نظرها الى انهما يكونان هالكان وعلومكانة ومكانة فان محاوراتهما وما مر من مناظراتهما كانت منطوية على ذكاء وفطنه وتجارب وحنكة وعلوم جمة صادرة عن فكر مصيب ورأي ثاقب السداد اوفر نصيب ولم يبق لهما في القدر الا مساعدة القضاء والقدر واذا كان الامر كذلك فلا ابق في قطع هذه المسالك المبادرة الى التعرف بهما والتقرب الى خواطرهما ومساعدتهما على ما هما فيه

الذي لا ذنب له بالكذب والنميمة ومن علم من أمر هذا الكذاب الذي اتهم البريء بكذبه ونميمته شيأ فستر عليه فهو شريكه في الاثم والعقوبة والثانية اذا اعترف المذنب بذنبه كان أسلم له وأحرى لذلك وعند ما ان يعفوا عنه ويصفحوا والثالثة ترك مراعاة أهل الذم والفجور وقطع اسباب مواصلاتهم ومودتهم من الخاصة والعامة فمن علم من أمر هذا المحتال شيأ فليتكلم به على رؤس الاشهاد من حضر ليكون ذلك حجة وقد قيل انه من كتم شهادة ميت الجم بلجام من نار يوم القيامة فليقل كل واحد منكم ما علم فلما سمع ذلك الجمع كلامه امسكوا عن القول فقال دمنة ما اسكتكم تكلموا بما علمتم واعلموا ان لكل كلمة جوابا وقد قالت العلماء من يشهد بما لم يرا ويقول ما لا يعلم أصابه ما أصاب الطبيب الذي قال لما لا يعلم انى اعلم قالت الجماعة وكيف كان ذلك (قال دمنة) زعموا انه كان في بعض المدن طبيب له رفق وعلم وكان ذا فطنة فيما يجري على يديه من المعالجات فكبر ذلك الطبيب وضعف بصره وكان لملك تلك المدينة ابنة قد زوجها لابن أخ له فعرض لها ما يعرض للحوامل من الاوجاع فجيء بهذا الطبيب فلما حضر سأل الجارية عن وجعها وما تجد فأخبرته فعرف داءها ودواءها وقال لو كنت أبصر لجمعت الاخلاط على معرفتي باجناسها ولا أثق في ذلك باحد غيري وكان في المدينة رجل سفيه فبلغه الخبر فأتاهم وادعى علم الطب وأعلمهم انه خبير بمعرفة اخلاط الادوية والعقاقير عارف بطبائع الادوية المركبة والمفردة فأمره الملك ان يدخل خزانة

ومساعفتهما بما تصل اليه اليد وتحويه لانهما فى حالة الشده وزمان الانفراد والوحده محتاجان الى المساعده والمساعفة والمرافده وفى مثل هذه الحالة تظهر الفضيله ويحصلان المنة والجميله وتقع مساعدتى أحسن موقع ويتميز لى عندهما أرفع موضع فانه اذا علا شأنهما وارتفع بدون معاونتى قدرهما ومكانهما واجتمع عليهما الجنود وأقبل اليهما الوفود وكثرت الحفدة والاتباع وتكاثفت العساكر والاشياع فما يظهر ان يتقرب اليهما ويتراءى لديهما اذ ذاك كبير فائده ولا كثير عائده ثم انها توكلت على الرحمن وصدحت على الاغصان بقولها

على الطائر الميمون والبشر والسعد * سموت الى العلياء نهدا على نهد

ثم هبطت وبين أيديهما سقطت فأذكرت قول الرئيس هذا الشعر النفيس

هبطت اليك من المحل الارفع * ورقاء ذات تعزز وتمنع

وقبلت الارض ووقفت فى مقام العرض ولزمت شرائط الحشمه وأدت مواجب الخدمه وهنأت نفسها والكون بسلطنة الملك يسار ذات الصون وقالت انى الكاتم العون وموطنى فى هذه الشجره وأنا الاوامركم مؤتمره وقد وعيت ما قلتماه وما دار بينكما وذكرتماه ورأيته صادرا من مشكاة السعاده مشرقا بانوار السياده سهامه نافذة فى قلب الغرض وسيتمهد بجواهر الرعايا بادنى عرض فان سهامه مطبق لمفصل القصد وشأنه سيبلغ اعلى اليمن والسعد وها قد جئت مبادره واردة منهل الطاعة وصادره فأمر الامتثال وانظر الاحتفال وتحكما لا طيع وتكلما فانى سميع فان أشرتما فالقصد قاف وان استشرتما فالرأى كاف وان خبرتما فالحزم واف وان استخدمتما فالعزم شاف وان استخدمتما فالعبد خادم صاف مصاف فلما رأيا من الحمامه هذه الكرامه تبسم الزنيم وتفاءل واشرق وجهه وتهلل وتيمن بطلعة الورقا وعلم أن أمرهما يرقى وقال ابسار هذا من علامات اليسار وجبر الانكسار والخروج الى اليمن من اليسار وعنوان السعود وحصول الفرج والمقصود فان مسبب الاسباب العزيز الوهاب تبارك وتعالى وجل جلالا هو موصل الصعاب ومفتح الابواب واذا اراد أمرا هيأ أسبابه وفتح على الضعيف طاقته وبابه ووسع رحابه وسدد الى مرامى المرام مرامى نشابه وحصول مثل هذا الصاحب الصادق والرفيق الموافق والمعين الصادق أدل دليل على ان الله الجليل ييسر هذا المطلوب ويظهر هذا الفرج المحبوب ثم انهما استشارا الحمامه فى كيفية نيل الزعامه والشروع فى هذا الامر والتوصل الى دعوة زيد وعمرو وطريقة اشتهاره وتعاطى أسباب انتشاره فقالت أنا من جنس الطير مشهور وقبيلتى بالخير والهم الى سكون وعلى مناصحتى اعتماد وركون فالصواب فى فتح هذا الباب دعوة الجمهور من الطيور وانا به زعيم وفى الرسالة حكيم فان اقتضى الرأى الرفيع توجهت ودعوت الجميع بعد التقصير والتشهير بين الكبير منهم والصغير ان أبا الجراء السلطان وأبا الجداء الوزير وقد وقع الاتفاق فى الآفاق على هذا الوفاق فليبتهج سائر الطيور بهذا الفرح والسرور وليقرأ على رؤس الجمهور هذا المقال المنشور وليبادر الى الخدمة بالحضور ولا يتخلف أحد من آمر ومأمور والحذر الحذر من المخالفه وعدم الانقياد والمؤالفه فقد طاب الوقت وراق وزال المقت والشقاق والمسارعة فى أقرب زمان الاخذ والانفس من الامان ولا يركبوا من التعويق سوى متن مسافة الطريق فاعجب الملك والوزير من الهديل هذا التدبير فكتب بذلك بطاقة وحملتها الحمامة باحكم وثاقه ثم أخذت الى الجو ووقيت من الجوارح السوء ثم هبطت الى مجمع الطير وهو نادى الندى والخير فرأت منها خلقا كثيرا وجما غفيرا فسلمت سلام المشتاق وعانقت عناق العشاق فترحبوا بقدمها وسألوا عن موجب أحوالها ومجيئها وقدموا موائد الضيافه وأظهروا السرور واللطافه فبثتهم كثرة الاشواق وما عانته من ألم الفراق وقد حرضها شدة الشوق وساقها اليهم أشد سوق وبعثها أيضا باعث وهو من أحسن الوقائع وأعين الحوادث وذلك أن شخصا من أصلاء بنى سلاق الحاكم على بنى زغار وبنى براق تولى سلطنة السباع ومالكية الذئاب والضباع مضافا الى ذلك الحكم على الطيور والقيام

الادوية فما خلط من اخلاط الادوية حاجته فلما دخل السفيه الخزانة وعرضت عليه الادوية ولا يدرى ما هى ولا له بها معرفة فأخذ فى جملة ما أخذ منها صرة فيها سم قاتل لوقته وخلطه فى الادوية ولا علم له به ولا معرفة عنده بجنسه فلما تمت اخلاط الادوية سقى الجارية منه فماتت لوقتها فلما عرف الملك ذلك دعا بالسفيه فسقاه من ذلك فمات من ساعته (وانما) ضربت لكم هذا المثل لتعلموا ما يدخل على القائل والعامل من الزلة بالشبهة فى الحزم وجع عن الحد فمن خرج منكم عن حده أصابه ما أصاب ذلك الجاهل ونفسه الملومه وقد قالت العلماء ربما يجزى المتكلم بقوله والكلام بين أيديكم فانظروا لانفسكم فتكلم سيد الخنازير لادلاله وتيه بمنزلته عند الاسد فقال يا أهل الشرف من العلماء اسمعوا مقالتى وعوا بأحلامكم كلامى فالعلماء قالوا فى شأن الصالحين انهم يعرفون بسيماهم وأنتم معاشر ذوى الاقتدار بحسن صنع الله لكم وتمام نعمته عليكم تعرفون الصالحين بسيماهم وصورهم وتخبرون الى الكبير بالشئ الصغير وههنا أشياء كثيرة تدل على هذا الشقى دمنه وتخبر عن شره فاطلعوها على ظاهر جسمه لتستيقنوا وتسكنوا الى ذلك قال القاضى لسيد الخنازير قد علمت وعلم الجماعة الحاضرون انك عارف بما فى الصور من علامات السوء ففسر لنا ما تقول وأطلعنا على ما ترى فى صورة هذا الشقى فأخذ سيد الخنازير يذم سياسة دمنه وقال ان العلماء قد كتبوا وأخبروا انه من كانت عينه اليسرى أصغر من عينه اليمنى وهى لا تزال تختلج وكان أنفه مائلا الى جنبه الايمن

بسياسة امور الجمهور وأقام له فى ذلك وزيرا كافيا ناصحا مشيرا يدعى ابازغة المشرق من نسل تكابك
الارتق وهو من الفحول وكباش الوعول وقد ارسلونى الى الجماعه يامرونهم بالدخول فى رياض الطاعه
ليحصل لهم الرعى والرعايه والرفاهية والحمايه ويأمنوا صيد المكائد وكيد الصائد ثم شرعت تبث للكبير
والصغير ما شاهدت من مخايل الملك والوزير وحسن شمائلهما وعن خصائلهما وما هما عليه ونسبا اليه
من الشجاعة والدين والعقل المتين والفضل المبين والقناعة والعفة والجد الذى لا تدرك وصفه وان الملك
الملوم قد عف عن تناول اللحوم وقد قنع بما يسد الرمق من حشيش النبات والورق وقد تكفل برفع
المظالم وردع الظالم واجراء مراسم العدل واحياء مواسم الفضل فان اتابوا واجابوا رجعوا واصابوا
وطالوا وطابوا وان أبوا واصبحوا واحتزوا المخالفة وربوا ثم كسدم الدمار واركسهم فلا يلوموا الا انفسهم
فصدقوها من اول وهله والرائد لا يكذب اهله لانهم كانوا بها واثقين ولكلامها فى الحوادث مصدقين
فما وسعهم الا الطاعه والتوجه الى خدمة الملك فى تلك الساعه وبعد ما تبادروا بالتصديق طاروا بالفرح
ودخلوا الطريق واستصحبوا من الخدام والقدام ما يصلح للمخدوم من الخادم فلما قربت الديار ودنوا
من ولاية الملك بيسار تقدمت الحمامة وسبقت واخبرت الملك والوزير بما فتقت ورتقت فاستبشروا بما
تقدم وبادر الوزير الى ملاقاة المقدم فتلقاهم بالاحترام والتوقير واكرم الكبير منهم والصغير ومشى معهم
بالاكرام والحرمه واوقف كلا منهم فى مقام الخدمه وحين استقر بهم المقام افتتح الوزير الكلام فاثنى
على الله تعالى وضاعف التحية على نبيه وولى ثم امتدح الملك الذكى بثناء يقتبل المسك الزكى وذكر
بعد ذلك ما يتعلق بسياسة الممالك وان الله من بالملك عليه وساق سلطنة الوحش والطيور اليه وذكر
مقام كل من الطيور وما وظفته من اوائل الجمهور فاطاع الكل وتابعوا وعلى ما اقترحه عليهم بايعوا
وانشدوا فارشدوا

وتحن اتينا طائعين ولم نكن * عصاة فرم غير الطيور رسا كرا

ولما انقضى الوطر من قضايا الطير اخذوا فى استدعاء جموع الغير من الوحوش الكواسر والبهائم
الجواسر والهوام النواشر والجوارح النواسر وارسلوا فى تلك الجهة حمامة وقلدوها فيه طوق
الزعامه فتوجهت نحو الوحش والى كل دارج من السيد وبحش وقالوا بذلك فصمموا للمشاورة
فيه فلما اجتمعوا بلغت الحمامة الرساله والمورث ما فيها من بساله وكان اخر ما وقع عليه الاتفاق الرفاق
وعدم النفاق وقصد الارتفاق والتوجه الى خدمة الملك بيسار بصحبة الرفاق وقالوا لاشك ان الكلب بالوفاء
مشهور وبحسن الرعاية والحراسة مذكور ويقدر ان يرعانا من الانسان ويحمينا من السباع ومؤذيات
الحيوان واوصافه مذكورة فى الكتاب وناهيك بفضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب فتقدم
خزز من بين تلك البرز يدعى رئيس الارانب حبيب الى الاقارب والاجانب وهو مشهور بالحصافه
موصوف بالذكاء والظرافه والمعرفة التامه والتجربة العامه بعيد الفكر فى العواقب سديد
الرأى حازم مراقب وقال يا معشر الاصحاب واولى الابصار والالباب كيف خفى عليكم ولم يتضح لديكم
عاقبة هذه الامور وما فيها من مكروه وشرور وهل يصلح للرياسة واقامة السلطنة والسياسة اهل
الخذالة والخساسة المتصف بالقذارة والنجاسة اوما علمتم ان من اخس السباب الشتم بانحس من الكلاب
اوما سمعتم فى كلام ملك ازمة القلوب فى حق من عامله بالبلغ والسلب فقال كالكلب اوما قال
صاحب الشرع فى حق ما وقع فيه الكلب بالسبع ثم التعفير بالتراب وهو مذهب كثير من الاصحاب
وان لا يطهر بالدباغه منه الاهاب لا اصل تقى ولا وصف نقى ولا نسب طاهر ولا حسب ظاهر ولا وجه
زاهر ولا شكل باهر فان كنتم ناهين انتبهوا واعرضوا عما ادعيتم اليه وانتهوا فلمن اتخذنا ما [illegible]
التيس وزيرا والكلب سلطانا والقد ارشد من انشد

فهو شقى خبيث جامع للعيب والفجور فلما سمع دمنة ذلك قال ما مثلك الا مثل رجل قال لامرأته انظرى الى عورتك وبعد ذلك انظرى الى
عورة غيرك قال وكيف كان ذلك (قال دمنة) زعموا ان مدينة اغار عليها العدو فقتل وسبى وغنم وانطلق الى بلاده فاتفق انه
كان مع جندى مما وقع فى قسمته رجل حراث ومعه امرأتان له وكان هذا الجندى يسئ اليهم فى الطعام واللباس فذهب الحراث ذات يوم ومعه امرأتاه يحتطبون للجندى وهم عراة فاصابت احدى المرأتين فى طريقها خرقة بالية فوضعتها على سوأتها قالت لزوجها الا تنظر الى هذه الفاعلة كيف لا تستحى وتستر عورتها فقال لها زوجها [illegible] بالنظر الى نفسك وان جسمك عار كله اما عيبت صاحبتك بما هو فيك وذلك عجيب أيها القذرة ذو العلامات الفاضحة القبيحة ثم العجب من جراءتك على طعام الملك وقيامك بين يديه مع ما جمعت من القذر والقيح ومع ما عرفته انت ومعرفة غيرك من عيوب نفسك افتتكلم فى الناس الجسيم الذى لا عيب فيه واستنادا [؟] اطلع على عيب الملكين جميع من حضر قد عرف ذلك وقد كان يحجز فيما بينى وبينك من الصداقة فاما اذ قد كذبت على وتجشمت [؟] وقت بصداقتى فقالت ما قالت فى بغير علم
على رؤس الحاضرين فانى احتج عليك اذا اظهرت ما عرفت من عيوبك ونشرته الجماعة ومن حق على من عرف شيئا [illegible] من فضلك ان يمنع الملك من
استعماله اياك على طعامه فلو كلفت ان تعمل الزراعة لكنت جديرا بها لحسدك لان فيها الاجر [illegible] لكان لا ينبغى لك ان تدنوا الى عمل من الاعمال وانه

لقد جار صرف الدهر في كل جانب * من الارض واستولت علينا الاراذل

هل المسخ الآن ترى العرف منكرا * أو الخسف الاحسن تعلو الاسافل

فتصدى الهديل للجواب وقال لاشك ولا ارتياب أن المستحق للسلطنة الامام العادل والشخص الكامل الفاضل ولا يقدح في هذا الفصل دناءة الاصل فقد قال القيوم الحي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وكل من اتصف بالهمة العليه والاوصاف السنيه ومكارم الاخلاق والشيم وانتشر بها صيته بين الامم يستحق أن يرأس بين العرب والعجم وأما الانساب ففي نص الكتاب قال من بقوله يهتدي المهتدون فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقال الشاعر

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * فسوف يغنيك ذاك عن النسب

ان الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبي

وقال أيضا

لعمرك ما الانسان الا ابن يومه * على ما تجلى يومه لا ابن أمسه

وما الفخر بالعظم الرميم وانما * فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

وأما الاوصاف فلا شك ولا خلاف في أن الكلاب فضلت على كثير من لبس الثياب وما ذاك الا لاوصاف اختصتها وآثار اقتفتها واقتنصتها وهي مشهوره وعن الكلاب مسطوره ومن جملة محاسنهم مأثوره وأما الاوصاف الذميمه فيمكن صبر وربما تستقيم وذلك بحسن التأديب والتربية والتهذيب والتمرين والتشذيب حتى يصير نابه عليه وهذا ليس فيه مريه ويجتزي بالفاكهة والبطيخ عن اللحم السليخ وبالخبز الشعير عن أكل لحم الحمير وناهيك بالاوثاب ما قيل في الكلاب ولابسي الثياب (شعر)

وما ضر أهل الكهف اتيان كلبهم * ولكنهم زادوا يقينا على هدى

وماذا أفاد العلم بلعام وهو من * بني آدم لما الى الارض أخلدا

وهذا السلطان قد فاه الرحمن أن لا يمزق حيوان ولا يذوق لحمان وان يقنع بالكفاف ويسلك طريق العفاف وما ذاك بعزيز نسب اليه ولا هو من طرأ عليه بل سمت همته عن ذلك ترفعا وسلك طريق الملوك في اعلاء همته ومعاليها طابعا * وبضدها تتبين الاشياء فان أجبتم كان لكم الحظ الاوفر وان امتنعتم فقد أعذر من أنذر وبلغ من حذر وما قصر من بصر والعاقل من يقهر عيوبه ويسلك من الخلق الجميل دروبه وقد قيل لامير النحل ذلك الاسد الفحل كرم الله وجهه وجعل له الى الرضوان احسن وجهه يا أمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين ممن تعلمت الادب قال من قليل الادب يعني اذا رأيت في أحد خلقا ذميما أو وصفا فاسدا بادرت الى افتقاد نفسي وتأملت في حدسي وحسي هل أنا على ذلك الوصف أم لا فان لم يكن اجتهدت أن لا يكون وان كان ابتعدت عنه عرضي وأصون وحسبك باذا الرتبة العاليه استنكاف اللص العاقل من قول تلك الزانيه فقالت الطرز للحمامه أخبريني بذلك الاستنكاف ياذات الكرامه * قالت الحمامة ذكر رواة الاخبار عن شاطر من الشطار قد بلغ في الشطاره واللصوصية غاية المهاره يسرق الوهم من الخاطر والرائحة من الطيب العاطر والنوم من أجفان الوسنان واللحظة من انسان اليقظان ويأتي على كوامن الغيوب فضلا عن خزائن الجيوب ويلف الرخيص والغالي والوضيع والعالي وقد أعجز المقدم والوالي ففي بعض الاوقات قصد جهة من الجهات فبينا هو في المناهدة والمناهزة خشية الوالي مع العسس والجلاوزه واذا هم بامرأة زانية قد خرجت عن الصراط السوي وهم يضربونها وعلى أقبح حالة يسحبونها وهي تستصرخ المسلمين وتستغيث أئمة الدين فلما احس اللص بهم تنكب عن دربهم وولاهم عطفه وانزوى في عطفه وانتظر حتى عبروا فسمع المرأة وهم بها قد أضروا وهي تصيح بلسان فصيح وتقول يا أهل الاسلام وأمة خير الانام أنجدوني وارحموني

واسعدوني

لا تكون دباغا ولا تعاملها ولا تعاملها الا مع فضلا عن خاص خدمة الملك قال سيد الخنازير اتقول لي هذه المقالة وتلقاني بهذا الملقى (قال دمنه) نعم وحقا قلت فيك وايالك أعني أيها الاعرج المكسور والذي في استه الناسور والافدع الرجل المنفوخ البطن المدلى الخصيتين الافلح الشفتين السمج المنظر والمخبر * فلما قال ذلك دمنه تغير وجه سيد الخنازير واستعبر واستحى ولجلج لسانه واستكان وفتر نشاطه فقال دمنه حين رأى انكساره ونكايته اغاية في ان يطول بكاؤك اذا اطلع الملك على قدرك وعيوبك فعزلك عن طعامه وحال بينك وبين خدمته وابعدك عن حضرته ثم ان شعهرا كان الاسد جربه فوجد فيه امانة وصدقا فرتبه في خدمته وامره ان يحفظ ما يجري بينهم ويطلعه على ذلك فقام الشعهر فدخل على الاسد فحدثه بالحديث كله على جليته فامر الاسد بعزل سيد الخنازير عن عمله وامر ان لا يدخل عليه ولا يرى وجهه وامر بدمنه ان يسجن وقد مضى من النهار اكثره وجميع ما جرى وقالوا وقال قد كتب وختم عليه بخاتم النمر ورجع كل واحد منهم الى منزله ثم ان شعهرا كان يقال له روزبه كان بينه وبين كليلة اخاء ومودة وكان عند الاسد وجيها وعليه مكرما واتفق ان كليلة اخذه الوجد اشفاقا وحذرا على نفسه واخيه فمرض ومات فانطلق هذا الشعهر الى دمنه فاخبره بموت كليلة فبكى وحزن وقال ما أصنع بالدنيا بعد مفارقة الاخ الصفي ولكن أحمد الله تعالى حيث لم يمت كليلة حتى ابقى لي من ذوي قرابتي أخا مثلك فاني قد وثقت بنعمة الله تعالى واحسانه الي فيما رأيت من

واسعدوني لاسرقت ولانقبت ولااختلست ولاسلبت ولاطمعت في مال أحد ولانهبت ولاوقفت لاحد في درب وانما استنفق من حاصل دار الضرب وذلك من ملكي وجوزي وثمرة لوزي وجوزي باشارة سهام الخاطي الملوزه من قسي حواجب بالجمال منوزه وسفارة نظام الفاظي المعززه الشبيه باب طريقها در راق العقيق والرقيق معززه فمالي على أحد ثقل ولاطمعت في مال أحد فيحصل له مني ملل فلما سمع قاصد الدرام هذا الكلام افاق وصفا خاطره وراق وتنبه لقبح صنعته وان الزواني تانف من حرفته وتستنكف مما هو مفتخر بفضلته فقال لعن الله فلا تنقصه الخواطي وتباوحها المتعاطيه من متعاطي ثم عاهد الله التواب ورجع اليه من صنعة الدرام وتاب (وانما أوردت) هذه المناقب ياشيخ الارانب لتعلم أن العاقل من يتصفح جرائد أعماله ويتأمل صحائف حركاته وأحواله وان هذا المتصدي شراب صفائه من كدورات الهوى براووق المراقبه ونقي رياض ذاته من شوك الاخلاق الذميمه بمنكاش العاقبه بقدر طاقته وامكانه وهو مثابر على ذلك في غالب ازمانه ولايكلف الله نفسا الاوسعها وليس لك أن تعترض بان النفس لاتغير طبعها وليس الاكمه كالارمد ولا السطيح كالمقعد ولا سحبان كباقل ولاالعاقل كالمتعاقل * ليس التكحل في العينين كالكحل * وتخرج يامسكين بواقعة السلطان محمود بن سبكتكين مع وزيره حسن الميمندي بسبب القضية الواقعة لابن الجندي فسأل ابو عكرشة اباعكرمة عن هذه الواقعه لتبين من التمثيل موافقه (فقال) ان السلطان محمود ذا الطالع المسعود الذي فتح بلاد الهنود جرى بينه وبين وزيره مباحثه وقع فيها من دقيق العلوم منافثه في أن الطباع هل تقبل التغيير أم لاتستحيل عما جبلها عليه الفاطر الخبير فقال الوزير نعم تقبل التغيير بواسطة التاديب وحسن التثقيف والتهذيب وقد شاهدنا الطباع من الوحوش والسباع بواسطة التعليم تركت اخلاق الذميم واكتسبت الوصف المستقيم فجريان هذا الامكان أحرى ان يوجد في جنس الانسان فقال السلطان الظافر لا تتحول الطباع ولاتتغير ولايمكن صرفها عما جبلت عليه ولايتصور وقال من ليس في كلامه اشتباه فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله وقال القائل * وتأبى الطباع على الناقل * واستمر هذا الكلام بينهما عدة ايام الى أن ركب السلطان وقصد السيران والوزير في ركابه بين خدمه واصحابه فرأيا من بعد شابا من اولاد احد الجند وهو جالس على فرع شجرة يابس بيده قدوم ليقطعه وقد جعل ظهره الى طرف الفرع وهو مال بالمنشار الى اصل القطع فتأمل السلطان والوزير في هيئة ذلك الباهي الغرير ثم قال السلطان للوزير بين الاعيان وطبع هذا البغدادي هل هو داخل في الامكان وهل يقبل التغيير والتعليم ويمكن استصلاحه بالتأديب والتفهيم فلم يحر الوزير جوابا لاخطأ ولاصوابا ثم أشار الى بعض خوله أن يذهب بذلك الشاب الى منزله فلما نزل من الركوب احضر ذلك الشاب المرغوب الغافل المعيوب ثم طلب له مؤدبا حاذقا مهذبا وأمره أن يجتهد في تعليمه ويبالغ في تأديبه وتقويمه ويوقفه من العلوم على دقائقها ويسلك به الى خفايا طرقها وطرائقها فاشتغل بتربيته ليلا ونهارا وبذل مجهوده في ذلك سرا وجهارا الى أن برع في أنواع العلوم وضبطها من طريق المنطوق والمفهوم وما تفرع من العلوم أدناها وأنهاها من مبتدئها الى منتهاها شرع به في علم ادريس وهو علم النجوم النفيس واستطرد منه الى علم الرمل المنير وتوسل به الى أن توصل الى استخراج الضمير فأتقن هذه العلوم لاسيما استخراج الضمير الموهوم فلما أتقن ذلك وسلك فيه أدق المسالك استحسن الوزير رأيه واستصحبه الى الملك ودخل به عليه فقبل الارض وأدى من شرائط الخدمة الفاتحة والفرض وقال للسلطان محمود انه هو ذلك الشاب المعهود وقد برع في العلوم ووصل الى استخراج الضمير المكتوم وقد دلت الادلة بالذكاء وصار فؤاده كابن ذكاء فان اقتضت الآراء السلطانية سبرته واختبرت فهمه بعد ما اختبرته فادخل السلطان يده في كمه ونزع خاتمه من معصمه وأطبق يده عليه

اهتمامك بي ومراعاتك لي | وقد علمت انك رجائي وركني فيما أنا فيه فاريد من انعامك ان تنطلق الى مكان كذا فتنظر الى ما جمعته أنا وأخي بحيلتنا وسعينا ومشيئة الله تعالى فتأتيني به ففعل الشهر ما أمره به دمنه فلما وضع المال بين يديه أعطاه شطره وقال له انك على الدخول والخروج على الاسد أقدر من غيرك فتفرغ لشاني واصرف اهتمامك الي واسمع ما اذكر به عند الاسد اذا رفع اليه ما يجري بيني وبين الخصوم وما يبدو من أم الاسد في حقي وما ترى من متابعة الاسد لها وشفاعتها لها في أمري واحفظ ذلك كله فاخذ الشهر ما أعطاه دمنه وانصرف عنه على هذا العهد فانطلق الى منزله فوضع المال فيه ثم ان الاسد بكر من الغد فجلس حتى مضى من النهار ساعتان استأذن عليه أصحابه فأذن لهم فدخلوا عليه ووضعوا الكتاب بين يديه فلما عرف قولهم وقول دمنه دعا أمه فقرأ عليها ذلك فلما سمعت ما في الكتاب نادت بأعلى صوتها ان أنا أغلظت في القول فلا تلمني فانك لست تعرف ضرك من نفعك أليس هذا ما كنت أنهاك عن سماعه لانه كلام هذا المجرم الباغي الغادر [illegible] مفسدة وذلك لحسن الشهر الذي أتاه دمنه ويسمع جميع ما قالت أم الاسد فخرج في اثرها مسرعا حتى أتى دمنه فحدثه بالحديث جميعا وهو عنده اذ جاء رسول فانطلق بدمنه الى الجمع عند القاضي فلما مثل بين يدي القاضي استفتح سيد المجلس فقال يا دمنه قد أنبأني بخبرك الامين الصادق وليس ينبغي لنا أن نفحص عن شأنك أكثر من هذا الآن الا انا قالوا ان الله

ليسير منتهى عليه وينظر ما قاله الوزير في كيفية هذا التبديل والتغيير ثم أخرج يده من كمه وقال ليظهر نتائج عليه ليخبرنا بما في كفي وعن حواس العيون مخفي فتقدم الشاب ورفع الاصطرلاب ووضع أوضاع الحساب وخط لذلك النقي اشكال الحيات والنقي وسائر الاوضاع من الطريق والاجتماع ثم نظر وحسب وعبس وبسر وقدر وافتكر وقال دل الشكل والله أعلم ان ما حواه الكف المكرم شيء من المعادن مجوف اسود او سواد باش وهو في أفضل الاشكال لانه مستدير وفي أحسن الالوان لانه مستنير وفي دائرته قطر ومركز وفي وسطه ثقب لمغرز وهو ثقيل اما في الثمن أو في التحميل ثم تأمل بعد الوقوف فان هذا الموصوف ماذا يكون فقال كان والله أعلم فردة طاحون فضحك السلطان الكبير وخجل لذلك الوزير ثم قال السلطان أبى الله وله السبحان أن يكون باقل كسحبان

اذا كان الطباع طباع سوء * فليس بنافع أدب الاديب

(وانما أوردت) هذه المسائل لئلا يعترض قائل ويستدل بمثل هذا الدليل على ان الطباع لا تقبل التغيير والتحويل بل الطباع تتغير * ومن ذا الذي يا عز لا يتغير * فسبحان من لا يحول ولا يزول الذي وضع عالم الكون على الانتقال والحلول وكل الجلال عظمته تحت يمحو ما أراد ويثبت ويمحو ما يشاء ويثبت ومذهب أهل الثبات في المحو والاثبات ان الكافر قبل الاسلام كافر عند الملك العلام وبعد ما انخرط في سلك المؤمنين صار مؤمنا عند رب العالمين وعلى هذا التقدير والتقرير أيها الفاضل الكبير والعالم النحرير فالملك يسار نظر بعين الاعتبار وتنصل من رذائل الاوصاف وتخلق بأخلاق الاشراف من التلبس بالعدل والانصاف ولولا نيته الصالحة ما صارت صفقته في المبايعة رابحة ولا كانت كفة فضله راجحة ولا زايله النكد ولا أطاعه أحد والاعمال بالنيات وعلى مقدار النيات العطيات وجنس هذا الملك في الاوصاف المتباينة مشترك فانه قد جمع بين خصائص الحيوان حتى كأنه سبع بهيمة انسان كما قيل

جمع الكلاب في هذه صفات * فهو سبع بهيمة انسان

وكما قيل أيضا

يكاد اذا ما أبصر الضيف مقبلا * يكلمه من حبه وهو أعجم

وانا يا مولاي أعرض عليكم هذا الرأي وهو شاهد عدل وحكم فصل وهو ان يقع الاتفاق على واحد منكم من خلاص الرفاق من تحققتم حسن آرائه وصدقه في أنبائه وصحة دينه ورصانة عقله ويقينه فانطلق في ركابه الى حضرة الملك وجنابه فيكتحل بانوار طلعته ويشاهد ما من رؤيته ويطالع جميل صفاته ليسكن الى فضل حركاته وينتقل من علم اليقين الى عين اليقين فيزول باليقين الشك ويظهر خلاصة الذهب بالحك ثم يأخذ لكم العهد والميثاق بما يقع عليه الاتفاق وما ترضونه وترونه من الصواب ويرد عليكم بذلك الجواب فان وافق قصدكم توكدون عليه عهدكم وتتوجهون بقلوب مطمئنة وخواطر في حصول المرام مستكنة والا فترون رأيكم فيما عليكم وما لكم فاستصوبوا هذا الرأي وارتضوه واستعذبوا الطبع منه واستحسنوه وانتدبوا لهذا الامر الخطير من يصلح ان يكون عند الملوك السفير فوجدوا طيب العناصر قد عقدت على غزارة فضله الخناصر من أعقل الجماعة وأذكاها وأحسنها آراء وأدهاها فقلدوه الزعامة وأرسلوه مع الحمامة على ان يجتمع بالملك يسار ويعاهده على ما يقع عليه الاختيار ثم يسمع أقواله ويشاهد أفعاله ويميز أحواله ثم يرد عليهم الجواب فيميزوا ما فيه من خطا وصواب فيبنوا عليه ويرجعوا اليه فتوجه الظبي والحمامة مستصحبين الامن والسلامة فلما قربت الديار سبقت الحمامة الى خدمة الملك يسار وأخبرته بصورة الاخبار وان الظبي في العقب مقبل بما يحبه الملك ويحب فأمر الملك الوزير أن يتلقى الظبي الغرير مع جمع الطير الكثير فتقدم الوزير وقال أسأل مولانا الملك المفضال ان صدر من هذا القاصد خطاب ان يشار الى برد الجواب فان ذلك أعلى للحرمة وأدنى للحشمة وأقوى لناموس الملك والرياسة

تعالى جعل الدنيا سببا وموصلا اقالاة ؟ ثمرة لانهم ادلاء الرسل والانبياء الدالين على الخير الهادين الى الجنة الداعين الى معرفة الله تعالى وقد ثبت شأنك عندنا واخبرنا عنك من وثقنا بقوله الان سيدنا امرك بالمودة في أمرك والفحص عن شأنك وان كان عندنا ظاهرا بينا (قال دمنة) أراك أيها القاضي لم تعود العدل في القضاء وليس في عدل الملوك دفع المظلومين ومن لا ذنب له الى قاض غير عادل بل المخاصمة عنهم والذب فكيف ترى ان أقتل ولم أخاصم وتجعل موافقة هواك ولم تمض بعد ذلك ثلاثة أيام ولكن صدق الذي قال ان الذي تعود عمل البر هين عليه عمله وان اضر به قال القاضي انا نجد في كتب الاولين ان القاضي العدل ينبغي له ان يعرف عمل المحسن والمسيء ليجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته فاذا ذهب الى هذا ازداد المحسنون حرصا على الاحسان والمسيئون اجتنابا للذنوب والرأي لك يا دمنه ان تنظر الذي وقعت فيه وتعترف بذنبك وتقر به وتتوب فاجابه دمنة ان صالحي القضاة لا يقطعون بالظن ولا يعملون به لا في الخاصة ولا في العامة لعلمهم ان الظن لا يغني من الحق شيئا وانتم ان ظننتم اني مجرم فيما فعلت فاني أعلم بنفسي منكم وعلمي بنفسي يقين لا شك فيه وعلمكم بي غاية الشك وانما قبح امري عندكم اني سعيت بغيري فما عذري عندكم اذا سعيت بنفسي كاذبا عليها فاسلمتها للقتل والعطب على معرفة مني ببراءتي وسلامتي مما قرفت به ونفسي أعظم الانفس علي حرمة واوجبها حقا فلو فعلت هذا باقصاكم وادناكم لما وسعني في ديني ولا حسن وازهى

بي في مروأتي ولا يحق لي ان اقول نعم كيف اقول بنفسي ما كذب ايها القاضي من هذه المقالة فانها ان كانت مثل نصيحة فقد اخطأت
موضعها وان كانت خديعة فان اقبح الخداع ما ظهر وعرفت انه من غير أهله مع ان الخداع والمكر ليسا من اعمال
صالحي القضاة ولا ثقاة
الولاة واعلم ان تلك مما
يفعلها الجهال والاشرار
منه يقتدون بها الا ان امور
القضاء يأخذ بصوابها
اهل الصواب ويخطئها
اهل الخطا والباطل
والقلة الورع وانا خائف
عليك ايها القاضي من
مقالتك هذه اعظم
الرزايا والبلايا وليس من
البلاء والمصيبة انك لم تزل
في نفس الملك والجند
والخاصة والعامة فاضلا
في رايك متناهيا في عدلك
مرضيا في حكمك وعفافك
وفضلك وانا البلاء كيف
انسيت ذلك في امري
وما بلغك من العلماء
انهم قالوا من ادعى علم
ما لا يعلم وشهد على الغيب
اصابه ما اصاب البازيار
القاذف زوجة مولاه
قال القاضي وكيف كان
ذلك (قال دمنة) زعموا
انه كان في بعض المدن
رجل من المرازبة مذكور
وكانت له امرأة ذات جمال
وعفاف وكان للرجل
بازيار ماهر خبير بعلاج
البزاة وسياستها وكان
هذا البازيار عند هذا
الرجل بمكان جليل
يشمله ادخاله داره
وابتدأه مع حرمه فاتفق
ان البازيار راود زوجة
مولاه عن نفسها فابت عليه وتسخطت لذلك وتهددته واسرت حنقها وزاد امتناعها عليه وحرص على ازالة الغرض وعمل الحيلة في
بلوغ غرضه منها وضاقت عليه ابواب الحيل فخرج يوما الى الصيد على عادته فاصاب فرخي ببغا فاخذهما وجاء بهما الى منزله ورباهما فلما

وأزهى طاووس السوق والسياسة فان كان ذلك الجواب مقبولا محمودا وهو الصواب كانت سعادة
انما للملك الهمة وفي خدم الملك من تصدى للامر وابرمه فان خرج عن طريق الجادة فلا ينسب الى الملك ذلك
المادة بل يتلقاه الملك بكرمه ويكون الخطأ منسوبا الى خدمه فاجابه الى ما سأل وتقدم الوزير لملاقاة
مع سائر الخول فتلقوا الظبي بالترحاب وفتحوا في وجهه للكرامة اوسع باب ومشوا معه حتى وصل الى
الحضرة وشاهد الملك الحشمة والنضرة فقبل الارض ووقف وعرف مقدار الملك واعترف وادى الرسالة
وبين للملك ما فيها من رقة وجلالة فقابله الملك بما يليق بحشمته واجلسه بالقرب من حضرته وخاطبه بما
اذهب دهشته وآنسه بملاطفات بهات وحشته وساله عن خلف وراءه واستقصى في التفحص احواله
وانساله فبلغ عبوديتهم وطاعتهم وان الاخلاص والطاعة شملت جماعتهم وفتح فم الدعاء بلسان ذلق
وخطاب طلق وكلام غير معقد ولا قلق واطال في الدعاء واطنب في الشكر والثناء وسال شمول المراحم
وكف كف التعدي والمزاحم فانهم انبسطوا وانشرحوا وابتهجوا بابتسام لاعهد الملك وفرحوا وشكروا الله
هذه النعمة وانهم يفون بشروط العبودية والخدمة ثم سال اخذ الميثاق وتاكيد العهد بالايثاق بالامان
والاطمئنان لمن وراءه من الوحوش والغزلان فاعطاهم الامان وشملهم بالاحسان على ان لا يراق لهم
دم ولا يهتك لهم حرم وانهم يرعون حيث شاؤا ويسرحون حيث ذهبوا وجاؤا وان الملك يسار بسا كم سلوق
وزغار وشلفه راق وكوبالك والتتار قد عاهد الملك الجبار ان لا يتعرض لوحش القفار ولا لاحد من
اجناس الاطيار حتى ولا لحيتان البحار ولا يريق لهم دما ولا يقصد لهم اذى ولا الما ويرعى جانبهم
ويقضي مآربهم ويحفظ شاهدهم وغائبهم ويمنعهم من مناويهم ولا يسلط عليهم من يؤذيهم ماداموا
تحت طاعتي وفي جواري وذمتي فقبلت الغزالة بشفاه العبودية خد البداله وقالت هذا كان المأمول
وجل القصد من الصدقات والمسؤل والذي جيء لاجله فقد حصل من صدقات الملك وفضله ولكن
العلم العالي محيط بان وحوش البسيط اقوام ضعاف ليس بينهم ائتلاف وهم طوائف كثير والاختلاف
اجناس متفرقه وانواع متمزقه ليسوا كقطائع الغنم مجتمعين ولا كعساكر الخيل مجتمعين ولا بعضهم لبعض
متبعين ثم لم تزل العداوة بينهم قائمة وعيون الصلح والاتفاق عنهم نائمة لا يضبطهم ديوان ولا يحصرهم
حسبان ولا يمنعهم من التعدي سلطان القوي يكسر الضعيف ويمزقه والشاكي يستطيل على الاعزل
ويفرقه ولاجل هذا المعنى لا يمكن اجتماعهم في مغنى بل البعض في قلال الجبال متوطن والبعض في
سرب التلال مقيم والبعض متشبث بذيل الكهوف والمغارات والبعض في الاجام والآكام مخوف
الغارات وكل يخاف صولة البلاء قد اتخذ لذلك القاصعاء والنافقاء واستعمل فنون الكيد خوفا من
جوارح الصيد واذا كان الامر كذلك فاجتماعنا متعسر وخطابنا للملك غير متيسر فلا بد من ترتيب
قاعدة تعم منها جميع الوحوش الفائدة ويشمل امنها غائب الملك وشاهده والا فالحاضر آمن وقلب
الغائب غير مطمئن ولا ساكن فاعمل فكرك الرصين في ضابطه تكون الحرمة فيها للقريب والنائي باسداله
فالتفت الملك للوزير وقال اجب هذا الصغير فقال الزنيم يا حسن ريم هذه الافكار من قصور الانظار
وعدم التامل والاستبصار والافق السلطان في كل مكان كالقمر عاليا ووجوده كالشمس في الدنيا فكما ان
الشمس اذا استوت وعلى سرير كبد السماء استوت عم فيض شعاعها الجبال والآكام والتلال والآجام
وانتشر على البحر والبر واشتمل على الفاجر والبر فربت الازهار والاثمار وشبت مشاعل الكلا في القفار
وابتهجت التلال وفرا كه الانهار وصبغت في كوامن المعادن جواهر الاحجار كما قيل

كالشمس في كبد السماء محلها * وشعاعها في سائر الآفاق

كذلك الملك العظيم اذا انتشر صيت عظمته وعدله في سائر الاقاليم شمل فضله الشريف والوضيع وبلغ

بجوده وجوده الدني والرفيع وردع عدله الطائع والعاصي ووسع نواله الداني والقاصي وإنه كالغمام الصيب الصبيب على الربيع الخصيب والديمة المطبقة والمزنة المغدقة إذا انتشرت في الآفاق وصارت لا معهد عاهده الاستغراق فروت الحضيض واليفاع وعمت الوهاد والتلال والبقاع وخاطبها لسان الرياض وعطشان الغياض شعر

أمطر على سحاب جودك مرة * وانظر إلى برحمة لا أغرق

هذا ومتى انتشر في الأطراف أنكم التجأتم إلى هذه الأكناف وتطرز بشمول الصدقات السلطانية من ملابس طاعتكم الطراف والأطراف منعت العواطف الملوكية والخواطر الشريفة السلطانية عوادي المعادي وكفت أكف المصادم والمصادي فلا يجترئ أحد على التعرض لكم ولا يخطر ببال مخالف أن يقطع سبيلكم قال الرسول الأمر كما يقول مولانا الأمير وما أحسن هذا التقرير ولكن مع المراحم السلطانية وصدقات العواطف الملوكية وحسن الطوية وإحسان النية فلا بد للسياسة وضبط الرياسة وقواعد الملك في الحراسة من ضابط يبني عليه الملك لأمره أساسه لا يتميز به كبير دون صغير ولا يختص برعايته جليل غير حقير فإن من أحسن أوصاف الملوك والأكابر أن لا يغفلوا عن تفقد أحوال الصغائر والأصاغر ولا يقتصروا في ذلك على نوع دون جنس كما يفعل أغلبية الهوى بعض حكام الإنس مع أنهم مسؤلون عن جليلها وحقيرها ومحاسبون على كبيرها وصغيرها وفي شأنهم قد قال من في ضبط حركاتهم وملكاتهم استقصاها ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وقد تنبه لهذا الفعل الرجيح أيها الوزير النصيح والمنطق الفصيح أنوشروان وهو من الكفار واشتهر عنه قضية الحمار فسأل الوزير بيان هذا التقرير (فقال) الرئيس بلغنا أيها الكريم أن أنوشروان بالغ في نشر العدل والإحسان ومعاملة الرعية كبيرا وصغيرا بالسوية وبذل في ذلك جهده واستفرغ لساعته وكده وكده واختشى أن يمنع المتظلم الفقير الأبواب بسبب حاجب أو كبير لغرض أو مرض أو ارتشاء من في قلبه مرض ويمشي مدلس البراطيل من خوف الأباطيل ويضيع بحث صارخ الحق في أوقات التعطيل فأداه قائد اجتهاده وانتهى به رائد مراده إلى أن يعقد في طاق مبيته ومجتمع خاطره عن تشتته من محاذي السرير حبلا من الحرير ويربط طرفه الأدنى في حلقة الباب حيث لا حاجب ولا بواب وهو مكان مجتمع الجمهور ولا يمنع أحد فيه من الوقوف والمرور وأن يشد فيه أجراس من خالص الذهب لا النحاس بحيث إنه إذا حرك الحبل صوتت الأجراس صوتا أخرس الطبل ثم أمر مناديا أن يرفع صوتا عاليا بأن من كان شاكيا فعليه بتحريك ذلك الحبل ليقع الظالم في الكبل أو ينتصر المظلوم من بعد ومن قبل فاشتهرت هذه العادة ونال بها في الدنيا السعادة وعظم صيته وخمدت عفاريته وانتصفت صفاريته ففي بعض الظهائر عند قائلة الهواجر وأنوشروان في مبيته قد طاب اضطرب الحبل والأجراس أشد اضطراب ففز أنوشروان مذعورا وتصور المحرك مظلوما مقهورا فابتدر بطلبه لينظر في ظلمه وسببه فتبادروا إلى إحضاره واستكشاف أخباره وإذا هو حمار أجرب جنب جسمه من الجرب خرب ومتن ظهره من الحكة نقب وفقد عمارة عمره هادم الهرم والهب حشيش حشاشته من الجوع ما في الضرم يحمله صاحبه ما لا يطيقه ويقطع عنه قوته وعليقه يؤذيه ولا يداويه ويدوبه ولا يداريه فطلب مالكه وعنفه ثم زجره وضربه ثم أمر بالنداء في الأسواق وامتد ذلك حتى بلغ الآفاق وعم الضواحي والرزداق أن يسلك بما ملكت اليمين الإرفاق ولا يقتر عليها في الإنفاق وكل من عنده دابة قد أسن ملها في صباها واستوفى في خدمته قواها يراعي حقوقها إذا كبرت ولا يضيع ما قدمت بما أخرت وصك وجه ذلك الرجل صكا وكتب عليه بفرض سماره صكا (وإنما ذكرت) هذا المثال في معرض ما يقال من أن عدل السلطان خير من خصب الزمان وأيضا فإن قصد الملك إذا كان صالحا كان أمره في جميع الأزمان ناجحا

كبرا فرق بينهما وجعلهما في قفصين وعلم أحدهما أن يقول رأيت البواب مضاجعا مولاتي على فراش سيدي وعلم الآخر أن يقول أما أنا فلا أقول شيأ ثم أدبهما بذلك حتى أتقناه وحذقا فيه في ستة أشهر فلما بلغ الذي أراده منهما جاء بهما إلى أستاذه فلما رآهما أعجباه ونطقا بين يديه فطرباه إلا أنه لم يعلم ما يقولان لأن البازيار قد علمهما لغة البلخيين وأن المرزبان أعجب بهما إعجابا شديدا وحظي البازيار عنده بذلك حظوة كريمة فأمر امرأته بالاحتياط عليهما والمراعاة لهما ففعلت المرأة ذلك واتفق بعد مدة أن قدم على الرجل قوم من عظماء بلخ فتأنق لهم في الطعام والشراب وجمع من أصناف الفواكه والتحف شيأ كثيرا وحضر القوم فلما فرغوا من الطعام وشرعوا في الحديث أشار المرزبان إلى البازيار أن يأتي بالببغاوين فأحضرهما فلما وضعتا بين يديه صاحتا بما كانتا علمتاه فعرف أولئك العظماء ما قالتا فنظر بعضهم إلى بعض ونكسوا رؤسهم حياء وخجلا فسألهم الرجل عما تقولان فامتنعوا أن يقولوا ما قالتا فألح عليهم وأكثر السؤال عما قالتا فقالوا إنما تقولان كذا وكذا وليس من شأننا أن نأكل من بيت يعمل فيه الفجور فلما قالوا ذلك أمرهم الرجل أن يكلموا الطيرين بلسان البلخية بغير ما نطقتا به ففعلوا ذلك فلم يجدوهما تعرفان غير ما تكلمتا به وبان لهم وللجماعة صيانة المرأة وبراءتها مما رميت وسخر به ووضح كذب البازيار فأمر المرزبان بالبازيار أن يدخل عليه فدخل عليه وكان على يده باز أشهب فصاحت به المرأة من داخل البيت أيها

العدو لنفسه أنت رأيتنى على ما ذكرت وعلمت به اليقين قال نعم انا رأيتك على مثل ما تقولان فوثب البازى الى وجهه ففقأ عينيه بمخالبه
فقالت المرأة بحق أصابك هذا انه جزاء من الله تعالى بشهادتك على ما لم تره عينك (وانما ضربت) لك هذا المثل أيها
القاضى لتزداد علما
بوخامة عاقبة الشهادة
بالكذب فى الدنيا والآخرة
فلما سمع القاضى ذلك من
لفظ دمنة نهض فرفعه
الى الاسد على وجهه فنظر
فيه الاسد ثم دعا أمه
فعرضه عليها فقالت
حين تدبرت كلام دمنة
للاسد لقد صار اهتمامى
بالتخوف من احتيال
دمنة بمكره ودهائه
حتى يقتلك أو يفسد عليك
أمرك أعظم من اهتمامى
بما سلف من ذنبه اليك
فى الغش والسعاية حتى
قتلت صديقك بغير ذنب
فوقع قولها فى نفسه فقال
لها أخبرينى عن الذى
أخبرك عن دمنة بما
أخبرك فيكون حجة لى فى
قتل دمنة فقالت انى
لاكره أن أفشى سر من
استكتمنيه فلا يهنئنى
سرورى بقتل دمنة اذا
تذكرت انى استظهرت
عليه بركوب ما نهت عنه
العلماء من كشف السر
ولكنى أطلب الذى
استودعنيه ان يحللنى
من ذكره لك ويقوم هو
بعلمه بما سمع منه ثم
انصرفت وبعثت الى النمر
وذكرت له ما يحق عليه
من تزيين الاسد وحسن
معاونته على الحق واخراج
نفسه من الشهادة التى لا يكتمها مثله مع ما يحق عليه من نصر المظلومين وتثبيت حجة الحق فى الحياة
والممات فان العلماء قد قالت من كتم حجة ميت أخطأ حجته يوم القيامة فلم تزل به حتى قام فدخل على الاسد فشهد عنده بما سمع من اقرار

وبعث الله له من يرشده الى قصده ويعينه على أمور شعائره ويحيى ذكره من بعده وتدر على يده سحائب البركات ويجرى منها على غير قصده أنهار الخيرات ويحفظ كل من اليه ينتسب ويرزقه كل ذلك من حيث لا يحتسب وحاصل هذه المقدمه ان المسؤل من الصدقات المعظمه انه اذا تراءى على أبواب عدله شاكى أو تعلق بأسباب عدله متظلم باكى تتصدى هى بنفسها لكشف ظلامته ولا تترك الغير فى فصلها لاقامته وان الفقير من جماعتنا والضعيف من أهل طاعتنا اذا مست الحاجة به الى بث شكوى أو رفع بلوى يتقدم الى شكواه بلا واسطه ليأمن فى أمره المغالطه ويصادف مقسطه لا قاسطه ويتساوى فى كل من مشرب العدل والانصاف ومراعى الفضل والالطاف الظباء والاسود والذئب والعتود والعقاب والعصفور والحمام والصقور ولا يتقدم فى الدعاوى من حيث التساوى الوجيه على الجاهل ولا النبيه على الخامل ولا الكبير على الصغير ولا الجليل على الحقير فان اقتضت الآراء العاليه تولية عامل فى ناحيه فليكن ممن له شفقة تامه ورحمة فى أمر الرعية عامه ويعرف ذلك من جربته العلوم الكريمه وتحققت ان نيته فى رعاية الرعيه مستقيمه قد صارت له الشفقة ملكه وكل من العدل والانصاف قد ملكه ولا ترى أحدا ترضى أو من فى قلبه من أذى الساكن مرض وان الطبيعه اذا اعتادت عاده والسجية اذا جعلت لها بعض الاوصاف قلاده سواء كان ذلك مذموما أو محمودا مقبولا عند العقل والشرع أو مردودا فانه ابرزه فى غالب الاوقات ولا تتخلف عن ملابسه فى أكثر الحالات (شعر) العين تعرف من عينى محدثها * ان كان من حزبها أو من أعاديها
وكل قضيه لا يساعدها القلب قضاها على العكس والقلب ونظيرها يا رئيس الداره قضيه من زوجته أمه وهو كاره فسأل الوزير من السفير تقرير هذا النظير (فقال) كان شاب من العرايه قصدت أمه تأهله فزوجته بامرأة أرمله ولم يكن له احتياج ولا رغبة فى الزواج واختار التخلى للصلاة على مذهب الامام الشافعى رحمه الله ولكن فر من العقوق وكتب على نفسه الحقوق فلما عقدت الوليمه وجمعت الحزمه وجمعت النساء والرجال أرسلت أمه الى مطرب قوال استاذ فى صنعته ماهر فى حرفته فدعته الى الجمع ليتمتع بحسن غنائه السمع فيشغل الوقت ويذهب المقت ويحصل للحضور النشاط والسرور فتخلف وأبى عن الحضور نبا فسئل عن تخلفه وسبب تخلفه فقال بلغنى ان الزوج المخاطب غير طالب ولا راغب واذا كان كذلك فلا يفيد الغناء الا العناء ولا يؤثر فى القلوب والاسماع بل تنفر عند سماعه الطباع فكل شئ لا يصدر عن رغبة القلب فان اجابته لا يفيد الا السلب فيضحك على القائم والقاعد ويسخر منى الصادر والوارد ويروح تغزلى فى البارد وانما ذكرت ذلك لاعرض على آراء المالك انه اذا أولى أمر الرعيه الى احد من الحاكميه ينظر الى شفقته ويسبر وفور مرحمته ثم يوليه عليهم ويتقدم بالطاعة اليهم فيستقيم اذ ذاك نظامهم ويفعل وينظر فى حركاته وسكناته عدله وليس العدل فى القضايا تساويها ولا اجراؤها على نسق واحد يحويها بل معرفة مقاديرها وبيان تقريرها فى المبادى وتحريرها ثم اجراؤها على مقتضى مدلولها ورد فروع كل مسئلة الى أصولها ووضع الاشياء فى محلها وايصال الحقوق الى أهلها ومعرفة منازل أربابها وارتفاع أصحابها ومراتب طلابها فمن لم يحقق هذه الامور أضاع مصالح الجمهور وأعطى غير الحق ما لا يستحق ومنع الحق من المستحق وقد قيل يا أبا السعود ان حقيقة الجود اعطاء ما ينبغى لمن ينبغى والا كان كالباذر فى السباخ وأشبه فى أمره أمير الطباخ الذى لم يعرف معنى العدل فقصده فوقع فى الجدل فسأل الغزال شيخ الاوعال عن هذا المثال (فقال) كان عند بعض الاشياخ من الطباخين أمير طباخ له رغبة تامه على معرفة طبخ الاطعمه وكيفية ترتيبها وصنعة تركيبها وكان مغرما بذلك يسلك فيه كل المسالك ويرد فيه الموارد ويتبع كل صادر ووارد ففى بعض الآناء وقف على طبيب من الاطباء فسمعه يقول ان أصلا من الاصول العدل والتسويه بين الاطعمه والاغذيه والعقاقير والادويه فمن لم يستعمل الاستوا فى درجات الغذاء

والدوا ضل عمله وغوى وأصل هذا المزاج ولا ينكره الا ذو لجاج فان العناصر الاربعه منها المضرة والنافعه وقد تولد منها السوداء والبلغم والصفراء والدم فمتى اعتدلت هذه المتولدات صحت الابدان والاذات ومتى عن الاعتدال عدلت أمرضت وقتلت وكذلك النير الاعظم والكوكب المضيء في العالم اذا حل في مركز الاعتدال استقام للعالم الحال وطاب الزمان واعتدل وذلك عند نزوله في برج الحمل فتصور ذلك الواهات أن المقصود التسوية في الاوزان فانصرف وهو فرحان وقصد طعام الزيرباج وعين من مفرداته ما يحتاج ثم انه ساوى بين أوزانها وقصد العدل في ميزانها وخلط كمقلة اخلاطها ووضعها في قدر وسلطها فخاب عمله في عدله وبان نقصه في فضله فلما رعى الملك والوزير ما سلكه السفير في نظام هذا القدر شكر له مساعيه وأخصه بالاكرام والاعزاز مراعيه وقال جزاك الله خيرا عن شفقتك وحسن صنيعك ارسلك ورفقتك فمثلك من يصلح للسفارة بين الملوك وتولى امور الرعية من الغني والصعلوك فانك ناصح لمن فوقك شفيق على من دونك ثم قال الوزير ان هذا الملك الكبير مقاصده العظيمه أن تكون الامور مستقيمه وان يصلح العباد والبلاد ويطمئن المستفيد والمستفاد فاحتفظ أيها السفير المنير الضمير بما سمعت ورأيت وشاهدت ووعيت واجعله من عنوان أنبائك ومقدمات افعالك وآرائك وابلغه من خلفك من امامك وورائك ومهما وصلت اليه قدرتك واحاطت به يدك وكلمتك من ابلاغ الخبر الى مسامع الوحش والطير عن هذا الملك وأوصافه وتطلعه الى مراقي السير والاحسان واستشرافه وما تسكن به الخواطر وتطمئن به الضمائر وتقر به العيون بالسرور وتستقر به القلوب في الصدور فلا تأل فيه جهدا وأوسع فيه جدا ولا تنته في انهائه حدا فان المجال واسع وميدان المقال شاسع وقد أذن لك فيه وان أخفيته في نفسك فالله مبديه ثم كتب له بذلك مراسيم من ثغر الاماني مباسم وافيض عليه خلع الكرامه وأضيف اليه الحمامه ورجع الى أهله مغمورا بفضله مسرورا بقوله مشكورا بفعله فائزا بالمطلوب ظافرا بكل مرغوب فارغ البال طيب الحال فاتصل باهله في دياره وهم في انتظاره فبادروه بالسلام وقابلوه بالاستسلام وقالوا ما وراءك يا عصام فبلغ الجواب بأرشق عبارة وأليق خطاب وذكر لهم ما رأى وسمع ووعى فانتشرت هذه الاخبار حتى ملأت الاقطار وتسامع بها وحوش القفار وفاح بطيب نشرها الازهار فكان جميع البر معطار ثم اجتمع رؤساء الوحوش والبهائم وعرفاء السوادح والبواغم وكل ساكن في القفار من سائم وحائم وأرسل كل الى أمته رسوله يدعوها الى ما يحصل سولها وسوله فلبت كل أمة دعوة رسولها وأقبلت لاستماع المراسيم وقبولها فاجتمعوا في رياض مرج أخضر وحلقوا لاستماع المراسيم حول المنبر واطرقوا وسكتوا واستمعوا وأنصتوا وتناول المرسوم الصادح من البواغم وصعد على الغصن الناعم مطوق الحمائم وابتدأ باسم الكريم الغفور وقرأ على رؤس الاشهاد مضمون المنشور ودعاهم الى الطاعه والدخول في سنن السنة والجماعه وانهم لا يتأخرون عن الحضور بعد الاطلاع على مضمون المنشور فانه فرمان أمان لكل من أجناس الحيوان ولم يبق منها المتخلف ولا شبه المتأخر وسوف كما قيل

فمن جاءنا طوعا اقنا بجهده * ومن يأب لا يعتب علينا فعالنا

الى آخر الرساله مع ما شحنه الرسول من مشافهة ومقاله ومن ملاطفات تشرح الصدر وتستنزل البدر وتوضح ما للملك من جلالة وقدر فتلقى الكل هذا الكلام بآذان القبول والاكرام واتفقوا على التأهب والمسير والاحتفال بالكبير والصغير وأخذوا في تهيئة التقادم والخدم وفرضوا ذلك على ما لكل من طوائف وحشم وتعاهدوا عن هذا المرسوم على أن يجتمعوا في يوم معلوم ثم أعد كل عتاده وأكمل عدده وزاده واجتمعوا لذلك اليوم الموعود وتوجهوا الى الخدمة في الطالع المسعود ولما دخلوا الدرب وضربوا في الارض أين ضرب توجهت الحمامة بالبطاقه بهذه البشارة والطلاقه فانتشر هذا

دمنة فلما شهد النمر بذلك أرسل الفهد المحبوس الذي سمع اقرار دمنة وحفظه الى الاسد فقال ان عندي شهادة فأخرجوه فشهد على دمنة بما سمع من اقراره فقال لهما الاسد ما منعكما ان تقوما بشهادتكما وقد علمتما أمرنا واهتمامنا بالفحص عن أمر دمنة فقال كل واحد منهما قد علمنا ان شهادة الواحد لا توجب حكما فكرهنا التعرض لغير ما يمضي به الحكم حتى اذا شهد احدنا قام الآخر بشهادته فقبل الاسد قولهما وأمر بدمنة ان يقتل في حبسه فقتل أشنع قتلة (فمن) نظر في هذا فليعلم ان من اراد منفعة نفسه بضر غيره بالخلابة والمكر فانه سيجزى على خلابته ومكره انقضى باب الفحص عن امر دمنة

{باب الحمامة المطوقة}

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت مثل المتحابين كيف قطع بينهما الكذوب والى ما ذا صار عاقبة أمره من بعد ذلك فحدثني ان رأيت عن اخوان الصفا كيف يبتدأ تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض قال الفيلسوف ان العاقل لا يعدل بالاخوان شيأ فالاخوان هم الاعوان على الخير كله والمواسون عند ما ينوب من المكروه ومن امثال ذلك مثل الحمامة المطوقة والجرذ والظبي والغراب قال الملك وكيف كان ذلك قال بيدبا زعموا انه كان بأرض سكاوندجين عند مدينة داهر مكان كثير الصيد ينتابه الصيادون وكان في ذلك المكان شجرة كثيرة الاغصان ملتفة الورق فيها وكر غراب فبينما هو ذات يوم ساقط في وكره اذ بصر بصياد قبيح المنظر سيء الخلق على عاتقه شبكة وفي يده عصا مقبلا نحو الشجرة فذعر منه الغراب وقال لقد

الخبر وملأ البدو والحضر فلما وصل الطائر دقت البشائر وسرت الاهل والعشائر ثم ان الملك دعا الوزير وقال اعلم ايها الناصح الخبير والعمر النحرير ان الوحوش واصلة الى منزلك وجحفلها وجحافلها نازلة في ساحاتك وان راية سلطاننا بعون الله بالنصر نشرت ووحوش الجنود والعساكر بحمد الله تعالى على بساط بسيط الطاعة حشرت وفي هذه الجيوش اصناف الوحوش وطوائف السباع وانواع الذئاب والضباع وفيهم الفراعل والثعالب والعساير والارانب ولا شك ان هيبة الاسد رادعه وحرمة السلطنة باسطة قاهره وحضرة السلطان ذات جلال وان كانت جامعة اصناف الجلال والكمال وما عند كل احد ملكة للالتفات ولا ثبات جنان عند المشاهدة لتلك اذا رآه فمن لم يكن بيننا وبينه اجتماع فقد وقرت هيبتنا في قلبه على السماع ومن تصدينا له في ميادين الصيد وافلت بعد معاناة الكد والكيد قد رأيته على العيان ولا يحتاج في معرفة قوة سلطاننا الى ترجمان وعلى كل تقدير فشاهدتنا على غالبهم امر عسير لانهم عما يذكرهم متذكر او يتفكرهم متفكر واقعة سبقت او سابقة وقعت الجرح فيها من نصل انيابنا مفاصل عراقيبه او تذاق بها من اشفارها واظفارها مشاطة جلابيبه ومن لم يقم بمناضلتنا ولم يكن سلاحه من كلاليب مخالبنا الاسلاحه فبمجرد ما يقع نظره علينا او يتمثل بالوقوف لدينا يرجف فؤاده وينقض من هيبة كريشة زاده فينكص من الخوف على عقبيه ولا يعرف امره من حواليه فيتبعونه ويحصل الفشل ويقع الخباط والخلل فيهم ما اوضعناه ويفسد اضعاف ما اصلحناه وينهدم من اول الامر الى آخره ما بنيناه ويعوج من مستقيم السلطنة ما قويناه فلا يحصل من عزة المملكة الاعلى مثل ما حصل لابي الحسين من شيخ الديكة فقال الوزير ينعم مولانا الاجل بتقرير هذا المثل (قال الملك) سمعت مخبرا انه كان في بعض القرى للرئيس ديك حسن الاخلاق وديك مرت به التجارب وقرأ تواريخ المشارق والمغارب ومضى عليه من العمر سنون واطلع من حوادث الزمان على فنون وقاسى حلوه ومره وعانى حره وقره وقطع للثعالب شباك مصايد وتخلص لابن آوى من ورطات مكايد ورأى من الزمان وبنيه نوائب وشدائد وحفظ وقائع بنات آوى وثعالب وطالع من كتب حيلها طلائع كتائب واستكثر من طرائفها عجائب وغرائب فاتفق له في بعض الاحيان انه وقف على بعض الجدران فنظر في عطفيه وتأمل في نقش برديه فرأى خيال تاجه العقيقي ونظر الى خده الشقيقي ونفض براثنه المنقش وسراويله والثوب الذي رقمه نقاش القدرة من المقطع المبرقش فاعجبته نفسه واذن فطرب حسه وتذكر ما قاله الاسعد المادح في المعتصم ابن صمادح وهو

كأن انوشروان اعطاه تاجه * وناطت عليه كف مارية القرطا

سبى حلة الطاووس حسن لباسه * ولم يكفه حتى سبى المشية القطا

فصار يتيه ويفتخر ويتعطف ويتخطر فاستمر واداه التيه به حتى ابعده عن التنبه فصعد الى جدار وكان قد انتصف النهار فرفع صوته بالاذان فاسمع صوته الاقاصي والاداني فسمعه ثعلب فقال مطالب وسارع من وكره وحمل شبكة مكره وتوجه اليه فرآه فسلم عليه فلما احس به ابو اليقظان نظر الى اعلى الجدران ثم حياه تحية مشتاق وتراءى لديه تراءي العشاق وقال انس الله بك الدار ووصلك وروى من كاسات اللطافة غبوقك وصبوحك فانك احييت الارواح والابدان بطيب النغم والصياح في الاذان فانا لي زمانا لم اسمع مثل هذا الصوت وبالله انه نوائب الفوت ومصائب الموت وقد جئت لاسلم عليك واذكر لك ما اسدى من النعم اليك وابشرك ببشارة هي ارجح قياده واقصى من الولاية والامارة لم يتفق مثلها في سالف الدهر ولا يقع نظيرها الى آخر العصر وهي ان السلطان ايد الله به واركان الايمان امر منادينا فنادى بالامان والاطمئنان واجرى ماء العدل والاحسان من حدائق العصبة والصداقة في كل بستان وان يشمل الصداقة كل حيوان من الطير والوحش والحيتان ولا يقتصر فيها على جنس الانسان فيشاركه

ماقي هذا الرجل الى هذا المكان اما حيني واما حين غيري فلا ابرح مكاني حتى انظر ماذا يصنع ثم ان الصياد نصب شبكته ونثر عليها الحب وكمن قريبا منها فلم يلبث الا قليلا حتى مرت به حمامة يقال لها المطوقة وكانت سيدة الحمام ومعها حمام كثير فعميت هي واصحابها عن الشرك فوقعن على الحب يلتقطنه فعلقن في الشبكة كلهن واقبل الصياد فرحا مسرورا فجعلت كل حمامة تضطرب في حبائلها وتلتمس الخلاص لنفسها قالت المطوقة لا تخاذلن في المعالجة ولا تكن نفس احداكن اهم اليها من نفس صاحبتها ولكن نتعاون جميعا فنقلع الشبكة فينجو بعضنا ببعض فقلعن الشبكة جميعهن بتعاونهن وعلون في الجو ولم يقطع الصياد رجاءه منهن وظن انهن لا يجاوزن الا قريبا ويقعن فقال الغراب لاتبعهن وانظر ما يكون منهن فالتفتت المطوقة فرأت الصياد يتبعهن فقالت للحمام هذا الصياد مجد في طلبكن فان نحن اخذنا في الفضاء لم يخف عليه امرنا ولم يزل يتبعنا وان نحن توجهنا الى العمران خفي عليه امرنا وانصرف وبمكان كذا جرذ هو لي اخ فلو انتهينا اليه قطع عنا هذا الشرك ففعلن ذلك وايس الصياد منهن وانصرف وتبعهن الغراب فلما انتهت الحمامة المطوقة الى الجرذ امرت الحمام ان يسقطن فوقعن وكان للجرذ مائة جحر للمخاوف فنادته المطوقة باسمه وكان اسمه زيرك فاجابها الجرذ من جحره من انت قالت انا خليلتك المطوقة فاقبل اليها الجرذ يسعى فقال لها ما اوقعك في هذه الورطة قالت له الم تعلم انه ليس من الخير والشر شيء الا وهو مقدر على من تصيبه المقادير وهي التي اوقعتني في هذه الورطة فقد لا يمتنع من القدر من هو اقوى مني واعظم

فيه الوحوش والسباع والبهائم والضباع والاروى والنعام والصقور والحمام والضب والنون والذباب وأبو قلمون ويتعاملون بالعدل والانصاف والاسعاف دون الاعساف ولا يجري بينهم الا المصادقة وحسن المعاشرة والمرافقة فتمحى من لوح صدورهم نقوش العداوة والمنافقة فيطير القطا مع العقاب ويبيت العصفور مع الغراب ويرعى الذئب مع الارنب ويتآخى الديك والثعلب وفي الجملة لا يتعدى أحد على أحد فتأمن الفارة من الهرة والخروف من الاسد واذا كان الامر كذا فقد ارتفع الشر والاذى فلابد ان يمتثل هذا المرسوم ويترك ما بيننا من العداوة والخلق المذموم ويجري بيننا بعد اليوم المصادقة وتنفتح ابواب المحبة والمرافقة ولا ينفر أحد منا من صاحبه بل يراعي مودته ويبالغ في حفظ جانبه وجعل الثعلب يقرر هذا المقال والديك يلتفت الى اليمين والشمال ويحتاط غاية الاحتياط ولا يلتفت الى هذا الهذيان والخباط فقال الثعلب يا أخي ما لك عن سماع كلامي مرتخي انا أبشرك ببشائر عظيمة لم تتفق في الاعصر القديمة وانما برزت بها مراسيم مولانا السلطان الجسيمة وأراك لا تلتفت الى هذا الكلام ولا تسر بهذا اللطف العام ولا تلتفت الي ولا تعول علي وتستشرف على بعد الشيء فهلا أخبرتني عما أضمرت ونويت وتطلعني فيما تتطاول اليه على ما رأيت حتى أعرف في أي شيء أنت وهل ركنت الى أخباري وسكنت فقال أرى عجاجا ثائرا ونقعا الى العنان فائرا وحيوانا جاريا كأنه البرق ساريا ولا عرفت ما هو ولكنه أجرى من الهوى فقال أبو الحصين وقد نسي المكر والمين بالله يا أبا نبهان حقق لي هذا الحيوان فقال حيوان رشيق له آذان طوال وخصر دقيق لا الخيل تلحقه ولا الريح تسبقه فرجفت قوائم الثعلب وطلب الهرب فقال أبو المنذر تلبث يا أبا الحصين واصبر حتى أحقق رؤيته وأتبين ماهيته فانه يا أبا الحصين يسبق طرف العين ويكاد أبا النجم يخالف النجم في الرجم فقال اخذني في فؤادي وما هذا وقت التمادي ثم أخذ يسلح وولى وهو يصلح بقوله

لابس التاج العقيقي * لا تقف لي في طريقي ان يكن ذا الوصف حقا * فهو والله السلوقي

فقال الديك واذا كان وقد قلت ان السلطان رسم بالصلح بين سائر الحيوان فلا بأس منه عليك فتلبث حتى يجيء ويقبل يديك وتعقد بيننا عقود الصداقة ويصير رفيقنا ونصير رفاقه فقال ما لي برؤيته حاجة فدع عنك المحاججة واللجاجة فقال أو ما زعمت يا أبا وثاب ان السلطان رسم للاعداء والاصحاب ان يسلكوا طرائق الاصدقاء والاحباب فلو خالف المرسوم هذا الكلب لما قابله الملك الا بالقتل والصلب قال لعل هذا المشوم لم يبلغه المرسوم ثم ولى هاربا وقصد للخلاص جانبا (وانما أوردت) يا نفيس هذا المثال لتقيس أحوال من دان لك من هذا الحيوان ولا تشبهاهم جملة واحدة واحسب حال كل واحد على حدة فربما يكون في هذه البهائم من لا هو بأحوال الصلح عالم ولم تبلغه الدعوة وانما انضاف بسبب رجوه أو آمن على سبيل التبعية والتقليد ولم يطلع على موارد الوعد والوعيد ولا وقف على ما وقع من الاتفاق ولا يثبت المصادمة اللقاء وقت التلاق فيصدر منكم حركة تؤدي الى قلة بركة وتستطرد الى نفرة وجفول فيهدم منا هدم ما أسسناه على غفول ويقع من الفساد ما لا يمكن تلافيه ويضيع نقود جواهر جهدنا وكدنا فيه واذا كانت الدنيا محل العوارض والغالب أنه عند مشارفة المقصود يحصل العارض والعاقل لا يغفل عن هذا الخاطر فمنادمة الليالي يحدث الكدر وقد كفاك من نادالك بقوله

اذا قربت يداك الى مرام * وقلت تحولت نفسي مناما * فلا تأمن من الدهر اختلاسا

يحول فكره في ذا تناهي * كمان لم يعصمه الشوك الا * وقد وصلت يداه الى جناها

فالرأي السديد يا أبا سعيد يقتضي ان تمضي الحمامة المطوقة الى تلك الجموع المفرقة وتنادي في كل نادي بين الحاضر والبادي والرائح والغادي بحقائق الامور وتطييب خاطري الجمهور وما هم قادمون عليه ومن

أمرا وقد تنكسف الشمس والقمر اذا قضي ذلك عليهما ثم ان الجرذ أخذ في قرض العقد الذي فيه المطوقة فقالت له المطوقة ابدأ بقطع عقد سائر الحمام وبعد ذلك اقبل على عقدي فأعادت ذلك عليه مرارا وهو لا يلتفت الى قولها فلما أكثرت عليه القول وكررت قال لها لقد كررت القول علي كأنك ليس لك في نفسك حاجة ولا لك عليها شفقة ولا ترعين لها حقا قالت اني أخاف ان أنت بدأت بقطع عقدي ان تمل وتكسل عن قطع ما بقي وعرفت انك ان بدأت بهن قبلي وكنت انا الآخرة لم ترض وان أدركك الفتور ان أبقى في الشرك قال الجرذ هذا مما يزيد الرغبة والمودة فيك ثم ان الجرذ أخذ في قرض الشبكة حتى فرغ منها فانطلقت المطوقة وحمامها معها فلما رأى الغراب صنع الجرذ رغب في مصادقته فجاء وناداه باسمه فأخرج الجرذ رأسه فقال له ما حاجتك قال اني أريد مصادقتك قال الجرذ ليس بيني وبينك تواصل وانما العاقل ينبغي له ان يلتمس ما يجد اليه سبيلا ويترك التماس ما ليس اليه سبيل فانما أنت الآكل وانا طعام لك قال الغراب ان أكلي اياك وان كنت لي طعاما مما لا يغني شيئا وان مودتك آنس لي مما ذكرت ولست بحقيق اذا جئت أطلب مودتك ان تردني خائبا فانه قد ظهر لي منك من حسن الخلق ما رغبني فيك وان لم تكن تلتمس اظهار ذلك فان العاقل لا يخفى فضله وان هو اخفاه كالمسك الذي يكتم ثم لا يمنعه ذلك من النشر الطيب والارج الفائح قال الجرذ ان أشد العداوة عداوة الجوهر وهي عداوتان منها ما هو متكافئ كعداوة الفيل

هو الواصلون اليه ليعلموا انهم في صفقتهم رابحون وانهم على هدى من ربهم وانهم هم المفلحون فتوجهت الجماعة بهذه النفوس وشهرت النداء في طوائف الوحوش بما هم عليه قادمون وانهم للملك بسار خادمون ثم تبعها الوزير ومعه كل امير وكبير من خواص المباشرين والاعيان الملازمين وكبراء الاطيار ورؤساء الاخيار واستقبلوا ملوك الوحوش والهوام ورؤساء السوائم والسوام وقابلوا ملتقاهم بالاعزاز والاكرام ووعدوهم بكل خير واحسان ووصلوا بهم الى ميدان الامان وحين حل عليهم نظر السلطان قبلوا الارض ووقفوا في مقام العرض وادوا من واجب العبودية النفل والفرض فانزل كلا في مقامه بميدان أمله في محل اكرامه وافاض عليه خلع احسانه وانعامه وعلت منزلة الوزير وتقدم كما تقدم وأشير وصفا لهم الزمان وعاش في ظل عدلهم كل ضعيف من الحيوان وتقلبوا في رياض الاماني على بساط الامان * وفائدة هذه الحكايات تنبيه اشرف جنس المخلوقات واظرف طائفة المكونات وهو نوع الانسان الذي اختصه الله تعالى بانواع الاحسان وأيده بالعقل وامده بالنقل على انه اذا كان هذا الفعل الجليل يصدر في التقليد والتمثيل من أخس الحيوانات ومالا يعقل من الموجودات فلأن يصدر من أولي النهى وأولي الفضل والمكارم والعلى اولى وأحرى لا سيما من رفع الله في الدنيا مقداره وأعلى على قمم الخلائق مناره وحكمه في عبيده المستضعفين واسترعاه على رعية سامعين مطيعين وسلطه على دمائهم وأموالهم وبسط يده ولسانه في رفاهيتهم ونكالهم والاصل في هذا كله قول من عم عبيده بفضله وبقوله اهتدى العالمون وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون * آخر الباب السادس والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين آمين

(الباب السابع في ذكر القتال بين أبي الابطال الريبال وأبي دغفل سلطان الافيال)

(قال) الشيخ ابو المحاسن من ليس له في الفضل مساو ولا مواس قد انتهى الحكيم حسيب كلامه الاحلى من النسيب قبل أخوه بين عينيه وأفاض خلع الانعام عليه ثم استزاده وفتح لجامع فضله باب الزيادة وكان قد وقع بين ملك الافيال وبين ملك الاسود المسمى بالريبال المكنى بأبي الاشبال وأبي الابطال مقال أدى الى جدال واتصل بحرب وقتال فسأل الملك أخاه هل سمع من ذلك شيأ ووعاه فأجاب بالايجاب وذكر في الجواب الامر العجاب (فقال) كان يا ملك الزمان في بعض أطراف الهنود من عساكر الافيال جنود في جزيرة عظيمة كبيرة لهم من جنسهم وبلادهم ونفسهم ملك عظيم ذو جسم جسيم وشكل وسيم ومنظر بديع وهيكل رفيع طويل الخرطوم واسع الحلقوم مبسوط الاذنين حديد العينين طويل الانياب كأنه طود في جراب كثيف في الرأي خفيف في الوطأة عديد جيش غزير ومدد جنده كثير وهو فخيم ملك كبير ذو قدر خطير منفرد بالسرير ورثه كابرا عن كابر وكل جنده رؤساء وأكابر لأوامره طائعون ولما يراه تابعون فبلغه في بعض الايام أن في بعض الغياض والآجام مكانا في غاية النزاهة معدن الفواكه والفكاهة ذا مياه عذبة ومروج رطبة أراضيه أريضة ورياضه طويلة عريضة أطيارها تسكر بألحانها وأشجارها تقبل قدود الملاح بأغصانها وأزهارها زاهرة وأنوارها ناضرة ونسيم الصبا والشمال تنشر الى الآفاق طيب أنفاسها العطرة وأنه يصلح أن يكون لملك الافيال مقاما مع ان فيه من الريبال والحمول مقامين وهما ما تيران فيه لهاهبوا باجم فيه حينا كثيرا ولا زال الناقل يصف ويطنب ويجتهد في حسن تمثالها ويرغب حتى قال بعض القدماء الحاضرين من الكبراء لو قصد الملك ذلك المكان وحول نفسه من بعض الاماكن وتنقل اليه في بعض الاوقات وساعات التفريح في المتنزهات لاراح نفسه الطاهرة من وخم هذه الجزيرة ووجد لذة الطعام ونشوة الشراب على المدام والاسد الذي فيها وان كان مالك نواحيها ويدعي في زمانه نواصيها وجبالها وقلاعها وصياصيها لكنه ملك عادل وسلطان فاضل تمنعه شهامته وكرم نفسه وكرامته ورياسته وزعامته ان يضايق

والاسد فانظر بما قتل الاسد الفيل أو الفيل الاسد ومنها ما قوته من أحد الجانبين على الآخر كعداوة ما بيني وبين السنور وبيني وبينك فان العداوة التي بيننا ليست تضرك وانما ضررها عائد علي فان الصياد لو اطلق اصطيادي لم يمنعه ذلك من اطفاء الشار اذا صب عليها وانما هو صاحب العدو ومصالحه كصاحب الحية يحملها في كمه والعاقل لا يستأنس الى العدو الاريب قال الغراب قد فهمت ما تقول وانت خليق ان تأخذ بفضل خليقتك وتعرف صدق مقالتي ولا تصعب علي الامر بقولك ليس الى التواصل بيننا سبيل فان العقلاء الكرام لا يبتغون على معروف جزاء والمودة بين الصالحين سريع اتصالها بطيء انقطاعها ومثل ذلك مثل الكوز الذهب بطيء الانكسار سريع الاعادة هينة الاصلاح ان اصابه ثلم او كسر والمودة بين الاشرار سريع انقطاعها بطيء اتصالها ومثل ذلك مثل الكوز الفخار سريع الانكسار ينكسر من ادنى عيب ولا وصل له ابدا والكريم يود الكريم واللئيم لا يود احدا الا عن رغبة او رهبة وانا اليك ودك ومعروفك محتاج لانك كريم وانا ملازم لبابك غير ذائق طعاما حتى تؤاخيني قال الجرذ قد قبلت اخاءك فاني لم ارد احدا عن حاجة وانما بدأتك بما بدأتك به ارادة التوثق لنفسي فان أنت غدرت بي لم تقل اني وجدت الجرذ سريع الانخداع ثم خرج من جحره فوقف عند الباب فقال له الغراب ما يمنعك من الخروج الي والاستئناس بي فهل في نفسك من ذلك من ريبة قال الجرذ ان أهل الدنيا يتعاطون فيما بينهم أمرين ويتواصلون

الملك فى ذلك أو يضيق سلوكها على سالك وان شرع فى الممانعة واخذ فى أسباب المدافعة بالمقارعة والمنازعة فالعساكر المنصورة واعدادهم الموفورة فيهم بحمد الله لذلك قوة وكفاية ولهم فى بداية الحروب هداية وقامة ليس لشرحها غاية ولا لفروع أصولها نهاية يحيون فى معاهدها النفوس ويعيدون فى مدارس الحرب بتكرار الضرب فى الشجاعة بعد الدروس فيكفون الملك أمره ويكفون أذاه وشره ولا زال يفتل منه فى الغارب والذروة ويقوى بتوبيخاته دواعى الحرص والشهوة حتى اقتنصته أشراك المطامع وأوقعته فى عبودية شهوة تلك المواضع ودعته النفس الابية وحمية الجاهلية وباعث العصبية الى الاستيلاء على تلك الاماكن البهية والولايات السنية والمساكن الزهية واسامة سوارح اللحاظ فى مراعى نزهة تلك الغياض ومروج أراضى هاتيك الرياض وازعج فى ذلك المقتضى واسلمه العدل وانطلاق الرضى وغلب عليه سيئ الطباع واستولت عليه فوارغ الاطماع وعشقها على السماع وكان عنده اخوان عضدان هما وزيراه وفى مهامه مشيراه مسعداه فى الامور ومضداه فى أحوال السرور والشرور أحدهما واسطة خير قليل الشر عديم الضير قد جرب الزمان وعاناه وقالب قوالبه وقاسه بالمقايسة ما قاساه اسمه مقبل وهو كاسمه مفضل والآخر بالعكس فى جميع حركاته وكس وهو كاسمه مدبر بكل شئ مخبر قصده غبار فتن يثيره وعسكر بلاء يغيره وطالب أذى وعناء يميره أو سر يذيعه أو مكر يشيعه أو متسوق شر يبيعه وهما لازمان الخدمة واقفان فى مقام الحشمة والحرمة كالفتق والرتق والباطل والحق والكذب والصدق وفى الافساد والاصلاح كالمرهم والجراح ومصلح الدرهم ومفسد الراح ومرشد العقل ومضل الاقداح وفى الوفاق والشقاق كالسم والترياق وفى الحكم والقضاء كالداء والدواء وفيما يقع من الحوادث المفرحات والكوارث كالحر والبرد والشوك والورد فاختلى الملك بأخويه واستشارهما فيما أنهى اليه فقال اخوه المقبل يا مولانا اباد عقل لو لم يكن بهذا المكان أسد من أدنى الوحوش فضلا عن الاسد لكان قصده ترفعا وترفها والتوجه الى الاستيلاء عليه موجها فكيف وذلك فى ولاية ملك وهو مالك صعب كأبى حفص الصعب ملك كبير عادل وسلطان خطير فاضل مطاع فى مملكته متبوع فى حاشيته عادل فى رعيته سيرته مشكورة ومحاسنه مأثورة وهيبته وبسالته غير منكورة وهو جار حسن الجوار لم ينضبط عليه ما يقتضى انتزاع ما ملكه من يديه ولم يتعرض الى متعلقاتنا ولا آذى أحدا فى ولايتنا وان مولانا السلطان لم يصدر منه الا العدل والاحسان الى الاباعد والاجانب فضلا عن الجيران لا سيما الملوك الاكابر ومن ورث الملك كابرا عن كابر ولقد تلقفت من أفواه الحكماء وتشنفت مسامعى من جواهر الفاظ العلماء بثلاث نصائح هى من أحسن المنائح احداها احذر أيها الموفق أن تقع فى دم بغير حق ثانيتها اياك يا ذا التوفيق وأموال الناس بغير طريق ثالثتها اياك يا ذا الشيم الكريمة وهدم البيوت القديمة واعلم ان الله تعالى عم رزقه وخص كل موجود بما يستحقه وقد أقام الاسد فى تلك الاماكن وهو وان كان متحركا فهو فيها ساكن ولو لم يستأهل لما اختص بتلك المناهل وما ينكر هذا الا جاهل أو من هو عن الحق ذاهل وحاشى أن تنسب يا رئيس الاخيار الى حسد أو سوء جوار وعظمتك تأنف عن ذميم الاخلاق وكيف وقد انتشر بالفضل صيتها فى الآفاق واذا كان للشخص ما يكفيه فينبغى أن يقتصر عما يطغيه ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقد أحسن فى المقال من قال

يا عبد اقنع بالذى أوتيته * ان كنت لا ترضى لنفسك ذلها

واعلم بأن الله جل جلاله * لم يخلق الدنيا لاجلك كلها

فالتفت الملك الى المدبر وأشار اليه كالمستخبر ماذا تشير أيها الاخ الوزير فقال جميع ما قرره مولانا الوزير حق وجملة ما ذكره وسطره صدق نصائح ترشد العقول وتزين عقود المعقول والمنقول ولكن لا يخفى على

هاتيك ما وهى ذات النفس وذات اليد فالمتباذلون ذات النفس هم الاصفياء وأما المتباذلون ذات اليد فهم المتعاونون الذين يلتمس بعضهم الانتفاع ببعض ومن كان يصنع المعروف لبعض منافع الدنيا فانما مثله فيما يبذل ويعطى كمثل الصياد والقائه الحب للطير لا يريد بذلك نفع الطير وانما يريد نفع نفسه فتعاطى ذات النفس أفضل من تعاطى ذات اليد وانى وثقت منك بذات نفسك ومنحتك من نفسى مثل ذلك وليس يمنعنى من الخروج اليك سوء ظنى بك ولكن قد عرفت ان لك أصحابا جوهرهم كجوهرك وليس رأيهم فى كرأيك قال الغراب ان من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقا ولعدو صديقه عدوا وليس لى بصاحب ولا صديق من لا يكون لك محبا وانه يهون على قطيعة من كان كذلك من جوهرى ثم ان الجرذ خرج الى الغراب فتصافحا وتصافيا وانس كل واحد منهما بصاحبه حتى اذا مضت لهم أيام قال الغراب للجرذ ان جحرك قريب من طريق الناس وأخاف أن يرميك بعض الصبيان بحجر ولى مكان فى عزلة ولى فيه صديق من السلاحف وهو مخصب من السمك ونحن واجدون هنالك ما نأكل فأريد أن أنطلق بك الى هنالك لنعيش آمنين قال الجرذ ان لى أخبارا وقصصا سأقصها عليك اذا انتهينا حيث تريد فافعل ما تشاء فأخذ الغراب بذنب الجرذ وطار به حتى بلغ به حيث أراد فلما دنا من العين التى فيها السلحفاة بصرت السلحفاة بغراب ومعه جرذ فذعرت منه ولم تعلم انه صاحبها فناداها فخرجت اليه

حكيم

كريم المعلوم ان الاسد حيوان ظلوم غاشم طالب وخلاص الرعية من شره واجب ويلزم كل أحد أن يخلص الرعايا من ظلم الاسد ومولانا لم يبلغه ظلمه ولم يحط بأحوال الاسد علمه وانه من أظلم البرية لمن تحت يده من الرعية وانه يجب على مولانا السلطان خلاص الرعية منه على أي وجه كان وأيضا فان انعامات مولانا البارة على كل أحد من الخلق دارة والخرج والكلف والكرم الذي بأنامله ائتلف كل يوم في ازدياد والعساكر المنصورة كل وقت تزداد واذا لم تتسع الولايات وتكثر الجهات والاقطاعات كان الخرج أكثر من الدخل والمصروف من الخزانة كالوابل والدخل كالطل واذا زاد المصروف على الحاصل عجز الواصل وفرغ الحاصل ودل ذلك على ركاكة الهمة وقصور الهمة والملك يجب عليه والمندوب في شرع همته العلية ان يكون كل وقت جديد في فتح سعيد وترق مزيد وتوسعة الممالك وتنزيه بساط السلطنة عن المنازع والمشارك والاستكثار من الجند والرعية واستجلاب خواطرهم الابية ما طلع ابن الثنية والانعامات السنية ولا يجوز في ملة الاسلام ان يتعدد الخليفة الامام ولله در القائل العلي الشمائل

اذا لم تكن ملكا مطاعا * فكن عبدا لمالكه مطيعا
فان لم تملك الدنيا جميعا * كما تهواه فاتركها جميعا

وناهيك يا مالك الممالك والمالك في علو الهمة وصدق العزمة وغوص الافكار في استخلاص ممالك الاقطار قضية فحل الرجال تيمورلنك الاعرج الدجال مع نائبه الله داد أحد القواد ونواب البلاد فسأل أبو مزاحم أخاه عديم المزاحم عن تلك القضية واستدعاها من جليه (فقال) ان تيمور رأس الفساق الاعرج الذي أقام الفتنة على ساق لما اتصل بالممالك الرومية في شهور سنة خمس وثمانمائة وأمر مالكها واستقصى ممالكها استشرف ممالك العرب بيد طول وفي فكره استخلاص ولايات الشرق بحول وكان أقصى ما انتهت اليه في الشرق مملكته ونفذت سهام أحكامه فيه أقضيته بلدا يسمى اشباره قد اعتمده اشياء بين النهب والغارة وبنى فيه قلعة ونقل اليه من ذوي المنعة حفظا احتفظها من كل بقعة وهو في نحر ممالك المغل والتتار والحد الفاصل بين ممالكه وولايات عباد الشمس والنار وأمر على أولئك الاجناد شخصا يدعى الله داد وهو من خواص أمرائه ورؤساء جنده وزعمائه فمن جملة ما أمره به ذلك المشؤوم وهو مقيم ببلاد الروم انه أبرز اليه مراسلة فيها أمور مجملة ومفصلة أمره بامتثالها وارسال الجواب ببيان كيفية حالها منها انه يبين له أوضاع تلك الممالك ويوضح كيفية الطرق بها والمسالك ويذكر له مدنها وقراها ووهدها وذراها وقلاعها وصياصيها وادانيها وأقاصيها ومفاوزها وأوعارها وصحاريها وقفارها وأعلامها ومنارها ومياهها وأنهارها وقبائلها وشعابها ومضايق دروبها ورحابها ومعالمها ومجاهلها ومراحلها ومنازلها ومناهلها وآجامها بحيث يسلك في ذلك السبيل الاطناب الممل ويتجنب مأخذ الايجاز خصوصا المخل ويذكر مسافة ما بين المنزلتين وكيفية المسير بين كل مرحلتين من حيث تنتهي اليه المملكة ويصل اليه علمه ودرايته من جهة الشرق وممالك الخطا وتلك الثغور والى حيث تنتهي اليه من جهة سمرقند علم تيمور واعلم ان مقام البلاغة في معاني هذا الجواب هو ان يصرف فيه ما استطاع من حشو واطناب وتطويل واسهاب ويسلك في بيانه الطريق الاوضح من الدلالة ويعدل عن الطريق الخفي في هذه الرسالة الى ان يفوق في وصف الاطلال وتعريف الرسوم وحدودها من صفة الشيخ التيعوم فامتثل الله داد ذلك المثال وصور له ذلك على أحسن هيئة وأتقن مثال وهو انه استدعى بعدة طباق من نقي الاوراق وأحكمها بالالصاق وجعلها مربعة الاشكال ووضع عليها ذلك المثال وصور جميع تلك الاماكن وما فيها من متحرك وساكن ذا وضح فيها كل الامور حسبما رسم به تيمور شرقا وغربا بعدا وقربا نأيا وشمالا مهادا وجبالا طولا وعرضا سماء وأرضا مرداء وشجراء غبراء وخضراء منهلا منهلا ومنزلا ومنزلا وذكر اسم كل مكان ورسمه وعين طريقه ووسمه بحيث بين فصله ووصله وأبرز الى عالم

وسألته من أين أقبلت فأخبرها بقصته حين تبع الحمام وما كان من أمره وأمر الجرذ حتى انتهى اليها فلما سمعت السلحفاة شأن الجرذ عجبت من عقله ووفائه ورحبت به وقالت ما ساقك الى هذه الارض قال الغراب للجرذ اقصص على الاخبار التي زعمت أنك حدثتني بها فأخبرني بها مع جواب ما سألت السلحفاة فانها عندك بمنزلتي فبدأ الجرذ وقال كان منزلي أول أمري بمدينة ماروت في بيت رجل ناسك وكان خاليا من الاهل والعيال وكان يؤتى في كل يوم بسلة من الطعام فيأكل منها حاجته ويعلق الباقي وكنت أرصد الناسك حتى يخرج وأثب الى السلة فلا أدع فيها طعاما الا أكلته وأرمي به الى الجرذان فجهد الناسك مرارا أن يعلق السلة مكانا لا أناله فلم يقدر على ذلك حتى نزل به ذات ليلة ضيف فأكلا جميعا ثم أخذا في الحديث فقال الناسك للضيف من أي أرض أقبلت وأين تريد الآن وكان الرجل قد جاب الآفاق ورأى عجائب فأنشأ يحدثه عما وطئ من البلاد ورأى من العجائب وجعل الناسك خلال ذلك يصفق بيديه لينفرني عن السلة فغضب الضيف وقال أنا أحدثك وأنت تهزأ بحديثي فما حملك على ذلك فاعتذر اليه الناسك وقال انما أصفق بيدي لانفر جرذا قد تحيرت في أمره ولست أضع في البيت شيئا الا أكله فقال الضيف جرذ واحد يفعل ذلك أم جرذان كثيرة فقال الناسك جرذان البيت كثيرة ولكن فيها جرذ واحد هو الذي غلبني فما أستطيع له حيلة فقال الضيف لقد ذكرتني قول الذي قال لامر ما باعت هذه المرأة سمسما مقشورا بغير مقشور

الشهادة غيبه حتى كأنه شاهده ودليله ورائده وجد ذلك الملك حسبما اقترحه عليه كل ذلك وتجوّل في بلاد الروم وبينهما مسيرة سبعة شهور وكذلك فعل ذلك البطل وهو بالبلاد الشامية سنة ثلاث وثمانمائه مع القاضي ولي الدين عمدة المؤرخين أبي هريرة عبد الرحمن بن خلدون أغرقه الله في ذلك رحمته المشحون وقد سأله عن أحوال بلاد الغرب وما جرى فيها من صلح وحرب وما وقع فيها من خير وشر ونفع وضر ثم انه اقترح عليه وتقدم بالامر اليه بوضع أوضاعها ورسم مدنها وقلاعها وحصونها وضياعها وتخطيط ولاياتها وأشكالها وهيآتها فامتثل ذلك وأبداه وعلى حسب ما اختاره واقترحه أنهاه وبين ذلك مثل ما ذكر أعلاه فشاهد أوضاعها وخبر وهادها وبقاعها كأن الحائل رفع من البين وعاين عين ذلك الاقليم بالعين فانظر الى هذا الاعمى وهو سطيح نصف آدمي وهمته العالية كالبرق تضرب تارة في الغرب وأخرى في الشرق (وانما أوردت) هذه القضيه ليقف سامعها على مقدار الهمة العليه فلا يرضى الملك الهمام بالمنزلة الدنيه ولا يقنع بالدرجة الوطيه بل يجتهد في تكثير الجند والرعيه وفتح الاقاليم الغربية والعجميه ولا يقتصر على الحالة السويه وانما يلازم طلب الارتقاء بكرة وعشيه ويكون سعيه كالشاكر لطالب المزيد وكما يستديم طلب الزيادة من مولاه يستديم زيادة العبيد والا فينسب الى قصور الهمة وافلاس الذمة ونقصان المروءة وبطلان الحشمه وأعظم بها من وصمه وبالعجز والتقصير يضيع حقوق الملك الخطير وتجد الرعية للطعن مقالا وفي ميدان الاعراض عن الملك مجالا وهذا خلاف موضع الامامه وعكس ما تقتضيه الرياسة والزعامه فان موضوع السلطنه أن يتعاطى الملك مهما أمكنه من أسباب الفتح والفتوح وما يستميل به من الرعية القلب والروح وذلك بالاحسان والاكرام والبذل والانعام فبه تقوى رغبتها وتزداد محبتها فاذا لم يكن ذلك فل المملوك عن المالك واسمع قول الاديب ذي الرأي المصيب وهو

اذا أهملت أمر العدو يوما * وقصرت الملوق عن الحصار
توقف في المسير أبو زياد * وقام العبد يجري للفرار

وقيل * والدر يقطعه جفاء الحالب * وقال أشرف جنس الانسان علو الهمة من الاعيان فالرأي السديد عندي والذي بلغ اليه جهدي انفاذ هذه العزيمه وسلوك طريقها القويمه وابرازها من مكان القول الى ظواهر الفعل والحول والاعتماد على ما قيل

فلا تثن عزمك خوف القتال * بسمر دقاق وبيض حداد
عسى أن تنال الغنى أو تموت * فتعذر في ذا لدى الناس بالك
فان لم تنل مطلبا رمته * فليس عليك سوى الاجتهاد

فأقبل الملك على المقبل وقال توجه بكليتك علي وأقبل شعر

ولا تبق مجهودا برأيك انه * سيبدو من يقف السداد سداده

فان القلب قد مال الى العزم والاخذ في التوجه بالحزم وترجح جانب الوثوب الى جهة هذا المطلوب فأمعن النظر وأجل قداح الفكر ولا تخف رأيا يسنح في أي جهة ترجح فقال افعل بشرط ان يقبل اعلم زادك الله علما وفضلا وكرما وحلما ان الذي رآه العلماء وأشار به ذوو الحنكة من الحكماء ان من طلب وفور خيره وفائدة نفسه في مضرة غيره لا يتمتع بتلك الفائده ولا تمر معه تلك المائده وهذا على تقدير حصولها والاستيلاء على فروعها وأصولها وان لم يظفر بها فلا تستفيد النفس غير كربها مع زيادة الحسره وسوء الصيت في الشهره ووفور الندم وزلة القدم وكل من أراد تشفية هواه ولم يلتفت الى ما سواه ورأى نفسه أحق من غيره فلا تطمع أبدا في خيره ولا يكاد يسلم من الانكاد ولا يصفو له زمان ولا تدوم له أخلاء واخوان ولا تزال ديم الهموم من غمام الغموم تهمي على حدائق آماله وتسقي مزارع أحواله الى أن تظلل خلالات نيته وتيبس حقول طويته ويحصده حراث الفنا ويدرسه دارس الردى ويذري حبات وجوده الهوان في الهوى وينقل عن بيدر الشقاء الى طاحون البلاء فهنالك يجدح سويق أفعاله

قال الناسك وكيف كان ذلك قال الضيف نزلت مرة على رجل بمكان كذا فتعشينا ثم فرش لي وانقلب الرجل على فراشه مع زوجته وبيني وبينهم ماخص من قصب فسمعت الرجل يقول في آخر الليل لامرأته اني أريد ان ادعو غدا رهطا ليأكلوا عندنا فاصنعي لهم طعاما فقالت المرأة كيف تدعو الناس الى طعامك وليس في بيتك فضل عن عيالك وانت رجل لا تبقي شيئا ولا تدخره قال الرجل لا تندمي على شيء أطعمناه وأنفقناه فان الجمع والادخار ربما كانت عاقبته كعاقبة الذئب قالت المرأة وكيف كان ذلك (قال) الرجل زعموا انه خرج ذات يوم رجل قانص ومعه قوسه ونشابه فلم يجاوز غير بعيد حتى رمى ظبيا فحمله ورجع طالبا منزله فاعترضه خنزير بري فرماه بنشابة نفذت فيه فادركه الخنزير وضربه بأنيابه ضربة أطارت من يده القوس ووقعا ميتين فأتى عليهم ذئب فقال هذا الرجل والظبي والخنزير يكفيني أكلهم مدة ولكن أبدأ بهذا الوتر فآكله فيكون قوت يومي فعالج الوتر حتى قطعه فلما انقطع طارت سية القوس فضربت حلقه فمات (وانما) ضربت لك هذا المثل لتعلمي ان الجمع والادخار وخيم العاقبة فقالت المرأة نعم ما قلت وعندنا من الارز والسمسم ما يكفي ستة انفار أو سبعة فانا غادية على اصطناع الطعام فادع من أحببت واخذت المرأة حين أصبحت سمسما فقشرته وبسطته في الشمس ما ليجف وقالت لغلام لهم اطرد عنه الطير والكلاب وتفرغت المرأة لصنعها وتغافل الغلام عن السمسم فجاء كلب فعاث فيه فاستقذرته المرأة

مازينه فيصونه ويحرسه ولا يكاد ينساه ويصرف به مافي البطون ويقال له ذوقوا ما كنتم تكسبون هذا واذا كان الدخل لا يفي بالخرج وخيف من ذلك وقوع هرج ومرج فحسن التدبير بتصرف المال الخبير وبكفاية الوزير وتوفير المشير يجعل الحقير ويكثر النزر اليسير كما قيل

قليل المال تصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثير مع الفساد

وبالخلق الحسن وحسن السياسة تملك رقاب أولي الرياسة فضلا عن العوام وبهذا يحصل المقام ولا يقدر ان يجرد المال هو شبكة صيد الرجال فان حفظ المال هو وراء ذلك وقد قال رسول خلاقكم انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم وشيء يحتاج في تحصيله والانقطاع الى وصوله الى بذل اموال وارواح وكد نفوس واشباح واتعاب خيل ورجال وارتكاب شدائد واهوال وبعد حصوله يتكلف في محافظته وحراسته وملاحظته الى تحمل هموم وغموم وكلام وكلوم وآخر الامر يخرج من اليد ولا يبقى الا النكد والكمد تزول في الدنيا اللذات مع معاناة الكدورات وتجرع الغصص والمشقات وتبقى في الآخرة التبعات لجدير بان لا يلتفت اليه ولا يعول عليه ولا يهتم له بشأن ويستغنى عنه وان احتيج اليه بقدر الامكان والاقبال الذي يعلق به فؤاده ويربط بدوامه وبقائه اعتقاده ويتصور ذلك بفكره الفاسد ونظره الكاسد كمثل كسرى لما مات ولده وتفتتت عليه كبده وحصل له عليه الاضطراب ورده عن خطابه البهلول الى الصواب فسأل ابو الحجاج اخاه الحجاج عن بيان هذا الامر وكيف قادا فاه هذا الجمر (قال) القيل ذكر حديث معدل ان كسرى كان له ولد قد سكن منه سويداء الفؤاد يجعل البدر لديه تمامه ويستعمل الغصن حال قيامه وكان يحبه حبا جاوز الغايه وتعدى الحد والنهايه وكان اشد شفقه استبعد حلول تلفه بل أسال وفاته وأذهله عن درك الحق وفاته فادركه الاجل المحتوم واستوفى مدته المعلوم فاضطرب كسرى لموته واضطرم واصطلم بحصول فراقه واصطلم بترك قرار ولا ملاوه ولا اصطبار فوعظه العلماء فما افاد وتلته الحكماء بضرب الامثال فاعياهم المراد وكان في بلده رجل بهلول تردد اليه ويدخل في اكثر اوقاته عليه فيلاطفه في محاورته ويمزج كلامه في مخاطبته فدخل عليه البهلول وهو كئيب ملول لا تسر حاله صديقا ولا يهتدي الى السلوى طريقا فسأله عن حاله وما اوجب توزع باله وتغير احواله فقال يا بهلول عدمت ولدي وقرة عيني وراحة روحي وجسدي (شعر)

لاصبر يجدي على فراقه * ولا معين على اشتياقه

وقالت أواه من فرقة الاحباب آواه * لقد كوى من حشاقلبي سويداه

قال البهلول نعوذ بالله من ساعات الذهول يا ملك الانام ان عيسى عليه الصلاة والسلام شكا اليه بعض حواريه شيئا يشابه ما انت فيه فقال عليه السلام كن لربك كالف الحمام يذبحون فراخه ولا يفارق مناخه ولا ينفر عنهم ولا يشكو منهم ثم ان البهلول قال وانا للملك سؤال فاجبني بجواب شاف فانك ذو الطاف فلا يكن فيه جزاف فقال سل فكلامك لا يمل قال اكنت ترجو ان ولدك لا يموت ابدا وانه يعمر في الدنيا خالدا فقال لا ولكن أردت ان يبقى مده ويتمتع بشبابه ويفنيه واعتدده ويلتذ بطيب المآكل والمشارب ويقضي من أوطار الشباب المآرب ويؤنس أنداده وصحبه ثم يقضي بعد ذلك نحبه قال هب انه عاش معمرا وقام وتمدد في الدنيا كاقعد تروقت وعاش العيش الطيب وهمى عليه من نعماء سلاذها الوابل الصيب وحصل له من العيش الهني والعمر السني امثال الجبال واعداد الرمال فعند مفارقة العيش وحلول التلف والطيش هل يدفع عنه ذلك شرا او يرفع عنه بؤسا وضرا او يجلب له منفعه او يذهب من ذلك شيئا معه او يفيده ادنى فائده او يعود عليه منه عائده قال لا قال فلا اسى على معاش يكون عقبى امره الى لاش وعمر ذلك معمره سواء طويله وقصيره وكثيره ونقيره ويسيره (شعر)

ركرهت ان تصنع به طعاما فاذهبت به الى السوق فاخذت به مقايضة سمسما غير مقشور مثلا بمثل وانا واقف في السوق فقال رجل لامر قابلت هذه المرأة سمسما مقشورا بغير مقشور وكذلك قولي هذه الجرذ الذي ذكرت انه على غير علة ما يقدر على ما شكوت منه فالتمس لي فاما علي احتفر جحره فاطلع على بعض شانه فاستعار أنا سالك من بعض جيرانه فاما اتى به الضيف وانا حينئذ في جحر غير جحري اسمع كلامهما وفي جحري كيس فيه مائة دينار لا ادري من وضعها فاحتفر الضيف حتى انتهى الى الدنانير فاخذها وقال للناسك ما كان هذا الجرذ يقوى على الوثوب حيث كان يثب الا بهذه الدنانير فان المال يجعل له قوة وزيادة في الرأي والتمكن وسترى بعد هذا انه لا يقدر على الوثوب حيث كان يثب فلما كان من الغد اجتمع الجرذان التي كانت معي فقالت قد اصابنا الجوع وانت رجاؤنا فانطلقت ومعي الجرذان الى المكان الذي كنت أثب منه الى السلة فحاولت ذلك مرارا فلم اقدر عليه فاستبان للجرذان نقص حالي فسمعتهن يقلن انصرفن عنه ولا تطمعن فيما عنده فانا نرى له حالا لا نحسبه الا وقد احتاج الى من يعوله فتركتني ولحقن باعدائي وجفونني واخذن في غيبتي عند من يعاديني ويحسدني فقالت في نفسي ما الاخوان ولا الاعوان ولا الاصدقاء الا بالمال ووجدت من لا مال له اذا اراد امرا قعد به العدم عما يريده كالماء الذي يبقى في الاودية من مطر الشتاء لا يمر الى نهر ولا يجري الى مكان فتشربه ارضه ووجدت من لا اخوان له لا اهل له ومن

واذا كان منتهى العمر موتا * فسواء طويله والقصير

(غيره) فعش ماشئت في الدنيا وادرك * بها ماشئت من صيت وصوت

فحبل العمر موصول بقطع * وخيط العيش معقود بموت

فسبحانه عاش ونهب الملاذ وحاش وعلا في أرض التنعم وغلا وجاش كل ذلك في المقدار على حسب ماتختار وانه جاء القضا وقد قضى وطره ومضى ثم قضى نحبه وقضى فخبر بهذا الكلام كسرا وسرى عنه همه واسرى وقال الآن سكنت فنعم الناصح أنت (وانما أوردت) هذا التنبيه أيها الملك النبيه لاعرض على الخواطر السعيده والآراء السديدة الرشيده أن الاقتصار عن هذا أولى وأليق بالركون تحت ارادة المولى قال المدبر المفتن المعبر ثلاثة أشياء ينبغي لطالبها ان لا يفتكر في عواقبها الاول الاسفار في البحار والغوص فيها الى القرار فان طالب الجواهر النفيسه ومن قصد ان يكون في صدر التجارة رئيسه لا يختشى من الغرق ولا عنده من ذلك فرق فهذا يجيء بنفائس المال وذاك يغطس الى قعر الاوحال وكل منهما لا يتفكر في العاقبة والمآل الثاني المقدم على الحرب والرشق والطعن والضرب ومصارعة الابطال ومباشرة أسباب القتال لا ينزعج لصوت ولا يفتكر في الهزيمة والجراح والموت والثالث طالب الرياسه والملك ذي السياسه لا يفتكر في الاقتحام ولا يتوانى في الاقدام ولا يتأمل في العواقب ولا يلتفت الى المناقب ويلقي نفسه في الاخطار ويضرب الى أعماق الاقطار ويجعل جل همه بلوغ الاوطار وقيل

بقدر الكد تكتسب المعالي * ومن طلب العلى سهر الليالي

تروم العز ثم تنام ليلا * يغوص البحر من طلب اللآلي

وقيل اذا هم ألقى بين عينيه عزمه * ونكب عن ذكر العواقب جانبا

قال العقول الحكيم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم أولوا الالباب المميزون بين الخطا والصواب الناظرون من مبتدا الامور في أعقابها المستبصرون قبل وقوعها في مآلها ومآبها الآتون بيوت النوائب والنوازل من أبوابها قالوا اذا تحصن أولو الحصين واغلق عليه حصن وراء جدار بابين ثم حاصره أسد من خارج ساوت قوة المحاصر قوة الوالج ولاشك ان حركة العساكر وقطع الفيافي والدساكر والتوجه الى قتال من هو ساكن في سربه مختاط في اقليمه ودربه متحصن في قلاعه متدرق بحجفة امتناعه يحتاج في الاموال الى اخراج وفي الرجال الى ازعاج وتحمل اخطار وتجشم اسفار وأخذ ضعفاء تحت اقدام وهدم دور وقطع ارحام ومع هذا كله حصول المقصود موهوم والظفر به غير معلوم فان حصل فقد مر ان لاثبات ولا تمام وان انعكس فهو وراء ستر التمنع فكم من دماء حينئذ تراق وقد كانت مصونه وأموال تهدر وقد كانت مضمونه واعراض تهتك وقد كانت محترمه وانفس تذل وقد كانت عزيزة مكرمه والحق في هذا متضح ومن خبا رأسه فقد رجح وقد قدمت هذا التقرير وهندست هذا التقدير لان العاقل الماهر في التجارة كما يحسب الربح يحسب الخساره وكل هذا في العاجل فضلا عن المحذورات الآجله من غضب الله وعقابه وتوبيخه وأليم عذابه واذا خرج الامر عن اليد ودخل على القلب الاشتغال بالنكد وذهب المال والنال ونقصت الاهبة والرجال وتناقص العدد والعدد وتناكص المدد والمدد فأي حرمة تبقى للملك عند الرعايا وقد قلت عنهم منه الارفاد والعطايا وكيف يستقر ملكه أو يدور على فلك الثبات فلكه فلا تخافه الرعية ولا يرجونه ولا يسمعون كلامه ولا يطيعونه ويصير كالسحاب الخلب لا يوثق منه بوعد ولا يحصل منه مطلب ان تكلم عابوا كلامه وان حكم نقضوا أحكامه وان حلم قالوا عاجز وان تقدم في الحرب قالوا مجنون مبارز وأما الغني ذو المال فهو على عكس هذه الاحوال فان رأوا منه فضلا كان لكل مكرمة اهلا فرفعوه الى العيوق وكان المعظم المرموق ان أعطى قليلا استكثروا حقير عطائه وأطنبوا بلسان الثناء

لاولد له لا ذكر له ومن لامال له لا عقل له ولا دنيا ولا آخرة له لان الرجل اذا افتقر قطعه قرائبه واخوانه فان الشجرة النابتة في السباخ المأكولة من كل جانب كحال الفقير المحتاج الى مافي أيدي الناس ووجدت الفقر رأس كل بلاء وجالبا الى صاحبه كل مقت ومعدن النميمة ووجدت الرجل اذا افتقر اتهمه من كان له مؤتمنا وأساء به الظن من كان يظن فيه حسنا فان أذنب غيره كان هو للتهمة موضعا وليس من خلة هي للغني مدح الا وهي للفقير ذم فان كان شجاعا قيل أهوج وان كان جوادا سمي مبذرا وان كان حليما سمي ضعيفا وان كان وقورا سمي بليدا فالموت أهون من الحاجة التي تحوج صاحبها الى المسئلة ولاسيما مسئلة الاشحاء واللئام فان الكريم لو كلف ان يدخل يده في فم الافعى فيخرج منه سما فيبتلعه كان ذلك أهون عليه وأحب اليه من مسئلة البخيل اللئيم وقد كنت رأيت الضيف حين اخذ الدنانير فقاسمها الناسك جعل الناسك نصيبه في خريطة عند رأسه لما جن الليل فطمعت ان أصيب منها شيأ فارده الى جحري ورجوت أن يزيد ذلك في قوتي ويراجعني بسببه بعض اصدقائي فانطلقت الى الناسك وهو نائم حتى انتهيت عند رأسه وجدت الضيف يقظانا وبيده قضيب فضربني على رأسي ضربة موجعة فسعيت الى جحري فلما سكن عني الالم هيجني الحرص والشره فخرجت طمعا كطمعي في الاول واذا الضيف يرصدني فضربني بالقضيب ضربة أسالت مني الدم فتقلبت ظهرا لبطن الى جحري فخررت مغشيا علي فاصابني من وجع

في شكرهم رفده وان بخل قالوا مدبر لا يضيع ماله وان كذب صدقوا اقواله وقاله وفي الجملة حركات الغني مستحسنة وكلماته مترشفة مستعذبة وقد قيل

ان ضرط الموسر في مجلس * قيل له يرحمك الله * او عطس المعسر في مجمع
سبوا وقالوا فيه ما ساءه * فضرطة الموسر عرنينه * وعطسة المفلس مفساه

وكما قيل
الفقر يزري باقوام ذوي حسب * وقد يسود غير السيد المال

ولقد رشفت من افواه الحكماء ونصائح البلغاء بل شاهدت من النوائب وتلقفته من ذوي التجارب وتحققت في الدهر ابا العجائب ان الفقر شيب الفتيان وسقم صحيح الابدان ومبعد الاقارب وجالب الاجانب وقاطع الارحام ومانع السلام ومبغض الاحباب ومفرق الاتراب ومشتت شمل الاصحاب وبالجملة فالذي يجب على ولي الامر التامل في تسارى هذا الامر والتفكر في عاقبة هذه الحركة وما يحدث فيها من شؤم وبركة وان يجيل قداح التدبر والتبصر والتصبر ويثبت في صدره هذا الورد الضيق وما فيه من مجال او ضيق ولا يعتمد فيه على القوة والحول واسباب الطول والطول وكثرة الشوكة والعدد وامداد المدد والمدد مع عدم الاكتراث بالاخصام وقلة المبالاة بكل اسد ضرغام فان الاسد سلطان السباع وملك عظيم كثير الجند والاتباع شجاعته مشهوره وشهامته ماثوره يضرب به المثل ويشبه به كل بطل وشجاع وان كان لنا عساكر كالجبال تهدم الحصون وتدرك القلال لكن ما جربنا مصارعة الاسود ولا مارسنا مقارعة النمور والفهود ولا نعرف طرق بلادهم ولا طرق مجالهم وجلادهم وان لهم في الحروب اساليب وفي افتراس الفرائس انيابا ومخاليب فاخشى ان لا تتم هذه الامور وتقصر سهام الناس عن مصادمة ما لهم من قسور فيرجع وبال هذه الامور علينا اذا ما تداووه اولا منسوب الينا ولا يحصل الا على الندامة والتوبيخ والملامة ويتناولنا المثل الوبيل كما قيل

تبني بانقاض دور الناس مجتهدا * دارا ستنقض يوما بعد ايام

وقال المدبر لا شك ان جوهر هذا النظام وعقود هذا الكلام صادرة عن فكر بعيد ورأي سديد وامر رشيد وتامل في العواقب مفيد اصل الحكمة وفرع الثقة وزهرة المعرفة وثمرة الفطنة ولكن من حين استولى على الملك كيومرث ومرث على سرير الحكم [illegible] الولاية [illegible] ومن قواعد السياسة واسس بنيان الرياسة وذلك زمان الابتدا واول ما ملك على الدنيا والى هذا اليوم لم يزل القوم من الملوك يروم طلب الزيادة والسوم ولا عتب في ذلك ولا لوم وقل لي اي ملك ما ملك تمكن في الممالك وسلك فيها المسالك ولم يقصد فيها الولايات الشاسعة ولا الاقاليم الواسعة ولم يطلب الترفع على الاقران وعلو المكان بقدر الامكان والملك عقيم والعاجز سقيم وكيف يتصور ايها الملك الاكبر ان تكون همة الملك ادنى من همة تاجر في البحر يزعمك فان التاجر اذا افتكر في لذة الفائدة وما يعود عليه من العائدة وغرته كما قال [illegible] اوراق الزائدة يضيع جميع ماله وما تصل اليه يده من خدمه ورجاله في الفلك المشحون ولا يرهب ريب المنون ويركب هو ابضاعه ولا يلتفت الى شقائه ودواهيه ولا يتفكر في الغرق ولا في كسر السفينة ولو اشرق ويسلم قياده الى متصرف الهواء ونفسه وماله الى حاكم الماء ودونك يا ذا الشيمه والوافر الحرمه ما قال العاشق العالي الهمه

ان تمس بدرا فلتكن * ابن الخليفة ذي السرير * او ابن سلطان الورى * او ذي الوزارة والامير
وتجنب الاوغاد والسفل وغاوي القدر الحقير * ان الخطير هو الذي * قد قام بالامر الخطير

واما قولكم عساكرنا لا دراية لهم بمسالك البلاد ولا معرفة لهم بمصادمة الاسود ومقاومة [illegible] ايها الوزير الفاضل الكبير ان الاسد ملك كبير وعلى سفك الدماء جسور وان في رعيته من آذاه وانكاه في ذويه وابكاه وكسره جبرا واسترعاه قهرا واستولى عليه قسرا فهو منتظر تنفس الزمان مترقب انقلاب الحدثان متوقع ايها الفاضل معنى ما قيل: اذا لم يكن للمرء في دولة امرئ * نصيب ولا حظ تمنى زوالها

ما ينفض الى المال حتى لا اسمع بذكره الا تداخلني من ذكر المال رعدة وهيبة ثم تذكرت فوجدت البلاء في الدنيا الغايب وقمة الحرص والشره ولا يزال صاحب الدنيا في بلية وتعب ونصب ووجدت تجشم الاسفار البعيدة في طلب الدنيا اهون علي من بسط اليد الى السفهاء بالمال ولم ار كالرضا شيئا فصار امري الى ان رضيت وقنعت وانتقلت من بيت الناسك الى البرية وكان لي صديق من الحمام فسبقت الى صداقته صداقة الغراب ثم ذكر لي الغراب ما بينك وبينه من المودة واخبرني انه يريد اتيانك فاحببت ان آتيك معه فكرهت الوحدة فانه لا شيء من سرور الدنيا يعدل صحبة الاخوان ولا غم فيها يعدل البعد عنهم وجربت فعلمت انه لا ينبغي للعاقل ان يلتمس من الدنيا غير الكفاف الذي يدفع به الاذى عن نفسه وهو اليسير من المطعم والمشرب اذا اشتمل على صحة البدن ورفاهة البال ولو ان رجلا وهبت له الدنيا بما فيها لم يكن ينتفع من ذلك الا بالقليل الذي يدفع به عن نفسه الحاجة فاقبلت مع الغراب اليك على هذا الرأي وانا لك اخ فلتكن منزلتي عندك كذلك فلما فرغ الجرذ من كلامه اجابته السلحفاة بكلام رقيق عذب وقالت قد سمعت كلامك وما احسن ما حدثت به الا انك تذكر بقايا امور هي في نفسك واعلم ان حسن الكلام لا يتم الا بحسن العمل وان المريض الذي قد علم دواء مرضه ان لم يتداو به لم يغن علمه به شيئا ولم يجد لذلك راحة ولا خفة فاستعمل رأيك ولا تحزن لقلة المال فان الرجل ذا المروءة يكرم على غير مال كالاسد الذي يهاب وان كان رابضا والغني

فاذا سمع باحد خرج على الاسد ولو كان أقل الاعوان فضلا عن ملك الافيال بل فيل الافيال الفاضل في ذاته الكامل في صفاته العادل في رعيته البار بأهل ولايته المحسن الى أهل مملكته المشفق الحليم الرؤف الرحيم فبالضرورة يبادر الى الالقاء ويسارع الى ما كان يتمناه ويغتنم عبودية الملك ويعدها غاية مرتجاه فيدل على عورات العدو ومظان عثراته ويرشد الى طرائق نكاياته ونكباته وينادي في النادي نلت مرادي على رغم الاعادي ويعلن بانشادي للحاضر والبادي

اذا كان للانسان في دولة امرئ * نصيب واحسان تمنى دوامها

وايضا في ذلك الاقليم من هو متشبث باهر جسيم وهو ماله من مال وأولاد واقطاعات وعقار وبلاد وسوائم ومواش واثقال وحواش فلا يمكنها التحول عن طريقنا ولا التحمل لعودنا وبروقنا ولا قوة المقاومة ولا طاقة المصادمة فبالضرورة يصانع عن تعلقاته بالطاعة ويتشبث بذيل سنة الجماعة فيستمد بآرائه ورواته ويستقيد فيساعف بمدده واعداته فقال الملك للفيل ما الجواب عن هذا الخطاب فقال هذا المقال وان كان لا يخلو عن الاحتمال ووقوعه غير محال لكن الاقرب الى الذهن ان هذا لا يقع لانه أمر مبتدع ولان طبائعنا مخالفة لطبائعهم وأوضاعنا غير أوضاعهم وناهيك ان كلاب الحارة في النهب والغارة يمزق بعضهم بعضا ويتناحرون فيما بينهم حوصا وبغضا حتى اذا دخل بينهم ذيب أو حيوان غريب توجهوا اليه واتفقوا عليه فرقوا أديمه وهتكوا حريمه وحملوا الجماعتهم وليه وعند الاسد من الوحوش أنواع ما بين سباع وضباع ونمور وذئاب وقرود ودباب وفهود وكلاب كلهم على طباعه متفقون على اتباعه وان اختلفت عليهم الثياب لكن الكل كلاب أولاد كلاب وكل من هؤلاء على ما هم عليه متفقو الاهواء له على خصمه في جداله وخصمه دربة في المساورة ووثبة في المغاورة وانواع في الكر والفر وروغات في الخير والشر ومداخل ومخارج ومدارك ومعارج وليس في عساكرنا سوى الصدمات والصدام بقوة النهضات والعزمات فان أفاد هذا الاصطدام والاقتحام الا الانهزام فلما بلغ الفيل في الكلام الى هذا المقام وكان رسخ في قلب الملك من كلام المدبر الوسخ فاثر نصح الفيل وما أفاد لان النفس بطبعها مائلة الى الفساد فشرع الملك واعتمد على التوجه الى بلاد الاسد وامر رؤساء فيلة الجنود بجمع العساكر والجنود واشيع ذلك في أطراف الممالك فاطلع على هذه الاحوال غراب يكنى أبا المرقال كان له وطن وولد ويسكن في ممالك الاسد لكنه قدم جزيرة الافيال للتنزه على سبيل التفرج والتفكه فشرع يتأمل في هذه الامور ويستنتج من قضاياها ما يتولد من سرور وشرور فانتهى سابق أفكاره في ميدان مضماره الى ان هذه القضايا تسفر عن بلايا ورزايا واراقة دماء وخراب اماكن وهلاك رعايا سواء كانت للافيال او رجعت عليهم بالوبال فخاف على سكنه ودمار أهله ووطنه فأدى فكره الاسد ان يطلع على ذلك الاسد ليتداركه بحسن آرائه ويعترف للغراب بحسن وفائه فبكر بكوره وقصد دوره فوصل في أقرب زمان ونادى الريبال أبا الزعفران وقال الله الله اني أنا النذير العريان وأطلع الاسد على هذا النكد وقرر معه حقيقة الاحوال وما عزم عليه ملك الافيال فتشوشت لذلك الخواطر وقصد عسكره الاكابر والاصاغر ثم أمر السباع وطوائف الوحوش بالاجتماع مع رؤساء مملكته وأساطين خاصته ورعيته وذكر لهم هذا الامر المهول وما عزم عليه ملك الفيول وأذن لكل واحد منهم في ذلك بما يقول فوقع الاتفاق من أولئك الرفاق ان يتفق أعيان كل جنس من الحيوان على رئيس من جنسهم يقيمونه مقام نفسهم يرضون بأقواله ويقتفون آثار افعاله وليكن من أهل الحصافة والكفاية واللطافة والدراية والشفقة التامة والمعرفة التامة يقدمهم للأوامر مجالس رأي ومشاوره فهما وقع عليه الاتفاق واجمع عليه الرفاق واستصوبه الاسد وارتضاه اتبعوه وعملوا بمقتضاه

الذي لامروأة له يهان وان كان كثير المال كالكلب لا يحفل به وان طوق وخلخل بالذهب فلا تكبرن عليك غربتك فان العاقل لا غربة له كالاسد الذي لا ينقلب الا معه قوته فالحسن تعاهدك لمهاة نفسك فانك اذا فعلت ذلك جاءك الخير يطلبك كما يطلب الماء الحدار وانما جعل الفضل للحازم البصير بالامور وأما الكسلان المتردد فان الفضل لا يصحبه كما أن المرأة الشابة لا تطيب لصاحبة الشيخ الهرم وقد قيل في أشياء ليس لها ثبات ولا بقاء ظل الغمامة في الصيف وخلة الاشرار وعشق النساء والبناء على غير أساس والمال الكثير فالعاقل لا يحزن لقلته وانما مال العاقل عقله وما قدم من صالح عمله فهو واثق بانه لا يسلب ما عمل ولا يؤاخذ بشيء لم يعمله وهو خليق أن لا يغفل عن أمر آخرته فان الموت لا يأتي الا بغتة ليس له وقت معين وأنت عن موعظتي غني بما عندك من العلم ولكن رأيت أن أقضي مالك من حق قبلنا لانك أخونا وما عندنا من النصح مبذول لك فلما سمع الغراب كلام السلحفاة للجرذ وردها عليه وملاطفتها اياه فرح بذلك وقال لقد سررتني وأنعمت علي وأنت جديرة أن تسري نفسك بمثل ما سررتني به وان أولى أهل الدنيا بشدة السرور من لا يزال ربعه من اخوانه وأصدقائه من الصالحين معمورا ولا يزال عنده منهم جماعة يسرهم ويسرونه ويكون من وراء امورهم وحاجاتهم بالعون فان الكريم اذا عثر لا يأخذ بيده الا الكرام كالفيل اذا وحل لا تخرجه الا الفيلة فبينما الغراب في كلامه اذ أقبل نحوهم ظبي يسعى

فلما هربت منه السلحفاة فغاصت في الماء وخرج الجرذ الى جحره وطار الغراب فوقع على شجرة ثم ان الغراب حلق في السماء لينظر هل للظبي
طالب فنظر فلم ير شيئا فنادى الجرذ والسلحفاة فخرجا فقالت السلحفاة للظبي حين رأته ينظر الى الماء اشرب ان كان بك

عقد عناه فتقدمت طائفة الاشداد الى ناحية منها فانفرد سبع يسود على طوائف الاسود طالما افترس
الاقران وانغمس في دماء الشجعان واضاف جوارح الصيد فضلات ما افترسه من عمرو وزيد كاسر
جاسر باسل باسر حاسر قاسر ظاهره الي وباطنه المكر غني

أسد يسود على الاسود زئيره * رعد وعيناه بروق تخطف

فقدموه واختاروه واستشاروا الرأي رأيه واماروه واختارت النمور نمرا جسورا سريع الوثبة بديع الضربة
لطيف الحركات خفيف النهضات قوي الشماس خفي الاختلاس كثيرا ما كسر اسدا وصاحي اسود
خفان فاسر ضرغامه كما قيل

غرثان الاسد من وثباته * ويحاذر من حركاته وثباته

وقدمت الثعالب ثعلبا لطيف الروغان ظريف الزوغان خفي الحيل قوي الميل طالما فر من طائل واحال
على الصائدين من اهوال واحرق الموثبات سلاحه ونفذ في غالب الاسود بالمكر سلاحه

يدل بني سلوق من دهاه * فيغادر من خذ الهم اساه يا

واعتمدت الذئاب في هذا الباب على ذئب فعله عجيب وامره غريب سديد القتل والختل شديد المكر
والكسر طالما افسد الى ودخل في قطيع ماشية فقطعه كله يعجز الاسود والنمور والفهود شيمته الغدر
والخديعة ودأبه المكر وسوء الطبيعة شعر

وقد جمع الضدين نوما ويقظة * يخاف الرزايا فهو يقظان نائم

فاختلى بهم ابو الاشبال وشاورهم فيما دهمهم من الاهوال وتوجه بالخطاب الى الاسد وقال ما رأيك في
هذا النكد فقال لا تطلب النصر في هذا العصر الا من مالك العصر ومصرف احوال الدهر بين الفرج
والقسر وهو الله سبحانه وتعالى وعز شأنه وجل جلاله فانا مظلومون وهم الظالمون وقد مالوا علينا
ولا تقدمنا بالظلم اليهم فسيرد الله كيدهم في نحرهم ويحيق بهم عاقبة مكرهم وهذا امر مقدر
والله هو المقدر واما ما يتعلق بنا وبهم من الفرار والصلح او حربهم فاذكره على التفصيل واخبرك
ذلك الراي الجليل اما الفرار فلا سبيل اليه ولا معول ابدا عليه وان في ذلك وهن ما وسمت به الاسود
ولا اتوم به وصف معهود وبه قد ضرب المثل في الشجاعة والبسالة ونشبه الابطال في الاقدام لا محالة
وكيف نترك بلادنا واهالينا واولادنا من اول وهلة ونعزم على الرحلة ولا صدمناهم ولا وافقناهم ولو
فعلنا ذلك فهربنا وتركنا ما تأوينا من الفلوات اوردنا وتوسمتم الكناود وردنا ولا نفرط تلالمفاوتمرج
قوامنا واستمرت هذه الملامة الى يوم القيامة ولدام علينا هذا العار ولا يقر لنا بعد ذلك قرار واعلم ايها
الملك نور الله وجه السرير بك ان العمر السني ما رق فيه العيش الهني وقد قيل

ما العمر ما طالت به الدهور * العمر ما طاب به السرور

والعمر الذي عرف في نكد لا يحتسبه من ذوي الكفاية احد وحسبك ما ذكره التجم من حكاية الملك
المعزول مع الخصم فسأله ابو الاشبال عن هذا المثال (فقال) الاسد ذكر القائل ان اهل بابل كانت عادتهم
في دينهم وسلوك طريقتهم مع سلاطينهم انهم اذا اعتقدوا بشخص ملكوه واتبعوه واطاعوه امره وسلكوه
وبذلوا في طاعته ما ملكوه فاذا ارادوا عزله تركوه ونبذوه واعتبروه وقراره واهملوا احسانه وفضائله
وسكنوا اشيره في سرير الملك وتركوه فاتفق انهم ولوا واحدا واعزوه ونصروه ثم عزلوه واقبلوا عليه اولا ثم
قتلوه وكانت مدة ما بين ذلك يسيره وعمر ايامه في ولايته قصيره فحصل له اولا السرور ثم تراكمت عليه
بالعزل الشرور فاحتوشته المكاره وبات يسارع القضاء والقدر ثم قال لو راقبت في ازال الجلوس ما في الطالع
من صعود وهبوط ثم اعتبرت عاقبة ارتقائي وفنا ما طال في بقائي وذلك يكون في برج ثبت لما
انقلبت كواكب سعدي عن الاستقامة ولانبت ولكن حيث فات ذلك في الابتداء فاتداركه في الانتهاء فامل

عطش ولا تخف فانه
لا خوف عليك فدنا الظبي
فرحبت به السلحفاة
وحيته وقالت له من اين
اقبلت قال كنت اسيح
بهذه الصحاري فلم تزل
الاساورة تطردني من
مكان حتى رأيت اليوم
شبحا فخشيت ان يكون
قانصا قالت لا تخف فانا لم
نر هنا قانصا قط ونحن
نبذل لك ودنا ومكاننا
والماء والمرعى كثير عندنا
فارغب في صحبتنا فاقام
الظبي معهم وكان لهم
عريش يجتمعون فيه
ويتذاكرون الاحاديث
والاخبار فبينما الغراب
والجرذ والسلحفاة ذات
يوم في العريش غاب
الظبي فتوقعوه ساعة فلم
يأت فلما ابطأ اشفقوا
ان يكون قد اصابه عنت
فقال الجرذ والسلحفاة
للغراب انظر هل ترى مما
يلينا شيئا فحلق الغراب
في السماء فنظر فاذا الظبي
في الحبائل مقتنصا
فانقض مسرعا فاخبرهما
بذلك فقالت السلحفاة
والغراب للجرذ هذا امر
لا يرجى فيه غيرك فاغث
اخاك فسعى الجرذ مسرعا
فاتى الظبي فقال له كيف
وقعت في هذه الورطة
وانت من الاكياس قال
الظبي هل يغني الكيس مع المقادير شيئا فبينما هما في الحديث اذ وافتهما السلحفاة فقال لها الظبي ما اصبت بمجيئك الينا فان القانص
لو انتهى الينا وقد قطع الجرذ الحبائل … عدوا وللجرذ احجار كثيرة والغراب يطير وانت ثقيلة لا سعي لك ولا حركة واخاف عليك القانص

ذلك يفيد ويردني الى سرير السرور ويعيد ثم طلب منجما حاذقا ماهرا في صنعته فائقا وقال انظر في طالع جدي وتأمل برج نحسي وسعدي واختر لي ساعة يصلح فيها النزول عن السرير ويكون العود الى السرير بواسطة الناظر اليها غير عسير فان الناظر الى الطالع هو الجالب والمانع فامتثل المنجم مارسم وشرع في وضع الاشكال والقسم ثم قال أحسن ما نظر في الطالع المسعود من حين الميلاد فانه أول الوجود فاذا أخذ الطالع من ساعة الميلاد ترتب عليه ما يصدر على ذلك المولود من السعد والاسعاد ومن الخوف والرجا في عالم الكون والفساد فهل طالع الملك في أي ساعة وجد وكم أتى عليه من حين ولد قال نعم أعرف مدة عمري نجوما وهي اثنان وعشرون يوما فتعجب المنجم من مقاله ولم يقف على حقيقة حاله فقال ليوضح الملك ما أشار لاقف على حقيقة هذه الاسرار فقال مدة استيلائي على السرير هو هذا القدر اليسير وأنا لا أحسب العمر ولا أعتد بوصال بيض ولا سمر الا هذه الايام والليالي ولا أحتسب سواها عمرا ولو بيع باللآلي وقد قلت

وعمر مضى بالهجر لست أعده * ولكنني أقضيه في زمن الوصل

وانما عرضت بالطول على رأيك السديد هذا المثل لتعلم ان أيام المحنة لا تعد عمرا ولو قضى الانسان فيها زمانا طويلا ودهرا وأما الصلح بإزاء الركون فعلى أي وجه يكون ومن أين يقع بيننا وبينهم اتفاق وسكون وليسوا من جلدتنا ولا على ملتنا وفي أي عصر وأوان ذل الاسد واستكان وخضع للفيل ودان أو أعطى الغضنفر النابح والضرغام الصعب الفاتح لغيره الجزية والخراج وهو في الحقيقة سلطان الوحوش ووهاب التاج فلم يبق الا الاستعداد للمصادمة والتأهب للمكافحة والمقاومة ولنا من ذلك في الدين احدى الحسنيين اما الظفر بهم وهو المرام وأما الشهادة فنموت ونحن كرام وقد قال السيد السديد من قتل دون ماله فهو شهيد وقيل يا حاتم طي حسن الثناء على الميت خير من سوء الثناء على الحي والموت في مقام العز مع النشاط والهزة أرفع من الحياة بذلة ووخزه وكسرة وخزه وقد كنت أنشدت وقديما أرشدت

هو الموت ان لم تلقه ضاحكا فتى * عبوسا لوجه أقتر اللون أغبرا

ومن لم يمت في ملتقى الخيل مقبلا * عزيزا يمت تحت السنابك مدبرا

فأقبل الرئبال على أبي مرسال وقال أيها النمر وصاحب الخلق الزمر ماذا تشير في هذا المهم والمشكل الذي دهم فقال ان الافيال أكبر جسوما وأعظم حلوما وأقوى في الضرب وأهدى في الحرب وقد استعدوا وأقبلوا وأتقنوا أمورهم وأعملوا وأنا أخشى ان يكونوا أقوى بطشا وان نعجز عن المقاومة في المصادمة فان فينا العاجز والضعيف والنعم الجشم والنحيف ومن لا يعرف الافيال ولا رأى تلك الاشكال فينفر من مصادمة الجبال فيطؤنه تحت أخفافهم وتنكسر شوكتنا في أول مصافهم فلم يبق الا الفرار ولا يقر لنا بعد ذلك قرار فيستولون عنوة وقسرا على هذه الديار وينفرط النظام ونرضى عند ذلك بالسلامة والسلام ونقع في البلاء العريض الطويل وانظر يا مولاي الى ما قيل

هل للحرائر من صون اذا وصلت * أيدي الرعاع الى الخلخال والخدم

فمقتضى الرأي ذو الاصالة أن ينتخب الملك من يصلح للرسالة ويحسن السفارة ويحسن العبارة فيسكن من فورة غضبهم وثورة لهبهم وسورة غضبهم ويلاطفهم ويغرهم ويحسن التقريب ويقصيهم وفي ضمن هذه الاوقات وأثناء هذه الحالات يراقب أوضاعهم ويختبر جمعهم واجتماعهم ويتوصل الى أسرارهم ويواصلنا بأخبارهم ويطالعنا بنتائج أفكارهم ويكتب ما قدموا وآثارهم ونستمر على المراسلة والمقاولة والمطاولة فان تيسر رجوعهم وانكشف بالهوينا جموعهم والا فنكون قد استعددنا عن الاستبصار وتعاطي أمور قتالهم بعد التأمل والاختبار وان أمكننا ان نأتيهم بالليل ونحل بهم الدواهي والويل بعد ان يركنوا الى جانبنا ويأمنوا من نوائب مصائبنا فربما نصل الى بعض القصد أو يوافق بعض حركاتنا

السعد

قالت لا عيش أمنع فراق الأحبة واذا فارق الأليف أليفه فقد سلب فؤاده وحرم سروره وغشي بصره فلم ينفعه كلامه حتى وافى القانص ووافى ذلك فراغ الجرذ من قطع الشرك ففر الظبي بنفسه وطار الغراب محلقا ودخل الجرذ بعض الأحجار ولم يبق غير السلحفاة ودنا الصياد فوجد حبالته مقطعة فنظر يمنة وشمالا فلم يجد غير السلحفاة تدب فأخذها وربطها فلم يلبث الغراب والجرذ والظبي أن اجتمعوا فنظروا القانص قد ربط السلحفاة فاشتد حزنهم وقال الجرذ ما أرانا نتجاوز عقبة من البلاء الا صرنا في أشد منها ولقد صدق الذي قال لا يزال الانسان مستمرا في اقباله ما لم يعثر فاذا عثر لج به العثار وان مشى في جدد الأرض وحذري على السلحفاة خير الأصدقاء التي خلتها ليست للمجازاة ولا لالتماس مكافأة ولكنها خلة الشرف والكرم خلة هي أفضل من خلة الوالد لولده خلة لا يزيلها الا الموت ويح لهذا الجسد الموكل به البلاء الذي لا يزال في تصرف وتقلب ولا يدوم له شيء ولا يلبث معه أمر كما لا يدوم للطالع من النجوم طلوع ولا للآفل منها أفول لكن لا يزال الطالع منها آفلا والآفل طالعا وكما تكون آلام الكلوم وانتقاض الجراحات كذلك من قرحت كلومه بفقد اخوانه بعد اجتماعه بهم فقال الظبي والغراب للجرذ ان حذرنا وحذرك وكلامك وان كان بليغا كل منها لا يغني عن السلحفاة شيئا وانه كما يقال انما يختبر الناس عند البلاء وذو الأمانة عند الأخذ والعطاء والأهل والولد عند الفاقة كذلك تختبر الاخوان عند النوائب قال الجرذ أرى من الحيلة أن تذهب أيها الظبي

السعد فالتفت الدوكس الى العاطس وقال أي سيد ذا الامر الرشيد ماذا ترى فيما طرا وكيف طريق
اليوم فيما جرى قال الحسام يا مولانا الضرغام الذي هو من أولى التجارب والاقفه من الاصحاب
والاجانب انه من التوفيق اذا ابتلي الشخص بعداوة من لا يطيق أن يدافعه بالمداراة والتلطف ويصانعه
بشيء من الظرائف والتحف فانه قيل في الامثال ان خير الاموال ما ادخر لدفع البؤس ووقيت به نفائس
النفوس فاهب الثواب ما أبي وثاب يا أبا الحسن ما رأيك في البين وأي آراء الاصحاب أقرب الى الصواب
فتقدم الثعلبان وتكلم فأبان وقال أسعد الله الاسد مولانا الاسد وجعل رأيه الاسد وقواه على أعدائه
الاشد اعلم أيها الدهماث ان أمورنا لا تخلو عن احدى ثلاث اما المقابلة بالمقاتلة واما الموادعة والمصالحة
وقد تقرر فيما تقدم وتحرر بيان كل منهما وما يصدر في سماوتهما وأما الفرار وتولية الادبار وترك
الاوطان والديار فأف لذلك من عار وسبة وشنار فما بقي الا الحالة الثالثة وهي بعساكرهم عائثة ولقلوبهم
كارثة وهي طريقة الاحتيال والتوصل الى اقتناصهم بطرائق المكر في حبائل الوبال فان صائب الافكار
يعمل ما لا يعمله الصارم البتار فبشبك الحيلة تصاد كل فضيلة وتهون كل جليلة وأنا أفصل ما أجملت
وأبين ما فصلت أما المقابلة والاخذ في أسباب المقاتلة فلا طاقة لنا به ولا بابا لنا ولا قبله لانا عاجزون
عن المصادمة قاصرون عن المقاومة محتاجون الى الطعام والشراب وبعض عساكرنا لا يعيش الا باللحم
والكباب وجيشهم الذي قد ملأ وسد الوهد والفلا يقنعون بالحشيش والكلا فلا يتكلفون لحمل زاد
ولا يحتاجون الى عدة وعتاد وأيضا أحوال عساكرنا المفرقة المضمومة لاختلاف أجناسها وأنواعها غير
معلومة فلا اعتماد عليهم ولا يتحقق الركون اليهم فانهم أجناس مختلفة وطوائف غير مؤتلفة وبينهم
معاداة وفي جبلتهم النفرة والمنافاة وبعضهم غذاء بعض وفي قلب بعضهم عداوة بعض لو ظفر به كسره
وأكله وان استنصر به خذله فهم كالنقل الجمع ولو اتفاقهم ملح وأما عساكر الافيال فبينهم اتفاق
على كل حال لانهم جنس واحد وما بينهم مخالف ولا معاند ولهم اعتماد على قوتهم وعلى اتفاقهم
وشوكتهم والمعتمد على مثل عساكرنا ان لم يتخذ طريقة كأمر عشائرنا ينفر طائره ويخمد في ايقاده
ناره ويعادوه من جهة الذئب … ويظفر به من أعدائه زيد وعمرو ويصيبه من الخطه
ما أصاب الصياد من القطاة فسأل أبو الحرث عن بيان هذا الحادث (قال) الثعلب ذكر أن رجلا ذا كبد
كان مغرما بالصيد وكان عنده قط صياد يجري على النمس والفار فكان يرمي بين يديه … فيه …
فطفر كالنمور وحصل من الهواء العصفور فأعجب به صاحبه ثم قصد الصيد وهو مصاحبه وحمله تحت
ابطه وبالغ في حفظه وضبطه وركب جواده وتوجه يروم اصطياده فرقى سفح جبل فخرج من وراء
صخرة طائفة من الحجل فتوجه اليه والقى القط عليه فطار الطير وخاف القط وقصد رجوعه الى تحت
الابط فطفر الى جهة الجواد وأنشب فيه براثنه الحداد فجفلت الفرس من القطاة وتخبطت بفارسها
الارض ثم خبطته أزهقت فيه انفسه وأبطلت حسه (وانما أوردت) هذا المثل ليعتبر رأي البطل في هذا
الامر من وقوع الخلل ويتفكر في أمر هؤلاء الجماعة وكيف ثباتهم في دعواهم السمع والطاعة فانهم
لا يصلحون للقتال خصوصا مصادمة عساكر الافيال فالملك لا يعتمد على مثل هذا العسكر اللهم الا ان
يتقرر أمرهم على صدق اللقاء ويتحرر وأما ما ذكره مولانا أبو سهيل في تبييت عساكر الافيال بالليل فهو
رأي معتبر ولكن فيه نظر لان ذلك انما يكون اذا كان العدو في سكون وعن توقع النكبات في ركون
فبينما هم في غفلاتهم ذاهلون يجاءهم بأسنا بياتا أو هم قائلون وأما اذا كانوا مستعدين يقظانين مجدين وقد
توجهوا للقتال وانتصبوا للمناضلة على هذه الحال فلا شك انهم اتقنوا امرهم وأخذوا أسلحتهم وحذرهم
وأعدوا لكل نائبة نابا ولكل نائقة بابا ولكل حرب سرابا ولكل ضرب ضرابا ولكل شدة عدة ولكل

فتقع بمنظر من القانص كانك جريح ويقع الغراب عليك كأنه يأكل منك وأسعى أنا فأكون قريبا من القانص مراقبا له لعله يرمي ما معه
من الآلة ويضع السلحفاة ويقصدك طامعا فيك راجيا تحصيلك فاذا دنا منك فعد عنه رويدا بحيث لا ينقطع طمعه منك
ومكنه من أخذك مرة بعد مرة حتى يبعد عنا وانح منه هذا النحو ما استطعت فاني أرجو أن لا ينصرف الا وقد قطعت الحبائل عن السلحفاة ونجوا بها ففعل الغراب والظبي ما أمرهما به الجرذ وتبعهما القانص فاستجره الظبي حتى أبعده عن الجرذ والسلحفاة والجرذ مقبل على قطع الحبائل حتى قطعها ونجا بالسلحفاة وعاد القانص مجهودا لاغبا فوجد حبائله مقطعة ففكر في أمره مع الظبي الظالع فظن انه خولط في عقله وفكر في امر الظبي والغراب الذي كأنه يأكل منه وتقرض حبالته فاستوحش من الأرض وقال هذه أرض جن أو سحرة فرجع موليا لا يلتمس شيئا ولا يلتفت اليه واجتمع الغراب والظبي والجرذ والسلحفاة الى عريشهم سالمين آمنين كأحسن ما كانوا عليه فاذا كان هذا الخلق مع صغره وضعفه قد قدر على التخلص مرارا من مرابط الهلكة مرة بعد أخرى بمودته وخلوصها وثبات قلبه عليها واستمتاعه مع أصحابه بعضهم ببعض
فالانسان الذي قد أعطي العقل والفهم والهم الخير والشر ومنح التمييز والمعرفة أولى وأحرى بالتواصل والتعاضد فهذا مثل اخوان
الصفاء وائتلافهم في الصحبة انقضى باب الحمامة المطوقة (باب البوم والغربان) قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت

عدة عدده واكل بعزه بجزه واكل وفرة فرزه واكل نفرة ظفره واكل فرة كره واكل ازمة حزمه
واكل كسرة جبره فربما يكونون افتكروا دفنها بالمكيده واعدوا في مقابلتهم داهية دهيا والها مصيبه
فنتوجه اليهم غافلين فننشب في شركها ذاهلين فيصيبنا من النكال ما اصاب الجمل من الجمال فقال
الريبال هات يا ابا الترهات اخبرنا يا ابا نوفل اخبار الجمل المغفل (قال) كان جمال فقير ذو عيال له
جمل يتعيش عليه ويتقوت هو وعياله بما يحصل منه اليه فراى صلاحه في نقل ملح من الملاحه فجد في تثقيل
الاحمال وملازمته باثقال الاثقال الى ان آل بحال الجمل الى الهزال وزال نشاطه وطال والجمال لا يرق له
بحال ويجد في كده بالاشتغال ففي بعض الايام ارسله مع السوام فتوجه الى المرعى وهو ساقط القوة من
المسعى وكان له ارنب صديق فتوجه اليه في ذلك المضيق ودعاه وسلم عليه وبث عظيم اشتياقه اليه فلما
راى الارنب هزاله تالم له وساله احواله فاخبره بحاله وما يقاسيه من عذابه ونكاله وان الملح قد قرحه وجب
سنامه وجرحه وانه قد اعيته الحيل واضل الى الخلاص سبيله فنام الارنب وتامل وتفكر في كيفية عمل
هذا العمل ثم قال يا ابا ايوب لقد فزت بالمطلوب وقد ظهر وجه الخلاص من شرك هذا الاقتناص والنجاة
من الارتهاص والارتصاص تحت حمل كالرصاص فهل يعترضك يا ذا الرياضه في طريق الملاحة مخاضه
فقال كثير وكم من نهر وغدير فقال اذا مررت في خوض ولو انه روض او حوض فابرك فيه وتمرغ وتمهل
من حملك وتفرغ واستوف يا ابا ايوب فان الملح في الماء يذوب وكرر هذه الحركه فانك ترى فيها البركه
فاما انهم يغيرون حملك او يخففوه او تستريح بذوبه من الذي اضعفوه فحمل الجمل للارنب المنه وشنف
بدر هذه الفائدة اذنه فلما حمله صاحبه الحمل المعهود ودخل به في طريقه المورود ووصل الى المخاضة برك
فضرب فما قام ولا تحرك وتحمل ضربه وعسفه حتى اذاب من الحمل نصفه ثم نهض انتهاضه وخرج
من المخاضه ولازم هذه العاده الى ان افقر صاحبه واباده فادرك الجمال هذه الحيله فافتكر له في داهية
وبليه وعمد الى عهن منفوش وغير في مقامرته شكل النقوش واوسق للجمل منه حملا بالغ فيه تعبية
رثلا وساط عليه الظما ثم دخل به الى الما فلما توسط الماء برك وتغافل عنه صاحبه وترك فتشرب الصوف
من الماء ما ملأ البرك ثم اراد النهوض فناى به الربوض فقاسى من المشاق ما لا يطاق ورجع هذا
الفكر الوبيل على الجمل المسكين باضعاف التثقيل فساء مسيره وكان في تدبيره تدميره وما استفاد الا زيادة
التعب وامثال ما كان يجده من التعب والوصب (وانما اوردت) هذا المثل عن الجمل ليعلم الملك والحضار
ان العدو الغدار والحسود المكار يتفكر في انواع الدواهي ويفرع انواع البلايا والرزايا كما هي ويبذل في
ذلك جده وجهده ولا يقصر فيما تصل اليه من ذلك يده فتارة تدرك مكايده وتعرف مصايده وتارة يغفل
عن دواهيها فلا يشعر الخصم الا وقد تورط فيها وعلى كل حال لابد للشخص له وعليه من الاحتيال واما
طلب الصلح وارسال الهدايا فمن اعظم المصائب واكبر الرزايا فان ذلك يدل على عجزنا والخور ويبادي على
هواننا في البدو والحضر ويجرئ علينا القريب ويذهب حرمتنا عند الغريب ودونك يا ابا العباس
ما انشدتك في القياس وما انا ممن يفر من نار خصمه ☆ فظل حسودا او الى في شماتة
ولكن الراي الانور ايها الورد الغضنفر ان ترسل اليهم رسولا عاقلا فصيحا جليلا بصيرا بعواقب الامور قد
مارس تقلبات الدهور وقدر يحيي ويربي وعن الرذائل يابى وبانواع الفضائل يتحلى واسم الى كتبة
محاسن الشيم وابى ولولا ان باب النبوة استد لقلت برسالة نبي تسفر عن رسالة بجزالة تتضمن سؤالهم عما
اوجب ارتحالهم وسبب قصدهم لبقعتنا وتوجههم الى حول رقعتنا وما موجب هذا الاعتداء ولم يصدر
منا اليهم الا المحبة والولاء وحسن الجوار والاحسان الى الكبار والصغار ومعاملة القريب والغريب بالفضل
الحسيب والكرم الذي لا يخيب ويذكر لهم بسالتنا وشجاعتنا وفي معاملات الضرار بقوتنا ومنعتنا ويكشف لهم

مثل اخوان الصفاء وتماديهم فاضرب لي مثل العدو الذي لا ينبغي ان يغتر به وان اظهر تضرعا وملقا قال الفيلسوف من اغتر بالعدو الذي
لم يزل عدوا اصابه ما اصاب البوم من الغربان قال الملك وكيف كان ذلك قال بيدبا زعموا انه كان في جبل من الجبال
شجرة من شجر الدوح
فيها وكر الف غراب
وعليهن وال من انفسهن
وكان عند هذه الشجرة
كهف فيه الف بومة
وعليهن وال منهن فخرج
ملك البوم لبعض غدواته
وروحاته وفي نفسه
العداوة لملك الغربان وفي
نفس الغربان وملكها
مثل ذلك للبوم فاغار
ملك البوم في اصحابه على
الغربان في اوكارها فقتل
وسبى منها خلقا كثيرا
وكانت الغارة ليلا فلما
اصبحت الغربان اجتمعت
الى ملكها فقالت له قد
علمت ما لقينا الليلة من
ملك البوم وما منا الا من
اصبح قتيلا او جريحا او
مكسور الجناح او منتوف
الريش او مقطوع الذنب
واشد مما اصابنا ضرا
علينا جراءتهن علينا
وعلمهن بمكاننا وهن
عائدات الينا غير
منقطعات عنا لعلمهن
بمكاننا فانما نحن لك ولك
الراي ايها الملك فانظر لنا
ولنفسك وكان في الغربان
خمس معترف لهن بحسن
الراي يسند اليهن في
الامور ويلقى عليهن
ازمة الاحوال وكان الملك
كثيرا ما يشاورهن في
الامور وياخذ آراءهن
في الحوادث والنوازل فقال الملك للاول من الخمس ما رايك في هذا الامر قال رايي قد سبقتنا اليه العلماء في
وذلك انهم قالوا ليس للعدو الحنق الا الهرب منه فقال الملك للثاني ما رايك انت في هذا الامر قال رايي ما راى هذا من الهرب قال الملك لا ارى

في ملابسة الحرب والضرب صناعتنا ويحقق عندهم ما عندنا من أسود الحرب وفوارس الطعن والضرب
وأجناس الوحوش الكواسر والسباع الجوارح وأصناف الفراعل والمسابر ويتكلم بكلام يراه مقتضى
المقام ومناسبا للحال ويوسع في ذلك المجال ويميز أوضاعهم وعساكرهم ويسبر بمسبار العقل أمورهم
وأوامرهم ويسمع الجواب وما فيه من خطأ وصواب ويورده إلينا ويعرضه علينا فنعمل بمقتضاه ويختار
الرأي السديد فيه مما ارتضاه ونبني على ذلك الأساس ونفصل على ذلك القياس فاستصوبوا هذا الرأي من
الآراء وطلبوا له كفؤا من الأكفاء فوجدوا ذئبا هو من خواص الحضرة ومن ذوي النباهة والشهرة له
في ميدان الفضائل كر وفر وفي مظان النفع والضر خير وشر قد جرب في المصايد ودرب في المكايد وهذب
في المصادر والموارد ورتب في المطارف والمطارد أدنى فضائله حسن السفارة وأسنى فواضله ترتيب العبارة
حلال المشكلات كشاف المعضلات فوقع عليه اختيارهم ورضي به كبارهم وصغارهم فحمله الأسد
كلامه وجعل الجمل مهمله وأوامله سبل تمامه ومن مضمونه بلاغ الفهم والانتقالات السنية إلى الحضرة
العلية ملك الأفيال أبي مزاحم المفضال أسعده الله هداه وصرف عنه رداه وبصره مواقع الخير وهداه
ولا شمت به أعداه وحفظه بالعشي والغداة وجعل عقباه خيرا من مبتداه فبسط علومه الكريمة وآراءه
العالية الجسيمة أن قوتنا من قديم الزمان ظاهرة وهيبتنا باهرة وصولتنا قاهرة لم نزل نفترس الفوارس
ونكرم أصناف الأضياف من الوحش والطير بالفرائس ويضرب بنا في الشجاعة والكرم الأمثال ويفر
من بين أيدينا أسود الأبطال ولا عار على من فر من بين يدي الرجال وقد اتصل بنا أن ملك الأفيال توجه
إلينا بجنوده وجاء في ذلك أجناس عساكره وبنوده وما علمنا لذلك موجبا ولا تقدمنا بعداوة تقتضي حربا
وحربا بل ولا تعرضنا لأحد في ملكه وماله وعدنا بحمد الله تعالى عارف بمدار الدور وفلكه والرعايا شاكرة
منا ولم نشتم سوى الذكر الجميل عنا فأنعم وابرد الجواب ويزول الخلل من الصواب قبل أن يكشر الشر نابه
ويفتح جرابه ويحرش الهرير كلابه ويفتح الجاهل بابه ويكسر رائد الفتنة بابه فتتفاقم الأمور وتتعاظم
الشرور وتتلاطم بحارها وتفور عند التحام الجيشين والتقائهما من الأسود والنمور مع أن اعتمادنا على الله العظيم
وتوكلنا على العزيز الرحيم فلما بلغ الذئب الرسالة وأدى ما فيها من شجاعة وبسالة وبين للأفيال
ما تضمنته من عظمة وجلال استشاط ملك الأفيال وتغيرت لاضطرابه الأحوال وتطير من ذلك الفحول
إلى فيل ظلوم جهول وبدرت إليه من غير تدبر ولا تأمل في الأمور وتفكر وقال اذهب إلى هذا المعتمد على
كلامه الراقد في غفلة منامه وقل له متى مارست معركة الشجعان أو صارعت رجال الميدان وأنى لك طاقة
بمصادمة الجبال ومن أين تعرف مقاومة الأفيال فاستعد لنفسك فمن قريب تحل برمسك واستعد لجنود
لا قبل لك بها فستشاهد ما لم تسمعه من ضربها في حربها فلقد أتاك عسكر القضاء وجنوده وليحطمنكم
سليمان الأفيال وجنوده فلم يحقن الدماء وليستأصلن الآثار كالأسماء وليدوسن الأطفال والتبرين منه
الأنكاد والأنكال وليطهرن آثار الديار والسوار عمالك من ممالك ومساكن وديار وليصمدن بولايتك
ما فعله عمالك الإسلام التتار وأنت بين أمرين وبخير النظرين إما أن تذعن لأمرنا وتنقاد وتسلم إلينا
ما بيدك من بلاد وإما أن تختار طرق الفراق والفرار وتتعوض عن الديار ... وتتقي عن طريقنا بما معك
من كلاب وذئاب وقد بالغ الفيل في النصيحة بعبارته الصحيحة وأقواله الفصيحة قبل إفشائه الفضيحة فوصل
الفيل الرسول وأدى هذا القول فتشوش الأسد ودخله الغيظ والنكد فأراد الإيقاع بالرسول الظلوم
الجهول ثم تمالك وعن ذلك تماسك وقال لولا أن عادة الملوك ودرب السياسة للسلوك أن لا تهاج الرسل
ولا تضيق عليهم السبل ألقيناك على كلامك القبيح ما يجب من الهم والتبريح ثم التفت إلى الثعلب وقال يا أبا
الحصين ما عندك في جواب هذين الفحلين قال الثعلب أنت الأغلب هذا القيل أقوى دليل وأوضح

مقصرين عنه وتلقى
الطرافة أطراف العصابة
ونقمرز ...
عن ... عدونا بالأناة من
وبالبلاد أخرى حيث
نصيب فرصتنا ونشفي
وقد تمنا عدونا منا
قال الملك للثالث ما رأيك
أنت قال ما أرى ما قال
رأيا ولكن نبث العيون
ونبعث الجواسيس
ونرسل الطلائع بيننا وبين
عدونا فنعلم هل يريد
صلحنا أم يريد حربنا أم
يريد الفدية فإن رأينا أمره
أمر طامع في مال لم نكره
الصلح على خراج نؤديه
إليه في كل سنة ندفع به
عن أنفسنا وأوطاننا فإن
أوطاننا فإن من حسن آراء
الملوك إذا اشتدت شوكة
عدوهم فخافوه على
أنفسهم وبلادهم أن
يجعلوا الأموال جنة البلاد
والملك والرعية قال الملك
للرابع فما رأيك في هذا
الصلح قال لا أراه رأيا بل
أن نفارق أوطاننا ونصبر
على الغربة وشدة المعيشة
خير من أن نضيع
أحسابنا ونخضع للعدو
الذي نحن أشرف منه مع
أن البوم لو عرضنا ذلك
عليهن لما رضين منا إلا
بالشطط ويقال في الأمثال
قارب عدوك بعض

المقاربة للقتال مباعدك ولا تقاربه كل المقاربة فيجترئ عليك ويضعف جندك وتذل نفسك ومثل ذلك
مثل الخشبة المنصوبة في الشمس إذا أملتها قليلا ازداد ظلها وإذا جاوزت بها الحد في إمالتها نقص الظل وليس عدونا راضيا منا بالدون في

سبيل على عدم عقل الفيل وان فكره وبيل وبصيرته قد عميت وطرق هدايته قد خفيت وانه غوى وأضل قومه وما هدى وكل من اعتمد على قواه وحوله واستولى غروره فعله وقوله فقد زال وزل وفي عقد البلاء عال وحل وهذا الجاهل السخيف الكثيف الثقيل الجثة الخفيف قد استحقرنا في عينه فسيرى منا حلول حينه وكل من استحقر واستخف بعدوه فسيعدم حلاوة هدوه ويحرم مواصلة مرجوه وقد قالت الحكماء الاخيار والعقلاء ذوو الاعتبار وأولو التجارب والاستبصار لا تستحقر السقم والنوم والدين والعدو والنار فالملك أعز الله نصره وأعلى مناره وقدره وسلط على الأعداء قهره لا يلتفت الى هذا الكلام ولا يتزعزع لهذه الاوهام ولا يخف من جهامة الافيال فكل ما هم فيه باطل ومحال بل يعتمد على الله العزيز الجبار ويصحح نيته بالعدل والخير مع الكبار والصغار ويقوي جنانه على اللقاء وقد وافاه النصر وأتاه ولاغاه السعد ولاقاه فان هؤلاء اعتدوا على ولايته وأتوها فسينزل الله تعالى عليهم جنودا لم يروها فكم من مستضعف حقير صدر منه بالحيلة أمر خطير وبحسن التدبير ومساعدة التقدير تم له أمر كبير وناهيك قصة الفارة مع رئيس الحارة وما فعلته اذ خذلته الى ان قتلته فسأل حمدره عن تلك المأثره (فقال) بلغني أيها النفيس انه كان رئيس ضيق العطن خسيس له زوجة ذات صيانة ودين وأمانة لم تزل تجتنب الخيانة وتتعاطى العفة والرزانة وله دجاجة تبيض على الدوام فيسرق بعض بيضها الجرذ وهم نيام فاذا افتقدها الرئيس بيضته طالب بها زوجته فتحلف انها ما رأتها ولا تعرف يدا اخذتها فيؤلمها سبا ويوسعها ضربا ولا يصدق قولها ولا يرحم عولها ففي بعض الاحيان رأت المرأة الجرذان وهو يجر البيضة الى جحره وقد بلغ بها باب وكره فدعت بعلها لتريه الفار وفعلها فلم يراه ساعتها وحمل على رأسها واعتذر اليها وطلب الفارة وحنق عليها وأعمل المكيدة ونصب للفارة دون البيضة مصيدة فلما رأت الفارة الشرك علمت ان وراءه الدرك فشعرت بما وضع عليه فلم تتقدم اليه الى ان زار الجرذان أحد أقاربه من الفيران فلم يجد شيأ يضيفه فاعتذر الى الضيف بما هو يخيفه وأراه من البيضة سواد وان دونها خرط القتاد وكان الضيف الغر لا يعرف هرا من بر فحمله السفه والحرص والشره على ان قال انا أخوض هذه الاهوال وأرد من الموت حوضه وأصل الى هذه البيضة ثم قصد المصيده فقبضت وريده وخنقت به وليده ووديده فتنكدت الفارة وتكدرت والتظت احشاؤها وتسعرت وتألمت لموت ضيفها وبلغ جيرانها حديث حيفها فخجلت منهم واختفت عنهم وشاعت قضيتها وذاعت بليتها فلم تجد لبرد النار سوى أخذ الثار فأخذت تفتكر في وجه الخلاص فرأت ان الخلاص من عتب الجيران الا بالقصاص فشرعت في تعاطي أخذ الثار من صاحب الدار وكان لها صاحبة قديمة عقرب خبيثة لئيمة معدن السموم في ذبان ابرتها وطعم المنايا مودع في شوكتها فتوجهت اليها وترامت عليها وقالت انما تدخر الاصحاب للشدائد ولدفع الضرر والمكائد وازال الداء بساحة الاعداء ولاخذ الثار والانتقام من المعتدين اللئام وقصت عليها القصه وطلبت منها ازاحة هذه الغصه وان تأخذ لها بضرباتها القصاص ليحصل لها بين جيرانها من العتب الخلاص فأجابتها الى ما سألت وأقبلت الى وكر الفارة بالقبلات وأخذا في اعمال الحيلة فأدت أفكارهما الوبيلة الى أن تخدعا صاحب البيت بالذهب وتلقياه بذلك في اللهب ثم امهلا الى ان دخل الليل وشرعا في ايصال الويل فأخرجت الفارة دينارا والقته في صحن الدار ووضعت آخر عند جحر الفار وأظهرت نصف دينار من ذلك الذهب وسترت النصف الآخر عند العقرب واستترت العقرب بجناح السكون متمثلة الكمون وقد عبئت في زبانها ريب المنون فلما أصبح الصباح ونودي بالفلاح وجد صاحب الدار في وسط الدار الدينار فتفاءل بسعد نهاره ولم يعلم انه علامة دماره وفتح عينيه ونظر حواليه فرأى عند جحر الفار أخا الدينار ففرح وطار ونشط واستطار وزادني الطالب على بقية الذهب فرأى نصف دينار داخل جحر الفار فمد يده اليه وأعمى القضاء عينيه عما قدره

المقاربة فالرأي ان اناولك المحاربة قال الملك للخامس ما تقول أنت وماذا ترى القتال أم الصلح أم الجلاء عن الوطن قال أما القتال فلا سبيل للمرء الى قتال من لا يقوى عليه وقد يقال انه من لا يعرف نفسه وعدوه وقاتل من لا يقوى عليه حمل نفسه على حتفها مع ان العاقل لا يستصغر عدوا فان من استصغر عدوه اغتر به ومن اغتر بعدوه لم يسلم منه وانا للبوم شديد الهيبة وان أضربن عن قتالنا وقد كنت أهابها قبل ذلك فان الحازم لا يأمن عدوه على كل حال فان كان بعيدا لم يأمن سطوته وان كان مكاشفا لم يأمن وثبته وان كان وحيدا لم يأمن مكره وأحزم الاقوام وأكيسهم من كره القتال لاجل النفقة فيه فان ما دون القتال النفقة فيه من الاموال والقول والعمل والقتال النفقة فيه من الانفس والابدان فلا يكونن القتال من رأيك أيها الملك للبوم فان من قاتل من لا يقوى عليه فقد غرر بنفسه فاذا كان الملك محصنا للاسرار متخيرا للوزراء مهيبا في أعين الناس بعيدا من ان يقدر عليه كان خليقا ان لا يسلب صحيح ما أوتي من الخير وأنت أيها الملك كذلك وقد استشرتني في أمر جوابك مني عنه في بعضه علانية وفي بعضه سر وللاسرار منازل منها ما يدخل فيه الرهط ومنها ما يستعان فيه بالقوم ومنها ما يدخل فيه الرجلان ولست أرى لهذا السر على قدر منزلته ان يشارك فيه الا أربعة آذان ولسانان فنهض الملك من ساعته الله وخلا به فاستشاره فكان أول ما سأله عنه الملك انه قال هل تعلم ابتداء عداوة ما بيننا وبين البوم قال نعم كلمة تكلم بها غراب قال الملك وكيف

الله عليه فضربته العقرب ضربة قضى منها نحبه فبرد مكانه ولاقى هوانه واخذت الفارة ثارها وقضت
من عدوها اوطارها (وانما اوردت) هذه الاخبار ليعلم الملك أن حيل اصحاب الافكار تفعل ما لا يفعله
العسكر الجرار بالسيف البتار والرمح الخطار وبقاتل الحيلة تتم الامور الجليلة فلا يهتم الملك بهذه الاقوال
ويشرع فيما هو بصدده من دقيق الاحتيال وانا ارجو من الله تعالى الظفر بعدونا وحصولنا على غاية
مأمولنا ونهاية مرجونا فاول ما نعاملهم بالوهم وادخال الصولة والتخويف والارهاب بقوة الدولة فان الوهم
قتال والعاقل المدبر محتال وطائفة العقول عند العقول وبالوهم يبلغ الشخص مراده كما بلغ الحمار من
الاسد ما اراده فسأل ملك الاساد بيان حكاية ابي زياد (فقال) ابو الحصين اخبرني ابو الحسين ذو المفاخر
ناصر انه كان في بعض الاعصار والمعاصر حمار في مدار يستعملونه بالليل والنهار الى ان حصل له الكبر
ورمي بالعبر وابتلي بالمنايا بالجوع وذل الدهر بالدبر وعجز عن العمل وانقطع منه الامل فتركه اصحابه واعتقوه
في بعض المراعي اطلقوه فصار يرعى ويرتع وفي تلك المروج يسرح الى ان خرج الى الصحرا وانفرد في رياض
الفلا فوصل الى بعض الآجام ووصل له النشاط التام الى ان صح بدنه وسمن وبادره وامن واخذه
البطر واستولى عليه الاشر واستخفه الطيش وطاب العيش وصار في تلك المراعي يتردد ذهابا وايابا
كالساعي فيسدي ويلحم في شقتها ويفصل مهما اختار من زهر نمرقها ويخرق على عادة الحمير فلا
تلك الاماكن من الشهيق والزفير وكان في تلك الآجام اسد مفترس يسمى الشبل بن الفانس كان ابوه
ملك تلك الاماكن قد نشأ بها وهو فيها ساكن شاب غرير لم يكن يعرف الحمير ولا طرق سمعه شهيق ولا زفير
بل ولا خرج من تلك الآجام ولا عرف تصرفات الايام وكان ابوه قتل في الاصطياد وتفرقت عنه العساكر
والاجناد فنشأ وحيدا يتيما واستمر فيها مقيما فلما سمع صوت الحمار اخذته الرعدة والاقشعرار واستولى
عليه الهلع وقعد عن الاصطياد وانقطع وصار كالمخرق هرب واختفى من الفرق وغلب عليه الدهش
الى ان كاد يموت من الجوع والعطش وصار الحمار يتردد الى عين ما كان الاسد يسكن منها مورد الماء فما
اجترأ بعد ذلك على الورود واضر به الخوف والانقطاع والقعود فلما كاد العطش ان يقتله توجه الى العين
متخوفا بالحيرة والوله فوجد الحمار واقفا عندها وادرك الحمار رائحته فبادرها فتقدم اليه وصوب نحوه
اذنيه وحملق عينيه فبدر من الاسد من شدة ما انبهم من وله خوفه وقال للحمار ايش انت ولاي شيء ههنا
سكنت وجعل يرجف وقد قتله الخوف يرسف فعلم الحمار ان الاسد خائف فقال بعنفوان جري وبيان قوي
انا في هذا المكان افرق رزق الحيوان وقد اقمت على الوحوش ارزاق الوحوش ثم اقسمها بينهم واملأ
بطونهم وهم بينهم فقال الاسد اني جوعان ولي مدة عطشان فاعطني من الاكل رزقي وافرز لي من الماء
حقي فقال بوجه مقطب ادن الى الماء واشرب فدنا وشرب وهو خائف مضطرب ثم قال انا جائع
فاطعمني وتفضل ولا تحرمني فلي مدة من الجوع لا اذوق ولا اهجع فقال الحمار تعال معي الى موضعي
لتعرف مكاني وتقرر عوائدك في ديواني فذهبا في الطريق حتى وصلا الى نهر عميق فاراد العبور فقال
الاسد للحمار هذا الماء عميق وكم فيه من غريق فاحملني في الذهاب وانا احملك في الاياب فاجابه
الحمار وحمله ونهض به ونقله فانتشب الاسد الاظفار في كاهل الحمار وثقل عليه فلم يتأثر له ولم يلتفت
اليه فزاد وهمه من الحمار وقال هذا رأس الجبار ثم سار امامه اخرى فرأى في طريقه مهرا فطلب الحمار
الوثوب وتالله ما قوي في الركوب ثم نفر على الاسد وثقل عليه الجسد وتمكن عليه وارخى يديه
ورجليه فضربه من ثقله واتكأ بشرعه ثم تزايد عليه والتصق بكاهله مسامير نعله فانزعج الاسد وصار
وقد اثرت فيه حوافر الحمار فقال له انت والله والشقي واسالك فضلا بالحق برئ في امري
انقذني واعتقني وقد وكان يكفيني جوعي وفاتني رشدي والبلا من اين
اقبلا فقل لي ما الذي انشبته في كاهلي وتراه به من حافرك في ساحلي فقال هذه مسامير الالات المرابات

كان ذلك (قال) الغراب زعموا ان جماعة من الكراكي لم يكن لها ملك فاجمعت امرها على ان يملكن عليهن ملك البوم فبينما هي في مجمعها اذ
وقع لها غراب فقالت لو جاءنا هذا الغراب لاستشرناه في امرنا فلم يلبثن دون ان جاءهن الغراب ١٣١ فاستشرنه فقال لو ان الطير بادت من
الاقاليم وفقد الطاووس
والبط والنعام والحمام من
العالم لما اضطررتن الى ان
تملكن عليكن البوم التي
هي اقبح الطير منظرا
واسوؤها خلقا واقلها عقلا
واشدها غضبا وابعدها
من كل رحمة مع عماها وما
بها من العشا بالنهار واشد
من ذلك واقبح امورها
سفهها وسوء اخلاقها الا
ان ترين ان تملكنها وتكن
انتن تدبرن الامور دونها
برايكن وعقلكن كما
فعلت الارنب التي زعمت
ان القمر ملكها ثم عملت
برايها قال الطير وكيف
كان ذلك (قال) الغراب
زعموا ان ارضا من اراضي
الفيلة تتابعت عليها السنون
واجدبت وقل ماؤها
وغارت عيونها وذوى نبتها
ويبس شجرها فاصاب
الفيلة عطش شديد فشكون
ذلك الى ملكهن فارسل
الملك رسله ورواده في طلب
الماء في كل ناحية فرجع
اليه بعض الرسل فاخبره
اني قد وجدت بمكان كذا
عينا يقال لها عين القمر
كثيرة الماء فتوجه ملك
الفيلة باصحابه الى تلك
العين ليشرب منها هو وفيلته
وكانت العين في ارض
للارانب فوطئن الارانب
في اجحارهن فاهلكن منهن
كثيرا فاجتمعت الارانب
الى ملكها فقلن له قد علمت ما اصابنا من الفيلة فقال احضرن مكن كل ذي راي رايه فتقدمت ارنب من الارانب يقال لها فيروز وكان الملك
يعرفها بحسن الراي والادب فقالت ان راى الملك ان يبعثني الى الفيلة ويرسل معي امينا ليرى ويسمع ما اقول ويرفعه الى الملك فقال لها

وابلواهلك وهي اربعون مسالك لابدان تثبت كلها في قفالك حتى يترصع لك اسم في الديوان والا فالرزق لايحصل بالهو ويقابل بالهوان فقال ياأخاه اتركني لوجه الله وارفق بي رفقا وما اريد منك رزقا ودعني بالامانه ووفر الجرايه على الخزانه ولارايتك ولارايتني ولاعرفتك ولاعرفتني فاني اتقوت من حشيش الارض وخشاشها واستعد لمادنفسي بالرفق في معاشها فنزل عنه الحمار وتركه وسار فهرب منه بعد ماوعده وولى يلتفت عيناوشمالا الاالايتهه واغاصورت هـذا النقش لتعلم ياملك الوحش ان الوهم يصدر كالسهم وهو عند براهمة الهند وحكماء السند اسد طرق العلم رقاك الله الى سلم السلم والوهم غالب على الافيال بل سهم الوهم يقتل كثيرا من الرجال فنرجو من الله ان يبلغنا مقصودنا وينال من طالع الجد والحظ مسعودنا وان يرجع اعداؤنا بالخيبه وفراغ العيبه وهذا المثل الذي ضربته والتقريب الذي قربته انما هو مثل العاجز الضعيف مع القوي العسوف لاالعسف وامانحن بقوة الله وحوله ومساعدة نصره وطوله فقوتنا قاهره فائقه وصدمتنا بعون الله دعائمها دافعه لم يحصل منا خوف ولاخور ولافزع ولاجزع ولاجور فهنا يحصل الله قوة ساعدهم وقدرة قاومتهم فامض لامرك فكاني بك وقد رجعت فائزا بقصدك بجبور رايك وحدولك شبور رايسرك ثم انه اقتفى راي ابي الضراغم اعادة الذئب الى ابي مزاحم برسالة مضمونها بصرك الله بعيوب نفسك واراك عاقبة غدك في صبح امسك وجعلك من اتبع الهدى وامتنع عن موارد الردى اعلم ان علماء الهند وحكماء البراهمة والسند امتازوا عن حكماء الاقاليم ووضعوا رقعة الشطرنج للتعليم وان واضع ذلك صور الرقعة بصورة الممالك وقسمها بالسويه وجعل لكل قسم جندا من الرعيه ووضع له نوعا من السير لا يتعداه وبين لكل منهم مكانا لا يتخطاه وانا اخاف ان تتعدى مكانا هو مقامك وتتصدى بيت الشاه وبفوت مرامك ويناديك فرزين العقل وانت راجل في النقل ياذا الهوس ماذا بيت الفرس فتقع وانت تصرخ في اعلبك بالنفس مع الرخ فلا يفيدك الندم وقد زلت بك القدم وخرجت في لعبة من رقعة الوجود الى العدم وترى تلاف الموافقات ويقول خصمك وقد راى كلاحة وجهك شاهمات فلا تعتمد على ضخامة جسدك وكف عن سقدك وحسدك ولا تقصد حرم كعبة غيرك بالفكر الوبيل فيصيبك مثل ما اصاب اصحاب الفيل حين ارسل الله عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل وتسير بعد وقوع الملاحم وصدوع المقاحم اباحرمان بعد ان كنت ابا مزاحم فلما قرا الفيل هذه المطالعه غلت مرجلة جاهلية منه الباصره والسامعه فاراد ان يامر باعدام الرسول ثم اخفافه الفحول لكن راجع عقله واحضر وقله ورد الذئب بجواب خشن وسهم غير مصيب وقال استعدوا للقتال ومصادمة الابطال ومقارعة الافيال ثم امر بالعساكر فتجهزت وبامور الحرب فتجهزت وثار بقضب اعمى من حجر الفضا وسار بالعساكر الجراره فلا الفضا فبلغ الملك المظفر اباالحارث الغضنفر مافعله الاكابر فاستشار الثعلب فقال اعلم أيها الملك وقاك الله شر المتهملك ان الافيال لايعرفون الا المصادمه والاندفاع مرة واحدة في المخاصمه وليس لهم في الحرب سوى الاصطدام والانياب لايعرفون الكر والفر ولا يفرقون بين النصب والجر ولكن بعض العساكر له في ذلك معارف ومذاكر منها المواجهة والمشافهه والمصارعة والمقارعه والمدافعة والممانعه والمخاتلة والمخادعه والمناوشة والمهاوشه والمعانقة والمهارشه والمكاشفة والملاطمه والمطاردة والمراجمه والمرافسة والمراوسه والممارسة والمماكسه والوثوب والمساوره والروغان والمصادره والاحتيال والكيد والاغتيال للصيد والربوض في الكمين والنهوض من ذات الشمال وذات اليمين وكل ارباب هذه الالعاب واصحاب هذه المخارق والمذاهب في عساكرنا موجودون يعدون ومن ابطالنا معدودون معدون فلابد من ترتيب كل في مكانه وايقافه بين اضرابه واقرانه وتعيينهم ثم تخبيتهم وكان بالقرب من ميدان النطاح وموضع جولان الكفاح وهو

الملك انت امينة وثقتي بقولك فانطلق الى الفيلة و بلغي عني ماتريدين واعلمي ان الرسول برايه وعقله ولينه وفضله يخبر عن عقل المرسل فعليك باللين والرفق والحلم والتأني فان الرسول هو الذي يلين الصدور اذا رفق ويخشن الصدور اذا خرق ثم ان الارنب

انطلقت في ليلة قمراء حتى انتهت الى الفيلة وكرهت أن تدنو منهن مخافة ان يطأنها بارجلهن فيقتلنها وان كن غير متعمدات ثم أشرفت على الجبل ونادت ملك الفيلة وقالت له ان القمر أرسلني اليك والرسول غير ملوم فيما يبلغ وان اغلظ في القول قال ملك الفيلة فما الرسالة قالت يقول لك انه من عرف فضل قوته على الضعفاء فاغتر بذلك في شان الاقوياء قياسا لهم على الضعفاء كانت قوته وبالا عليه وانت قد عرفت فضل قوتك على الدواب فغرك ذلك فعمدت الى العين التي تسمى باسمي فشربت منها وكدرتها فارسلني اليك فانذرك أن لاتعود الى مثل ذلك وانك ان فعلت اغشي بصرك واتلف نفسك وان كنت في شك من رسالتي فهلم الى العين من ساعتك فاني موافيك بها فعجب ملك الفيلة من قول الارنب فانطلق الى العين مع فيروز الرسول فلما نظر اليها رأى ضوء القمر فيها فقالت فيروز الرسول خذ بخرطومك من الماء فاغسل به وجهك واسجد للقمر فادخل الفيل خرطومه في الماء فتحرك فخيل للفيل أن القمر ارتعد فقال ماشأن القمر ارتعد أتراه غضب من ادخالي جحفلتي في الماء قالت فيروز الارنب نعم فسجد الفيل للقمر مرة أخرى وتاب اليه مما صنع وشرط أن لا يعود الى مثل ذلك هو ولا احد

برية قفراء وأرض غبراء أنهر مياهها جارية وعليها جسور وقناطر عالية فاقتضى رأي الاسد والفكر الاسد أن يطلقوا النهور والمياه على البرية ويتركوا فيها لعساكرهم طرقا ودروبا مخفية ثم انهم عبروا تلك المياه وصفوا العساكر للالتقاء فقدموا أمامهم الثعالب والكلاب وكل سريع الجري خفيف الذهاب وصفوا وراءهم الذئاب والنمور والفهود والببور ووقف الاسد بين الاسود في قلب الجنود بعد ان عبى الاطلاب وعرف مقام كل من القرانيص والاجلاب ثم ان الثعالب ونظراءها دخلت من الافيال وراءها وصارت تروغ بينها وتلاعب على عينها حينا وتتعلق بأذنابها وتتشبث بعراقيبها وكعابها فزاد حنقهم وثار قلقهم وتقدموا واصطدموا وحطموا واضطرموا وبنار الحرب اصطلوا فناوشهم الببور البواسل وهاوشهم النمور الجواسر وهارشهم الاسود الكواسر ثم ولوا أمامهم مدبرين وقصدوا الطرق المخفية عابرين فتصور الافيال ان جيش الاسد فر وجنده انحطم وانكسر وان عسكرهم غلب وانتصر فحملوا يدا واحدة بهمة متعاضدة ونهمة متعاقدة وصدمة متناسقة كلهم في الحال ارتدموا وفي الاوحال ارتطموا وقطع دابر القوم الذين ظلموا ثم كرت عليهم الاسود والنمور والفهود وسائر السباع والذئاب والضباع فوقعوا في تلك الفرائس وقوع الجياع على الفرائس وعانقوهم معانقة الاحباب للعرائس واكلوا وادخروا وحمدوا الله تعالى وشكروا ومن بعد ما ظلموا انتصروا واظهر العدل للحق مناره وظهر سر قوله عليه الصلاة والسلام من آذى جاره ورثه الله داره والله لا يهدي القوم الظالمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خير خلقه وآله وصحبه أجمعين

(الباب الثامن في حكم الاسد الزاهد وأمثال الجمل الشارد)

(قال) الشيخ أبو المحاسن من هو لربعة الفضل أحسن حاسن فلما روى الملك الجليل والفحل الفضيل ما جرى بين الاسد والفيل من القال والقيل واضطرار ذلك الى الضرب الوبيل وعلم ان عاقبة الظلم وخيمة ونتيجة التعدي والطمع مشؤومة أمر وزراء المملكة وزعماء السلطنة بالكف عن الطمع وتجنب الجور والظلم ومعاملة الاهل والجار بحسن الخلق والجوار وانتشار ذلك بالاشهار في الولايات والاقطار فالعاقل من اعتبر بغيره وكف كفه عن أذاه وضيره ونشر ما استطاع من موائد احسانه وخيره وعدل عن التعدي والعدوان لا سيما اذا كان ذا قدرة وامكان وتحكم في الفقراء والضعفاء وسلطان فنون الحكم حسب وقيل أرض الصعيد تشفاه الاديب وقال وبلغني أيها الملك المفضال مما يطابق هذه الاحوال انه كان في بعض الازمان وأزمة الامكان سلطان الحيوان أسد عظيم الخلقة جسيم الشفقة سابل المكارم سابل الاكارم قد بلغ في الزهد الغاية وفي الورع والعفة النهاية مع حسن الاوصاف والشمائل وكرم الاعطاف والفضائل قد جمع بين الهيبة والشفقة والصدق والصدقة وسورة الليث وسيرة العدل وسعة الفضل وشيمة الفضل هيبته ممزوجة بالرأفة وعاطفته مصحوبة بالسطوة قد عاهد الرحمن بالكف عن أذى الحيوان وان لا يريق دما ولا يتناول دسما ولا يرتكب مأثما يقتات بنبات القفار ويقوم الليل ويصوم النهار يرعى في دولته الذئب مع الغنم وينام في كنف عدله وكفالة أمنه الثعلب والارنب بعد سرابيل الحرب والحرب في ظل العدل والسلم كما قيل

ولي الرعية عدله فتمازجت * أضدادها من كثرة الايناس
تحنو على ابن المها أم الصقر بل * يحمي أخو العنقاء أنثى كناس

وفي جواره دوحة كثيرة الثمار غزيرة الانهار نضيرة الازهار رائقة الماء والكلا فائقة النشو والنما شائقة النشر والهوى رياحينها عطرية وثمارها جنية ومقامها فوائد وطيبة فكان الاسد ذو الزهادة اذا مال اجتهاده وأراد ان يريح نفسه من مشاق العبادة يتوجه الى تلك الروضة الاريضة والمسرح البهي

من قبله قال الغراب ومع ما ذكرت من أمر البوم ان فيه الخب والمكر والخديعة وشر الملوك المخادع ومن ابتلي بسلطان مخادع وخدمه أصابه ما أصاب الارنب والصفرد حين احتكما الى السنور قالت الكراكي وكيف كان ذلك (قال) الغراب كان لي جار من الصفاردة في أصل شجرة قريبة من وكري وكان يكثر مواصلتي ثم فقدته فلم اعلم أين غاب وطالت غيبته عني فجاءت أرنب الى مكان الصفرد فسكنته فكرهت ان أخاصم الارنب فلبثت فيه زمانا ثم ان الصفرد عاد بعد زمان فأتى منزله فوجد فيه الارنب فقال لها هذا المكان لي فانتقلي عنه قالت الارنب المسكن لي وتحت يدي وأنت مدع له فان كان لك حق فاستعد باثباته علي قال الصفرد القاضي منا قريب فهلمي بنا اليه قالت الارنب ومن القاضي قال الصفرد ان بساحل البحر سنورا متعبدا يصوم النهار ويقوم الليل كله ولا يؤذي دابة ولا يهريق دما عيشه من الحشيش وما يقذفه اليه البحر فان أحببت تحاكمنا اليه ورضينا به قالت الارنب ما أرضاني به اذا كان كما وصفت فانطلقا اليه فتبعتهما لانظر الى حكومة الصوام القوام ثم انهما ذهبا اليه فلما بصر السنور بالارنب والصفرد مقبلين نحوه انتصب قائما يصلي وأظهر الخشوع والتنسك فعجبا لما رأيا من حاله ودنوا منه هائبين له وسلما عليه وسألاه ان يقضي بينهما فأمرهما ان يقصا عليه القصة ففعلا فقال لهما قد بلغني الكبر وثقلت أذناي فادنوا مني فأسمعاني ما تقولان فدنوا منه وأعادا عليه القصة وسألاه الحكم فقال قد فهمت ما قلتما وأنا مبتدئ

الغريض والمرعى الطويل العريض فيتنزه في نواحيه ويسرح سوائم طرفه فيه ويشغل صادح لسانه بتسبيح خالقه ومنشيه فبينما هو في بعض الاوقات يتمشى في تلك الخضراوات صادف دبا عظيم الجسم مليح الوسم فقبل الارض بين يديه وذكر انه اقبل انتمى اليه وانه قد سمع باوصاف عدله ومكارم شيمه وفضله فقصده ليتشبث باذياله وينتظم في سلك خدمه ورجاله ويزجي في خدمته باقي عمره ممتثلا بارز مرسومه ونافذ امره فتلقاه بالقبول والاقبال وشمله بالفضل والافضال وقال له طب نفسا وقر عينا اقمت زينا ووقيت شينا فانتظم في سلك خدمه وانصرف بمركزه واشترط عليه ان يحتمي عن لحوم الحيوان ولا يتعرض لايذاء طائر ولا انسان فامتثل ذلك بالسمع والطاعه وسار على سنن السنة والجماعه ثم بعد مدة يسيره قصد الاسد مسيره وخرج يسير على باكر وحوله طائفة من العساكر فلقي دبا ضل الطريق وتاه عن الصاحب والصديق ونسي الجبال وترك الرفيق فبادر اليه جماعة الاسد وهموا بتبضيعه بالناب واليد فانهم كانوا لشدة القرم المبيت احشاؤهم بالضرم فناداهم الاسد ويلكم كفوا وعن التعرض الى ايذائه عفوا لئلا يصيبه من الكيد ما اصاب صاحب كسرى ذي الايد من كسرى لما خرج صباحا الى الصيد فقبل الجماعة الرغام وسألوا الامام عن بيان ذلك الكلام (فقال) ذكر ان كسرى اراد يوما الاصطياد فركب في جماعته واهل طاعته وسار على الصباح وهو في نشاط ومراح وانبساط وانشراح فصادف رجلا كريه المنظر مشوه الخلقة اعور فتشاءم بطلعته وتعوذ من رؤيته وتطير من صباحه وتكدر صفو انشراحه ثم امر به فضرب ولولا تداركته الشفاعة لصلب ثم تركه وسار فحصد القفار فحاش الصيد واقتنص من عسكره عمرو وزيد ورجع مسرورا فرحا محبورا وادركه المساء فصادف ذلك الرجل ملتفا بكساء وكان ذا لب صحيح وعقل رجيح ولسان فصيح فداوى كسرا ونادى كسرى واستوقفه بعدما استعطفه وقال ايها الملك العادل والمالك الفاضل اسألك بالله الذي ملكك رقاب الامم وحكمك في طوائف العرب والعجم انعم علي برد الجواب وبين لي الخطأ من الصواب فانك عادل حكيم فاضل كريم فوقف بعسكره واستمع خبره وقال هات مقالك وقل ما بدا لك فقال يا ملك ذا الايد كيف كانت احوالك اليوم في الصيد فقال على اتم ما تريد لقد حصلت السادات والعبيد فقال هل حصل في امور السلطنة وهن او خلل او في الخزائن المعمورة نقص وقال قال لا بل احوال السلطنة مستقيمة وديم الخزائن دارة مقيمة قال فهل ورد اليوم من الاطراف خبر يؤذن بتشويش واختلاف قال لا بل الجوانب مطمئنة والثغور من الاعداء والخالف مستكنة قال فهل اصاب احدا من الخدم والاصحاب والخول والحشم مصاب قال بل كلهم بخير آمنون من الضرر والضير قال فلم ضربتني واهنتني وعلام كسرتني وطردتني قال لان الصبح بك مشوم وهذا امر مشهور معلوم قال سألتك بالله الذي تتقلب في مواهبه ايما كان اشأم على صاحبه انا صبحت بك وانت صبحت بي فانت اصبت الذي ذكرت وقد علمت ما حل بي ومع هذا فانما عبت وعتبت على الصانع وذهلت عما اودعه من اسرار وبدائع فانه لا اختيار لي فيما فطرني عليه ولا مدافع ولا حيلة فيما قدره علي ولا مانع واسمع ما قلت بعدما وصلت في اهانتي وجلت

لقد كان قصدي ان اسود على الورى * بقد وطرف كامل الخلق بارع
ووجه يفوق البدر والشمس بهجة * فما كسبي تقدير ربي وصانعي

ثم خطر بالبال هذا المقال قلت: وددت لو اني احسن الخلق صورة * واكمل من بدر السما وهو طالع
فابدعني نقش المصور هكذا * ولا صنع لي فيما لي الله صانع

فتنبه كسرى لكلامه وامر باعزازه واكرامه وتدارك ما فرط منه باحسانه وانعامه (وانما اوردت) هذا المثل لئلا يكون هذا الجمل مثل ذلك الرجل لانه قد تصبح بي فلا يرى ابدا مكروها بسببي بل يرى الخير

بالنصيحة قبل الملكومة فانا آمركما بتقوى الله وان لا تطلبا الا الحق فان طالب الحق هو الذي يفلح وان قضي عليه وطالب الباطل مخصوم وان قضي له وليس لصاحب الدنيا من دنياه شيء لا مال ولا صديق سوى العمل الصالح يقدمه فذو العقل حقيق ان يكون سعيه في طلب ما يبقى ويعود نفعه عليه شديدا وان يمقت سعيه فيما سوى ذلك من امور الدنيا فان منزلة المال عند العاقل بمنزلة المدر ومنزلة النساء اللاتي عاشرهن بمنزلة الافاعي المخوفة ومنزلة الناس عنده فيما يحب لهم من الخير ويكره من الشر بمنزلة نفسه ثم ان السنور لم يزل يقص عليهما من جنس هذا واشباهه حتى انسا اليه واقبلا عليه ودنيا منه ثم وثب عليهما فقتلهما قال الغراب ثم ان البوم تجمع مع ما وصفت لك من الشؤم وسائر العيوب فلا يكونن تمليك البوم من رأيكن فلما سمع الكراكي ذلك من كلام الغراب اضربن عن تمليك البوم وكان هناك بوم حاضر قد سمع ما قالوا فقال للغراب لقد وترتني اعظم الترة ولا اعلم انه سلف مني اليك سوء اوجب هذا وبعد فاعلم ان الفاس يقطع به الشجر فيعود ينبت والسيف يقطع اللحم ثم يعود فيندمل واللسان لا يندمل جرحه ولا تؤسى مقاطعه والنصل من السهم يغيب في اللحم ثم ينزع فيخرج واشباه النصل من الكلام اذا وصلت الى القلب لم ينزع ولم تستخرج ولكل حريق مطفئ فللنار الماء ويكفي
وللسم الدواء وللحزن الصبر وللعشق الفرقة ونار الحقد لا تخبو ابدا وقد غرستم معاشر الغربان بيننا وبينكم شجر الحقد والعداوة والبغضاء فلما

و يكفي أذى الغير وكذلك كل من هو عندي ومنسوب الي من خولي وحشمي ثم عاد ذلك الامير وسأله عن جليل أمره والحقير فأخبره أنه تاه عن أصحابه وأنه من بعد يتعلق بغرز ركابه ويلازم خدمة بابه كأصحابه فأكرم مثواه وأحسن منقلبه ومأواه الى أن صار من أكابر الخدم وذا خول وحشم ورأس الندماء ورئيس الجلساء وأمن النكد والبؤس وتمكن حتى صار كالعروس فحسده الذئب لعدم اللب وعزم بمكره على القائه في الجب واشتد بذلك البرم الى أكل لحم الجمل القرم فأخذ يضرب في ذلك أخماسا لأسداس واحتوشه في قضيته لسوء طويته القلق والوسواس فلم ير أوفق من افساد صورته واظهار سوء سريرته فيهلكه ويكيده ويقتله ويبيده فيصل منه الى ما يريده ويقر بمكره الحسد ويصلح من شره ما فسد ويروج منه ما كسد فأدى فكره الى أن يغري به الاسد فاختلى بالجمل وابتدأ بالعمل وقال لي معك كلام على كتمه ملك الام ولكنك استعوضته السر لانك لا تعرف هرا من بر وانت ساذج ساكن سليم الفكر والباطن وقد قيل الحماقة في الطويل ولولا وفور شفقتي وحنوي عليك ومودتي ما فهت لك بكلمه واتركنك من التيه في ظلمه وقالت الحكماء ذوو المعارف لا تفش سرك الى ثلاث فانه منها سليم الفطره ومنها مدمن الخمره ومنها المكثر الكلام ومنها المرأة والغلام فانهم ليسوا محل الاسرار وانهم يفشونها بالاشتهار وقد قيل كم انسان أهلكه اللسان وكم حرف أدى الى حتف فقال الجمل وقد أثر فيه مكره ودخل يا أخي أنا أتحقق شفقتك وصدقك وصداقتك وأعرف نصحك ونصحك ومودتك وانت لا تحتاج في تجربتي الى دليل فلي في صحبتك زمان كقدي طويل وأنا أوكد قولي بالايمان واعقد على ما تلقيه الى الجنان ولا اتفوه به لجماد ولا حيوان والشخص اذا لم يعرف منه ما يراد فلا فرق بينه وبين الجماد واذكر ما قالت لك في درب ابن ذلك

ومن كان ذا عين ولا يبصر الذي * أمامه فهذا والضرير سواء
وذو الجهل خير من عقول علومه * سراج ولكن ليس فيه ضياء

ثم انشأ أيمانا غلاظا أنه يبالغ فيما يسمع منه احتفاظا ولا يبدي منه لاما ولا فاء ولا ظاء فلما وقف الذئب على جوابه وربطه بزمام تدبيره واختلبه وقال نعم أيها الصديق المبين ان ملكنا في غاية العفة والدين وأعلى درجات العباد والزاهدين قد فطم نفسه عن اللحوم شهوة وساءه اشتهاء اللحوم ولكنه في ذلك كالمغموم فانه قد تربى بلحم الحيوان وتغذى بافتراس الاقران وتعود رضع الدماء وقطعت سرته على هذا الغذاء وتزيد اغاه وتكافأ وتسف وتسالف وتحققه مكابره وتزعمه مصابره ولابد للنفس ان تفعل نواميسها وتشذب شموات الهيا ناميسها وتطمح الى أوزها وترجع الى مركزها وقال الله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله واذا كان ذلك كذلك فاحفظ انفاسك واحفظ نصيحتي وامسك وتفكر أحوال غدك في أمسك فانك في صحبة الاسد على خطر عظيم وخطب جسيم فلا تغفل عما قلت لك ولا تظن انه ان يقتلك فداخل الجمل من هذا الكلام الطويل ولم يبق له طاقة ولا مصطبر ثم نبهه التوفيق وشغل في هذا الامر الجليل فكره الدقيق واستحضر رأيه في أمره وأجال قداح فكره وقال للذئب المشؤوم يا أخي فأي ضرورة دعت الاسد المشؤوم حتى تعفف عن أكل اللحوم قال أنا لا أشك في دينه ولا ارتاب في حسن يقينه ولكن رعايته ودالماء الى مجاريها وتعطى القوس باريها وتترك النفس الابية والشهوة التي طالما اقتضاها سبيل طبعه لان الانسان بل سائر الحيوان على ما تقتضيه الكون والمكان دائر مع اختلاف اخلاق الزمان فان الزمان كالوعاء والشخص فيه كالماء فيعطيه من اخلاقه ما تقتضيه من كدره وصفائه ولون اناءه وقد قيل الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم وناهيك بأذا الكرامات ما قيل في المقامات

ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى * عن الرشد في انحائه ومقاصده

قضى اليوم مقالته وولى منقضبا فأخبره لك اليوم بما جرى وبكل ما كان من قول الغراب ثم ان الغراب ندم على ما فرط منه وقال والله لقد خرقت في قولي الذي جلبت به العداوة والبغضاء على نفسي وقومي وليتني لم أخبر الكراكي بهذه الحال ولا أعلمتهم بهذا الامر ولعل أكثر الطير قد رأى أكثر مما رأيت وعلم أضعاف ما علمت فمنعها من الكلام بمثل ما تكلمت اتقاء ما لم أتق والنظر فيما لم انظر فيه من حذار العواقب لاسيما اذا كان الكلام أفظع كلام يلقى منه سامعه وقائله المكروه مما يورث الحقد والضغينة فلا ينبغي لأشباه هذا الكلام ان يسمى كلاما ولكن سهاما والعاقل وان كان واثقا بقوته وفضله لا ينبغي ان يحمله ذلك على ان يجلب العداوة لنفسه اتكالا على ما عنده من الرأي والقوة كما انه وان كان عنده الترياق لا ينبغي له ان يشرب السم اتكالا على ما عنده وصاحب حسن العمل وان قصر به القول في مستقبل الامر كان فضله بينا واضحا في العاقبة والاختبار وصاحب حسن القول وان أعجب الناس منه حسن صفته للامور لم تحمد عاقبة امره وانا صاحب القول الذي لا عاقبة له محمودة أليس من سفهي اجترائي على التكلم في الامر الجسيم لا استشير فيه احدا ولم أعمل فيه رأيا ومن لم يستشر النصحاء الاولياء وعمل برأيه من غير تكرار النظر والروية لم يغتبط بمواقع رأيه فما كان أغناني عما كسبت يومي هذا وما وقعت فيه من الهم وعاتب الغراب نفسه بهذا الكلام واشباهه وذهب فهذا ما سألتني عنه من ابتداء العداوة بيننا وبين البوم واما

تعاميت حتى قيل اني اخو عمى * ولا غرو ان يحذو الفتى حذو والده

والاسد في هذا الاوان ماش على ما يقتضيه الزمان وان الزمان يتحول وسيرجع الاسد الى خلقه الاول اما بلغك يا ذا الفطنة العليه قصة الحائك مع العليه قال لا ورب البريه فاخبرني عن كيفية تلك القضيه قال الدب الافاك ذكران حائكا من الحياك كانت له زوجة تخجل شمس الافلاك صورتها امليحه وسيرتها قبيحه فشم زوجها روائح ما هي عليه من القبائح وخاف ان تؤدي الى الفضيحه فطلب تحقيق ذلك ليوصلها الى المهالك فقال لها اريد سفرة لاجل بيعه فاغيب اياما يسيره لفائدة كثيره فارصدي بابك واسدلي حجابك واحفظي من الشر جنابك فقالت بيت انت رئيسه ومقلي قعيدته وعروسه اني يحوم حوله فساد فادرك سوقك قبل الكساد وجهزته اسرع جهاز كالمتوجه الى الحجاز فسافر من غير ريبه ثم رجع الى البيت في خفيه واختبا تحت السرير لينظر ما يجري من الامور فبادرت الى النار ونفخت واسرعت الى الطعام وطبخت وخرجت تدعو مرامها وقد هيأت طعامها ففرح زوجها من الخبا واتى على الطعام المهيا ورجع الى مكانه ونام بعدما كل الطعام فجاءت المرأة بحريفها وقصدت الطعام لتضيفها فصادفت يدها الصحير فعرفت ان البلاء تحت السرير فاخذت تطلب الخلاص من ذلك المقنص واتفق ان الملك رأى مناما هاله ولكن نسي هيئته وحاله فقصد من يخبره برؤياه ويعبرها له فنادى في الورى بطلب المعبر والمعبراو بينما تلك الفاجرة على حبل الخلاص دائره وفي بحر الافكار حائره سمعت المنادي ينادي في كل نادي من يدل الملك الهمام على معبر المنام فله مزيد الاكرام والانعام العام فسارعت المرأة الى باب الامير وقالت قد سقطت على الخبير ان لي زوجا حكيما بتعبير المنامات عليما لكنه يتعزز وعن تعبيرها يتحرز فلا يفوه بالتعبير الا بعد ضرب كثير وانه ليس له في ذلك نظير فارسل وراءه واكرم لقاءه ثم قال له بعد اكرام اوصله ووعد بانعام وصله رأيت مناما راعني وفي الحيرة والفكر اضاعني فدع عنك الاحتشام واخبرني عن ذلك المنام ثم عبره لي فقد اخبرت انك حبيب للولي فقال يا مولانا الملك انا في الجهل منهمك حائك فقير ليس لي من العلم نقير ولقد كذب على من نسب العلم الي والا من تعرف العين انا من اين وتعبير الرؤيا من اين فما صدقه ولا في كلام استوثقه وصدق قول المرأة فيه وامر باحضار ما يشكيه ثم طلب المقارع وشد وامنه الا كارع وضربوه ضربا عسفه الى ان كاد ان يتلفه فنادى الامان الامان امهلوني ثلاثة ايام من الزمان فتركوه وامهلوه وقيدوه واطلقوه فصار يدور في الخرائب ويتضرع تضرع النائب ففي ثالث الايام وقد ايقن بحلول الحمام دخل الى مكان خراب واخذ في البكاء والانتحاب فنادته جنيه من الشقوق ما لك تنتحب يا ذا المعتوق فاخبرها بحاله وما جرى عليه من نكاله فقالت ماذا تجعل لي من الانعام اذا اخبرتك بما رآه الملك في المنام ثم فضضت من تعبيره مسك الختام قال اكون لك عبدا ووصيفا واعطيك مما اعطي نصفا قالت ان الملك راى في منامه ان الجو مطر من غمامه اسودا ونمورا وفهودا ودبورا وان السماء في ذلك تمور وتعبير هذا المنام والله العلام انه يظهر في هذا العام للملك اعداء كواسر وحساد جواسر يقصدون هلاكه ويريدون ادراكه وحيطون نار كيدهم بما يسوقه ويسقيهم من رحيق فتوحه كاسات حتوفه فكشفت غمته ثم اصلح لباسه وعمته وقصد باب الملك ونادى غير مرتبك وذكر المنام وعبره ووعد السلطان بالنصر وبشره فتذكر المنام وحققه واعتمد عليه وصدقه وامر له بالف دينار وصار له عند الملك بذلك اعتبار فاخذ الذهب مجبورا وانقلب الى اهله مسرورا ثم افتكر ما اشترطه مع الجنيه فابت عن الوفاء نفسه الشقيه وخاف ان تطالبه بحصتها او تفضحه بقصتها فلم يراوق من قولها وسد در بمقياسها فاخذ فاسا وراح بذلك مخلصا وقصد مأواها ووقف فناداها فخرجت مسرعة اليه واقبلت بالوداد عليه فرات الفاس بيمينه فعلمت انه نا كث بيمينه فولت هاربه فضربها ضربة خائبه الكه

الفتال فقد عملت رأيي فيه وكرادتي له ولكن عندي من الراى والحيلة غير القتال ما يكون فيه الفرج ان شاء الله تعالى فانه رب قوم قد احتالوا بآرائهم حتى ظفروا بما ارادوا ١٣٦ ومن ذلك حديث الجماعة الذين ظفروا بالناسك واخذوا عريضه قال الملك وكيف كان ذلك قال الغراب زعموا ان ناسكا اشترى عريضا ضخما ليجعله قربانا فانطلق به يقوده فبصر به قوم من المكرة فائتمروا بينهم ان يأخذوه من الناسك فعرض له احدهم فقال له ايها الناسك ما هذا الكلب الذي معك ثم عرض له الآخر فقال لصاحبه ما هذا ناسكا لان الناسك لا يقود كلبا فلم يزالوا مع الناسك على هذا ومثله حتى لم يشك ان الذي يقوده كلب وان الذي باعه اياه سحر عينه فاطلقه من يده فاخذه الجماعة المحتالون ومضوا به * وانما ضربت لك هذا المثل لما ارجو ان نصيب من حاجتنا بالرفق والحيلة واني اريد من الملك ان ينقرني على رؤس الاشهاد وينتف ريشي وذنبي ثم يطرحني في اصل هذه الشجرة ويرتحل الملك هو وجنوده الى مكان كذا فارجو اني اصبر واطلع على احوالهم ومواضع تحصينهم وابوابهم فاخادعهم وآتي اليكم لنهجم عليهم وننال منهم غرضنا ان شاء الله تعالى قال الملك اتطيب نفسك لذلك قال نعم وكيف لا تطيب نفسي لذلك وفيه اعظم الراحات للملك وجنوده ففعل الملك بالغراب ما ذكر ثم ارتحل عنه فجعل الغراب يئن ويهمس حتى رآه البوم ورأينه يئن فاخبرن ملكهن بذلك فقصد نحوه ليسأله عن الغربان فلما دنا منه امر بوما ان يسأله فقال له من يجدها

بوجدها وعاد الى نفسه فقفصها وتركها وذهب فائزا بالذهب فاتفق ان في العام الثاني رأى السلطان
مناما أقلقه وعن نومه أرقه ومن شدة أهواله محا الوهم من لوح خياله فدعا الطير المعهود دأبه وقص
حاله عليه وطلب منه صورة المنام وما يترتب عليه من كلام فاستهول الايام انها ودات وقصد رأس الحيات
وناداها عجلا ووقف في مقام الاعتذار خجلا فقالت أي غدر كيف استقلت ما مضى من فعالك ومن أي
وجه تقابلني وتخاطب وقد قصدت عطبي بعد ما شاهدت من المطالب وقابلت احساني بالسوء ولكن
غدرك بك يبوء فقال عفا الله عما سلف والصداقة بيننا من اليوم تؤتنف ثم انشأ يعاهدها انه يبدل الاساءة
احسانا وانه لا يخون ولا يمين فيما يقع عليه العهد واليمين بل يعود الى العهود وهو ما وقع عليه الاتفاق
لا يعارضه خلاف ولا نفاق فقالت أريد جميع الجائزة لا كونها فائزة ولها حائزة فأجابها الى ما سألت
وعاهدها على ذلك فقالت وقالت رأى الامام في هذا المنام ان السماء تمطر قردة وفيرانا وثعالب وسرقانا
وتعبير هذه الرؤيا وكلمة الله هي العليا انه في هذا العام والشهور والايام يكثر اللصوص والمارقون والمكرة
والطرارون ويظهر في العساكر كل حسود ماكر وشيطان داعر ولكن صولة الملك تمحقهم وصواعق
سيوفه تسحقهم فأسرع الى السلطان وخبره بما رآه في منامه وعبره فقال بالحق أتيت هذا الذي كنت
رأيت ثم امر له بجائزة سنيه وخلعة بهيه ففارق عيشة مرضيه وحياة هنيه وسلك طريقته الدنيه فلم يلتفت
الى العهود القويه ونقض عهد الحية الحميه وقال يكفيها مني كوني عفها فلا انطلب مني ولا اطلب منها ثم ان
السلطان رأى في المنام في ثالث الاعوام مناما آخر نسيه فارسل الى المعبر فغشيه من الهم ما غشيه وسأله
عما رآه وطلب منه تعبير رؤياه فطلب الحية كما كان وأطاف به موج الهم من كل مكان ولم يرد امن معاودة
الحيه فأتاها وبه من الحياء كربه وناداها بصوت خاشع ووقف في مقام الذليل الخاضع فخرجت فرأته
فزجرته وزأرته وقالت يا خائن يا كذاب يا ناقض العهد يا مرتاب يا قليل الحياء يا كثير البذاء يا صفيق
الوجه يا عقيق الجبه ترى باي لسان تخاطبني وبأي وجه تقابلني وقد خنت وقتلت وفعلت فعلتك
التي فعلت فقال لم يبق للاعتذار مجال ولا للاستقالة مقال وما ثم طريق الا معاملتك بالافضال فان
افضلت أعمت الاحسان وان رددت فعذرك واضح البيان وهذه المرة الثالثه لا تكون عنها حانثه ولا
عهودها ناكثه وأشهد الله وكفى به شهيدا اني بعد لا انقض لك عهودا ولا اخل مما بيننا عقودا فقالت
لا اخبرك بشيء الا ان تعهد الي ان تعطيني جميع ما تعطى وتكف عما وقع منك من الخطا فسمع مقالها
وأجاب سؤالها فقالت رأى الملك في منامه كان الجو أمطر من غمامه ما ملأ الفضاء من خرافه وأغنامه
وتعبير هذا المنام انه يكون في هذا العام من الخيرات والانعام ما يشمل الخاص والعام فتطيب الاوداء
وتصالح الاعداء وتطيع العصاه وتذعن البغاه ويوافق المخالف ويكثر المحب والموالف فاحفظ ما قلت
لك فقد سلمت مشكلك فتوجه بصدر منشرح وخاطر مطمئن فرح وقص المنام وعبر ما فيه من الاسلام
فطار الملك بالفرح وتم سروره وانشرح وامر بالجوائز فصبت عليه وبالاموال فانثالت اليه فتم بذلك
العطيه والخلع السنيه وقصد وكر الحيه ثم وقف وناداها وقدم اليها كل ذلك واعطاها وشكر لها احسانها
وقص جميلها وامتنانها فقالت له الحية اعلم يا ابن انه لا عتب عليك ولا ملام فيما جنيته اولا من الاثام
ولا ما ارتكبته من العداوة والبين في العامين الاولين ولا فضل لك في هذه السنه على ما ذقته من الحسنه
لان ذينك العامين كانا مشتملين على قران النحسين فكان مقتضى حالهما فساد الزمان والعداوة بين
الاصدقاء والاخوان ووقوع البغضاء والشرور والخبث والخلاف وقول الزور فجريت على مقتضاهما
حسب مرتضاهما والناس في طباعهم وأيامهم أشبه بزمانهم منهم بآبائهم وهذا الاوان قد انصلح الزمان
واستقام الطالع وزال الحسد والتقاطع واقتضى الزمان الصلح والصلاح والموافقة والفلاح فجريت على

أنت وابن القربان فقال أما اسمي ففلان وأما ما سألتني عنه فاني أحسبك ترى ان حالي حال من لا يعلم الاسرار فقيل لملك البوم هذا وزير ملك
القربان وصاحب رأيه فسأله باي ذنب صنع به ما صنع فسأل الغراب عن أمره فقال ان ملكنا استشار جماعتنا فيكان
وكنت يومئذ بحضره من
الامر فقال أيها القربان
ما ترون في ذلك فقلت
أيها الملك لا طاقة لنا
بقتال البوم لانهم أشد
بطشا وأحد قلبا منا
ولكن أرى ان نلتمس
الصلح ثم نبذل الفدية في
ذلك فان قبلت البوم ذلك
منا والا هربنا في البلاد
واذا كان القتال بيننا وبين
البوم كان شرا لنا
وشر النا فالصلح أفضل
من الخصومة وأمرتهم
بالرجوع عن الحرب
وضربت لهم الامثال
في ذلك وقلت لهم ان
العدو الشديد لا يرد بأسه
وغضبه مثل الخضوع له
الا ترون الى الحشيش
كيف يسلم من عاصف
الريح للينه وميله معها
حيث مالت فعصوني في
ذلك وزعموا انهم يريدون
القتال واتهموني فيما قلت
وقالوا انك قد مالأت
البوم علينا وردوا قولي
ونصيحتي وعذبوني بهذا
العذاب وتركني الملك
وجنوده وارتحل ولا علم
لي بهم بعد ذلك فلما سمع
ملك البوم مقالة الغراب
قال لبعض وزرائه ما تقول
في الغراب وما ترى فيه
قال ما أرى الا المعاجلة له
بالقتل فان هذا أفضل
عدد القربان وفي قتله راحة من مكره وفقده على القربان شديد ويقال من ظفر بالساعة التي فيها
ينجح العمل ثم لا يعاجله بالذي ينبغي له فليس بحكيم ومن طلب الامر الجسيم فامكنه ذلك فاغفله فاته الامر وهو خليق ان لا تعود الفرصة

موجبه وتشبثت بذيل مذهبه فخذ مالك وانصرف بارك الله لك فيه فلا حاجة لي به ولا بدلي انقلبه (وانما) اوردت هذا المثل أيها الجمل لتعلم أن الزمان انقلبه في الدوران يوقع بين الأصحاب والاخوان ويباين بين الأصدقاء والخلان والأسد المتجبر وان كان قد زهد وترك من اخلاقه ما عهد فيمكن عوده الى حالته الأولى فالاحتراز منه في كل حال أولى وها أنا قد أخبرتك ومن سوء العاقبة حذرتك وعلى ما وصل اليه فكري اطلعتك وفرط محبتي وشفقتي عليك اقتضى افشاء هذا السر اليك ومن أنذر فقد أعذر ومن بصر فما قصر قال الجمل يا أخي فنترك هذا المقام ونروح ونخدم من في خدمته نستريح قال الدب الحاسد اذا كان هذا العابد الزاهد الراكع الساجد الذي قد تعفف عن أكل اللحوم وليس له دأب الا اغاثة المظلوم قد عف عن الدماء وقنع بأكل الحشيش وشرب الماء لا تؤمن غائلته ولا تعهد خائنته فالى أين نتحول وعلى من يكون المعول والى أين نذهب وفي من نرغب قال الجمل فكيف يكون العمل فلقد ضاقت بنا الحيل وتقطعت بنا السبل لا طريق للفر ولا قرار للمستقر ففكر الدب طويلا ثم رأى رأيا وبيلا وقال أرى الرأي السديد والفكر المفيد أن نبادر الاسد قبل وقوع الفكد فنقصده بما يقصده ولا نوصله الى ما يعتقده فالعاقل يفتكر في عواقب الامور ويقيس بفكره السرور والشرور ويستعمل الحزم واذا قصد أمرا يهجم العزم وناهيك قضية الثعبان مع ذلك الانسان قال الجمل اخبرني عن تلك القضية ومن ذلك الانسان وما تلك الحية (قال) أبو محمد الخبيث بلغني من رواة الحديث أن شخصا من الصيادين كان مغرما بصيد الثعابين يتسبب بصيدها ولا يبالي بكيدها فبينما هو يسعى اذ صادف أفعى شرها ناجز كما قال الراجز

أرقش ظمآن اذا عصر لفظ * أمر من صبر ومقر وحظظ

وقد أثر فيه البرد بالحرق وهو نائم في مكان منطبق فاستبشر الحواء برؤيته وقبضه من عقيصته فلم يفق الثعبان من رقدته الا وهو من الحاوي في قبضته فتماوت واستد وارتخى فاسبل بعدما كان اشتد فظن الصياد انه مات وان مراده منه فات فتحرق لذلك وتألم وتأسف عليه وتضرم وحرق عليه الارم ورماه من يده ثم دار في خلده ان في بطنه خرزة بهية مشرقة مضيئة فاخرج الشفرة وقصده ومد ليشقه بيده فلما تحقق الارقم ما عزم عليه وصمم حمه ونهشه وضربه فقتله (وانما ذكرت) يا أبا أيوب هذا المثل المضروب لتحقق ان المبادرة الى اهلاك العدو أقرب الى الأمن وأجلب للهدو ومن فوت الفرصة وقع في غصة رأى غصة وهذا الاسد ان غفلنا عن أنفسنا أبادها وقصد دمارها وفسادها ولا يفيدنا اذ ذاك الندم بعد ما زلت القدم وتحكم فينا وجودنا من مخالبه العدم فقال الجمل اعلم أيها الرفيق الصديق الشفيق أن هذا الملك آوانا وأكرم مثوانا ولم نشاهد منه سوءا ولا من ظاهره باطنه آسنا ضوا ولو قصد أذانا ما وجد دافعا ولا مانعا وقد علمنا انه ترك الاذى وكف عن الشر والبذا تعففا لا تخوفا وتكرما لا تكلفا واختيارا لا اضطرارا وتدبرا لكسر نالا اجبارا وأما أنا على الخصوص فلم أر منه الا الجميل والفضل الجزيل والاحسان المديد الطويل فلأي شيء أشرع في أذى نفسي وأكدر صافي حسي ولم يظهر لي منه أمارة لا بقطع ولا بدلالة ولا باشارة فضلا عن سياق أو سباق عبارة وأنا أعلم تحديدا ما قصدته بأذى ولا رديته بردا وردى والصوفي ابن الوقت لا يتقيد بنكد ولا مقت فان قصدني بعد ذلك بشر أو تعرض لي بهلاك وضر لا يسعني معه الا التفويض والتسليم والتوكل على العزيز العليم مع اني لا أقدر على مقاومته ولا قوة لي في دفع مصادمته ولا طاقة لكسر أنيابه ومخاليبه ولا خلاص من اشراك أساليبه غير اني وان كنت منسوبا الى التغفل لا أدع من يدي ذيل التوكل فبالتفويض يحصل النجاح وبالتوكل يظفر بالفلاح كما جرى لذلك الفلاح مع الدب والشجاع حال التوكل على الله تعالى والانقطاع فسأل أبو صلاه ايضاح هذه الكلمة (قال) أبو صابر بلغني من أحد الاكابر ان شخصا فلاحا توجه الى مزرعة قاصدا من

...ه ومن ويعده ويعدله ومضمنها ولم يضره ندم اذا استقوى ولم يقدر عليه قال الملك لوزير آخر ما ترى أنت في هذا الغراب قال أرى أن لا تقتله فان العدو الذليل الذي لا ناصر له أهل لأن يستبقى ويرحم ويصفح عنه لاسيما المستجير الخائف فانه أهل لأن يؤمن كالتاجر الذي عطف على سارق لمكانة امرأته عنده قال الملك وكيف كان ذلك (قال) الوزير زعموا انه كان تاجر كثير المال والمتاع وكانت له امرأة ذات جمال وان سارقا تسور بيت التاجر فدخل فوجده نائما ووجد امرأته مستيقظة فذعرت من السارق ووثبت الى التاجر فالتزمته واعتنقته وقد كان يود ما لو دنت منه يوما فاستيقظ التاجر بالتزامها اياه فقال من أين لي هذه النعمة ثم بصر بالسارق فقال أيها السارق أنت في حل مما أخذت من مالي ومتاعي ولك الفضل بما عطفت قلب زوجتي على معانقتي قال الملك لوزير آخر من وزرائه ما تقول في الغراب قال أرى أن تستبقيه وتحسن اليه فانه خليق أن ينصحك والعاقل يرى معاداة بعض أعدائه بعضا ظفرا حسنا ويرى اشتغال بعض الأعداء ببعض خلاص النفس منهم ونجاة كنجاة الناسك من اللص والشيطان حين اختلفا عليه قال الملك وكيف كان ذلك قال الوزير زعموا ان ناسكا أصاب من رجل بقرة حلوبا فانطلق بها يقودها الى منزله فعرض له لص أراد سرقتها وتبعه شيطان يريد اختطافه فقال الشيطان للص من أنت قال أنا اللص أريد أن أسرق هذه البقرة من الناسك اذا نام فمن أنت قال أنا الشيطان أريد اختطافه اذا نام وأذهب به فانتهيا على هذا الى المنزل فدخل

غير

غير رفيق ولا حامل سلاحا فبيناهو في البيداء سائر صادفه ذئب داعر نحائل خائر فقصده ليكسره ففر وصعد الى شجرة فقصد نزوله وانتظر تحتم نزوله فانه مروعن ضرورة الضجر وبيناهو في تلك البليه وقعت عينه على حية رديه ذات قرون صاعده وهي على بعض الفروع راقده فازداد همه واحاط بلوهمه غمه فاستقر بين بليتين وانحصر في ديوان داهيتين دهيتين فلم ير أوفق من التوكل على الله والاعراض عما سواه فاعتمد متوكلا عليه وفوض أموره اليه وبيناهو في تلك الشده وقد بلغ ضره حده واذا برجل مقبل من الفلا وعلى عاتقه عصا فقصده الذئب من قريب فلما رأى السلاح فر ولى كالح فنزل الفلاح من الشجره وازال الله تعالى همه وضرره (وانما أوردت) هذا المثل لتعلم ان الله نعم المتكل فاخرج هذا الوسواس من القلب والراس ولا تبك سالفا ولا تحمل تالفا ولا تخاطب المخاطبات الرباطيه قبل ان تصل الى المخاصمه ولا تهتم لامر ما وقع فان ذلك من شر البدع فان قصدنا بسوء فالله يكافيه ويكفينا بحوله وقوته فيه قال الدب ذو الضرر هذا رأي القاصر في النظر العاجز في الفكر فاما ذو الفكر الثاقب فلا يغفل عن العواقب فكل من قصر عن العواقب نظره ولم يسدد في الامور فكره فهو كمن تعلقت النار باهدابه والتهبت لاحراق ثيابه وهو مشغول عن اطفائها متساهل في كشف أنبائها فلم يفق الا وقد نشبت واعضاؤه بالنار التهبت فما اذا تفيده الافاقه وقد صار حراقه قال الجمل يا أخي افق من ضلالك وطالع فساد تصورك وخيالك وانظر في جدالك وكيف حالك أنا الجمل من صدقات الاسد نبت وحبه في دمي وعظامي ثبت كيف أجحد نعمه أو أريق دمه وأنا غرس صدقاته وربيب نفقاته ورفيق حضرته وعتيق منته مع اني لو نبذت عهده فقطعت ما قد وصلت وعزمت على مناوشته ما استطعت أما وعيت في معاني ما رويت

هي المنقاة تكبران تصادا ❊ فعاند من تطيق له عنادا

تريد صيد العقاب بفرخ الغراب أم تقتنص الذئاب بجرو الكلاب وتبغي بالقرود كسر الفهود أم بالسنانير تصيد الاسود ولا والله لا أقصد باذى ولا يطاوعني قلبي على ذلك أبدا ولو فعلت ذلك لسببت في دماري وخراب دياري وجدعت أنفي بكفي وبحثت عن حتفي بظلفي وجززت بيدي رأسي وقطعت قدمي بفاسي وقلت باصبعي مقلتي واستغلظت الموت مهجتي واصبحت من أكبر المعتدين وافسدت ديني ودنياي والله لا يحب المفسدين فاطوعني هذا الكلام وارجع عن مفاوضتي بسلام ولا تشافهه حنانك ولا تحرك بها لسانك وكان بالقرب منهما وكر فاره وقد سمعت ما جرى بينهما من عباره ووعت كلامهما وما دار بينهما من كل منهما فلما رأى الدب المريب ان كلامه للجمل لا يفيد امسك واحتشم واخذه في ذلك الندم ولكن مال من الجمل البال واثر فيه ذلك القال واستولى عليه من الاوجال ما أداه الى الهزال وصيره من الانفعال كالخلال وذهب ما كان عليه من النشاط وداخله الهم والانحطاط وصار كل يوم في انحطاط ولم يزل بين خوف وراجي ورازم ونازح فتعجب الاسد من حاله ولم يقف على سبب هزاله وكان عند الاسد غراب مقدم على الاصحاب هو وزير دولته وصاحب اخباره ووظيفته فعرض عليه حال الجمل وما شاهده منه من وجل وقال أنا أعرف من أكل اللحوم وحشيت من العيش بادي الغموم وهذا أمر قد عرف واستقر فما بال هذا الجمل لا يأمن مقر فاريد ان تعرف حاله وتخبرني بصدق وجماله فتوجه الغراب الى منزل الجمل وقد أخلص في القول والعمل وسأله عن حاله وموجب هزاله واقتاله وما سبب هذا الزوج والزوم المؤدي الى النزوح فما أعطاه جوابا ولا ذكر له أولا صوابا فعاد الغراب برقته وحجة امعانه فتبقيه ففي بعض الايام كان الغراب على بعض الآكام رأى الجمل قد أقبل الى الماء ليطفئ بشربه سورة الظما فتبعه الغراب واختفى ناظره الى ان قاربه وكمن خلف شجره فسمعه يقول بعد ما شرب وقد رأى السمك في الماء يلعب لتاكله يا رب ماء رحمات وما لي لكن يا سمك لا من رشيك خمن

الناسك منزله ودخل لاخلائه وأدخل البقرة فربطها في زاوية المنزل وتعشى ونام فاقبل اللص والشيطان يأتمران فيه واختلفا في من يبدأ بشغله أولا فقال الشيطان للص ان أنت بدأت باخذ البقرة ربما استيقظ وصاح واجتمع الناس فلا أقدر على أخذه فانظرني ريثما آخذه وشأنك وما تريد فاشفق اللص ان بدأ الشيطان باختطافه ربما استيقظ فلا يقدر على أخذ البقرة فقال لا بل انظرني أنت حتى آخذ البقرة وشأنك وما تريد فلم يزالا في المجادلة هكذا حتى نادى اللص أيها الناسك انتبه فهذا الشيطان يريد اختطافك ونادى الشيطان أيها الناسك انتبه فهذا اللص يريد ان يسرق بقرتك فانتبه الناسك وجيرانه باصواتهما وهرب الخبيثان قال الوزير الاول الذي أشار بقتل الغراب أظن ان الغراب قد خدعكم ووقع كلامه في نفس الغبي منكم موقعه فتريدون ان تضعوا الرأي في غير موضعه فمهلا مهلا أيها الملك عن هذا الرأي ولا تكونن كالنجار الذي كذب بما رأى وصدق بما سمع وانخدع بالمحال قال الملك وكيف كان ذلك (قال) الوزير زعموا انه كان رجل نجار وكان له امرأة يحبها وكانت قد علقت رجلا وعلم النجار بذلك فعزم أن يتحققه من يصدق أمره الذي استبان له ذلك فلما أراد قال لامرأته اني أريد الذهاب فقال لها أريد الذهاب الى قرية كذا وهي منا على فراسخ في عمل السلطان فاعدي لي زادا ففرحت المرأة بذهابه وجهزته فلما أراد الخروج قال لامرأته استوثقي من الباب واحرزي داري فلما خرج عطف الى مكان خفي خلف الباب فاختفى فيه فارسل في الى المنزل البيت

ولامن هيبته ترجفون لاملك يؤوّلكن ولاسلطان يؤولكن ولكن البكاء على الجل الذى ضاقت به الحيل قد
وقع فى دردور البلاء ولا يهتدى الى طريق النجاة بل ولا يدرى عاقبة أمره المهول الى ماذا تؤول الى الغرق
والندامه أم الى النجاة والسلامه ثم أخذ فى الانتحاب الى ان أبكى الغراب فلما رأى أبو الهمقاع هذه
الاوضاع قضى من الامر العجاب ما يتشيب منه الغراب ثم توجه الى أسد الشرى وعرض عليه ماجرى
بتغيير المشترى فتشوش فكره وتشور أمره وضاق بالهم صدره وقال أنا كففت عن الشر والشره وعففت
عن ذلك كأن لم يرنى ولم أره وتركت القرم والاذى وقطعت نفسى عن لذيذ الغذا ليأمنى أصحابى ويأنس
بى أحبابى فاذا لم يستقر خاطرهم ولم تطمئن على محبتى سرائرهم أى فائدة لى فى الحياه وكيف أغاص فى
بحر المودة من كدر العيش الى صفاه وكل ملك لا تصفو له رعيته ولا ترسخ فى قلوب جنده محبته كيف يثبت
سلطانه أو يساعده عند الشدائد أعوانه أنا بذلت جهدى وطاقتى وتشبثت بأذيال الصلاح على قدر
استطاعتى ولم يبق الا التضرع والاستكانة والتخشع الى مقلب القلوب وعلام الغيوب ليكشف هذه
الغمه ويصلح لى هذه الامه ويجلو عن جبين الحق بهيم هذه الظلمه ثم تضرع الى عالم الاسرار ليطلعه على
حقيقة هذه الاخبار ثم أمر باجتماع جماعته المقيمين على محبته وطاعته وعرض عليهم هذه الاحوال
وطلب منهم استكشاف ما فيها من الاهوال وقال اعلموا انى أمنتكم من مخافتى وبذلت لكم بدل عنق طاقتى
وقد حققتم مرامى وصدقتم كلامى وعرفتم أخلاقى وشدة أعلاقى كل ذلك لتطيب خواطركم وتصفو لى
سرائركم ولم أفعل ذلك عجزا ولا خورا ولا تهاونا ولا ضجرا وأنا الآن آمركم بواحده هى أجل فائده ان
لا تكتموا عنى شيأ تكرهونه منى بل اوقفونى عليه وأرشدونى اليه ثم اجهدوا انى أمنعه عنى فان فيكم
أجل محبوبى من أهدى الىّ عيوبى وقد قال سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام اللهم انه أفضل
التحيات عنا من غشنا فليس منا (وانما أوردت) هذا الكلام فى هذا المقام محضور النواصى والعوام على
سبيل التحذير والاعلام والتنذير وأقسم بالله العلى الكبير اللطيف الخبير الذى منه المبدأ واليه المصير لم
يكن فى خاطرى من أحد حقد ولا حسد ولا هجس بخاطرى له ايذاء ولا نكد وها أنا قد أخبرتكم وبالملاحى
أمرتكم فلم يبق لى ذنب يستغفر منه ولا لكم فى الاخفاء ما يعتذر عنه وان الله تعالى لا يعذب بضلال الاسافل
بل يعذب للاعالى الاراذل فاذا فسد الراس تغيرت الناس حل الباس ولقد قال خالق البريه وباريها
واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فقام الحاضرون فى مقام العبودية والولاء وبسطوا
السنتهم بأنواع الثناء والدعاء ونادوا بكلمة واحده متفقة متأكده حاشا الله ما علمنا عليك من سوء ولم تزل
تطلب على تقصيرنا وتأسو وتستر بذيل عفوك كل عارضة وتكسو وكان هذا الكلام للاكابر وقد اجتمع
البادى والحاضر وأوحد المفتن فيما بينهم حاضر فادرك بهذا العمل ان الاسد شعر بشئ من جهة الجمل
فاستدرك فارطه وسلك سبيل المغالطه ثم اختلى بالاسد ولم يكن معهما أحد وقال كأن مولانا الملك وقاه
الله شر المهالك أحس بشئ أو حسب تقرير كلامه لطائفة جنده وخدامه وأنا عندى كلام لم يطلع عليه
أحد من الانام ولم أبده للملك بحضرة الجماعه لانه عالانقيد الملك به الاذاعه ولا يمكننى اخفاؤه وقد كان
ابداؤه فاعلم أيها الملك الهمام كفاك الله شر اللئام انه كما يحتقر العالم الجاهل كذلك يزدرى الجاهل العاقل
وذلك لقصور فهمه وعدم علمه ومهما أحاط الخادم برتبة مخدومه وزاد علو قدره فى معلومه ازداد فى قلبه
وجوارحه مقدار تعظيمه واستقرت هيبته فى قلبه ورسخه وصارت كؤوس خشيته تتداوله فى صبوحه
وصبوحه وقد قال رب الارض والسماء انما يخشى الله من عباده العلماء وقول النبى عليه الصلاة والسلام
انا أعرفكم بالله وأخشاكم لله اشارة الى هذا المقام وكلما ضعفت معرفة الخادم بالمخدوم قلت قيمته عنده
وهذا أمر معلوم ثم اعلم يا ملك الاعظم ان الجمل الطويل الامل قد اغتر بالملك حين كان فى ذرى امنه

الذى فيه مرقده واختفى تحت السرير ثم ان المرأة أرسلت الى خليلها ان اتنا فأتاها وخلا بها على فراش زوجها طول ليلة ثم ان النهار غلبه
النعاس فنام فدر بدله نخر حتى من تحت السرير فلما رأته ازوجته عرفتها فأيقنت بالشر فقالت لخليلها
علّى وارفع صوتك
وقل أيما أحب اليك
زوجك أوانا فسألها
فقالت ما اضطرك الى
هذه المسئلة ألم تعلم انا
معاشر النساء انما نريد
الاخلاء لقضاء الشهوة
فقط ولا نلتفت الى
احسابهم ولا انسابهم
ولا الى ما يتغير من أمورهم
وأما الزوج فهو بمنزلة
الوالد والاخ فقبح الله امرأة
لا يكون زوجها عديل
نفسها ولا تمتلك بعد هذا
بالة فلما سمع زوجها
كلامها رقاها وأخذته
الرحمة وغلبة الغيرة ووثق
منها بالمودة ولم يبرح
مكانه حتى أصبح وايقن
ان الرجل قد ذهب ثم
خرج من تحت السرير
فوجد امرأته نائمة فقعد
عند رأسها يروحها فلما
انتبهت قال لها يا حبيبة
قلبى نامى فقد بت ساهرة
ولولا كراهة ما يسوءك
لكان بينى وبين ذلك
الرجل غضب وامر شديد
وانما ضربت لك هذا
المثل ارادة ان لا تكون
كذلك النجار الذى كذب
بما رأى وصدق بما سمع
فلم يلتفت الملك الى قوله
وأمر بالغراب ان تحمل
الى منازل البوم
ويكرم ويستوصى به خيرا ثم ان الغراب قال للملك يوما وعنده جماعة من البوم
وفيهم من الوزير الذى أشار بقتله أيها الملك قد علمت ما جرى على من الغربان وانه لا يستريح قلبى دون أخذى بثارى منهم وانى قد نظرت

عندك وأحسن اليه غاية الاحسان وصار في عدم الوفاء كالانسان وحصل له من سورة غضبه الامان جهل
قدره وتعدى طوره وقد قيل اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا
فوضع الندى في موضع السيف بالعلى * مضر كوضع السيف في موضع الندى
وقال الله تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى وكل نفس لا تحتمل الجميل وحوصلة العصفور لا تسع لقمة
الفيل وناهيك ما قد قيل في الاقاويل عن حماقة كل طويل فلا جرم فسد دماغه حين حصل فراغه
وتطاولت نفسه في مسراها الى أشياء لا يمكن افشاؤها ولا يتفوه باسمها ولا برضاها لان ذكرها قبيح والكناية
أبلغ من التصريح فلما سمع الاسد هذا المقال علم ببديهة العقل أنه زور ومحال ثم أرسل الى الغراب
وذكر له هذا الخطاب ليميز خطأه من الصواب ويميز القشر من اللباب فلما أتى الغراب الى حضرته وجلا
صورة هذا القول على مرآة فكرته قال له ضميرك المبارك في حل هذا المشكل لا يشاركك فانه حلال
المشكلات موضح المعضلات وأما أنا فلا أسمع هذا الكلام ولا أقبل في الجمل الملام فاني أعرف تواضعه
ومسكنته وصبره وطاعته واخلاصه وقناعته وانه صادق في محبته مخلص في عبوديته وأعرف أن خوفه
من الملك غالب على رجائه وانه مع ذلك مقيم على متين وفائه ومعقود عهوده وصفائه ولو أراد الذهاب لذهب
بسلام ولا في رقبته قيد ولا في ترتيبه خطام ثم قال الغراب والغالب على ظن ذوي الالباب ان هذه الفتن
أصلها وأصل لها الذئب لانه قد تزور وتحقق واتفق كل حكيم موفق انه اذا نقل ناقل حقا عن عاقل
ابتداء بالاحسان اساءة فلا يصدق فالملك لا يبادر في هذه القضية حتى يتبين الامر من جهته وحاشاه أن
يفرط في خدمة المخلصين من غير أن يتدبر أمورهم بيقين ويختلي بعبده الجمل ويتحقق منه أصل هذا
العمل بعد استقلاب خاطره وتطييب سرائره وضمائره فاستصوب الاسد هذا الفصل واختلى بالجمل ليقف
منه على هذا الاصل وسكن جاشه وأزال بلطف الكلام استيحاشه وشكر في خدمته مساعيه وطاب
بملاطفته مراضيه ثم طلب من الجمل تفصيل ما بلغه من جمل وأكد قوله بالايمان أنه لو صدر منه تقصير
ونقصان ولو كان مهما كان فانه قد عفا عما عفا ولا يكدر من عيشه ما صفا ولا يمزق رقيق حاشية وفائه
بالجفا ولا يتقيد بهفواته ولا يطالبه أبدا بزلاته فاطلعه على جلية الحال وأبلغه ما وقع منه من أقوال
وأفعال فافتكر الجمل في معاهدته مع الذئب وانه لا يفشي سر ذلك الهدم اللعب وكيف ينقذه من خفي جور
شب وقضاء غير قضب فقال ان قلت أفضحت صاحبي وان سكت قصرت في جانبي ثم اختار كتم الاسرار
وسلوك طريق الاحرار والوفاء بالعقود وعدم نكث العهود وقال أسعد الله مولانا الذي أود وأحيانا
الى أتفكر في عواقب الامور وأنظر في تقلبات الدهور وأخشى سطوات السلطان وأخاف من حوادث
الزمان فلا أزال من هذا الخيال في انفعال وهزال الى أن صرت الى هذا الحال فان كان هذا في موجب
العقوبة فان أزاله عن خاطري فهو الصواب وهذه أوهام لا يمكن دفعها ولا يكلف الله نفسا الا وسعها قال
الاسد فهل اطلعت على ما يوجب ذلك أو يدل على الاقامة في المهالك وتضييق المسالك من حركات أفعالي
أو من فلتات أقوالي أو تقلبات أحوالي أو نقل اليك ناقل من جاهل أو عاقل فاحجم الجمل عن الجواب
وأطرق فلم ينطق بخطأ أو صواب فقال الغراب لا يخلصك الا الصدق وكشف أستار الريب عن وجه الحق
وكان حاضرا هذه الشكوى شغال أعمى وهم عنه غافلون وعن استماعه ذاهلون فلما سمع ذلك توجه الى الذئب
وقال صورة ما جرى بتقدير المشتري فعلم الذئب انه افتضح وأمره اتضح فتحير وبادر ودخل على الاسد
فرأى الجمل مطرقا لا يملك منطقا قد جف لسانه وتوقفت كرة البيان وسابق بالكلام خوفا من
الملام وقال بلسان طلق كلام فاجر مختلق اعلم أيها الماهر بل الاثم انك لو أمسكت عن كلامك النصيح في
وقتك الفصيح لكان أصوب وأحسن وأنجب لكن الى أن ... بالامر وأتيت باحدى الكبر وحاولت

في ذلك فاذا بي لا أقدر على ما رمت لاني غراب وقد روي عن العلماء أنهم قالوا من طابت نفسه بأن يحرقها فقد قرب لله أعظم القربان
لا يدعو عند ذلك بدعوة الا استجيب له فان رأى الملك أن يأمرني فأحرق نفسي وأدعو ربي أن يحولني
بوما فأكون أشد عداوة
وأقوى بأسا على الغربان
لعلي أنتقم منهن قال
الوزير الذي أشار بقتله
ما أشبهك في خير ما تظهر
وشر ما تخفي الا بالخمرة
الطيبة الطعم والريح المنقع
فيها السم أرأيت لو أحرقنا
جسمك بالنار كان جوهرك
وطباعك متغيرة أليست
أخلاقك تدور معك حيثما
درت وتصير بعد ذلك الى
أصلك وطويتك
كالفأرة التي خيرت في
الازواج بين الشمس
والريح والسحاب والجبل
فلم يقع اختيارها الا على
الجرذ قيل له وكيف كان
ذلك قال زعموا أنه كان
ناسك مستجاب الدعوة
فبينما هو ذات يوم جالس
على ساحل البحر اذ مرت
به حدأة في رجلها درص
فأرة فوقعت منها عند
الناسك وأدركته لها رحمة
فأخذها ولفها في ورقة
وذهب بها الى منزله ثم
خاف أن تشق على أهله
تربيتها فدعا ربه أن
يحولها جارية فتحولت
جارية حسناء فانطلق
بها الى امرأته فقال لها
هذه ابنتي فاصنعي معها
صنيعك بولدي فلما بلغت
مبلغ النساء قال لها
الناسك يا بنية قد
أدركت ولا بد لك من زوج فاختاري من أحببت حتى أزوجك به فقالت أما اذا خيرتني فاني أختار زوجا يكون أقوى الاشياء فقال الناسك
لعلك تريدين الشمس ثم انطلق الى الشمس فقال أيها الخلق العظيم لي جارية وقد طلبت زوجا يكون أقوى الاشياء فهل أنت متزوجها

القضاء والقدر وضمنت لي نصفك وقصدت اهلاك الملك بقبح شيمتك أزال الله سترك وابدى أمرك وفضحك وقبحك وبلجام الخزي كبحك لا جرم جرمك حبسك واثمك العظيم أخرسك فابهت الضرغام من هذا الكلام وشاب الغراب من هذا الامر المشاب ووقعوا في الاضطراب والشك والارتياب واشتبه الخطأ بالصواب وقالوا ان هذا الشيء عجاب فقال الجمل للدب يا فقيد اللب يا قليل النصفه وعديم المعرفه والحس أفالك والحس سفالك وانحس بتالك أظنني خائفا من كلامك وخطابك عاجزا من ملامك وجوابك اما يكفي اني قصدت ستر عوارك واطفاء نارك ومغتكرف تلافي قضيتك واخمادلهيب فتنتك واهماد شرار مصيبتك وعلى تقدير التسليم واني فهت بالكبير والامر العظيم أكنت معك منفردا ام رأيت بيننا أحدا فان كان بيننا أحد فأحضره الى حضرة الاسد فاني أرضى به وعما بين ولا دافع لي فيما يشهد به ولا مطعن وان كنت أنت وحدك فما منعك من نصح الملك وصدك فأنت اذا اما خائن واما مائن وهذا أمر محقق بائن ولولا ايماني التي ربطت بها لساني لكنت أظهرت البريء والجاني ولكن تحاملت الى الكتم والسكوت الجاني وسيظهر الله الحق ويفصل وللباطل صولة ثم يضمحل ووالله ما لي مثل مع المسكين الجمل الا امرأة النجار لما أغلقت باب الدار قال أبو الحرث الغضوب اخبرنا يا أبا أيوب كيف كان هذا الحديث لنطلع على هذا الفعل الخبيث (قال) ذكر رواة الاخبار انه كان رجل نجار له زوجة تخجل الاقمار وتكسف شمس النهار كأنها الدنيا تخدع بلامع صورتها وتصرع بروائح سيرتها فكانت كلما رقد زوجها وهو تعبان انسابت الى الاخدان انسياب الثعبان فتقضي الليل بانشراح في عناق وشرب راح الى ان ينفجر الصباح ثم تنثني عائده فلا يستيقظ الزوج الا وهي عنده راقده ففطن في بعض الاوقات لفعلها وراقب ليلة انسلالها فتراقد في الفراش وذهبت لطلب المعاش فنهض وراءها النجار واوصد لما خرجت باب الدار واستمرت هي وصاحبها وزوجها مستيقظ يراقبها فلما عادت راجعه وجدت الابواب مانعه فطرقت الباب من غير اكتراث واكتئاب فناداها يا خائنه اذهبي حيث كنت كامنه فقالت استر هذه الذنوب فاني من بعدها أتوب فقال لها لا والله الرحمن حتى تفتضحي بين الجيران فقالت الموت أهون من الفضيحه فاغفر لي هذه القبيحه وانا احلف بالودود بالله الرب المعبود اني أتوب ولا أعود ثم الحت عليه وتضرعت لديه فلم يفتح لها بابا ولا رد عليها جوابا فقالت والله اللطيف الخبير لئن لم تفتح الباب لالقين نفسي في هذا البير ولا رمينك بقتل بين الصغير والجليل ثم عمدت الى حجر كبير وطرحته في تلك البير ثم اختفت عند الباب لتنظر ما يبرزه القضاء من الحجاب فلما سمع زوجها خبطة الحجر تصور انها تلك البغي فابتدر وفتح الباب والى شفير البير طفر ولم يشك ان تلك البغي القت نفسها في الطوى فلما وصل الى البير ذلك الرجل الغرير الا وقد دخلت وفي وسط الدار حصلت ثم اوصدت الباب واستغاثت بالجيران والاصحاب واحكمت الرتاج واوقدت السراج وملأت الدنيا بالعياط والمياط واخذت في الهياط والمياط فاجتمع الجيران لينظروا ما هذا الشان فقالت هذا الرجل الظلام يتركني كل ليلة حتى أنام ثم يتوجه الى الزواني ويدعني أقاسي القلق والاماني واتقلب في ارقي واشجاني فأخذ الرجل يحلف بالله ذي الجلال ويذكر للحاضرين حقيقة الحال فتارة يصدق وأخرى يكذب وهو بين مصدق منهم ومكذب فلم يزالا في عويل وصياح الى ان ظهر تباشير الصباح فحضرا الى القاضي واختصما وشهد بفسق الرجل الصلحاء والعلما واظهر الله الحق وثبت على المرأة الخيانة والفسق ولولا ذلك لذهب البريء غلطا وانقلب صواب الحق الصادق خطا (وانما اوردت) هذا المثل لتعلم أيها الملك البطل خيانة الدب وبراءة الجمل والرجل اذا عجز عن فعل الشجعان يتشبث بحبائل الشيطان ويستعمل مكر النسوان ونظير هذا الكياد ما وقع بين صادق دمشق وفاسق بغداد وهي قضايا باسلة الابواب طويلة الذيول والاذناب قد دونت في مجلدة لا يسعها

فقالت الشمس أنا ادلك على من هو أقوى مني السحاب الذي يغطيني ويرد سرشعاعي ويكسف اشعة انواري فذهب الناسك الى السحاب فقال له ما قال للشمس فقال السحاب وأنا ادلك على من هو اقوى مني فاذهب الى الريح التي تقبل بي وتدبر وتذهب بي شرقا وغربا فجاء الناسك الى الريح فقال لها كقوله للسحاب فقالت وأنا ادلك على من هو أقوى مني وهو الجبل الذي لا اقدر على تحريكه فمضى الى الجبل فقال له القول المذكور فأجابه الجبل وقال له انا ادلك على من هو أقوى مني الجرذ الذي لا أستطيع الامتناع منه اذا خرقني واتخذني مسكنا فانطلق الناسك الى الجرذ فقال له هل أنت متزوج هذه الجارية فقال وكيف أتزوجها وجحري ضيق وانما يتزوج الجرذ الفارة فدعا الناسك ربه أن يحولها فأرة كما كانت وذلك برضا الجارية فأعادها الله الى عنصرها الاول فانطلقت مع الجرذ فهذا مثلك أيها المخادع فلم يلتفت ملك البوم الى ذلك القول ورفق بالغراب ولم يزد له الا اكراما حتى اذا طاب عيشه ونبت ريشه واطلع على ما اراد أن يطلع عليه راغ روغة فأتى اصحابه بما رأى وسمع فقال للملك اني قد فرغت مما كنت اريد ولم يبق الا أن تسمع وتطيع قال له انا والجند تحت امرك فاحتكم كيف شئت قال الغراب ان البوم بمكان كذا في جبل كثير الحطب وفي ذلك الموضع قطيع من الغنم مع رجل راع ونحن مصيبون هناك نارا ونلقيها في انقاب البوم ونقذف عليها من يابس الحطب ونتراوح عليها ضربا باجنحتنا حتى تضطرم النار في الحطب فمن خرج منهن

هذا

هذا الكتاب فذكرا بجمل فهما الاحوال ثم أمر بهما الى الاعتقال وكان للملك صهان ذكي كنيته ابو الحسين واسعه ذكي فتسلمهما واحتفظ بهما فلما استقرا في قبضة الحبس واستمر أمرهما تحت أذيال اللبس توجهت الفارة التي كانت سمعت مر مناظرتهما واطلعت من أول الامر على حكايتهما الى الصهان وهما في أضيق مكان وسألته عما اذا آل اليه أمرهما من شان فأخبرها بحالهما وجهل عاقبة مآلهما وانه ليس بعالم من الظالم منهما والظالم فقالت الفارة أسألك يا ذا الشطارة والذكاء والمهارة اذا ترجح لاحدهما الجانب وتبين الصادق والكاذب وتعين المرضي عنه والمغضوب عليه تطلعني على ذلك لافتقاري اليه قال الصهان للفارة لقد فهمت عنك بالاشاره وأدركت من فحوى العبارة ان لك اطلاعا في هذا الامر وفرقا جليا بين تمره والجمر فان كنت فهمت من ذلك روائح فبادري باداء تلك النصائح فان قولك مقبول ولك الفضل لا الفضول ولا تقصدي بهذا الارشاد الا مصلحة العباد وكشف الغمه وبراءة الذمه وردع الظالم وخلاص ذمة الحاكم قالت الفارة وأنا لا أقصد الا اصلاح ذات البين وشفاء ما بملاطفة الملك بحيث يصيران كالعينين ويرتفع النكد ويحصل رضا الاسد ويحسم الشر والضير ويختم عاقبتهم بالخير وأيضا فاني سمعت من العلماء وضبطت من نصائح الحكماء ومقالات ذوي الآراء انهم قالوا اياك والتكلم في أمور الملك بيضاء او سوداء وأين بنت الجرذ من ملك الوحوش الاسد قال الصهان لا تقولي ذلك ولا تستحقري جدواك وهو تزين في فتواك ودونك القول الصادر من نظم الشاعر الماهر وهو

لا تحقرن الرأي وهو موافق * حكم الصواب اذا أتى من ناقص
فالدر وهو أجل شيء يقتنى * ما حط قيمته هوان الغائص

وان النصيحة كالعسل والحق يصدع كالاسل فالعسل يحلى حلاوة وذوقه سواء كان في صحاف الذهب او في زقه وقاصد الصواب والنصيحه ومن اغراضه لدفع الفساد صحيحه يخاطر بنفسه وماله ويراقب ما فيه حسن مآله وأفضل المعروف اغاثة الملهوف سمعت في المثل السائر أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر وهذا الطور عند ملوك الجور فكيف وملكنا أعدل الحكام وناصر دين الاسلام متصف بمكارم الاخلاق والشيم ومعاملة الكبير والصغير بالرحم والكرم فان كنت تدري جهة الانتفاع أدلك على قضايا الدب والجمل اطلاع فقومي وانصحي وقولي تفلحي كما فعل الوزير المنتصح مع كسرى في حال الغضب فسألت الفارة عن هذا المثل واخباره (قال) ابو الحسين الصهان ذكر انه كان لانوشروان زوجة فاقت النسوان يخجل قدها الاغصان وخدها البدر بحيث لا نقصان كان أبوها من السلاطين وملوك الاساطين وكان انوشروان قتل اباها واخاها واتخذها لنفسه واصطفاها وكان مشغوفا بها متحرقا من ضرمها ان تذكر قتيلها فيستولي طلب الثار عليها فلم يزل مدة من زمان أفعالها مراقبا تقلبات أحوالها فاتفق انه كان جالسا معها على السرير وحولها من الجواري الحسان كل بدر منير وظبي غرير فتاقت نفسه اليها فأخذ بيده ووضعها عليها فنظرت الى الجواري فرأت أعينهن اليها ناظره فصارت بين طرفي الانقياد والامتناع حائره وكانت قد سمعت من أبيها ما رأته من آثار بها وذويها معنى ما قيل

واني لأستحيي من الشمس الذي * يراقبنا الى الليل من أهوى

نظرا بها لها اذا استقبلها عيون الشمس وهي جامدة فكيف لا أستحيي من عيون انسان في مراقبتنا غير راقدة فقالت عليها الغيره وان جامع الملك أمام الغيرة فانكمشت من كسرى وزادها الحياء والهيبة انقباضا وكسرا عن الاجابة وتوقفا اليه فانفلتت منه لما استدعت عليه فوقع عن سريره العالي وعلا حاله الثرى الغالي وتبسم منه تلك الجوار من غير اختيار فاضطرب لما اضطرم فيه النار وتذكر ربما كان توهمه من أخذ الثار وفار دم قلبه لما غار فهاج زبرة الكبير ودقم البهرجة السرير وأمر بازهاق نفسها

احترق ومن لم يخرج مات بالدخان موضعه ففعل الغربان ذلك فأهلكن البوم قاطبة ورجعن الى منازلهن سالمات آمنات ثم ان ملك الغربان قال لذلك الغراب كيف صبرت على صحبة البوم ولا صبر للأخيار على صحبة الأشرار فقال الغراب ان ما قلته أيها الملك لكذلك ولكن العاقل اذا أتاه الأمر الفظيع العظيم الذي يخاف من عظمه جائحته على نفسه وقومه لم يجزع من شدة الصبر عليه لما يرجو من ان يعقبه صبره حسن العاقبة وكثير الخير فلم يجد لذلك ألما ولم تكره نفسه الخضوع لمن هو دونه حتى يبلغ حاجته فيغتبط بخاتمة أمره وعاقبة صبره فقال الملك أخبرني عن عقول البوم قال الغراب لم أجد فيهن عاقلا الا الذي كان يحثهن على قتلي وكان حرضهن على ذلك مرارا فكن أضعف شيء رأيا فلم ينظرن في أمري ويذكرن اني قد كنت ذا منزلة في الغربان واني أعد من ذوي الرأي ولم يتخوفن مكري وحيلتي ولا قبلن من الناصح الشفيق ولا أخفين دوني أسرارهن وقد قال العلماء ينبغي للملك ان يحصن أموره من أهل النميمة ولا يطلع أحدا منهم على مواضع سره فقال الملك ما أهلك البوم في نفسي الا البغي وضعف رأي الملك وموافقته وزراء السوء فقال الغراب صدقت أيها الملك انه قلما ظفر أحد بغنى ولم يطغ وقلما حرص الرجل على النساء ولم يفتضح وقل من أكثر من الطعام الا مرض وقل من وثق بوزراء السوء وسلم من ان يقع في المهالك وكان يقال لا يطمعن ذو الكبر في حسن الثناء ولا الخب في كثرة الصديق ولا السيء الأدب في الشرف ولا الشحيح في البر ولا الحريص

في قلة الذنوب ولا الملك المختال المتهاون بالامور والضعيف الوزراء في ثبات ملكه وصلاح رعيته قال الملك لقد احتملت مشقة شديدة في
تصنعك اليوم وتضرعك لي قال الغراب انه ١٤٤ من احتمل مشقة يرجو نفعها ونحّى عن نفسه الانفة والحمية ووطنها على الصبر حمد غب

واسكانها في رمسها من غير مراجعه ولا شفاعة ولا مدافعه فحملها الى منزله ووقع في صعب الامر ومشكله ولم يبد الا من امضاء مرسومه وامتثال أوامر مخدومه ثم تدبر في المآل ونادته ربة الجمال مهلا أيها الوزير الناصح المشير ذو الرأي والتدبير هبني اني اخطأت وعن مرضاة الملك أبطأت فما ذنب الذي في بطني المودع من الملك ولم يجن فلا بأس انك تستشيره فانك ناصحه ومشيره وان كان لا بد من قتلي واستقر الرأي على قتلي وبتلي فاستمهله الى أن أضع ثم تهلك الام ويبقى النبع فانه كان يعطي النذور والاموال ويطلب الولد في ظلمات الليال ويدعو بذلك رب ذي الجلال فعرض الوزير على الملك ذلك فأبى واستعمل في ضروب صبره أسد عباره وترفق فيها فعرف ان اخلاقه ثائره وانه لا بد ان تطفأ تلك النائره فاذا برد قلبه وهمد كربه يطالبه بالفرع ان لم يطالب الاصل وبعد القطع لا يمكن الوصل كما قيل

طوى الموت ما بيني وبين أحبتي * وليس لما تطوي المنية ناشر

فرأى الوزير الرأي في التأخير فأودعها عند الحريم وسلك في الحزم الرأي القويم وجعل نفسه لها وقايه الى ان أخذت مدتها النهايه فوضعت ولدا ذكرا غصن بان مثمرا قمرا فقام الوزير بتربيته واصلاح رضاعه واغذيته الى ان بلغ سبع سنين وهو كبدر الافق المبين مربى بالدلال مغذى بالكمال فكأنه فيه قيل

جبين يحار الشمس من لمعاته * وقد يغار الغصن من حركاته * وخد تعالى الله اثبت مشبها
ولا مشركا اضداده في صفاته * رمى مهجة المضنى بأسهم لحظه * فنام عليلا وهو في سكراته

فركب كسرى في بعض الاوقات وخرج يصطاد في بعض الجهات فتبدد العسكر وصار كالحجيج اذا نفر ووقع كسرى في ناحية عن العسكر منفردا فصادف غزالين يسوقان ولدا ويذكران في ذلك القاع ما قاله عدي ابن الرقاع

تزجي أغن كأن ابرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

فهجم عليهما ودنا اليهما فلما قصدهما ترك ولدهما ففوق السهم الخفيف نحو الخشف الضعيف فلما رأت امه السهم داخلها الوله والوهم فقصدت للسهم دون ولدها واستقبلت نصل كبد القوس بكبدها فأراد اطلاق السهم من الكبد ليصيب به حرام الولد فاعترضه الفحل بصدره وتلقاه دون نحرها بنحره وجعل نفسه وقاية لام ولده وفداهما بروحه وجسده فتذكر كسرى ولده وامه وضاعف حزنه عليهما همه وغمه وتذكر ما سلف منه في حق زوجته وما كان اليه حين وقع به من الغضب في سورته وتأمل ما فاته في حق قرة مهجته وما أجاب في ذلك الى ان وردت الى المهالك وقال اذا كان هذا الحيوان البهيم المائق حمى حقيقة برحمه كيف ما فاته الحقائق فلم يفعل ذلك الحيوان الناطق ثم فاضت دموع عينيه فرمى القوس والسهم من يديه ورجع متفكرا وعلى ما فرط منه متحسرا ودعا الوزير الناصح الخبير والمستشير وذكر له ذلك النكد وما رآه من الغزالين والولد وتحرق على فقد حظيته وتألم لمصاب فلذة كبده فدعا له الوزير وقال الصبر نعم النصير كان قد سبق مني اشاره ولكن المفرط أولى بالخساره الصديق الصادق والرفيق الموافق يقول ما اصنع نصحت فلم يسمع والخبيث المنافق والحسود الماذق يقول اردت ان اقول ولكن تركت الفضول ولا حيلة للملك والوزير فيما جرى به قلم التقدير ثم دعا له وانصرف وهيأ حلة من الهدايا والتحف وألبس ابن الملك افخر ملبوس وجهزه كتجهيز العروس وأضاف الى ذلك من المراكب الملوكيه والخدمات السلطانيه وأقبل بهما اليه وعرض كل ذلك عليه وقال يا ملك الزمان انا رأيت هذا اليوم في ذلك الاوان وعلمت ان الندم سيعم من الرأس الى القدم وها قد قدمت اليك من التحف الدر مع الصدف والورد والزهر والغصن والثمر والفرع والشجر والشمس والقمر متعك الله بهما ومتعهما بك وحرسهما من الاسواء منيع حولك وجنابك فاخبر بذلك كسرى وقال بشرى ويسرى وطاب سيرا ومسرى وسر صدره وانشرح واغمي عليه من شدة الفرح وانشد

رأيه كما صبر الاسود على حمل ملك الضفادع على ظهره وشبع بذلك وعاش قال الملك وكيف كان ذلك (قال) الغراب زعموا ان اسود من الحيات كبر وضعف بصره وذهبت قوته فلم يستطع صيدا ولم يقدر على طعام وانه انساب يلتمس شيئا يعيش به حتى انتهى الى عين كثيرة الضفادع قد كان يأتيها قبل ذلك فيصيب من ضفادعها رزقه فرمى نفسه قريبا منهن مظهرا للكآبة والحزن فقال له ضفدع مالي أراك ايها الاسود كئيبا حزينا قال ومن أحرى بطول الحزن مني وانما كان أكثر معيشتي مما كنت اصيب من الضفادع فابتليت ببلاء وحرمت على الضفادع من اجله حتى اني اذا التقيت ببعضها لا اقدر على امساكه فانطلق الضفدع الى ملك الضفادع فبشره بما سمع من الاسود فأتى ملك الضفادع الى الاسود فقال له كيف كان امرك قال سعيت منذ ايام في طلب ضفدع وذلك عند المساء فاضطررته الى بيت ناسك ودخلت في اثره في الظلمة وفي البيت ابن للناسك فاصبت اصبعه فظننت انها الضفدع فلدغته فمات فخرجت هاربا فتبعني الناسك في اثري ودعا علي ولعنني وقال كما قتلت ابني البريء ظلما وتعديا كذلك ادعو عليك ان تذل وتصير مركبا لملك الضفادع فلا

طفح

طفح السرور على حتى انه * من عظم ما قد سرني ابكاني

يا عين قد صار البكاء لك عادة * تبكين من فرح ومن احزان

ثم امر ببساط السرور وجلس في النشاط والحبور وانشد

أهلا وسهلا بالتي * جادت على عودتي * أهلا بها وبوصلها

من بعد طول الهجرة * ادر المدام وغنني * أهلا وسهلا بالتي

ثم أفاض خلع الانعام والرضا والاكرام على الوزير وشكر له حسن التدبير وارتفعت عنده منزلته وتضاعفت في الارتقاء مرتبته (وانما اوردت) هذه الامثال اتعدى على هذا المثال فان كان عندك ما يزيل الشك والاغاليط ويحق الحق ويعز الاخاليط فان في ابدائه امنة عظيمه ونسمة على الملك جسيمه ستلقى بذلك العيش الهني وترقيني به الى المقام السمي السني وان اخرت النصيحه فقد شاركت الملك في الاعمال القبيحه قالت الفارة ما ادق ما نظرت واحق ما اشرت لا تردد لعقل في صحة هذا النقل ولكن من اناف الرقبة ومن يقبل الغارة حتى تطالب الرفعة فلا انا في العير ولا في النفير واني من مبدأ امري وطول عمري في زوايا الخمول اتحرز من فضلات الفضول لا اصحب الملوك لصورة حيله ولا في طريقة السلوك برذيله لا امينة ولا ثقة واصدق اسمائي الفويسقه فكيف اصير مصدقه وقد اباح سيد العرب والعجم معدن اللطف والكرم والمبعوث بمكارم الاخلاق والشيم صلى الله عليه وسلم قتلي في الحل والحرم فلو طلبت مصاحبة من فوقي لخرجت عن دائرة طوقي وصيرت نفسي ضحكة للناظرين وهزأة للساخرين خذه وصاحب الملك الاسود وسلطان الوحوش من النمور والفهود ورحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعد طوره ومن اعجب العجب ان يجني من الشوك العنب ولو فعلت ذلك لكنت كقرد سالك ذميم هالك ادعى رياسة الممالك ومن احسن الامثال ما يقال ان السلطان للانام بمنزلة الحسام البعيد عنه هالك قربه والداخل فيه يشكو كربه قال الملك يا خالتي ان لا اشتغل بالي الا بما يليق بي ولا بامثالي وحيث اشرت على باداء النصيحة وبيان الحالة الفاسدة من الصحيحة طالبا رضا الملك وصون الخاطر عن الامر الذي به المشتبك والفكر المريب المرتبك فانا المتكفل برسومك واودع ذلك معلومك بشرط ان لا تذكرني بشفه ولا تشير الى اسمي بنكرة ولا معرفه فعاهدها على ما اشترطت فحدت لسان القول وبسطت ثم ذكرت ما جرى بين الذئب والجمل من فصول وقررت براءة ساحة الجمل بالمعقول والمنقول فلما اتضح لابي الحصين البرهان نزاهة عرض الجمل وان الذئب هو الذي اغراه على قصد الاسد وعمل وتحقق ذلك بالبرهان القاطع والدليل الساطع توجه الى حضرة الاسد واخبره بجلي من الامر وما فسد وانه انما اخر عنه ما يعتقده لم يصل اليه ما في جيب الغيب من مكتومه فلما تحقق الليث ما في هذا الامر من لاغ وعيث ومن هو الصالح من الذئب والجمل والطالح ارسل الى الغراب وعرض عليه هذا الامر العجاب وطلب منه الارشاد الى هدم ما بناه الذئب من الايقاع وشاد فقال الراي عندي ان تجمع العساكر وتنادي بالبادي والحاضر وتحضر الذئب والجمل وتعرض على الجميع هذا العمل فاذا ظهر الحق وانكشف سجاف الباطل عن جبين الصدق وتبين الظالم من المظلوم وتميز الصحيح من الملوم يرى رأيك السعيد ما يقتضيه ويسلك ما يأمر به ويرتضيه ويجري على كل منهما حكم ما تقتضيه جريمته بحيث لا ينتطح في ذلك عنزان ولا يختلف في ذلك اثنان فلما كان ثاني يوم امر الاسد بجمع القوم واحضار الجمل البريء والذئب المفتري فحضر الكبير والصغير واجتمع الامير والوزير ثم علا الملك على السرير واثنى على الله العلي الكبير وصلى على البشير النذير الشاهد السراج المنير ثم ذكر ما اهمه من هذه القضية المهمة وذكر فضل هذه الامة وما لها من رفعة وجلاله وانهم لا تجتمع على ضلالة ثم قال ما تقولون في رفيقين شفيقين صديقين لم يكن بينهما سبب مكالمة ولا موجب منازعة ولا مخاصمة

تستطيع أخذها ولا كل شيء منهم الا ما يتصدق به عليك ملكها فاتيت الملك التركي مقرا بذلك راضيا به ثم رغب ملك الضفادع في ركوب الاسود وظن ان ذلك نفع له وشرف ورفعة فركبه واستطاب له ذلك فقال له الاسود قد علمت ايها الملك اني هرم وضعيف لي رزقا اعيش به فقال ملك الضفادع امري لا بد لك من رزق تقوم به اذ كنت مركبي فامر له بضفدعين يؤخذان في كل يوم ويدفعان اليه فعاش بذلك ولم يضره خضوعه للعدو الذليل بل انتفع بذلك وصار له رزقا ومعيشة وكذلك كان صبري على ما صبرت عليه التماسا لهذا النفع العظيم الذي اجتمع لنا فيه الامن والظفر وهلاك العدو والراحة منه ووجدت صرعة اللين والرفق اسرع واشد استئصالا للعدو من صرعة المكابرة فان النار لا تزيد بحدتها وحرها اذا اصابت الشجرة على ان تحرق ما فوق الارض منها والماء ببرده ولينه يستأصل ما تحت الارض منها ويقال اربعة اشياء لا يستقل قليلها النار والمرض والعدو والدين قال الغراب وكل ذلك كان من راي الملك وادبه وسعادة جده وانه كان يقال اذا طلب اثنان امرا ظفر به منهما افضلهما مروءة فان اعتدلا في المروءة فاشدهما عزما فان استويا في العزم فاسعدهما جدا وكان يقال من حارب الملك الحازم الاريب المتضرع الذي لا تبطره السراء ولا تدهشه الضراء كان هو داعي الحتف الى نفسه ولا سيما اذا كان مثلك ايها الملك العالم بفرص الاعمال ومواضع الشدة واللين والغضب والرضا والمعاجلة والاناة الناظر في امر

سوى المحبة المليحة والمعاملة والمودة الصافية الصالحة يبيتان في فراش ويستمران على حسن المعاش حتى أسد هما رفيقه وخان من غير سبب صديقه وسعى في إراقة دمه وعدمه وجوده بوجود عدمه فإذا يجب على هذا الحاسد المنافق في عمله الفاسد الطالب ترويج باطله الكاسد وقصده ذلك البريء الصالح الغافل السري والسعي به إلى الحكام والقائم بسببه في الآثام وارتكاب هذه الجرائم وتحمل مثل هذه العظائم فأجاب الجمهور إن من أكبر الكبائر قول الزور وقد قال رب الكائنات إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم وإن مرتكبه الإثم استوجب العذاب الأليم ومن هو هذا الجريء الكذاب المفتري الذي يرتكب مثل هذه الأمور الهائلة والكبائر الوخيمة الغائلة والعظائم المؤذية الغائلة خصوصا في مثل هذه الدولة العادلة ولأي شيء يؤخر جزاؤه ولا يحسم داؤه ولا يضرب ولا يشهر ولا يؤمر بالمعروف في هذا المنكر قال الأسد فاكتبوا ما قلتم محاضر وليعلم الغائب الحاضر حتى إذا وقع الاتفاق بين الأصحاب والرفاق وارتفع في ذلك النزاع والشقاق وأجمع على ذلك العقل والسمع فعلنا فيه ما يقتضي السياسة والشرع فاتبعوا شروطهم وكتبوا بذلك خطوطهم فعند ذلك طلب الأسد أم راشد وأقامها في ذلك المحفل الحاشد واستنطقها بما تعلم واستشهدها على الدب بما اجترم فشهدت في وجهه بما سمعت ورقمت بذلك خطها ووضعت وزكاها الحاضرون وشهد بصحة ما أوردها الناظرون واتفقت الكلمة من الكل على صدقها وحقيقة نطقها فتم إلى وجه الجمل بهذا القول والعمل وظهرت على صفحات وجه الدب العديم الدين واللب علامة الانكسار والفضيحة والخسار ولم يسعه إلا أنه أذعن واعترف أن لا دافع له في الشاهد ولا مطعن وأنه قد اجترم وطلب العفو والكرم فعند ذلك غضب الرئبال ولم يبق للعفو مجال فزأر وزفر وغضب الغضنفر وهمهم وزمجر وتطاير من أشداقه الزبد ومن عينيه الشرر ومن شمائل حركاته مخيلات القضاء والقدر ونعوذ بالله من غضب الملوك خصوصا على الفقير الصعلوك ومن أحاطت به أوزاره وقلت أعوانه وأنصاره ثم أمر الأسد بالدب أن يلقى من البلاء في جب وأن السباع تحتوشه والضباع تنوشه في الحال من غير إمهال ولا توان ولا إهمال نهشته الذئاب وافترسته الكلاب وتخاطفته النمور وتناتفته الببور والتقمته السباع والتهمته الضباع فقطعوه وبضعوه ووزعوه ومزعوه وشذروه وشرقوه وخرقوه ومزقوه ولم يكتفوا بعظمه وإهابه حتى لحسوا من دمه يابس ترابه وكان قد اشتد بهم القرم فأطفؤوا بلحمه ودمه بعض الضرم وزال عن أبي أيوب الضر وارتفعت منزلة ذلك الحر وضاعف الله تعالى عن براءة ساحته أنواع الحمد والشكر * وفائدة هذا المثل الجاري بين الدب والجمل معرفة فضيلة الأمانة ووخامة المكر والخيانة فإن الله تعالى غير مضيع أهله ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله كما قيل

لأبناء هذا الدهر في الغدر أسهم * وضرب خيانات وطعن مكيدة
وما للفتى منها طريق سلامة * سوى ترس تفويض لرب البرية
وكل امرئ رهن بنيته وفي * كفالة ما ينوي وما في العقيدة

(وليكن) هذا آخر باب الأسد الصالح والجمل الأمين الناصح والعاقبة للمتقين والله الموفق والمعين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خير أنبيائه أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

(الباب التاسع في ذكر ملك الطير العقاب والطائفتين الناجيتين من العقاب)

(قال) الشيخ أبو المحاسن من هو لثوب الفضل كاس ولكاس الظرف حاس وفي حدائق الأدب أزكى آس ولأحداق الأدباء أذكى آس وفي عيون الأعداء أنكى آس فلما أنهى الحكيم حسيب كلامه الذي استبد در النسيب وذكر من النصائح والحكم عن ملوك العرب والترك والعجم ومن مباحث الجن والإنس ما حصل للسامعين به النشاط والأنس ثم استطرد إلى فوائد البهائم والوحوش ورقم في دار ضرب البلاغة

من

وبعد قصده وعواقب إهماله قال الملك للغراب بل برأيك وعقلك ونصيحتك ويمن طالعك كان ذلك فإن رأي الرجل الواحد العاقل الحازم أبلغ في هلاك العدو من الجنود الكثيرة من ذوي البأس والنجدة والعدد والعدة وإن من عجب أمرك عندي طول لبثك بين ظهراني البوم تسمع الكلام الغليظ ثم لم تسقط بينهم بكلمة قال الغراب لم أزل متمسكا بأدبك أيها الملك أصحب البعيد والقريب بالرفق واللين والمسالمة والموافاة قال الملك أصبحت وقد وجدتك صاحب العمل ووجدت غيرك من الوزراء أصحاب أقاويل ليس لها عاقبة حميدة فقد من الله علينا بك منة عظيمة لم نكن قبلها نجد لذة الطعام ولا الشراب ولا النوم ولا القرار وكان يقال لا يجد المريض لذة الطعام والنوم حتى يبرأ ولا الرجل الشره الذي قد أطمعه سلطانه في مال وعمل في يده حتى ينجزه ولا الرجل الذي قد ألح عليه عدوه وهو يخافه صباحا ومساء حتى يستريح منه قلبه ومن وضع الحمل الثقيل عن يده أراح نفسه ومن أمن عدوه ثلج صدره قال الغراب أسأل الله الذي أهلك عدوك أن يمتعك بسلطانك وأن يجعل في ذلك صلاح رعيتك ويشركهم في قرة العين بملكك فإن الملك إذا لم يكن في ملكه قرة عيون رعيته فمثله مثل زنمة العنز التي يمصها الجدي وهو يحسبها حلمة الضرع فلا يصادف فيها خيرا قال الملك أيها الوزير الصالح كيف كانت سيرة البوم وملكها في حروبها وفيما كانت فيه من أمورها قال الغراب كانت سيرته سيرة بطر وأشر وخيلاء وعجز وفخر مع ما فيه من الصفات الذميمة وكل أصحابه ووزرائه

من حسن الصياغة والرقوش ما قصد له من زواهر كلامه على سكة دينار الفصاحة أحسن النقوش وعقد جواهر نظامه لمفرق العدل في دار الملك اكليل العروش افتقر أخوه الفيل بوجوده وقدمه على جميع خواصه وجنوده وأفاض على حدائق آماله زلال احسانه وجوده وقال له يا نديم الدر وعديم النظير وقديم البر وعظيم الخير قد أفدت حكم سائر الحيوان فكرر علينا من حكم منطق الطير فانتهج الحكيم في الساعه وانتهض ملبيا بالسمع والطاعه ثم انه قال أدام الله ذو الجلال أيام مولانا الامام وشمل بذيل رأفته الخاص والعام بلغني انه كان في ممالك اذربيجان جبل يسامي السماك في السمو ويباري الافلاك في العلو غزير المياه والاشجار كثير النبات والثمار وفي ذيله شجرة قديمة منابتها كريمة أغصانها مهدلة وثمارها مسبلة كما قيل

وفي اعلاها وكر لزوج من الحجل * كان ربا رضوان ابيه الحلال

هو وطنهما المألوف ومقرهما المعروف ورثاه من اسلافهما وعرف الشتاء والصيف من جميع الافهما يدعى الذكر منهما النجدي والانثى غرغرة بنت السعدي ولذلك الجبل جبل مقارن من جهة الشرق يسمى القارن لو قصد البدر دوره او رفع راسه لينظر سوره او يحل فيه شعاعه ونوره لوقع عن قمة راسه طرداوره في قلته سرير عقاب منيع الجناب هو ملك الطيور والجوارح وسلطان السوانح والبوارح وصافات تلك القلال وكواسر هاتيك الجبال كلها تحت أمره العادل العال متوج فوق راسه باكليل ما يبرزه من مثال فكانت الحجلتان كلما فرختا وقاربت افراخهما الطيران عزم ابو الهيثم الكاسر بما معه من عقابين كواسر وجوارح الطيور ومن تحت أمره من الجمهور على النزهة والاصطياد فتهبط عساكره بتلك النواحي والبلاد فكانوا كلما وطئوا ارضه وعدها وسلكوا ما بين اكنافها وبطونها ونجودها أرسل طراشة العساكر الى الجبل الذي فيه وكر الحجل فتذهب أفراخهما تحت السنابك وتحصل تحت أقدام اولئك فتقع الحجلتان في النكد والاحزان وبالجهد والمشقة البالغة يتخلصان هما من تلك الداهية الثاكلة والنائبة الدامغة فلم يزالا في نكد على فقد الولد فاتفق ان في بعض الايام وقد أثر فيهما هذا الايلام يا هم فيه من النكد لفقد الولد المتجدد على طول الامد فقال النجدي لبنت السعدي قد كبرنا وضاع العمر وهنا وقاربت شمس عمرنا الافول واقدام بقائنا ان تزل وتزول (شعر)

وليس لنا من يذكر الله بعدنا * اذا ما انتهينا في مغالب فقدنا

ولا من يحيي نشر آثارنا اذا طوى الموت بساط اعمارنا وقد قضينا العمر في الانكاد بفراق الاولاد ثم بعد الحياة يخفى اسمنا وينطمس بالكلية رسمنا فلا سلالة تنميه ولا ذرية تحييه واي منامع فراق قرة العين تحصر ساعة على وجه المذلة والشين وما النظر في هذا الدهر الطبر الا من جمع المال من حله وغير حله وتركه بعد النكد البليغ والحرص الى غير أهله فصار كما قيل

تؤديه مذموما الى غير حامد * فيأكله عفوا وانت دفين

ولا طاقة لنا في دفع جيش العقاب ولا حيلة في الخلاص من عقاب هذا العقاب فذهب اكثر العمر في هذا الويل واشتبه الناس علي طريق السبيل وان غفلنا عن انفسنا مع الحاسدونا وطرحونا الى مهاوي التدمير علينا من العدم طاحونا فالرأي عندي ان نترك هذا الوطن ونرحل الى مكان لا نرى فيه هذا المحن فانه لم يبق لنا طاقة على فراق الولد ولا قلب يحتمل هذا الحزن والنكد

ذاب قلبي بين دمع وضرم * فارحموني أنا من لحم ودم

وذلك لان الحياة بلا نسل ولد ولا لقاء حبيب بلا كبد قالت لقد أعربت عما في فكري وشرحت ما كان يجول في صدري وهذه شكاية قد اعياني في دائها الدواء و بلاء ما في كلانا فيه سواء

الحزن شعار بلا ساق ولا عضد * ولا عيش بلا قلب ولا كبد * في مثل ما بك يا حمامة فابكي

شبيه الا الوزير الذي كان بشيرها مبرقتلي فانه كان حكيما أديبا فيلسوفا ماز ما طالما ماري مثله في علوالهمة وكمال العقل وجودة الرأي قال الملك واي خصلة رأيت منه كانت أدل على عقله قال خلتان أسداهما رأيه في قتلي والاخرى انه لم يكن يكتم صاحبه نصيحته وان استقلها ولم يكن كلامه كلام عنف ولكنه كلام رفق ولين حتى انه ربما أخبره ببعض عيوبه ولا يصرح بحقيقة المسائل بل يضرب له الامثال ويحدثه بعيب غيره فيعرف عيبه فلا يجد ملكه الى الغضب عليه سبيلا وكان مما حفظته يقول الملك انه قال لا ينبغي للملك ان يغفل عن أمره فانه أمر جسيم لا يظفر به من الناس الا القليل ولا يدرك الا بالحزم فان الملك عزيز فمن ظفر به فليحسن حفظه وتحصينه فانه قد قيل انه في قلة بقائه بمنزلة قلة بقاء الظل عن ورق النيلوفر وهو في خفة زواله وسرعة اقباله وادباره كالريح وفي قلة ثباته كاللبيب مع اللئام وفي سرعة اضمحلاله كحباب الماء من وقع المطر فهذا مثل أهل العداوة الذين لا ينبغي أن يغتر بهم وان هم اظهروا تودداً وتضرعاً * انقضى باب البوم والغربان (باب القرد والغيلم) * (قال) دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل الرجل الذي يطلب الحاجة فاذا ظفر بها أضاعها قال الفيلسوف ان طلب الحاجة أهون من الاحتفاظ بها ومن ظفر بحاجته ثم لم يحسن القيام بها أصابه ما أصاب الغيلم قال الملك وكيف كان ذلك قال بيدبا زعموا ان قردا كان ملك القردة يقال له ماهر وكان قد كبر وهرم فوثب عليه قرد شاب من بيت المملكة فتغلب عليه واخذ

وقد قالت
ولم يعرف حرارة ما اعاني * سوى قلب كواه ما كواني

وانا لم ازل قط في وقت من هذا الفكر الذي اوجبه الهم والمقت واعلم ان سهام آراء العقلاء ونبال افكار ذوي النظر من الحكماء انما تصدر من قوس واحده وتتوجه الى غرض طريقته غير متعدده وقال العقلاء واولوا التجارب من الحكماء بل اطبق ارباب العقول وائمة الدين واصحاب الاصول ان قضايا العقل كلها صادقه واسنتها في احكامها بالصواب والاصالة ناطقه غير ان كثيرا ما تشتبه القضايا العقليه لسوء التصور بالقضايا الوهميه فيقع الخطأ بواسطة الوهم في الفهم وينسب الى العقل ذلك السهو والا فاتفاق العقلاء جميعا ان القضايا العقلية لا يقع فيها الخطأ قطعا وان قضايا الحس لوقوع الاشتباه واللبس بتصورانها حق ويقضى لها وعليها بالصدق واذا وقع الخطأ لحصول الاشتباه وعدم التأمل والانتباه في القضايا الحسيه والقضايا التي هي بحاسة البصر مرئيه كما وقع ذلك في حادثة الطريقة البغداديه فوقوع الخطأ بالوهم اولى في القضايا العقليه لان طرقها اخفى واحكامها معنويه فسأل الذاكر عن تلك البغداديه وما هذا الخبر (قالت) كان في مدينة السلام بغدان امرأة من المخدرات اخدان اسم زوجها زيد وهي ام عمرو وذات كيد لها عدة اخدان تدعو الكل بالاخوان وكل ينشد في السر والاعلان قوله

دعتني اخاها ام عمرو ولم اكن * اخاها ولم ارضع لها بلبان

فاتفق ان زوجها زيد دعاه امير البلد الى الصيد فركب معه وسار وخلت منه الديار فتسامع بذلك بعض اخدانها فتوجه منهم طائفة الى مكانها فاول من سبق تاجر ذو شبق فدخل بثياب بيض وشاش عريض وهيئة نظيفه وصورة ظريفه فاسرع في الدخول ومعه ما يليق من المأكول فتلقته بالترحاب واخذا في لذيذ الخطاب فما استقر به القرار حتى قرع قارع باب الدار فظنته زوجها وحققته بوجهها فنهض خائفا وغير راجفا وطلب مكانا يخفيه وكنا يأويه فلم يكن في دارها خبأ لزوارها سوى طفيسي لطيفه بعيد اليها من سقيفه فارشدته اليها فرقي عليها وبادرت الى الاقفاف فاذا هو حريف صراف دققت الاغلاق وتعانقا تعانق المشتاق فدخل بهيئة زهراء بلباس اخضر وعمامة خضراء ومعه من الحلوى جمع ومن الزجاج اربع فلما تهيئا كران الحوادث اذ طرق الباب ثالث فقالت هبط اوجى وجاء زوجي فوثب في رجفه كانه ورقة سعفه فسأل عن مخباه ومستر يغشاه فارشدته ربة المكر الى طريق الطفيسي فصعد اللاحق ولحق السابق وبادرت الرتاج ربة التاج وام الازواج فاذا هو احد الظرفاء وثالث الحرفاء رجل زيات ومعه جميع سكرنبات فتلقته بالتكريم واجابته بالتسليم فدخل بثوب اصفر وشاش معصفر فشرعا في الملاعبه والملاطفه والمداعبه فدق الباب رابع الاصحاب فبادر الزيات الفرار وطلب محلا للقرار فدلته في المفر الى المعهود المقر فصعد اليه ولحق بصاحبيه وتوجهت الى الباب فاذا هو احد الاصحاب وهو رجل قصاب وعليه ثياب سود وخفه المعهود وعلى راسه مئزر قين وبيده خروف سمين فقالت اهلا وسهلا وارفع محلا بالحبيب النجيب والبعيد القريب فدخلا واشتغلا بالخطاب والنهيا عن رتاج الباب وكان في تلك المحله شخص اسمه سبال يدخل البيوت ويتجسس فلا يمنع من ذلك ولا يزجر ويلاطفه الاكابر والاعيان ولا يحتجب منه النسوان فمر على باب زيد فرآه لا اغلاق ولا قفل فدخل على غفله ولم يستأذن اهله فلم يشعر به الا داخلا وركابه فوجم لرؤية القصاب وخاف من دخول مصاب وتشور وانحرف فقالت له المرأة لا تخف انما هو اخي مستتر في المحله فاخذوا يتلاطفون ويتمازحون ويتظارفون الى ان قرب الليل وفات النيل فطرق الباب ووصل الزوج بلا ارتياب فلم يشعروا الا والبلاء قد اقبل ومصائبهم العظام قد اكتنفهم فنزل فاختبطوا واختلطوا وانحلت قواهم وارتبطوا وطلب القصاب مخبا فارقته للطفيسي دربا وطلب الاسدب من شر زيد الهرب فكان في

مكانه فرجع هارب باهلي وجهه حتى انتهى الى الساحل فوجد شجرة من شجر التين فارتقى اليها وجعلها مقامه فبينما هو ذات يوم يأكل من ذلك التين اذ سقطت من يده تينة في الماء فسمع لها صوتا وايقاعا فجعل يأكل ويرمي في الماء فأطربه ذلك فأكثر من طرح التين في الماء ثم فيلم كلما وقعت تينة اكلها فلما كثر ذلك ظن ان القرد انما يفعل ذلك لاجله فرغب في مصادقته وانس اليه وكلمه والف كل واحد منهما صاحبه وطالت غيبة الغيلم عن زوجته فجزعت عليه وشكت ذلك الى جارة لها وقالت قد خفت ان يكون قد عرض له عارض سوء فاغتاله فقالت لها ان زوجك بالساحل قد الف قردا والفه القرد فهو مؤاكله ومشاربه وهو الذي قطعه عنك ولا يقدر ان يقيم عندك حتى تحتالي لهلاك القرد قالت وكيف اصنع قالت جارتها اذا وصل اليك تمارضي فاذا سألك عن حالك فقولي ان الحكماء وصفوا لي قلب قرد ثم ان الغيلم انطلق بعد مدة الى منزله فوجد زوجته سيئة الحال مهمومة فقال لها الغيلم مالي اراك هكذا فاجابته جارتها وقالت ان زوجتك مريضة مسكينة وقد وصف لها الاطباء قلب قرد وليس لها دواء سواه قال الغيلم هذا امر عسير من اين لنا قلب قرد ونحن في الماء ولكن ساحتال لصديقي ثم انطلق الى ساحل البحر فقال له القرد يا اخي ما حبسك عني قال له الغيلم ما حبسني عنك الا حيائي فلم اعرف كيف اجازيك على احسانك الي واريد ان تتم احسانك الي بزيارتك لي في منزلي فاني ساكن في جزيرة طيبة الفاكهة فاركب ظهري لاسبح

ارض

ارض البيت تنور فنزل فيه وهو مضرور وغطته بغطائه وسترته ببعض وطائه واراب زيد الفتح في ابطائه ثم توجهت الى الباب وهي في اضطراب فدخل زيد وهو سكران ومن تأخير فتح الباب غضبان وكان قد تناول مع مخدومه واصبت بشيخ عقله بنت كرومه فلما نزل عن السرج رأى الزوجة في هرج ومرج فانكر حالها وسألها ما لها فقالت كرهت فقدك وخاطري عندك فلا ذقت بعدك ولا عشت بعدك فقال تكذبين اي دفار بل تسخرين بي اي بخار انما انت في حركه فلا طرح الله فيك بركه فقالت انت مجنون واي حركة عندي تكون فشرع في حربها واستطرد من سبها الى ضربها وعزم على تفتيش البيت والاطلاع على ما فيه من كميت وكميت فخشيت ان يخرج امرها عن دائرة الستر الى لو كان وليت فتداركت التفريط قبل وقوعه وبادرت الى تلافي التلاف بالهيت فتشكت من الاذى وقد تناولها بالضرب والبذا ورفعت يدها الى الدعاء بالنداء وقالت الهي وسيدي وسندي ومعتمدي ان كنت تعلم اني مظلومة وبراءة ساحتي عندك معلومة فانزل الي املاك من ملائكة رحمتك يخلصوني من هذا الظلوم ويكشف ستر هذا السر الموهوم فبادر التاجر بالانتهاض ونزل بقبابه البياض ودخل عليه وقبض على اذنيه وصفعه على خديه وقال اتركها يا ظالم فانك متعد آثم وهي بريه وتماثلها زوجتك وضربه ضربتين واتبعه لكمتين ثم أم الباب وترك الاصحاب وشرع في الذهاب فلما رأى هذا زيد عرف انه خديعة وتوكيد وقال يا افحش الفواحش وانهش النواهش تريدين خدعي وتعري وخذلي وختري وتخفين عما تخفين ختلي ومكري اوانت بحريف انه التعريف ثم زاد في سبها وعاد الى كمها وضربها فقالت يا الهي وسيدي وجاهي ان كنت تعلم ان هذا الانام انكر الحق ورآه ما صدق فانزل عليه ملكا آخر ذا بطش اشد باخذ حقي منه ويكشف ستري عنه فقال المرفاه وكانوا ارفاء للصيرفي قم غير مشفق وشدد عليه وأوصل الالم اليه فنهض في ذلك المعلم وبادر الى السلم ونزل اليه ودخل عليه وقال يا كثيف يا ذا الاعارض ضعيفة الاستار فانهال به وعما فعله عرّيه وملأ به تكمه وبالغ في سبه وشتمه ثم خرج من الدار وبالغ في الفرار فقال يا الدرية من ذي القبيلة الناس واحد وانت باثنين وقد جعلت زوجك ذا القرنين ثم اخذ العصا وضربها ضربا من عصى فقالت يا اله العالمين تعلم ان هذا من الظالمين اعد لي يا الهي الاصفر صاحب الدرع والمغفر والثوب المعصفر يبرئ ساحتي ويبدي راحتي فاني مظلومه وقضيتي معلومه فقال الجزار للزيات قم ارنا الكرامات وقدم من مغانك وهات فنهض الزيات ونزل الى ذلك المقتات وقال ايها الاثيم كف عن الحريم وارجع عن لوم البرئ واقصر ايها الجسور المفتري ثم تناوله بعصاه الى ان آلم قفاه ثم تركه في المركة وخرج هاربا وقصد جانبا فقال زيد يا أوسخ القحاب واوسخ ذوات السحاب تعدين من رفاقك واعدا واعدا وتعرضينهم علي صادرا وواردا ثم عرتني بالعصا وتناولها ما فاتها وما رخصا فنادت وآدت وبادت ونادت الهي هذا لم يعتبر بالائك الكرام ولم يزدجر بهذا الضرب والايلام فامدد في ذلك النيران الزنجي الاسود الثعبان يجبره بصدقي ويأخذ منه حقي ويفعل معه ما يجب فان راجعك لم يغني فاعظم القصاب ان يشير كرعد السحاب واخذ في الاضطراب والاصطخاب واسرع في السلم الانصباب فلما سمع زيد العياط والبلاط وزعاج الهياط والعياط بهت وأخذه الاختلاط فدخل عليه في بشره وغدره وزايد صورة بشعة منكره وشدد من يده العصا وضربه ضربا شديدا وقال اي اخس ذميم وانحس زنيم اما يجيرك ونهالك وكهالك وكفالك من تقدم من الاملاك ايم الله ان لم تتركها وفي مالك ومنالك تشركها لادمرن ديارك ولاعفون آثارك ثم تركه وذهب واودعه جمر اللهب فلما رأى الحال تمشت على هذا المنوال استكان وطلب الامان ومد عنقه وضم يديه ورجليه وحل بقاوه من الم الضراب وقال كان الدعاء في هذه الساعة مستجاب ثم قال من شدة كربه وحرقة قلبه الهي

بك فرغب القرد في ذلك ونزل فركب ظهر الغيلم فسبح به حتى اذا سبح به عرض له قبح ما اضمر في نفسه من الغدر فنكس رأسه فقال له القرد مالي اراك مهتما قال الغيلم انما همي لاني ذكرت ان زوجتي شديدة المرض وذلك يمنعني من كثير مما اريد ان ابلغه من كرامتك والاطافة بك قال القرد ان الذي اعرف من حرصك على كرامتي يكفيك مؤنة التكلف قال الغيلم اجل ومضى بالقرد ساعة ثم توقف به ثانية فساء ظن القرد وقال في نفسه ما احتباس الغيلم وابطاؤه الا لامر واست آمنا ان يكون قلبه قد تغير لي وحال عن مودتي فاراد بي سوءا فانه لا شيء اخف واسرع تقلبا من القلب وقد يقال ينبغي للعاقل ان لا يغفل عن التماس ما في نفس اهله وولده واخوانه وصديقه عند كل امر وفي كل لحظة وكلمة وعند القيام والقعود وعلى كل حال فان ذلك كله يشهد على ما في القلوب وقد قالت العلماء اذا دخل قلب الصديق من صديقه ريبة فليأخذ بالحزم في التحفظ منه وليتفقد ذلك في لحظاته وحالاته فان كان ما يظن حقا ظفر بالسلامة وان كان باطلا ظفر بالحزم ولم يضره ذلك ثم قال للغيلم ما الذي يحبسك وما لي اراك مهتما كانك تحدث نفسك مرة اخرى قال يهمني انك تاتي منزلي فلا تجده امري كما احب لان زوجتي مريضة قال القرد لا تهتم فان الهم لا يغني عنك شيئا ولكن التمس ما يصلح زوجتك من الادوية والاغذية فانه يقال ليبذل ذو المال ماله في ثلاثة مواضع في الصدقة وفي وقت الحاجة وعلى النساء قال الغيلم صدقت وقد قالت الاطباء انه لا دواء لها الا قلب قرد فقال

وعولاى كما استجبت دعاءها استجب دعاى وكما أنزلت من السماء لنصرها ملوكها فاخرج لها من الارض عفريتا ينكها ولكن ذلك إجراي من عيني وامامي حتى يسكن قلبي ويبرد أوامي فاستصدق صاحب التنور حين سمع الدعاء المذكور والنداء المقبول المشكور حتى طفر من بحيه كالشواظ المسجور وأقام امامها وهو المصاب واستعمل من قواعد النحو الرفع والجر والانتصاب ورفع العمودين وأوجبه الضراب ولازال ذلك الامام يتردد في البيت الحرام وقد نال في الحرم أمنا حتى رمى الجمرات وأمنى ثم قبل فاها وخرج مسرعا من ذراها وخلى الدار تنعى من بناها ففتح بدعائه وصاق حواليه ثم قال يا اقدر القصاب هكذا يكون الدعاء المستجاب (وانما أوردت) هذا الكلام والتمثيل لك يا امام ليتبين لكل عالم همام وليتبصر أولو العقل والافهام الفرق ما بين قضايا الحس والعقل والاوهام وقد شبها العقل بجبل عال عزيز المنال وكل من قصد الصعود اليه والارتقاء عليه لا يصعده الا من طريق واحده منها يوصل منه الى الفائده وسلوك طريق المعاشرة مع العقلاء وذوي الآراء والاذكياء في العداوة والصداقة والكدرة والرياقه واللطافة والكثافه والخوف والرجاء والابتداء والانتهاء انما هو من باب مقصد لامن طريق متعدد ولاجل هذا يا متبصر سلوك مثل هذه الطريق معهم مقيس لامتعوج ولا متعسر ورأس خيط هذه الامور بالاستقامة والصلاح مضبوط بخلاف الجهال والخلعاء والحمقى والسفهاء فان أمورهم منفرطه وأفكارهم وآراءهم غير منضبطه فتتكدر شوار العقلاء في تعليمهم ويعاطيهم الفكر في تهذيب أخلاقهم وتأديب سفيههم وقيل

انى لآمن من عدو عاقل ✽ وأخاف خلا يعتريه جنون

والعقل فن واحد وطريقه ✽ أدرى وأرصد والجنون فنون

ولهذا قيل معاداة العاقل خير من مصافاة الجاهل ثم قالت غرغره في أثناء هذه القرقره وأما ما ذكرت من البيان من مفارقة الاوطان وترك هذا المكان أما سمعت حديثا شرف جنس الانسان ان حب الوطن من الايمان وقد ألفنا وطننا وحببه وقلع أصول محبته من قلوبنا صعبه وهو في معزل عن طرق الجوارح ومكمن عن السوانح والبوارح وانما قرض لاولادنا الآن الآفه من تراكم الحساكر الصائلة وما يحصل من أقدامها من كثافه وأنا أخاف ان انتقلنا من هذا الوطن يخرج من أيدينا هذا السكن ولا نحصل على مأوى يليق أولا توافقنا الغربة أو يمنع مانع في الطريق فنقصد الربح فيذهب رأس المال فنخسر ما في أيدينا في الحال ولا يحصل المأمول في الاستقبال وكيف وهو مسقط رأسنا ومحل انسنا وأناسنا فالاولى بنا الرضاء والانقياد لاوامر القضاء وملازمة الوطن القديم والسكون تحت تقدير العزيز العليم وقد قيل انما يشقى العاقل اذا ترك مشتهيات نفسه وقيد شهواته في قيد حبسه ولا بد للرجل من ترك المراد وللقانع من قطع النظر عن الازدياد والحرية في رفض الشهوات وكل ما هو آت آت وأما وقائع الاولاد وحصول الانكاد وما يقع منهم بسببهم في كل أوان فحسبها الحدى ما يحدث لنا من نوائب الزمان ونحن بل كل المخلوقات عرضة للنوائب والآفات وطعمة انياب المقدور ونهبة حوادث الدهور ولو انتقلنا عن وطننا وتحولنا عن سكننا وابعدنا عن هذا الجانب ونزعنا عن الاهل والاقارب وجاورنا الاباعد والاجانب لا يطيب لنا مقام وتتكدر أوقاتنا على مر الايام فلا نزال بين تذكر الوطن المألوف وتحن الى الصاحب المعروف فيسهل عند هذه الانكال مفارقة الاطفال ثم اعلم أيها الصاحب الاعظم انه لو تيسر لنا مع الانتقال انتظام الامور واستقامة الاحوال وحفظت الاولاد وزالت الانكاد وصفا الوقت وزال المقت فان الخاطر يشتغل ونار القلب بسببهم تشتعل فانه من حين وجود الولد يتقيد بتعهده القلب والجسد وتنصرف الهمة الى القيام بصالح معاشه الى حين ترعرعه وارتياشه ويزداد القلب تعلقا بمحبته ويتقيد الخاطر بالالتفات الى عمل مصلحته ويتضاعف ذلك يوما فيوما وشهرا فشهرا وعاما

القرد في نفسه وأسوأتاه لقد أدركني المرض والشره على كبر سني حتى وقعت في ورطة واقد صديق الذى قال بيش القائم الراضي مستريح امطمئنا وذو المرض والشره يعيش ما عاش في تعب ونصب واني قد احتجت الى عقلي في التماس المخرج مما وقعت فيه ثم قال للغيلم وما منعك أن تعلمني عند منزلي حتى كنت أحمل قلبي معي وهذه سنة فينا معاشر القردة اذا خرج أحدنا لزيارة صديق خلف قلبه عند أهله أو في موضعه لننظر اذا نظرنا الى حرم المزور وليس قلوبنا معنا قال الغيلم وأين قلبك الآن قال خلفته في الشجرة فان شئت فارجع بي الى الشجرة حتى آتيك به ففرح الغيلم بذلك ثم رجع بالقرد الى مكانه فلما قارب الساحل وثب عن ظهره فارتقى الشجرة فلما أبطأ على الغيلم ناداه يا خليلي احمل قلبك وانزل فقد حبستني فقال القرد هيهات أتظن أني كالحمار الذى زعم ابن آوى أنه لم يكن له قلب ولا أذنان قال الغيلم وكيف كان ذلك (قال) القرد زعموا انه كان أسد في أجمة وكان معه ابن آوى يأكل من فواضل طعامه فأصاب الاسد جرب وضعف شديد وجهد فلم يستطع الصيد فقال له ابن آوى ما بالك يا سيد السباع قد تغيرت أحوالك قال هذا الجرب الذى قد أجهدني وليس له دواء الا قلب حمار وأذناه قال ابن آوى ما أيسر هذا وقد عرفت بمكان كذا حمارا مع قصار يحمل عليه ثيابه وأنا آتيك به ثم دلف فدعا ما الى الحمار فأتاه وسلم عليه فقال له مالي أراك مهزولا قال ما يطعمني صاحبي شيئا فقال له وكيف ترضى المقام معه على هذا قال فمالي حيلة

فعاما فان نابه والعياذ بالله شر او الم او اصابه ضرر او سقم التهبت عليه الجوارح وانقلبت الهموم على القلب والجوانح فان آل ذلك الى موت واستحال وجوده الى عدم وفوت فهو المصيبة العظمى والطامة الكبرى وان سلم من هذه العاهات وبلغ سن الادراك سالما من الآفات ونشأ الى ان شاب من صغر الخافات ازدادت كلفته وتضاعفت مؤنته وركب والداه في ذلك كل صعب وذلول وذهبا من مسالك الكد والكدح في كل عرض وطول وتحملا انواع المشاق والآثام وارتكبا فيما اكتسباه من الحلال والحرام وهذا اذا كان مطيعا ولاوامرهما منقادا سميعا واما اذا ركب جموح العقوق ونسي ما لهما عليه من حقوق فهي مصيبة اخرى وداهية كبرى وبه عبر كما قيل

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى * عدوا له ما من صداقته بد

وعلى كل تقدير وانت بها خبير وبدقائقه عليم ان الاولاد بين الابوين وبين الآخرة سد فعلم ما يجاوز مع الالتفات اليهم قطعه ولاهل الانقطاع منهم الى طريق الآخرة استطاعه وتامل يا ذا الذكاء والفطنة اخبار من انقذك من هذه المحنة انما اموالكم واولادكم فتنة فاسمع هذا الكلام باذن التحقيق واسلك في سبر معانيه اوضح طريق وحقق يا ذا الارشاد ان وجود الاولاد عند ذوي البصيرة من النقاد نقد مزيف ومتاع مزخرف وسم تحت حلوى وسرور فوق بلوى وعارية مردوده ومدة اوقات معدوده وايام محدوده بل لعبة من خشب مموهة بالذهب وطلاء من زنجار على كوب من فخار وقد نبه على هذا رب العباد بقوله انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد وكان الاطفال الصغار الغافلين عن دقائق الاسرار اذا نظروا الى اللعبة المزينة والتشبيهات المصنعة المقصوصه التهوا بها عن اكتساب الآداب وملازمة العلماء والمشايخ بالكتاب فيلعبون وهم جاهلون وعن طرق اكتساب الكمال ذاهلون ويشيبون وهم اطفال ويتصورون انهم طاهرون وهم انجاس كذلك كل من التفت الى غير الله خاطره والتهت بامور الدنيا من المال والولد سرائره وضمائره حرم من الاطلاع على دقائق الملك والملكوت وفاتته لذات الوقوف على دقائق الرغبوت والرهبوت فهو عن الله تعالى محجوب وفي عساكر الاموات وان كان سما محسوب كما قيل

وفي الجهل قبل الموت موت لاهله * واجسادهم دون القبور قبور

وان امرأ لم يحي بالعلم قلبه * فليس له حتى النشور نشور

قال الله تعالى وكلمته العليا المال والبنون زينة الحياة الدنيا وهذا صريح الشهادة على ما نقلته وجلوت صدا قلبك بنوره وصقلته فلا تكونن لاه ولا تعلقن قلبك بغير الله قولا واعتقادا وعملا فالباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا واجتهد يا حبيب في اصلاح قلبك الكليم واسمع ما قال الحكيم العليم مقرر زاجر من نكاية العذاب الاليم عاملا بما يرضي السميع العليم يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم واذا علمت هذا وحققته وسبرته وصدقته فاعلم ان الاولى بحالنا والاحسن للنظر في مآلنا ان نعد ما نحن فيه من جملة النعم وان هذا الذي قسم لنا من القسم في القدم ولا ننتقل عن دائرة الرضا والتسليم قدما عن قدم وننظر ما يتولد من حوادث الزمان ولا نرخي في ميدان الطمع العنان ونحرص على جامع الخاطر ما قال الشاعر

كم نار بادية شبت لمقتري * على بقاع وكم نور بلا ثمر

مرت بك الامور انت تنكرها * فالدهر يأتي بانواع من العبر

قال العبد جميع هذا القول صادر من موارد المعقول موافق لما ورد به المنقول انما غصت في بحر الفطنة على جواهر الحكمة فما تركت في ميدان المسائل مقالا لقائل ولا جوابا لسائل ولكن لا ينبغي للعاقل ان يغفل عن حوادث الدهر ولا يستند لظهور اكاذيب الدهر فان طوارق الآفات وخوارق

في الهرب منه فلست اتوجه الى جهة الا ضربني انسان فكدني واجاعني قال ابن آوى فانا ادلك على مكان معزول عن الناس لا يمر به انسان خصب المرعى فيه اتان لم تر عين مثلها حسنا وسمنا وهي محتاجة الى الفحل قال الحمار وما يحبسنا عنها فانطلق بنا فانطلق به ابن آوى نحو الاسد وتقدم ابن آوى ودخل الغابة على الاسد فاخبره بمكان الحمار فخرج اليه فاراد ان يثب عليه فلم يستطع لضعفه وتخلص الحمار منه فافلت هلعا على وجهه فلما رأى ابن آوى ان الاسد لم يقدر على الحمار قال له اعجزت يا سيد السباع الى هذه الغاية فقال له ان جئتني به مرة اخرى فلن ينجو مني ابدا فمضى ابن آوى الى الحمار فقال له ما الذي جرى عليك ان الاتان لشدة غلمتها وهيجانها وثبت عليك ولو ثبت لها لالانت لك فلما سمع الحمار بذكر الاتان هاجت غلمته ونهق واخذ طريقه الى الاسد فسبقه ابن آوى الى الاسد واعلمه بمكانه وقال له استعد له فقد خدعته لك فلا يدركنك الضعف في هذه النوبة فانه ان افلت فلن يعود معي ابدا فجاش الاسد لتحريض ابن آوى له وخرج الى موضع الحمار فلما بصر به عاجله بوثبة افترسه بها ثم قال قد ذكرت الاطباء انه لا يؤكل الا بعد الغسل والطهور فاحتفظ به حتى اعود فآكل قلبه واذنيه واترك ما سوى ذلك قوتا لك فلما ذهب الاسد ليغتسل عمد ابن آوى الى الحمار فاكل قلبه واذنيه رجاء ان يتطير الاسد منه فلا يأكل منه شيئا ثم ان الاسد رجع الى مكانه فقال لابن آوى اين قلب الحمار واذناه قال ابن آوى الم تعلم انه لو كان له قلب واذنان لم يرجع اليك بعد ما افلت

العادات وصحن الزمان وفتن الدوران مختفية وراء أستار ومستورة في أنواع أطوار والفلك الدوار له في علم الادوار امهات أبكار يبرزها للنظار فتلعب بالافكار ويذهب في سنا برق مخارفها أبصار الابصار ويخطئ في حركاتها الرأي المصيب ويدهش في دجى حنادسها الفطن الاريب وقد بادت الفكر وعجزت القوى والقدر وحارت عقول البشر دون ادراك ما يبرزه كل وقت من الصور من وراء ستر الغيب مستعدا للقضاء والقدر ولم يعهد من الدهر الخؤون والزمان الحرون اذا استقام او قزل او جد او هزل او أمر بنازل فنزل او ولى او عزل او اقبل او اعتزل او نقض او غزل ان يرسل قبل ذلك منذرا او مبصرا او محذرا ليستيقظ النائم او ينهض الجاثم او يتحرك القائم وانما يحطم بغتة ويهجم في سكتة ويأخذ على بهتة فلا يفات منه فلتة ولا يمهل الى لحظة ولا لفتة وقد قيل

يا راقد الليل مسرورا بأوله * ان الحوادث قد يطرقن أسحارا
لا تركنن لليل طاب أوله * فرب آخر ليل أوقد النارا

وعلى هذا الوقع مفاجأة او ذهول عند قدوم هذا الجيش المهول فالحزم والمعاذ بالله واحد الا منا ونحن احسن ما نكون سكونا وامنا فكيف ترين يبقى حال الآخر وهل يصير الا كما قال الشاعر

ما حال من كان له واحد * يؤخذ منه ذلك الواحد

واذا بقي أحدنا منفردا وانعزل متوحدا ماذا يفيده الوطن والجيران والسكن وهل تفي لذة وصال الف سنة بألم فراق تلك الساعة الخشنة كما قيل

ان كان فراقنا على التحقيق * فذي كبدي أحق بالتمزيق
لو دام لنا الوصال ألفي سنة * ما كان يفي بساعة التفريق

(وقال أيضا) لا كان في الدهر يوم لا أراك به * ولا بدت فيه لا شمس ولا قمر

وكل من لم يتفكر في العواقب قبل حلولها ويتأمل في تداركها بقدر الطاقة قبل نزولها ويطمئن الى سكون الزمان ويستند ظهره الى مسند الحدثان ويحيل الكوائن على القضاء والقدر ويرفع يد التدبير عن تعاطي أسباب الحذر كان كمن ترك احدى زاملتيه فارغة وحشا الاخرى من الاحجار الثقيلة الدامغة فأنى يستقيم حمله او يبلغ منزله فلا يزال حمله مائلا وخطوه هائلا فالعاقل يسعى فيما يجلب نفعه ويبذل في ذلك غاية جهده ووسعه ولا يترك الطلب ولا يغفل عن السبب ويعمل بموجب ما قيل

فلا وأبيك لا أدع احتياطي * ومالي في قضاء الله حيله

وعلى كل حال يا ربة الحجال تعاطي الاسباب لا يقدح في الاتكال وناهيك يا مليحة الامل حكاية الحمار مع الجمل فسألت عن غيره ان يبين ذلك ويذكره (قال) بلغني انه ترافق في المسير عير مع بعير فكان الحمار كثير العثار مع ان عينيه تراقب مواطئ رجليه وكان الجمل على عظم هامته وعلو قامته وبعد عينيه عن مواطئ يديه ورجليه لا تزل له قدم ولا يصل اليه ألم فقال الحمار للبعير أيها الرفيق الكبير ما بالي في المسير كثير التعثر دائم الوقوع والزلل والعثار والخطل لا أخلو من تجريد حجر حافر الحافر او عثرة ترميني في حفرة حافر مع ان عيني تراقب يدي ولا تنظر سواهما الى شيء وأنت لا تنظر مواطئ اخفافك ولا تعرف على ماذا تقع رؤس اطرافك لا يعثر بحجر خفك ولا شوكة تخرق كفك ولا حفرة تقع فيها ولا تختل عن طريق تمشيها ولا أدري هذا مماذا قال ابو صابر يا أخي نظرك قاصر وفكرك غير باصر لا تراقب ما بين يديك ولا تنظر ما امامك الا ان تم عليك فاذا دهمك ما دهاك عجزت عنه نهاك فلا تشعر الا وقد وقعت وانخرق ما رقعت فلا يمكنك التدارك والتلافي الا وأنت رهين التلاف وأما أنا فأراقب ما يصير من العواقب وانظر امامي الطريق على بعد فأميز المسلوك من قبل ومن بعد فلا أصل الى صعب الا وقد أذللته ولا الى

وعر الا

ونجا من الهلكة (وانما ضربت لك) هذا المثل لتعلم اني لست كذلك الحمار الذي زعم ابن آوى انه لم يكن له قلب وأذنان ولكنك احتلت علي وخدعتني فخدعتك بمثل خديعتك واستدركت فارط أمري وقد قيل ان الذي يفسده الحلم لا يصلحه الا العلم قال الغيلم صدقت الا ان الرجل الصالح يعترف بزلته واذا أذنب ذنبا لم يستح ان يؤدب لصدقه في قوله وفعله وان وقع في ورطة أمكنه التخلص منها بحيلته وعقله كالرجل الذي يعثر على الارض ثم ينهض عليها معتمدا فهذا مثل الرجل الذي يطلب الحاجة فاذا ظفر بها أضاعها * انقضى باب القرد والغيلم

(باب الناسك وابن عرس)

(قال) دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل الرجل العجلان في امره من غير روية ولا نظر في العواقب قال الفيلسوف انه من لم يكن في امره متثبتا لم يزل نادما ويصير امره الى ما صار اليه الناسك من قتل ابن عرس وقد كان له ودودا قال الملك وكيف كان ذلك (قال) الفيلسوف زعموا ان ناسكا من النساك كان بأرض جرجان وكانت له امرأة جميلة لها صحبة فمكثا زمانا لم يرزقا ولدا ثم حملت منه بعد الاياس فسرت المرأة وسر الناسك بذلك فحمد الله تعالى وسأله ان يكون الحمل ذكرا وقال لزوجته أبشري فاني ارجو ان يكون غلاما لنا فيه منافع وقرة عين اختار له احسن الاسماء وأحضر له سائر الادباء فقالت المرأة ما يحملك أيها الرجل على ان تتكلم بما لا تدري هل يكون أم لا ومن فعل ذلك أصابه ما أصاب

الناسك الذي اهرق على راسه السمن والعسل قال وكيف كان ذلك (قالت) زعموا ان ناسكا كان يجري عليه من بيت رجل تاجر في كل
يوم رزق من السمن والعسل وكان يأكل منه قوته وحاجته ويرفع الباقي ويجعله في جرة فيعلقها في وتد في ناحية
البيت حتى امتلأت فبينما الناسك ذات يوم مستلق على ظهره والعكازة في يده والجرة معلقة على راسه تفكر في غلاء السمن والعسل فقال سأبيع ما في هذه الجرة بدينار واشتري به عشرة اعنز فيحبلن ويلدن في كل خمسة اشهر بطنا ولا تلبث الا قليلا حتى تصير غنما كثيرة اذا ولدت اولادها ثم حرر على هذا النحو بسنين فوجد ذلك اكثر من اربعمائة عنز فقال انا اشتري بها مائة من البقر بكل اربعة اعنز ثورا او بقرة واشتري ارضا وبذرا واستأجر اكرة وازرع على الثيران وانتفع بالبان الاناث ونتاجها فلا يأتي على خمس سنين الا وقد اصبت من الزرع مالا كثيرا فابني بيتا فاخرا واشتري اماء وعبيدا واتزوج امرأة جميلة ذات حسن وادخل بها فتحمل ثم تأتي بغلام سري نجيب فاختار له احسن الاسماء فاذا ترعرع أدبته احسن ادب واشدد عليه في ذلك فانه يقبل مني والا ضربته بهذه العكازة واشار بيده الى الجرة فكسرها فسال ما كان فيها على وجهه (وانما) ضربت لك هذا المثل لكي لا تعجل بذكر ما لا ينبغي ذكره وما لا تدري هل يصح ام لا يصح فاتعظ الناسك
عما كان من زوجته ثم ان المرأة ولدت غلاما جميلا ففرح به ابوه وبعد ايام حان لها ان تتطهر فقالت المرأة للناسك اقعد عند ابنك حتى اذهب

وهو الاوقد سهلته ولا الى زهرة الاوقد عرف طريقها ولا الى عقبة الاوقد كشفت واسعها وضيقها فاستعد للامر قبل نزوله وتأهب للخطب قبل حلوله واحتال لقطعه قبل وصوله واحسم قبل ان يعقد راقمه دون ان يقعد وهذه قاعدة الفقهاء واصل كبير للحكماء من العلماء انهم قالوا ان الدفع اهون من الرفع ومن كلام الالباء واصول حذاق الاطباء قوله

الطب حفظ صحة برء مرض * من سبب في بدن اذا عرض

(وانما) اوردت هذا المثل عن الحمار والجمل لتعلمي يا بنت الجمل انه لا بد لنا من اخذ الاهبة قبل النكبة فما كل مرة تسلم الجرة وقد قربت وقت وضع البيض وبعد بيده منا من نيل السكر الغض فلا بد من اعمال الفكر المصيب في وجه الخلاص من هذا الامر العصيب كما قيل هم لنفسك قبل النوم مضطجعا قالت غرغرة الحكيمة المدبرة جميع هذه الاخبار لا تخلو من دقيق الانظار وتحقيق مصيب الافكار وغامض معاني الاسرار وكل عاقل يقبله ويقبل يديه ويمتثله ويقبل عليه وكل فكره مصيب يجتنى للاقتباس بين يديه ولكن طلاب الاغراض الدنيويه والسارعون الى نيل المرادات والامنيه على فرق شتى وانا اقساما متفاوتة منهم من يبلغ الآمال بقوة الجند وبذل الاموال ومنهم من يساعده الدهر ويعاضده معاون الدهر وينهض له سعد القدر فيقوم معه كل كبير وصغير كما قيل

واذا اراد الله نصرة عبده * كانت له اعداؤه انصارا

فيقيض له المساعد ويسعده الاقارب والاباعد فلا يحتاج الى كبير سعي ولا الى استماع النصيحة ورعي بل يصل الى قصده بدون كده وبغير جهده وجده فهو افضل الحجج وهو اقصد افلح وحجته ارجح وانما مال ارجح ومنهم من يحتاج الى بعض جهد وسعي مديد وكسل طويل عريض وجد عريض غير غريض مع مساعد ناصح ومعاون صالح وتعاطي اسباب وقرع ابواب وتكرر دق ومصدر رفيق حتى يبلغ مراده ويصل الى ما اراده ومنهم من تغلب عليه الجهالة والطمع وشدة الحرص والهلع فيسارع الى نيل ما يرومه فتلقيه في هوة الحرمان حرصه وشؤمه فيقع من التعب والنصب في هوة ويحرم امكانه اعتمادا على ماله من حول وقوة فيصير كما قيل

الحرص قوتي دهري فوائده * فكلما زدت حرصا زادت فوتا

ومنهم من يتقدم بتكاسل ويرجو ويترقب ويتساهل فيحرم قصده ويرتجع عن مراده يده وقد قيل في المثل تزوج التواني بنت الكسل فولد الزوجان الفقر والحرمان فانظر يا ذا الركون والوقار والسكون نحن من اي هذه الفرق نكون وانت تعلم انا لا نقدر على مقاومة العقاب ولا ان ندفع عن انفسنا ما ينزل بنا من عقاب فانه اذا طار العقاب يبلغ الثريا والسحاب ونحن اذا طرنا كنا في الهوى فلا نقدر ان نرتفع عن وجه الثرى وقد قيل في المثل كما ترى اين الثريا من الثرى وقيل من تعاطى خصما هو اقوى منه فقد سعى في هلاك نفسه برجله ووضع تراب الدمار على راسه بيده وكنت بادرت انشدتك من شعري

ومن يتشبث في العداوة كفه * باكبر منه فهو لاشك هالك

وكان مثله مثل النملة الضعيفه التي نبتت لها اجنحة ضعيفه فتحركها الى الطيران فتصورت انها صارت كالنسور والعقبان فبمجرد ما ترتفع من الثرى الى الهواء تلتقمها صغار الطيور او تخطفها اصغر الطيور ولهذا قيل

اذا ما اراد الله اهلاك نملة * اطال جناحيها فسيقت الى العطب

ونحن ما اطلاع على مكامن الغيب ذرة فسلم من هواجس الريب وليس لنا مساعد من الاقارب والاباعد ولا لنا مال ولا خيل ولا رجال ونحن اقل من ان يساعدنا زمان او يعيننا على العقاب اعوان فلم يبق الا الركون والاتكال على حركات السكون فما ندري غدا ماذا يكون واعلم ان حركاتنا مع العقاب

والجامع لنا همه من الاسباب فقصدة في الحقيقة وطريقتنا همه من جنس ماله من طريقه وفي الطريقة وكلانا في اسويه وهومنها كاعجاز القرآن من الفصاحة في الطرف الاعلى ونحن منها كاصوات الحيوان في الطرف الادنى فالاولى بنا الاصطبار الى ان يصل الاسير من عالم الغيب الخبار كما قيل

مولاي يا الصقر كم طائر * خبر بياذ دقائق * زوجت امي لم تكن كفاها * آذنها الله بتطليق

(وقيل) الامر يحدث بعده الامر * والعسر مقرون به اليسر * وحلاوة الصبر ان من عمل تاهي وان حلا رق الصبر * والصبر يعقب بعده شكر * من ذمه تأتيك اواخر

فقال الذكر هذه السكن من الصواب قريب وهو معتمد اولى البصائر والتجارب مصيب ولكن من يتكفل بوفاء العمر المديد والايصال الى الاوطار ويقوم بالامن من حوادث الليل والنهار وانسيت انشادي في الوادي يا زين النادي وجمال الحاضر والبادي

لئن بادرت في اسلم روحي * أتاك من ورائي من يسوق
وان امرعت نحو الوصل عذرا * فعمري من وراظهري يسوق

ثم قال العيني والراي السديد عندي والذي اعتمد فيه رأيي ان نتوجه الى حضرة العقاب وننكشف عن وجه مرادنا لديه النقاب ونطلب منه الامان من عوادي الدهر ونكبات الزمان ونستظل بجناح عاطفته وننتظم في سلك جماعته وخدمته فانه ملك الطيور ورئيس ازمة الجمهور وهو وان كان سلطان الجوارح والكواسر وشيمته مثل الملوك القهر بقوة الناس والنواسر لكنه ملك عالي الهمة ومن شيم الملوك الشفقة والرحمة ولا تقتضي همته العالية الا الشفقة والرافة خصوصا على من يرتمي لديه وينتمي اليه ولا يتعرض لشيء من الاذية وهمته العالية تحمله ونفسه الشريفة الزكية ان يتعرض الى الضعيف او ان يطير البناغه بضر قالت غرفره هذا الاستدراك في الكركرة العجب كل العجب من رايك المنقلب انك تخاط منه الغش بالسمين وتسوق فيه الهوان مع الامين فتارة تبيد جدة الارض واخرى تصرف السهم حيث عرض فتصير كما قيل تلونت حتى لست تدري من الهوى * أريح جنوب انت ام ريح شمال

هذه المصائب التي تشكوها والنوائب التي تقراسورها وتتلوها هل هي غير ما تقاسيه من العذاب ونعانيه من اليم العقاب في كل حين لاننا نتذكر العقاب ثم انك انت تحركت في آرائك وسكنت وشرقت في افكارك وغربت وتباعدت وتقاربت وارتفعت وانخفضت وسقطت وجلت وجبت وقعدت وقمت ثم استقر رايك السديد وفكرك الرشيد ورايك السعيد عن ان تحيل السلاسل الحديد الى العذاب الشديد وتخلصنا فيه الدهر العنيد ولا تريد ان نمشي بارجلنا الى الشبكة ونلقي بايدينا انفسنا الى التهلكة وقد اشبهت في هذه الحركة مالك الحزين بالحركة فقال الذكر لابنة السعدي اربعي وغني فشكوى الجريح الى العقبان والرخم * فقالت له ازال القصد بقص هذه القصة (فقال) كان في بعض المروج من قرى مروج نهر كثير المياه شديد الجريان وفي مكان منه مسكون ماوي لمالك الحزين الباشون فكان يتصرف في السمك ويعيش من ذلك فيما مالك قضى في ذلك عمره وزجى اوقاته في طيب عيش وسروره الى ان ادركه المشيب ورحل عنه العمر القشيب وكساه خياط الدهر دلق ومن زمرة شيبه فدائق ورأى من الكبر اصناف العبر الى ان ضعفت قوته عن الاصطياد وجرى عليه من الآلام والانكاد ومن نوائب الدهر ما الزمان به معتاد فصار يمر عليه برهة من الاوقات وهو عاجز عن تحصيل الاقوات فتوجه في بعض الاحيان وقد علاه كآبة الاحزان ووقف على النهر متفكرا في تصرفات الدهر فرأى سمكة لطيفة الحركة فرآها في ذل الانكسار ساهية في بحر الافكار لا قدرة له ولا حركة ولا نهضة لاختطاف السمكة فلم يلتفت اليها ولا عوّل عليها وقد اوطأته الحوادث اقدام الهموم

(باب الجرذ والسنور) (قال) دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل رجل كثر اعداؤه واحدقوا به من كل جانب فاشرف معهم على الهلاك فالتمس النجاة والمخرج بموالاة بعض اعدائه ومصالحته فسلم من الخوف

الى الحمام فاغتسل واعود ثم انه انطلقت الى الحمام وخلفت زوجها والغلام فلم يلبث ان جاءه رسول الملك يستدعيه ولم يجد من يخلفه عند ابنه غير ابن عرس داجن عنده كان قد رباه صغيرا فهو عنده عديل ولده فتركه الناسك عند الصبي واغلق عليهما البيت وذهب مع الرسول فخرج من بعض احجار البيت حية سوداء فدنت من الغلام فضربها ابن عرس ثم وثب عليها فقتلها ثم قطعها وامتلأ فمه من دمها ثم جاء الناسك وفتح الباب فالتقاه ابن عرس كالمبشر له بما صنع من قتل الحية فلما رآه ملوثا بالدم وهو مذعور طار عقله وظن انه قد خنق ولده ولم يتثبت في امره ولم يتروّ فيه حتى يعلم حقيقة الحال ويعمل بغير ما ظن من ذلك ولكن عجل على ابن عرس وضربه بعكاز كان في يده على ام راسه فمات ودخل الناسك فرأى الغلام سليما حيا وعنده اسود مقطع فلما عرف القصة وتبين له سوء فعله في العجلة لطم على راسه وقال ليتني لم ارزق هذا الولد ولم اغدر هذا الغدر ودخلت امرأته فوجدته على تلك الحال فقالت له ما شأنك فاخبرها بالخبر من حسن فعل ابن عرس وسوء مكافاته له فقالت هذه ثمرة العجلة فهذا مثل من لا يتثبت في امره بل يفعل اغراضه بالسرعة والعجلة * انقضى باب الناسك وابن عرس

وأمن شر من صالحه منهم (قال) الفيلسوف ان المودة والعداوة لا تثبتان على حالة واحدة ابدا وربما حالت المودة الى العداوة وصارت
العداوة ولاية وصداقة ولهذا حوادث وعلل وتجارب وذو الرأي يحدث لكل ما يحدث من ذلك رأيا جديدا اما من قبل
العدو فبالبأس واما من قبل الصديق فبالاستئناس ولا تمنع ذا العقل عداوة كانت في نفسه لعدوه من مقاربته والاستنجاد به على دفع مخوف او جر مرغوب ومن عمل في ذلك بالحزم ظفر بحاجته ومثل ذلك مثل الجرذ والسنور حين وقعا في الورطة فنجيا باصطلاحهما جميعا من الورطة والشدة قال الملك وكيف كان ذلك (قال) بيدبا زعموا ان شجرة عظيمة كان في اصلها جحر سنور يقال له رومي وكان قريبا منه جحر جرذ يقال له فريدون وكان الصيادون كثيرا يتداولون ذلك المكان يصيدون فيه الوحش والطير فنزل ذات يوم صياد فنصب حبالته قريبا من موضع رومي فلم يلبث ان وقع فيها فخرج الجرذ يدب ويطلب ما يأكل وهو حذر من رومي فبينما هو يسعى اذ بصر به في الشرك فسر واستبشر ثم التفت فرأى خلفه ابن عرس يريد اخذه وفي الشجرة بوما يريد اختطافه فتحير في امره وخاف ان رجع وراءه اخذه ابن عرس وان

الكوارث وبدل ربيع شبابه بخريف الهرم وحرارة جوبه ببرودة السلم فوقفت لديه وسلمت عليه وسألته عن موجب تفكره وسبب تحزنه وتحيره فقال تفكرت فيما مضى من الزمان الناضر وما انقضى فيه من طيب العيش وانشراح الخاطر وقد تبدل وجوده بالعدم ولم يحصل من ذلك سوى الذنوب والندم وقد وهنت العظام واستولى على الجسد السقام وتزلزلت اركان الاعضاء وتراكمت فنون الادواء واشتعل الشيب واتقد وحر الآلام وقد

عزمت على انسلاخي روحه * من خرق شيب كل منه الراقع

قالت استكنه باعمارة عمره * قالت فكيف وبيت جسمك واقع

ثم قال ولم افق من هذه السكرة ولا وقعت في هذه الفكرة الا وسفينة العمر بالساحل قد أرست وأصيل شمس العيش على قلة الفناء أمست فما أمكنني الا التلافي بالتوبة والندم قبل حلول نوائب الاجل وزلة القدم والتطهر من جنابة المظالم بماء الاستغفار والاقبال الى جانب الحق بالالحاح في الاستغفار وغسل أوساخ الذنوب والمظالم بدموع الانابة والاعتذار

وما اقبح التفريط في زمن الصبا * فكيف به والشيب للرأس شامل

فعلي ان اجاهد هواي قالع ضرس الآمال والمطامع وجارح مغناي نزع خوافي الشره والهلع وقد قدمت الى هذا المكان لاتحلل من الاسماك والحيتان فاني طالما أغرت على عشائرهم واولادهم وخضت في دماء قلوبهم واكبادهم وشتت شملهم وشوقت بعلهم وقتلتهم وأرعبتهم وارهبتهم وأقلقتهم وفرقتهم وغرقتهم وبالدماء شرقتهم فرأيت براءة الذمة في الاولى أولى والمبادرة بالتوبة قبل المصير الى الاخرى أحرى فلعل احمال الذنوب تخفف وسحائب الغفران تكف فلما سمعت السمكة هذه الندبه ووعت ما فيها من حركة بديعة تشربتها اضلاعها ودعاها انخداعها الى ان قالت فاني أيها العبد الصالح ان أنا طالعة من المصالح فقال ابلغي السمك هذا الكلام بعد ابلاغ التحية والسلام وان يكونوا القوم من بعد اليوم آمنين من سطواتي سالمين من حملاتي ساكنين الى حركاتي بحيث تقبل الظلماء ويعود بيننا الطرب سلما وينام السمك في الماء قالت لابد من أخذ العهود على الوفاء بهذه العقود واقامة المصافاة على المصالحة ثم تأكيد الايمان بخالق الانس والجان ولكن كيف أصافيك وأنا ذليلك واني اتخلص من فيك اذا وضعت قدمي فيك قال لها ترى هذا العلف واربطي به حنكي انا في التلف فاخذت قبضة من الحشيش وقالت والربط فكما قالت فمد ما مد منقاره الى الماء وقربت منه السمكة العمياء لم يقدر ان اقتلعها ثم ابتلعها (وانما أوردت) هذه اللطيفة يا ذا الحركات الظريفة لتعلم ان قربنا من العقاب التي بنا أنفسنا الى أليم العقاب واين عزيمة ملكنا حتى تهدي بنا الى عين الهلاك وشفقت من العقاب وغذاؤه ولما سموه شفاؤه ودواؤه وهل يركن الى العقاب ويؤمن مضرب الرقاب وقد قيل

أنفاسه كسموسه وشميره * دغل وفي ريقه مقام الروح

وقد قيل

انى لك انوال الالاء معنوة * عن فوهة من ناب الليث والظفر

قال الهدهد اعلمي يا قرينة الخير اعلى ان الربيع وقت الربيع تكسو اكناف الانهار من انواع الازهار ووجوه الصحاري والقفار من انوار الانوار ما يدهش البصائر ويروق الابصار وينعش الاجسام ويشفي الاسقام ويبرد الغليل ويبرئ العليل لاسيما وقت السحر ونسيم الصبا فيه وائق يروي القلب والروح ويحيي الصب المجروح وكذلك المرضات النضر والاوائل والعطريات بطيب الروائح ويدل قول الحق في كتابه ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته وفي الصيف الحرور العسوف والسموم العصوف المذيب وفي الشتاء وأيام الخريف الصرصر العنيف يصفر اللون ويغير اللون ويعري الاشجار ويسقط

ذهب يمينا او شمالا اختطفه البوم وان تقدم امامه افترسه السنور فقال في نفسه هذا بلاء قد اكتنفني وشرور تظاهرت علي ومحن قد أحاطت بي وبعد ذلك فمعي عقلي فلا يفزعني امري ولا يهولني شاني ولا يلحقني الدهش ولا يذهب قلبي شعاعا فالعاقل لا يفرق عند سداد رأيه ولا

اشجار ويثير الغبار وربما كانت اعصارا فيه نار وتسقم الصحيح وتطير الهشيم في الريح ومنها الاعجاز
الموحشات والايام الحسومات والقواصف والعواصف والحواصب والمرابيف والصرصر والنكباء والزعزع
والرخاء وقد قال فيها العزيز العليم فارسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم ثم
اعلم يا رب الجمال وفتنة الرجال ان النار تحرق من يقربها وتذهب ما يصحبها وتكشف الطراوة وتشوه
الطلاوة وتلتقم ما تجده وتلتهم وتزدرده وتسود بدخانها وتؤلم الاجساد بقربانها وتمحو الآثار وتهدم
الديار مع انها تنضج الاطعمة وتصلح الاغذية وتهدي النور وتدفئ المقرور وترشد الضال في القفار
ورؤس الجبال قال من يقول للشيء كن فيكون أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن
المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين وكذلك الماء اذا ذاقت الثغر الالمى يذهب الظما ويجلب النما
ويبرد الصدور ويطفئ الحرور وينبت الزروع ويدر الضروع ويحمل المراكب وما فيها من مركوب
وراكب قال القادر على كل شيء وجعلنا من الماء كل شيء حي واذا طغت المياه والعياذ بالله أغرقت المراكب
وخطفت الراجل والراكب واقتلعت الاشجار واقتلعت الاحجار واتلفت الزروع والثمار وان تراكمت
الامطار قطعت سبل الاقطار وهدمت الديار وردمت الآبار ومنعت من ذلك ملابس الاسفار ومجالس
الزينة من اهل الامصار واذا تكاثف الرش غرقت مصر وآذى اهلها العطش ونعوذ بالله من هجوم
السيل في ظلام الليل وكذلك التراب يا زين الاحباب ينبت الحصرم والعنب والثمر والحطب والشوك
والرطب ويشرع سنان الشوك المحدد وغصون السهم المسدد ويربي الورد والازهار والرياحين والانوار
والاقوات والثمار والرياض النضرة والغياض الخضرة ثم اذا ثار وهاج الغبار خرج من تحت الحوافر
فاعمى النواظر ففيه الحلو والمر والزوان والبر والناعم والخشن والقبيح والحسن والارض مهاد وفراش
وفيها اسباب المعاش وهذه المضرة والمنفعة مركبة في هذه العناصر الاربعة التي هي اصل الكائنات
ومنبع ما انشاه من المخلوقات واذا كان ذلك كذلك وقاك الله شر المهالك واوضح لك اوضح المسالك
فاعلمي بالتحقيق يا صاحبة الثغر العقيق ان هذا الملك الاعظم بل كل اولاد بني آدم مركبون من الرضا
والغضب والحلم والصخب والرفع والحط والقبض والبسط والقهر واللطف والظرافة والعنف والخشونة
واللين والتحريك والتسكين والبخل والسخاء والشدة والرخاء والوفاء والجفاء والكدورة والصفاء واعلمي
يا نعم العون وقرينة الصون ان هذا الكون سروره في شروره مندمج ووروده في صدوره مندرج
وصفوه مع كدره مزدوج وجفاؤه بوفائه ممتزج فيمكن ان العقاب لكونه مالك مالك الرقاب مع وجود
هيبته القاهرة وسطوته الباهرة وخلقه الشرس الصعب الشكس اذا رأى ضعفنا وذلنا وانكسارنا
وقلتنا وترامينا اليه وتعولنا عليه يضمنا الى جناح عاطفته ويسبل علينا خوافي رحمته ويعاملنا
بالالطاف ويسمح لنا بالاسعاف دون الاعتساف ويعمل بموجب ما قيل

لكل كريم عادة يستعدها ٭ وانت لكل المكرمات امام

والقادر على الكسر والجبر لا سيما اذا كان من ذوي النباهة والقدر لا يعامل ذوي الكسر بالكسر لانه في
مقام الابناء وهو في مقام الآباء والتقوي على الضعيف ضعف في القوة وقالوا الصغير لا يصغر وتهدد السهو
لا يكرر قالت غرغره ذات التبصرة هذا وان كان داخلا في حيز الامكان لكن اخاف يا ذا الالطاف
انا بمجرد الوقوف بين يديه في الصفوف لا نقدر باداء الكلام ولا للثبات في المقام بل نتواصل بالتمزيق
والتفريق ونضربه في الطريق وتهوي بنا خواطف الطير في مكان سحيق فيفوتنا هذا المطلب اذ قيل
الطمع اغلب وهذا اذا وصلنا اليه وقمنا بين يديه واما اذا اعترضنا دونه عارض وجرحنا من جوارح الطير
معارض ولا حول يحمينا ولا قوة تقينا فينتف ريشنا كل باغ ويتجاذب لحمنا كل طاغ فيصير مثلنا

يرم فيه ذهنه على حال واما العقل شبيه بالبحر الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ البلاء من ذي الرأي مجهوده فيهلكه ويحقق الرجاء ولا ينبغي ان
يمنع منه ما ينفعه ويسكره فيه علام وليست أرى لي من هذا البلاء مخلصا الا مصالحة السنور وانه قد نزل به من
البلاء مثل ما قد نزل بي او دهمه واعلمها ان جميع كلامي الذي أكلمك به ووعظي ونصحي خالي ومحض صدق الذي لا خلاف فيه ولا خداع معه فقهه وطمع في معونتي اياه فتخلص بها ثم ان الجرذ دنا من السنور فقال له كيف حالك قال له السنور كما تحب في ضنك وضيق قال وانا اليوم شريكك في البلاء ولست ارجو لنفسي خلاصا الا بالذي ارجو لك فيه الخلاص وكلامي هذا ليس فيه كذب ولا خديعة وابن عرس ها هو كامن لي والبوم يرصدني وكلاهما لي ولك عدوان انت جعلت لي الامان قطعت حبالك وخلصتك من هذه الورطة فاذا كان ذلك تخلص كل واحد منا بسبب صاحبه كالسفينة والركاب في البحر فبالسفينة ينجون وبهم تنجو السفينة فلما سمع السنور كلام الجرذ وعرف انه صادق قال له ان قولك هذا لشبيه بالحق وانا ايضا راغب فيما رجوتك ولنفسي به الخلاص ثم انك ان فعلت ذلك سأشكرك ما بقيت قال الجرذ فاني سادنو منك
فاقطع الحبائل كلها الا حبلا واحدا ابقيه لاستوثق لنفسي منك ثم اخذ في قرض حبائله ثم ان البوم
وابن عرس لما رايا دنو الجرذ من السنور ايسا منه وانصرفا ثم ان الجرذ ابطأ على روي في قطع الحبائل فقال له ما لي لا اراك مجدا في قطع

مثل

مثل النمس والزاغ فسأل الملك الوقوب تلك المثل كيف هذا المثل أخبريني يا ست الجمل (قالت) كان في بعض البساتين العاطرة والرياض الناضرة مأوى زاغ ظريف حسن الشكل لطيف في رأس شجرة عالية أغصانها سامية وقطوفها دانية فاتفق أن نمسا من النموس في وكره شرور وبؤس فانزعج عن وطنه واحتاج الى مفارقة سكنه فقاده الزمان الى هذا المكان فراقه منظره وشاقه نوره وزهره وأعجبه ظله وثمره واطربه خرير جداوله فعزم على السكنى فيه وتوطن الى أن يتوطن في نواحيه اذ رآه احسن منزل واذا اعشبت فانزل ووقع اختياره ذلك الطائع على وكر في أصل شجرة الزاغ فسوى له وكرا وحفره في أصل تلك الشجرة وراق هذا الشعار واستقرت به هنالك الدار فلما رأى الزاغ هذا الحال داخله الهم والاوجال وخشي ان يتدرج من أدناها ويتدرج الى أعلاها وينشد الاعجاب في هذا الباب

ولما مشى الشوق * الى فوق طوق تدرجت والكن * من شمت الى فوق

فيصل الى وطنه القديم ويذيقه العذاب الاليم فليس له خلاص من هذا الاقتناص الا مفارقة الوطن والانزعاج بالتحول عن السكن وكيف يفارق ذلك النعيم ويسمح بالبعد عن الوطن القديم وهو كما قيل

بلاد بها نيطت علي تمائمي * وأول أرض مس جلدي ترابها

فغلبت محبة وطنه على قلبه ولم يطاوعه على فراقه اشد حبه ثم اعتراه في ذلك الوسواس وأخذ يضرب أخماسا لأسداس في وجه الخلاص من هذا الباس فرأى المدافعة أولى والممانعة عن جواره أطول أجلى ثم افتكر في كيفية المدافعة وسلوك طريق الممانعة فلم ير أوفق من المصانعة وتعاطي أسباب المخادعة ليقف بذلك أولا على حقيقة أمره ويعرف معيار خيره وشره ويصل الى مقدار قوته وضعفه ورجاحة عقله وفهمه وسخفه ويسبر طاق غضبه ورضاه ويدرك غور أحواله ومنتهاه ثم يبني على ذلك أساس دفعه وهدم ما بينه من قاعدة اقامته فهبط الى النمس من الهواء وحفظ شيئا رغابة تنماشيه وسلم عليه سلام المحب على الحبيب وجلس منه بمكان قريب وخاطبه خطاب ناصح لا مريب وابتهج بجواره واستأنس بقرب داره وذكر له انه كان وحيدا وعن الجليس الصالح والانيس الناصح فريدا وقد حصل له الانس بمجاورة النمس وانه صدق من قال في هذا المقال

انفراد المرء خير * من جليس السوء عنده وجليس الخير خير * من جلوس المرء وحده

فاستمع النمس حديث الزاغ وما طوى بصر بصيرته عن مكايده وما زاغ ثم افتكر في نفسه ونظر في مرآة حدسه فرأى ان هذا الطير خبيث السيرة مشهور وبسوء السريرة مذكور لا أصله زكي ولا فرعه علي ولا غاباته مأمونة ولا صحبته ميمونة ولا خير عنده ولا مير بل يخشى منه الضرر والضير وكانه فيه قيل

وهو غراب البين في شؤمه * لكن اذا نسبنا الى الحق زاغ

ولم يكن بينهما قط علاقة ولا واسطة محبة ولا صداقة وأما العداوة فانها مستحكمة وكل منا للآخر ما كان وطعمه ولا شك انه ما قصد الا ريقته ومكيدة تمكنه فان انتهزت فيه الفرصة اطلقت النفسه ووقعت من الندامة في قبضة وحسه ولا يفيدني اذ ذاك الندم اني وقد فات المطلوب وزلت القدم واحزم الحزم سوء الظن بالناس فالذي يقتضيه الحزم والرأي السديد والعزم الفريد هاهنا الى ان يظهر ما لديه ثم وثب من بيته وانشب في الزاغ مخالب مقيته وقبضة قبضة أعمى لا كالقابض على الما فلما رأى الزاغ هذا النكد وانه قد صار كالفريسة في مخالب الاسد ناداه يا كريم الخير ويا منيع الجار الطالع عن الضير انا رغبت في مصادقتك وسألتك مصافاتك وموافقتك ومرافقتك واردت ازالة وحشتك ومؤانستك بامداد شتك وحاشاك ان تخيب ظني فيك وتعامل بالجفاء من يوافيك وانشد

وحاشاك ان تقضي بموتك مهرتنا * وما شيمن الاعراض عن وجوهك الحسن

بما أني فان كنت قد ظفرت بها بمثلك فتبرت عما كنت عليه وثوابت في مباحثي فما ذاك من فعل العاقلين فان الكريم لا يتوافق في حق صاحبه وقد كان الا شفق ساق مودة من الفائدة والنفع ما قد رأيت وانت حقيق ان تكافئني بذلك ولا تذكر العداوة التي بيني وبينك فالتي حدثت بيني وبينك من الصلح حقيق أن ينسيك ذلك مع ما في الوفاء من الفضل والاجر وما في الغدر من سوء العاقبة فان الكريم لا يكون الا شكورا وغير حقود تنسيه الخلة الواحدة من الاحسان الخلال الكثيرة من الاساءة وقد يقال ان أعجل العقوبة عقوبة الغدر ومن اذا تضرع اليه وسئل العفو لم يرحم ولم يعف فقد غدر وقال الجمهور ان الصديق صديقان طائع ومضطر وكلاهما يلتمسان المنفعة ويحترسان من المضرة فأما الطائع فيسترسل اليه ويؤمن في جميع الاحوال وأما المضطر ففي بعض الاحوال يسترسل اليه وفي بعضها يتحذر منه ولا يزال العاقل يرتهن منه بعض حاجاته لبعض ما يتقي ويخاف وليس عاقبة التواصل من المتوصل الا طلب عاجل النفع وبلوغ مأموله وانا وافيتك بما سألتك وتحترس منك مع ذلك من بعض أنا فيستلك ان تصدق مقالتك بالبراني تتوقع الي منك استئناف وأملك الى قول ذلك مني فان لكل عمل حينا فما لم يكن منه في حينه فلا حسن لعاقبته وانا قاطع حبائلك كلها غير اني تارك عقدة واحدة أرتهنك بها ولا أقطعها الا في الساعة التي أعلم انك فيها عني مشغول بذلك عند ما يتقي الصياد ثم ان الجرذ أخذ في قطع حبائل السنور فبينما

والكرام لا يعاملون الجلساء الا بالمؤانسة وحسن الوفاء والابقاء على خير وابعد من الضير وانا قد صرت جليسك وجارك وانيسك وقد قيل

وكنت جليس قعقاع بن شور * ولا يشقى بقعقاع جليس

مع انه لم يسبق مني سبب عداوة ولا ما يوجب هذه الفظاظة والقساوة وهذه اول نظرة فما موجب هذه البدرة وما سبب هذه النفرة قال النمس ايها الزاغ الكثير الروغ والخبيث الباغ والخبيث الطاغ اسكت يا طق انك منافق ومخبر صادق اذ هو في الخارج للواقع مطابق ورؤيتك شاهدة انك تنقض المعاهدة وعين منظرك دل على مخبرك وقد قيل

والعين تعرف من عيني محدثها * ان كان من حزبها ام من اعاديها

ومن اين بيننا صداقة ومتى كان بين النموس والزاغ علاقة وكيف تنعقد بيننا صحابة واني يتصل اخاء ومودة او قرابة بين لي كيفية هذا السبب ومن اين هذا الاخاء والنسب اما انت فلي طعمه واما انا فلمي اسدي ذلك لحمه يسوءني ما يسرك وينفعني ما يضرك الله يعلم انا لا نحبكم * ولا نلومكم ان لا تحبونا

انا واقف على ما في ضميرك وعالم بسوء فكرك وتدبيرك قد اطلعت منك على الهواجس كما اطلع ذلك الماشي على ما في خاطر ذلك الفارس قال الزاغ بين لي بلا جدال كيف هو هذا المثال (قال) النمس ذكر رواة الاخبار ونقلة الآثار انه ترافق في بعض المناسب راجل وراكب وكان مع الراجل من البضائع رزمة وقد حملها كارة وحزمها واوثق حزمه وقد اعياه حملها حتى اعجزه ثقلها فقال للراكب ايها الرفيق الصاحب لو ساعدتني ساعة بحمل هذه البضاعة لكنت ارحتني ونفست عني وشرحتني

كذي الجد يحمل اثقاله * قوي العظام حمول الكاهل

قال الفارس لا اكل فرسي ولا اتعب نفسي ونفسي فان مركوبي لم يقطع الطريق علقه وانا خائف ان لا يقطع بي طريقه واذا خفت تخلف في سيري فاني اتكلف حمل اثقال غيري فبينما هما في هذا الكلام اذ لاح ارنب في بعض الآكام فاطلق العنان وراء الارنب وذهب وراءها كراي الزنادقة كل مذهب فوجد فرسه قويا قد نهضه سريعة الركضة فراى انه اضاع حزمه في عدم اخذه الرزمة وما ضره لو اخذها وساق وذهب الى بعض الآفاق واقام بها اوده وانتفع بها وولده وترك الماشي بلا شي ثم رجع بجهده القية الضاره ليحمل عن الماشي الكاره وقال له اعطني هذا الحمل المتعب لا رجعك من حمله في هذا المذهب وابلغ رفيقك واقطع طريقك فقال له قد علمت بتلك النية وما اضمرت من بليه فاتركني بحالي فلي حاجة بحالي ثم ان النمس كسر الزاغ وحصل له باكله الفراغ (وانما اوردت) هذا المثال لتعلم يا عقل الرجال ان العقاب لا يؤمن ولا يقطع فيه بالظن الحسن ولا يركن الى خطفة بوارقه بحسب صواعقه وصواعقه ولا الى غوائله وبوائقه وهذا ان سلمت شقة ما بيننا من تشقيق غواشيه وتخلص بردو جودنا من تمزيق حواشيه وان بيننا وبين هذا المراد خرط القتاد والموانع التي هي دون سعاد فما الوصول الى ملك الطير قريب التناول في السير ولا سهل المأخذ ولا سريع المنفذ واين الجل من العقاب ذلك في زمائم النعيم وهذا في عقاب العقاب فتدبر عاقبة هذا الامر وتامل في الفرق بين التمر والجمر والظاهر عندي وما ادى اليه فكري وجهدي ان عاقبة هذه الامور ليس الا القطوع والقصور دون الوصول الى الملك في القصور قال الذكر اقد كررت عليك مرارا واسندت الى سمعك انشاء واخبارا ان علو همة هذا الملك وفضله الخالي عن شرك وكرم نجاره وامن نفاده وجاره وفيض احسانه وبسط كرمه وامتنانه وانتشار صيت حشمته واشتهار رافته ورحمته لا يقتضي حرمان من قصده وام جنابه واعتمده وطالب جناح عاطفته وتشبث بذيل ملاطفته وحاشا ان يهم مصون همته بابتذال دناءة ويشوه جمال وفائه ان ترفق له

هو كذلك اذ وافى الصياد فقال له السنور الآن جاء الجد في قطع حبالي فاجهد الجرذ نفسه في القرض حتى اذا فرغ وثب السنور الى الشجرة وعلى دهش من الصياد ودخل الجرذ بعض الاحجار وجاء الصياد فاخذ حبالته مقطعة ثم انصرف خائبا ثم ان الجرذ خرج بعد ذلك وكره ان يدنو من السنور فناداه السنور ايها الصديق الناصح ذو البلاء الحسن عندي ما منعك من الدنو الى لاجازيك باحسن ما اسديت الى هلم الي ولا تقطع اخائي فانه من اتخذ صديقا وقطع اخاءه واضاع صداقته حرم ثمرة اخائه وايس من نفعه الاخوان والاصدقاء وان يدك عندي لا تنسى وانت حقيق ان تلتمس مكافاة ذلك مني ومن اخواني واصدقائي ولا تخافن مني شيئا واعلم ان ما قبلي لك مبذول ثم حلف واجتهد على صدقه فيما قال فناداه الجرذ رب صداقة ظاهرة باطنها عداوة كامنة وهي اشد من العداوة الظاهرة ومن لم يحترس منها وقع موقع الرجل الذي يركب ناب الفيل المغتلم ثم يغلبه النعاس فيستيقظ تحت فراسن الفيل فيدوسه ويقتله وانما سمي الصديق صديقا لما يرجى من نفعه وسمي العدو عدوا لما يخاف من ضرره والعاقل اذا رجا نفع العدو اظهر له الصداقة واذا خاف ضر الصديق اظهر له العداوة الا ترى تتبع البهائم امهاتها رجاء البانها فاذا انقطع ذلك انصرفت عنها وربما قطع الصديق عن صديقه بعض ما كان يصله فلم يخف شره لان اصل امره لم يكن عداوة فاما من كان اصل امره عداوة جوهرية ثم احدث صداقة لحاجة حملته على ذلك فانه

اذا زالت الحاجة التي جاءت على ذلك زالت صداقته فتحولت عداوة وصار الى أصل أمره كالماء الذي يسخن بالنار فاذا رفع عنها عاد باردا وليس من أعدائي عدو أضر لي منك وقد اضطرني وإياك ما ترى الى ما أحدثناه من الصداقة وقد ذهب الامر الذي احتجت الى واحتجت اليك فيه وأخاف أن يكون مع ذهابه عود العداوة ولا خير للضعيف في قرب العدو القوي ولا للذليل في قرب العدو العزيز ولا أعلم لك قبلي حاجة الا أن تكون تريد أكلي ولا أعلم لي قبلك حاجة وليس عندي بك ثقة فاني قد علمت أن الضعيف المحترس من العدو القوي أقرب الى السلامة من القوي اذا اغتر بالضعيف واسترسل اليه والعاقل يصالح عدوه اذا اضطر اليه ويصانعه ويظهر له وده ويريه من نفسه الاسترسال اليه اذا لم يجد من ذلك بدا ثم يعجل الانصراف عنه حين يجد الى ذلك سبيلا واعلم أن سريع الاسترسال لا تقال عثرته والعاقل يفي لمن صالحه من أعدائه بما جعل له من نفسه ولا يثق به كل الثقة ولا يأمنه على نفسه مع القرب منه وينبغي أن يبعد عنه ما استطاع وأنا أودك من بعيد وأحب لك البقاء والسلامة ما لم أكن أحبه لك من قبل ولا عليك أن تجازيني بمثل ذلك في الأفعال ذلك اذ لا سبيل الى اجتماعنا والسلام

* انتهى باب الجرذ والسنور (باب ابن الملك والطائر فنزه) قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل أهل الترات الذين لا بد لبعضهم من اتقاء بعض (قال) بيدبا زعموا أن ملكا من ملوك الهند كان يقال له بريدون وكان له طائر يقال له فنزة وكان

نبكته حقا فتحب ربابه خصوصا اذا رأى من ضيع العبوديه والقيام برسم الخدمات الادبيه والقيام بمراكز مراضيه والوقوف عند كل ما يشتهيه ويرضيه فاني بحمد الله تعالى أعرف مداخل الامور ومخارجها ومعدني الاستعداد الكامل لصعود معارجها وأعلم طرق الجواز الى مقاصدها وسلوك دروبها وطرقاتها فالاولى ان تقتصر عن المحاوره وتكتفي بجفوة المساورة في المشاوره وتتوكل على مقلب القلوب وتتوجه نحو هذا المطلوب بعزم شديد وحزم سديد فان تيسر لي ملاقاة حضرته والتشرف بمراكز خدمته وحصلت لي مشاهدته واتفقت مخالطته ومعاهدته أنشأت خطبة تدفع المطلوب وتجمع القلوب وتؤلف بين المحب والمحبوب وأرجو ان تكون تلك الخطبة لصالح الدين والدنيا جامعه فان كان غير ذلك فقد قيل في المثل

ذا رجز لكنه لا يحل * وأطنب لكنه لا يمل

وآخر الامر حلت غرفة زمام انقيادها اليه وحولت في عمل الصالح عليه ثم قالت له مثل واسلم وتيقن واعلم انك اذا قصدت خدمة الملوك واردت في طريق مصاحبتهم السلوك فالمحتاج في ذلك المنهاج الى نور وسراج يهديك الى صفات جليله وقابس خصائل نبيله تعلي شموسها وتعلي بكمالها وتحلي في ثمان خلالها الاولى ان تقدم في جميع مصادرك ومواردك مراد الملك على جميع مقاصدك الثانية ان تتلقى أموره بالتعظيم وتقيم أوامره بالاحترام والتفخيم الثالثة تحسين أقواله وتزين أفعاله بوجه لا يتطرق اليه تشويه ولا يحتاج فيه الى تنبيه الرابعة تجتهد في صيانة عرضك عن الخنا واياك ان تقول في حضرته أنا فتقع في العنا الخامسة ان تدعو على الدوام ومرور الايام لخدمتك الوافره ومقولك المتكاثره عن حقوق نعمه قاصره السادسة اذا رفعتك منزلة فلا تدهشك منزلة القرب بل اطلب ان يلك العفو في الحال عفوه واقصد مراحمه وعفوه فان الذنوب اذا تراكمت وتجمعت وتزاحمت أثبتت المزلة المهينه وفاحت روائحها المنتنه والانسان غير معصوم والآدمي بالخطا موسوم السابعة احفظ وجهك في حضرته عن التقطيب وكلامك ان يخرج مخرج غير الطيب الثامنة اياك ومصادقة أعدائه ومعاداة أوليائه التاسعة كلما زادك رفعة وتقريبا مل الى التواضع واعتقاده تهذيبا العاشرة لا تبد مرعه نفسه واقصد في الخلوة بما لا يؤدي الى الفضيحه واذا أقامك في أمر فلا تخونه الشيء على الجر لا تطلب منه اجرا ولا تبد للاخذ ذكرا فان الطمع يورث العقوق والمن يتدرج الحقوق واعلم ان حضرة الملوك مقدسه ومجالسهم مصونه منزهة عن الكذب والغيبة والنميمه والاقوال الوضيعه والافعال الذميمه واياك ان تتعدى القواعد المرعيه وتتخطى القوانين السلطانيه فان أعظم ما كان ان يعرف كل انسان قدره وتقصر نفسه في خدمة مخدومه ويعترف له من احسانه بعمومه ويقيم واجب مملكته ومقام مرسومه قال الهدهد أخبريني يا عدتي وحظي وسعدي وابنة السعدي ومزينة القواعد بشيء من تلك القواعد (قالت) من القواعد المرعيه الدائرة بين البريه ما وضعها بعض الملوك وجعل رعيته فيها على السلوك وكان مشهورا بالعدل والاحسان مذكورا باقامة البرهان متصفا بالصفات الحميده مكتنفا بالشمائل السعيده من الدين والعفه وعدم الطيش والخفه بعقل راجح الكفه والعلم الوافر والحلم الظاهر وذلك انه في بعض الايام أمر ان يجتمع الخواص والعوام ما بين أمير ووزير وكبير وصغير وغني وفقير وجليل وحقير وعالم وجاهل ومفضول وفاضل ومذكور وخامل وناظر وغافل وعالم وعاطل وحاكم وقاض وساخط وراض وجندي وتبع وأخرق وصنع ووضيع وشريف ولطيف وكثيف وثقيل وخفيف وقريب وبعيد ومقبول وطريد وشقي وسعيد وسوقة وتاجر وسفيه وفاجر ودان وقاص وطائع وعاص وصالح وطالح وضاحك وكالح ومصيب ومخطي ومسرع ومبطي وصياد وملاح وصائح وسباح وبادي وفلاح ومالك وسالك ومملوك ومالك بحيث لا يتخلف عن الحضور أحد ولا يجري في التقاعد والعدو وله

ثم مهد لهم في روض أريض ومرج طويل عريض تصفق مياه أنهاره طربا وتناغي بأطيب الألحان فصحاء أطياره الخطباء وتتراقص بزهر الوقت أغصان أشجاره ويلتذ بفواكه الجنان جاني ثماره فهو كما قيل

يلتذ جانيه بأنعم مقتطف * منه وساكنه بأكرم معطف
والورق بين تخافق في جوه * طربا ومشط عليه مرفرف

وأمر بفرش ذلك المكان بالفرش الحسان من الديباج والحرير وأطلق مجامر الند والعبير وبين لكل مقاما معلوما ومجلسا مقسوما وأحل كلا منهم محله وأسبغ عليهم ذيل احسانه وظله ثم أمر بأنواع الأطعمة المقدرة وأصناف اللذائذ الطيبة العاطرة فاحضرت في أواني الفضة والنضار ووضعت بين يدي أولئك الحضار بحيث عمت الجميع ووسعت الشريف والوضيع وجلس الملك في مجلس السلطنة واكتنفه من الصناديد الميسرة والميمنة وأخذ كل مكانه ورتب أصحابه وأعوانه ثم أقام عليهم أرباب الديوان وأدخل جميعهم في دفاتر الحسبان وأمر مناديا ينادي برفع صوته الندا في ذلك الجمع بحيث شمله من الجميع النظر والسمع يا أهل هذا المكان برز مرسوم السلطان ان كل من هو في مرتبه من مرضاة أو متعبه لا يلاحظ من فوقه ولو انه من أمير أو سوقة بل يلاحظ حال من هو دونه فانه كانت منزلته أو متبوعه فان ذلك أجمع للقلوب وأدعى للشكر المطلوب وأجلب للرضا بحوادث القضا فان من رأى نفسه في مقام ونظر غيره في أدنى من ذلك المقام استقام وكانت عنده منزلته عليه وعد انفسه على غيره مزيه فتوطنت نفسه على الرضا واستقبلت بالشكر وارد القضا مثال ذلك الرئيس النازل في الصدر اذا رأى من هو دونه في القدر لم يشك في ان محله محل البدر وباقي الرؤساء كالنجوم فلا يأخذه لذلك وجوم وقد قال العلي القيوم في دركلامه المنظوم وما منا الا له مقام معلوم وكذلك النائب بالنسبة الى الحاجب والدوادار بالنسبة الى البزدار والزردار بالنسبة الى حاملي الدراهم والدينار والمقدار بالنظر الى السائس والبرقدار وكذلك السائس بالنسبة الى الحارس وكاتب السر المرتفع بالنسبة الى المدبر والموقع والزمام بالنظر الى سائر الخدام وأيضا القاضي مع الفقيه والفقيه مع التاجر النبيه والتاجر مع السوقي السفيه والغني والأمير بالنسبة الى المأمور والفقير وعلى هذا القياس أوضاع جميع الناس من أرباب الصنائع وجلاب البضائع وأهل المدن والقرى وذوي البيع والشرا والوهد والذرا وأولي الوضاعة والشرف من أنواع المكتسبات والحرف الى أن ينزلوا في المراتب ويتدرجوا من اليفاع الى الحضيض في المناصب ويتعاونوا في المناصب والمناقب ويصل قدرهم ونظرهم في ذلك الى كل ذي فضل سني حالك كأرباب المظالم وأصحاب الذنوب والجرائم فينظر المعتوب حاله بالنسبة الى المضروب والمشتوم حاله بالقياس الى حال المكلوم والصحيح بالنسبة الى حال الجريح ويلاحظ مضروب العصا حال المسلوخ بالمقارع ومضروب المقارع أحوال مقطوع الأكارع وكذلك المقطوع بالنسبة الى مصلوب الجذوع والمصاب بالمال بالنسبة الى مصاب البدن والأعرج بالنسبة الى المقعد الزمن وكذلك العوران بالنظر الى مصاب العميان وليتأمل الناظر ما قاله في ذلك الشاعر

سمعت أعمى مرة قائلا * يا قوم ما أصعب فقد البصر
أجابه أعور من خلفه * عندي من ذلك نصف الخبر

ولكن هذه القواعد مستمرة العوائد بين الصادر والوارد اعلم ان مصائب قوم عند قوم فوائد فاستمرت هذه القوانين مستعمله غير منسية ولا مهمله من زمان ذلك السلطان الى هذا الزمان وانظر أيها الفضيل الى معنى ما قيل في هذا القبيل وهو

على كل حال ينبغي الشكر للفتى * فكم من شرور عن سرور تجلت
وكم نقمة عند القياس بغيرها * ترى نعمة فاشكر لدى كل نقمة

له فرخ وكان هذا الطائر وفرخه يلتقطان بأحسن منطق وكان الملك يحبهما محبة زائدة فأمر بهما أن يجعلا عند امرأته وأمرها بالمحافظة عليهما واتفق ان امرأة الملك ولدت غلاما فألف الفرخ الغلام وكلاهما طفلان يلعبان جميعا وكان فنزة يذهب الى الجبل كل يوم فيأتي بفاكهة لا تعرف فيطعم ابن الملك شطرها ويطعم فرخه شطرها فأسرع ذلك في نشأتهما وزاد في شبابهما وبان عليهما أثره عند الملك فازداد لفنزة اكراما وتعظيما ومحبة حتى اذا كان يوم من الايام وفنزة غائب في اجتناء الثمرة وفرخه في حجر الغلام فذرق في حجره فغضب الغلام وأخذ الفرخ فضرب به الأرض فمات ثم ان فنزة أقبل فوجد فرخه مقتولا فصاح وحزن وقال قبحا للملوك الذين لا عهد لهم ولا وفاء ويل لمن ابتلي بصحبة الملوك الذين لا عهد لهم ولا حرمة ولا يحبون أحدا ولا يكرم عليهم الا اذا طمعوا فيما عنده من غناء واحتاجوا الى ما عنده من علم فيكرمونه لذلك فاذا ظفروا واحتاجتهم منه فلا ود ولا اخاء ولا احسان ولا غفران ذنب ولا معرفة حق هم الذين أمرهم مبني على الرياء والفجور وهم يستصغرون ما يرتكبونه من عظيم ويستعظمون اليسير اذا خالف فيه أهواؤهم ومنهم هذا الكفور الذي لا رحمة له الغادر بالفه وأخيه ثم وثب في شدة حنقه على وجه الغلام ففقأ عينه ثم طار فوقع على شرفه المنزل ثم انه بلغ الملك ذلك فجزع أشد الجزع ثم طمع ان يحتال له فوقف قريبا منه وناداه وقال له انك آمن فانزل يا فنزة فقال له أيها الملك ان الغادر مأخوذ بغدره وانه ان أخطاه

(وانما) اوردت هذه الامثال واطلت النفس في بيان هذه الاحوال لتأخذ منها حظك وتكررها فيما اوردته حفظك وتجري بها الليل والنهار الفلك حتى تصلح لمنادمة الملك ولا يليق بذيل مكانك من الحساد مرتبتك وترقى بأي مقام أقامك فيه وتعلم انه اعلى مقام ترتضيه حيث هو لك يرتضيه وتحصل مورد اسائلك ومقصد حاجاتك في طلبك رضاه ما كنت انشدتك اياه من قديم الزمان وأنا على الاثر هو

واعلى مقاماتي واسنى وظائفي ٭ واحسن امالي الذي انت ترضاه

فقال الذكر ما احسن عقد هذه الدرر ولقد افصحت اذ نصحت وزينت عباينت بقرالك الله خيرا وكفاك ضيرا فقد اتفق على ان اقتدي بآثارك واهتدي بأنوارك فسار تجبر مرانك وافوز بحسناتك واحسانك اقد جمعت بين فصاحة النقل ورجاحة العقل ومزجت روح الحصافة ببدن الظرافة وجلوت صورة النصيحة في حلة اللطافة ثم انهما توكلا على العزيز الوهاب وقصدا حضرة ملك الطير العقاب فواصلا السير بالسرى واستبدلا السهر بالكرى ولم يزالا في سير جد وطلب مكد بين الادلاج والدلجة مقارنين حتى وصلا الى جبل قارن وكان عند العقاب احد المقربين من الحجاب يقرقف البوح تقوا البوم احسن منظرا من الطاوس صورته محموده وسيرته مشهوده وهو من اولئك الطير مشكور الاحوال مشهور بالطير وفيه من المعرفة والدين والعقل الرصين والرأي المتين ما يصلح ان يكون به مقتدى السلاطين وعنده من الوقوف على دقائق الامور ما فاق به الجمهور وساد به على سائر الطيور وكان صيته قد اشتهر حتى ملأ البدو والحضر فترك الهدهد بنت السعدى في مكان وقصد الوزير هذا ما له من شان فوصل الى جنابه واتى بيته مقصده من بابه حتى دخل عليه وقبل يديه وقال لديه فرحب به الوزير واستقبله واشار بتقريبه منه وازال دواعي الوحشة عنه واقبل عليه بكليته وزاد في اكرامه وتحيته وسأله عن مقصده وجرائره وما سبب تجشمه في قدومه ومن اين حل ركابه وما قصده وطلابه فانشد بديها ولم يقل ابتداء فيها هانا مقتديا

اتيتك قصدا بي الدهر من كل مطلب ٭ والقصد عندي بانك رائش

فتجبري مستمسك بعرى لك مفرط ٭ وفي قصتي طول كما انك ناعش

ثم قال اعلم ايها الرئيس المعظم النفيس ان مولدي في جبل من جبال اذربيجان في مكان يباهي الجنان ويباهي روضة رضوان انزه من عنفوان الشباب وافكه من معاقرة الاتراب وارفه من منادمة الاحباب على رقيق الشراب نشأت فيه مع قرينة طول امنه فقضيت فيه غض العمر وزجيت فيه دون الدهر فاذا عما تيسر من الرزق فارغ عما في ايدي الخلائق متمسكا بذيل العزلة ابعد الانفراد نعمة جزيلة مكررا دروس ثلاثة تقيم النفس القرينة الصالحة والجار المؤنس والكفاف من القوت ومما كنت انشدت وفي مثله اري ارشدت

وحسب الفتى قوت ونزل وزوجة ٭ ليرتاح في الدنيا ويكتسب الاخرى

وكنت من الدهر على هذا اقتصرت ومن لذيذ العيش على القناعة اختصرت ولكن كان ماوانا ومعيشتنا وشتاتا محل الحوادث ومحط الحوائث والعوائق ومهب العواصف الصعبة ومورد الواطئ عروق يدفعنا كالولد النامولود وشدة دلنا بالبهجة والابتهاج وحصل لامن قرة والروح مسرة فقول هذا يوم ذكرنا بعدنا ونحي آثارنا عند سلوانا لهذا فلم يكن اسرع من هبوب عاطف او هبوب ريح تكبة عاصف تحدرانه من بيننا وغيب من قبلنا وعيننا فاذ سلم من تلك المكائد وتخلص من سموم المصائب والشدائد حطت عساكر الملك المنصوره وملأت الاقطار الجنود الموفوره فلا يخلو منها مكان قدم الاوقد اخبرت في تلك الايام فقاسيت مفارقة البين وتدهلت فاغلقت الرجلين وهذا هو البلاء العام والمصاب التام ولا بد منه في كل عام فكأنه ايها الوزير النبيل في شأننا قد قيل

اياابن آدم لا يغررك عافية ٭ عليك شاملة فالعمر معدود ٭ ما انت الا كزرع عند خضرته

فاجل العفو بقل بخافة الاجل حتى انه يدرك الاعقاب واعقاب الاعقاب وان ابنك غدر بابي فهات له العقوبة قال الملك لعمري قد غدر بابنك وتثبت منافليس لك قبلنا ولا لنا قبلك وترى مطلوب فارجع البنا آمنا قال فنزة استر ابعم الملك ابدا فان ذوي الرأي قد نهوا عن قرب الموتورة فانه لا يزيدك لطف الملك وده وانه وتكرمته اياك الا وحشة منه وسوء ظن به فانك لا تجد للحقود الموتور امانا هو اوثق لك من الذعر منه ولا اجود من البعد عنه والاحتراس منه اولى وقد كان يقال ان العاقل يعد ابويه اصدقاء والاخوة رفقاء والازواج الفاء والبنين ذكرا والبنات خصماء والاقارب غرماء ويعد نفسه فريدا وانا الفريد الوحيد الغريب الطريد قد تزودت من عندكم من الحزن عبئا ثقيلا لا يحمله معي احد وانا ذاهب فعليك مني السلام قال له الملك انك لو لم تكن اجتزيت منا فيما صنعناه بك بل كان صنيعك انما من غير ابتداء منا بالغدر كان الامر كما ذكرت واما اذا كنا نحن بدأناك فما ذنبك وما الذي يمنعك من الثقة بنا هلم فارجع فانك آمن قال فنزة ان الاحقاد لها في القلوب مواقع ممكنة موجعة فالالسن لا تصدق في خبرها عن القلوب والقلب اعدل شهادة من اللسان على القلب وقد علمت ان قلبي لا يشهد للسانك ولا قلبك للسانك قال الملك الم تعلم ان الضغائن والاحقاد تكون بين كثير من الناس فمن كان ذا عقل كان على اماتة الحقد احرص منه على تربيته قال فنزة ان ذلك لكما ذكرت ولكن ليس ينبغي لذي الرأي مع ذلك ان

(٢١ فاكهة)

بكل شي من الآفات مقصود * فان سلمت من الآفات أجمعها * فانت عند كمال الامر محسود

فضاق بنا هذا المكان ثم أراد فراق من مفارقة السكن والمهاجرة من الوطن فعرضت على القرينة هذه الحال واشرت عليها بالارتحال وقلت لها المرء من حيث يوجد لا من حيث يولد فاستوكبت وشاققت في ذلك ونبت فلا زلنا نتحاور ونتشاور ونرمي كل منا سهم رأيه ان يساور حتى لانت اخلاقها الصعبة ودانت الشماس في الجنبة ثم اعطت القوس باريها وسلمت الدار بانيها وادركت من ملامح مقاصدي معانيها وسمحت بالانتقال من تلك البلاد وسلمت الى يد تدبيري زمام الانقياد فرحلنا من شقة بعيدة وقاسينا شدة شديدة وقصدنا هذا الحرم اذ رأيناه مشتملا على اللطف والكرم وقطعنا شباك مصايد وخلصنا من اشراك كل صائد وفطمنا انفسنا عن حبات الطمع وشربنا من كاسات الجزع واقداح الفزع جرعا بعد جرع فوصلنا بحمد الله الى هذا الملك الامين وبشرنا بشر الاقبال انك لكل خير ضمين فحمدنا عند صباح الفلاح السرى وانشدنا لسان السعد مبشرا

وجدت من الدنيا كريما نؤمه * لدفع ملم او لنيل جزيل

وان لم يكن بيننا سابقة خدمة لكن تعرف أرواحنا قدمه مع ان كرم ذاتك الجليلة وما جبلت عليه من صفات نبيلة يقضي قاصد قصد فنائك عن واسطة ووسيلة ووالله اني لواثق بان ظني بوفاء مكارمك صادق فاسأل احسانك يا ذا الطير ايصالي الى خدمة ملك الطير وان كانت رفعته كانه في العيوق ودون الوصول اليه بيض الانوق لكن بواسطة الوسيلة يحصل هذا الشرف والفضيلة ولا زالت الرؤساء والاكابر يأخذون بيد الضعفاء والاصاغر ولرأيك العلو والشرف والسمو والعطف والحنو فاهتز اليؤيؤ لهذا الكلام وارتاح وتهلل وجهه تباشير المسرة والارتياح وانشد

قدمت بانواع المسرة والهنا * على خير منزول وايمن طائر

فاهلا وسهلا ثم اهلا ومرحبا * وبشرى وبشرى بالهنا والبشائر

اعلم ان قدومك قدوم صادق ومرافقتك سبب الرفق ورؤيتك فتح باب الفتوح وودادك غذاء القلب وراحة الروح ابشر بكل ما تؤمل وتختار فقد ذهب العثار وجاء الامن واليسار اصبت مرامك وزينت مقامك وآنست مزارك واوتيت آمالك فطب خاطرك وبشر اهلك وعشائرك واخبر غائبك وحاضرك واقد قادك الرأي السديد والامر الرشيد والفال السعيد حتى اويت الى ركن شديد وملك كريم خلقه عظيم وفضله جسيم وجوده عميم ونظيره عديم رؤف برعيته رحيم لا يخيب آمله ولا يرد سائله ولا يقطع واصله ولا يمنع طائله لقد انبتت مساعيك ازهار الامن والامان وتفتقت لورودك في رياض سعد الزمان نواظر نرجس النعمة وشقائق فضل النعمان فاعلم ان هذا الملك ذو جناب منيع وقدر رفيع وبيان معانيه بديع عزيز المثال جامع اصناف الجمال والجلال قد اختار العزلة في رؤس الجبال فلذلك طبعه لا يخلو من جسارة وقلبه من قساوة وان غذاءه من اللحوم ومن الحيوانات مشروبه والمطعوم غالبه كالاسل ويلجأ الى الله تعالى اذا اضمر منقاره وفسل وحقيقة امره ان كنت عنه تسل

مر على اعدائه * وعلى الادنين حلو كالعسل

فاذا التجأ اليه فقير او اوى اليه ضعيف او كسير او قصده محتاج او سلك الى باب مرضاته منهاج فلا يكون الطف منه ولا اشفق ولا اقرب من عطفه على مؤمليه ولا ارفق فهو كما قيل بعض قطيعته اجمل وسبب ذلك ان ضميره المنير خال من المكر طاهر من التزوير لا يعرف ختلا ولا خديعة ولا خيانة ولا وقيعة ولا كذبا ولا قطيعة ولا في خاطره فساد ولا عنده سوء اعتقاد ولا يعرف غير الحق ولا يقول الا الصدق وذلك لبعده عن مخالطة الناس وعزلته عن كل ذي وسواس وخناس فلقد اتفق العالم ان صحبة بني آدم

يعلم ان الحقود والحقود ثامن ما ورثه ولا يصرف عنه فكره وذو الرأي يتخوف المكر والخديعة والحيل ويعلم ان كثيرا من العدو لا يستطاع بالشدة والمكابرة حتى يصاد بالرفق والملاينة كما يصاد الفيل الوحشي بالفيل الداجن

قال الملك ان العاقل الكريم لا يترك الفه ولا يقطع اخوانه ولا يضيع الحفاظ وان هو خاف على نفسه حتى ان هذا الخلق يكون في اوضع الدواب منزلة فقد علمت ان اللاعبين يلعبون بالكلاب ثم يذبحونها ويأكلونها ويرى الكلب الذي قد الفهم ذلك فلا يدعوه الى مفارقتهم ولا يمنعه من الفته اياهم قال فنزة ان الاحقاد مخوفة حيثما كانت فاخوفها واشدها ما كان في نفس الملوك فان الملوك يدينون بالانتقام ويرون الدرك والطلب بالوتر مكرمة وفخرا وان العاقل لا يغتر بسكون الحقد اذا سكن فانما مثل الحقد في القلب اذا لم يجد محركا مثل الجمر المكنون ما لم يجد حطبا فليس ينفك الحقد يطلب العلل كما تبتغي النار الحطب فاذا وجد علة استعر استعار النار فلا يطفئه حسن كلام ولا لين ولا رفق ولا خضوع ولا تضرع ولا مصانعة ولا شيء دون تلف الانفس مع انه رب واتر يطمع في مراجعة الموتور بما يرجو ان يقدر عليه من النفع له والدفع عنه ولكني انا اضعف عن ان اقدر على شيء يذهب به ما في نفسك ولو كانت نفسك منطوية لي على سم
ما تقول ما كان ذلك عني مغنيا ولا زال الخوف والوحشة والظن ما اصطحبنا فالرأي بيني وبينك الا الفراق وانا اقرأ عليك السلام قال

من قاتل وهم باتل فان دأبهم المكر والتلبيس والخداع والتدليس وسبك قول شاعرهم في كشف ضمائرهم وشرح حقيقة سرائرهم

ومن من الناس حابنا * كي يقلو لك راهبا ... قلب الناس كيف شئت تجدهم عقاربا
والله أرشد من أنشد ... بنو آدم ان رمت من خيرهم جنى * فاسلك الذي تحته من وصادم صبر
مكارمهم مكرو في يهم ربا * وود هموم فؤ وجبرهم كسر

فان كان قوم صالح أفسدوه والى سبل الظلال أرشدوه والكلام في هذا المقام لا يبلغ التمام فيكتفي بالقليل عن الجليل وشمس النهار لا يحتاج في وجوده الى دليل فانهض الآن فقد آن التوجه الى خدمة السلطان فما كل زمان يحصل هذا الامكان فان الاجتماع به كل وقت مشكل فتوكل على الله بأحسن متوكل فاذا دخلت عليه ومثلت بين يديه فاعرف كيف تقف وانظر يا ذا الكمال ماذا يناسب الحال ويقتضيه المقام من فعل وكلام فاسلك طريقه وراع شعاره وحقيقته وادخل معهم من ذلك الباب ومثلك لا يدل على صواب فما أسرع اللطف وأقرب الحتف من حركات الملوك والكبراء وأبعد الرفق وأشد الخرق من ملكات السلاطين والخلفاء وأقصى حدائهم اذا غضبوا وأوحش مؤانستهم اذا غضبوا وأقرب ما عندهم اذا عطفوا وأعجب ما ندهم اذا لطفوا ويكفيك يا ذا العقل المتين ما قيل في شأن الملوك والسلاطين

ان الملوك بلاء أينما حلوا * فلا يكن لك في أكنافهم ظل
ماذا تؤمل من قوم اذا غضبوا * جاروا عليك وان أرضيتهم ملوا
وان مدحتهم ظنوك تخدعهم * واستثقلوك كما يستثقل الكل
فاستغن بالله عن أبوابهم كرما * ان الوقوف على أبوابهم ذل

وقال سيد الانام طرا لا تجاوروا ملكا ولا بحرا فان رضوا رفعوك فوق الافلاك وان غضبوا والعياذ بالله فهو الهلاك وناهيك من تقلبات الملوك يا ذا الارشاد في السلوك الملاقاة غيرهم عنك قصة صدرت من تيمورلنك فسأل رفق الخل الوزير الابجل بأن ذلك المثل الصادر من الامير الاشل (فقال) لست ومما حكي عن تيمور من وقائع الامور وشدة عزمه وحزمه وثباته على ما يقصده وجزمه وحلوله عقدة عزائمه ويعاكسه فيما يرمي به ويناقضه انه لما توجه بالجنود الى بلاد الهنود وذلك في سنة ثمانمائة وصل بجيوشه الطافحة الى قلعة شاهقة أقراط الدراري بآذان مرامها عالقة والرجوم المارقة من الغيوم البارقة تعلم الاصابة من رشاقة سهام الراشقة كان بهرام في مهواه أحد سواطيرها وكيوان في مسيرة خادم نواطيرها والشمس في استوائها غرة جبينها وقطرات السحاب في الانسكاب ترشح من قرب معينها وشقة الشفق الحمراء على آذان مراميها وأنوف أبدانها مرادق وكربات الغيوم في القمة الخضراء الهون مكاحلها وأفواه مدافعها طاقات وبنادق وكان الثريا انتصابها قنديل معلق على بابها لا يحوم طائر الوهم عليها فاني يصل طائش السهم اليها ولا يتعلق بقوم في خدمتها خطاف الخيال والافتكار فضلا عن ان يتعلق على حصنها من عساكر الاسد ورقم دار وفيها من الهنود طائفة قاتلة الجنان غير خائفة جهزت أهلها وأعلاف دوابها الى الاماكن الحصينة وتحصنت في القلعة سافلها وأعاليها مقترنة مع أنها مشرفة قابلة لا خير عندهم ولا مير ولا فائدة سوى الشر والضير ولا للقتال عليها سبيل ولا نحو الهام بحد ولا مقيل بل هي مطلة على القاتل ممتنعة على القاتل فأي تيمور أن يجاوزها دون أن يجاورها بالحصار ويأخذها والأديب العاقل لا يترك وراءه عدو مقاتل بل علمت القابل قاتوقها من بعيد ويعجب كل من أهلها عليهم من أسباب القتال بالرمي والمنايا بيد كابر وكان كل يوم يقتل من عسكره بالاحجار والقلعة تزداد بذلك اباء وامتناعا وهو يأبى الرحيل عنها الا أن يصل الى غرضه منها ففي بعض أيام المحاصرة مطروا وبواسطة المطر انحسروا وصار يحثهم على القتال ثم ركب لنظر ماذا يصنعون في

الملك لقد علمت أنه لا يستطيع أحد لا حد منه ضرا ولا نفعا وانه لا شيء من الاشياء صغير ولا كبير بسبب أحد الا بقضاء وقدر معلوم وكان خلق ما خلق ولا دقها وقلها وثقلها عن ابس الى الخلائق منه شيء كذلك قضاه ما يغني ومالك ما جاء وليس الذنب الذي سبقت بأني ذنب ولا لا بعد فيما صنع بابنك ذنب انما كان ذلك كله قدرا مقدورا وكلا نا له علة فلا تؤاخذنا بما أتاه القدر قال فقد أن القدر لكما ذكرت لكن لا يمنع ذلك الحازم من توقي المخاوف والاحتراس من المكاره ولكنه يجمع تصديقا بالقدر وأخذا بالحزم والقوة وأنا أعلم أنك لست كما تقدم ما في نفسك والامر بيني وبينك غير صغير لان ابنك قتل ابني وأنا فقأت عين ابنك وأنت تريد ان تشتفي بقتلي وتخدعني عن نفسي والنفس تأبى الموت وقد كان يقال الفاقة بلاء والحزن بلاء وقرب العدو بلاء وفراق الاحبة بلاء والسقم بلاء والهرم بلاء ورأس البلايا كلها الموت وليس أحد بأعلم بما في نفس الموجع الحزين من ذاق مثل ما يجده بما في نفسي من علم بما في نفسك لاني الذي عندي من ذلك ولا خير لي في صحبتك فانك لن تذكر صنيع ابني بابنك وان انا ذكرت صنيعي لن ننساه بأني الا احدث ذلك القلوب تغيرا قال الملك لا خير فيمن لا يستطيع الاعتراض على نفسه ويمهله وينساه حتى لا يذكر منه شيئا ولا يكون له في نفسه موقع قال فنزة ان الرجل الذكي يا ملك قد يعمد عقدة فان هو حرص على المنى لا يدله لا يزال يتشكى فرحته والرجل الاريب العين اذا استقبل بها الريح تفرض لان تزداد رمدا وكذلك الواتر اذا دنا من الموتر

فقد عرض نفسه للهلاك ولا ينبغي لصاحب الدنيا الاتوقي المهالك والمتالف وتقدير الامور وقلة الاتكال على الحول والقوة وقلة الاغترار بمن

لا يؤمن فانه من اتكل على قوته فعله ذلك على أن يسلك الطريق المخوف فقد سعى في حتف نفسه ومن لا يقدر طاقته

تلك الحال فلم يرتض أفعالهم لما عكست أو حالهم أحوالهم فدعا رؤس الامراء وزعماء العساكر والكبراء وأخذ يمزق أديم عرضهم بشفار شتمه ويشقق ستر حرمتهم بمخالب لعنه وذمه ونفخ الشيطان في خيشومه والهب فيه نار غضبه وشؤمه وقال يا لئام وأكلة الحرام تتقلبون في نعمائي وتتوانون عن أعدائي جعل الله نعمتي عليكم وبالا واعقبكم بكفرانها خيبة ونكالا يا نابذي الذمم وكافري النعم وساقطي الهمم ومستوجبي النقم ألم تطؤا أعناق الملوك بأقدام اقدامي ألم تطيروا الى الآفاق بأجنحة احساني واكرامي ألم تفتحوا مغلقات الفتوح بحسام عزماتي أما سرحتم في منتزهات الاقاليم سوائم تحكمكم بترعية دوائي في مالكتم مشارق الارض ومغاربها واذللتم جاحدها وأجدتم ذائبها

ألم اك نارا يصطليها عدوكم * وحرزا لما ألجئتم من ورائيا

وباسط خيري فيكم بيمينيا * وقابض شري عنكم بشماليا

ولا زال يهدم ويغمغم ويهدر ويبرطم وهم مطرقون لا يحيرون جوابا ولا يملكون منه خطابا ثم ازداد حنقا وكاد ان يموت خنقا فاخترط السيف بيده اليسرى وهم به على قمع اولئك الاسرى وهم ان يجعل رقابهم قرابه ويسقي من دمائهم غل فرنده وذبابه وهم على تلك الحال في الخزي والاذلال باذلوا انفسهم ناكسو رؤسهم ثم تراجع وتماسك ودارك نفسه قليلا وتمالك فاغمده من تشريفهم حسامه ولم يلق لامره دبره ولا قبله أمامه فلف عربه وشامه ثم نزل عن مركبه واستدعى على الشطرنج الكبير لاعب به وكان عنده ممن فاق جنده شخص يدعى محمد قاوجين ذو مكان مكين ومقام امين مقدم على كل الوزراء مبجل دون سائر الامراء وافر الطول مقبول القبول مسعود الرأي ميمون الفصل مرغوب الفضل محبوب الشكل فتشفع الوزراء اليه وتراموا في حل هذا الاشكال عليه وقالوا ساعدنا ولو بلفظه وراقبنا ولو بلحظه واعمل معنا بهذا المعنى وهو

ساعد بجاهك من يغشاك مفتقرا * فالجود بالجاه فوق الجود بالمال

فأجابهم والتزم ان يرده عما تلزم به والتزم وراقب مجال المقال وراعى فرص المجال وشرعت أفكار تيمور تغور في أمر القلعة وتفور وجعل يستفتي اضواءهم ويستوري آراءهم ولا يسمع كلامهم الا القبول لما يستمد برأيه ويقول ففي بعض الاحايين اتفق ان قال محمد قاوجين وقد زلزل به القضاء وأحاطت به نوازل البلاء أطال الله بقاء مولانا الامير وفتح بمفاتيح آرائه ورايانه حصن كل أمر عسير هب انا فتحنا هذه القلعة بعد ان اصيب منا جانب من أهل النجدة والمنعة هل يفي هذا بذا ام هل يوازن هذا النفع بهذا الاذى فما احتفل بخطابه ولا اشتغل بجوابه بل استدعى شخصا من البرقداريه فبيح المنظر الا انه في شبه ذوبه يدعى هرامك اذا عرف سهلك ووجه في السواد سدك أوسخ من في المطبخ واسنخ من في المسلخ اعاب الكلب طهوره عند عرقه وعمارة القبر عامب بالنسبة الى مرقه فعند ما حضر اليه ووقع نظره عليه امر بثياب محمد قاوجين فنزعت وبخفان هرامك فخلعت ثم البس كلا ثياب صاحبه وشد وسطه بحياصته ودعا دواوين محمد ومباشريه وضابطي ناطقه وصامته وكاتبيه ثم نظر ماله من ناطق وصامت ونام وجامد وملك وعقار واهل وديار وحشم وخدم من عرب وعجم واوقاف واقطاع وبساتين وضياع وخيول واتباع وخيل وجمال واحمال واثقال حتى زوجاته وسراريه وعبيده وجواريه فانعم بذلك كله على ذلك الوسخ وامسى هرامك محمد قاوجين الزنخ وهو من اول تلك النعمة منسلخ ثم قال تيمور وهو كالنمور أقسم بالله وآياته وذاته وصفاته ووحيه وكلماته وارضه وسمواته وكل نبي ومعجزاته وولي وكراماته وبرأس نفسه وحياته ان آكل محمد قاوجين أحدا او شاربه او ماشاه او صاحبه او كلمه او صافاه او آوى اليه او آواه او راجعني في أمره او شفع عندي فيه او فاه بعذره لاجعلنه مثله ولاصيرنه مثله ثم طرده واخرجه

طعامه وشرابه وحمل نفسه ما لا تطيق ولا تحمل فقد قتل نفسه ومن لم يقدر افعاله وعظمها فوق ما يسع قوته فربما غص بلقمته ومن اغتر بكلام عدوه واستخدع له وضيع الحزم فهو واهدى لنفسه من عدوه وليس لاحد النظر في القدر الذي لا يدري ما يأتيه منه ولا ما يصرفه عنه ولكن عليه العمل بالحزم والاخذ بالقوة ومحاسبة نفسه في ذلك والعاقل لا يثق باحد ما استطاع ولا يقيم على خوف وهو يجد عنه مذهبا وانا كثير المذاهب وارجو ان لا اذهب وجها الا اصبت فيه ما يغنيني فان خلالا خمسا من تزودهن كفينه في كل وجه وآنسنه في كل غربة وقربن له البعيد واكسبنه المعاش والاخوان اولاهن كف الاذى والثانية حسن الادب والثالثة مجانبة الريب والرابعة كرم الخلق والخامسة النبل في العمل واذا خاف الانسان على نفسه شيئا طابت نفسه عن المال والاهل والولد والوطن فانه يرجو الخلف من ذلك كله ولا يرجو عن النفس خلفا وشر المال ما لا انفاق منه وشر الازواج التي لا تؤاتي بعلها وشر الولد العاصي العاق لوالديه وشر الاخوان الخاذل وقد

لا خير فيه عند النكبات والشدائد وشر الملوك الذي يخافه البريء ولا يواظب على حفظ اهل مملكته وشر البلاد بلاد لا خصب فيها ولا امن وانه

وقد سلبه نعمته وأسرجه فسار مسلوب النعم قد حلت به فى لحظة نوائب النقم فسجنوه بالوثاق ورأى نفسه على أقل الخلق واتصل غيره بالملك وقطع منه الملق فضاقت عليه طاقته أشد ضيق ولم يزل على ذلك فى عيش مر وعسر حالك وحاشا أن تشبه قضيته قصة كعب بن مالك فكان يستقبل مرارة الموت ويستحلى إشارة الفوت وكل لحظة من هذا الحيف أشد عليه من ألف ضربة بالسيف فلما هلك تيمور أحياه ورد عليه خليل سلطان ما كان سلبه جده إياه (وإنما أوردت) هذه السيرة يا زكى السريرة لتقيس على هذا المثل نظيره وتعرف أخلاق الملوك ومعاملاتهم الغنى والصعلوك وأن نظرهم نضار وإعراضهم بوار وردى ومن أراد أن يطلع على سر القضاء والقدر فليراقب شفق الملك إذا نهى وأمر وقال من أحسن المقال

قرب الملوك يا أخا القدر السنى * حظ جزيل بين شدقى ضيغم

واعلم يا أبا الفضائل أن هذا الملك له شمائل وصفات وفضائل يستدل بظاهرها على باطنها ويتوصل بظهور بواديها على حركات كامنها فإياك أن تغفل عن مراقبتها أو تهمل حال عاقبتها بل اجعل شواهدها نصب عينك أقرب من حبالك وتبعد عن حبلك فمنها إذا رأيته رجع من الاصطياد ظافرا منه بالمراد وقد اقتنصه وحصله وملأ منها حوصله وسكنت منه بواعث الشره التى هى منفخ لواعج الطيش والسفه ومنها إذا رأيته جالسا فى مجلس السرور وبسط لجليسه الكريم جناح النشاط والحبور وضم عن مطامح الحرص القوادم والخوافى وطاب من رؤساء المملكة الأنيس المصافى ومن ندماء الحضرة الجليس الصافى ومن مطربى الأطيار البلابل والهزار ومن رقص بدفوف الأزهار وصفق من ذى عود وطار فاستمع أهدا وباسط ذلك وطفق جاسا وما بين منصت ومحالك فإن هذه الأوقات لما فيها من علامات هى الانبساط وأيام الفرح والنشاط فاعمل فيها ما بدا لك وأطنب مقالك وكرر جوابك وسؤالك فإنك فى كنف الأمن فاستلمها وقد هبت رياحك فاغتنمها والعب بأهلك وصفق بجناحك واجهد فى نفثك واشجع فى نفقتك فإن الوقت لك لا عليك والسعد الطالع ناظر إليك ومنها إذا رأيته جالسا صامتا أو إلى الأرض باهتا أو محمرة عينه أو مضطربا بسكونه أو أفعاله على غير استواء أو أقواله دائرة مع الهواء فإياك والدخول عليه والمثول بين يديه فإنه إذ ذاك يجعل ديارك بلاقع ولو أنك النسر الطائر فهو يحرق بغضبه النسر والواقع وعلى كل حال فلكن عندك لكل مقام من هذه المقامات مقال وإن كان السكوت أصلح فأغلق باب الكلام قطعا ولا تفتح فكثيرا ما تخلص الساكت من البلاء وأفلح وناهيك النصيح بقوله الفصيح وهو

وراقب مقام القول فى كل مجلس * خصوصا مقامات الملوك الأكابر

فكم من بليغ فوق ذروة منبر * رمته أفاعى النطق تحت المقابر

قال المفتقر الهندى للرشد الجندى جزى الله مولانا عن صدقاته أوفر صلاته وواسع عوائد كرامه فى عشيه وغداته بما شمل إحسانه وحسناته وأسعد حركاته وسكناته وأوفى شفقته على قاصدى عتباته طالما أنت دليله كيف لا يفتح إلى الخير سبيله ويرجع إلى حصول المقام مبيته ومقيله ثم إن البوم والشفوق تركهم وطار إلى الصدوق ثم رجع على الفور ووجهه يرف كالنور فدعا لمعقوا بوثوبه وهو معه مصحوب وأخذا فى السير إلى خدمة ملك الطير وفرعا فى جبل يسامى فى المثل قبة الفلك أو مركز الملك يسند السحاب من مادوبه وتسبح سمك السماء فى جوانبه يرفع حجب الوهم من صعود عقباته ويقصر ساعد الفكر فى سلم الهواء عن الترقى إلى أدنى درجاته ويستريح راقى الخيال فى عدة مواضع عند قصده فروع هضباته فهو كما قيل

وطود تلوح الشمس من تحت ذيله * إذا هى فى كبد السماء استقرت

فلاذا لا يسيران وفى الجو يطيران البوم أمام قائد الزمام والحجل وراءه ينشد هذا الكلام

لكل إمام أسوة يقتدى به * وأنت لأهل المكرمات إمام

لا أمن لى عندك أيها الملك ولا طمأنينة لى فى جوارك ثم ودع الملك وطار فهذا مثل ذوى الأوتار الذين لا ينبغى لبعضهم أن يثق ببعض انتهى باب ابن الملك والطائر

(قال) دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثل الملك الذى يراجع من أصابته منه عقوبة من غير جرم أو جفوة من غير ذنب (قال) الفيلسوف إن الملك لو لم يراجع من أصابته منه جفوة عن ذنب أو عن غير ذنب ظلم أو لم يظلم لأضر ذلك بالأمور ولكن الملك حقيق أن ينظر فى حال من ابتلى بذلك ويخبر ما عنده من المنافع فإن كان ممن يوثق به فى رأيه وأمانته فإن الملك حقيق بالحرص على مراجعته فإن الملك لا يستطيع ضبط الأمر إلا مع ذوى الرأى وهم الوزراء والأعوان ولا ينتفع بالوزراء والأعوان إلا بالمودة والنصيحة ولا مودة ونصيحة إلا لذى الرأى والعفاف وأعمال السلطان كثيرة والذين يحتاج إليهم من العمال والأعوان كثيرون ومن يجمع منهم ما ذكرت من النصيحة والعفاف قليل والمثل فى ذلك مثل الأسد وابن آوى قال الملك وكيف كان ذلك (قال) الفيلسوف زعموا أن ابن آوى كان يسكن فى بعض الدحال وكان متزهدا متعففا مع بنات آوى وذئاب وثعالب ولم يكن يصنع ما يصنعون ولا يغير كما يغيرون ولا يهريق دما ولا يأكل لحما فخاصمته تلك السباع وقالوا لا نرضى بسيرتك ولا رأيك الذى أنت عليه من تزهدك مع أن تزهدك لا يغنى عنك شيئا وأنت لا تستطيع أن تكون إلا كأحدنا تسعى معنا وتفعل فعلنا فما الذى كفك عن الدماء وعن أكل اللحم

فوصلا من تلك المدارج الى اعلى المعارج وانتقلا في تلك المسالك عن دركات المهالك وانتهيا الى اوج رأيا به ملكة النيران بازغة في سعد منيفه ودر الدراري راكدة في قعر منيفه يشتمل على مروج ورياض ومراع وغياض وبحار وحياض تنادي خيراتها سكان الربع المسكون انصبابها عليهم وفي السماء رزقكم وما توعدون رياض انف ومروج بأزاهيرها تحسنت وارض قال لها صانع القدرة اذا كنت تكوني كأخلاق الكرام فتكونت واخذت زخرفها من رضوان خازن الجنان وازينت فوجدا دار سلطنة العقاب بعد مقاساة عقاب العقاب كما قيل

مكانا فيه سلطان الطيور * تصدر بالسرور على السرير * أطاف به صفوف الطير طرا
عكوفا بالسرور وبالحبور * لكل في مراتبه مقام * يقوم به جليل أو حقير

قد اكتنفته الميمنة والميسرة واحدقت به المقدمة والمؤخرة كل واقف في مقامه شاخص نحو كرسيه وبازيه مسامه فالانيس صاحب الظرف والكيس حامل القبر كالاوزان يترنم في مقابلة الايوان ويمدح ملك الاطيار والامراء والعساكر والكبراء والنظار وينشدهم حلل الاوصاف ورقيق الاشعار فمما انشده الاوزان من مناقب السلطان ووجه الخطاب الى العقاب قوله

مقامك اعلى ان يقوم بوصفه * بيان بليغ او لسان فصيح
اجابتك عنقاء المغرب فانثنت * تلوح اطراف في البلاد طموح

والنسر الطائر المقدم على العساكر قد اظله بالجناح وليس عليه في طلبه صيادة الطير جناح رافع اللواء صاف في جو السماء رئيس الدير حامل القبة والطير كما قيل

ونسر تقر الطير من قرب ظله * وفي ظله للسعد مأوى ومنزل

والسنقر قد ابه بالفهري وشانه وحلقه النمري امير سلاح الجوارح ورأس عساكر السوانح والبوارح كما قيل

هو السنقر العالي بهمته التي * تعلت على أيدي الملوك بهايه

والشاهين الدوادار عليه اصلاح المملكة المدار قد تصدى لقضاء الحوائج لكل داخل وخارج ينظر في الولاية والعزل ويتعاطى الامور بالجد لا بالهزل فيقضي المآرب ويوصل المطالب الى الطالب كما قيل

طويل العنق رحب الصدر ضخم * له في آل قسطنطين ضبط
تنشى من سواد العين ثوبا * عليه من دم الاحشاء نقط

والكركي الراطن بالتركي يتحلى في ثوبه المسكي كاتب الاسرار وصاحب الاخبار لسان المملكة وعمود الفلك مشتغل بالسيف والقلم وفي الفضائل والفواضل نار على علم كما قيل

وكركي يصيد الصقر منه * لهيبته وشدة بأسه

والبوم المشهور ناظر الجيش المنصور صدر الديوان وقاضي الجند والاعوان كما قيل

وبوم دست الطير منه * كقاضي زان ارباب الكتاب
عليه من المهابة ثوب نبل * كوجه الطائرين لذي الحساب

والطاووس كأنه عروس في انضر ملبوس مقدم على الخواص كالناظر الخاص ناشر مروحة الارتياح يتحلى بجمال هيئته الفائق على الوجه اللائح كما قيل

تربه قد سطر فيه * كل صباغ عليم
ولسان الحسن نادى * صنعة الله الكريم فيروق العين منه * فوق اوصاف الحكيم

والبازي الامير الكبير صاحب الرأي والتدبير امير الميمنة قد رقب صقوره كما قيل

وباز اشهب صناديد سر * يطوف بجناحه الفلاح

والصقر الشهم السابق في الطيران الوهم امير الميسرة قد حاق بشواهد عسكره كما قيل

وصقر

قال ابن آوى ان صدق ابا كن لا اوثق اذا لم اوثق نفسي لان الايام ليست من قبل الاماكن والاصحاب ولكنها من قبل القلوب والاعمال ولو كان صاحب المكان الصالح يكون عمله فيه صالحا وصاحب المكان السيء يكون عمله فيه سيئا كان حينئذ من قتل الناسك في محرابه لم يأثم ومن استحياه في معركة القتال اثم واني انما صحبتكن بنفسي ولم اصحبكن بقلبي واعمالي لاني اعرف ثمرة الاعمال فلزمت حالي وثبت ابن آوى على حاله تلك واشتهر بالنسك والنزاهة حتى بلغ ذلك اسدا كان ملك تلك الناحية فرغب فيما بلغه عنه من العفاف والنزاهة والزهد والامانة فارسل اليه يستدعيه فلما حضر كلمه وآنسه ثم دعاه بعد ايام الى صحبته وقال له تعلم ان اعمالي كثيرة واعواني جم غفير وانا مع ذلك الى الاعوان محتاج وقد بلغني عنك عفاف فازددت فيك رغبة وانا وال لك من عملي جسيما ورافعك الى منزلة شريفة وجاعلك من خاصتي قال ابن آوى ان الملوك احقاء باختيار الاعوان فيما يهتمون به من اعمالهم وامورهم وهم احرى ان لا يكرهوا على ذلك احدا فان المكره لا يستطيع المبالغة في العمل واني لعمل السلطان كاره وليس لي به تجربة ولا بالسلطان رفق وانت ملك السباع وعندك من اجناس الوحوش عدد كثير فيهم اهل نبل وقوة ولهم على العمل حرص وعندهم به وبالسلطان رفق فان استعملتهم اغنوا عنك واغتبطوا لانفسهم بما اصابهم من ذلك قال الاسد دع عنك هذا فاني غير معفيك عن العمل قال ابن آوى انما يستطيع خدمة السلطان رجلان

وصقر ان طرف القفر ناجى * ابيح له من الخوف البلايا   اقام بجانب عن شهم سهم * ونسر عن قوى الناب نابا
الباشق الجاووش وراس ثوبه الاسكر والبدوش كما قيل
نظر الى الباشق في صيده ينقض كالسهم من الراشق يقفو حماما مثل معشوقه واتبعه الصب حشا العاشق
والببغاء تجلى في الحلة الخضراء وتنثر من المناقير الياقوت درر الثناء وتخبر بعجائب الهند وتسرد غرائب
رغائب السند كما قيل   تجمعت درة لكن كساها * حكيم الصنع ثوبا من زبرجد
ومن لها منقار عقيق * وخط شفارها من غير عسجد
والهدهد لابس التاج يهتدي الى موقع الدراج اخبار السارة والاحوال السارة كما قيل
وهدهد البس ثوب البهاء ثم اختص بصدق النبا   اغرب اذ شرق في سمته * فذاق اهل التاج حتى سبا
والحمام مقدم البريديه يتردد في مواقف العبوديه والعصافير كالمماليك الاجلاب في الكتاب يدرسون
السطر الآداب والبلبل والهزار ومطوقات الاطيار وناعمات الاسحار مسبحات الواحد القهار يتناشدون
الاشعار ويرددون نغمات الاوتار ومطربات رنات الاوطار وضروب من ضروب الموسيقا من حنك المنقار
والشحرور والزرزور وذوات الهديل من الطيور حتى جناح الزنبور تغرد فتخجل العود والطنبور وزواجر
الطير تبشر بالفرح والخير وانواع الجوارح في الحانات والطرق المدوحانات كل يفدي الملك ويقدم
جهده ووسعه ويسبح من آيات الملك كل قد علم صلاته وتسبيحه فتقدم البوم الى الحضرة والملك في ابهى نضره
وقبل مواطئ سلطانه ووقف من مقام خدمته في مكانه وقال شخص عارف بطرائق السلوك يليق لخدمة
الملوك واقف بالباب يروم تقبيل الاعتاب يطلب لذلك الدستور والانعام باذن الحضور ليشمله النظر
الشريف ويحظى بحظ وريق وريف هل يرجع كالمصروف عن خدمته او يدخل كالدولة والاقبال
فعطف بالقبول واذن له بالدخول وصح بالمثول فتوجه البوم وعلى عجل الى الحجل فدخل وهو من الحياء
متأثر وفي ذيل الدهشة والهيبة متعثر وعليه غلالة ساوريه وشملة نيسابوريه مشتملا بشملة كافوريه كانه شيخ
الصوفيه فلما وقع نظره على العقاب قوي جأشه ورفع الحجاب وحل عقدة لسانه من الكلام الخطاب ثم
قبل الارض و وقف وانشد بيتها وما وقف   ولو ان قيصرا وكسرى وتبعا * راوك لخروا بين ايديك سجدا
وما ان وفوا مستحقا عليهم واغيا * على قدر ما في الوسع منا الفتى بدا   فابتدره البوم بلفظ يخجل اللؤلؤ للحبل
يريد ازالة الدهشة والخجل وطيب المقام ببسط الكلام ايها الغريب الاريب الاديب النجيب رايناك روحا
ملطفا او عقلا مشخصا حبيك مرغوب ومقادمك مطلوب لقد حللت محل الامن والاماني وعقدة السعد
والتهاني فدع دهشتك وذر وحشتك وافصح بكلامك عن كمالك وعن مقامك بمقالك فمثلك عقلة
العقل وواسطة عقود النقل فان كان عندك نصيحة تصلح للملوك او وصية ترشد اهل السلوك يبين العدل
نورها بارائه ويزين العقل بجواهرها تلألؤه وتستقيم بها الامور ويستفيد منها الجمهور او نوع رفع ظلامه
او حط ماثمه او كشف بلوى او رفع شكوى او حاجة في نفسك وما فاتت منه في رمسك وامسك او لطيفة
تشرح بها الصدور وتبسط بايراده الخاطر فهذا وقت تتشنف المسامع بجواهرها وتتدرر دررها على بادي
الحاضرين وحاضرها فان المحل قابل وعنق الاصغاء الى اطواق اللطائف مائل وجبال الحلم الشوامخ
وجبال الكرم راسخ وفاعل الصنيعه صانع وكف الالطاف مبسوط الانامل فقال الحجل بعد ان زال الخجل وجال
الوجل وجال الزجل من غير ريث ولا عجل الحمد لله الذي آمن جوارحنا واستعبد الملك ارواحنا فقد
كنا في بيداء الحيرة والهلاك وظلماء الضر والخوف في انهماك ومرت علينا سنون ونحن في الاوكار والغصون
ونار الاشتياق تضطرم وبواعث تقبيل الاعتاب الشريفة السلطانية في الفؤاد تزدحم اذ قد انتشر جناح
عدلها وتجاح ظلالها وصاح واباها وطلابها وكرر كل لسان شهامة فضلها واشترك كل حيوان ما ترتاحها

لئن كل واحد منهما اما فاجر مصانع ينال حاجته بتهوره ولم يمنع امانته واما مغفل لا يصحبه احد فمن اراد ان يقدم السلطان بالصدق
والعفاف فلا يخالط ذلك بصيانته وحبه فكل ان يسلم على ذلك لا يجتمع عليه عدو السلطان وصديقه بالعداوة والحسد
اما الصديق فينافسه في منزلته ويبغي عليه فيها ويعاديه لاجلها واما عدو السلطان فيضطغن عليه لنصيحته لسلطانه واغنائه عنه فاذا اجتمع عليه هذان الصنفان فقد تعرض للهلاك قال الاسد لا يكونن بغي اصحابي عليك وتبرمهم بك مما يعرض في نفسك فانت معي وانا اكفيك ذلك وابلغ بك من درجات الكرامة والاحسان على قدر همتك قال ابن آوى ان كان الملك يريد الاحسان الي فليدعني في هذه البرية اعيش آمنا قليل الهم راضيا بعيشي من الماء والحشيش فاني قد علمت ان صاحب السلطان يصل اليه من الاذى والخوف في ساعة واحدة ما لا يصل الى غيره في طول عمره وان قليلا من العيش في امن وطمأنينة خير من كثير من العيش في خوف ونصب قال الاسد قد سمعت مقالتك فلا تخف شيئا مما اراك تخاف منه ولست اجد بدا من الاستعانة بك في امري قال ابن آوى اما اذا ابى الملك الا ذلك فليجعل لي عهدا ان بغى
علي احد من اصحابه ممن هو فوقي خوفا على منزلته او ممن هو دوني لينازعني في منزلتي فذكر عن الملك منهم ذكرا بلسانه او على لسان
غيره ما يريد به تحميل الملك علي ان لا يعجل في امري وان يتثبت فيما رفع اليه ويذكر عنده من ذلك ويفحص عنه ثم يصنع ما بدا له فاذا

وثقت به بذلك أعتقه نفسي فيما يجب وعاملته فيما اولاني بنصيحة واجتهاد وحرصت على ان لا اجعل له على نفسي سبيلا فقال الاسد ان ذلك على وزيادة ثم ولاه خزائنه واختص

به دون اصحابه وزاد في كرامته فلما رأى اصحاب الاسد ذلك غاظهم وساءهم

فهي امان كل مخوف وملجأ كل ملهوف لكن كانت الهوادي تقرع تلك الدواعي وغواشي الحوادث تعترض دون المساعي تارة باكتناف المخاوف وطورا باختلاف العواطف وحينا بضعف المباني وآونة بعدم المعاون والمعاني والآن بذلك الزمان بحمد الله المنان أزحنا المهالك والمهاوي واسترحنا من ضرب المسالك والمساوي اذ قد طرنا بجناح النجاح من خفض الجناح وصرنا الى محل السماح والرباح فزالت العلل وانسد الخلل وحللنا في عقوة مقيمة وسده شريفة فأمنا شرك المكايد وشر المصايد وتوسدنا مهاد الدعة واستظللنا دوح الامن والسعة وانه قد قيل عدل السلطان خير من خصب الزمان وقيل الملك العادل والامام الفاضل كالاب الشفيق والوالد الرفيق يعامل بالسوية ويحفظ الرعية ويحرسها من برد الماء وحر النار كما يحرس الوالد الولد من هبوب الهواء وشم الغبار وقلت

نزلنا في ذرى ملك كريم * يرانا مثل اولاد الكرام

أضل نوائب الايام عنا * فلم ترنا ولا في الاحلام

ولا مطر السماء يصيب منا * كأن مقامنا فوق الغمام

فقال الملك اهلا وسهلا وناقة ورحلا طب قلبا ونفسا وامنا معي وحسا لقد حللت بساحة الاستراحة وباحة للامن مباحة وقاعة ليس لصائد بها وقاعة ولا لجارحة جارح بها اجراحة وقد خلصت من جوارح الكواسر ومخالب النواسر ونزلت بوادي الخير ونادي ملك الطير فاكرم مثواك ومنزلك ونلت غاية املك فاذهب بسلام واتي بمالك من خادم وغلام واهل وثقل وفرس وبغل واثاث وقماش ومعاش ورياش وغيره كما تختار وجار احسن الجوار فقال ايها الملك السعيد انا شخص فريد فقير غريب فقير لا ابر ولي ولا صبر وقلت

انا لولا المطاوف وف الغار * لم اكن في الانام الاعاري

من رآني فقد رآني وبيتي * ودثاري ومركبي وشعاري

غير ان لي قرينة مثلي فقيرة مسكينة صابرة على السراء والضراء قضينا معا ماضي الصباح والساعة بترك مقبل الحوادث انادارا ولا يد الحوادث عقالا ولا عقارا ولا مخالب الحوادث جارا ولا جوارا ولا انياب الكوارث ولدا ولا قرارا والويل كل الويل لمن كان مستقره في طوارق الليل ومن حوادث الدهر على طريق السيل وقد طال الكلام في كيت وكيت وقضايا ذيت وذيت الى ان لم يبق في البيت سوى الميت ولما بلغ سيل الهم الزبى وحزام الهم الطبى وما طال من يرى افلاذ كبده تتقطع ويشاهد كل وقت قرة عينه بمخالب الجوارح تتبضع ولا بد للدافعة تتدد ولا فرصة للمانعة تشتد فينشد

كم حزنا اني ارى من احبه * رهين الردى برنوالى بطرفه

أود مبالي لو يفدى ومهجتي * ولكن يد التقدير غالت بحتفه

ولما تكرر ضر ايوب وتضاعف حزن يعقوب تركنا تلك الديار بالاضطرار وعلى ابوابك الشريفة رفع الاختيار فرصدنا للتحويل اين الساعات واخترنا الرحيل احسن الاوقات ثم صممنا العزيمة ونادانا هاتف السعد اسر على بركة فقطعنا المهامه والقفار وسرينا الليل والنهار فكم رغنا عن ابي الحصين ولقينا ما لاقى الحسين بكربلاء من الكرب والبلاء وكم لذنا من بني زغار الى كهف وأجم وغار واحترزنا من قانص واقتحمنا ذوي سم نافذ ونفرنا من حبالات الشرك وحدنا عن اوهاك شباك واخترنا الجوع وعدم الهجوع على الحب المنثور لاصطياد الطيور وكل ذلك في المسالك والسعد قائدنا والفلاح رائدنا واليمن دليلنا وظلال امنك ظليلنا وفي تمادي بعد انجيتنا وكشف همك مقلتنا حتى حللنا بدار الامان ونزلنا بحرم مولانا السلطان فنادانا افضل خالق الورى لا تخافا انني معكما اسمع وارى القياعه التيار وانزلا عند خير جار فتركت القرينة في منزلة حصينة وكل بلاد اك امينة واغتنمت ملك الشريف وجنابك المنيف مقاما عظيما وجنابا كريما وبساطا عاليا وبابا ساميا فنوخيت ثم نوديت

فاجمعوا كيدهم واتفقوا كلهم على ان يحملوا عليه الاسد وكان الاسد قد استطاب لحما فعزل منه مقدارا وامره بالاحتفاظ به وان يرفعه في احصن موضع طعامه واحرزه ليعاد عليه فاخذوه من موضعه وحملوه الى بيت ابن آوى فخبؤه فيه ولا علم له به ثم حضروا ليكذبونه ان جرت في ذلك حال فلما كان من الغد ودعا الاسد بغدائه فقد ذلك اللحم فالتمسه ولم يجده وابن آوى لم يشعر بما صنع في حقه من المكيدة فحضر الذين عملوا المكيدة وقعدوا في المجلس ثم ان الملك سأل عن اللحم وشدد فيه وفي المسألة عنه فنظر بعضهم الى بعض فقال احدهم قول المخبر الناصح انه لا بد لنا من ان نخبر الملك بما يضره وينفعه وان شق ذلك على من يشق عليه وانه بلغني ان ابن آوى هو الذي ذهب باللحم الى منزله قال الآخر لا اراه يفعل هذا ولكن انظروا وتفحصوا فان معرفة الخلائق شديدة فقال الآخر لعمري ما تكاد السرائر ان تعرف واظنكم ان فحصتم عن هذا وجدتم اللحم ببيت ابن آوى وكل شئ يذكر من عيوبه وخياناته نحن احق ان نصدقه قال الآخر ان هذا وجدناه هذا حقا فليست بالخيانة فقط ولكن مع الخيانة كفر النعمة والجراءة على الملك قال الآخر انتم اهل العدل والفضل لا استطيع ان

هذا هو الملك الذي من بابه * يعطي المخوف أمانه لزمانه
عم الورى إحسانه فكأنما * أرزاقهم كتبت على إحسانه

ثم نهض اليعقوب من مكانه وقبل الأرض بين يدي سلطانه وتوجه فزار أمنيته حتى وصل إلى خليلته فأخبرها بما جرى بتغيير المشتري وكيف رأى التويو والملك وصورة ما فعل به وسلك وكيف تأتى مقصده وأكرمه الملك بما أكرمه وقرر كيف كان خطابه وعلى أي صورة حسنا ورد جوابه فسر صدرها وانشرح وطارت بهذا الأمر من الفرح ثم توجها إلى حضرة السلطان وحصل لهما من الإنعام والإحسان ما أنساهما الأوطان وسلكا بنفس مطمئنة في خدمة الملك مع الجماعة وأهل السنة وخوطب اليعقوب من الملك اسكن أنت وزوجك الجنة فلما استقرت بهما الدار وتبدل انكسارهما بالانجبار أفيض عليهما من الصدقات والإدرارات والنفقات ما لم يخطر ببالهما ولا دار على خيالهما وحصل لهما الأمن والأمان والسلامة والاطمئنان وانشرحت خواطرهما وابتهجت بالسكون سرائرهما واستمر اليعقوب ملازم الخدمة وتوفرت عند الملك واتباعه له الحرمة وعمت كلمته وتزايدت حشمته ولم يزل صبيح الطلعة نجيح السعي والهمة وفي المنظر مقضي الوطر يرتع على بساط النشاط ويطير في رياض الأمن والانبساط مؤديا شرائط الخدمة على الوجه الأحسن قائما بواجب العبودية مهما أمكن إلى أن تميز على سائر الخدم وتقدم على السابقين في الخدمة وثبات القدم ناثرا لؤلؤ النصيحة ناثرا الآثار الصريحة مفاديا باللطائف الصحيحة والنوادر المليحة بالعبارات الفصيحة والإشارات الرجيحة حافظا زمام الاحتشام مراعيا مقامات الكلام على مر الأيام وكر الشهور والأعوام * ثم ختم الكلام في هذا المقام بأعظم ختام وهو حمد الله الملك العلام وشكره المستدعي لمزيد الإنعام والصلاة والسلام على سيد الأنام وآله وأصحابه السادة الكرام عليه وعليهم أفضل التحية والسلام وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

(الباب العاشر في معاملة الأحباب والخادم والأعداء والأصحاب وبه تمت أبواب الكتاب)

قال الشيخ أبو المحاسن الراوي من الأدب الأحاسن فلما أبان الحكيم عن هذا الفضل الجسيم وكشف نقاب البيان عن مخدرات هذا التبيان فتلألأ من وراء حجب ألفاظه وجوه معانيه الحسان عظم في أعين الأعاظم وكبر لدى الأعراب والأعاجم ورفعه أخوه وعظمه ذووه فأضاء مناره وعلا مقداره وملأ الآفاق أنواره ووقع من الملك على الاعتماد عليه اختياره ثم استزاده من فيض هذا الصوب واستسقاه من حوض هذا الشؤبوب واستطعمه من أخبار العقاب واليعقوب إن كان ثم بقية تجلو القلوب الصدية فامتثل الإشارة وحسن العبارة وقال ثم إن أبا الحجاج دعا القبج أبا الدباج واختلى به دون أصحابه وقال له اعلم يا جليس الخير وأنيس الطير ورئيس الدير أني شملتك من التوقير الغامر العظيمة والجملة الجسيمة حيث أرشدك الجبائي وتفاولك في سلك أصحابي ولا جرم أنه قام بما يجب عليه وعرف مقدار إحساني ومنى إليه وإنه لأوثق أعواني وأصدق خلاني وصاحب قديم وشفاعي عديم النظير ناعم وصديق كاف وناصح مصاف وإني لآمن بطانته وأتبرك بمشاهدته وأستضيء بآرائه وأستهدي في المهمات المظلمة بلامع ضيائه ولقد حصل منك على عهد مصادقة وساعد مساعد وكهف وذخر وسند وظهر فإياك أن تترك ذيل مودته أو ترغب عن صحبته وصحبته وإن تقصر باذا الوقوف في صداقته على الوقوف فأفضل الصحبة وأكمل المودة ما تزايد على مر الدهور وترادف على كر العصور وثبت أصله وغزرت فروعه وناهض من سويداء القلب على مجاري الجوارح ينبوعه بحيث يقع الاتحاد ويمتزج بالصفاء الوداد فقد قيل لا تصح الصحبة بين اثنين حتى يصيرا كالنفس حيث إذا زارت إحداهما شرا مالت معها تابعة الأخرى بل يصيرا كالنفس الواحدة لا كل واحدة على حدة ولا كما تقول الأحدة بل يكمل الكل واحد بالآخر الهنا

ان أكذبكم ولكن سيتبين هذا ولو أرسل الملك إلى بيته من يفتشه قال آخرون إن كان الملك مفتشا منزله فليعجل فإن عيونه وجواسيسه مبثوثة بكل مكان ولم يزالوا في هذا الكلام وأشباهه حتى وقع في نفس الأسد ذلك فأمر بابن آوى فحضر فقال له أين اللحم الذي أمرتك بالاحتفاظ به قال دفعته إلى صاحب الطعام ليقربه إلى الملك فدعا الأسد صاحب الطعام وكان ممن شايع وبايع من القوم على ابن آوى فقال ما دفع إلي شيئا فأرسل الأسد أمينا إلى بيت ابن آوى ليفتشه فوجد فيه ذلك اللحم فأتى به الأسد فدنا من الأسد ذئب لم يكن تكلم في شيء من ذلك وكان يظهر أنه من العدول الذين لا يتكلمون فيما لا يعلمون حتى يتبين لهم الحق فقال بعد أن اطلع الملك على خيانة ابن آوى فلا يعفون عنه فإنه إن عفا عنه لم يطلع الملك بعدها على خيانة خائن ولا ذنب مذنب فأمر الأسد بابن آوى أن يخرج ويحتفظ به فقال بعض جلساء الملك إني لأعجب من رأي الملك ومعرفته بالأمور كيف يخفى عليه أمر هذا ولم يعرف خبثه وخداعه وأعجب من هذا أني أراه سيصفح عنه بعد الذي ظهر منه فأرسل الأسد من عنده رسولا إلى ابن آوى يلتمس منه العذر فرجع إليه الرسول برسالة كاذبة اخترعوها فغضب الأسد من ذلك وأمر بابن آوى أن يقتل فعلمت أم الأسد أنه قد عجل في أمره فأرسلت إلى الذين أمروا بقتله أن يؤخروه ودخلت على ابنها فقالت يا بني بأي ذنب أمرت بقتل ابن آوى فأخبرها بالأمر فقالت يا بني عجلت وإنما يسلم العاقل من الندامة بترك العجلة

ويحصل له بوجوده السنا واذا خاطبه قال يا أنا ولا تقل يا كل كما قيل

ملأت حشاشتي شوقا وحبا * فان ترم الزيادة هات قلبا

فان الفتاح عنده الفتوح وباب الفضل والزيادة مفتوح وكرم الله لا يضاهى وفضله كماله لا يتناهى وانظر يا فضيل وذا العلم العريض الطويل الى ما قيل وهو

أيها السائل عن قصتنا * أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا * من رآنا لم يفرق بيننا
نحن مذ كنا على عهد الهوى * تضرب الامثال للناس بنا فاذا أبصرته أبصرتني * واذا أبصرتني أبصرتنا

والطف من هذا وأرصن ما قاله القائل وأحسن وهو

أنا والمحبوب كنا في القدم * نقطة واحدة من غير مين * فسبرنا الله اذ أظهرنا
موجة واحدة في بدنين * فاذا ما الجسم أمسى فانيا * تلتقينا واحدا من غير بين

ولقد كرك عندي بأنواع الفضل وبوفور التجارب والعقل وهذا يدل على نصحه وقوة دينه وصدقه في المحبة وحسن يقينه ولم يذكر غير الواقع ولا جازف فيما أنهاه الى المسامع بل قال قليلا من كثير وقطرة من غدير ولم يخبر بذلك غير خبير فاني أعرفك كما عرف ووقفت على فضائلك كما وقف ثم أنت عندي فوق ما وصف فاريد منك نصائح بالخير لوائح تتضمن فوائد وعوائد وفرائد تكون انهم الحكمة موائد واشهم الحكام قوائد وانحور الباب المعقول وأرباب المنقول قلائد واضبط أساس الملك والدين قواعد وعقائد فتلقى مثاله بالامتثال وقبل الارض في مقام العبودية وقام وقال اقحط العلوم الشريفه والآراء العالية المنيفه أن صانع العالم تعالى وتعاظم بنى أمور المبدا والمعاد وما بينهما من معاش مستفاد على دليلين عظيمين جليلين أحدهما العقل الذي هو مناط التكليف وثانيهما قواعد الشرع الشريف فان أردت أن تكون سعيد الدارين فاستمسك باذيال هذين الدليلين أما العقل فهو الدليل القاطع على وجود الصانع وهو مستقل بالقطع غير محتاج الى السمع وكما هو مستقل بالدلالة على وجود ذاته كذلك هو مستقل بالدلالة على تحقيق صفاته ثم يرد بذلك الشرع فتأكدت في وجود الصانع دلالة العقل بالسمع وأما وحدانية الصانع فكل من العقل والنقل دليل عليها قاطع وقد تظافرا بالاتفاق اليه وتظاهرا في الدلالة عليه بقول الكافر يوم المصير لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وبالعقل والسمع يستقيم أمر المبدا والمعاش وبالسمع فقط يصيب المعاد عاش لان أمور المعاد من الشرع تستفاد والعقل في ذلك تابع سامع لاوامر الشرع طائع والمسموع في ذلك دليل قاطع وعلى كل تقدير أيها الملك الكبير فاجعل العقل وزيرا تجده لك في ظلمات المشكلات سراجا منيرا واتخذ النقل هاديا ونصيرا يكن بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وعامل الرعية بالعدل يعاملك الله بالفضل واعلم أن الدنيا في معرض الزوال وانه لا بد عنها من الانتقال وان الله سبحانه وتعالى وجل سلطانه بعلا لا اقتضت حكمته وجرت بين عباده سنته أن يكون الانسان على خلاف ما فطره الرحمن فانه خلقه للعباده وركب فيه عناده وأقامه للعمل وجبله على الكسل فامره بالصلاة وهو كسلان وبالصوم وهو شهوان وبالزكاة وحبب اليه المال وبالحج وكره اليه الانتقال وبالرضا وركز فيه الغضب وبالتسليم والصبر وشحنه بالضجر والصخب وبالتواضع ووضع فيه التيه وبالفناق بأخلاق خالقه وفيه ما فيه وحكم عليه بالموت وقد تحقق انه ليس له منه فوت وهو يكره عن الدنيا التحويل وأقل أقسامه انه يحب العمر الطويل وعلى هذا قد تعود أن يفعل في المكان المتردد أفعال المقيم المؤبد والدائم المخلد ويبني بناء من لا ينتقل وعن قليل يتركه ويرتحل لا سيما من تعلق بالدنيا قلبه وتشبث بالمال والولد والجاه والقه كم حبه وقد أخبر العزيز الوهاب في أصدق كتاب وأوثق خطاب فقال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير

المقنطرة

ويالتثبت والعجلة لا يزال صاحبها يجتني ثمرة الندامة بسبب ضعف الرأي وليس أحد أحوج الى التؤدة والتثبت من الملوك فان المرأة بزوجها والولد بوالديه والمتعلم بالعالم والجند بالقائد والناسك بالدين والعامة بالملوك والملوك بالتقوى والتقوى بالعقل والعقل بالتثبت والاناءة ورأس الكل الحزم ورأس الحزم للملك معرفة أصحابه وانزالهم منازلهم على طبقاتهم واتهامه بعضهم على بعض فانه لو وجد بعضهم الى هلاك بعض سبيلا لفعل وقد جربت ابن آوى والموت رأيه وأمانته ومروءته ثم لم تزل حامدا له راضيا عنه وليس ينبغي للملك أن يستخونه بعد ارتضائه اياه وائتمانه له ومنذ صحبته الى الآن لم يطلع له على خيانة الا على العفة والنصيحة وما كان من رأي الملك أن يعجل عليه لاجل طابق لحم وأنت أيها الملك حقيق ان تنظر حال ابن آوى وتعلم انه لم يكن يتعرض للحم استودعته اياه ولعل الملك ان فحص عن ذلك ظهر له ان ابن آوى له خصماء هم الذين ائتمروا بهذا الامر وهم الذين ذهبوا باللحم الى بيته فوضعوه فيه فان الحداة اذا كان في رجلها قطعة لحم اجتمع عليها سائر الطيور والكلب اذا كان معه عظم اجتمعت عليه الكلاب وابن آوى منذ كان الى اليوم نافع وكان يحتمل لاجل ذلك ضررا في جنب منفعة تصل الى الملك والكل عناء يكون لك في راحة ولم يكن يطوي دونك سرا فبينما أم الاسد تقص عليه هذه المقالة اذ دخل على الاسد بعض ثقاته فأخبره ببراءة ابن آوى فقالت أم الاسد بعد أن اطلع الملك على براءة ابن آوى فهو حقيق ان لا يرخص لمن سعى به لئلا يتجرؤا على ما هو أعظم من ذلك ولكن يعاقبهم

المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب فالنفس مائلة الى الاقامه راغبة في دوام السلامه محبة طول العمر في الزمان وان احوج بعث الثمانون السمع الى ترجمان وقد قيل وأحسن ما كان الفتى في زمانه * مع السعد والجاه العظيم معمرا واشهى ما سمع الحاكم والذ ما تلقاه من قول الناظم قوله

فلا زلت بين الورى حاكما * بجاه عريض وعمر طويل

ولقد بلغني يا ملك الزمان ان الملك العادل انوشروان كان في أساس ملكه على العدل وعامل رعيته بالاحسان والفضل ويكفيه من الفضائل وحسن الشمائل قول سيد الاواخر والاوائل ولدت في زمن الملك العادل وقال الرحمن في محكم القرآن ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقد قيل في الاقاويل لا ملك الا بالرجال ولا رجال الا بالمال ولا مال الا بالعمارة ولا عمارة الا بالعدل فلا ملك الا بالعدل ومن أقوى الصفات العدليه عمارة بلاد الرعيه وبذل الجهد في العماره لكثرة الربح وتقل الخساره فاذا عمرت البلاد وأمن الطريق والتلاد حصلت الاموال وكثرت الرجال وانتظمت الاحوال فقد بلغني يا ملك الزمان ان الملك انوشروان كان مارا في سيرانه بين جنده واعوانه فرأى شيخا كأنه قوس قطان اثر على رأسه قزع أقطان وهو في بعض البساتين يغرس غرس التين فتعجب من انحناء قامته وبياض هامته مع شدة حرصه وتعبه على نصب غرسه ونصبه فقال له يا ذا التجارب ومن هو من شرك الفناء هارب الام ترتع في ميادين الامل وقد تطاوقت باوهاق الاجل تبني واركان جسدك واهيه وتغرس وقوائم بدنك كأعجاز نخل خاويه وربيع شبابك قد استولى عليه خريف الهرم وصيف وجودك قد أدركه شتاء العدم وحصت نسيم طراوتك عواصف الذبول وحصدت قوى عبالتك بقواصف الخمول وقد آن ان تغرس للآخره فانك قد صرت عظاما ناخره فقال يا ملك الزمان وعادل الاوان قد تسلمناها عامره فلا نسلمها غامره قد غرسوا وأكلنا ونغرس ويأكلون وفي الحقيقة كلنا زارعون وغارسون

لقد غرسوا حتى أكلنا وانما * نغرس حتى يأكل الناس بعدنا

وابعد فلاح عن الرشد والفلاح من يتسلم المعمور ويتركه وهو بور فاعجب انوشروان وقوّر عقل الشيخ الفان وحسن خطابه وسرعة جوابه فقال زه يعني احسنت وهي كلمة تحسين ولفظة اعجاب وتزيين وكانت علامة للاحسان اذا تلفظ بها السلطان يعطى المقول في حقه أربعة آلاف درهم لرفقه فاعطوا الشيخ الهم أربعة آلاف درهم فقال أيها السلطان ان الغراس يثمر بعد زمان وان غراسي لحسن طاعته أثمر من ساعته فقال زه فاعطوه اربعة آلاف أخرى ورفعوا منزلته قدرا فقال وأعجب من هاتين القضيتين ان الغراس يثمر مرة وأنا غراسي يثمر مرتين فقال زه فاعطوه القدر المعلوم وزادوه في التكريم والتعظيم والتفخيم وقال له انوشروان ان امهلك الزمان حتى تأتيني بباكورة هذا البستان فانا اقطعك خراجه واقضي مالك من حاجه فامهله الدهر وطال به العمر وادرك ما قصده ولم يخيب الله قصده فحمل الى الملك الباكوره ووفى له الملك نذوره (وانما اوردت) هذا المثل ليعلم مولانا الملك الاجل ان الدنيا وان كانت ظلا زائلا وحائطا مائلا فهي مزرعة للآخره وان الآخرة هي الدار الفاخره وان الله تعالى وجل جلاله ولاك هذه المزرعه وعلق بالاوامر العلية ما بها من مضرة ومنفعه وحكمك في البلاد وملكك رقاب العباد فاياك ان تغفل عن عمارتها بالزراعه أو تسلم زمام تدبيرها الى يد الاضاعه فانك منقول عنها ومسؤول عنها وان مصالح عساكرك بها منوطه وأحوال مملكتك باسبابها مربوطه فكلما عمرت الضياع والقرى ترفهت الاجناد والامرا واستراحت الرعيه واستقرت مقاليد الملك مرعيه وتوفرت الارزاق والامان الظاعن والساكن وقلت المظالم وكفت أكف الظالم وملاك هذا كله العدل والاستوا وتجانبه

عليه الكبر لا يعودوا الى مثله فانه لا ينبغي للعاقل ان يراجع في أمر الكفور والحسود الجاري على الغدر الراصد في الدهر الذي لا يوقن بالآخرة ويتقي ان يجزي بعمله وقد عرفت سرعة الغضب وفرط الهفوة ومن سخط باليسير لم يبلغ رضاه بالكثير والاولى لك ان تراجع ابن آوى وتعطف عليه ولا يؤيسنك من مناصحته ما فرط منك اليه من الاساءة فان من الناس من لا ينبغي تركه على حال من الاحوال وهو من عرف بالصلاح والكرم وحسن العهد والشكر والوفاء والمحبة للناس والسلامة من الحسد والبعد من الاذى والاحتمال للاخوان والاصحاب وان ثقلت عليه منهم المؤنة واما من ينبغي تركه فهو من عرف بالشراسة ولؤم العهد وقلة الشكر والوفاء والبعد من الرحمة والورع والتصف بالجحود للثواب الآخرة والعقاب وقد عرفت ابن آوى وجربته وانت حقيق بمواصلته فدعا الاسد بابن آوى واعتذر اليه مما كان منه ووعده خيرا وقال اني معتذر اليك وراداك الى منزلتك فقال ابن آوى ان شر الاخلاء من التمس منفعة نفسه بضر أخيه ومن كان غير ناظر له كنظره لنفسه او كان يريد ان يرضيه بغير الحق لاجل اتباع هواه وكثيرا ما يقع ذلك بين الاخلاء وقد كان من الملك الي ما علم فلا يطمئن على نفسه ما اخبره به الى به غير واثق وانه لا ينبغي لي ان اصحبه فان الملوك لا ينبغي ان يصحبوا من عاقبوه أشد العقاب ولا ينبغي لهم ان يرفضوه أصلا فان ذا السلطان اذا عزل كان مستحقا للاكرام في حال ابعاده والاقصاء له فلم يلتفت الاسد الى كلامه ثم قال له اني قد بلوت طباعك وأخلاقك

وعرفت أمانتك ووفاءك وصدقك وعرفت كذلك من تحمل المذل التصميل عليك وأني منزلك من نفسي منزلة الأخيار الكرماء والكريم تنسيه الخلة الواحدة من الإحسان الخلال الكثيرة من الإساءة وقد عدنا إلى الثقة بك فعد إلى الثقة بنا فإنه كان لنا

الأغراض الفاسدة والهوى وهذا الذي يقتضيه مقامك ويتم به مرامك فإن الملك إنما هو ملك بالأجناد فلا بد له من عمارة البلاد والنظر في مصالح العباد لينتظم بنظره مصالح العالمين ويستقيم أمر العالم إلى الحين الذي قدره أحكم الحاكمين فإن سنة الله جرت على هذا السنن وما رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن ولهذا قال سيد سكان الخيف أنا نبي السيف والجهاد فرض عين على الملوك لا على الفقير والصعلوك فالملوك في نوع من السيادة تقتضي من المال ازدياده ليقيموا من الإسلام عماده ويقتفوا من الشرع مراده ويقصموا الكفر وعناده ويبيدوا أهله وأولاده وينهبوا طرافه وتلاده ويوطئوا سنابك الأعيان بلاده وواجب على كل حاكم أن يبذل في ذلك اجتهاده ويجعل الجهاد إلى الآخرة زاده وعتاده ويصون عن الكفر بلاد الإسلام وعباده إلى يوم يلقى معاده فيجازيه الله الحسنى وزياده هذه طريقة الملوك ومن تبعهم في الاقتداء والسلوك وإياك أيها الملك المفخم وصاحب الملك الجسيم وأخذ المال من غير حله ووضعه في غير محله ولو كان موضع الخير وقصد به نفع الغير فإنه لا يفي ذلك بذا ولا يقوم نفعه بما فيه من أذى في ذلك كإنشاء المدارس وبنيان المدارس وتنوير المساجد وتعمير المعابد وسد الثغور وعمارة القبور وإقامة القناطر والجسور وعمل مصالح الجمهور وإطعام الطعام وكفالة الأيتام والحج إلى بيت الله الحرام وإعطاء السائل وإغناء الأرامل وصرف النفقات وإخراج الزكوات والصدقات ومثله الويل كما قيل

بنى مسجدا لله من غير حله * فصار بحمد الله غير موفق
كمطعمة الأيتام من كد فرجها * لك الويل لا تزني ولا تتصدق

قال من لم يخف عليه أخفاؤها إن ينال الله لحومها ولا دماؤها ثم أخبر بخير ما يصدر عنكم فقال ولكن يناله التقوى منكم فإن طلبه من هذا أجر فهو خسران وكفر لأنه في صورة الاستهزاء وهل يطلب بقبيح الحرام حسن الجزاء بل الواجب في هذا على كل من آذى رد المظالم وخلاص ذمة الظالم بجميع الحقوق إلى أهلها وإيصالها إلى محلها أما من هو ظالم غوي وتحمل الحرام هوى أن يتخلص سواء عسوا وشر الناس بإنا الناس من اتبع قضية إياس فسأل المتاب عن بيان هذا الخطاب (فقال) كان في الشام شخص من الشام تصدى لفصل الأحكام ومشى من الظلم في ظلام وشرع في أخذ الأموال على سبيل التعدي والوبال فكان إذا أخذ من أحد ألفا أدخر لنفسه من ذلك نصفا وتصدق بالخمسمائة الأخرى على أولي الضرر والفقرا كل واحد درهما وعد ذلك مغنما وقال هذه فائدة علينا بالربح عائدة الحسنات خمسمائة والسيئة واحدة وواحد يدعو علينا وخمسمائة يتوجهون بالثناء والدعاء إلينا ثم قال ذلك الجاهد ولا تجزى الخمسمائة عن الواحد * هذا وإن كان والعياذ بالله صرف ذلك الحرام في الفسق والملاه ونيل الأغراض الفاسدة وإقامة الجاه فهو أشد في النكال وأعظم في الوزر والوبال وهذا المقام يطول فيه الكلام وأقل ما في الباب أن الحلال حساب والحرام عقاب وقد سمعت يا جليل القدر ما نطق به السيد الصدر الذي أخجل نور طلعته الشمس والبدر سيد الأنام ومصباح الظلام وحبيب الملك العلام عليه أفضل الصلاة والسلام يوما لأصحابه السادة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل في مستقر رحمته وإيانا وإياهم أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار وهذا إذا كانت هذه الطاعات من الصلاة والصوم والزكاة واقعة في محلها وصادرة في مواقع حلها فإنها لا تفيد الظالم إلا في وفاء المظالم وأما إذا كانت من الحرام ومنشأ غراسها من مياه الآثام فهي وبال على وبال وثبور فوق نكال ووهن على كسر ونقصان فوق خسر وقال أيضا أفاض الله عليه سحائب صلواته

ولك بذلك غبطة وسرور فعاد ابن آوى إلى ولاية ما كان يلي وضاعف له الملك الكرامة ولم تزده الأيام إلا تقربا من السلطان انقضى باب الأسد وابن آوى

(باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت)

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثلا في الأشياء التي يجب على الملك أن يلزم بها نفسه ويحفظ بها ملكه ويثبت سلطانه ويكون ذلك رأس أمره وملاكه بالحلم أم بالمروءة أم بالشجاعة أم بالجود قال بيدبا إن أحق ما يحفظ به الملك ملكه الحلم وبه تثبت السلطنة والحلم رأس الأمور وملاكها وأجود ما كان في الملوك كالذي زعموا من أنه كان ملك يدعى بلاذ وكان له وزير يدعى إيلاذ وكان متعبدا ناسكا فنام الملك ذات ليلة فرأى في منامه ثمانية أحلام أفزعته فاستيقظ مرعوبا فدعا البراهمة وهم النساك ليعبروا رؤياه فلما حضروا بين يديه قص عليهم ما رأى فقالوا ما سمعنا بمثل ما رأى الملك فإن أمهلنا سبعة أيام جئناه بتأويله قال الملك قد أمهلتكم فخرجوا من عنده ثم اجتمعوا في منزل أحدهم وائتمروا بينهم وقالوا قد وجدتم علما واسعا تدركون به ثاركم وتنتقمون به من عدوكم وقد علمتم أنه قتل منا بالأمس اثني عشر ألفا وها هو قد أطلعنا على سره وسألنا فيضنا

فيصنا انزدن الفرق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء فاستعذ بالله يا مولى الطير ومولى الخير من نار هذا الشرر أن تتفرق طاعتك شذر مذر وأعيذك يا سلطان الصافات وما كسبته من الطاعات والخيرات أن ينقل الى ديوان غيرك أو يفوز بخيرك سوى طيرك اللهم الا أن يكون باذا الوقار والسكون على وجه ما قال من أحسن المقال

ويكتسب الطاعات ذخرا لعاما * يجود بها يوم القيامة على العاصي

او على وجه ما قيل وأحسن به من وجه جميل

يجود بما ضن الجواد بمثله * من الوفر بل لو أمكنته شمائله * لعاد على المرضى بفضل صحيحه

وجاد على الموفى بعمر يطاوله * ومن على النوكى بوافر عقله * وقسم في الحمقى من الرأى كامله

وثقل ميزان الخفيف بأجره * لدى الوزن لما آده بالوزر كاهله

ولو لم يكن في كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

ولاجل هذا الخطر العظيم والخطب الجسيم تورع عن الملال الزاهدون وشمر عن التلوث بالدنيا ذيل الرغبة العابدون قال سيد البشر والشفيع المشفع في المحشر لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء وقال عليه الصلاة والسلام والتحية والاكرام اللهم ارزق آل محمد قوتا ومع هذا كله فالملك والرعية أمانة ومن تقلد ذلك فقد أوجب على نفسه ضمانه فليجتنب خيانته ولا يشين بها أمانته قال صفوة الله تعالى وخيرته من بريته كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته ومصداقه قول رب العالمين وملك الملوك والسلاطين وهو أصدق القائلين انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فاعلم ايها الملك اعطي لزمان أمانه ان هذا الملك الذي بيدك هو من جملة الامانة التي أشفق السموات والارض والجبال وأبين ان يحملنها خوفا من النكال والوبال وخشية ان لا يقمن بحقوق حملها أو يضعنها في غير محلها فيعاقبن أو بالعتاب يخاطبن فتعففن عن الرغبة في الثواب خوفا من العتاب والعقاب وعلى نحو ما قيل

هجرتك لا قلى مني ولكن * رأيت بقاء ودك في الصدود * كهجر الحائمات الورد لما

رأت ان المنية في الورود * تفيض نفوسها ظمأ وتخشى * حماما فهي تنظر من بعيد

تصد بوجه ذي البغضاء عنه ٥ وترمقه بألحاظ الودود

ثم حمل هذه الامانة بنو آدم لما قدره وقضاه العلي الاعظم في سابق القدم ولما فيها من أحكام وحكم وان الصادق المصدوق أخبر فيما روى عنه أبو ذر قال قلت يا رسول الله الا تستعملني قال فضرب بيده على منكبي ثم قال يا أبا ذر انك ضعيف وانها أمانة وانها يوم القيامة خزي وندامة الا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها فمن جملتها الصلاة والصوم والزكاة والوضوء والاغتسال ومراقبة ذي الجلال في السر والاعلان بقدر الطاقة والامكان وعلى هذا جميع الطاعات وأنواع العبادات هي في رقاب العباد أمانات ومن أعظمها وأهمها وأحكمها الامرة والحكومة والتصدي لفصل الخصومة والسلطنة العليه وأمور الملك البهيه والقيام بأمور الرعيه فيجب على السادة الحكام ومالكي أزمة الانام ان يراقبوا الله تعالى في كيفية أدائها ويطالبوا أنفسهم على مر الانفاس بالقيام بوفائها ويراعوا أوامر سلطان السلاطين في أمور عبيده المستضعفين خصوصا المظلوم والفقير والضعيف والمسكين فاذا عاملوا عباد الله بالعدل عاملهم الله عز وجل بالفضل قال ابقه المالك في محكم القرآن ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقال السيد الكامل والسند الفاضل أشرف الاواخر والاوائل صلى الله عليه صلاة تفنى البواكر والاصائل سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل بدأ في هذا الفصل من ذكر الصفات بالعدل والعدل يا ذا الوجه المنير الوسط والوسط

تفسير رؤياه فهلموا انفاظ له القول وتخوفه حتى يحمله الفرق والجزع على ان يفعل الذي تريدونا مره فتقول ادفع المنا الحبا لك ومن يكرم عليك حتى نقتلهم فاذا قد نظرنا في كتبنا فلم نر ان يدفع عنك ما رأيت ... انقبلك وما وقعت فيه من هذا الشر الا بقتل من نسمي لك فان قال الملك ومن تريدون ان تقتلوا منهم قلنا نريد الملكة ايراخت أم جوير المحمودة أكرم نسائك عليك ونريد جوير احب بنيك اليك وافضلهم عندك ونريد ابن اخيك الكريم والاذ خليلك وصاحب أمرك ونريد كال الكاتب صاحب سرك وسيفك الذي لا يوجد مثله والفيل الابيض الذي لا تلحقه الخيل والفرس الذي هو مركبك في القتال ونريد الفيلين الآخرين العظيمين اللذين يكونان مع الفيل الذكر ونريد البختي السريع القوي ونريد كباريون الحكيم الفاضل العالم بالامور لننتقم منه بما فعل بنا ثم نقول انما ينبغي لك ايها الملك ان تقتل هؤلاء الذين سميناهم لك ثم تجعل دماءهم في حوض تملؤه ثم تقعد فيه فاذا خرجت من الحوض اجتمعنا نحن معشر البراهمة من الآفاق الاربعة نجول حولك نرقيك ونتفل عليك ونمسح عنك الدم ونغسلك بالماء والدهن الطيب ثم تقوم الى منزلك البهي فيدفع الله بذلك البلاء الذي نخوفه عليك فان صبرت ايها الملك وطابت نفسك عن احبائك الذين ذكرنا لك وجعلتهم فداءك تخلصت من البلاء واستقام لك ملكك وسلطانك واستخلفت من بعدهم من أحببت وان انت لم تفعل تخوفنا عليك

هو الخير قال من أمره فهو وسطا وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء أي للانبياء تشهدون لهم على أممهم لعدالة فيكم ويكون الرسول عليكم شهيدا أي يزكيكم أي وكما جعلنا نبيكم امام القبلتين حائز الفضيلتين جعلناكم حائزين خصلتين بالغين مرتبتين وهما كونكم عدولا شهداء على الناس للانبياء مقبولي الشهادة في الاداء وكون الرسول معدلكم وبتزكيته على الامم مفضلكم وقال صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ونعم وعظم عدل السلطان يوما يعدل عبادة سبعين سنة وقال عليه الصلاة والسلام والتحية والاكرام والذي نفس محمد بيده انه ليرفع للسلطان العادل الى السماء مثل عمل جملة الرعية وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه عليه السلام قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم وروى كثير بن مرة رضي الله عنه قال قال عليه الصلاة والسلام السلطان ظل الله في الارض يأوي اليه كل مظلوم من عباده فاذا عدل كان له الاجر وعلى الرعية الشكر واذا جار كان عليه الاثم وعلى الرعية الصبر وعن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه لعمل الامام العادل في رعيته يوما أفضل من عبادة العابد في أهله مائة سنة أو خمسين سنة وقال قيس بن سعد ستين سنة واعلم أيها الملك الاعظم واسلم ان العدل ميزان الله تعالى في الارض به ينتصف بعض الرعية من البعض وبه يؤخذ للضعيف من القوي وبه يهدي الله على الصراط السوي ويتميز الحق من الباطل والحالي من العاطل وهو من صفات الذات وأعظم الصفات بمعنى ان الله تعالى عز وجل جلاله له أن يفعل في ملكه ما يشاء فيؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويحكم ما يريد والخلق كلهم له عبيد وجميعهم بعض ملكه نافذ فيهم جميع أمر مالكه فلا اعتراض على فعل المالك ولا فيما يسلك بمملوكه من المسالك ولا مجال لاعتراض عبده على ذلك لاسيما اذا كان مولاه كريما وفي أفعاله مدبرا حكيما فمن عرف ان الله عدل وان أفعاله جارية بين العدل والفضل يتلقى نقمه بالصبر ويقابل نعمه بالشكر ويطمئن خاطره وتسكن الى مولاه سرائره فلا يستقبح موجودا ولا يستحسن مفقودا ولا يستثقل حكما ولا يرى في الكون ظالما بل يستقبل الاحكام بالرضا ويستسلم لوارد القضا ويقابل العوارض بما قال ابن الفارض

وكل أذى في الحب منك اذا بدا ※ جعلت له شكري مكان شكيتي

واعدل المخلوقات وأوسط الكائنات الانبياء عليهم السلام فانهم أعدل الخلق مزاجا وطبيعة وأقوم الناس منهاجا وشريعة وأوسط البشر افعالا وأقسطهم أعمالا وأقوالا وانما يعترض على أقوالهم ويتعرض لافعالهم من هو عن الصواب منحرف وعن جادة الحق منصرف ومن عين بصيرته عمياء عن مراقبة التحقيق كالاعمى الذي خرج وهو ماش عن سواء الطريق فيعترف شوك أو حجر أو يصدمه حيوان أو شجر فيقول لم هذا في الطريق فانه يجهل لامارة وتعويق ويعيب على واضعه وانما العيب في طبائعه والجهل منسوب اليه لعمى قلبه وعينيه كما قال ذو الخويصرة لسيد الرسل البررة لما قسم الغنيمة قسمة مستقيمة اعدل فأجابه الكامل المكمل بانه ان لم يعدل فمن يعدل وانه أي ذا الخويصرة الذي أعمى الله بصره خاب وخسر ولا في اليوم العسر ان لم يعدل ذلك المفضل وكيف يقال هذا الكلام لمثله عليه الصلاة والسلام وقد أمره الله تعالى بالعدل ونشر هذا النقل وأفرعنكم بقوله وأمرت لاعدل بينكم قال الاسد الغالب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وجعل الى رضوانه له أحسن وجهه امام عادل خير من مطر وابل وأسد حطوم خير من سلطان ظلوم وقيل الملك يدوم مع العدل ولو كان الملك كافرا ولا يدوم مع الظلم ولو كان الملك مسلما وما تعاطى حاكم ذو فضل فصل قضية في فصل أحسن من سلوك طريقة العدل ولذا بقي اسم انوشروان مخلدا بالعدل على مر الزمان والى يوم نصب الميزان مع انه كان مجوسيا يعبد النيران والسنة التي اخترعها بالسلسلة التي وضعها باقية في ممالك الصين معمول بها الى آخر حين

انه تغضب ملكك أو تهلك فانه هو أطاعنا فيما نأمره فقتلناه أي فقتلهم شئنا فلما أجمعوا أمرهم على ما أشير واية رجعوا اليه في اليوم السابع وقالوا له أيها الملك انا نظرنا في كتبنا في تفسير ما رأيت وفحصنا عن الرأي فيما بيننا فليكن لك أيها الملك الطاهر الصالح الكرامة واستقدر ان تهلك بما رأينا الان تحذلونا فاخرج الملك من كان عنده وخلا بهم فحدثوا بالذي أشير واية فقال لهم الموت خير لي من الحياة ان أنا قتلت هؤلاء الذين هم عدل نفسي وانا ميت لا محالة والحياة قصيرة ولست كل الدهر ملكا وان الموت عندي وفراق الاحباء سواء فقال له البرهميون ان أنت لم تغضب أخبرناك فاذن لهم فقالوا أيها الملك انك لم تقل صوابا حين تجعل نفس غيرك أعز عندك من نفسك فاحتفظ بنفسك وملكك واعمل هذا الذي لك فيه الرجاء العظيم على ثقة ويقين وقر عينا بملكك في وجوه أهل مملكتك الذين شرفت وكرمت بهم ولا تدع الامر العظيم وتأخذ بالضعيف فتهلك نفسك ايثارا لمن تحب واعلم أيها الملك ان الانسان انما يحب الحياة محبة لنفسه وانه لا يحب من أحب من الاحباب الا ليتمتع بهم في حياته وانما قوام نفسك بعد الله تعالى بملكك وانك لم تنل ملكك الا بالمشقة والعناء الكثير في الشهور والسنين وليس ينبغي ان ترفضه ويهون عليك فاسمع كلامنا فانظر لنفسك لنفسك ما هو ودع ما سواها فانه لا خطر له فلما رأى الملك ان البرهميين قد أغلظوا له في القول واجترؤا عليه في الكلام اشتد غمه وحزنه وقام من بين ظهرانيهم ودخل الى مجرته فخر على وقيل

وقيل انه كان شديد الوداد للاصطياد وكان يعشق البازى والزرق والصقر والباشق والبيدق فسأل يوما من البازدار لم كانت هذه الاطيار قصار الاعمار قال لانها تظلم الطيور والظالم عمره قصير فتنبه بهذه الكلمة واتعظ وكف يده عن الظلم واحتفظ ثم اسس قواعد العدل فانتشر ذكره الى يوم الفصل ويكفيه من الفضائل قول السيد الكامل ولدت فى زمن الملك العادل وروى ان بعض الملوك العادلين والحكام الفاضلين استولى عليه الكبر ووقر فى اذنه وقر وكان قبل الصمم فى العدل والكرم كما قيل

وانه مظلوم وغضـــــة سائل * على اذنه احلى من الشهد فى الفم

فحزن لفقد سمعه وتأسف وتحرق وتلهف وتارق وبكى وتأوه واشتكى وقال ما أتأسف من عدم سماع الحديث الاهلى فقدى صوت المستغيث ولا كنت أتألم من منع كلام الا بالاصغاء الى خطاب المتظلم ثم قال وان حرمت ذلك من طريق الاخبار فلا توصلن اليه من طريق الابصار ثم امر باشهار النداء فى الاطراف والارجاء انه من كانت له ظلامة فليظهر له علامة وهى ان يلبس ثوبا احمر ويقف فوق ذلك التل الاخضر لنعرف علامته وتنكشف ظلامته وقيل ان السلطان السعيد نور الدين الشهيد لما امر ببناء دار العدل وعزم ان يقيم فيها لمحكومات الفصل أدرك الامير الكبير صاحب الرأى المنير أسد الدين شيركوه ما يقصده السلطان ويرجوه وما يحمله على ذلك ويدعوه وعلم ان ذلك الاسد لا يسامح عنده احد وانه لا يراعى فى الحق اميرا ولا كبيرا ولا صغيرا فانه مع الحق وبالحق قائم لا تأخذه فى الله لومة لائم فجمع مباشرى دوانه وأكد ما قاله لهم باعيانه ان شكاكم احد او بلغه عن احد من حاشيته ظلم او نكد لاذيقنه اشد العذاب ولاقرنن به انكى عقاب وقال ما برز هذا الامر العزيز العالى ببناء هذا المقعد العام العالى الاجلى ولاجل امثالى فما وسعهم الا طلب الخصوم واسترضاء العادل والمظلوم (وروى) ان احد الصدور غصبه بعض عمال المنصور واخذ منه كفرا من الكفور فتوجه الى الخليفة وضرب له امثالا ظريفة وقال اصلح الله امير المؤمنين واقام به شعائر الدين ونصر به المظلومين على الظالمين اذكر لك الامثل اولا ام اضرب امام حاجتى مثلا فقال دع الجدل واضرب المثل فقال اصلحك الله العدل واقام بك قواعد الفضل ان الطفل اذا نابه ما يكره او قرعه خطب يشغله فر الى امه واجهش اليها من همه فأوى الى حضنها وانضم تحت بطنها لانه لا يعرف سواها فيستكشف بها عن نفسه ما دهاها ولا يظن ان غيرها يدفع عن نفسه ضيرها فاذا عرف اباه بث اليه شكواه واستدفع به ما عراه لانه قد وقر وفهم ان اباه اقوى من امه وان غيره من الناس لا يقدر على دفع البأس فيلجأ اليه فيترامى فى دفع شدائده عليه ولا يقبل عذره ان ترك نصره او قصر فى مبتغاه او تهاون فى متمناه ولهذا قال بدر الحلبى ان النساء والصبيان يظنون ان الرجل يقدر على كل شئ فاذا اشتد واستوى واصابه من احد جوى تقدم الى الوالى لان مقامه عالى وهو اقوى من ابيه فيستكشف به ما وقع فيه فاذا صار رجلا واصابه من احد نكد ولا اعتضد بنائب السلطان فوجد له احسن معوان فاشتكاه ورفع بلواه وكفاه اذدعاه من عداه ما دهاه ورعاه مما عراه فانه اقوى من الوالى واقدر على دفع الظلامة من كل منهمك غالى وهو السلطان الحاضر والعامل والناظر على البادى والحاضر فاذا ظلمه الوالى والعامل ونقصه حقه ذو الحكم الكامل تعلق باذيال عدل السلطان واستكشف برائع نصرته ما دهاه من عدوان اذ قد تحقق ورأى وصدق انه اقوى من الكل والى مرسومه مرجع الجل والقل ولا يد فوق يده وانه قد انتهى حديث رفعته الموصفاته وبلغ فى التسلط ونفوذ الامر الى اقصى امده اذ هو ظل الله فى ارضه وخليفته فى اقامة نفله واحياء فرضه وقادح ازمة المخلوقين ومنصف المظلومين من الظالمين فاذا لم ينصفه السلطان مع القدرة الكاملة والامكان توجه بشكواه الى سلطان السلاطين وطالب رفع ظلامته من رب العالمين لعلمه انه الحكم الذى لا يجور والحكم الذى بيده مقاليد

و بجوه يبكى و يتقلب كما تتقلب السمكة اذا خرجت من الماء وجعل يقول فى نفسه ما ادرى اى الامرين اعظم فى نفسى الهلكة ام قتل احبائى وان انال الفرح ما عشت وليس ملكى يبقى على الى الابد واست

بالصبر ... ولى فى ملكى وانى لزاهد فى الحياة اذا لم اراير اخت وكيف اقدر على القيام بملكى اذ هلك وزيرى ايلاذ وكيف اضبط امرى اذا فقدت الفيل الابيض وفرسى الجواد وكيف ادعى ملكا وقد قتلت من اشار البراهمة بقتلهم وما اصنع بالدنيا بعدهم ثم ان الحديث فشا فى الارض بحزن الملك وهمه فلما راى ايلاذ ما نال الملك من الهم والحزن فكر بحكمته ونظر وقال ينبغى لى ان استقبل الملك فاسأله عن هذا الامر الذى قد ناله من غير ان يدعونى ثم انطلق الى ايراخت فقال انى منذ خدمت الملك الى الآن لم يعمل عملا الا بمشورتى ورأيى ولم اره يكتم عنى امرا الا علم ما هو ولا اراه يظهر منه شيئا وانى رايته خاليا مع جماعة البرهميين منذ ايام وقد احتجب عنا فيها وانا خائف ان يكون قد اطلعهم على شئ من اسراره فلست آمنهم ان يشيروا عليه بما يضره ويدخل عليه منه السوء فقومى وادخلى عليه فاسأليه عن امره وشأنه واخبرينى بما هو عليه واعلمينى فانى لست اقدر على الدخول عليه فلعل البرهميين قد زينوا

له امرا وحملوه على خطة قبيحة وقد علمت ان من خلق الملك انه اذا غضب لا يسأل احدا وسواء عنده صغير الامور وكبيرها فقالت ايراخت انه كان بينى و بين الملك بعض العتاب فلست بداخلة عليه فى هذا الحال فقال لها ايلاذ لا تحملى عليه الحقد فى مثل هذا ولا يخطرن ذلك على

بالك فليس يقدر على الدخول عليه احد سواك وقد سمعته كثيرا يقول ما اشتهي ودخلت على ارانخت الاسرى ذلك اليوم فقومي اليه
واصفحي عنه وكلميه بما تعلمين انه تطيب به نفسه ويذهب الذي يجده واعلميني بما يكون جوابه فانه انا ولاهل المملكة أعظم

الراحة فانطلقت ارانخت فدخلت على الملك فجلست عند رأسه فقالت ما الذي بك أيها الملك المسعود وما الذي سمعت من البراهمة فاني أراك حزينا فاعلمني بذلك فقد ينبغي لنا ان نحزن معك ونواسيك بانفسنا فقال الملك أيتها المرأة لا تسأليني عن امري فتزيديني غما وحزنا فانه امر لا ينبغي ان تسأليني عنه قالت أوقد نزلت عندك منزلة من يستحق هذا انما أحمد الناس عقلا من اذا نزلت النازلة كان لنفسه أشد ضبطا واكثرهم استماعا عن أهل النصح حتى يخرجوا من تلك النازلة بالحيلة والعقل والبحث والمشاورة فعظيم الذنب لا يقنط من الرحمة ولا تدخلن عليك شيئا من الهم والحزن فانهما لا يردان شيئا مقضيا الا أنهما ينحلان الجسم ويشفيان العدو قال لها الملك لا تسأليني عن شيء فقد شققت علي والذي تسأليني عنه لا خير فيه لان عاقبته هلاكي وهلاكك وهلاك كثير من أهل مملكتي ومن هو عديل نفسي وذلك ان البراهمة زعموا انه لا بد من قتلك وقتل كثير من أهل مودتي ولا خير في العيش بعدكم وهل أحد يسمع بهذا الا اعتراه الحزن

القشور

فلما سمعت ذلك ارانخت جزعت ومنعها عقلها ان تظهر للملك جزعا فقالت أيها الملك لا تجزع نفسي لك الفداء ولك في سواي ومثلي من

الامور والحاكم الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وانه اقوى من السلطان ولا يحتاج في الشكوى الى بينة ولا بيان ولا الى دليل ولا برهان وقد نزلت بي حادثة للقلب كارثة وبالفكر عابثة وللسر طائشة وهي ان العامل الفلاني ظلمني واخذ مكاني فانا اشكوه اليك وقد ترامیت عليك وعرضت قصتي بين يديك لانك نعم السند وليس فوقك احد ولا في الحكام الامين مولاك بمنزلة الغلام وما بعدك الا الله مولى لا يخيب من رجاه ويجيب المضطر اذا دعاه فان وقعت قصتي وكشفت غصتي والا رفعتها الى الله وقطعت النظر عما سواه وهذا أوان النوم واعمال المنعم وانا متوجه الى سوحه ومترام على باب احسانه وكرمه فلما وعى المنصور خطابه ارسل من جهات حنفه عتابه وقال حبا وكرامة يا ذا الزعامة بل انصفك وبالفضل اسعفك واضعف كرامتك واكشف ظلامتك واوصلك حقك واعطيك مستحقك وامر فكتب الى عامله ينزعه من عمله ويأمره برد أراضيه وطلب مراضيه والتحلل من ظلم اياديه واكرام محله وناديه وروي ان موسى الكليم عليه الصلاة والسلام في بعض مناجاته وسؤال حاجاته سأل الله من فضله ان يريه نكتة من عدله فأمره ان يتوجه الى مكان ويختفي فيه عن العيان فامتثل ما به امر واختفى في ذلك المكان على شاطئ نهر فما كان باسرع من قدوم انسان الى ذلك المكان فلما ورد ما وصل اليه نزع من ملبوسه ما عليه وكان معه كيس فيه مال نفيس فاودعه ثيابه ورام في الماء انسيابه فدخل في ذلك النهر وغافل فيه الى ان غاب عن النظر فأقبل فارس فوجد ثيابا بلا حارس فنزل عن الدابة وفتش ثيابه واخذ كيس الذهب وركب فرسه وذهب واسرع في الذهاب الى ان زال شخصه وغاب ثم اقبل شخص ذو شيب وعلى ظهره حزمة حطب فانتهى الى الماء وقد برح به الظما واضعفه التعب واخذ منه النصب فطرح عن ظهره الحطب وقصد الراحة وقد ظهر الذي كان في السباحة فوجد عند ثيابه شخصا من اترابه فاستأنس به وناوله كتفه وما يقاسيه من نصبه ثم اشتغل بملبوسه وتفقد كيسه فلم يجده فقبض يده فسأل الحطاب عما كان في الثياب وطلب منه الكيس بالتعيين فقال ما رأيته ولا حويته فقال هل كان معك احد فقال لا والواحد الاحد قال فهل كان هنالك سواك قال لا والذي سواك قال يا اخي انا وضعت الهميان بيدي في هذا المكان ولم يطل على ذلك زمان ولا حضر سواك حيوان ولا طمث عذراء هذا الموضع انس ولا جان فلا اشك انك اخذته ولنفسك افردته فاقسم بعالم الخفيات وكاشف البليات المطلع على الضمائر والنيات انه ما رآه عيانا ولا يعرف لذلك مكانا فقال لو شهد لك الكون والمكان ونطق ببراءتك جوامد الزمان وزكاك الكرام الكاتبون لما شككت انهم كاذبون لان انكار المحسوس مكابرة والمثابرة على الباطل للحق مدابرة ولكن خذ لك منه يا فقير الثلث والثلث كثير واردد علي الثلثين وان ابيت فاجعله بيني وبينك نصفين فما زاد لك على اليمين وما لك هذا التعيين فقال اردد علي مالي والا قتلتك فلا لك ولا لي فقال ما رأيت مالك فافعل ما بدا لك فشرع في تفتيشه وبالغ في فحصه وتنبيشه فلم يهتد الى شيء سوى الحبال والحق فاخذه الحنق واشتد به الارق وثارت نفسه الابية واتقدت ثورته الغضبية فضربه بحد فقتله وعجل بالاهلاك فقده ثم تركه وذهب ولم يحظ من الذهب بغير اللهب كل هذه الاحوال وموسى عليه السلام يشاهد ما فيها من افعال واقوال ثم ناجى فقال يا ذا الجلال انت عالم بحقائق الامور وسواء عندك البطون والظهور سألت فضلك ان تريني عدلك فأريتني هذا المنكر وانت أعلى واعلم ففي ظاهر ما أريتني وبكرامة عرفتني من الشريعة الطاهرة ونص التوراة المطهرة ان هذا الحكم جور وظلم فاطلعني على الحقيقة وبين لي سلوك هذه الطريقة فقال الله تعالى وجل جلاله يا موسى المقتول قتل ابا القاتل والقاتل سرق الكيس من ابي الفارس القاتل ففي الحقيقة الفارس ابنه وصل الى ماله المخلف عن ابيه والقاتل انما استوفى قوده ممن قتل والده وهذه الامور انما تتضح لمن

النشور يوم تبلى السرائر وتكشف الضمائر وينادي يوم التناد لا ظلم اليوم ان الله قد حكم بين العباد ونظير هذه القصة ما ذكره الله تعالى برقصه في روض كلامه النضر عن موسى والخضر عليهما السلام والتحية والاكرام اذ ركب السفينة وخرق شرقاه وديا الى الغرق وقتل النفس الزاكية وأقام بغير أجر اركان الجدار الواهية وبعض ذلك يخالف الظاهر الشريعة تنفر منه النفوس السليمة والطبيعة ولكنه موافق للحكمة الالهية ومقتضيات العقل الحقيقة الذي لا يطلع عليه الا عالم الاسرار الخفية ولهذا قال جل واعلا أحدا وتعالى فردا صمدا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ثم استثنى من هذا القول الا من ارتضى من رسول وانما الشريعة الزاهرة وردت بما تقتضي من الحكم الظاهرة فتعبدنا الله في الشرائع بظاهر ما يثبت في الوقائع (قيل) من أيقن بحقيقة أربعة كان من ضيق ار بعة في سعة وأمن وحده من أيقن ان الصانع الضار النافع لم يخطئ ولم يغلط أمن من العيب والشطط ومن أيقن ان الخلاق ومقسم الارزاق لم يحف في خلقه ولم يمل في رزقه أمن من الحسد واستراح من النكد ومن أيقن بوقوع المقدور وانه لا ينجيه منه محذور أمن من الغم ولم يتسلط عليه الهم كما قيل

ماقد قضى يا نفس فاصطبري له ✻ ولك الامان من الذي لم يقدر

ومن عرف أصله أمن من الكبر نصله وكتب في قصته الى أعدل خلفاء بني أمية من عامل حمص انه هدم الدمص وهدم الحصن وان ربضها ارابض ومرعى رياضها بارض وانها محتاجة الى عمارة وزراعة وحراسة ومناعة فكتب اليه عمر بن عبد العزيز هذا الجواب المفيد الوجيز وهو حصنها بالعدل ونق طرقها من الظلم يثبت البناء وينبت الكلا والسلام وقيل أمير بلا عدل كغيم بلا مطر وعالم بلا ورع كشجر بلا ثمر وشاب بلا توبة كمشكاة بلا مصباح وغني بلا سخاء كقفل بلا مفتاح وفقير بلا أدب كطابخ بلا حطب وامرأة بلا حياء كطعام بلا ملح وقاض جائر كملح على جرح وقيل العالم بستان سياجه الشريعة والشريعة سلطان تجب له الطاعة والملك والملك راع يعضده الجيش والجيش أعوان يكفلهم المال والمال رزق تجمعه الرعية والرعية أحرار يستعبدها العدل والعدل سلك به نظام العالم واعلم ان الملة الاحمدية والشريعة المحمدية هي أعدل الملل وأقوم النحل مثلا النصارى لا يتحاشون الحائض أيام أقرائها ولا فرق بين الحائض وغيرها من نسائها واليهود يجتنبونها فلا يؤاكلونها ولا يشاربونها ولا يقربونها رأسا ويعدونها رجسا وركسا فسلكت الشريعة المحمدية في ذلك أعدل الطرق وأفضل المسالك فتعاشر كالاطهار وحرم قربان ما تحت الازار وفي بعض الملل على الذي قتل القود والقصاص وليس في الدية خلاص وفي بعض الدية لا غير وبالقصاص فيها سير ودين الاسلام المرفوع كل فيه مشروع والعدل في الاعتقاد بامالك البلاد ترك التفليط وسلوك ما بين الافراط والتفريط والقول بالتقديس والتنزيه واثبات الصفات من غير تعطيل ولا تشبيه واقتباس النور من جزين وسلوك أمر بين أمرين والعدول عن المذهب البغيض وهو مذهب الجبر والتفويض والعدل في الفقهيات بالمشروع المقدرات والمقدرات الذي قام عليه النص دليلا ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا فان العدل الوضوء المعتاد ثلاث مرات ومن نقص أو زاد فقد تعدى وظلم كذا قال النبي الاكرم صلى الله عليه وسلم أي تعدى ان أسرف وظلم ان أجحف والعدل في الصلاة ان تكون على مرتضى الشرع ومقتضاه وهي أداؤها في أفضل الاوقات مؤداة مع الجماعات في الصف الاول على الوجه الاكمل عن يمين الامام من الافتتاح الى الاختتام مع تعديل الاركان بل التعديل فرض عند بعض الاعيان لا نقرا كنقر الطير ولا نطول لا عذر بالغير والعدل في الزكاة ان لا يتيمموا الخبيث منه ينفقون ولا يجعلوا لله ما يكرهون ولستم بآخذيه الا أن يغمضوا فيه ولا يكلف جابي المال ان يعطى كرائم الاموال والعدل في الصوم بما يسد القوم ان لا يتناول فوق الغذاء المعتاد ولا يصل بالوصال الى

الجواري ما تقر به عينك ولكني أطلب منك أيها الملك حاجة بحماي على طاعتي لك واشاري اياك وهي نصيحتي لك قال الملك وما هي قالت أطلب منك ان لا تثق بعدها بأحد من البراهمة ولا تشاورهم في أمر حتى تتثبت في أمرك ثم تشاور رفقتك فانك مرارا فان القتل أمر عظيم ولست تقدر على ان تحيي من قتلت وقد قيل في الحديث اذا لقيت جوهرا لا خبرة به فلا تلقه من يدك حتى تريه من يعرفه وأنت أيها الملك لا تعرف أعداءك واعلم ان البراهمة لا يحبونك وقد قتلت منهم بالامس اثني عشر ألفا ولا تظنن ان هؤلاء ليسوا من أولئك ولعمري ما كنت جديرا ان تخبرهم برؤياك ولا ان تطلعهم عليها وانما قالوا لك ما قالوا لاجل الحقد الذي بينك وبينهم لعلهم يهلكونك ويهلكون أحبابك ووزيرك فيبلغون قصدهم منك فانك لو قبلت منهم فقتلت من أشاروا بقتله لظفروا بالملك وغلبوك على ملكك فيعود الملك اليهم كما كان فانطلق الى كباريون الحكيم فهو عالم فطن فاخبره بما رأيت في رؤياك واسأله عن وجهها وتأويلها فلما سمع الملك ذلك سري عنه ما كان يجده من الغم فأمر بفرسه فاسرج فركبه ثم انطلق الى كباريون الحكيم فلما انتهى اليه نزل عن فرسه وسجد له وقام مطأطئا الرأس بين يديه فقال الحكيم ما بالك أيها الملك وما لي أراك متغير اللون فقال له الملك اني رأيت في المنام ثمانية أحلام فقصصتها على البراهمة وأنا أخاف أن يصيبني من ذلك عظيم أمر مما سمعت من تعبيرهم لرؤياي وأخشى أن يغتصب مني ملكي أو أن

اغلب عليه فقال له الحكيم ان شئت اقصص رؤياك على فلما قص عليه الملك رؤياه قال لايحزنك أيها الملك هذا الامر ولا تخف منه اما

السكتان الحمراوان اللتان رأيتهما فاقتتلتا على أذنابهما فانه يأتيك رسول من ملك نهاوند بعلبة فيها عقدان من الدر

درجة الاجتهاد ويجعل الفطور بؤخر السحور والعدل في الحج ان لا يجارى في الانفاق ولا يضار الرفاق بالشقاق كما يفعله أبناء الزمان فان ذلك خسران والازدياد من ذلك نقصان ولقد بلغك يا قرّ ما قاله عمر لخادمه يرفا وذا لا يخفى كم بلغت نفقتنا مقدارا قال ثمانية عشر دينارا يا أمير المؤمنين قال ويلك اجحفنا بيت مال المسلمين واياك والاشر وقالت الله لكل شر فقد بلغك قيمة راحلة سيد البشر ليدل ذلك على ترك البطر والاشر ولا يقصر في نفقته بحيث يصير كلا على رفقته وكذلك في كل الانفاق يا ملك الآفاق قال من عز كلاما وجل مقالا ومقاما والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والعدل في النكاح يا حبيب الصباح ان عليه يقوى فهو أقرب للتقوى وهو بالاحسان واجب عند التوقان سنة عند القدرة عليه مستحب عند استواء طرفيه مكروه عند العجز عنه وهذا بحث قد فرغ منه وقس يا ذا الكرامات على هذا سائر العبادات وجميع العادات وعقود المعاملات ولا تتعدا الحدود في الحدود فان ذلك مردود وعلى قانون العدل وردت الشريعة المطهره وجرت قواعد شرائع الانبياء البرره وكذلك مقادير الملة المحمديه عليه أفضل صلاة وأزكى تحيه محررة على القواعد العدليه وفيها من الحكم الالهيه ما يعجز عن ادراكها القوى العقليه قال الله تعالى لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وحاصل الامر يا ذا النهى والامر ان العدل هو قوام كل فضيلة كما ان الصبر هو أساس كل خصلة جميلة وان أردت بسط هذا البيان فدونك القول والتبيان في تفسير القرآن المنزل على أشرف انسان ان الله يأمر بالعدل والاحسان فقد أشبع التقرير ودقق التحرير في روضة التفسير فارس ميدانه الامام الخطير فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير والعدل يجري في الصفات كما يجري في الذوات ومرتبته في العلو ان يكون بين التقصير والغلو كالكرم الذي يكون بين الاسراف والتبذير والشح والتقتير والتواضع الذي بين الضعة والتكبر وبين التهور والتصغر والشجاعة التي بين التهور والخفة والحلم بين الطائش الكفه والقناعة التي بين الحرص والطمع والنذالة والهلع وبين الجبن والتصلف والاحتشام والتقشف والاخلاص الذي بين الشرك والهوى وبين الاعجاب والريا والعفة التي بين التهافت على المشتهيات والترفع عن تناول المباحات والطيبات والحزم الذي بين سوء الظن والوهم والوسواس وبين اذاعة السر والاستخفاف وعدم المبالاة بالناس والحلم الذي بين الغضب بلا سبب وبين التغاضي عن الآثام عند وجوب الانتقام والشفقة ولين الجانب للاقارب والاجانب الذي بين القوة والاستكبار وبين الرخاوة واللين المستلزم لتضييع حقوق الاهل والجار وحفظ الحقوق الذي بين التكلف والعقوق يراعي فيهما الحدود ولا يخرج فيهما عن الحد المعهود فالخروج عنها يسمى عنادا وقساوه والتقصير فيها يسمى ركاكة ورخاوه مثلا من يستحق العفو لا يضرب ومن يستأهل الضرب لا يقطع ولا ينكب ومن استوجب القطع لا يقتل ومن وجب عليه حد لا يهمل وتجري أمور الشرع الشريف على ما ورد به الامر المنيف فما ثم أحد أكرم من الله ولا أرحم ولا أعلم بأمور مخلوقاته ولا أحكم قال السميع البصير ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وروى أن الامام الماجد جعفر بن محمد دخل على الرشيد وهو في أمر شديد قد استولى عليه الغضب واستخفه الطيش والصخب فقال يا أمير المؤمنين ان كان غضبك لرب العالمين فلا تغضب له أكثر من غضبه لنفسه وقد جعل لكل شئ حدا من نعمه وبأسه فلا تتعد حدوده فانه قد جعل كل عبيده فتذكر وقوفهم بين يديك واقتدارك عليهم اذا تأملوا قياما اليك قدومك يوم القيامة عليه ووقوفك خاضعا منفردا بين يديه ومن انتقامك منهم سؤاله اياك عنهم فسكن من غضبه واقتدى بأدبه وقال الحكماء للاسكندر عليك بالاعتدال في كل الامور فان الزيادة عيب والنقصان عجز وفي الحديث خير الامور أوسطها ولهذا قيل في الاقاويل ينبغي للانسان الراجح العقل في الميزان ان يحصل من كل علم مقدار ما يحتاج

والياقوت الاحمر قيمتها أربعة آلاف رطل من ذهب فيقوم بين يديك * وأما الوزتان اللتان رأيتهما طارتا من وراء ظهرك فوقعتا بين يديك فانه يأتيك من ملك بلخ فرسان ليس على الارض مثلهما فيقومان بين يديك * وأما الحية التي رأيتها تدب على رجلك اليسرى فانه يأتيك من ملك صغبين من يقوم بين يديك بسيف خالص الحديد لا يوجد مثله * وأما الدم الذي رأيت كأنه خضب به جسدك فانه يأتيك من ملك كازرون من يقوم بين يديك بلباس معجب يدعى حلة ارجوان يضيء في الظلمة وأما ما رأيت من غسلك جسمك بالماء فانه يأتيك من ملك رهزين من يقوم بين يديك بثياب كتان من لباس الملوك وأما ما رأيت من انك على جبل أبيض فانه يأتيك من ملك كيدور من يقوم بين يديك بفيل أبيض لا تلحقه الخيل * وأما ما رأيت على رأسك شبيها بالنار فانه يأتيك من ملك أرزن من يقوم بين يديك

بأكليل من ذهب مكلل بالدر والياقوت وأما الطير الذي رأيته ضرب رأسك بمنقاره فلست مفسرا ذلك اليوم وليس الله

بضارك فلا توجلن منه ولكن فيه بعض السخط والاعراض عن شئ فهذا تفسير رؤياك أيها الملك * وأما هذه الرسل والبرد فانهم يأتونك

اليه ويعول في مشكلاته عليه مثلا من علم الادب ما ينال به عند اربابه الرتب كاللغة والنحو والصرف ولو انه أدنى حرف ليقوم بذلك لسانه ومن علم المعاني ما يبدع به بيانه ومن العروض والقوافي المقدار الوافي والمعيار الكافي ومن الطب ما يعرف به مزاجه ويصلح به علاجه ويقوم به اعوجاجه ومن علم التفسير والقرآن ما يقتدر به على بيان كلام الرحمن ومن علم السنة والحديث ما يميز به الطيب من الخبيث ويضبط به أقسامه وصحته وسقامه والانساب والرجال وما لهم من صفات وأحوال ان لم يكن مفصلا فعلى الاجمال ويندرج فيه علم التاريخ العالي الشماريخ ومن علم الكلام ما يصحح به دينه ويقيم به اعتقاده ويقينه ومن علم الاصول وما اشتمل عليه من معقول ومنقول ما يقتدر به على استنباط الاحكام ومعرفة أدلة الحلال والحرام ومن علم الفروع ما يحكم به أصناف العبادات وأنواع العادات وطرائق العقود واقامة الحدود ومن علم مكارم الاخلاق ما يصيد به قلوب الرفاق ويكتسب به الذكر الجميل والثناء الجليل ومن الحرف ما يحصل به القوت الحلال ولا يصير على الناس كلا ذا ملال وقد قيل خالطوا الناس مخالطة ان غبتم حنوا اليكم وان متم بكوا عليكم ومن علم الركوب والرمي والسباحة والخط ولعب الرمح والمساحة وعلم الفرائض والحساب وطرائق المبايعات والكتاب ما يقتدر به على الدخول اليه اذا تكلموا فيه بين يديه بحيث يكون له فيه مشاركة والمام ولا يكون بين الخواص كالعوام وكل ما ذكر فسلوكه عدل والتلبس به كمال وفضل ورأس مال الجميع التقوى فان الانسان الضعيف بالتقوى يقوى قال الله تعالى ولكن يناله التقوى منكم وبالجملة فالعاقل العادل بل الكامل الفاضل لا يستنكف عن نوع من العلوم ولا تبرد همته عن اقتباس منطوق ومفهوم قال معلم الخير وعدو الشر تعلموا حتى السحر وقال

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه * ومن لم يعرف الخير من الشر يقع فيه

وكل صافي السريرة وذي بصيرة منيرة يتوجه الى التعلم والاستفادة ويجعل مراده مراده أي علم كان خصوصا اذا كان من الشرفاء كان قال بعض الوزراء لابنه يا بني تعلم العلم والادب ولا تسأم فيهما من الطلب فلولا العلم والادب لكان أبوك في السوق حمالا والذوق جمالا فبالعلم والادب ركبنا أعناق الملوك واحوج الناس باذا الافضال الى اكتساب الفضل والعلم والكمال السلاطين والملوك ومن تبعهم في السلوك فانهم بين خلق الله تعالى هم المرموقون والسابقون بجلائل النعم لا المسبوقون وبحفظ بلاده وعباده المستوثقون وبالسؤال عنهم موثوقون فهم المحملون لاعباء العدل المكلفون بالمحاسبة عنه والفضل قال من يقول للشيء كن فيكون قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فهم أقدر على التحصيل من غيرهم والزمان والمكان تابعان لسيرهم والخاص والعام يتقى قدحهم ويسلك في التوسل الى جنابهم مدحهم ويبذل في ذلك ما وصلت اليه يداه ويجعل تحصيل مآربه غاية مبتغاه فيبذل جهده في ايصالهم اليه ويكد قلبه وقالبه في اطلاعهم عليه قال الشاعر

ولم أر في عيوب الناس نقصا * كنقص القادرين على التمام

وقال بعض الملوك لاولاده يا بني اكتسبوا العلم والفضل وادخروا الحلم والعدل فان احتجتم الى ذلك كان مالا وان استغنيتم عنه كان جمالا وقال بعض الحكماء العلم ملك ذو أجنحة رأسه التواضع ودماغه المعرفة ولسانه الصدق وقلبه حسن النية ويداه الرحمة ورجلاه مثابرة العلماء وسلطانه العدل ومملكته القناعة وسيفه الرضا وقوسه المساهلة وسهمه المحبة وجيوشه مشاورة الادباء وزينته الخشية وحكمته الورع وكنزه البر وماله العمل الصالح ووزيره اصطناع المعروف ومستقره جودة الرأي ومأواه الموادعة ورفيقه مودة الاخيار وخيرته اجتناب الذنوب والحاصل يا ملك الطير ويا مالك عنان الخير ان قوام العالم ونظام بني آدم سيف الملوك والسلاطين وقلم العلماء الاساطين فهما أحد شقين من شعار صنف الملوك ومهما

بعد سبعة أيام بجماعة توقرون بين يديك فلما سمع الملك ذلك سجد لكباريون ورجع الى منزله فلما كان بعد سبعة أيام جاءت البشائر بقدوم الرسل ففرح الملك وجلس على التخت وأذن للاشراف وجاءته الهدايا كما أخبره كباريون الحكيم فلما رأى الملك ذلك اشتد عجبه وفرحه من علم كباريون وقال ما وفقت حين قصصت رؤياي على البراهمة فأمروني بما أمروني به ولولا ان الله تعالى تداركني برحمته لكنت قد هلكت وأهلكت وكذلك لا ينبغي لكل أحد الا ان يسمع الا من الاخلاء ذوي العقول وان ايراخت اشارت بالخير فقبلته ورأيت به النجاح فضعوا الهدية بين يدي لتأخذ منها ما اختارت ثم قال لايلاذ خذ الاكليل والثياب واحملها واتبعني بها الى مجلس النساء ثم ان الملك دعا ايراخت وحورقناه اكرم نسائه بين يديه فقال لايلاذ ضع الكسوة والاكليل بين يدي ايراخت لتأخذ أيهما شاءت فوضعت الهدايا بين يدي ايراخت فأخذت منها الاكليل وأخذت حورقناه كسوة من أنفس الثياب وأحسنها وكان من عادة الملك ان يكون ليلة عند ايراخت وليلة عند حورقناه وكان من سنة الملك ان تصنع له المرأة التي يكون عندها في ليلتها ارزا بحلاوة فتطعمه اياه فأتى الملك ايراخت في نوبتها وقد صنعت الارز فدخلت عليه بالصحفة والاكليل على رأسها فعلمت حورقناه بذلك فغارت من ايراخت فلبست تلك الكسوة ومرت بين يدي الملك وتلك الثياب تضيء عليها مع نور وجهها كأنها الشمس فلما رآها الملك أعجبته ثم التفت الى ايراخت فقال انك جاهلة حين أخذت الاكليل

وجده من خير الذي قد هلم علماء الارشاد والسلوك وفي الحقيقة يا شيخ الطريقة العالم عبارة عن هؤلاء وبصلاحهم تصلح الاشياء وبفسادهم والعياذ بالله تفسد الدنيا فذمهم لزوال الفساد وطهارة العباد عمارة البلاد بمنزلة الصابون للاوضار والاستغفار للاوزار فاذا فسد هؤلاء فما لفسادهم دواء كما قيل

الذنب صابون الاستغفار يغسله * كالثوب ينظف بالصابون ان وسخا
فالذي يغسل الصابون من دنس * اذا رأيناه صار الذنب والوسخا

وناهيك يا ملك العقبان ما فسد من الزمان وجرى من الدماء من طوفان وانمحى من أمهات البلدان عند استيلاء الكافر جنكزخان فسأل العقاب عن كيفية هذا المصاب والعقاب ومن هو جنكزخان الذي أفسد وخان وما أصله وفصله وكيف كان قطعه ووصله حتى نفذ في كبد العالم بالفساد نصله فقال هذا رجل من بقايا التتار الساكنين من بلاد الشرق في قفار وهم من بقايا يأجوج ومأجوج عن الاسلام منحرفون وعن الايمان عوج سموا بالترك لانهم تركوا عن دخول السد بالخروج فكانوا قبل جنكزخان متبددين في صحاري لا يتفق منهم اثنان مسيرة أماكنهم ومدى مساكنهم شرقا بغرب نحو من ثمانية أشهر وشمالا بجنوب لا ينقص عن هذا المدى ولا يقصر نحوها من الشرق حدود ممالك الخطا وأقصاها خانبالق وهي مدينة عظمى ووراءها شرقا يأمن برق ينتهي الحد عند السير الجد الى بلدة عظيمة ولايات جسيمة تدعى خنسار وأهلها كفار وهي مبدأ مملكة الصين بازاء الحد الصين ومن الشمال نواحي قرقير وسلنكاى ومن الجنوب بلاد تدعى تنكيت وتيت وتبت هذه بازاء النسك هي التي يتولد من غزالها المسك ومن الغرب وهي جهة قبلة تلك البلاد اذا صلى المسلمون منهم والعباد حدود بلاد أويغور وما والى تلك الكفور من بلاد تركستان بازاء الاحسان ويسير المجد منها اذا انفصل عنها كذا وكذا شهرا حتى يصل من جهة غربها الى ما وراء النهر ثم هؤلاء التتار كانوا في تلك القفار بين هذه الحدود الاربعة في مضيعة رأي مضيعة يتوالدون في ذلك البر ويتمارجون في ذلك السهل والوعر كالحيوانات السائبة في البر والبحر لا حاكم يردعهم ولا دين واعتقاد يجمعهم وهم فيما بينهم قبائل وشعوب وأصناف وضروب وخلائق وأمم لا يعرفون الاسلام والسلم بل كل أمة تأمن أختها وتنهب بنتها وتأكل رضيعها وكل طائفة تدغ جارتها وتقصد جارتها وكل من قوي على غيره كسره اما قتله واما أسره لم تزل المكافحة بينهم قائمة والمناطحة بين ثيرانهم وكباشهم دائمة وعيون الرشد والاهتداء عنهم نائمة وضواري الظلم والاعتداء في مسارح سوارح أسلافهم سائمة يعدون النهب غنيمة والفسق والفجور والنميمة أجل صنعة وأكل شيء يأكلون الكلاب والفار وما يجدونه من صيد القفار والميتة والدم والهوام لا يعرفون الحلال منها والحرام ويلبسون جلودها وأوبارها وأصوافها وأشعارها كما كان مشركو العرب في الجاهلية قبل اشراق شمس الملة المحمدية لا زرع لهم ولا ثمر سوى نوع من الشجر يشبه شجر الخلاف هو ثمرهم في الشتاء والاصطياف اسمه قسوق وهم على ما هم عليه من الفسوق يعبدون الاوثان والاصنام ويسجدون للشمس اذا بزغت من الظلام ويعظمون النجوم ويعبدونها ويخاطبون الجن ويرصدونها وفيهم كهنة يعتقدونها وسحرة ومكرة وسواجيع وزجرة يجبي خراجهم الى ملك الخطا وهم على أشد كفر وخطا قد تركب الكفر في احشائهم وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم وأعلى من فيهم من أكابرهم وذويهم علامة رياسته وانفراده بسياسته وانه فيهم ذو بأس شديد ورأي سديد ومال مديد كون ركابه من حديد وباقي أعيانهم وذوي مكانتهم وامكانهم ان كانوا ذوي جد فركابهم قضيب ملوي أو قد وعندهم أنفس ملبوس جلود الكلاب والفئوس والذئاب والتيوس وقس على هذا جميع حالاتهم ومفاخر آلاتهم فهم في قديم الزمان وحديث الحدثان من حين بنى ذو القرنين بين السدين وساوى على يأجوج ومأجوج بين الصدفين الى آخر وقت كانوا في قلة ومقت

وتركت البكاء وقالت ليس في غيرك انتفاعها فلما سمعت ابراخت مدح الملك لولدها وثنائه عليها وتشجيعه اياها وذمه رأيها أخذها من ذلك الغيرة والغيظ فضربت بالصحفة رأس الملك فسال الدم على وجهه فقام الملك من مكانه ودعا بايلاذ فقال له الا ترى وأنا ملك العالم كيف حقرتني هذه الجاهلة وفعلت بي ما ترى فانطلق بها فاقتلها ولا ترحمها فخرج ايلاذ من عند الملك وقال لا اقتلها حتى يسكن عنه الغضب فالمرأة عاقلة سديدة الرأي من الملكات التي ليس لها عديل في النساء وليس الملك بصابر عنها وقد خلصته من الموت وعملت اعمالا صالحة ورجاؤنا فيها عظيم ولست آمنة ان يقول لم لم تؤخر قتلها حتى تراجعني فلست قاتلها حتى انظر رأي الملك فيها ثانية فان رأيته نادما حزينا على ما صنع جئت بها حية وكنت قد عملت عملا عظيما وانجيت ابراخت من القتل وحفظت قلب الملك واتخذت عند عامة الناس بذلك يدا وان رأيته فرحا مستريحا مصوبا رأيه في الذي فعله وامر به فقتلها لا يفوتني ثم انطلق بها الى منزله ووكل بها خادما من امنائه وامره بخدمتها وحراستها حتى ينظر ما يكون من امرها وامر الملك ثم خضب سيفه بالدم ودخل على الملك كالكئيب الحزين فقال ايها الملك اني قد امضيت امرك في ابراخت فلم يلبث الملك ان سكن عنه الغضب وذكر جمال ابراخت وحسنها واشتد اسفه عليها وجعل يعزي نفسه عنها وضيق ويتجلد وهو مع ذلك يستحي أن يسأل ايلاذ هل امضى امره فيها أم لا ورجا لما عرف من عقل ايلاذ ان لا يكون قد فعل ذلك ونظر اليه ايلاذ

وضيق حال وسوء بال لا دنيا رضيه ولا آخرة رضيه حتى نبغ منهم هذا اللعين الطاغية تموجين الذي تسمى بجنكزخان وساعده قضاء الديان فأمده الزمان وأعطاه المكان لامر يريده الرحمن وقضاه وقدره على عبيده في سالف الازمان فطم العالم بالفساد فأهلك العباد والبلاد وأخلى الديار والدار وعم غالب بلاد الاسلام بالشنار والبوار فصلى الله على سيد بني عدنان بل أشرف جنس الانسان الذي قال يخرج في آخر الزمان رجل يسمى أمير العصب أصحابه محسورون محقرون مقصون عن أبواب السلاطين يأتونه من كل فج عميق كأنهم قزع الطريق يورثهم الله مشارق الارض ومغاربها أتبعهم من النساء والرجال اتباع اليهود والكفرة المسيح الدجال أمم لا يحصرها حساب ولا يحصيهم ديوان ولا كتاب وما يعلم جنود ربك الا هو فأرشدوا الى طرق الضلال بعد ما تاهوا وصار كل من أولئك الطغاة الكفرة الفجرة الاوغاد اللئام وكل كلاب خادم كلاب الصيود يجري سيفه الكال الكدود من أشراف الملوك وملوك الاشراف وفي أعضاد الاسود وفي رقاب النمور والفهود وكل ما ضيع شيخ وقيم وعلج من أولئك العلوج وعلوم يتفكه في أنواع المستلذات من المشروب والمطعوم وكل صعلوك مملوك من تركي متروك أو خدام مملوك يتحكم في رقاب أكابر الملوك ويستعبدون أحرار أولادهم ويستفرشون زوجاتهم وبناتهم في بلادهم

على رأس عبد تاج عز يزينه * وفي رجل حر قيد ذل يشينه

ومن لا يعرف البطائن المرويه ولم يسمع بالرقاع الكرباسيه يستوطئ الاستبرق والديباج ويتقلب على تخوت الصندل والساج ويترقى الى سرر الابنوس والعاج ويعامل التجار والمتاجرين في البر والبحار بألوف الالوف من الدرهم والدينار ويجبي اليهم نفائس المغارب من المشارق والمغارب ومكامن المعادن وذخائر الخزائن كل ذلك بواسطة ذلك الطاغيه واستيلاء الفئة الباغيه وكان من أمر هذا المصاب الذي بدل حلاوة العيش بمرارة الصاب ونحا في الدهر قواعد البلايا والاوصاب ان الله القاهر فوق عباده الذي لا يسئل عما يفعل من مراده بل له المراد في عباده وبلاده المتصرف في ملكه تصرف المالك في ملكه لما أراد ابتذال المصون وعموم الفساد في عالم الكون واستئصال غالب أهل الارض واذاقة بعض عباده بأس بعض واظهار آثار غضبه على صفحات الشهود وابراز أسرار قهره على وجنات الوجود ومحو سطور صدور علماء العالم على لوح الورود بلسان نار السخط ذات الوقود وتقدس أرض السلم من أطرافها واخلاء ربوع المحاسن من آلافها ابتدع هذا التمساح من أفواج أمواج هذه البحار ونبع من هذا التنين المبين من أوعار تلك القفار وأغوار أوغادها تلك التتار فكان ممتازا على أقرانه بوفور عقله وحسن بيانه ذا فكر مصيب ورأي صائب وحزم عجيب وعزم ثاقب وهمة تبارى الافلاك وثبات يجارى السماك كسر بصدماته الاكاسره وقص بسطواته القياصره وفرع بعزماته على قمم الفراعنة والجبابره وقهر بحملاته قهارمة خواقين الفياصره وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب أعجميا لا يحسب ولا ينسب لا لالمام الاخبار ولا اتفق في سياسة الممالك الا آثار بل فرع ما فرع من القواعد في جنة تفكيره واخترع ما ابتدعه من تدبير الملك من مطالعة صواب ضميره فاستن قواعد لو أدركه اسكندر ودار الملوك ما الا اقتفاء أثره وشيمة مبالى لو بانت غرور وشدادا وأقصر وفخور ونهلي ارصككان ويرمو تحيره وترتيب جيش السرايا والجنود وربط عقود الجيوش والبنود بطرائق يعجز عنها مهندس الحكمه ويتقاصر عن حل رموزها معزم الفطنة وغالب ما يقال له ويستعمله ويتمثله جيوش الاتراك في بسيط الارض من ابرام طرائق عساكرهم وانتقاض أغلاطهم من قوانين مراتبه وأفانين ما يسند به وتركه وله في ترتيب مراتب الحروب وما في فن الضرب والضراب من ضروب وطرائق الاصطلاح مخترعات دقائق لم يسبق اليها من لدن كيخسرو وكيقباد احكم بها المرافق ودمر المصادق وكبت المعادى وكسر الاعادى واستطال مع

بفصل هذا فعل الذي به فقال له لا تهتم ولا تحزن أيها الملك فانه ليس في الهم والحزن منفعة ولكنهما يضعفان الجسم ويفسدانه فاصبر أيها الملك على ما لست بقادر عليه أبدا وان أحب الملك حدثته بحديث يسليه قال حدثني (قال) يلا ذكر وانثى سامعتين ذكرا وانثى ملآ عشهما من الحنطة والشعير فقال الذكر للانثى انا اذا وجدنا في الصحارى ما نعيش به فلسنا نأكل مما هونا شيئا فاذا جاء الشتاء ولم يكن في الصحارى شيء رجعنا الى ما في عشنا فأكلناه فرضيت الانثى بذلك وقالت له نعم ما رأيت وكان ذلك الحب نديا حين وضعاه في عشهما فانطلق الذكر فغاب فلما جاء الصيف يبس الحب وانضمر فلما رجع الذكر رأى الحب ناقصا فقال لها أليس كنا أجمعنا رأينا على أن لا نأكل منه شيئا فلم أكلته فجعلت تحلف انها ما أكلت منه شيئا وجعلت تعتذر اليه فلم يصدقها وجعل ينقرها حتى ماتت فلما جاءت الامطار ودخل الشتاء تندى الحب وامتلأ العش كما كان فلما رأى الذكر ذلك ندم ثم اضطجع الى جانب حمامته وقال ما ينفعني الحب والعيش بعدك اذا طلبتك فلم أجدك ولم أقدر عليك واذا فكرت في أمرك وعلمت اني قد ظلمتك ولا أقدر على تدارك ما فات ثم استمر على حزنه فلم يطعم طعاما ولا شرابا حتى مات الى جانبها والعاقل لا يعجل في العذاب والعقوبة ولا سيما من يخاف الندامة كما ندم الحمام الذكر وقد سمعت أيضا ان رجلا دخل الجبل وعليه رأسه كارة من العدس فوضع الكارة عن ظهره ليستريح فنزل قرد من شجرة فأخذ ملء كفه من العدس وصعد الى الشجرة فسقطت من يده

حبه فنزل فى طلبها فلم يجدها وانتثر ما كان فى يده من العدس أجمع وانت أيضا أيها الملك عندك ستة عشر ألف امرأة تدع أن تلاعبهن
وتطلب التى لا تجدها فلما سمع الملك ذلك خشى أن تكون ايراخت قد هلكت فقال لايلاذ لم لا تأنيت وتثبت بل أسرعت عند

كثرة مخالفيه عليهم وانفذ سهم تحكمه وتحكيمه فيهم واليهم وصال فيهم حسبما اراد وجال واتسع له فى التضييق على الاسلام والمسلمين المجال فكل من عامله بالمجاملة وتلقاه بالعبودية وحسن المعاملة أبقى على نفسه واهله وماله وحصنهم من البر خيله ورجاله ومن قابله بالمقاتلة وقاتله بالمقابلة ولاقى صف قتاله بسورة المجادلة محا سطور كونه من لوح الوجود واوطأ سنابك خيله منه الجباه والخدود تخريب ديارهم ومسح آثارهم مع شركه واسلامهم وتبديد عساكره ونظامهم ومع ان أكثر الملوك والسلاطين وحكام الممالك الاسلامية من الامراء والاساطين اعتدوا كثرتهم بالاتراك والتتر وشدة ماهم فيه من الفتوة والبطر ولاعتمادهم على حصونهم الحصينة وتعويلهم على معاقلهم المكينة ولكثرة العدد والعدد ومساعدة المدد والمدد ولوفور المآثر ببلادهم وخراب بلاده وبسطة استعدادهم وضيق استعداده لم يعاملوه الا بالمكافحة ولا ردوا جواب خطاباته الا باللعن والمكالحة والسب والمقابحة ولا قابلوه الا بالمراجعة والمراوحة والمناطحة فقتلهم وأبادهم واستأصل طارفهم وتلادهم وتوطن ديارهم وبلادهم وأبادهم عن آخرهم واطفأ قبائل عشائرهم فدلا كبارهم أسمطة الرزايا ووضع فى أفواه أصاغرهم أثدية المنايا وأضافهم فى ولائم الدمار وأطافهم على شهائب الانكسار فى ملابس البوار فاستأصل شأفتهم بالكلية وحكم فيهم صوارم المنية فلم يبق من مائة ألف انسان مثلا مائة انسان وذلك أيضا اما على سبيل التغافل أو على سبيل النسيان وسنذكر على سبيل الاجمال ما يدل على تفصيل ماله من أحوال وشواهد ما نزعه من أهوال واستمر ذلك فى ذريته وان كانوا رجعوا عن ملته واصل هذه الاهلة التى أضحت بخافقان اللعين أكسى من نسله قبيلة من تلك التتار الساكنين فى تلك القفار تسمى قبات ظلمة عتات غير أمناء ولا ثقات منها آباؤه وأجداده وفيهم أقاربه وأحفاده واخوته وأولاده فنشأ كما ذكر بطلا باسلا وشجاعا كاملا سهام أفكاره فى غرضه مصيبة وسهام آرائه فى مكره مخصيبة ثم اتصل بعدما أخفى وخان بملك الخطا يسمى باونك خان وأظهر من انواع الفراسة والفروسية والكياسة ما فاق به أناسه وفات من العقل قياسه فقربه الملك وأدناه وأولاه واصطفاه ولا زال يترقى عنده الى أن ملك جنده وصار عضده وزنده ودستور ممالكه ومسلك مسالكه وحاكم امرائه وناظم أمور وزرائه وناظر جمهور كبرائه وعين اعوانه وعون اعيانه واعز من اخوته واولاده وابر من حفدته وتلاده وكثفت حواشيه وعظمت غواشيه وملأت السهل والوعر فواشيه ومواشيه فثقل على الوزراء وصعب على الامراء ازدياد الاقتدار عليه ومرجع الامر والأمور اليه فسعوا لسله عند الخان واخوته وأجناده وأسرته وأعملوا المكائد ونصبوا المصائد وتعاطوا افساد صورته وتواطؤا على افساد سريرته فصاروا يتناوبون على ذلك فى غيبته ويفرقون اديم عرضه عند الخان ويشقون ستر عصمته بمخالب البهتان ويراقبون للكلام أوقات القبول ويواظبون فى السعاية عليه بدلائل المعقول حتى أوغروا صدر الملك عليه وأخذ يفكر فى كيفية ايصال الاساءة اليه ولم يقدر على مواجهته لوفور جماعته وكثرة حاشيته فان أوتاده كانت ثابتة وغراس همته كالارزة نابتة وفروع دوحة عصبيته قد أحاطت بالملك من كل جهاته حتى قيل ان ذلك الثقيل كان له من القرابات وذوى الارحام والعصبات والاولاد والاحفاد ما جاوز فى التعداد عشرة آلاف نسمة كل له حرمة وكلمة فأضمر له السلطان البيات وانتخب لذلك من عسكره أولى الثبات والاثبات الثقات ولم يختلف عليه فى ذلك اثنان لانه كان قد استحكم فيهم منه الشنآن وطالت سهم مكرهم نفذ وحسام فكرهم فى قطعه فاذ ورأوا من الرأى أرصنه ان يراقبوا الغفلة ممكنه فتراصدوا على ليل هجيه يدهمون فيها أمنه وكان عند الخان صبيان محرمان لا يؤبه اليهما ولا يعول فى الامور عليهما يدعى أحدهما كالك والآخر باده فانسلا من بين أولئك القادة وسلكا طريقا غير المعتادة وأتيا تيمور حين الطاغية اللعين فى خفيه ونجواهما

سماع كلمة واحدة فتعلقت
بها وفعلت ما أمرتك به
من ساعتك قال ايلاذ ان
الذى قوله واحد
لا يختلف هو الله الذى
لا تبديل لكلماته ولا
اختلاف لقوله قال الملك
لقد أفسدت أمرى
وشددت حزنى بقتل
ايراخت قال ايلاذ اثنان
ينبغى لهما ان يحزنا الذى
يعمل الاثم فى كل يوم
والذى لا يعمل خيرا قط
لان فرحهما فى الدنيا
ونعيمهما قليل وندامتهما
اذا عاينا الجزاء طويلة
لا يستطاع احصاؤها فقال
الملك لئن رأيت ايراخت
حية لا أحزن على شئ أبدا
قال ايلاذ اثنان لا ينبغى
لهما أن يحزنا المجتهد فى
البر كل يوم والذى لم يأثم
قط قال الملك ما أنا بناظر
الى ايراخت أكثر مما
نظرت قال ايلاذ اثنان
لا ينظران الاعمى والذى
لا عقل له وكان الاعمى
لا ينظر السماء ونجومها
وأرضها ولا ينظر القريب
والبعيد كذلك الذى
لا عقل له لا يعرف الحسن
من القبيح ولا المحسن من
المسئ فقال الملك لو رأيت
ايراخت لاشتد فرحى
قال ايلاذ اثنان هما
الفرحان البصير والعالم
فكما ان البصير يبصر امور العالم وما فيه من الزيادة والنقصان والقريب والبعيد كذلك العالم يبصر وأخبراه
البر والاثم ويعرف عمل الآخرة ويتبين له نجاته ويهتدى الى صراط مستقيم قال الملك ينبغى لنا ان نتباعد منك يا ايلاذ ونأخذ الحذر منك

الاتقاء قال ايلاذ اثنان ينبغى ان يتباعد منهما الذى لا يقول لا بر ولا اثم ولا عقاب ولا ثواب ولا شىء على فيما آتيه والذى لا يكاد يصرف بصره
عن المحرم ولا اذنه عن استماع السوء ولا فرجه عن نساء غيره ولا قلبه عما تهم به نفسه من الاثم والحرص قال الملك
صارت يدى من ايراخت صفراء قال ايلاذ ثلاثة اشياء صفر النهر الذى ليس فيه ماء والارض التى ليس فيها ملك والمرأة التى ليس لها بعل قال الملك انك يا ايلاذ لتلقى بالجواب قال ايلاذ ثلاثة يلقون بالجواب الملك الذى يعطى ويقسم من خزائنه والمرأة المهداة الى من تهوى من ذوى الحسب والرجل العالم الموفق للخير ثم ان ايلاذ لما رأى الملك اشتد به الامر قال ايها الملك ان ايراخت بالحياة فلما سمع الملك ذلك اشتد فرحه وقال يا ايلاذ انما منعنى من الغضب ما اعرفه من نصيحتك وصدق حديثك وكنت ارجو لمرتبى بها لك ان لا تكون قد قتلت ايراخت فانها وان كانت أتت عظيما واغلظت فى القول فلم تأته عداوة ولا طلب مضرة ولكنها فعلت ذلك للغيرة وقد كان ينبغى لى ان اعرض عن ذلك واحتمله ولكنك يا ايلاذ اردت ان تتثبتنى وتتركنى فى شك من امرها وقد اتخذت عندى افضل الايادى وانا لك شاكر فانطلق فائتنى بها
فخرج من عند الملك فاتى ايراخت وامرها ان تتزين ففعلت ذلك وانطلق بها الى الملك فلما دخلت سجدت له ثم قامت بين يديه وقالت احمد
الله تعالى ثم احمد الملك الذى احسن الى وقد اذنبت الذنب العظيم الذى لم اكن للبقاء اهلا بعده فوسعه حلمه وكرم طبعه ورأفته ثم احمد ايلاذ

واخبراه وبصراه وانذراه وحذراه عاقبة الاهمال مع عسكره المهمل وقالا ايها العفريت قد طفحت الكاس قدر التبييت فتنبه من النوم وراقب فى الليلة الفلانية هجوم القوم فانه قد مرج مارج الفتنة فامرج وعن وهاد غفلتك اعرج ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج و باعاه من السر ما جرى بخبير المشترى وقصا عليه القصص فلما طير حياته من القفص وطى خياته من القنص فشكرا هما وافضاهما واستكتمهما واقواهما ثم تثبت فى امره واخفاه عن زيده وعمره وجمع تلك الليلة رجله وخيله ولم يبد ذلك الحال لاحد من الرجال بل اخلى بيوته ولازم سكوته وقصد احد الجوانب عاممه من راجل وراكب واقام فى كمين ينظر ايصدق الواشى ام يمين فما مضى هزيع من الليل الا وقد هجمت الخيل فوجدوا البيوت خاليه والاطلال خاويه فحقق صدق الناقل وانه ناصح عاقل فحمل مصلحته واخذ حذره واسلحته وتقرر وقوع النكد فتقدم امامهم واستعد فقصدوه و بالاذى رصدوه ولا زالوا يتبعونه حتى التقوا بمكان يسمى بالجونه وهو عين ماء فى حدود بلاد الخطا فاشتعلت بين الفريقين نار الحرب وقصد كل منهم الآخر بالطعن والضرب فاعانه الله ونصره فكسر الخان وعسكره وفر بمن معه من فئة وذلك فى سنة تسع وتسعين وخمسمائة وغنم قوجين من الاموال والمواشى والاثقال وذخائر الخزائن ونفائس الجواهر والمعادن مافات العد والحصر فخارجا عن سعادة النصر وهرب الخان وتهدمت منه الاركان فجمع جنكزخان عسكره وضبط اسماء من حضره ومن كان شاهد القتال ومواقف الحرب والجدال من النساء والصبيان والرجال ومن خادم ومخدوم وخاصم ومخصوم ومأمور وامير وكبير وصغير حتى السائس والجمال والقلباج والبغال والطفل والرضيع والنذل والوضيع ومن شهد تلك الغارة او كان فى تلك الداره ولو حاضرا للتفرج مع النظاره واستبشر بوجودهم وتيمن بورودهم فاثبتهم فى الديوان باسماء آبائهم وجدودهم وفرق عليهم ذلك الفىء ولم يرفع الى خزائنه منه شىء بل وزع ذلك المغنم الوافر العظيم المتكاثر على الحاضرين معه من العساكر وضبط اسماءهم فى الدفاتر وفرق ذلك العرض العريض الطويل على قدر الحقير منهم والجليل ووعدهم بكل جميل واما الغلامان اللذان اخبراه وعلى ما كان اضمره الخان انذراه وكانا سبب حياته وخلاصه من الموت ونجاته فانه جعلهما ترخان فصار السهم مقاصده كانهما ترخان والترخان عبارة عن المعاف المطلق يستوفى حقوقه ولا يقوم عما عليه من حق لا يؤاخذ بقصاص ان قتل وقس على هذا ما يوجبه القول والعمل مقضى المآرب موصول المطالب لا يكلف بخدمه ومباشره ولا بحضور ومعاشره مهما طلب اعطى ويعد ما صيب او لم يخطى واعلى مراتبه فى مراعاة جانبه انه يدخل على السلطان من غير استئذان وهو نائم مع سراريه ونسائه وجواريه فيذكر ماله من مآرب فتقضى ومن شفاعة فتقبل وتمضى ويعطى بذلك مناشير وتواقيع وتقادير تتابع التاسع من اولاده وتشمل احكامها جميع اسباطه واحفاده ولما انتصر وحصل امنه واستقر وتعاظم امره واشتهر وعظم صيته وانتشر قرر كل من حضر تلك الوقعه فيما يليق به من منصب ورفعه ذأوبت القبائل اليه وانهالت الرؤس والوجوه عليه ورجع الخان واستعد واعد ما وصلت اليه يده من عدد واستعان عليه بالمدد والمدد ثم تلاقيا كرتين وتصاولا مرتين انكسر الخان فى الاولى وقبض عليه بعد الكسرة فى الاخرى فقتله واباده واستملك بلاده واستولى على عساكره واستحوذ على ذخائره وعشائره وهربت اولاد الخان ولجأت الى اطراف تركستان ثم راسل سلطان اقطار الصين بكلام رصين يدل على عقل حصين واسم ذلك السلطان التون خان وطلب المهادنة والموافقه والمصافاة والمصادقه فلم يلتفت الى كلامه فضلا عن اعزازه واكرامه اتكالا على حسبه واستنادا الى نشبه ونسبه واعتمادا على سعة ممالكه وكثرة ملوكه ومناعة حصونه وعمارة بلاده ووفرة ملوكه فان ممالك جنكزخان بالنسبة الى ولايات

الدافات لاش واقل من لاش وعساكره وقبائله بالنظر الى اهل الصين اوشاب اوباش فرجع قصاد
جنكزخان بالخيبة وذكروا ما راوا الملك الصين من عظمة وهيبة فلم يلتفت اليه ثم قصد التوجه عليه بعدد
كالرمال ومدد كالجبال وواقعه فكسره وناقفه فقهره وقبض عليه واباده واستصفى ولايته وبلاده
وكانت هذه الكسرة والنصرة فى سنة احدى وستمائة من الهجرة فاستقل من غير منازع ولا ممانع ولا
مدافع فلما خلصت له الممالك وانقادت له الملوك والمالك اخذ فى ترتيب الامور وتهذيب الجمهور وطير
اجنحة مراسيمه الى اطراف ممالكه واكناف اقاليمه فرفع جميع ما هم عليه من النهب والغارات والتحزبات
وطلب الثارات فهدم قواعد الظلم والتعدى فى ممالكه فلم ير اعين من ولايته ولا آمن من مسالكه وهى
ممالك المغل والخطا والى الصين شرقا وولايات المغل والجتا وبلاد الترك والى حدود اترار ما وراء النهر غربا
فجرى بعد النهب والاسار فى ممالك المغل والتتار والبغى والعدوان العدل والامان والسلامة والاطمئنان
وبعد السرقة والخيانة الوفاء والامانة وأمر بوضع البرد والمنارات والعلائم والاشارات وعمرت المفاوز
والمناهل وسكنت الصحارى والمنازل وعرفت طرق المياه والمناهل وائتلفت تلك الطوائف والامم
وانتشر صيت عدلها فى العرب والعجم واخترع كما ذكر انواع سياسات وقرر للمملكة قواعد بنيان
واساسات ألف بها بين تلك الطوائف فلم ير بينهم مخالف ولا غيره موافق على سعة ممالكهم واختلاف
مسالكهم وتعدد اديانهم وتفاوت كل اخلاقهم ومبانيهم فانهم كانوا ما بين مسلمين ومشركين ومجوس
وارباب ناقوس ويهود ومن لا يدين لمعبود وصابئة وغواة وعباد الشمس والنجوم ومن يعبد لها
اوثان الرجوم وكل منهم يتعصب لمذهبه ويغض من مذهب صاحبه فلم يتعرض لاحد فى دينه ولا وقف
له فى طريق اعتقاده ويقينه واما هو فلم يتقيد بدين لا كافر مع الكافرين ولا مهتد مع المهتدين ولا
يتعصب لملة من الملل ولا يميل لنحلة من النحل بل يعظم علماء كل طائفة ويحترم زهاد كل ملة على دينها
ونساكه ويعد ذلك الفعل قربة حيث يعظم كل دين وحزبه وكل من اختار من اولاده واسباطه واحفاده
وامرائه ورعيته واجناده دينا من الاديان لا يعترض عليه اى دين كان فبعضهم كان مسلما حنيفا
وبعض كان يهوديا وبعض نصرانيا وبعض مجوسيا الى غير ذلك من الالحاد والزندقة وعدم الاعتقاد
وحيث لم يتعرضوا الى دنياه ولا نازعوه ملكه الذى تولاه لم يشاققهم فى دينهم ولم يوافقهم فى يقينهم
واخترعه وانفسه فى المملكة قواعد حمل عليها الاقارب والاباعد ثم انه لم يكن له كتاب ولا خط ولا اولئك
الحروف فلم يعرفون بقط امر اذ كان قبيلته وعقلاء مملكته ان يضعوا له خطا وقلما يكون لهم علما وعلما
فوضعوا له قلم المغل واشتغلوا به اهم شغل ونسبوه الى قبيلته ليدلوا به على فضيلته فقالوا اقو تاتقو يعنى
قلم قتات وهى قبيلة ذلك القتات فوضعوا مفرداته ورتبوها ثم جاءوها وركبوها وهى اربعة عشر حرفا
ظاهرة بينهم لا تخفى وهذه صورة مفرداتها ....
فأمر اولاده واحفاده وجماعته واجناده ومهرة الرجال والاذكياء والاطفال ان يتعلموا هذا الخط
وينشروه ويتداولوه ويشهروه فانتشر بينهم حتى ملأ رأسهم وصفهم فرجعوا به المراسيم والمناشير
ورصعوا بجواهره جباه المساطير ووضعوا الرسومات الديوانية والتوقيعات السلطانية وابتدع لهم تواريخ
وحساب كل ذلك بهذا الكتاب ثم لما تقرر امره وانتشر فى الآفاق ذكره مهد قواعد اسسها ونصب
فى دوحة مملكته اصول خلاف غرسها ووضع على ما اقتضاه رأيه التعيس وفكره الخسيس طرقا وقوانين
ودرب فى امور الحكومات اساليب وقوانين فجعل لكل حكومة حكما وفوق لكل حادثة سهما وفرع لكل
جريمة عقوبة ولكل سيئة عقوبة وقرر لكل معصية حدا ولكل بنيان مخالفة هدا ولكل فرع اصلا
ولكل سهم من الوقائع نصلا وبين كيفية الصيد والطرب وسلك فى كل ذلك الطريق والدرب والتى

دروس

الذى اخذ رامرى واغنانى من الهلكة اعلمه برأفة الملك وسعة حلمه وجوده وكرم جوهره ووفاء عهده وقال الملك لايلاذ ما اعظم يدك عندى
وعند ايراخت وعند العامة اذ قد احييتها بعدما أمرت بقتلها فانت الذى وهبتها الى اليوم فانى لم ازل واثقا بنصيحتك
وتدبيرك وقد ازددت
اليوم عندى كرامة
وتعظيما وانت محكم
فما كان تعمل فيه بما ترى
وتحكم عليه بما تريد فقد
جعلت ذلك اليك ووثقت
بك قال ايلاذ ادام الله لك
أيها الملك الملك والسرور
فلست بمحمود على ذلك
فانما انا عبدك ولكن
حاجتى ان لا يعجل الملك
فى الامر الجسيم الذى
يندم على فعله وتكون
عاقبته الغم والحزن ولا
سيما فى مثل هذه المرأة
الناصحة المشفقة التى
لا يوجد فى الارض مثلها
فقال الملك حق قلت
يا ايلاذ وقد قبلت قولك
ولست عاملا بعدها عملا
صغيرا ولا كبيرا فضلا
عن مثل هذا الامر العظيم
الذى ساءت منه الا بعد
المؤامرة والنظر والتردد الى
ذوى العقول ومشاورة
أهل المودة والرأى ثم
احسن الملك جائزة ايلاذ
ووهبه من اولئك
البراهمة الذين اشاروا
بقتل احبابه فاطلق
فيهم السيف وقرت عين
الملك وعيون عظماء اهل
مملكته وحمدوا الله واثنوا
على كباريون لسعة علمه
وفضل حكمته لان بعلمه
خلاص الملك ووزيره
الصالح وامرأته الصالحة وانقضى باب ايلاذ و بلاذ وايراخت

﴿باب اللبوة والاسوار والشعهر﴾

(قال) دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثلا فى شأن من يدع ضر غيره اذا قدر عليه لما يصيبه من الضر

دروس ذلك على أولاده وحفدته وجيوشه ورعيته بحيث انهم حفظوها ووعوها وفي سيرهم هربها ومرجاوحوها فمن أحكامه الظالمة وفروعه المعتمدة صلب السارق وخنق الزاني وان شهد بذلك واحد فلا يحتاج الى ثاني ثم فصل حد السارق بهذيان فارق فقال في السرقة من جركاه أو بيت شهروه بوجوب الصلب وبقطع اليدان كان بالنقب ثم كلا السارقين يؤخذ ما لهما من مال وعين ويسترق ما لهما من أولاد وينتقل الى السلطنة مالهما من طريف وتلاد ومنها معاقبة دعوى من سبق سواء كذب او صدق ومنها استعباد الاحرار وتوارث الفلاح والاكار ومنها توريث نكاح الزوجة لاقارب الزوج وتداولهم اياها وجارية فوج فان تزوجها أحد منهم كان أحق بها ولا تخرج عنهم والا زوجوها من شاؤا وأخذوا مهرها وباؤا ومنها عدم العدة وعدم انحصار الزوجات في عدد ومنها الاخذ بقول الجواري والصبيان وتجاوزه الى الرجال العبيد والنسوان ومنها امتثال امر السلطان على الفور من غير توان ومنها لزوم ما لا يلزم من العطايا وايجاب ما يتبرع به الانسان من التحملات والهدايا حتى لو أعطى شخص شخصا من ماله هدية أو شقصا فان ذلك يلزمه وفي كل عام يغرمه ومنها الجثو بين يدي الحاكم على الركب وقت التحاكم ومنها مطالبة الجار بالجار ومعاقبة البري بجريرة مرتكب الاوزار وذلك لادنى مناسبة من معرفة او مصاحبة فضلا عن أكبر صحابه أو شديد قرابة ومنها ان لا يتقدم الوضيع على الشريف ولو كان ذا مال عريض وجاه كثيف ومنها العمل بما يقتضيه العقل والكف عما لا يدركه ولو ورد به النقل ومنها منع عفو الحاكم وان عفا المظلوم عن الظالم ونحو هذه الخرافات الباطلة والهذيانات العاطلة ومن اسخفها واسخفها انه لو اخذ احدا له عن قواعدهم ذو غفلة من ثوب احدهم قلة فان دفعها الى صاحبها خلص من تبعة عواقبها وغرامة مطالبها فان شاء قصعها وان اراد وضعها وربما اختار عودها الى مكانها فارسلها وان قتلها او رماها والى صاحبها ما اداها فات صاحبها اشخاصه والى حاكم التتار يحاكمه ويدعي عليه بين يديه بان هذا الانسان عمد الى حيوان ربيته بين سحري ونحري وغذيته بدم صدري وظهري فقتله قصدا وافناه عمدا من غير سبب تقدم اليه ولا ايذاء اجترا به عليه فيفضيه الى الاجترام ويأخذ ديته منه بالاغترام وقس على هذا اليسير انواعا من الكثير ومن تتبع هذه البعرة على خرافة البعير ومن هذه القواعد امر الاقارب والاباعد بما يستحسنه العقل ويستقبحه النقل من سلوك طريق الفتوة ومعاملة الخلائق بالمروءة والكرم والاحسان والمداراة مع كل انسان والكف عن الظلم والغارات الا في طلب الثارات ثم وضع طرق المكاتبات والمراسلات والمشافهات والمخاطبات فكان في المكاتبات طريقة رسمه ان لا يزيد على وضع اسمه مثل ان يقول في أول الكتاب ويراعي اسم لا الخطاب عند ابتداء المقال بمدحة او صال بجنكزخان كلامي ثم يكتب بعده من نصف السطر الثاني الى فلان ليفعل كذا ولا يتعال بان واذا شرع يذكر مخ المقصود بطريق معهود بين العبارات من غير مجازات واستعارات ويختم بذكر الزمان واسم المنزل والمكان واذا استدعى احدا الى الطاعة وملوك السنقاسوة الجماعة فانه يتجنب التهويل والتهديد ويتحامى عن التشريد والتشديد ويرغب بالوعد ويترك الوعيد ثم يقول ان سمعتم واطعتم فزتم وغنمتم وان ابيتم وتماديتم فليس امر ذلك الينا ولا درك علينا بل علمنا يرى فحكم الخالق القديم رأيه فان في تقديره وتدبيره كفايه فهذه القاعدة باقيه في تلك الفئة الباغية مستمرة على الدوام والى هذه الايام جارية على هذا النمط يكتبون اسم الخان والخاقان فقط وكذلك الامراء والوزراء والمباشرون والكبراء يكتبون في أول الكتاب فلان لا كنية ولا جناب وكذا الى الاكابر من الاداني يذكرون اسم الكبير ووظيفته فلان الى الفلاني والمافرغ من ترتيب هذه القواعد الملعونة وخرج بها على خلاف الشريعة الميمونة وقررها في الامور الديوانية والاحكام السلطانية امر

و يكون له فيما ينزل به واعظ وزاجر عن ارتكاب الظلم والعداوة للغير قال الفيلسوف انه لا يقدم على طلب ما يضر بالناس وما يسوؤهم الا اهل الجهالة والسفه وسوء النظر في العواقب من امور الدنيا والآخرة وقلة العلم بما يدخل عليهم في ذلك من حلول النقمة او بما يلزمهم من تبعة ما اكتسبوا فان الاحاطة بالعقول وان سلم بعضهم من ضرر بعض عقبة عرضته قبل ان ينزل به وبال ما صنع فان من لم يفكر في العواقب لم يأمن المصائب وحقيق ان لا يسلم من المعاطب وربما اتعظ الجاهل واعتبر بما يصيبه من المضرة من الغير فارتدع عن ان يغشى احدا بمثل ذلك من الظلم والعدوان ويحصل له نفع ما كف عنه من ضرره اضعافه في العاقبة فنظير ذلك حديث اللبوة والاسوار والشهر قال الملك وكيف كان ذلك قال الفيلسوف زعموا ان لبوة كانت في غيضة ولها شبلان وانها خرجت في طلب الصيد وخلفتهما في كهفهما فمر بهما اسوار فحمل عليهما ورماهما فقتلهما وسلخ جلديهما فاحتقبهما وانصرف بهما الى منزله ثم انها رجعت فلما رأت ما حل بهما من الامر الفظيع اضطربت ظهرا البطن وصاحت وضجت وكان الى جنبها شهر فلما سمع ذلك من صياحها قال لها ما هذا الذي تصنعين وما نزل بك فاخبريني به قالت اللبوة شبلاي مر بهما اسوار فقتلهما وسلخ جلديهما فاحتقبهما ونبذهما بالعراء قال لها الشهر لا تضجي وانصفي من نفسك واعلمي ان هذا الاسوار لم يأت اليك شيئا الا وقد كنت تفعلين بغيره مثله وتأتين الى غيره واحدا مثل

ذلك من كان يعد له [illegible] ومن يعز عليه مثل ما قعد بين يديك فاصبري على فقد غيرك كما صبر غيرك على فقدك فانه قد قيل كما تدين تدان
والكل عمل ثمرة من الثواب والعقاب وهما على قدره في الكثرة والقلة كالزرع اذا حضر الحصاد أعطى على حسب بذره

بها فكتبت وبهذا الخط رتبت ورصفت في طوامير وافت في شقق الحرير وزمكت بالذهب ورصعت
بالجواهر كما ابدل ماني النقاش الكافر واضع مذهب المجوس ومصوره على صفحات الطروس ومبرز
المعقول بطريق المحسوس ليكون أقرب الى تفهيم النفوس في كتابه المسمى بزند واستتم أمر باحترامها
وتوقيرها والمحافظة على ضبطها وتحريرها والعمل بها والاقتداء بما فيها وتعلق أهل ملته بقواعدها
وشرائعها ثم رفعت الى خزائنه وهي عندهم أعز من الكبريت الاحمر في معادنه واسمها بالمغلي التوره
وتفسيرها الياسة المأثوره فاذا جلس منهم سلطان على سرير وذلك بعد الرؤساء من اتفاق وتدبير وعادتهم في
ذلك انهم اذا رفعوا عليهم سلطانا وأرادوا ان ينولوا الدار المالكة خانا اجتمع الامراء من الاطراف واستدعوا
اركان الثغور والاكناف واشتوروا فيما بينهم مدة أيام واستمروا في ذلك ما بين نقض وابرام وربما أقاموا
في ذلك الجمع العام حولا جميعا أو ضمن عام ويسمون تلك الجمعية قورلتاي وهي مستمرة الحكم في المغل
والجغتاي وسبب ذلك تدافع الامره والفرار من تلك السلطنة الحلوة المره كما كان الصحابة الكرام
يتدافعون الفتاوي خوف الآثام فاذا وقع الاتفاق بين الرفاق وامراء الجند ورؤساء الآفاق على واحد
من أولاد الخان وأن يكون عليهم الملك والسلطان وتصوب الرأي عليه وتسدد وضعوه على لبد اسود
ثم رفعوه من الارض الى السرير أربعة أنفس كل أمير كبير كل حامل بطرف رافع في زعمه راية الشرف
والخان يصيح بلسان فصيح يا رؤساء ويا أمراء ويا ملوك ويا زعماء أنا ما أقدر ان أتسلطن عليكم ولا طاقة
لي ان اتحكم لديكم ولا قوة لي بهذا الحمل الثقيل والدخول تحت هذا الامر العريض الطويل فيقولون
بلى يا مولانا الخان تقدر ان تقوم بحمل أعباء هذا الشان فيتكرر الخطاب ويتعدد الجواب حتى يجلسوه
على السرير ويبتهج بذلك الكبير والصغير والمأمور والامير ثم يأتون بالتوراة الجنكزخانية الملعونة
الشيطانية مجللة معظمة محترمة مكرمة فيضعون امامها اطالها ويتبركون بسماع اذانها فينشرونها
ويشهرونها ثم ينصتون فيقرؤنها ثم يبايعون الخان على اقامتها وان يراعي أحكامها حق رعايتها
ويبايعهم على امتثال أحكامها واجراء نقضها وابرامها فيجيب كل منهم الامر على ذلك وان يقيم شعائرها
الملوك والممالك ثم يضربون له الجنوك ثلاث مرار ثم يتوجهون الى الشمس في وجه النهار ويضربون
لها الجنوك ويسجدون لها من فيهم من ملك ومملوك ولا يفعلون هذا الفعل الشنيع الا في أيام الربيع فاذا
تعاقدوا وتبايعوا وتعاهدوا وتتابعوا رفعوا تلك الكفريات واحضروا الآلات الخمريات فادار الخان
عليهم الكاسات واستعملوا الاقداح والطاسات وفتح الخزائن واظهر المكامن ونثر النثار من الدرهم
والدينار وخلع الخلع والتشاريف واعطى في دروس النفائس ابهات التصريف واستمروا على ذلك اياما
والانعامات تدر عليهم خاصا وعاما ثم يأذن لهم فيتفرقون ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم
لا يفقهون وهذه الطريقة مستعملة والى الآن وقت غير معطلة في جميع ممالك الشرق من الخطا والدشت
والصين والمغل والجتا وفي ولايات الجغتاي والروم قد اعتادوا اغالب هذه القواعد والرسوم فقدموها
على القواعد الاسلامية والشرائع الاحمدية المحمدية اللهم الهمنا الصواب ولا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا
وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب وسبب تحركه الى ممالك الاسلام وتوجه عنان سخطه الى طلب
الانتقام هو انه لما استقر امره وانتشر بعد الجور بالعدل ذكره وطابت بلاده وامنت وهدأت حركات
الظلم وسكنت توجه من بلاده وراء النهر ثلاثة في سنة ثلاث عشرة وستمائة فيهم ثلاثة انفار من أعيان
التجار أحدهم يدعى أحمد الخجندي والآخر عبد الله ابن الامير حسن الجندي والثالث أحمد بلجيخ
ومعهم من انواع المتاجر ونفائس الاقمشة والذخائر ما يصلح للملوك أولي المفاخر فوصلوا الى بلاده الجاري
فيها احكام كفره وعناده وانتهوا الى قوقات والسيل وهما اعمال سرير الذابل فاكرم نزلهم ورفع منازلهم

قالت اللبوة بين لي
ما تقول وافصح لي عن
اشارته قال الشعهر كم أتى
لك من العمر قالت اللبوة
مائة سنة قال الشعهر
ما كان قوتك قالت اللبوة
لحم الوحش قال الشعهر
من كان يطعمك اياه قالت
اللبوة كنت اصطاد
الوحش وآكله قال
الشعهر أرأيت الوحوش
التي كنت تأكلين اما كان
لها آباء وامهات قالت
بلى قال الشعهر فما بالي
لا ارى ولا اسمع لتلك
الآباء والامهات من
الجزع والضجيج ما أرى
وأسمع لك اما انه لم ينزل
بك ما نزل الا لسوء نظرك
في العواقب وقلة تفكرك
فيها وجهالتك بما يرجع
عليك من ضررها فلما
سمعت اللبوة ذلك من
كلام الشعهر عرفت ان
ذلك مما جنت على نفسها
وان عملها كان جورا
وظلما فتركت الصيد
وانصرفت عن أكل اللحم
الى أكل الثمار والنسك
والعبادة فلما رأى ذلك
ورشان كان صاحب تلك
الغيضة وكان عيشه من
الثمار قال لها قد كنت
أظن ان الشجر عامنا
هذا لم يحمل لقلة المياه
فلما ابصرتك تاكلينها
وانت آكلة اللحم فتركت رزقك وطعامك وما قسم الله لك وتحولت الى رزق غيرك فانتقصته ودخلت عليه فيه
علمت ان الشجر العام أثمرت كما كانت تثمر قبل اليوم وانما انتقص الثمر من سبب ذلك فويل للشجر وويل للثمار وويل لمن عيشه منها

وانزلهم

وانزلوهم في قباب بيض وأفاض عليهم الكرم العريض وكان شعار المسلمين في تلك البلاد ان ينزلوهم في قباب بيض من لبد وكانوا يقربون المسلمين ويحترمونهم دون الناس اجمعين ثم ان جنكزخان دعا احد أولئك الاعيان واستعرض قماشه وساومه بعد ما قربه وأكرمه فطلب منه أضعاف ثمنه وسامه ما يقضي بغبنه وغبنه فما رد جوابه ولا اعتبر خطابه ثم طلب رفيقه واستعرض بضاعته مما عليه ثم ساومه الثمن فقالا يا ملك الزمن ان صلح هذا القماش نقدمه لك بلا شيء فلكن ثمنه رضاك وهو يبقى في مقابلة ما تفضلت وتقدمه لك الملك بل خدمة لطالع ادخلنا عليك فأعجبه هذا الجواب وقال بل انتم تجار انما جئتم لتربحوا وتكسبوا علينا وتنتفعوا وانتم ضيوفنا فالاولى ان نشملكم معروفنا ولكن انا اقول قولا وادفع اليكم نولا فان رأيتم فيه فائدة وعائدة عليكم منه فائدة فاقبلوه والا فالرأي فيما رأيتموه ثم ذكر له ما يليق ان رضاهما وبالغ في منافعهما بشيء يجود به وما الاثنية وأربعة وتصافقت ايديهما قرب الملك المنعم فقالا رضينا بما رسمت وانعمت وقسمت فقال لرفيقه الاول ان رضيت بمثل ما رضي به صاحبك فقل والا فقد مقابلك وتحول وشأنك وقماشك ويعين مع ذلك باذلك فقال رضيت بما رضيه وتلطف في خطابه وجوابه فامر في الحال واحضر المال ووزن الثمن وزادوهم وألبسهم الخلع وأفضل في الصنائع وامر ببضائعهم فرفعت في خزائنه ووضعت ثم امر خواص بطانته ان يدخلوا هؤلاء التجار الى خزائنه فلما دخلوا اليها ووقع نظرهم عليها رأوا من نفائس الاموال والذخائر واصناف الاقمشة والدرر وانواع الجواهر الملوكية واجناس الامتعة الكسروية واعلاق ملوك الصين وتحف الملوك والسلاطين ما بهت نواظرهم وأدهش ابصارهم وبصائرهم فنزهوا في محاسنها ابصارهم وأودعوا محاسن محلاتها افكارهم ثم اتوا بهم اليه وادخلوهم عليه فقال ماذا رأيتم في الخزائن من نفائس البحار والمعادن فقالوا ما لا يصلح الا في خزائنك ولا يعثر على فرق ملوك المشارق والمغارب الا من هو كامن معادنك فقال ما بايعناكم لنربح منكم ولا أكرمناكم اذ غبناكم بناء على انا عادمون ولا انا بقيمة الاشياء وقدرها جاهلون وانما فعلنا ذلك الاحسان وجبرنا منكم النقصان لامرين أحدهما انكم أضيافنا وقد شملكم كرمنا واتصافنا ثانيهما ان فضلنا الفضل يقتضي اكرام النزيل ثالثها انكم مسلمون والمسلمون عندنا مكرمون رابعها اردنا ان تشتهر اسمنا وان نذكر في الاقطار بقصدنا خاصة وعامة التجار يقصدون بلادنا من الامصار وسائر الآفاق والاقطار فتعمر المسالك والدروب ويربح الطالب والمطلوب بالمساهلة والمعاملة واحسنها وأقواها أنكم اتيتمونا وافدين وانا لا نخيب رجاء القاصدين ثم سرحهم شاكرين ولما صدروا وراوا ذاكرين ثم اقتضت الآراء فأمر الامراء وأكابر بلاده ورؤساء اجناده ان يجهز كل منهم الى الجهات القريبة والولايات الاسلامية من جهته أحدا من المسلمين ببضائع من أمتعة الخطا والصين في صفة التجار ليتعاملوا في هذه الديار وتنفتح المسالك على السالك وتنقل اليهم بضائع هذه الممالك وتكثر المعاملات وتعمر الممالك والولايات فامتثلوا مراسيمه وعدوها غنيمة وجهز كل منهم من جهته من وثق بأمانته واعتمد على كفايته وأعطاه من النقود والاجناس ما يصير به من رؤساء الناس واجتمعوا قافلة وركبوا السابلة فصاروا مائة وخمسين نفرا كلهم مسلمون كبار وكتب لهم مراسيم وجائزات باكرام نزلهم في الدروب والجائزات ومعاملتهم بالكرامات وان يرعاهم ويرعوا دوابهم الاقامات ذهابا وايابا حضورا وغيابا ثم ارسل معهم الى السلطان قطب الدين محمد بن تكش علاء الدين بن ارسلان بن محمد بن انوشتكين وانوشتكين هذا من أتابك الملوك السلجوقية والسلطان قطب الدين هو الخامس من تلك الذرية رسالة تستميل خاطره وتستميل من جانب كرمه مواطره وحسن الجوار ومراعاة جانب الجار وسلوك ما تنتظم به الامور وتطمئن به الصدور ويحصل به الامن للصادر والوارد والرفاهية للقاطن

ما أسرع هلاكهم اذا دخل عليهم في أرزاقهم وغلبهم عليها من ليس له فيها حظ ولم يكن معتادا الا كلها فلما سمعت الاسود ذلك من كلام الورشان تركت أكل الثمار وأقبلت على أكل الحشيش والعبادة (وانما) ضربت لك هذا المثل لتعلم ان الجاهل ربما انصرف اضر ومهما يمكن ضر الناس كالاسود التي انصرفت لما افتتنت شيطانها عن أكل اللحم ثم عن أكل الثمار بقول الورشان وأقبلت على النسك والعبادة والناس أسوق بحسن النظر في ذلك فانه قد قيل ما لا ترضاه لنفسك لا تصنعه لغيرك فان في ذلك العدل وفي العدل رضا الله تعالى ورضا الناس * انتهى باب اللبوة والاسوار والشعهر (باب الناسك والضيف) قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل الذي يدع صنعه الذي يليق به ويشاكله ويطلب غيره فلا يدركه فيبقى حيران مترددا قال الفيلسوف زعموا انه كان بارض الكرخ ناسك عابد مجتهد فنزل به ضيف ذات يوم فدعا الناسك لضيفه بتمر ليطرفه به فأكلا منه جميعا ثم قال الضيف ما أحلى هذا التمر وأطيبه فليس هو في بلادي التي أسكنها وليته كان فيها ثم قال أرى ان تساعدني على أن آخذ منه ما أغرسه في أرضنا فاني لست عارفا بثمار أرضكم هذه ولا بمواضعها فقال له الناسك ليس لك في ذلك راحة فان ذلك يثقل عليك ولعل ذلك لا يوافق أرضكم مع ان بلادكم كثيرة الاثمار فما حاجتك مع كثرة ثمارها الى التمر مع وخامته وقلة موافقته للجسد ثم قال له الناسك انه لا يعد حكيما من طلب ما لا يجد وانك سعيد الجد اذا

والقاعد وتنعقد به أسباب المحبة من الطرفين وأطناب المودة بين الجانبين وفتح باب المراسلات وكشف حجاب المعاملات وان كانت الاديان مخالفة فالتمكن القلوب مؤتلفة وشمول نظر الصدقات السلطانية وعواطف مراحمها الملوكية على القصاد الوافدين على أبواب مكارمها المستمطرين سحائب صدقاتها وديمها بحيث تسعف مطالبهم وتبلغ مآربهم أو كما قال وصدر منه السؤال هذا واما اخبار السلطان قطب الدين فانه كان من أكابر الملوك والسلاطين تملك عراق العرب والعجم وما في ممالك خراسان من امم واستولى على غالب الممالك بالقهر والى أقصى ولايات ما وراء النهر وجعل جرجانية خوارزم مأواه وتلقب لذلك خوارزمشاه ووقع ما بين ممالكه وبين ممالك جنكزخان من التتار المسمين بقراجقتاى وعباد الاوثان واسترقهم قهرا وقسرا واستعبدهم جبرا وكسرا واستولد من تلك الطائفة المعتدين ولده السلطان جلال الدين فبواسطة انه صار له منهم ولد صاروا أقرب عساكره اليه وعليهم المعتمد فكانوا شعوبا وقبائل يخرج منهم سبعون الف مقاتل ومنهم أيضا كانت امه واخواله وخيله ورجاله الى ان خانوه وبذلوه وما صانوه واستدفع بهم طارق البلاء فكانوه (غريبة نادرة عجيبة) كان هؤلاء التتار متاخمين بلاد اترار وهي حد ممالك السلطان وهي حد عظيم بين المسلمين وبين جنكزخان فغزاهم السلطان وأبادهم واستعبد كما ذكر أجنادهم فارتفع السد من البين وانهدم الفاصل بين الجانبين واتصلت المملكتان كالعينين أعني مملكة السلطان ومملكة جنكزخان فسرت السرائر وابتهجت الضمائر ودقت في ممالك السلطان قطب الدين البشائر وزينت الولايات بأنواع الذخائر وكان في نيسابور من أكابر الصدور شهمان من العلماء فاجتمعا وأقاما العزاء فسئلا عن موجب هذا البكاء وانما الناس في فتوح وهناء فقالا أنتم تعدون هذا السد فتحا وتتصورون هذا الفساد صلحا وانما هو مبدأ الخروج وتسلط العلوج وفتح سد يأجوج ومأجوج ونحن نقيم العزاء على الاسلام والمسلمين وما يحدث من هذا الفتح من الحيف على قواعد الدين ولتعلمن نبأه بعد حين وأنشدا فأرشدا

وعلمت ان فراقكم لا بد ان * يجري له دمعي دما وكذا جرى

وكان السلطان قد دانت له البلاد واستولى على أهل البقاع والوهاد وأباد ملوك العجم وتفرد بسياسة تلك الامم وخفقت ملكه مملكة خوارزم وقد صمم العزم بحزم وحمل الناس على نزع الخلافة من آل عباس ووضعها في آل علي وقد توجه الى العراق بهذا القصد الجلي فوصل الى حدود العراق وهو مجد على هذا الاتفاق فوصل أوائل التجار الى اترار من صوب جنكزخان وبها من جهة السلطان نائب يدعى قايرخان فلما وصلوا الى البلد أخبر بهم النائب الرصد فحبسهم عنده في مكان وأرسل يستأمر فيهم السلطان ويشنع العبارة ويشنع السفارة وذكر انهم جواسيس تستروا بالتجارة وان معهم من الاموال ما يوازي الرمال ويوازن الجبال مع ما معهم وما آفة الاخبار الا رواتها فأمره بقتلهم وأخذ ما معهم وسلبهم فقتل الكل وأبادهم وسلبهم طارفهم وتلادهم وأرسل المال الى السلطان وأوصله حسب أمره به الى الديوان فطرحوه على تجار بخارى وسمرقند كما يطرح على مساكين دمشق القند واستقضوا ثمنه بالظلم وزادوا عليهم فيه الغرم وكان سبب ذلك ان تاجرا عند قايرخان اراد ان لا يكون عند السلطان تاجر سواه ففتنه قايرخان لما اغواه فتمهدت الاسباب وانفتح للشر أبواب وقالوا شر أهره ذا ناب فلم يفلت منهم سوى رجل واحد أنجاه الله من الصيد والحبالة فاختفى واتصل الى بلاده وأخبرهم بوقوع الامر وفساده فغضب جنكزخان وتحرك منه باعث العدوان ثم تثبت في أمره وتأمل في فكره وأرسل الى السلطان رسالة فيها تهديد وبسالة وكان السلطان خوارزمشاه لما ابتدى هذا الخطأ وأنهاه على مراسيمه الى أطراف الممالك يأمرهم بالمحافظة على دربندات المسالك وتحرض ولاة الامور وأصحاب الادراك في المضايق والثغور والطلائع والارصاد

فتعجبت بالذي تجد وتزهد فيما لا تجد وكان هذا الناسك يتكلم بالعبرانية فاستحسن الضيف كلامه وأعجبه فتكلف ان يتعلمه وعالج في ذلك نفسه أياما فقال الناسك لضيفه ما أخلقك ان تقع مما تركت من كلامك وتكلفت من كلام العبرانية في مثل ما وقع فيه الغراب قال الضيف وكيف كان ذلك قال الناسك زعموا ان غرابا رأى حجلة تدرج وتمشي فأعجبته مشيتها وطمع ان يتعلمها فراض على ذلك نفسه فلم يقدر على احكامها وأيس منها وأراد ان يعود الى مشيته التي كان عليها فاذا هو قد اختلط وتخلع في مشيته وصار أقبح الطير مشيا وانما ضربت لك هذا المثل لما رأيت من انك تركت لسانك الذي طبعت عليه وأقبلت على لسان العبرانية وهو لا يشاكلك وأخاف ان لا تدركه وتنسى لسانك وترجع الى أهلك وأنت أشرهم لسانا فانه قد قيل انه يعد جاهلا من تكلف من الامور ما لا يشاكله وليس من عمله ولم يؤدبه عليه آباؤه وأجداده من قبل * انقضى باب الناسك والضيف

(باب السائح والصائغ)

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثلا في شأن الذي يضع المعروف في غير موضعه ويرجو الشكر عليه (قال) الفيلسوف أيها الملك ان طبائع الخلق مختلفة وليس مما خلقه الله في الدنيا مما يمشي على أربع أو على رجلين او يطير بجناحين شيء هو أفضل من على الانسان ولكن من الناس البر والفاجر وقد يكون في بعض البهائم والسباع والطير ما هو أوفى منه ذمة وأشد محاماة على حرمه واشكر للمعروف

على منع الفساد وقف من يخرج من تركستان الى صوب ممالك جنكزخان ثم ارسل من جهته جواسيس
يختبر أحوال ذلك الابليس وينظر أموره وأوضاعه ومقدار عسكره وأمرهم في الطاعة وما قصده أن يفعل
ليستعد له بحسب ما يعلم منه ويعمل فتوجهت جواسيس السلطان وطال في غيبتهم الزمان وقطعوا
الجبال والقفار وسلكوا المفاوز والاوعار حتى وصلوا الى بلاده وبحثوا عن أمره واستعداده وخبروا
أمر جنده وعتاده وأوضاع عسكره وتعداده فرجعوا بعد مدة مديدة وزمان وأخبروا السلطان
وان عدد عساكره يفوت الاحصاء ويخرج عن دائرة الاستقصاء وانهم أطوع البرية لملك وأثبت جنانا
من الاسد المنهمك وأصبر جندا على القتال كان أمر الهزيمة عندهم محال وانهم اذا وثبوا أو حاربوا أو
سالموا أو لاسبوا أو رابضوا أو ضاربوا خالطوا وانما خاطبوا بقوله

ونحن أناس لا توسط بيننا * لنا الصدر دون العالمين أو القبر

وانهم لا يحتاجون في الاسفار ولا عند مقاحمة الاخطار الى كثير مؤنة ولا كبير معونة بل كل منهم ينهض
باحتياجه واحتياج مركوبه الى الاقامة واسراجه ويستبد بحمل سلاحه وجميع ما يستعين به سفرا
وحضرا في صلحه وصلاحه ونطاحه وكفاحه وكذلك ملبوسه وزاده وسائر أهبته وعتاده فندم خوارزمشاه
على ما قدمت يداه من قتل أصحابه وفتح سد الشر وبابه وانى يجدي الندم وقد زلت القدم وتبدل الوجود
بالعدم وغرق في بحر الهموم وحمي عليه غمام الغموم فشاور الامام شهاب الدين الخيوقي وهو فقيه فاضل
ونبيه كامل عالم أجل كبير المحل له عنده محل خطير لا يخالفه فيما يشير فان رأيه سديد وقوله وفعله
رشيد فقال له يا امام قد تحرك على الاسلام عدو لئام بعساكر كالرمال ذوي صدمات كالجبال فما
ترى فيما طرا فقال في عساكرك كثرة وأنت ذو قوة ووفرة وذو فراسة لك لذخرة فكاتب الاطراف
واجمع عساكر الاكناف وادع اهل بيضة الاسلام الى هذا النفير فانه عام فاذا وفدوا عليك وتمثلوا بين
يديك توجه بهم الى نهر سيحون واجعل ساحله من تلك الجنود مشحون واملأ بهم تلك المهامه والقفار
وصن ممالكك الى سمرقند واترار فان أقبل العدو المخذول لم يصل الا وهو من الكلال مهلول فانه يأتي من
بلاد بعيدة بجنود عديدة وقد أثر فيه النصب وأخذ منه التعب والوصب فلاقيته على سيحون وهم كالون
ونحن مستريحون فجمع بعد ذلك أمراءه ووزراءه وزعماءه وعرض عليهم ما جاءهم وطلب منهم آراءهم
فلم يرتضوا رأي الشهاب لامر يريده مسبب الاسباب وقالوا بل نتركهم حتى يقطعوا الاوعار والمضايق
ويتورطوا في بلادنا بالعوائق فتزداد مشقتهم ونطاول في المسير شقتهم لانهم لا يعرفون أرضنا جاهلون ومن
مداخلها ومخارجها غافلون فاذا حصلوا في قبضتنا كان أمكن لنهضتنا فنضيق عليهم واسع رحابنا وأهل
مكة أخبر بشعابها وذهل أولئك الجمع عن آراء الفقهاء وعن ان الدفع أولى من الرفع وبينما هم في المشاورة
والمراودة وردت من جنكزخان رسالة المناكدة وفيها من التشنيع والتقريع والتهديد والتشنيع العجيب
الهائل وما يشيب الغراب فمن جملة تشنيعاته وشنعوناته ما معناه في فحواه كيف تجرأتم على
أصحابي ورجالي وأخذتم تجارتي ومالي وهل ورد في دينكم أو جاز في اعتقادكم وقنعتم أن تريقوا
دم الابرياء أو تستحلوا أموال الاتقياء أو تعادوا من لا عاداكم وكدر واعيش من صادقكم وصافاكم
أغركم الفتن النائمة أو تهتم الشرور الباقية أو ما جاءكم عن تهكم وعلمكم أن تنفروا عن المصافة
غيركم وعن ثلم المصفة قويكم أو ما أخبركم مخبروكم وبلغكم منهم مرشدوكم ونبأكم محدثوكم أن [illegible]
[illegible] كيف تؤذون الجار وتستفزون الجوار [illegible]
أوصابه ولا تلومن شدائد أوصافه وأوصابه الاوان الفتنة نائمة فلا توقظوها ووصايا الملك فعوها
واحفظوها ولا تلقوا هذا التلف واستدركوا ما سلف قبل ان يمضي داعي الانتقام ويحرك من

والقوم بهوية وحينئذ يجب على ذوي العقل من الملوك وغيرهم ان يصنعوا معروفهم واشباهه ولا يضعوه عند من لا يحتمله ولا يقوم بشكره ولا
يصطنعون أحدا الا بعد اختبار مكنته والمعرفة بوفائه ومودته وشكره ولا يتبين ان يختصوا بذلك القريب القرابة اذا كانت
غير ذي فضيلة ولان يصطنعوا معروفهم وودهم للبعيد اذا كان يقوم بنفسه وما يقدر عليه لانه يكون حينئذ عارفا بحق ما اصطنع اليه مؤديا لشكر ما أنعم عليه محمودا بالنصح معروفا بالخير صدوقا عارفا مؤثرا لحميد الفعال والقول وكذلك كل من عرف بالخصال المحمودة ووثق منه بها كان المعروف موضعا وانفع به واصطناعه أهلا لانه الطبيب الرفيق العاقل لا يقدر على مداواة المريض الا بعد النظر اليه والجس لعروقه ومعرفة طبيعته وسبب علته فاذا عرف ذلك كله حق معرفته اقدم على مداواته فكذلك العاقل لا ينبغي له ان يصطفي احدا ولا يستخلصه الا بعد الخبرة فان من أقدم على مشهور العدالة من غير اختبار كان مخاطرا في ذلك ومشرفا منه على هلاك وفساد ومع ذلك ربما صنع الانسان المعروف مع الضعيف الذي لم يجرب شكره ولم يعرف حاله في طبائعه فيقوم بشكر ذلك ويكافئ عليه أحسن المكافأة وربما لم يشكره العاقل من الناس ولم
يأمن على نفسه أحدا منهم وقد يأخذ ابن عرس فيدخله كمه ويخرجه من الآخر كالذي يحمل الطائر على يده فاذا صاد شيئا انتفع
به وأطعمه منه وقد قيل لا ينبغي لذي العقل ان يحتقر صغيرا ولا كبيرا من الناس ولا من البهائم ولكنه جدير بان يبلوهم ويكون

الذي تحامى الاضطرام ويقوم سوق الدين ويظهر من الشر ما بطن ويموج بحر البلاء ويروج ويفتح
عليكم سد يأجوج ومأجوج وينصر الله المظلوم والانتقام من الظالم أمر معلوم ولا بد أن الخالق القديم
والحاكم الحكيم يظهر أسرار ربوبيته وآثار عدله في بريته فإن به الحول والقوة ومنه النصرة مرجوة
والترقب من جزاء أفعالكم العجب والمنساب عليكم يأجوج ومأجوج من كل حدب وكان اللعين جنكزخان
قد مشى على تركستان وأخذ منها عنوة كاشغر وبلاساغون وصار تافي سوزذلك الملعون وكانا
قد نكب بلشخان بن أونك خان المار ذكره في أول القصة لما قتله جنكزخان وقصته هرب ولده
كوجلك خان الملعون واستقر في شاغر وبلاساغون الى أن شتت العساكر عليه وأخذت تلك الأماكن
من يديه فلما وصل هذا الخطاب الى ذلك الأسد الوثاب أمر بقدم القصاد ورئيس أولئك الوراد فضربت
رقبته وبقي بقلق قلبه وفهمت بالسواد حليته ثم رد الجواب بأبشع خطاب ومن فحواه وبارد
ما سواه أني سائر اليك وهاجم عليك بجنود الاسلام وأسود الآكام وكل بطل ضرغام ولو بلغت مطلع
الشمس لنلتك في قعر الرمس وجاءك كذا عيب أمس فتيقن ذلك واعلم أنك لا محالة هالك ورد قصاده
على عقبهم وقصد التوجه في ذنبهم فتجهز وسار بعسكر جرار الى صوب التتار وأوصل السير وسابق
الطير وأراد أن يسبق الخبر ويكبس الأثر ويريهم عين العاقبة قبل الأثر فألوى من العراق وسار وساق
فقطع ممالك خراسان وولايات ما وراء النهر وتركستان وهجم بذلك البحر الزخار في تلك المهامه والقفار
فوصل الى حشم في بيوت وهم آمنون في سكون وسكوت ليس فيهم غير نساء وصبيان ومواش وبعران
رجالهم غائبة وأمورهم بواسطة الأمن سائبة وكانت رجالهم توجهت لأخذ الثار من بعض التتار بواسطة
عدوان وقع بينهم وبين كوجلك خان فقاتلوهم وكسروهم ونهبوا أموالهم وحصروهم ففي غيبتهم
وصل السلطان الى بيوتهم وفي أمنهم وسكوتهم وليس فيهم الا الحريم والاطفال والمواشي والاثقال لا ذوبه
اليهم ولا يعول عليهم فاستولى عليهم ونهبهم وسباهم وعيشهم وسلبهم وأمر العساكر فنهبوهم وأسروهم
وفرقوهم وكسروهم وهم الجم الغفير والعدد الكثير والمال الغزير ورجع السلطان من فوره وابتدا
في سورة المكروه وتصور أنه اعتدى وأنكى وأنه أضحك وأبا وعدوا أبكى فلم الا وضع على القرح كية
وداس ذنب الحية ثم رجع التتار ورأوا ما حل بأهلهم من بوار وأنهم أخرجوا من ديارهم وأولادهم
ونكبوا في طريقهم وبلادهم وأن نساءهم أسرت وصفقتهم خسرت فلما وقفت نصرتهم بكسرتهم ولا
قامت فرحتهم بحسرتهم التهبوا واضطربوا واصطلوا واصطدموا وأخذتهم الحمية وعصبتهم العصبية
وتنادوا بالغارات وطلب الثارات وتنادى منهم حماة الحقائق وكماة المضايق وتبعوا في الحال آثار
الرجال من غير امهال ولا اهمال وسلكوا الآثار لأخذ الثار وأكبوا كالبرق الخاطف وزعقوا كالرعد
القاصف واندفعوا كالريح العاصف واندفقوا كالسهم النافذ ودهموا كالليل المدرك وهجموا كالسيل
المهالك فادركوا عساكره بشرور ثائره ومراجل صدور بالضغائن فائرة فلم يشعروا الا والعدو غشيهم
كالقضاء المبرم فثارت عساكره وقابلت واستعدت وقاتلت والتفت الرجال بالرجال وضاقت ميادين
المجال واستمرت ضروب الحرب بينهم سجال وتطاولت سهام الموت لقصر الآجال وتمالت ثنايا المنايا
لبكاء السيوف وتبسمت ثغور الرزايا بالفتوح المتوفية واستمرت ديم السهام من غمام القتام على رياض
الصدور تهمي ولوامع بروق السيوف على قمم تلك الصفوف بعد الوابل الوسمي بالصواعق ترمي ثم
انتقلوا من معانقة المراشقة الى مراشقة المعانقة ومن مكالمة المضاربة الى ملاكمة الأسنة ومن مخادعة
المقارعة الى مسارعة المصارعة وامتدت بهم الحال في هذا القتال والجدال ثلاثة أيام مع الليال لا يسأمون
الطعن والضرب ولا يملون مباشرة الحراب والحرب الى أن جرى من الدماء طوفان وكاد يظهر من كل من

ما يضيع الديم على قدر باري منهم وقد مضى في ذلك مثل ضربه بعض الحكماء قال الملك وكيف كان ذلك (قال) الفيلسوف زعموا ان
جماعة احتفروا ركية فوقع فيها رجل صائغ وحية وقرد وببر ومر بهم رجل سائح فأشرف على الركية فبصر بالرجل والحية
والببر والقرد ففكر في نفسه وقال لست أعمل لآخرتي عملا أفضل من أن أخلص هذا الرجل من بين هؤلاء الأعداء فأخذ حبلا وأدلاه الى البئر فتعلق به القرد لخفته فخرج ثم دلاه ثانية فالتفت به الحية فخرجت ثم دلاه الثالثة فتعلق به الببر فأخرجه فشكرن له صنيعه وقلن له لا تخرج هذا الرجل من الركية فانه ليس شيء أقل من شكر الانسان ثم هذا الرجل خاصة ثم قال له القرد ان منزلي في جبل قريب من مدينة يقال لها نوادرخت فقال له الببر أنا أيضا في أجمة الى جانب تلك المدينة قالت الحية أنا أيضا في سور تلك المدينة فان أنت مررت بنا يوما من الدهر واحتجت الينا فصوت علينا حتى نأتيك فنجزيك بما أسديت الينا من المعروف فلم يلتفت السائح الى ما ذكروا له من قلة شكر الانسان وأدلى الحبل فأخرج الصائغ فسجد له وقال له لقد أوليتني معروفا فان أتيت يوما من الدهر مدينة نوادرخت فاسأل عن منزلي فأنا رجل صائغ
لعلي أكافئك بما صنعت الي من المعروف فانطلق الصائغ الى مدينته وانطلق السائح الى جانبه فعرض
بعد ذلك أن السائح اتفقت له حاجة الى تلك المدينة فانطلق فاستقبله القرد فسجد له وقبل رجليه واعتذر اليه وقال ان القرود لا يملكون شيئا

عليها

عليها فان كل ذلك وكاتب اليمين والسمر يستوفى من اقلام الخط فى صحائف الصفائح مستوردات العمر ولم يسمع بمثل هذا القتال ولا بنظير هذا الضراب والنضال فى سالف الازمنة والاعصار الدوال وما امكن تولى احدى الطائفتين ولا نكوص جهة من الجهتين اما طائفة المسلمين فحمية الدين ولو ولوا الادبار لما ابقت التتار لهم الديار وصعوبة القفار منهم نائح نار واما الكفار فالغيرة على ذوات الاستار واستخلاص الاطفال والصغار من قيد الذل والصغار ورق الاسار فصارت الخضراء غبراء والغبراء حمراء والصعاب جبرا والقتلى تلا والجرحى ترحى ولم يثبطهم عن استيفاء القتال غير الكلال الاعضاء والكلال فانفصلوا وما انفصلوا وانقطعوا بعدما اتصلوا وحلوا بعدما كانوا وتراجع كل عن صاحبه بعد ذوبان قلبه وقالبه واستفراغ جهده عما وصلت اليه غاية كده ثم استوفى ناظر القضاء ما اورده عامل القضاء من سهم المنون الى ديوان برزخ الى يوم يبعثون من ارواح الشهداء الابرار وانفس الاشقياء الكفار الوارد من تلك المعركة الساكن من حركات هاتيك المعركة فكان من المسلمين عشرون الفا ومن الكفار كذا وكذا اضعافا غير انه لم يمكن حصرهم ولم يعرف قدرهم فلما كانت الليلة الرابعة وهى الليلة الفارقة القاطعة اوقد كل من الفريقين فى منزله النار واكثر من القبائل فى المنازل والآثار وتركها وسار فوصل السلطان من بلاد تركستان وقطع سيحون نهر خجند ووصل الى بخارى وسمرقند وشرع فى تحصين البلاد والقلاع والاحتفاظ بمدن الممالك عن الضياع وقد سكن الهم فؤاده ونهب القلق والارق رقاده وعلم المسلمون انه خان وانه لا طاقة لهم بالتتار فخافوا حلول البوار ونزول الدمار وتيقنوا خراب الديار لان السلطان عاجز ولا بد من قدوم بلا حاجز وقالوا اذا كان هذا المحذور من شرذمة قليلة من التترفى طرف من اطراف بلاده لا فيهم احد معتبر من اجناده ولا رئيس يشار اليه من اولاده ولا درى ولا علم ما جرى فكيف اذا دهم بطامته الكبرى واحتشاد جموعه العظمى فترك خوارزمشاه ببخارى عشرين الف مقاتل وفى سمرقند خمسين الف مناضل وقررمعهم انه يجمع الجنود ويستجيش ابطال المسلمين ويعود وتوجه بثبات عزم واضاعة حزم الى سرير ملكه خوارزم ثم انتقل الى خراسان وخيم بضواحى بلخ فى مكان واقام رخى البال كان الشئ ما كان ثم لا زال يضمحل ويذوب ويحل به ما يحل من نوائب الخطوب حتى انتقل الى جوار الرحمن فى اطراف طبرستان فى سنة سبع عشرة وستمائة وكانت ولايته فى العشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة وكان ملكا عظيما وسلطانا جسيما ذا صولة قاهرة ودولة باهرة وجولة ارقدت الملوك بالساهرة فاضلا فقيها عالما نبيها اضمحل بادنى حركة ملكه وغرق فى بحر الفناء بعد الطغيان فلكه وركن الى الخطا فوقع فيه وخانه عساكره ومخالوه وودوا الخلل منه وفيه وكان فى خزائنه عشرة آلاف الف دينار ومن اجناس الاقمشة والامتعة والاسلحة ما لا يحصيه الا الواحد القهار وكان فيها الف حمل من القماش الاطلس واضعاف ذلك من نفيس النفائس وانفس ومن الخيل المسومة عشرون الف جنيب ومن المماليك الملوك عشرة آلاف كل له فى دار الملك ربع خصيب واوفر حظ ونصيب فما افاد ذلك ذره بل نبشوا بعد موته قبره وقطعوا راسه وهدوا بنيانه فسبحان من لا يزول سلطانه وعز وجلا من لا يذل شانه

فما كف ذو كف له رائد الردى * ولا مال بالاموال عنه سهامه

ولا ملك كلا ولا مالك حمى * حمى ملكه لما اراد انهدامه

وبسط القول فيه شرح يطول (واما) امر الطاغيه صاحب الفتنة الباغيه جنكزخان لما وصل قصاده من عند السلطان بعد الفناء والشده لما هم شاوتة وو جوههم مسوده وقد قتل رئيسهم وخلا من نقد مرادهم كيسهم ذهب حفاظه والتهب شواظه وطمحت عساكره وتلاطمت وتزعزعت اطوادشركه

والكن اقعد حتى آتيك وانطلق القرد واتاه بقا كرة طيبة فوضعها بين يديه فاكل منها حاجته ثم ان السائح انطلق حتى دنا من باب المدينة فاستقبله الببر فخر له ساجدا وقال له انك قد اوليتنى معروفا فانطلم بن ساعة حتى آتيك فانطلق الببر فدخل فى بعض الحيطان الى بنت الملك فقتلها واخذ حليها فاتاه به من غير ان يعلم السائح من اين هو فقال فى نفسه هذه البهائم قد اولتنى هذا الجزاء فكيف لو قد اتيت الى الصائغ فانه ان كان معسرا لا يملك شيئا فسيبيع هذا الحلى فيستوفى ثمنه فيعطينى بعضه ويأخذ بعضه وهو اعرف بثمنه فانطلق السائح فاتى الى الصائغ فلما رآه رحب به وادخله الى بيته فلما ابصر بالحلى معه عرفه وكان هو الذى صاغه لابنة الملك فقال للسائح اطمئن حتى آتيك بطعام فلست ارضى لك ما فى البيت ثم خرج وهو يقول قد اصبت فرصتى اريد ان انطلق الى الملك وادله على ذلك فتحسن منزلتى عنده فانطلق الى باب الملك وارسل الى الملك ان الذى قتل ابنتك واخذ حليها عندى فارسل الملك واتى بالسائح فلما نظر الحلى معه لم يمهله وامر به ان يعذب ويطاف به فى المدينة ويصلب فلما فعلوا به ذلك جعل السائح يبكى ويقول باعلى صوته لو انى اطعت القرد والحية والببر فيما امرتنى به واخبرتنى من قلة شكر الانسان لم يصر امرى الى هذا البلاء وجعل يكرر هذا القول فسمعت مقالته تلك الحية فخرجت من جحرها فعرفته فاشتد عليها امره فجعلت تحتال فى خلاصه فانطلقت حتى لدغت ابن الملك فدعا الملك اهل العلم فرقوه ليشفوه فلم يغنوا عنه شيئا ثم مضت الحية

الى أخذت اهامن الجن فأخبرته بما صنع الصائغ اليها من المعروف وما وقع فيه فرقت له وانطلقت الى ابن الملك وتخايلت له وقالت له انك لا تبرا حتى يرقيك هذا الرجل الذى قد عاقبتموه ظلما وانطلقت الحية الى الصائغ فدخلت اليه السجن وقالت له هذا الذى كنت نهيتك عنه من اصطناع المعروف الى هذا الانسان ولم تطعنى واتته بورق ينفع من سمها وقالت له اذا جاؤا بك لترقى ابن الملك فاسقه من ماء هذا الورق فانه يبرأ واذا سألك الملك عن حالك فاصدقه فانك تنجو ان شاء الله تعالى وان ابن الملك أخبر الملك انه سمع قائلا يقول انك لن تبرأ حتى يرقيك هذا الصائغ الذى حبس ظلما فدعا الملك بالصائغ وأمره ان يرقى ولده فقال لا احسن الرقى ولكن أسقيه من ماء هذه الشجرة فيبرأ باذن الله تعالى فسقاه فبرئ الغلام ففرح الملك بذلك وسأله عن قصته فأخبره فشكره الملك وأعطاه عطية حسنة وأمر بالصائغ ان يصاب فصلبوه لكذبه وانحرافه عن الشكر ومجازاته الفعل الجميل بالقبيح * ثم قال الفيلسوف للملك ففى صنيع الصائغ بالسائح وكفره له بعد استنقاذه اياه وشكر البهائم له وتخليص بعضها اياه عبرة لمن اعتبر وفكرة لمن افتكر وادب فى وضع المعروف والاحسان عند أهل الوفاء والكرم قربوا أو بعدوا ولما فى ذلك من صواب الرأى وجلب الخير وصرف المكروه * انقضى باب السائح والصائغ

(باب ابن الملك واصحابه) قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فان كان الرجل لا يصيب الخير الا بعقله ورأيه وتثبته فى الامور كما يزعمون فما بال الرجل الجاهل يصيب صادفتهم

وتصادمت وبينا هو يرغى ويزبد ويقوم من غضبه ويقعد اذ جاءه الخبر الثالث وهو شر الحوادث اذ فيه خبر من قتل من الكفار وانتقل من دار الخسار الى دار البوار جوهم يصلونها وبئس القرار فاعمل فى قلبه نصله وكان أولا قد زاد على قرحه قرح مثله ثم كان خبر هذا القرح ملحا مذرورا على جرح فقامت قيامته وتموجت بالحزن قامته وود لو أحرق الكون بأنفاسه وهدم أساس المكان بفاس باسه ثم تروى وافتكر وتحرى من حر هذا الشرر ثم قصد مذهب الاعتزال وانزوى عن جماعته فى مكان خال ودخل الى مكان خراب وعفر وجهه فى التراب وتضرع الى الله الحليم وقال يا خالق يا قديم انا أردت ان أعمر بلادك وانعش عبادك فظلمهم يا اله عبدك خوارزمشاه وتعدى على وكرر الاساءة الى فانتصر لى منه وانتقم فانك بمن كسروعون من ظلم واستمر على هذه الحال ثلاثة أيام وليال لا يأكل ولا يشرب ولا يفتر عن التضرع والطلب يمرغ رأسه ووجهه فى الثرى ويقصد فيما يرومه رب الورى وقد قيل

تضرع جنكزخان لله ساعة * وأخلص فيما رامه وهو مشرك
فما طاب فيما رامه من فساده * وما زال يمشى فى الانام ويسفك
فما بال من لله طول حياته * يوحد بالاخلاص هل هو يهلك

ثم نهض نهضة أنام فيها الانام وقام قومة أقام بها ساعات القيام فتوجه من مشركى التتار وعساكر الكفار بالبحار الطاميه والامطار الهاميه وجبال النيران الحاميه فى شهور سنة خمس عشرة وستمائة ومشوا على ممالك الاسلام وساروا على بسيط العالم سير الغمام وأرادوا اطفاء نور الايمان من اشراكهم بظلام فوصلوا الى البلاد وهى جنة المرتاد آمنة مطمئنة ساكنة مستكنة وليس لها مانع ولا ممانع ولا لهم عنها دافع ولا مدافع ولا بها صام ولا عام ولا سام ولا مسام فأخذوا على بغتة قراها وولايتها وما والاها رابع صفر عام ستة عشر وأظهروا فيها علامات الحشر فادهشوا أهلها وسبكوا أهلها ودكوا جبالها وما أوجبال القتلى سهلها فقتلوا الخاص والعام ومدوا الى ذخائرها النهب العام فأراح بها رحله وخيله وأحاط بها ثبوره وويله واستمروا فيها بضعة عشر ليلة ثم تنقلوا عن جند الى الولايات انه كان وفقا كمثل وخجند فأخذوها وقتلوا وفعلوا كما كانوا فعلوا ثم لى بلدة مرغينان وكانت دار ملك ايلك خان ثم الى أطراف تركستان ومنها سيرام وتاش كند وباقى البلدان ثم الى نسف وأترار وسغناق وما من أمهات البلاد فى تلك الآفاق

فمشوا على سهل البلاد ووعرها * مشى الجراد على القصير الاخضر
فكأنهم موج على شعر مشت * أو نمل فوق الحصيد الاصفر
أو شعلة نار الهشيم تعلقت * فوق الحصيد على الهشيم الاغبر

فكل من أطاعهم وقصد اتباعهم صار من خدمهم ودخل فى عدتهم ومن عصى أو توقف أو خالف أو تخلف سقوه كأس الدمار وأحلوه وقومه دار البوار وأسروا حريمه وأولاده ونهبوا طارفه وتلاده ثم ان تلك الدواهى المصيبة فى يوم الثلاثاء رابع المحرم سنة سبع عشرة وستمائة وصلوا الى بخارى بلدة فضلها لا يجارى قبة الايمان وكرسى ملوك بنى سامان مجمع العلماء والعباد والصلحاء والزهاد ومنبع المحققين من الفقهاء الامجاد والمدققين من النبهاء الانجاد وفيها من الاكابر والاشراف وأوساط الاماثل والاطراف الجم الغفير والعالم الكثير فلما رأى الفساكر السلطانيه والجيوش الخوارزمشاهيه الذين كان أرصدهم السلطان لحفظ البلدة من طوارق الحدثان وهم عشرون ألفا ان البلاء زحف اليهم زحفا وان كسرتهم منهم لا تخفى وان سيل الويل طام وموج بحر الدواهى التطام ومن لم يدرك من الغرق نفسه ارتطم شمروا الذيل وخرجوا تحت الليل وقصدوا جيحان والعبور الى خراسان ومقدمهم من أمراء السلطان كورخان وسونج خان وحميد الغورى وكوجلى خان فبينما هم على نهر جيحون قاصدين العبور

صادفتهم طلائع جنكزخان الكفرة فوضعوا السلاح فيهم ومحوهم عن بكرة أبيهم فما أبقوا منهم عينا ولا أثرا ولا سمع لهم أحد خبرا فوهى أمر البلد اذ لم يبق لهم مدد فطلبوا الامان وارسلوا الى القاضي بدر الدين بن قاضي خان فأجابهم الى ذلك وأناب فلما أمنوا فتحوا الابواب فدخلوا المدينة يرفلون وهم من كل حدب ينسلون فعصى بقية العسكر في القلعة وتصوروا أن يكون لهم منعة في المآل أمر الرجال بطم الخندق بكل ما وجد وأجل أودق فأتوا بنفائس الاقمشة والذخائر المدهشة والكتب والربعات والمصاحف الشريفة والختمات وطرحوها في الخندق ومشى العسكر عليها وتساق ونقبوا النقوب وانفذوا الثقوب وكان قد نادى بالامان للقاضي والدان فحوصرت القلعة وذهب ما بها من منعة وكان فيها انثه نحو من أربعمائة فباشروا الحرب دوما نحوا اثني عشر يوما فأخذوا عنوة بالانقاب وفتح لهم من كل جهة باب فقتلوا من بها عن آخرهم واستولوا على باطنهم وظاهرهم ثم مدوا أيديهم الى المخدرات وجروا ظاهرا بالمستورات وبعض الناس ينظرون ويبكون وهم يفتكون وينكون لا يستطيعون دفعا ولا يملكون ضرا ولا نفعا فاجتمع من أئمة الدين ومن أعلام العلماء المهتدين ومن لم يرض بعمل المفسدين جماعة غاروا وثاروا وفاروا وانضموا الى العلامة القاضي صدر الدين قاضي خان وأولاده السادة القادة الاعيان والحاكم الشهيد الامام العالم السعيد والامام ركن الدين امام زاده واختار والموت على الشهادة حملوا على الفئة الطاغية والطائفة الكافرة الباغية وقاتلوا حتى قتلوا والى جوار الله تعالى انتقلوا فاستشهدوا عن آخرهم ولحق أصاغرهم بأكابرهم ودخل جنكزخان الى المدينة وطاف بها على هينة وسكينة حتى انتهى الى باب الجامع مكان نزه وموضع رائع ومحل شريف ومعبد واسع ولم يكن لذلك البلد الكبير والجم الغفير والجمع الكثير والمصر الواسع من الجوامع سوى جامع واحد يجمع الصادر والوارد ويسع ما شاء الله من الامم وهذا على مذهب الامام الاعظم وهكذا كل أمصار الحنفية في الممالك الشرقية والممالك الهندية وغالب البلاد التركية فقال جنكزخان هذا بيت السلطان فقالوا بيت الرحمن ومأوى عبادة العباد والعلماء والزهاد وذوي الطاعة والاجتهاد فقال ان أولى ما أقنا أفراسنا في بيت خالق أرواحنا ورزق أشباحنا ثم لوى اليه وأقبل عليه ونزل عن دابته ودخل الجامع مع جماعته ثم دعا بأمرائه وكبراء جنده وزعمائه واستدعى الخمور والطبول والزمور وبعث الى الكفار وعظامهم وبث فرسانا واسترهم فسجد له منهم الملوك وضربوا الجنوك وعرفوا سعة ورعوا ورفعوا بالغناء صوتهم ودعوا فأذن لهم بالجلوس وأن تدار عليهم الكؤوس فجلس كل في مكانه بين أضرابه واخوانه وقام بعض في مقامه في موقف حده واحتشامه فتصدر في مجالس العلم والاذكار ومحاريب الصلاة الكفرة الفجار ورؤوس المشركين من المغل والتتار واستبدلت محافل العلم والتدريس بمحافل الشرك والتنجيس ثم احضروا العلماء والاشراف والكبراء وسادات الانام ورؤساء الخواص والعوام وأنزلوا بهم الثبور والويل واحتقروهم واستخفوهم الخيل وصارت الناس حيارى سكارى وما هم بسكارى وأخذتهم بهتة اذ أتاهم العذاب بغتة ولم يكن بين رحيل السلطان وبين هجوم هذا الطوفان غير خمسة أشهر وأيام ساروا فيها سير الغمام وهجموا على العالم هجوم الظلام وكأن الناس كانوا نياما وراوا فيما يرى النائم أحلاما فلم يوقظهم من هذا الرقاد سوى ابراق البلايا بالارعاد فانسد عليهم طريق الخلاص وضاق بهم المضيق شدة الاقتناص وتنادوا ولات حين مناص اذ فاجأهم العسكر وهم في حال المضطر وكان من جملة أولئك الاعيان شخص ولي يدعى السيد الشريف جلال الدين علي بن حسن الزيدي وهو المقدم والمقتدى والسالك الى طريق الهدى وأعلى سادات ما وراء النهر ولدوحة ساداتها بمنزل الشمس والزهر فقبض عليه وربطوا الى عنقه يديه ثم

الرفعة والخير والرجل الحكيم العاقل قد يصيب البلاء والضر (قال) بيدبا كما ان الانسان لا يبصر الا بعينيه ولا يسمع الا باذنيه كذلك العمل انما هو بالعلم والعقل والتثبت غير ان القضاء والقدر يغلب على ذلك ومثل ذلك مثل ابن الملك وأصحابه قال الملك وكيف كان ذلك (قال) الفيلسوف زعموا ان أربعة نفر اصطحبوا في طريق واحدة أحدهم ابن ملك والثاني ابن تاجر والثالث ابن شريف ذو جمال والرابع ابن أكار وكانوا جميعا محتاجين وقد أصابهم ضرر وجهد شديد في موضع غربة لا يملكون الا ما عليهم من الثياب فبينما هم يمشون اذ فكروا في أمرهم وكان كل انسان منهم راجعا الى طباعه وما كان يأتيه منه الخير قال ابن الملك ان أمر الدنيا كله بالقضاء والقدر والذي قدر على الانسان يأتيه على كل حال والصبر للقضاء والقدر وانتظارهما أفضل الامور وقال ابن التاجر العقل أفضل من كل شئ وقال ابن الشريف الجمال أفضل مما ذكرتم ثم قال ابن الاكار ليس في الدنيا أفضل من الاجتهاد في العمل فلما قربوا من مدينة يقال لها مطرون جلسوا في ناحية منها يتشاورون فقالوا لابن الاكار انطلق فاكتسب لنا بجهدك طعاما ليومنا هذا فانطلق ابن الاكار وسأل عن عمل اذا عمله الانسان يكتسب فيه طعام أربعة نفر فعرفوه ان ليس في تلك المدينة شئ أعز من الحطب وكان الحطب منها على فرسخ فانطلق ابن الاكار فاحتطب طنا من الحطب وأتى به المدينة وباعه

بدرهم واشترى به طعاما وكتب على باب المدينة عمل يوم واحد اذا أجهد فيه الرجل بدنه قيمته درهم ثم انطلق الى أصحابه بالطعام فأكلوا
فلما كان بالغد قالوا ينبغي للذي قال انه ليس شيء أعز من الجمال أن تكون نوبته فانطلق ابن الشريف

الى باب المدينة فتفكر في نفسه وقال أنا لست أحسن عملا فما يدخلني المدينة ثم استحى أن يرجع الى أصحابه بغير طعام وهم بمفارقتهم فانطلق حتى أسند ظهره الى شجرة عظيمة فغلبه النوم فنام فمرت به امرأة رجل من عظماء المدينة وأبصرته فأعجبها حسنه فأرسلت خادمتها وأمرتها أن تأتيها به فانطلقت الجارية الى الغلام وأمرته أن يتبعها الى مولاتها فظل نهاره عندها في أرغد عيش فلما كان عند المساء أجازته بخمسمائة درهم فخرج وكتب على باب المدينة جمال يوم واحد يساوي خمسمائة درهم وأتى بالدراهم الى أصحابه فلما أصبحوا في اليوم الثالث قالوا لابن التاجر انطلق أنت فاطلب لنا بعقلك وتجارتك اليوم لنا هذا شيأ فانطلق ابن التاجر فلم يزل حتى بصر بسفينة من سفن البحر كثيرة المتاع قد قدمت الى الساحل فخرج اليها جماعة من التجار يريدون أن يبتاعوا مما فيها من المتاع فجلسوا يتشاورون في ناحية من المركب وقال بعضهم لبعض ارجعوا يومنا هذا لا نشتري منهم شيأ حتى يكسد المتاع عليهم فيرخص وهو علينا مع انا محتاجون اليه وسيرخص من فخالف الطريق وجاء الى أصحاب المركب فابتاع منهم ما فيها

استنظار وممرا كبهم وأنشبوا فيه مخالبهم وهو واقف بباب الجامع في هيئة الذليل الخاضع فرأى الامام الهمام البحر الطام علم العلماء الاعلام أفضل علماء عصره وأنبل فقهاء دهره الشيخ ركن الدين ابن الامام بوأهما الله تعالى دار السلام وهو في مثل حاله متسربل بسربال نكاله فقال أيها الامام المفضال ما هذه الاحوال ثم أنشد معنى هذا المقال

أرى حالة يدهش لساني فليس لي * طريق الى اني أفوه بلفظة
أمض لها ضكي وامعلت مقلتي * أفي النوم هذا أم أراه بيقظة

فأجاب الامام ما هذا محل الكلام كن عبد الاراده واتبع ما أراده واستمروا يشربون الخمور على أصوات الزمور ويضربون الطبول ويتراقصون رقص التتار والغول ثم صعد المنبر ابن جنكزخان الاكبر واسمه توشي خان وتكلم بكفر وكفران ثم غنى ورقص ودعا لابيه ونكص ثم صعد بعده أبوه وتكلم بكلام معوه ودعا بالخمر وشرب ثم غنى وطرب ثم قال أيها الرجال ان خلا ناهي رأس المال وقد رعيتم الوهد والبقاع وعلفتم شعور الكلا من قمم البقاع وقد شبعتم فلا تفنوا البقاع الا فاشبعوا خيلكم ولا تقهروها بأكلكم وحيث رعيتم الخضيم فابغوا لها القضيم وامتثلوا أمر سلطانكم ثم ملوا منه بامانكم فنهضوا قياما وامتثلوا أمره ومعه مراما وتهارجوا كالحمير وابتدروا طلب القمح والشعير ثم طغى وتكبر وبغى وتجبر ونزل عن المنبر فلم يكن بأسرع من اتيانهم بالحبوب والقضيم المطلوب وأدخلوا الخيل الى الجامع وطلبوا لها مرابط ومواضع ثم أفرغوا خزائن المصاحف والختمات وظروف الكتب وأوعية الربعات وصبوا فيها الشعير وأطعموا فيها الخيل والبغال والحمير فتبددت الكتب المنيفه والمصاحف الشريفه والربعات المفخمه والختمات المكرمه تحت السنابك والحوافر ومواطئ أقدام كل كافر وصارت أجزاء القاذورات والخمور على تلك النفائس والذخائر ثم انه خرج من البلد وأمر أن لا يترك في البلد أحد بل يخرجون الى المصلى وولى حفظهم من كفر وتولى ومن تأخر قتلوه وبتكوه بتلوه فخرجوا كالجراد وانتشروا على الوهاد واجتمعوا في المصلى ثم علا المنبر تملى وخطب خطابة تركية كافر به مشركيه منها انكم ركبتم عظائم وأتيتم ما ثم وجرائم فتقدم بكم الحكم أن سلطني عليكم وهذه الاوزار انما جناها منكم الكبار فلاجل هذا عم البلاء وذهب بجريرة الكبراء الاصاغر والضعفاء ثم ضبط أسماء التجار واستقاص ما عندهم من درهم ودينار وقال هذا ثمن مالي من نقدوا عيان الذي كان يحكموه السلطان فلما استقاص الاموال أمر بقتل الرجال وأسر النساء والاطفال والنهب العام لسائر الاغنام ومن أخذ شيأ فهو له لا يقطع أحد سبيله ثم أمر بهدم البلد والاحراق واعدام عينها على الاطلاق فعملوا ما قال فعلوه وكل ما رسم به امتثلوه فساووا بالبلد الارض واستوفوا أعمار أهلها بالفرض والقرض فلم يبق منهم ديار ولم ينج من تلك النار العظيمة نافخ نار وقيل انه نجا من هذه الواقعه رجل باقعه فوصل الى خراسان فسألوه عن هذا الشان كيف كان فقال لهم بذلك اللسان ما صورته

آمدند وكندند وسوختند * وكشتند وبردند ورفتند

يعني جاؤا وهدموا وأحرقوا وأرهقوا ونهبوا وذهبوا فقيل لم يوجد في الفارسي في هذا المعنى أحسن من هذه الالفاظ ولا أرصن ولا أوجز ولا أمتن ثم أمر الجند بالتوجه الى سمرقند فتوجهوا بالاثقال من الاموال والاسرى من النساء والاطفال مشاة حفاة اذلاء عراة فلم يتوقف كل أعمى أعقف وكافر أغلف في ضرب رقبة من أعيا أو توقف فوصلوا اليها واحتووا عليها وفيها من العساكر لا كفا مائة ألف وعشرون ألفا سبعون من أهل البلد وخمسون من المرصدين للمدد فتجهز عسكر البلد لاقا وخرجوا

من البلد للتقي فكمن لهم التتار من اليمين واليسار في رواب وتلال تسمى بالاحصار فناوشهم من
عساكر الكفار شرذمة ثم ولت امامهم منهزمة فركب البلديون أعقابهم وداسوا أذنابهم الى ان ابعدوا
عن البلد وانقطع عن البلديين المدد خرج الكمين من خلفهم اقطع حبل مددهم وكفهم ورجع
عليهم الفارون وأحاط بهم الفارون وتلاحق بهم عساكر لا اول لهم ولا آخر فلم يفلت منهم واحد
ولا صدر عن حياض تلك الملحمة وارد فلما شاهد العساكر الخوارزمية ما نزل بالجنود البلدية
من داهية ورزية لم يسعهم الا الترامي عليهم والانحياز اليهم فداروا وادار وا والابيض من دارى فوقوا
بذلك أنفسهم وأهاليهم نارا فلم يركنوا اليهم ولا اعتمدوا عليهم فرأوا مصلحتهم في سلبهم أسلحتهم
فطلبوا منهم عدتهم ثم فرقوا وحدتهم كما فعل تيمور الغدار في بلاد الروم بالتتار عند كسره ذلك الخوان
في سنة خمس وثمانمائة بايزيد بن عثمان فلم يبق لأهل البلد معين ولا مدد فاستأولوا القضا وجروا
طوعا وكرها في ميادين الرضا فاحل بهم بوارا وأنزل دمارا ففعل بسمرقند وأهلها ما فعل ببخارى ودور
أسوارها بدلالة آثارها من الفراسخ اثنا عشر لا يعترى في ذلك اثنان من البشر فقس ما في ذلك من
الخلائق والامم فالكل براهم سيف القلم كما يبرى السيف القلم ثم ذوي العزم وسداد الحزم وجهز طائفة
من العساكر الى خوارزم مع ولديه أحدهما المدعو جغتاي والآخر المسمى باوكتاي وهي تخت
خوارزمشاه وفيها من الامم ما لا يعلمه الا الله معدن الافاضل ومقطن الاماثل محط رحال أهل التحقيق
ومقصد رجال الفحول ذوي التدقيق ولوفور رجالها من الرؤس لم ينفرد برياستها رئيس ولكثرة ما بها
من الناس لم يتعين لسياستهم راس فاتفق أكابرها لضبط أمور المسلمين على تقديم شخص يدعى
خمارتكين فبحروب يطول شرحها ويهول برحها ويشيب فرخها ويستصعب طرحها أخذوها
عنوة بعدما قاسوا حتوفه فاستصفوا ارباب الحرف ومن تعلق من صنعة بطرف فكانوا نحوا من مائة
ألف بيت أو يزيدون ان عددتهم وعديت ثم ميزوا النساء والاطفال وكانوا كعدد الحصى والرمال
ففرقوهم على ذلك العسكر الثقيل فكل الحقير منهم والجليل ثم فعلوا بالحسام الفصال مصارع ذوات
ما بقي من الرجال ثم أرادوا حصر من قتل واقامة عدد من هلك وبتل فكان حصة كل قتال قتال على
ان عددهم أكثر من القطر والرمال اربعة وعشرين مقتولا ثم فعلوا بالبلد كما فعلتهم الاولى فهدموا
أسوارها ومحوا آثارها وأجروا من بحار الدماء انهارها فأفنى العلم والعلماء وأفنى الفضل والفضلاء
واستشهد الرؤساء والكبراء وتاهلت بالقطب الولي الشيخ نجم الدين الكبرى وتوجه جنكزخان من
سمرقند قاصدا السلطان وعبر من الخوارزم بعسكره كل أخشب حتى أناخ على ترمذ ونخشب فامتنعتا عليه
ولما هتكهما لم تلتفتا اليه وكانتا كثيرتي العدد والعدد غزيرتي المدد من مدد وهما من أمهات البلاد مملوأتان
من آلات الجهاد ومقاتلة الاجناد فامالت ناسها وسقاها من خمر القتل بكاسها فلم يبق اهلها فما
ولم تغن العدد والعدد عنهما من الله شيئا (ومن) غريب ما وقع من البديع انه أمر باهل ترمذ ان يقتلوا عن
آخرهم مع أهلهم وعشائرهم ولا يبقى فيها على احد وأرصد على ذلك الرصد فاتفق ان امرأة من المخدرات
تخجل الشموس النيرات جمعوا عليها وتقدموا بإراقة دمها اليها فتشفعت فما أفاد وتضرعت فما زاد
الا العناد فلما أسلمت وتلوها للجبين وشامت بصاعقة الحق المبين قالت لا واولئك الكفار لا تقتلوني باستنكار
وانا افتدي نفسي منكم بعقود من اللؤلؤ كبار فأمروا القتمة اليه وعرضوا ما قالته عليه فقال
اتركوها ثم جاءها فالتمس طالبوها انتظر اصدقت أم اختلقت فاطلقوها ويتقاضى اللؤلؤ فلقوها فقالت
لم افه بزور ولا دليتكم بغرور وانما اللؤلؤ كان عندي وحين اضطررتم مالي ما كان في يدي بلعت

بمائة ألف دينار نسيئة وأظهر أنه يريد أن ينقل متاعه الى مدينة أخرى فلما سمع التجار ذلك خافوا أن يذهب بذلك المتاع من أيديهم فأربحوه
على ما اشتراه مائة ألف درهم وأحال عليهم أصحاب المركب بالباقي وحمل ربحه الى أصحابه وكتب على باب
المدينة عقل يوم واحد
ثمنه مائة ألف درهم فلما
كان اليوم الرابع قالوا
لابن الملك انطلق أنت
واكتسب لنا بقضاء الملك
وقصدك فانطلق ابن
الملك حتى أتى الى باب
المدينة فجلس على
متكئ في باب المدينة
واتفق ان ملك تلك
الناحية مات ولم يخلف
ولدا ولا أحدا ذا قرابة
فمروا عليه بجنازة الملك
ولم يحزنه وكلهم يحزنون
فأنكروا حاله وشتمه
البواب وقال له من أنت
يا كلب وما يجلسك على
باب المدينة ولا نراك
تحزن لموت الملك وطرده
البواب على الباب فلما
ذهبوا عاد الغلام فجلس
مكانه فلما دفنوا الملك
ورجعوا ابصره البواب
فغضب وقال له ألم أنهك
عن الجلوس في هذا
الموضع وأخذه فحبسه
فلما كان الغد اجتمع
أهل تلك المدينة
يتشاورون فيمن يملكونه
عليهم وكل منهم يتطاول
بنظره صاحبه ويختلفون
بينهم فقال لهم البواب اني
رأيت أمس غلاما جالسا
على الباب ولم أره يحزن
لحزننا فكلمته فلم يجبني
فطردته عن الباب فلما
عاد ثم رأيته جالسا فأدخلته الحبس مخافة ان يكون عينا فبعث أشراف أهل المدينة الى الغلام فدعوه وسألوه عن حاله وما أقدمه الى مدينتهم
فقال أنا ابن ملك فوريان وانه لما مات والدي غلبني أخي على الملك فهربت من يده حذرا على نفسي حتى انتهيت الى هذه المدينة فلما ذكر

منكم فاقتلته وتبالغ في عقوبته فامهلوني حتى أبرز ويخرج مني ذلك الحرز فانهوا كلامها الى
وعرضوا امرها عليه فقال بقروا بطنها وانظروا فيها فان وجدتم شيأ فهو لكم وان كانت كاذبة
فقد استحقت قتلكم فشقوا بطنها بالبطن واستخرجوا منه الدر الثمين فلما رأوا صدقها وحققوا نطقها
امرهم بشق بطون جميع القتلى وتفتيش ما طرحوه من جبال الاشلا فلم تنج رؤس الروس من المثلة بعد
القتل ولا بطون الصدور من ظهور التنكيل اثر القتل ثم امر بهدم الحصون بعد ابتذال المال والعرض
المصون فخربت الديار ولم يبق فيها ديار ثم عبر من جيحون الى خراسان وجعل نصب عينيه ممالك
السلطان وتوجه الى بلخ وهي احدى معاقل الاسلام وفيها من امم الانام ما لا يدرك ضبطه سابق الاقلام
بل يخرج عن حصر الاوهام ولا يحصيه الا الملك العلام وكان السلطان قد اشتهر عنه كما ذكر الى نواحي
طبرستان فوصل تلك الديار الطاهرة في ثمان عشرة وستمائة فخرج اليه الاعيان وطلبوا منه الامان
فاجاب سؤالهم بما يصلح حالهم ثم اختشى من السلطان جلال الدين بن المرحوم قطب الدين فلم يركن
اليهم ولا عول عليهم وامر باراقة الدماء وهدم البناء واحاطهم بدائرة الفناء فافنوهم عن آخرهم
وساووا بالحضيض بقاع عمائرهم ثم ارسل ولده تولي خان الى محاصرة طالقان فحصنت عليه ولم تسلم
قيادها اليه فاستمرت في المحاصرة واذاقها الباس الباس والشدة الى ان اخذوها وابادوا خلقها
ودكوها ثم ان جنكزخان الكافر الخوان معدن الكفر والطغيان لما استوبل هواء خراسان
ذا اوى الى بلاده وترك تولي خان من اولاده وولاه خراسان وهو محاصر طالقان واقام في ممالك ايران
من كفار امرائه اميران احدهما يدعى سنتاى وهو من قبيلة الخفتاى والآخر يدعى يما وهو من
الكفار الاوما وترك معهما من الكفار الاراذل والتتار الاسافل ثلاثين الف مقاتل فوصل الى ري واه
ووضعا السيف في الاغنياء والغداه وابتدآ في القتل والنهب والفتك والسلب والقهر والاسر والقسر
والكسر ثم اخذا في الائتلاف طريق الاختلاف وذهب كل منهما الاختلاف في الفساد على خلاف
فصالا وجالا واوصلا في الدمار والبوار جالا وخاضا في دماء المسلمين واجتهدا في اهلاك الاسلام والدين
وخلا لهما الجو فباضا وصفرا وكان السلطان قطب الدين قد اخلى الدنيا من الملوك والكبرا فلم يثبت لهما
مقابل فضلا عن مقاتل او مقاتل فاهلكا البلاد واباداً وتصرفا في نصرة الشرك على الاسلام كيفما ارادا
فاستقصا جوين وطوس واعدما ما بها من نفائس ونفوس وجام وخبوشان واسفراين ومازندران
وآمل وقومس وتلك البلدان فمحوا من كتب كتائبها اسطارها واطفؤا منارها واظهروا من صفة
الجلال والقهر آثارها واجروا من الفتن كالدماء بحارها واضرموا من الشر نارها كل ذلك قتلا ونهبا
وسبيا وسلبا وهدما واحراقا وصدما وازهاقا وردما واغراقا ثم بلغهم ان حريم السلطان جلال الدين
في قلاع آمل آمنين فقصدوها وحاصروها ورصدوها فقل ناصروها فاستولوا عليها ووصلوا كما ارادوا
اليها فبقروا وفتكوا وبروا وبتكوا وسبوا وسبكوا وسفوا وسفكوا وكووا وشووا وعووا ولووا
وعووا وما ارعووا ثم انهم صادفوا لعكس الزمان وانقلاب الدهر على السلطان وسوء التدبير وشؤم الحظ
العثير وهم في بعض السير من غير خبر ولا معلم في سدفة ليل مظلم حريم السلطان خوارزمشاه لامور
قدرها الله مع والدته وجواريه وبناته وسراريه وكان اشد ما نابهم من الزمان قد ضاق عليهم المكان
وتغير بل تنكر لهم الكون وقل عنهم النصير وقل العون وخافوا الابتذال بعد الصون فتركوا ما هم فيه
من مكان وقصدوا البعد عن خراسان فتوجهوا الى اطراف اصفهان ومعهم من نفائس الاموال
والجواهر وانواع المفاخر والذخائر ومصونات الخزائن ومكنونات المعادن ما لا يعلمه الا الله ومن

العلام ماذكر من أمره عرفه من كان يمشي أرض ابيه منهم واثنوا على ابيه خيرا ثم ان الاشراف اختار والعلام ان ملكوه عليهم
ورضوا به وكان لاهل المدينة سنة اذا ملكوا عليهم ملكا حملوه على فيل أبيض وطافوا به حول المدينة
فلما فعلوا به ذلك مر بباب المدينة فرأى الكتابة على الباب فامر ان يكتب ان الاجتهاد والجمال والعقل وما أصاب الرجل في الدنيا من خير وشر انما هو بقضاء وقدر من الله عز وجل وقد ازددت في ذلك اعتبارا بما ساق الله الي من الكرامة والسرير ثم انطلق الى مجلسه فجلس على سرير ملكه وأرسل الى أصحابه الذين كان معهم فاحضرهم فاشرك صاحب العقل مع الوزراء وضم صاحب الاجتهاد الى اصحاب الزرع وامر لصاحب الجمال بمال كثير ثم نفاه كي لا يفتن النساء ثم جمع علماء ارضه وذوي الرأي منهم وقال لهم اما أصحابي فقد تيقنوا ان الذي رزقهم الله سبحانه وتعالى من الخير انما هو بقضاء الله وقدره وانما احب ان تعلموا ذلك وتستيقنوا فان الذي منحني الله وهيأه لي انما كان بقدر ولم يكن بجمال ولا عقل ولا اجتهاد وما كنت ارجو اذا طردني اخي ان يصيبني ما يعيشني من القوت فضلا عن ان
اصيب هذه المنزلة وما كنت اؤمل ان اكون بها لاني قد رايت في هذه الارض من
هو افضل مني حسنا وجمالا واشد اجتهادا وافضل رايا فساقني القضاء الى ان اعتززت بقدر من الله وكان في ذلك الجمع شيخ فنهض حتى

الكنوز ما ينوء بالعصبة مفاتحه ومالم يجتمع لسلطان قط ولا ضبطه قلم ديوان ولا خط فتباعدوا مواجهه وتواجدوا مباغته وتباعدوا مشافهه وتشافهوا مباعته فوقعن في شبكة الصيد واحاطت بهن دائرة الكيد وتورطن فيما فررن منه وتربطن باوهاق ما نفرن منه ونادا هن لسان الحظ وهاتف الطالع الفظ

واذا أراد الله انفاذ القضا * وظهور قهر للبصائر باتلا
جعل الدواء لذاك داء ممرضا * وفوائد الترياق سما قاتلا
والكون شهما والمكان مناقضا * والعيش موتا والصديق مقاتلا

فلم يشعرن والا وقد وقعن من نيران الفتن في تنور وتورطن من بحار المحن في دردور وتهافتت الى بكائهن ثنايا البلايا وتكالمت على جماهيرهن عقود الرزايا فظفرت طامية الكفر بذلك المغنم البارد ولم يصدر من ساقة صيده شارد ولا وارد ففاز وانالك المستورات ونزل الى حصنهن فقصدهم من سماء المناعة الشموس النيرات فهتكوا استارهن ونهبوا دبارهن وضبطوا شعارهن ودثارهن واحرزوا ما معهن من كنوز المعادن ونفائس المكامن وذخائر الخزائن ثم اضافوهن الى زبانية غلاظ واحتفظوا بهن اشد احتفاظ وساقوهن الى بلاد التتار مهتكات الاستار عاريات حافيات حاسرات ماشيات وأمروهن ان يجتمعن كل ليلة عندما ينشر الظلام ذيله في كل منزله وصباح كل مرحلة ويقمن على أنفسهن العزا وينحن على ما تقدم ويبكين على ما جرى ويعددن على خوارزمشاه ويذكرن ما قدره الله عليه وقضاه وينحبن ما كن فيه من النعم وما صرن اليه من الهوان والنقم ولم يدمن على هذه الطريقة حتى يقطعن من سفرهن طريقه ويصل جنكزخان على ذلك الامتهان والذل والهوان فيرى قبح رايه من نكال ونكايه وسعة وعنايه فامتثلن ما امروهن به فكن ينحن النيام ويبكين المنتبه واستمررن على هذه الحال في الخزي والاذلال والمشقة والابتذال بعد ذلك الصون والدلال يصعدن بخيمهن الجبال ويقطعن بالفلا البهن اكباد الصخور والتلال ثم ان تولى لما اخذ طالقان واهلك اهلها بسيف الطغيان ولم يدع فيها من يتنفس وهدم الى الارض بنيانها الاسس توجه الى جانب من بلاد العجم واهلك ما شاء الله تعالى من خلائق وامم فسار في احد الجوانب يعيث وكل من عتاته الخبيث وعا الكافر العبث في جانب يبيد المسلمين ولا يغيث فدكوا قزوين وهمذان وصكوا الران وبيلقان واغاروا على معالم اذربيجان وبلغهم ان السلطان جلال الدين له في حماس جماعة يجتمعون مقدمهم السلاحدار يلنكين وفيهم من الاعيان كوج بوغا خان فتوجهوا اليهم عجلا فبددوا شمل اولئك الزعما وابادوهم وفرقوهم وشتتوهم ومزقوهم ثم غاروا على غالب عراق العجم فاوسقوا القفار بالغنم واوسعوا الانهار بامطار الدم وملأوا الوجود بالعدم ثم قصدوا اردبيل وجعلوا اعلاها ما بين اسير وقتيل وكانوا في اول الامر قد صالحوا اهل نيسابور وانتقلوا الى مرو منها وراودوا اهلها عنها فاغلقوا ابوابهم واقاموا حوابهم فدخلوا عليها ودخلوا اليها وحكموا في اهلها السيوف وكان شهر الصيام فقطروهم على كاسات الحتوف ونقل الى جوار الله تعالى منهم المئين والالوف فضلوا من امكن منهم من القتل واستسعد بنيل الشهادة من الشهدا فكان الف الف نسمه وثلثمائة الف وثلاثين الف مكرمه وكل هذه الفتنة والنقمة في سنة ثمان عشرة وعامت الدنيا في الدماء عوما وكانت مدة ذلك تسعين يوما ثم توجهوا الى شروان واقتحموا من دماء انهار الطوفان وتحصلوا من الباب الحديد واستخلصوا من الدست ذلك الشيطان المريد فتقطع الناس من الفكرة وافاقوا مما كانوا فيه من السكرة وتصوروا انها سحابة صيف انقشعت او سنة ازمة هبت بارقة وهمدت والان امة طلوا واستعدوا وتحفظوا واستعدوا وحصنوا الحصون والمعاقل وجمعوا الجنود والجحافل فلم يكن باسرع من

استوى قائما وقال انك قد تكلمت بكلام كامل عقل وحكمة وان الذي بلغك ذلك وفور عقلك وحسن ظنك وقد صدقت ظنك فيك ور جاءنا لك وقد عرفنا ما ذكرت وصدقناك فيما وصفت والذي ساق الله اليك من المال والكرامة كنت اهلا له لما قسم الله تعالى لك من العقل والراي وان اسعد الناس في الدنيا والآخرة من رزقه الله رايا وعقلا وقد احسن الله الينا ووفقك انا عندما صرت ما كنا بالشام نام شيخ آخر يا شيخ حمد الله عز وجل واثنى عليه وقال اني كنت اخدم وانا غلام قبل ان اكون سائحا رجلا من اشراف الناس فلما ملت الى رفض الدنيا فارقت ذلك الرجل وقد كان اعطاني من اجرتي دينارين فاردت ان اتصدق باحدهما واستبقي الآخر فاتيت السوق فوجدت مع رجل من الصيادين زوج هدهد فساومته فيهما فابى الصياد ان يبيعهما الا بدينارين فاجتهدت ان يبيعنيهما بدينار واحد فابى فقلت في نفسي اشتري احدهما واترك الآخر ثم فكرت وقلت لعلهما ان يكونا زوجين ذكرا وانثى فافرق بينهما فادركتني لهما رحمة فتوكلت على الله وابتعتهما بدينارين واشفقت ان ارسلتهما في ارض عامرة ان يصادا ولا يستطيعا ان يطيرا مما لقيا من الجوع والهزال ولم آمن عليهما الآفات فانطلقت بهما الى مكان كثير المرعى والاشجار بعيد عن الناس والعمار فارسلتهما فطارا ووقعا على شجرة مثمرة فلما صارا في اعلاها شكرا لي وسمعت احدهما يقول للآخر لقد خلصنا هذا السائح من

الملك الذي كنافه واستنقذ نا وثبتانا من المهلكة وانا لا نقدر ان نكافئه بفعل ولا نفي اصل هذه الشجرة جرة مملوءة دنانير فلا بد له عليها فما شذها اتفقت لهما كيف تدلاني

على كنز لم تره العيون وانتما لا تبصران الشبكة فقالا ان القضاء اذا

ايابهم وتعاطى ما كانوا عليه من دابهم والشروع في اعمال حرابهم بخرابهم واخذهم في ضرو بضربهم دخرابهم واستقر تولى في ممالك العجم وهو ابو هلاكو الكافر الاغتم فوصلوا الى شيراز وقد استعدت للحصار واستمدت للناوشة والنقار فاخذوها عنوة وزحفا وقتلوا منها ما امكن ضبطه سبعين الفا ثم توجهوا الى طوس فازهقوا ما بها من نفوس ثم الى سائر القلاع بالمنخفض واليفاع فاستولوا على الكل قهرا واخذوه عنوة وقسرا وسعوا في اضلال النفوس وازهاق النفوس ثم الى موقان ولم يبقوا بها احدا كائنا من كان وعم القتل المبير كل صغير وكبير ثم حل اولئك البور بمدينة نيسابور فكافحت بعد ما كانت صالحت وتحصنت بعد ان اذعنت واعتمدت على عددها واستندت الى عددها وبرجالها استعانت بعد ان كانت قد دانت ولانت واستكانت وكان فيها من آلات الحرب ورجال الطعن والضرب ما لا يحصى ولا يبلغه الاستقصا فكان فيها من المجانيق المرسلات الصواعق على اسوار الحصار ثلثمائة منجنيق اصغرها كالقضبان في المقدار خارجا عن الكامل والمدافع المهلكات بالصواعق الصواقع ومن رماة القوس القسير المتقدمة حكمه قاضي التقدير ثلاثة آلاف بطل كل ارمى من بني ثعل واما عدد الضارب والنابل والقاتل والمقاتل والرمح والناطح والصارع والقارع والمحاذف والجارف والخاطف والقاطف والناهب والسالب فالضابطون فيه تاهوا وما بهم من جنود ربك الا هو فوجه التتار اليها واخفوا كالقضاء المبرم عليها وحمي الوطيس وخاطر بنفسه كل خسيس وبذل مهجته من الغزاة كل نفيس فقتل من اهل العدوان طغاجارخان زوج ابنة جنكزخان وكان من عتاة الكفار المتبرين بين التتار فخنق المدولذلك وسدوا المسالك وسمع بذلك تولى الكافر المغولي وكان في بعض الجوانب مشغولا بالدواهي والمصائب فقارد مقابله وتاججت نيران كربه وتاسف لفقد ختنه وثار غبار احنه فتوجه من فوره بجنده وجوره ونزل على نيسابور وحل بالبوار على اولئك البور وزحف بالعساكر وتقدم بالطعن والضرب كل كافر فلم تمض غلوة حتى اخذوها عنوة ودخلها من كفرة التتر يوم السبت خامس عشر صفر سنة تسع عشرة وستمائة من الهجرة واعطى تولى لاخته ذلك عوضا عن زوجها الهالك وقال لها تسلي عن ذلك المفقود بهذا الموجود وتحكمي في اهل البلد بما ترتضيه من سرور ونكد وتصرفي في الاموال والارواح فهما تريه فهو لك مباح فامرت ان لا يبقى على ذي روح وان تجري السيول من الدم المسفوح فاطلقوا في ميادين الحتوف اعنة صوارم السيوف فجدت جياد الجلاد وجادت بجود الجلد على اجياد الاجواد وصارت كاالسن الشعراء النقاد تهيم من النظام والنثر في كل واد فمحوا عن لوح الوجود بلسان شواظ السيف ذات الوقود سطور ذوات ذلك السواد الاعظم وكتاب كتائب تلك الاثق والامم وزادوا في الاشتطاط حتى قتلوا الكلاب والقطاط ثم امرت ان تجمع روس اولئك الجهور وتميز روس الاناث من الذكور فميزوا روس الرجال عن قمر بات الحجال وطرحوا كل كاشية في ناحية فصارت الروس كروابي الجبال وتلال الدور والقصور كالاعصر الخوال ولم يخلص من قطع الاروس سوى اربعة انفس كانوا من ذوي الحرف فخلصتهم المهارة من سفح بحر الفناء الى الطرف ثم ركبت تلك البسوس ووقفت على تلال الروس فلم تنطفئ نارها ولا برد اوارها وزعمت انها لم تستوف ثارها وان دون ثارها من علق تلك الام ما تكلفت وغيظها غيظها بزوال السيوف ما تشفت واستهزت بالرجال وصاحت بلسان الحال وانشدت

وحسبان النساء الان سيفا * فصان وجان كافعل الفحور
فزلزان الجبال فطرن خوفا * بشاهين السحاب على الطيور

نزل صرف العيون عن موضع الشيء وغشي البصر وانما صرف القضاء اعيننا عن الشرك ولم يصرفها عن هذا الكنز فاحتفرت واستخرجت البرنية وهي مملوءة دنانير فدعوت لهما بالعافية وقلت لهما الحمد لله الذي جعلكما مما راى وانتما تطيران في السماء وانتبه ما تحت الارض فقالا لي ايها العاقل اما علمت ان القدر غالب على كل شيء لا يستطيع احد ان يتجاوزه فاخبرت الملك بذلك الذي رايته فامر الملك اتيته بالمال فاودعته في خزائنه فقال الملك ذلك لك وموفر عليك * انتهى باب ابن الملك واصحابه

(باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين)

وهو باب من يرى الراي لغيره ولا يراه لنفسه (قال) الملك للفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثلا في شان الرجل الذي يرى الراي لغيره ولا يراه لنفسه قال الفيلسوف ان مثل ذلك الحمامة والثعلب ومالك الحزين قال الملك وما مثلهم (قال) الفيلسوف زعموا ان حمامة كانت تفرخ في راس نخلة طويلة

وصار

ذاهبة في السماء فكانت الحمامة تشرع في نقل العش الى راس تلك النخلة فلا يمكن ان تنقل ما تنقل من العش وتجعله تحت البيض الا بعد

وصار السفك من الابر سحرا * أبغضن ذلك عسين الابور

فأمرت بهدم البلد واحراق ما فيها من آلات وعدد فدكوها دكا واعدموها سكا وسفكا وانصرفت ايدي النوائب فيها فتكا وبتكا ثم ان تولى لوي المثان وقصد هراة من خراسان فأخذها بالامان ولم ينج من ذلك الطوفان سوى تلك الكوره واستمرت تحت أوامره مقهوره وأموات بلاد خراسان ومقر سرير السلطان كانت أربعة أمصار كل ذات اعتبار جليلة المقدار نيسابور وقد صارت بور وبلخ وقد كسيت من البوار ثوب سابغ ومرو الرود وقد انمحت من الوجود ولم يفز بالنجاه الا بلدة هراه وسائر الامصار شملها البوار وابست من خلع الدثور الدثار وكل منها مصر جامع وبرها بحر واسع وبحرها كصدر البرمداه شاسع واما القرى والقصبات والرساتيق والمزدرعات فاكثر من ان تحصر او تضبط بحساب دفتر فابيد ذلك كله وابير فالحكم لله العلي الكبير كل ذلك في أدنى مده وأوهى رقده وما ذكر ذرة من طور وقطرة من بحور فسبحان من لا يسئل عما يفعل ثم ان جنكزخان الهامة الهامية والفتنة الطامة الطامية لما علق به المرض وحصل له في خراسان الارض رجع الى بلاده واستمر مرضه في ازدياده ولم يزل على ذلك حتى أوردته سبيل المهالك وتسلم روحه الخبيثة مالك ومن أيس من الله وقنط من رحمة الله جمع المعتمد عليهم من أولاده المشاركين له في عتوه وفساده وهم جغتاي وأوكتاي واوابغ توبين وجرجاي وكاكات وأورجان وأوصاهم بوصايا وطرائق في سياسة الرعايا حافظوا عليها وتناهضوا اليها فثبت لهم من ملكهم أساسا لم ينهدم وأقام بنيانا الى يومنا لم ينفدم وعروش قواعد أركانهم لم تثلم مع كثرة عددهم ووفرة عددهم وشكاستهم وشراستهم وشماستهم وتعاستهم وغلاظتهم وفظاظتهم واختلاف اديانهم واتساع بلدانهم وهلك الطاغية جنكزخان وانتقل الى الدرك الاسفل من النيران واستقر في لعنة الله وعقابه واليم زجره وعذابه في رابع شهر رمضان الشامل بالفضل والاحسان والبركة النامية الهامية سنة أربع وعشرين وستمائة فسرت مملكته المشوم واعظم امصاره ايمل وقوقان وقراقروم واستمرت بعده الفتن والشرور والمحن تغير على ممالك الاسلام وتبير شعائر شرائع خير الانام وتثير غبار الاقساد والفساد في وجوه سنة سيد المرسلين وتقصر جنود الاسلام وتقص جيوش العلماء الاعلام وتنقص أطراف الارض وتنقض أركان الدين بعضها على بعض وناهيك يا مولانا السلطان بفتنة الاكوتولي بن جنكزخان وبعده ابنه ابن هلاكو الذي تجبر وطغى وتكبر وبغى وبعده ابنه ارغون وبعده ابنه قازان المفتون واستمرت شرار الفتن منهم تؤججهم ومريحة تدور الى ان نبغ الاعرج تيمور فاهلك الحرث والنسل واختلط المباح بالبسل وحل بالعالم البأس وفسدت احوال الناس وانما ذلك كله بفساد الراس ومن جملة فتكهم ولعنهم في ايامهم حالوا في معركه وصالوا في دست بركه فقتلوا في مثل حرب البسوس وقطعوا في ناحية من الروس جحفلا ارادوا ضبط عددها بعد ان ابادوها عن حدها فلم يقدروا ان يحصروها فرسم ملك البغاة ولاتها ان يقطع من الرؤس آذانها يقطعون من كل رأس أذنا واتمكن الآذان اليمنى فعدوا آذانا بعد الرؤس وشكوها وفي خيوط سلكوها ثم في فلائد ربطوها وبعد ذلك ضبطوها فكانت تسعمائة الف اذن مجدودة وسبعين الف اذن معدودة (وانما) ذكرت يا ملك الطير امثال ما جرى من الشرور والبير وجلوت عن مرآة ضميرك المنير صورة ما مر في الزمان المنير وما فعل من ملكه زمام الاقتدار واهمله سلطان السلاطين الذي يخلق ما يشاء ويختار وصرفه في بلاده وعباده وبين لطريق صلاحه وفساده واخبركم ايها الملوك والحكام باحوالكم في دنياكم وبجلائل أموركم وأحوالكم على أعين أبصاركم وبين مزاياكم فمرآياكم فقال وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم

شدة وتعب ومشقة بطول النقل وبعد طرقها فاذا فرغت من النقل باضت ثم حضنت بيضها فاذا افقست وادركت فراخها باغتها الثعلب قد تعاهد ذلك من الوقت قد علمه بقدر ما ينهض من فراخها فيقف باصل النخلة فيصيح بها ويتوعدها ان يرقى اليها فتلقي اليه فراخها فبينما هي ذات يوم قد ادركت لها فرخان اذ اقبل مالك الحزين فوقع على النخلة فلما رأى الحمامة كئيبة حزينة شديدة الهم قال لها مالك الحزين يا حمامة ما لي اراك كاسفة اللون سيئة الحال فقالت له يا مالك الحزين ان ثعلبا دهيت به كلما كان لي فرخان جاءني يتهددني ويصيح في أصل النخلة فافرق منه فاطرح اليه فرخي قال لها مالك الحزين اذا اتاك ليفعل ما تقولين فقولي له لا ارقى اليك فان شئت فارق الي وغرر بنفسك فاذا فعلت ذلك واكلت فرخي طرت عنك ونجوت بنفسي فلما علمها مالك الحزين هذه الحيلة طار فوقع على شاطئ نهر فاقبل الثعلب في الوقت الذي عرفه فوقف تحتها ثم صاح كما كان يفعل فاجابته الحمامة بما علمها مالك الحزين قال لها الثعلب اخبريني من علمك هذا قالت علمني مالك الحزين فتوجه الثعلب حتى اتى مالكا الحزين على شاطئ النهر فوجده واقفا فقال له الثعلب يا مالك الحزين اذا اتتك الريح عن يمينك اين تجعل راسك قال عن شمالي قال فاذا اتتك عن شمالك اين تجعل راسك قال اجعله عن يميني او خلفي قال فاذا اتتك الريح من كل مكان وكل ناحية اين تجعله قال اجعله تحت جناحي قال وكيف تستطيع ان تجعله تحت جناحك

فيما اتاكم فانظر ما في هذه السير من الحكم والعبر اعلم ان الدنيا محل الغير ومحل الغفول والفكر والدنيا بها هدف السهام القضاء والقدر مبتلى بكل خير وشر ونفع وضر غافل عن مواقع الحذر آمن وهو على شرف الخطر مقيم وقد جد به السفر مناقش بما مضى من أنفاسه محاسب على الاوامر ومحاسب على ذوات ما كتبه مطالب بالقليل والقطمير مما ارتكبه فلما وصل الجل في الكلام الى هذا المقام قبل العقاب بين عينيه وزاد قربه لديه وأفاض خلع الانعام عليه وقال صدق عليه أفضل الصلاة والتسليم حيث قال كلمة الحكمة ضالة كل حكيم ونطق بالحق من قال لا تنظر الى من قال وانظر الى ما قال فأهل التحقيق وذو والنظر الدقيق راقبوا المعاني ولم ينظروا الى القوالب والمباني فان سليمان عليه السلام وهو ملك الجن والانام والوحش والطير والهوام والهوام ونبي مرسل وملك ذو فضل وسلطان الفصل بالعدل استفاد النصائح من نملة وجمع هدهد مع ملكه مباحثه ويوجد في الاسقاط ما لا يوجد في الاسفاط والقد ينفاق بالفوائد من هو كافر وجاحد فيؤخذ من أقواله ولا يقتدى بأفعاله وقد قيل ان الحسن البصري رحمة الله عليه دخل صبي مسجده ويصلي بين يديه فرآه لا يتم سجوده ولا يرضى بصلاته معبوده فدعاه وخاطبه وأنكر عليه وعاتبه وقال له تمم سجودك ترض معبودك فقال يا شيخ المتقين هذه سجدات شخص من المؤمنين لو سجد احداها ابليس لآدم لما كان من الملعونين ولو سجدها فرعون مرة لكان من المسلمين ولم يصر من أهل العناد المطرودين * ورأى يوما صبيا ومعه سراج وهو سالك في منهاج فسأله عن ناره وما فيها من انواره من اين أخذها وكيف اقتبسها فلم يجاوبه الا باطفاء السراج وسؤاله اين ذهب ذلك النور الوهاج قل لي اين ذهبت تلك الانوار أقل لك من اين جاءت تلك النار ثم ان العقاب ولى الجل ما تحت يده من رقاب وقدمه على سائر الخدم وصنوف الطير واجناسه من الامم وجعله الدستور الاعظم والوزير المقدم المكرم وفي هذا المقام أمسك الحكيم حسيب عن الكلام وختم ما افتتحه من الحكم والاحكام بالدعاء والثناء والصلاة والسلام قال الشيخ ابو المحاسن الخجل باديه امرأ القيس وأبا فراس فلما انتهى الحكيم في مقترحه وما قصده من بيان محاسنه وحله الى هذا المحل وفصل من فضله ما أجل من جل فرض الوزير وقبل قدميه واعترف له بالفضل المنعم به عليه وانه مالك أزمة الانشاء وملك الكلام يصرفه كيف شاء وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وكأنه شيخ المنقول واستاذ المعقول فمن انوار الفاظه تستنير العقول ومن كنوز عباراته تستخرج جواهر المعقول واما اخوه الملك فطار بسروره عن سريره واتخذه في مهام اموره مقام أميره ثم أدت آراء فكرته ان يستعمل اخاه لكشف كربته ويشرف في السعي بينه وبين اخوته لرتق ما انفتق وسد ما خرق وسل الحسد فانبثق فامتثل أمره العالي ونهض بأمر الله المتعالي وانفق من جواهر افكاره في سوق المناصحة الرخيص والغالي ورصع ما استخرجه من يواقيت تلك من عباراته بما يستعبد عقود اللآلي وتعاطى أسباب الاصلاح وساعده حسن النية وخلوص الطوية السعد والنجاح

وهذب في الفضل مارقه * ورتب بالفضل ما هذبه

وأعجب ذا اللب ماشاده * فاثنى عليه بما اعجبه

واغرب في السبق اشراقه * فلله ذا السعد ما أغربه

فماشذ بالصدق عن نهجه * ولا شذ فضل لما شذبه

فاستمال الخواطر النافره واطفأ بزلال الفاظه العذبة شواظ تلك النائره وسكن بنسيم ملاطفاته قتام الاخلاق الثائره فاطمأنت القلوب وطهرت من غش الشنآن الجيوب واتصل بالمحب المحبوب وحصل الامن والامان ومساعدة الزمان ومعاضدة الاخوان ومصافاة الخلان وطيب العيش والمكان

ما رأيته يا ملك قال لي قال فاري كيف تصنع فامري يا معشر الطير اقد فضلكم الله علينا انكن تدرين في ساعة واحدة مثل ما ندري في سنة وتبلغن ما لا نبلغ وتدخلن وتسكن تحت اجنحتكن من البرد والريح فهنيا لكن فاري كيف تصنع فادخل الطائر رأسه تحت جناحه فوثب عليه الثعلب مكانه فأخذه فهمزه همزة دق قلبه ثم قال يا عدو نفسه ترى الرأي للحمامة وتعلمها الحيلة لنفسها وتعجز عن ذلك لنفسك حتى يتمكن منك عدوك ثم قتله وأكله (فلما) انتهى المنطق بالملك والفيلسوف الى هذا المكان سكت الملك فقال له الفيلسوف أيها الملك عشت ألف سنة وملكت الاقاليم السبعة واعطيت من كل شيء سببا مع وفور سرورك وقرة عين رعيتك بك ومساعدة القضاء والقدر لك فانه قد كمل فيك الحلم والعلم وزكا منك العقل والقول والنية ولا يوجد في رأيك نقص ولا في قولك سقط ولا عيب وقد جمعت النجدة واللين فلا توجد جبانا عند اللقاء ولا ضيق الصدر عند ما ينوبك من الاشياء وقد جمعت لك في هذا الكتاب شمل بيان الامور وشرحت لك جواب ما سألتني عنه منها فاقتبس لك في ذلك غاية نصحي واجتهدت فيه برأيي ونظري ومبلغ فطنتي التماسا لقضاء حقك وحسن النية منك والفضل باعمال الفكرة والعقل فانك كما وصفت لك من النصيحة والموعظة مع انه ليس الآمر بالخير باسعد من المطيع له فيه ولا الناصح بأولى

أفضل من هذا وبه شفقة السلطان والاستقامة على الاسلام والايمان ونسأل الله تعالى اتمام نعمه
السابغ ذيل احسانه وكرمه والالطاف في القضا والعفو عما مضى والمعاملة باحسانه الجزيل وحسبنا
الله ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله
الاطهار وصحابته الابرار من الانصار والمهاجرين والانصار وسلم تسليما طيب الاعطار
ما بان بالعرف نسايم الازهار في الاسحار ما دامت الاعصار ودارت الادوار وترادف الليل والنهار
وجعلنا في زمرتهم مع المصطفين الاخيار انه كريم ستار حليم غفار (قال مؤلفه رحمه الله تعالى) غفر
الله له ولوالديه ... فقير عفو الله تعالى من غير تردد ولا تفكر ولا تعمق في تدبر مع توزع البال أحمد
بن محمد بن عربشاه الحنفي سامحه الله تعالى وعامله بما يرضيه ... الا ... عدلا
الا في اواخر شهر ربيع الاول سنة ثمان وخمسين وثمانمائة أحسن الله خاتمتها وفاتحتها وجعل
آخرها خيرا من اولها بمنه وكرمه آمين

بالنسخة من المسوح
ولا المال لمرياسه
متعلمنه قاومم
أم المال ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم

بعد حمد الله بأوفى الحمد وأزكى الشكر ودوام الصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وحزبه
قد تم بعونه تعالى طبع كتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء للعلامة الشيخ احمد بن محمد بن عربشاه
الحنفي وبهامشه كتاب كليلة ودمنة تأليف بيدبا الفيلسوف الهندي وترجمة عبد
الله بن المقفع الكاتب وهما كتابان جليلا القدر ... وعلو المكان وكان
تمام طبعهما وكمال شكلهما بالمطبعة العامرة الشرفية الكائنة
بمحل ادارتها بشارع الخرنفش بمصر المحروسة القاهرة المعزية
ملتزميه الفاضلين الكاملين (حضرة حسين أفندي
شرف ومصطفى أفندي فهمي) كان الله لهما
وبلغهما في الدارين آمالهما في اواخر شهر
صفر الخير سنة ١٣٠٦ هجريه
على صاحبها أفضل
الصلاة وأزكى التحية
اللهم آمين
آمين

فهرست فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء للعلامة الأديب والفهامة الأريب الشيخ أحمد بن محمد بن عربشاه الحنفي تغمده الله تعالى برحمته آمين

(تمت)

فهرست كتاب كليلة ودمنة المطرز به هامش فاكهة الخلفاء

(تمت)